

(فهرسة الجزء الثانى من كتاب شرح المقامات الحريرية للامام الشريشى)

صحيفة

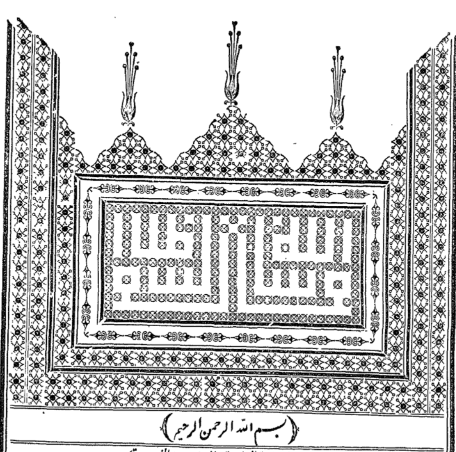
صحيفة

(تمت)

الجزء الثانى من شرح المقامات الحريرية
للامام أبى العباس أحمد
ابن عبد المؤمن القيسى
الشريشى رحمه
الله تعالى

م

(وهو الشرح الكبير من شروح ثلاثة له)



(بسم الله الرحمن الرحيم)

(شرح المقامة الرابعة والعشرين النحوية)

(عاشرت)* صاحبت (قطيعة الربيع) بلد معروف والربيع حاجب المنصور ومولاه وهو الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبى فروة وكان أقطعه المنصور بلدا بالعراق فبناه وبنى الناس معه حتى صار فيه عمارات كثيرة وهى محلة قريبة من كرخ بغداد فى أعلى غربية بغداد فنسبت الى الربيع (ابان) وقت (الربيع) فصل النوار (ابلج) أحسن لونا وأنعم (أنواره) أزهاره ونوّر النبات وأنور صار فيه النور و (ابهج) أحسن لونا والبهجة حسن اللون و (نسيم) السحر ريحه اللينة الباردة وفى حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى للجنة كل يوم طيبى لأهلك فتزداد طيبا فذلك البرد الذى تجده الناس بسحر ذلك اليوم وقال ابن عمار فى نسيم السحر على الرياض فأحسن

ويوم لنا بالسدّ بين معاطف * من النهر تنساب انسياب الاراقم
بحيث اتخذنا الروض جارا يزورنا * هداياه فى أيدى الرياح النواسم
يبلغنا أنفاسه فيردّها * باعطر أنفاس وأذكى لناسم
تسير علينا ثم عنا كأنها * حواسد تمشى بيننا بالنمائم

(اجتليت) نظرت (يزرى) يقصر وتقول زريت عليه اذا عبت عليه ما فعل وأزريت به قصرت (الزاهر) الناعم (رنات) أصوات (المزاهر) عيدان الغناء (تقاسمنا) تحالفنا (حظر) منع (الاستبداد) الانفراد بالشئ (يستأثر) يختص (رذاذ) أقل المطر أى اتفقوا أن لا ينفرد واحد بشئ دون أصحابه (أجمعنا) عزمنا (سما دجنه) ارتفع سحابه (نما) زاد (الاصطباح) شرب الخمر

(المقامة الرابعة والعشرون النحوية)
(حكى الحرث بن همام) قال عاشرت بقطيعة الربيع فى إبان الربيع فتية وجوههم أبلج من أنواره وأخلاقهم أبهج من أزهاره وألفاظهم أرق من نسيم أسحاره فاجتليت منهم ما يزرى على الربيع الزاهر ويغنى عن رنات المزاهر وكنا تقاسمنا على حفظ الوداد وحظر الاستبداد وأن لا يتفرد أحدنا بالتذاذ ولا يستأثر ولو برذاذ فاجمعنا فى يوم سما دجنه ونما حسنه وحكم بالاصطباح

بالسحر

بالسحر (مزنه) مطره وفى مثل بكورهم يقول عبد الجبار الصقلى

بادر الى اللذات واركب لها * سوابق اللهو وذوات المراح

من قبل ان ترشف شمس الضحى * ريق الغوادى من ثغور الاقاح

(انتهى) تتسلى وتتفرج و(المروج) المواضع المنخفضة الخصيبة واحدها مرج وسمى مرجا لان البهائم تمرج فيه أى تسيب (نسرّح) نسيب (النواظر) العيون و بالضاد نواعم الازهار و(الخواطر) الاذهان (شيم المواطر) نظر السحاب (برزنا) خرجنا وجعل خروجهم فى السحر لان أوّل النهار أحمد أوقات الشرب فقال أوّل النهار ألا ترى الدواء يبكر به والمسافر يدلج لحاجته لان العقول أوّل النهار أزكى والفطن أصح وقال القطوى

قبح الله أوّل الناس سنّ الشرب ظهرا ماذا أتى من خسار

مجلس مونق وكأس وندما * ن وتأخيرها الى الاظهار

نكتة فى السرور بادية الشين * لاهل العقول والابصار

ان شرب النبيذ سير الى اللهو * وخير المسير صدر النهار

ما رأينا النشوة الصبح شكلا * كنديم مساعد وعقار

وغناء يفت فى عضد الحاشم * و يزرى على النهى والوقار

وأحاديث فى خلال الاغانى * كانفتاح الرياض غب النهار

وبعضهم يمدح الغبوق و يذم الصبوح وابن المعتز ممن يذهب الى ذلك (قوله كندمانى جذيمة) أى صاحبيه على الخمر واسمهما مالك وعقيل وجذيمة ابن مالك بن تيم الازدى وكان ملك أيام الطوائف بشاطئ الفرات وما والى ذلك الى السواد ستين سنة قال ابن الكلبى جذيمة أوّل من ملك قضاعة بالحيرة وأوّل من حذا النعال وأدلج من الملوك ورفع له الشمع وكان من أفضل ملوك العرب رأيا وأظهرهم حزما وهو أوّل من استجمع الملك له بأرض العراق وغزا بالجيوش وكان به برص فكنت العرب عن البرص اعظاما فقالت له جذيمة الوضاح وجذيمة الابرش وكان غزا طسما وجديسا فى منازلهم فصادف حسان بن تبع قد أغار عليهما فانصرف جذيمة وصادفت خيول تبع سريّة له فقتلوهم فبلغ الخبر جذيمة فقال

ربما أوفيت فى علم * ترفعن ثوبى شمالات

فى فتون أنت كالؤهم * من بلايا غزوة ماتوا

ليت شعرى ما أماتهم * نحن أسرينا وهم باتوا

وكان جذيمة قد تنبأ وتكهن واتخذ صنمين وسماهما الضيزنين ومكانهما بالحيرة معروف وغزا ايادا بعين اباغ فبعثوا قوما منهم سرقوا منهم الضيزنين وأصبحوا بهما فى اياد فأرسلوا اليه ان صنميك أصبحا عندنا زهدا فيك ورغبة فينا فاعطنا عهدا لا تغزونا ونردّهما اليك ففعل وكان بلغه أن غلاما من لخم يسمى عدى بن نصر مقيم فى أخواله من اياد وله ظرف ولب وانه لحسن أن ينادم الملك و يقوم بمجلسه فاشترط على اياد أن يبعثوا مع الصنمين بعدى بن نصر وكان له جمال وظرف فدفعوه اليه معهما فضمه الى نفسه وكان ينادمه و يسقيه فتعشقته رقاش أخت جذيمة فبعثت اليه اذا سقيت أخى واستنشى فاخطبنى لك وأشهد عليه ففعل فلما طرب جذيمة خطبها فأنعم

قوله وجعل خروجهم الخ لا يناسب نسخة المتن التى بأيدينا اهـ مصححه

مزنه على أن نلتهى بالخروج الى بعض المروج لنسرّح النواظر فى الرياض النواضر ونصقل الخواطر بشيم المواطر فبرزنا ونحن كالشهور عدّة وكندمانى جذيمة مودّة

ترجمة جذيمة وندمانيه

عليه وأشهد عليه فقال له عرّس بأهلك ففعل فلما أصبح غدا على جذيمة مضرّجا بالطيب فقال له ماهذه الآثار فقال آثار العرس قال وأي عرس قال عرس رقاش فأكب جذيمة على الارض وفرّ عدي وطلبه جذيمة فلم يدركه وقيل ظفر به وقال لرقاش

حدثيني رقاش لا تكذبيني * أبحـرّ زنيت أم بهجين

أم بعبـد فأنت أهل لعبـد * أم بدون فأنت أهل لدون

فقالت له

أنت زوجتني وما كنت أدري * فأتاني النسـاء للتزيين

ذاك من شربك المدامة صرفا * وتماديك في الصبا والمجون

فحبسها في قصرها فاشتملت على حمل فأتت بغـلام وسمته عمرا وربته حتى ترعرع فجملته وعطرته وألبسته كسوة مثله ثم أزارته خاله فأعجب به وألقيت عليه محبته وخرج جذيمة في سنة قد أكمأت وبسط له في روضـة وعمرو مع غلمة يجتنون الكمأة فكانوا اذا أصابوا كمأة طيبة أكلوها واذا أصابها عمرو خبأها ثم أقبلوا يتعادون وعمرو يقدمهم يقول

هذا جناي وخياره فيه * اذ كل جان يده الى فيه

فالتزمه جذيمة وحل منـه بمكان ثم ان الجن استهوته فطلب زمانا وأرسـل فيه في الآفاق فلم يجد له خـبرا ثم ان عمرا أوفى على مالك وعقيل ابني فارج بن مالك بن كعب بن القيس بن جبر بن قضاعة وقد نزلا منزلا وهـما متوجهان الى خاله جـذيمة ومعهـما قينة يقال لها أم عمرو وهي تغنيهـما وتسقيهما فرأت عمرا وقد تلبد شعره وطالت أظفاره وساءت حاله فاحتقرته فمدت اليه بكراع من طعامهما وناولتهما وأوكأت زقها ولم تناول عمرا شيأ فقال لها عمرو

صددت الكأس عنا أم عمرو * وكان الكأس مجراها اليمينا

وما شرّ الثـلاثة أم عمـرو * بصاحبك الذي لا تصبحينا

فاشرب الشراب كمثل عمرو * وما نال المكارم فاصبحينا

فلا تنكـري عمـرا فاني * أنا ابن عـدي حقا فاعرفينا

وخالي لا أبالك ذو المعالي * جذيمة كيف ويحك تنكرينا

فقالا له من أنت يافتى قال أنا عمرو بن عدي فضماه اليهما وغسـلا رأسه وأخذا من شعره وقلما أظفاره وألبساه بعض الثياب التي كانت معهما وقالا ما كنا نهدي جذيمة أنفس من ابن أختـه ثم وردا به على جذيمة فسر به سرورا شديدا وقال لهما تمنيا فسألا أن يكونا نديميه ما عاش وعاشا فنادماه أربعين سنة ما أعادا عليه حديثا فضرب بهما المثل في تأكيد الالفة وقال مالك بن نويرة في مالك

وكنا كندماني جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا

فلما تفـرّقنا كأني ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وتمثلت بهما عائشة رضي الله عنها عند قبر أخيها عبد الرحمن وقال أبو خراش الهذلي يرثي أخاه

تقول أراه بعـد عـروة لاهيا * وذلك رزء لو علمت جليل

فلا تحسبي أن قد تناسيت عهده * ولكن صبري يا أميم جميل

ألم تعلمي أن قـد تفرّق قبلنا * خليلا صفاء مالك وعقيل

وغزا جذيمة عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة السميدع العمليقي من العماليق ومنهم قوم من

عمرو وكان ملك الجزيرة وملك الحضر وهي مدينة قديمة بين دجلة والفرات فهزم جذيمة جيوش عمرو وقتله وفرّق جموعه وقال في ذلك شاعرهم

كأن عمرو بن برقا لم يكن ملكا * ولم تكن حوله الرايات تختفق

لاقى جذيمة في شعواء مشعلة * فيها حراشف بالنيران ترتشق

ترجمة الزباء

فملكت بعده الزباء ابنته واسمها نائلة قال ابن الكلبي ولم يكن في عصر الزباء أجمل منها جمالا وأكمل منها كمالا وكان لها شعر اذا مشت يتدلى وراءها واذا نشرته جللها فسميت الزباء لكثرة شعرها فجمعت خيل أبيها وغزت بالجيوش من حواليها من الملوك فذللتهم فضرب بها المثل فقيل أعز من الزباء واشتهر عنها علو الهمة وسمو القدرة وقوة المنعة ومضاء العزم وبذل الاموال فلما استحكم ملكها أرادت أن تغزو جذيمة لتسدرك فيه ثأر أبيها فنهتها أختها زبيبة عن ذلك وقالت لا طاقة لك به ولكن ابني أمرك فيه على المكر والحيل فبعثت الى جذيمة تخطبه على نفسها ليتصل ملكه بملكها فصيرا بذلك أعز الملوك وكان بلغه عن جمالها ما أطمعه في الظفر بها فاخبر أرباب دولته بمخاطبتها اياه فكلهم أشار عليه أن يتزوجها الا قصير بن سعيد بن عمرو وكان لبيبا عاقلا له عزم وحزم وكان خازنه وعميد دولته فانه قال له هذا رأي فاتر لان الزباء قتلت أباها والدم لا ينام ولك في بنات الملوك الاكفاء متسع فقال له الملك ان النفس الى ما تحب تواقة وان كان القدر قد يجري بشيء فلا مفر عنه وكتبت اليه الزباء تطلب منه قدومه عليها للنكاح وقالت له لولا أن السعي في مثل هذا للرجال أجمل ولهم ألزم لسرت اليك وأهدت مع كتابها من العبيد والسلاح والاموال والذهب هدية سنية فلما وصلت أبهجته وحسب أن ذلك لفرط رغبتها فيه فشاور قومه وابن أخته عمرا فشجعوه على المسير اليها واستخلف عمرا على ملكه وسار في خواصه حتى نزلوا بالفرضة فشاور خواصه وقصيرا في الجملة فاشاروا عليه بالمسير الا قصيرا فانه قال أيها الملك كل عزم لا يؤيد بحزم فآخره الى فساد ولولا أن الامور تجري على المقدور لعزمت على الملك أن لا يفعل فقال جذيمة الرأي مع الجماعة فقال قصير أرى القدر سابق الحذر ولا يطاع لقصير رأي فلما قرب من ديارها أرسل اليها يعلمها بموضعه فاظهرت السرور به وأخرجت له هدايا وأنواعا من الاطعمة والاشربة فقال لقصير كيف ترى فقال قصير من لم ينظر في العواقب لم يأمن المصائب فاستدرك الامر قبل فوته وارجع فان في يديك بقية تستدرك بها الصواب وان كنت لا بد فاعلا فان القوم ان تلقوك غدا يجيء قوم ويذهب قوم فالامر في يديك وان تلقوك صفين فاذا توسطتهم وأحدقوا بك فقد ملكوك وهذه العصا وهي فرس لجذيمة تستبق الطير فسأعرضها لك فاركبها اتسلم عليها فانه لا يسبق غبارها فأرسلها مثلا فلما كان غد لقوه صفين فلما توسطهم انقضوا عليه فقال لقصير صدقت فما الرأي فقال له قد تركت الرأي وهذه العصا اركبها فشغله الامر عنها فلما رأى قصير الجيوش تسير بجذيمة أعطى العصا عنانها فهوت به هوي الريح فتطاول اليه جذيمة بنظره فقال ويل له جذيمة فجرت به الى غروب الشمس قال الاصمعي رحمه الله تعالى لم تقف حتى جرت ثلاثين ميلا ثم وقفت فبالت فبني على الموضع برج يسمى برج العصا وأشرفت الزباء من قصرها تنظر الى جذيمة وهو يساق فقالت ما أحسنك من عروس يزف الى فدخلوا به اليها وحولها ألف وصيفة لا تشبه واحدة صاحبتها في خلق ولا زي وهي بينهن كالقمر

حفت به النجوم فامرت بالانطاع فبسطت وقالت للوصائف خذن بيد سيدكن وبعل مولاتكن
فأجلسنه على الانطاع ففعلن به ذلك ثم كشفت له عن شعرتها فرأى شعرها قد طال حتى عقدته
من وراء ظهرها فقالت له يا جذيمة أشوار ذات عروس قال بل شوار بظراء تفلة وأمر غدر قد بلغ
المدى فقالت والله ماذاك من عدم المواسى ولكنها شيمة أناسى ثم أمرت به ففسق الجرح حتى
أخذت فيه وكانت الملوك لاتضرب الاعناق الافى الحرب ثم أمرت أن تقطع رواهشه وقالت
تحفظن بدمه لانه ان قطرت من دمه قطرة فى غير الطشت طلب بدمه فجرى دمه فى طشت ذهب
فلما ضعفت يداه سقطتا فقطرت على النطع من دمه قطرات فقالت لاتضيعوا دم الملوك فقال لها
لايحزنك دم ضيعه أهله فذهبت مثلا فقالت ان دماء الملوك شفاء من الكلب والله ما وفى دمك
ولا شفى قتلك ثم أمرت به فدفن وكان عمرو بن عدى يخرج كل يوم لبعض الحيرة يستطلع أمر خاله
فنظر يوما الى فارس قد أقبل فأشرف عليهم قصير فقال له ما وراءك فقال له سعى القدر بالملك الى
حتفه فاطلب بثأره فقال عمرو وأى ثأر يطلب من الزباء وهى أمنع من عقاب الجو فقال قصير
والله لا أنام عن طلب دمه مالاح نجم فاجدع أنفى واضرب ظهرى ودعنى واياها فقال عمرو
ما أنت لذلك بأهل وقد علمت نصحك لخالى فقال خل عنى اذا فجدع أنفه فلحق بالزباء فقالت ماجاء
بك فاشار بظهره وأنفه فقالت العرب لامر ما جدع قصير أنفه فقالت يا قصير وبيننا دم خطير
فقال يا ابنة الملوك العظام لاثأر ولا قود ولقد أتيت فيه على ما يأتى مثلك فى مثله وقد جئتك
مستجيرا بك من عمرو فانه علم أنى أشرت على خاله بالمجىء اليك فجدع أنفى وأذنى وأوجع ظهرى
وحال بينى وبين مالى وولدى فاستجرت بك لعلمى أنى لا أكون مع أحد أثقل عليه منك فقالت له
أهلا وسهلا وكان يلغها من رأيه وحزمه فاختصته وأنزلته واصطفته فلما وثقت به أخذت
تستشيره فى أمورها فقال لها يوما ان عمرا يطالبك بخاله والرأى ان تتخذى نفقا للملك تحتاجين
اليه فقالت له انى قد اتخذته تحت سريرى وخرجت به تحت سرير أختى وكان الفرات يشق بين
قصريهما فأظهرلها السر وثم قال لها ان لى بالعراق أموالا كثيرة تصلح بالملوك فان جهزتنى
بمال للتجارة توصلت فيه الى أخذ تلك الذخائر ونقلها اليك فجهزته فاحتال حتى وصل الى عمرو
فجهزه بطرف من الجواهر والخز والديباج والاسلحة فرجع بها فلما تحققت نصحه أرسلته الى
العراق ثالث سفرة ليضرب لها بها عدة من السلاح ويشترى لها خيلا وعبيدا التجهز جيشا الى
من حواليها من الملوك فمشى فيما أمرته به وتوصل الى عمرو وقال قد أصبت الفرصة من الزباء
فقال عمرو قل أسمع ومر أفعل فأنت طبيب هذه القرحة فقال الرجال والمال فقال حكمك
فيما عندى مسلط فعمد الى ألفى رجل من أهل القتال وجعلهم فى غرائر سود وجعل سلاحهم
السيوف والحجف وجعل رؤس الغرائر مربوطة من داخلها وجعل عمرا فى الجملة وساق الخيل
والعبيد فلما قاربها بعث اليها البشير بسلامة قصير وكل ما جاء به فسألت عن العير أين نزل فقيل
لها بالغوير وكانت تنظره من غير طريق الغوير فقالت عسى الغوير أبؤسا وتقدم قصير فدخل
عليها فبشرها فرقيت سطحا عاليا لتنظر مجىء الابل فنظرت قوائمها تسوخ فى الارض لما عليها
من الاثقال فقالت يا قصير

ما للجمال مشيها وئيدا * أجندلا يحملن أم حديدا

أم صرفاناباردا شديدا * أم الرجال جثما قعودا

وكانت قالت لجواريها انى أرى الموت الاحمر فى الغرائر السود فذهبت مثلا فدخلت الجمال المدينة فجس بوّاب بمخصرة فى يده غرارة على آخر بعير فأصابت المخصرة خاصرة رجل فضرط فصاح الشر الشر فأظهر واعلامة كانت بينهم فحلوا رؤس الجوالق فخرج منها ألفا دارع بألفى سيف فصاحوا يالثأر الملك المقتول غدرا وهربت الزباء تطلب النفق الى تحت الفرات فسبق عمرو الى بابه مع قصير وكانت صورة عمرو مصوّرة فى جانبها فعند ما رأته عرفته وكانت جعلت تحت فص خاتمها سم ساعة فمصت الفص وقالت بيدى لا بيد عمرو فسقطت وعمرو وقصير يضربانها بالسيف فماتت بين السم والسيف فاستباحوا بلدها بما فيه واستولى عمرو على مملكتها واتخذ عمرو الحيرة دار ملكه وتوارثها بنوه واحدا واحدا الى النعمان بن المنذر وهو الذى أدرك زمن المصطفى صلى الله عليه وسلم وقتله كسرى وهو آخرهم وكان مقتل والد الزباء عند بعث عيسى عليه السلام وقال ابن دريد

وسيف عمرو اشعلته به همته * حتى رمى أبعد شأو المرتمى

فاستنزل الزباء قسرا وهى من * عقاب لوح الجوّ أعلى منتهى

الى حديقة أخذت زخرفها وازينت

(قوله الى حديقة أخذت زخرفها وازينت) نريد أن نصل باب الرياض والبساتين اذ هى جامعة ألوان لم تدخلها الصنعة ولم تمازجها الكلفة مع بديع أزهارها التى سماها الله سبحانه وتعالى زينة وزخرفا فقال تعالى حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وان نجتنى فيه بعض ما قالت العرب ونقلته الرواة من الشعر المستحسن والتشبيه المشاكل فان جل النفوس مستأنسة به ونازعة اليه ومرتاحة لذكره ومشتاقة الى زمانه ولا تكون الرياض مونقة والازهار مشرقة الا فى اعتدال الزمان وجدة الايام وهى اذا حلت الشمس فى برج الحمل كما قال الحسن

أما ترى الشمس حلت الحملا * وقام وزن الزمان واعتدلا

فاشرب على جدة الزمان وقد * أصبح وجه الزمان مقتبلا

وغنت الطير بعد عجمتها * واستوفت الخمر حولها كملا

(قال الاصمعى) رحمه الله تعالى سألت اعرابيا عن الغيث فقال عطلت الحياض وأشرقت الرياض وأخرجت الارض زخرفها وأنبتت من كل زوج بهيج *وقيل لاعرابى أى شئ رأيت أحسن فقال الاعرابى ظباء رائعة فى رياض يانعة والشمس طالعة وقيل لآخر صف لنا الربيع وأوجز فقال هو صديق النفس بريحانه ومالك الطرف بريعانه مع أنه أشكل بالشبيبة وباعث الشهوة البعيدة وقال ابراهيم بن السدى خرجت أريد نزهة نهر الابلة مما يلى كاظمة تميم وقصر معبد حتى غورت فى مينى أتخيل الرياض وأجيل ناظرى فى ساقط الغيث حتى دفعت الى اعرابى عند روضة غناء عميم نبتها زاهر نورها يطيف بها فقلت يا اعرابى أحسن عندك ما ترى فقال كلا والله سماء مظلة وارض مقلة تضحك هذه عن بكاء هذه فما شئت من درة بيضاء وياقوتة حمراء وذمردة خضراء قد نظمتها أيدى المزن فى نحور الصعيد* وقال يزيد بن ماهان الاوسى أتيت أرض السماوة فى أنف من الربيع وقد اكتهل النبت فلما جزت ساحة الحى دفعت الى جوار كأنهن دمى العاج يمشين كقضيب البان وبين أيديهن روضة مشرقة وهن يطفن

بها ويهن الولوج فيها فقات مالكن لا تلحن الروضة فهي أوطأ لاقدامكن وأقرب لاثارة أرجها من أنوفكن فقالت احداهن أحرام عندك أن يطأ بعضنا خدود بعض قلت بلى والله قالت فوجه الارض أحق بالتحريم أن يحصد أو يتوسد * وبعث الحجاج الى عبد الملك بجاريتين وكتب اليه هما عندي بمنزلة روضتين من رياض السماوة جاد الربيع أوله وآخره عليهما فاعتم نبتهما ونور زهرهما وحسن منظرهما وقد بعثت الى أمير المؤمنين بهما مباركا له فيهما * (وقد ذكرت) الشعراء الغيث والرياض بالفاظ مستحسنة ومعان مستطرفة وتمثيل رائع وتشبيه رائق يبعث السرور وينفي لوعة المحزون ويجلب أريحية الفتوة والشباب فنذكر هنا من محاسن أشعارها ولطائف مذاهبها في ذلك ما نرجو به أن يفي بالغرض الذي قصده وضمنه الحريري صدر هذه المقامة ونوافقه ونشرح منزعها الشريف في ذلك ونحققه ان شاء الله تعالى أنشد السيرافي الخياط رحمه الله تعالى يصف روضة

نضاحة تملأ العينين بهجتها * فيحاء حفت بأنواع الرياحين
في ظل آس وجرجير ونرجسة * وسوسن زان وردا بين نسرين
وكرمة ذات أعناب مذللة * من كل أقطارها تحت الافانين
شبهت فيها العناقيد التي بقيت * أولاد زنجية قطس العرانين
فتارة من يواقيت منضدة * وكالزبرجد في بعض الاحايين
فعينها غدق وماؤها غبق * وريحها ريح مسك الهند والصين
فيها أزاهير قد بثت ملمعة * يضحكن عن زهر أنواع البساتين

فعارضه حسن الكوفي فقال

كأنها كاعب حسناء أبرزها * عيد فلم تأل في طيب وتزيين
تبرجت لتروق الناس بهجتها * فالناس ما بين مبهوت ومفتون
والايك مائلة الاغصان زائدة * قد كسيت زخرفا حمر الافانين
اذا الرخاء جرت في نورها لفظت * قراضة من حرير الري والصين
كأنما ألبست أكمامها حللا * من وشي اسكندر أو من نصيبين

(وقال على بن الجهم)

لم يضحك الروض الا حين أعجبه * حسن النبات وصوت الطائر الغرد
بدا فأبدى لنا دنيا محاسنها * وراحت الراح في أثوابها الجدد
ما قابلت قضب الريحان طلعته * الا تنسبت فيه ذلة الحسد
بين الندمين والخلين مسرعة * وسيرت بيد موصولة بيد
فبادرته يد المشتاق تسنده * الى الترائب والاحشاء والكبد
لا عذب الله الا من يعذبه * بجمع بارد أو صاحب نكد

(وقال البحتري)

سقى الغيث أكناف الحمى من محله * الى الحقف من رمل اللوى المتقاود
ولا زال مخضرا من اللون يانع * عليه بمحمر من النور حاشد

يذكرنا روٴيا الاحبة كلما * تنفس في جنح من الليل بارد
شقا ئق يحملن الندى فكأنه * دموع التصابي في خدود الخرائد
ومن لؤلؤ كالاقحوان منظم * على نكت مصفرة كالفرائد

(وقال أيضا)

وكان الحوداث والاقحوان الغض قضبان لؤلؤ وفريد
قطرات من السحاب وروض * نثرت وردها عليه الخدود

(وقال أيضا)

وقد نبه النسرين في غسق الدجى * أوائل ورد كن بالامس نوما
ومن شجر رد الربيع لباسه * عليه كما نشرت برداً منمنما

(وقال الحسن بن وهب)

طلعت أوائل للربيع فبشرت * نور الرياض بجدة وشباب
وغدا السحاب يكاد يسحب في الثرى * أذيال أسحم حالك الجلباب
يبكي فيضحك نور هن فما له * ضحكا تحسر عن بكاء سحاب
وترى السماء اذا أجد ركابها * فكأنما التحفت جناح غراب
وترى الغصون اذا الرياح تأرجت * ملتفة كتعانق الاحباب

(ولابي زرعة الدمشقي)

وقد أخذت زهر الرياض حليها * وألبست الارض الفضاء الزخارف
لجين وعقيان يروق وجوهر * تؤلفه أيدي الربيع اللطائف
تهادى التلاع الغور مسكا وعنبرا * تؤديه أنفاس الرياح العواصف
كأن أباريق المدامة بينها * من المنظر الاعلى ظباء رواعف

(ولبكر بن حماد)

فسقيا لايامنا الذاهبات * لقد فارقتنا بصفو الهوى
وهذا الربيع وريعانه * يجدد لي عهد الهاقد مضى
يذكرني الورد حمر الخدود * ولعس الشفاه اذا ما بدا
وسوسنه صحن خد الفتاة * اذا برزت لمحب أتى
ونشر الرياح رياح الحبيب * تباعد موعده أو دنا
يجود بها الطل وشي النبات * وينظمه بلآلي الندى

(ولمحمد بن يزيد)

وروضة صنف النوار جوهرها * فيها كما شئت من حسن ومن طيب
كأن ما تجتنيه من زخارفها * أخلاف مستحسن الاخلاق محبوب
ما انفك للعين فيها أعين ذرف * تبكي بدمع من الانواء مسحوب
حتى كأن أفانين النبات بها * على الميادين ألوان اليعاسيب
كأن غدرانها بالروض محدقة * تحبير ثوب من الموشي مخضوب

(وقال كشاجم)

الى الروض الذى قد زينته * شآبيب السحائب بالبكاء
بكين عليه فابتهجت رباه * تباهى فى زخارف نسج ماء
كأن الاقحوان بجانبيه * عذارى يبتسمن من الحياء

(وقال ابن الرقاق)

وحدائق خضر المعاطف ألبست * من حسن بهجتها ثياب زبرجد
جرت عليه الشمس فضل ردائها * فيرى زبرجدهن تحت العسجد

(وقال أيضا)

وروضة عاطر بنفسجها * عطرها وشيها وسندسها
لما غذته السحاب درتها * من فوق خوداتها ونرجسها
خاف عليه الغمام حادثة * فسل سيف البروق يحرسها

(وقال أيضا)

نثر الورد فى الغدير وقد دو * حه بالهبوب نشر الرياح
مثل درع الكمى مزقها الطعـ * ـن فسالت دماؤه بجراح

(وقال أيضا)

وقزازة زرقاء راق صفاؤها * قد ضم زهر الجلنار رداؤها
فاعجب لراح كأسها من فضة * ما ان تسيل وقد يسيل اناؤها

(ومن ملح الادباء وما تصرفوا به فى الانوار) ما كتب به أبو دلف الى ابن طاهر يعاتبه

اخاؤكم كالورد ليس بدائم * ولا خير فيمن لا يدوم له عهد
وعهدى لكم كالآس حسنا وبهجة * له ورق خضر اذا فنى الورد

(فاجابه ابن طاهر)

أشبهت عهد الورد فيما تذمه * وهل زهرة الاوسيدها الورد
اخاؤكم كالآس مر مذاقه * وليس له فى الريح قبل ولا بعد

ولم يأت أحد باخبث من تشبيه ابن الرومى فى ذم الورد

كأنه سرم بغل حين أبرزه * بعد الخرا باقى الارواث فى وسطه

(وقال أبو الشيص)

يا من تحلى بريحان يشادمه * من بين ورد وخيرى ونسرين
وياسمين وعود ما يغيره * ما كان أحسن ذا لو لم يكن دونى

(وقال أبو المعلى الطائى)

كأن عيون النورزين بالندى * عيون تراسلن الدموع على عذلى

(وقال أيضا)

ترى للندى فيه مجالا كأنما * نثرن عليه لؤلؤا فتبددا

(قوله حديقة) أى بستان (زخرفها) أى زينتها (تنوعت أزاهيرها) اختلفت أنواع أزهارها وهذه الحديقة التى ذكر من حسنها مثل البستان الذى دخله عروة بن الزبير مع عبد الملك بن مروان وكان عروة معرضا عن الدنيا فمن رأى فى البستان الوصف الذى ذكر الحريرى قال ما أحسن هذا البستان فقال له عبد الملك أنت والله أحسن منه لانه يؤتى أكله كل عام وأنت تؤتى أكلك كل يوم وكان عبد الملك يحب عروة ويعظمه على ما بين الزبيرية والمروانية من التباغض وقال لابن شهاب حين وفد عليه عند من طلبت قال عند سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وقبيصة بن ذؤيب فقال عبد الملك فأين أنت من عروة بن الزبير فانه بحر لا تكدره الدلاء قال ابن شهاب فلم أبارح عروة بعد حتى مات قال ابن وكيع فى وصف ما ذكره الحريرى

ألست ترى وشى الربيع تمنما * وماصنع الربعى فيه ونظما
وقد حكت الارض السماء بنورها * فلم أرفى التشبيه أيهما سما
فخضرتها كالجو فى حسن لونه * وأنوارها تحكى لعينيك أنجما
فمن نرجس لما رأى حسن نفسه * تداخله عجب به فتبسما
وأبدى على الورد الجنى تطاولا * وأظهر غيظ الورد فى خده دما
وزهر شقيق نازع الورد فضله * فزاد عليه الورد فضلا وقدما
فظل لفرط الحزن يلطم خده * فأظهر فيه اللطم جمرا مضرما
ومن سوسن لما رأى الصبغ دونه * على كل أنواع الرياض تقسما
تجلبب من زرق اليواقيت حلة * فأغرب فى الملبوس فيها وأحكما
وأنوار منثور يخالف شكلها * فصار بها شكل الربيع منمنما
جواهر لو قد طال فيها حياتها * رأيت بها كل الملوك مختما

(وقال أبو بكر البلوى)

وروضة بات طل الغيث ينسجها * حتى اذا التحمت أضحى يدبجها
يبكى عليها بكاء الصب فارقه * الف فيضحكها طورا ويبهجها
اذا تنفس فيها ريح سوسنها * وفاح مثل خزاماها بنفسجها
أقول فيها لساقينا وفى يده * كاس كشعلة نار اذ يوهجها
لا تمزجنها بغير الريق منك فان * تبخل بذلك فدمعى سوف يمزجها
أقل ما بى من عينيك أن يدى * اذا دنت نحو قلبى كاد ينضجها

(وقال الوزير المهلبى)

الورد بين مضمخ ومضرج * والزهر بين مكلل ومتوج
طلع النهار فلاح نور شقائق * وبدت سطور الورد بين بنفسج
والثلج يهبط كالنثار فقم بنا * نصطحك بابنة كرمة لم تمزج
فكأن يومك فى غلالة فضة * والنبت من ذهب على فيروزج

(وقال السرى)

وحديقة ينسيك وشى برودها * حتى تشبهها سبائب عبقرى

وتنوعت أزاهيرها وتلونت

تجرى النسيم خلالها فكأنما * غمست فضول ردائها فى العنبر
طارت قلوب المحل تخفق بينها * بخفوق رايات السحاب الممطر
طارت عقيقة برقه فكأنما * صبغت بمسك فيه جابمعصفر

(وقال السلامى)

نسب الرياض الى الغمام شريف * ومحلها عند النسيم لطيف
أوما ترى طرز البروق توسطت * أنفا كأن المزن فيه شنوف
واليوم من خجل الشقيق مضرج * خجل ومن مرض النسيم ضعيف
والارض طرس والرياض سطوره * والزهر شكل بينها وحروف
فأدر سقيت الرى جاملا انه * يوم على كبد الرمان خفيف

(قوله الكميت) يعنى الخمر (الشموس) التى فيها حدة (والشموس) السقاة الذين وجوههم كالشمس وللسلامى فى ذلك

ومعنا الكميت الشموس والسقاة الشموس

وظبية من بنات الانس فى يدها * و وجهها للصبا والحسن خاتام
قد خلت لؤلؤ الازرار عن درر * لهن فى ثغرها الفضى توأم
وزارت الارض منامقلتان لها * وحشيتان وعذب الريق بسام
والكأس للسكر التبرى صانعه * والماء للحبب الدرى نظام
بتنا نكفكف بالكاسات أدمعنا * كأننا فى حجور الروض أيتام

وهذه أشعار غريبة عجيبة ولابن سكرة فى ذلك

اشرب ففى اليوم فضل لو علمت به * بادرت باللهو واستعجلت بالطرب
ورد الخدود وورد الروض قد جمعا * والغيم مبتسم والشمس فى الحجب
لا تحبس الكأس واشربها مشعشعة * حتى تموت بها موتا بلا سبب

وقال سيف الدولة وذكر قوس قزح

وساق صبيح للصبوح دعوته * فقام وفى أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم * فمن بين منقض عليها ومنفض
وقد نشرت أيدى الجنوب مطارفا * على الجو دكنا والحواشى على الارض
يطرزها قوس السماء باصفر * على أخضر فى أحمر قوس مبيض
كأذيال خود أقبلت فى غلائل * مصبغة والبعض أقصر من بعض

وهذه من التشبيهات الملوكية التى لا تحضر السوقة بمثلها وقال ابن الرقاق

وشادن طاف بالكؤس ضحا * فحثها والصباح قد وضحا
والروض يبدى لنا شقائقه * وآسه العنبرى قد نفحا
قلنا وأين الاقاح قال لنا * أودعته ثغر من سقى القدحا
فظل ساقى العقار يجحده * عنا فلما تبسم افتضحا

(وقال أيضا)

نبهته ونجوم الليل زاهرة * والفجر منصدع والصبح قد لاحا

والليل منهزم ولت عساكره * والروض مبتسم والزهر قد فاحا
فقام يمسح عينيه براحته * نحلته فى ظلام الليل مصباحا

(قوله الشادى) المغنى (يلهيه) يشغله ويزيل همه (يقرى) يعطى ويهدى (سمع) أذن ولبعضهم فى غلام مغنّ وأجاد .

فديتك يا أتمّ الناس ظرفا * وأصلحهم لمتخذ حبيبا
فوجهك نزهة الابصار حسنا * وصوتك أمتع الاصوات طيبا
وسائلة تسائل عنك قلنا * لها فى وصفك العجب العجيبا
رنا ظبيا وغنى عندليبا * ولاح شقائقا ومشى قضيبا

(وقال ابن الرقاق)

يذكرنى تحنان شدو غنائه * على الايك تحنان الحمام المغرّد
له نغمات أخمت كل صادح * وصوت نشيد قد شجا كل منشد
فدع كل ما حدّثت عن صوت معبد * وطارح نشيدا عن نشيد ابن معبد

(قوله اطمأن) أى استقر وسكن (وغل) دخل والواغل الداخل على الشرب ولم يدع اليه (ذمر) شجاع والذمر أيضا الخبيث ذو الدهاء وهو مخفف من ذمر وهو الشجاع والجمع اذمار ومنه فلان حامى الذمار معناه يحمى ما يلزمه أن يحميه وسمى ذمارا لان الانسان يذمر نفسه أى يحرضها به وذمرت الرجل أذمره اذا حرضته (طمر) خلق (تجهمناه) عبسناله والجهامة العبوس ويقال تجهمنى فلان بكذا يتجهمنى بعناد (الغيد) النساء الحسان الليّنات الاعناق (الشيب) الشيوخ الواحد أشيب (شيب) كدر ونغص وأوّل من نطق بهذا المعنى امرؤ القيس بقوله

أراهنّ لا يحببن من قلّ ماله * ولا من رأين الشيب فيه رقوما

وعلقمة فى قوله

اذا شاب رأس المرء أوقل ماله * فليس له من ودّهنّ نصيب

وقال حبيب فى هذا المعنى فأحسن

لعب الشيب فى المفارق بل جدّ * فأبكى تماضرا ولعوبا
يا نسيب الثغام ذنبك أبقى * حسناتى عند الحسان ذنوبا
ولئن عبن ما رأين لقد أنـ * ـكرن مستنكرا وعبن معيبا
لو رأى الله أن للشيب فضلا * جاورته الابرار فى الخلد شيبا

(وقال على بن الجهم)

أنكرت ما رأت برأسى وقالت * أمشيب أم لؤلؤ منظوم
قلت أولاهما برأسى فأنت * أنة يستثيرها المهموم
حسرت عنى القناع ظلوم * فتولت ودمعها مسجوم

(وقال عمرو الوراق)

لا تطلبن أثر ابعين * فالشيب احدى الميتتين
أبدى مقابح كل شيـ * ـن ومحا محاسن كل زين

والشادى الذى يطرب السامع ويلهيه ويقرى كل سمع مايشتهيه فلما اطمأن بنا الجلوس ودارت علينا الكؤس وغل علينا ذمر عليه طمر فتجهمناه تجهم الغيد الشيب ووجدنا صفو يومنا قد شيب

فاذا رأيت الغانيا * ت رأين منك غراب بين
ولربما نافسن فيـ * ـك وكن طوعا لليدين
أيام همتك الشبا * ب وأنت سهل العارضين .

الفنجديهي من أحسن ما سمعت في هذا المعنى قول ابن البياذي رحمه الله تعالى

عرض المشيب بعارضيّ فأعرضوا * وتقوّضت خيم الشباب فقوّضوا
فكانّ في الليل البهيم توسطوا * حفرا وفي الصبح المنير تقبضوا
ولقد رأيت وما رأيت بمثله * بيننا غراب البين فيه أبيض

وقال حبيب وزاد في الشيب نقاء الخد

راحت غواني الحيّ عنك غوانيا * يلبسن نأيا تارة وصدودا
من كل سابغة الشباب اذا بدت * تركت عمود القريتين عمودا
أربين بالمرد الغطارف بدّنا * غيدا ألفتهم لدانا جيدا
أحلى الرجال من النساء مواقعا * من كان أشبههم بهن خدودا
حتى اذا ما الشعر سوّد وجهه * عاد المسوّد بينهنّ مسودا

هذا من قول الاعشى

وأرى الغواني لا يواصلن امرأ * فقد الشباب وقد يصلن الامردا

ولحبيب وروى لابي دلف

نظرت الىّ بعين من لم يعدل * لما تمكن طرفها من مقتلي
لما رأت وضح المشيب بلحيتي * صدّت صدود مفارق متحمل
فجعلت أطلب وصلها بتلطف * والشيب يغمزها بان لا تفعل

وقال محمد بن أمية

رأين الغواني الشيب لاح بعارضي * فأعرضن عني بالخدود النواضر
وكنّ اذا أبصرنني أو سمعنني * دنون فرفعن الكوى بالمحاجر

وللشريف الرضي رحمه الله

قالوا المشيب فعم صباحا بالنهى * واغفر مزاحك للطروق الزائر
لو دام لي ودّ الكواعب لم أبل * بطلوع شيب وابيضاض غدائر
لكنّ شيب الرأس ان يك طالعا * عندي فوصل البيض أوّل عابر
ان أعرضت عنه الخدود فطالما * عطفت له بسوالف ومحاجر
ولقد يكون وماله من عاذل * واليوم عاد وماله من غادر
كان السواد سواد عين حبيبه * فغدا البياض بياض عين الناظر
لو لم يكن في الشيب الا أنه * غدر الملوك ومحنة للغادر

وقال أيضا

لجام الشيب ثنى لي جيادي * وربانى لعذالي وراضا

لوى عنى الخدود من الغوانى * وغمض عنى الحدق المراضا
وصار بياضه عندى سوادا * وكان سواده عندى بياضا

ودخل أبودلف على المأمون وقد ترك الخضاب فغمز جارية عنده أن تعبث به فقالت شبت يا أبادلف انا لله وانا اليه راجعون فسكت عنها فقال له المأمون أجبها فأطرق برأسه ثم رفعه فقال

تهزأت اذ رأت شيبى فقلت لها * لا تهزئى من يطل عمر به يشب
شيب الرجال لهم زين ومكرمة * وشيبكن لكن الويل فاكتئبى
فينا لكن وان شيب بدا أرب * وليس فيكن بعد الشيب من أرب

(قوله يفض) بكسر (لطائم) أوعية الطيب وجعلها للكلام مجازا (تنزوى) تنقبض (وتنبرى) تبادر (لطى بساطه) لقطع كلامه (المغرب) الحسن الغناء الآتى بالغريب فيه (والشادى والمغرد) واحد وهو المغنى (المطرب) الآتى بالطرب وهو الاهتزاز بالسرور وقد يكون من شدة الحزن وقال ابن رشيق فى مغن

غننى يا مجوّد الخلق عندى * حى نجدا ومن بأكناف نجد
واسقنى ما يصير ذو البخل منها * حاتما والجبان عمرو بن معدى
فى زمان الشباب عاجلنى الشيب فهذا أوائل الدن دردى

(وقال البحلى فى مغنية)

ولاعبة الوشاح بغصن بان * لها أثر بتقطيع القلوب
اذا استولت طريق العود نقرا * وغنت فى محب أو حبيب
فمنها ما يفديها فؤادى * و يسراها تفديها ذنوبى

(قوله تأوين) أى تشفقين (عيل) غلب وأنث الروح لانه ذهب به الى النفس قال ابن ظفر الروح الذى يكون به الحياة واذا فارق الجسد كان الموت والنفس التى بها العقل وهى المقبوضة عند النوم ولا معنى للاكثار فى هذا الان الشارع ليس له فيه قول يعوّل عليه ولا للحواس على ادراكه حول فتهتدى اليه (التراقى) العظمان المعوجان أعلى الصدر (خلى) صاحبى (صرم) قطيعة و يستقبح عندهم مجازاة الحبيب على اساءته كبيت امرئ القيس *فسلى ثيابى من ثيابك تنسل* وقول طرفة واذا تلسنن اننى * لست بموهون فقر
وقول الاعرابى

ان كان أهلك يمنعونك رغبة * عنى فاهلى بى أضن وأرغب

والمستحب عندهم قول ابن أبى ربيعة

ألا يا من أحب بكل نفس * ومن هو من جميع الناس حسبى
ومن يظلم فأغفره جميعا * ومن هو لا يهم بغفر ذنبى

(وقال أبونواس)

جنان تسبنى ذكرت بخير * وتزعم أننى رجل خبيث
وأن مودتى كذب ومين * وأنى للذى يطوى بثوث
وما صدقت ولا ردّ عليها * ولكن الملول هو النكوث

الا أنه سلم تسليم أولى الفهم
وجلس يفض لطائم النثر
والنظم وبحسن تنزوى
من انبساطه وتنبرى لطى
بساطه الى أن غنى شادينا
المغرب ومغردنا المطرب
الام سعاد لا تصلين حبلى
ولا تأوين لى مما ألاقى
صبرت عليك حتى عيل صبرى
وكادت تبلغ الروح التراقى
وها أنا قد عزمت على انتصاف
أساقى فيه خلى ما يساقى
فان وصلا ألذ به فوصل
وان صرما فصرم كالطلاق

ولى قلب ينازعنى اليها * وشوق بين اضلاعى حثيث
رأت كلفى بها ودوام عهدى * فلتنى كذا كان الحديث

(وقال ابن شهيد)

كلفت بالحب حتى لو دنا أجلى * لما وجدت لطعم الموت من ألم
وعاقنى كرمى عمن ولهت به * ويلى من الحب أو ويلى من الكرم

وأطرب من شعر المقامة للغناء ما حكى أن القاضى أبا عبد الله محمد بن عيسى من بنى يحيى خرج الى حضور جنازة وكان رجل من اخوانه ينزل بقرب مقبرة قريش فعزم عليه بالميل اليه فنزل وأحضر له طعاما وغنت جاريته

طابت بطيب لثاتك الاقداح * وزها بحمرة وجهك التفاح
واذا الربيع تنسمت أرواحه * نمت بعرف نسيمك الارواح
واذا الحنادس ألبست ظلماءها * فضياء وجهك فى الدجى مصباح

فكتبها القاضى طربا بها على ظهر يده ثم خرج قال الراوى فلقد رأيته يكبر على جنازة والابيات على ظهر يده *وقال ابراهيم بن المهدى دخلت يوما على الرشيد وفى رأسه فضلة خمار وبين يديه المغنون فقال يا ابراهيم بحقى عليك غننى فأخذت العود فغنيته من أشعار جرير

أسرى لخالدة الخيال ولا أرى * شيأ ألذ من الخيال الطارق
ان البلية من تمل حديثه * فانقع حديثك من حديث الوامق
أهواك فوق هوى النفوس ولم يزل * مذ بنت قلبى كالجناح الخافق
شوقا اليك ولم تجار مودتى * ليس المكذب كالحبيب الصادق

وقال ابراهيم الموصلى لابن جامع لو هذا طلب الغناء كما نطلبه ما أكلنا معه الخبز فقال ابن جامع صدقت ومما ينتظم فى هذا النمط ويغنى به قول الآخر

قال الوشاة لهند عن تصارمنا * ولست أنسى هوى هند وتنسانى
قد قلت حين بدا لى بخل سيدتى * وقد تتبع فى بثى وأحزانى
هل تعلمين وراء الحب منزلة * تدنى اليك فان الحب أقصانى

والحريرى لم يتعرض لشعره فى هذا لانه بنى البيت على المسئلة لكن فيما ذكرناه زيادة بيان وانه يجب أن يختار المغنى ما يليق للغناء من كل جهاته بالاستحسان (قوله العابث بالمثانى) أى اللاعب باوتار عود الغناء *ومما يستحسن فى وصف العود قول ابن القاضى

جاءت بعود تناغيه ويسعدها * فانظر بدائع ما خصت به الشجر
غنت على عوده الاطيار مفصحة * غضا فلما ذوى غنى به البشر
فلا يزل عليه أو به طرب * يهيجه الاعجمان الطير والوتر

(وقال ابن شرف)

سقى الله أرضا أنبتت عودك الذى * زكت منه أغصان وطابت مغارس
تغنى عليه الطير والعود أخضر * وغنى عليه الغيد والعود يابس

(ومما قيل فى ذم مغن)

قال فاستفهمنا العابث بالمثانى لم نصب الوصل الاول ورفع الثانى

لوأبصرت عيناك بشرا جالسا * والعود فى يده يبث وساوسا
لرأيت منه فتى تحب بان ترى * فى الرأس منه مساورا وطنافسا
فاذا تربع لاتربع بعدها * وبدا يحرك عوده متنافسا
فكان جرذان المدينة كلها * فى عوده يقرضن خبزا يابسا

المثانى أوتار بالعود معروفة على سائر أوتاره (بتربة أبويه) يريد عظامهما التى تصير ترابا فى القبر ولذلك أقسم بالقبر *وأما (سيبويه) ففارسى مولى لبنى الحرث بن كعب واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر وتفسير سيبويه بالفارسية ريح التفاح وهو لقب له لانه كان من أطيب الناس رائحة وأجاهم وجها وقد أشرنا الى ذلك فى العاشرة وقيل معنى سى ثلاثون وبويه رائحة التفاح فكان معناه الذى ضعف طيب رائحته ثلاثين مرّة وقيل ان أمه كانت ترقصه بذلك وهو صغير فلزمته وولد بالبيضاء وهى قرية بشيراز من عمل فارس ونشا بها وقدم البصرة فى أوّل ايامه ليكتب الحديث فلزم حلقة حماد بن سلمة فاستملى عليه يوما قول النبىّ صلى الله عليه وسلم ليس من أصحابى الا من لوشئت لاخذت عنه ليس أبا الدرداء فقال سيبويه ليس أبو الدرداء بالرفع وظنه اسم ليس فقال حماد لحنت ياسيبويه ليس هذا حيث ذهبت انما ليس هنا استثناء فقال سيبويه سأطلب علما ليس يلحننى فيه احد فلزم الخليل فبلغ فى علم النحو الغاية وضرب به فى ذلك المثل وهو أوّل من بسط طريقته وشرع شريعته وكتابه الامام فى النحو الذى لم يصنع قبله ولا بعده مثله وغاية الائمة فهمه وأخذه الاخفش عنه وقيل ليونس ألف سيبويه كتابا نحوا من ألف ورقة فى علم الخليل فقال متى سمع سيبويه هذا كله فأتى بكتابه فنظر فيه فقال يجب أن يكون صدق عن الخليل كما صدق فيما حكاه عنى وناظر الاصمعى سيبويه فغلبه الاصمعىّ بلسانه فقال يونس الحق مع سيبويه وكانت فى لسانه حبسة وقلمه ابلغ من لسانه قال أبو زيد كان سيبويه يختلف الىّ وهو غلام له ذؤابتان واذا قال فى كتابه حدّثنى من أثق به فانما يعنينى قال الاخفش كان سيبويه اذا وضع شيأ من كتابه عرض علىّ وهو يرى انى أعلم منه وكان أعلم منى والاخفش هذا هو سعيد بن مسعدة مولى بنى مجاشع يكنى أبا الحسن وهو الذى أخذ الكتاب عن سيبويه وهو أكبر من سيبويه وصحب الخليل وأما الاخفش الكبير شيخ سيبويه فهو عبد الحميد بن عبد المجيد يكنى أبا الخطاب وهو الاخفش الكبير ويونس هو ابن حبيب يكنى أبا عبد الرحمن مولى بنى ضبة أخذ النحو عن حماد بن سلمة وعن أبى عمرو بن العلاء وقيل انه جاوز المائة فى سنه ولما فاق سيبويه فى علم النحو أهل عصره وبرز فيه على نظرائه من أهل دهره سمع ان الكوفيين ظهروا ببغداد عند الرشيد بعلم النحو وهم الكسائى وأصحابه فقصدهم ببغداد وناظرهم بحضرة الرشيد وبحضرة يحيى بن برمك وناظره الكسائى وقيل الفراء بحضرة الكسائى فى المسئلة الزنبورية المشهورة وقد ذكرناها فى الرابعة والثلاثين وكان فيما ذكر الظهور لسيبويه وتراضوا بينهم بشهادة الاعراب الحاضرين بباب الخليفة فقدم الكوفيون بجانبهم عند الخليفة للاعراب من لغتهم أن يجيبوا بموافقة قول الكوفيين فأجابوا بذلك فخرج سيبويه خجلا وكاد يموت غما فزعموا انهم شفعوا للرشيد لئلا يرجع مغلوبا خائبا فأمر له بعشرة آلاف درهم فانبعث الى الاهواز ولم يعرج على البصرة فأقام هناك مدة مديدة الى أن مات *وحكى انه لما انصرف عنهم مغموما لقى الاخفش سعيد بن مسعدة فأخبره بتألبهم عليه فدخل الاخفش فسأل الكسائى

(ترجمة سيبويه)

فاقسم بتربة أبويه لقد نطق بما اختاره سيبويه

عن مائة مسئلة تخطاه فيها كلها فقال له انت سعيد بن مسعدة فقال له نعم فسأله أن يؤدب اولاده فأجابه وقرأ عليه الكسائى كتاب سيبويه واعطاه سبعين دينارا ويروى انه لما بلغ الكسائى موته قال للرشيد يا أمير المؤمنين أدّ عنى ديته فانى أخاف أن أكون شاركت فى موته وقيل انه مات من ذرب المعدة وقيل انه لما خرج عنهم سأل من يرغب من الملوك فى النحو فقيل له طلحة بن طاهر بخراسان فقصده فلما انتهى الى ساوة مرض ومات ولما احتضر وضع رأسه فى حجر أخيه فقطرت دمعة من دموعه على خده فرفع عينيه اليه وقال

احنين كنا فرّق الدهر بيننا * الى الامد الاقصى ومن يامن الدهرا

(ثم قال عند موته)

نؤمل دنيا لنبقى بها * وتأتى المنية دون الامل
حثيثا يروى أصول الفسيل * فعاش الفسيل ومات الرجل

وفيه انه مات بشيراز وقبره بها سنة ثمانين وقيل سنة أربع وتسعين ومائة قال أبو سعيد الصولى رأيت على قبره مكتوبا السليمان بن يزيد

ذهب الاحبة بعد طول تزاور * ونأى المزار فاسلموك وأسرعوا
تركوك أوحش ما يكون بقفرة * لم يؤنسوك وكربة لم يدفعوا
قضى القضاء وصرت صاحب حفرة * عنك الاحبة اعرضوا وتصدعوا

فتشعبت حينئذ آراء الجمع في تجويز النصب والرفع فقالت فرقة رفعهما هو الصواب وقالت طائفة لا يجوز فيهما الا الانتصاب واستبهم على آخرين الجواب واستغر بينهم الاصطخاب وذلك الواغل يبدى ابتسام ذى معرفة وان لم يفه ببنت شفة

(قوله تشعبت) تفرقت وشعبت الشئ فرقته وجمعته وهو من الاضداد ورجل شعاب يضم ويجمع (آراء) جمع رأى (واستبهم) استغلق (استعر) اتقد (الاصطخاب) اختلاط الاصوات وقد صخب صخبا (بنت شفة) كلمة ومثل اختلاف هذه الجماعة على المعانى فى رفع وصل وخفضه اختلاف أصحاب الواثق على جارية غنت بحضرته

أظلوم ان مصابكم رجلا * أهدى السلام تحية ظلم

وذكر الحريرى فى الدرة أن أبا العباس المبرد ذكر أن أبا عثمان المازنى قصده بعض أهل الذمة ليقرأ عليه كتاب سيبويه وبذل له مائة دينار فامتنع أبو عثمان من قبول بذله فقلت له جعلت فداك أتترك هذه النفقة مع فاقتك وشدة اضاقتك فقال ان هذا الكتاب يشتمل على ثلثمائة كذا وكذا آية من كتاب الله تعالى ولست أرى ان امكن منه ذميا غيرة على كتاب الله وحمية له قال فاتفق ان غنت جارية بحضرة الواثق بقول العرجى أظلوم البيت فاختلف من بالحضرة فى اعراب رجل فمنهم من نصبه بأن على انه اسمها ومنهم من رفعه على انه خبرها والجارية مصرة على أن شيخها أبا عثمان لقنها اياه بالنصب فامر الواثق باحضاره قال أبو عثمان فلما مثلت بين يديه قال ممن الرجل قلت من بنى مازن قال من أى الموازن أمازن تميم أم مازن قيس أم مازن ربيعة فقلت من مازن ربيعة فكلمنى بكلام قومى وقال لى باسمك يريد ما اسمك وهم يقلبون الميم باء والباء ميما اذا كان فى أول الاسماء فكرهت ان اجيبه على لغة قومى لئلا أواجهه بالمكر فقلت بكر يا أمير المؤمنين ففطن لما قصدته واعجب منه ثم قال ماتقول فى قول الشاعر * أظلوم ان مصابكم رجلا * أترفع رجلا ام تنصبه فقلت بل الوجه النصب قال ولم ذلك فقلت ان مصابكم رجلا مصدر بمعنى اصابتكم فأخذ اليزيدى فى معارضتى فقلت هو بمنزلة قولك ان ضربكم زيدا ظلم فالرجل

مفعول

مفعول بعصا بكم ومنصوب به والدليل عليه ان الكلام معلق الى أن يقول ظلم فتم فاستحسنه
الواثق وقال هل لك من ولد قلت نعم بنية يا أمير المؤمنين قال ما قالت لك عند مسيرك قلت أنشدت
قول الاعشى

أيا أبتا لا ترم عندنا * فانا بخير اذا لم ترم
أرانا اذا أضمرتك البلا * د نجفى وتقطع منا الرحم

قال فما قلت لها قال قلت قول جرير

ثقي بالله ليس له شريك * ومن عند الخليفة بالنجاح

قال أنت على النجاح ان شاء الله تعالى ثم أمر لي بألف دينار وردني مكرما قال أبو العباس فلما عاد
الى البصرة قال كيف رأيت يا أبا العباس ردنا الله تعالى مائة فعوضنا بألف قال الحريري فهذه
الحكاية ترغب في اقتباس الادب ودراسته حيث استعطف المازني الواثق ببيت الاعشى حتى
اهتز لاحسان صلته * قال وفي اخبار النحويين ايضا ان المازني سئل بحضرة المتوكل عن قوله
تعالى وما كانت أمك بغيا فقيل له كيف حذفت الهاء من بغيا وفعيل بمعنى فاعل تلحقه الهاء نحو
فتى وفتية وغنى وغنية فقال ان بغيا ليست فعيلا انما هو فعول بمعنى فاعل لان الاصل بغوى
ومن أصول التصريف انه متى اجتمعت الياء والواو في كلمة وسبقت احداهما بالسكون قلبت
الواو ياء كشويته شيا ويوم وأيام وهذا أصل مطرد لم يشذ منه الا القليل فعلى هذه القضية تحذف حتى اذا سكنت الزماجر
الهاء وجوبا لانها بمعنى باغية كما تحذف من صبور لانها بمعنى صابرة * قال المازني حضر يعقوب
عند الواثق وقد حاز منزلة العلماء فقال لي الواثق سله عن مسئلة فقلت له ما وزن نكتل فقال نفعل
فقلت له غلطت ثم قال لي فسره فقلت اصله نكتيل فقلبت الياء الفا للفتحة قبلها وسكنت اللام
للجزم لانه جواب امر فحذفت الالف لالتقاء الساكنين فقال الواثق هذا الجواب لا جوابك
يا يعقوب فلما خرجنا قال لي يعقوب ما حملك على هذا وبيني وبينك المودة فقلت والله ماظننت
انه يعزب عنك مثل هذا فانظر كيف لم يثبت يعقوب الاوزان على ثبوت قدمه في العلم * لقي هرون
الرشيد الكسائي في بعض طرقه فوقف عليه وتحفى بسؤاله عن حاله فقال انا بخير يا امير المؤمنين
ولو لم أجد من ثمرة الادب الا ما وهب الله تعالى لي من وقوف امير المؤمنين علي لكان ذلك كافيا
محتسبا * ودخل ابو يوسف رحمه الله تعالى وهما في مذاكرة وممازحة فقال يا امير المؤمنين ان هذا
الكوفي قد غلب عليك فقال يا ابا يوسف انه ليأتيني بأشياء يشتمل عليها قلبي وتأخذ بمجامعه فقال
الكسائي يا أبا يوسف هل لك في مسئلة فقال في نحو أو في فقه فقال بل في فقه فضحك هرون حتى
فحص برجليه فقال تلقي على أبي يوسف الفقه فقلت نعم ثم قال يا ابا يوسف فما تقول في رجل قال
لزوجته انت طالق أن دخلت الدار قال اذا دخلت الدار طلقت قال اخطأت يا ابا يوسف فضحك
الرشيد ثم قال فكيف الصواب قال اذا قال ان وجب الفعل دخلت بعد اولم تدخل واذا قال
ان بالكسر لم يجب ولم يقع الطلاق * دخل الفراء على الرشيد فتكلم فلحن مرات فقال له جعفر
يا امير المؤمنين انه قد لحن فقال الرشيد للفراء اتلحن يا يحيى فقال ان طبع اهل البدو الاعراب
وطباع اهل الحضر اللحن فاذا حفظت او كتبت لم الحن واذا رجعت الى الطبع لحنت فاستحسن
الرشيد كلامه وعلم أنه الحق وهذا القدر من المناظرة النحوية كاف (قوله الزماجر)

وصمت المزجور والزاجر قال ياقوم أنا أنبئكم بتأويله وأميز صحيح القول من عليله انه ليجوز رفع الوصلين ونصبهما والمغايرة فى الاعراب بينهما وذلك بحسب اختلاف الاضمار وتقدير المحذوف فى هذا المضمار قال فنبرط من الجماعة افراط فى مماراته وانخراط الى مباراته فقال أما اذا دعوتم نزال وتلببتم للنضال فما كلمة هى ان شئتم حرف محبوب أو اسم لما فيه حرف حلوب وأى اسم يتردد بين فرد حازم وجمع ملازم ٢٠ وأية هاء اذا التحقت أماطت الثقل وأطلقت المعتقل وأين تدخل السين فتعزل العامل من غير أن تجامل وما منصوب أبدا على الظرف لايخفضه سوى حرف وأى مضاف أخل من عرى الاضافة بعروة واختلف حكمه بين مساء وغدوة وما العامل الذى يتصل آخره بأوله ويعمل معكوسه مثل عمله وأى عامل نائبه أرحب منه وكرا وأعظم مكرا وأكثر لله تعالى ذكرا وفى أى موطن تلبس الذكران براقع النسوان وتبرز ربات الحجال بعمائم الرجال وأين يجب حفظ المراتب على المضروب والضارب وما اسم لايعرف الا باستضافة كلمتين أو الاقتصار منه على حرفين وفى وضعه الاول التزام وفى الثانى الزام وما وصف اذا أردف بالنون نقص صاحبه فى العيون وقوم بالدون وخرج من الزبون وتعرض للهون فهذه ثنتا عشرة مسئلة وفق عددكم وزنة لددكم ولو زدتم زدنا وان عدتم عدنا (قال المخبر بهذه الحكاية) فورد علينا من أحاجيه اللاتى هالت لما انهالت ما حارت له الافكار وحالت فلما أعجزنا العوم أوضح فى بحره واستسلمت تماثمنا السحره عدلنا من استثقال الروية له الى استنزال الرواية عنه ومن بغى التبرم به الى ابتغاء التعلم منه فقال والذى نزل النحو فى الكلام منزلة الملح فى الطعام وحجبه عن بصائر الطغام لاأنلتكم مراما ولاشفيت لكم غراما أو تخولنى كل يد ويختصنى كل منكم بيد فلم يبق فى الجماعة الا من أذعن لحكمه ونبذ اليه خبأة كمه فلما حصلت تحت وكائه أضرم شعلة ذكائه فيكشف حينئذ عن أسرار ألغازه وبدائع اعجازه ما جلا به صدأ الاذهان وجلى مطلعه

أى الاصوات من الجوف كصوت الاسد الواحدة زمجرة (صمت) سكت (المزجور) المنهى (والزاجر) الناهى وزجرته انتهرته (أنبئكم بتأويله) أخبركم بتفسيره (المغايرة) المخالفة وهى من لفظ غير (المضمار) الموضع يختبر فيه جرى الخيل (فرط) سبق (افراط) تجاوز الحد (مماراته) مخاصمته (انخراط) اندفاع وانطلاق وخرط عبده أطلقه على اذاية الناس والمرأة نكحها والشجرة نثر ورقها بيده (مباراته) معارضته (نزال) أى انزلوا للحرب ولذلك بنيت على الكسر لانها فى معنى فعل الامر وهى كلمة تقال فى الحرب ولها مقامان الاول أن ينزلوا من ظهور الابل الى ظهور الخيل والثانى أن ينزلوا من ظهور الخيل الى الارض وذلك أشد ما يكون للحرب (تلببتم) تحزمتم (النضال) المراماة بالسهام (حرف) ناقة (حلوب) لها لبن (حازم) مشمر اخذ بالثقة (أماطت) أزالت (المعتقل) المحبوس (تجامل) أى تلقى المعزول بجميل (أخل) نقص (معكوسه) مقلوبه (نائبه) القائم مقامه (أرحب منه وكرا) أوسع موضعا (مكرا) تصرفا (الحجال) جمع حجلة وهى الستر (المراتب) المواضع (استضافة) اضافة (أردف) جعل ردفه أى خلفه (قوم) قدرت قيمته (الدون) الحقير (الزبون) الكريم الكثير دفع العطايا أى أخرج من هذه الصفة (والهون) الهوان (وفق) موافقة (لددكم) خصامكم (عدتم) رجعتم للخصام * ومن ملح ابن رشيق فى مليح نحوى.

ان زارنى يوما على خلوة * أو زرته فى موضع خال
كنت له رفعا على الابتدا * وكان لى نصبا على الحال

(وقال الميكالى)

أفدى الغزال الذى فى النحو كلمنى * مجادلا فاجتنيت الشهد من شفته
وأوردا الحجج المقبول شاهده * مناظر البرىء فضل معرفته
ثم اتفقنا على رأى رضيت به * والرفع من صفتى والخفض من صفته

(أحاجيه) ألغازه (هالت) عظمت فى النفوس (انهالت) انصبت وانهال الرمل انصب أعلاه الى أسفله (الافكار) الاذهان (حالت) تغيرت (استسلمت) انقادت (تمائمنا) معاذاتنا وهى الاحراز (عدلنا) ملنا (الروية) الفكرة (استنزال) طلبه بتلطف (بغى) ظلم (ابتغاء) طلب (التبرم) الاستثقال وبرم بالامر برما ضجر والبرم البخيل الذى لايدخل فى الميسر (والبصيرة) اليقين والمعتقد وجمعها بصائر و(الطغام) الاوغاد وارذال الناس (انلتكم) أعطيتكم (مراما) مرادا (تخولنى) تملكنى وتعطينى (يختصنى) يفردنى (بيد) أى نعمة (أذعن) انقاد وذل (نبذ) رمى (خبأة كمه) ما خبئ فيه (بدائع) غرائب (اعجازه) ما يعجز به (جلا) كشف (صدأ) وسخ (جلى)

أوضح (البرهان) الحجة (همنا) تحيرنا الحسن ماسمعنا وهام الرجل ذهب في غير طريق (فهمنا) من الفهم أى عرفنا (ند) سبق وخرج يريد الخصام الذى بدر ودبه وردّوا كلامه وندّ أصله شرد البعير (قوله الاكياس) الحذاق العقلاء (ارتضاع) شرب (مأرب) حاجة قال يعقوب قال الاموى ومن الامثال مأرب لاحفاوة يضرب للرجل اذا كان يتملقك أى انما بك حاجة الىّ لاحفاوة لى قال ابن سيده مأرب بيننا يكون واحدا وهو السابق ويكون جمع مأربة من الجمع الذى يفارق واحده بالهاء (حفاوة) تهمم وقد حفيت بك أى تهممت واعتنيت (ومشرب لم يبق له عندى حلاوة) قال الشاعر فى معناه

ولم أجتنب شرب المدام لعلة * ولم ألحق الصهباء ذما ولا عذلا
تنافرنى أن صرت ضدّ الشكلها * فليست لنا أهلا ولست لها أهلا

(وقال ابن رشيق)

قرعت سنى على مافاتنى ندما * من الشباب ومن باللهو للشيب
فقد رددت كؤس الراح مترعة * على السقاة وكانت جل مشروبى
أنزه السمع والعينين فى نغم * ومنظر عابث بالحسن والطيب
من كل لافظة بالدرّ باسمة * عنه محلاة نوع منه مثقوب
أيام تصحبنى الغزلان آنسة * هذا على اننى أعدى من الذيب

والسابق لردّ الكأس لعلة الكبر أيمن بن خريم بن فاتك الاسدى فى قوله

وصهباء جرجانية لم يطف بها * حنيف ولم يسعر بها ساعة قدر
ولم يحضر القسى اليهم بنارها * طروقا ولم يشهد على طبخها حبر
أتانى بها يحيى وقد نمت نومة * وقد غابت الشعرى وقد جنح النسر
فقلت اغتبقها أو لغيرى فاسقها * فما أنا بعد الشيب ويحك والخمر
تعففت عنها فى السنين التى خلت * فكيف التصابى بعدما كلأ العمر
اذا المرء وافى الاربعين ولم يكن * له دون ما يأتى حياء ولا ستر
فدعه ولا تنفس عليه الذى ربا * وان جرّ أسباب الحياة له الدهر

قال الهيثم بن عدى كنا نقول بالكوفة من لم يرو هذه الابيات فلا مروأة له أنشدها أبو على فى نوادره وأنشد أيضا

رأيت النبيذ يذل العزيز * ويكسو التقى النقى اتساخا
فهبنى عذرت الفتى جاهلا * فما العذر فيه اذا المرء شاخا

وأنشد أيضا فى نوادره لمن حرّم الخمر على نفسه فى الجاهلية مروأة جملة أشعار شهرتها فى الكتاب أغنت عن ذكرها وأين شرف أولئك فى جاهليتهم على أنّ الخمر مباحة لهم من مجون جماعة من الاسلاميين على تحريمها عليهم مثل الرمادى فى قوله

أفى الخمر لامت خلتى مستهامها * كفرت بكأسى ان أطعت ملامها
لمحمولة فى الفلك فى جنة المنى * قد أوصى لنوح غرسها وضمامها
فخادعه ابليس عنها العلمه * بها فرأى كتمانها واغتنامها

بنور البرهان (قال الراوى) فهمنا حين فهمنا وعجبنا اذ أجبنا وندمنا على ماندمنا وأخذنا نعتذر اليه اعتذار الاكياس ونعرض عليه ارتضاع الكاس فقال مأرب لاحفاوة ومشرب لم يبق له عندى حلاوة فأطلنا مراودته ووالينا معاودته

ففاز بثلثيها ونوح بثلثها * ولولا مضىّ عنه لم يك رامها
له حظ أنثى وهو حظ مذكر * قليل لعيني ان أطيل انسجامها
وانا الوتران وقدمات جدّنا * عنينا وانا لا نجيز اقتسامها

أخذ هذا من خبر يروى أنّ نوحا عليه الصلاة والسلام لما نزل من السفينة نازعه ابليس أصل العنب فاصطلحا أنّ لنوح الثلث ولابليس الثلثين ولما قيل للحسن نزعت عن اللهو الى التوبة قال

قالوا نزعت ولما يعلموا وطرى * فى وصل أغيد ساجى الطرف مياس
كيف النزوع وقلبى قد تقسمه * لحظ العيون ولوح الراح فى الكاس
اذا نزعت على رشدى تكنفنى * رأيان قد شغلا يسرى وافلاسى
فاليسر فى القصف واللذات أخلسها * والعمر فى وصل من أهوى من الناس
لا خير للعيش الا فى المجون مع الا كفاء والخمر والنسرين والآس
وسمع يتغنى والكؤس لها * حث علينا باخماس واسداس
يا مورى النار قد أعيت قوادحه * اقبس اذا شئت من قلبى بمقباس

فشمخ بانفه صلفا ونأى بجانبه أنفا

(قوله شمخ) أى تكبر ورفع أنفه (صلفا) تحة وصلابة وجه وفى فلان صلف أى قلة انطباع وموافقة اذا أردت منه شيأ تهاون بك والصليفان ناحيتا العنق كأنه اذا كلمته فى شئ أعرض عنك ولوى عنك صليفه والصلف مجاوزة قدر الظرف وفى الشهاب آفة الظرف الصلف (نأى) نهض ويروى نأى تباعد (أنفا) غضبا وأنفت من كذا تنزهت عنه وترفعت وأصله من رفع الانف فكأنه رفع أنفه تيها عليهم وتكبرا عن منادمتهم لاحتقارهم له أولا قبل اختباره ثم تبدلهم آخر بعد اعتباره واعتذر لذلك بالشيب ونذكر ههنا فصلا أدبيا يأتى على جميع اغراض هذه الابيات * قال بعض الظرفاء يذم الخمر الشراب أوّل الخراب ومفتاح كل باب يمحق الاموال ويذهب الجمال ويهدم المروأة ويوهن القوّة ويضع الشريف ويذل العزيز ويبيح الحرائر ويفلس التجار ويهتك الاستار ويورث الشنار * وقال بعضهم لابنه كثرة الشراب تكسد القلب وتقل الكسب وتغير اللب واعلم أنّ الظمأ الذابح خير من الرىّ الفاضح وقال يزيد بن محمد المهلبى يذمه

لعمرك ما يحصى على الناس شرها * وان كان فيها لذة ورخاء
مرارا تريك الغىّ رشدا وتارة * تخيل أنّ المحسنين أساؤا
وانّ الصديق الماحض الودّ مبغض * وانّ مديح المادحين هجاء
وجربت اخوان النبيذ فقلما * يدور لاخوان النبيذ اخاء

(وقال ابن الرومى)

مودّة اخوان النبيذ سلافة * يزولونها عند انقضاء المجالس
فبينا تراهم أهل الف واثرة * وبينا تراهم بينهم حرب داحس
فأما اذا ناديتهم لملمة * فناد التصاوير التى فى الكنائس

ولهذا كتب الحسن الى صديق له يستهدى منه مشروبا

لما رأيت الحظ للقاعد * والناس من واش ومن حاسد

خلوت في بيتي وحدي ولا * أقلّ في الاعداد من واحد
فابعث بها تشغلني واكفني * رؤية هذا العالم الفاسد

(وقال أيضا) خلوت بالخمر أناجيها * أشرب منها وأعاطيها
نادمتها اذلم أجد صاحبا * أرضاه أن يشركني فيها
شربتها صرفا على وجهها * فكنت ساقيها وحانيها

قيل لبعضهم لم لا تتخذ لك نديما قال لانه مأخوذ من الندم واختلفوا في اختيار استعمال النديم فنهم من اختار نديما واحدا ومنهم من انتهى في الاختيار الى ستة بالساقي وصاحب البيت وما زاد على ذلك فذموم باجماع منهم قال وأنشدوا في ذلك

وخير الندامى ستة من ذوي الحجى * فخمسة اخوان وآخر يمتع
ويحمد في الاخوان من كان محسنا * بصوت يغنيه ولا يتمنع

(قوله نهاني الشيب) جعله الناهي عن اللذات لانه الداعي الى الفناء والنذير بالموت وما يقول بغير هذا الاستكلف عذر كقول اعرابي ويروى لابراهيم بن المهدي

وأنشد نهاني الشيب عما فيه أفراحي

لقد جل قدر الشيب ان كان كلما * بدت شيبة يعرى من اللهو مركب

وقال المعدل لاح شيبي فظلت أمرح فيه * مرح الطرف في اللجام المحلى
وتولى الشباب فازددت ركضا * في ميادين باطل اذ تولى
ان من ساءه الزمان بشيب * لاحق أمره بأن يتسلى
أتراني أسوء نفسي لما * ساءني الدهر لا لعمري كلا

(وقال البحتري يعتذر منه)

عيرتني بالشيب وهي رمته * في عذاري بالصد والاجتناب
لا تريه عارا فما هو بالشيب ولكنه جلاء الشباب
وبياض البازي أصدق حسنا * ان تاملت من سواد الغراب

(أخذه ابن رشيق فقال)

وان لم تعجبي ببياض شعر * فلا تستغربي بلق الغراب
تعافين المشيب وليس هذا * ولكن هذه شية الشباب

(وقال حبيب يتشكاه) *

أصبحت روضة الشباب هشيما * وغدت ريحه البليل سموما
شعلة في المفارق استودعتني * في صميم الفؤاد ثكلا صميما
غرة غرة ألا انما كنت أغرا أيام كنت بهيما
رقة في الحياة تدعى جلالا * مثل ما سمي اللديغ سليما

(وقال مسلم بن الوليد)

الشيب كره وكره أن يفارقني * أعجب بشيء على البغضاء مورود
يمضي المشيب فلا يأتي له خلف * والشيب يذهب مفقودا بمفقود

أخذه سليمان بن وهب حين نظر الى المرآة فقال عيب لا عدمناه وقال أبو الفتح البستي

باشيبتي دومي ولا تترحلي * وتيقني اني بوصلك مولع
قد كنت أجزع من حلولك مدة * والآن من خوف ارتحالك أجزع

وزاد أبو الطيب على هذا فقال وذكر أنه يتمنى الشيب في زمن الشباب

متى كان لي أن البياض خضاب * فيخفى بتبييض القرون شباب
ليالي عند البيض فودي فتنة * وفخر وذاك الفخر عندي عاب
فكيف اذم اليوم ما كنت أشتهي * وادعو بما أشكوه حين اجاب

كان أبا الطيب نسي ما قاله في الشيب في الزمن الذي زعم أنه كان يشتهيه ويتمناه

ابعد بعدت بياضا لا بياض له * لانت أسود في عيني من الظلم

وقال ربعي

من كان يبكي الشباب من أسف * فلست أبكي عليه من اسف
كيف وشرخ الشباب أوقفني * يوم حسابي مواقف التلف
لا صحبت شرة الشباب ولا * عدمت ما في المشيب من خلف

وقال ابن رشيق

ارى للشيب ذا اكتئاب * فأين تمضي عن الصواب
ان كنت ترعى الوفاء حقا * فالشيب اوفى من الشباب

وحقيقة الامر أنه مازال الناس يكرهون الشيب ويذمونه نثرا ونظما لما فيه من دليل الفناء والهجنة عند النساء وقطع اللذات بالرقبة والحياء ويحبون الشباب ويمدحونه لما فيه من عذرة الجاهل واتيان العاجل وحسن الشمائل الا أن لطف الحذاق من الشعراء في تحسين ما كانوا يكرهون وتقبيح ما كانوا يمدحون رياضة للنفوس وتوسعا في القول كما قال أحدهم

تفاريق شيب في العذار لوامع * وما حسن ليل ليس فيه نجوم

وقالوا في الشيب استحكام الوقار وتناهي الجلال وميسم التجربة وشاهد الحلبة وهذه مقاصدهم فقف عليها (قوله افراحي) جمع فرح (الراح) الخمر والثاني جمع راحة وهي الكف (معتقة) خمر قديمة شديدة الحمرة (أنار) بيض (اصباحي) احمرار شعري والصبح حمرة الشعر وضعه موضع السواد لان كليهما من حلية الشباب وحمله على هذا ما ضمن الشيب من التحسين فيقول مستفهما هل يجوز شربي في البكور من خمر صافية في حال تغيير الكبر شبابي وتبديله حلية الشباب بحلية الشيوخ (خامرتني) خالطتني (افصاحي) تبييني (السلاف) الخمر و(أجلت) صرفت (قداحي) سهام الميسر (اقداح) جمع قدح وهو الكأس (صرفت) رددت (صرف) خمر (مشعشعة) رقيقة المزاج (همي) همتي وارادتي (رحت) مشيت بالعشي (مرتاحا) مهتزا من الطرب وارتاح وجد راحة الطلب أو خفة الكرم (نظمت) جمعت (مشمولة) خمر وهي الشمول سميت بذلك لاشتمالها على عقل صاحبها وقيل لانها تشمل القوم بريحها أي تعمهم وقيل لها عصفة كعصفة الريح الشمال (شملي) مجموع أمري و(الندمان) هو النديم (الصاحي) المفيق من سكره (محا) ازال (مراحي) طربي (خط) كتب (أبغض به) أي ما أبغضه الي (لاح) ظهر (يلحى) يلوم ويغلظ القول (جري العنان) أي انهماكي في الملاهي (ملهى) لهو (سحقا) بعدا (لائح) ظاهر في الرأس (لاحي) شاتم وعائب يريد أن شيبه لاح في رأسه فلحاه على اللهو والصبا (فودي) جانب رأسي (شائب) فيه الشيب (خبا) طفئ وسكن ضوؤه (غسان) قبيلة

فكيف أجمع بين الراح والراح
وهل يجوز اصطباحي من معتقة
وقد أنار مشيب الرأس اصباحي
آليت لا خامرتني الخمر ما علقت
روحي بجسمي وألفاظي بافصاحي
ولا اكتست لي بكاسات السلاف يد
ولا أجلت قداحي بين اقداح
ولا صرفت الى صرف مشعشعة
همي ولا رحت مرتاحا الى راح
ولا نظمت على مشمولة أبدا
شملي ولا اخترت ندمانا سوى الصاحي
محا المشيب مراحي حين خط على
رأسي فأبغض به من كاتب ماحي
ولاح يلحى على جري العنان الى
ملهى فسحقا له من لائح لاحي
ولو لهوت وفودي شائب لخبا
بين المصابيح من غسان مصباحي

واحسن

قوم سجاياهم توقير ضيفهم * والشيب ضيف له التوقير ياصاح ثم انه انساب انسياب الايم واجفل اجفال الغيم فعلمت انه سراج سروج وبدر الادب الذى يحتاب البروج وكان قصارانا التحرق لبعده والتفرق من بعده *(تفسير ما أودع هذه المقامة من النكت العربية والاحاجى النحوية) * أما صدر البيت الاخير من الاغنية الذى هو (فان وصلا ألذ به فوصل) فانه نظير قولهم المرء مجزى بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر وهذه المسئلة أودعها سيبويه كتابه وجوّز فى اعرابها أربعة أوجه أحدها وهو أجودها أن تنصب خيرا الاول وترفع الثانى وتنصب شرا الاوّل وترفع الثانى ويكون تقديره ان كان عمله خيرا فجزاؤه خير وان كان عمله شرا فجزاؤه شر فتنصب الاوّل على أنه خبر كان وترفع الثانى على أنه خبر مبتدا محذوف وقد حذفت فى هذا الوجه كان واسمها لدلالة حرف الشرط الذى هو ان على تقديرهما وحذفت أيضا المبتدأ لدلالة الفاء التى هى جواب الشرط عليه لانه كثيرا ما يقع بعدها والوجه الثانى أن تنصبهما جميعا ويكون تقدير الكلام ان كان عمله خيرا ٢٥٠ فهو يجزى خيرا وان كان عمله شرا فهو يجزى شرا فينتصب الاول على أنه خبر كان وينتصب الثانى انتصاب المفعول به والوجه الثالث أن ترفعهما جميعا ويكون تقدير الكلام ان كان فى عمله خير فجزاؤه خير فيرتفع خير الاول على أنه اسم كان ويرتفع خير الثانى على ما بين فى شرح الوجه الاول وقد يجوز أن يرتفع خير الاول على انه فاعل كان وتجعل كان المقدرة ههنا هى التامة التى تأتى بمعنى حدث ووقع فلا تحتاج الى خبر كقوله تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة ويكون التقدير فى المسئلة ان كان خير فجزاؤه خير أى ان حدث خير فجزاؤه خير والوجه الرابع وهو أضعفها ان ترفع الاول على ما تقدم شرحه فى الوجه الثالث وتنصب الثانى على ما بين ذكره فى الوجه الثانى ويكون التقدير ان كان فى عمله خير فهو يجزى خيرا وعلى حسب هذا التقدير والمقدرات المحذوفات فيه يجرى اعراب البيت الذى غنى به ومما ينتظم فى هذا السلك قولهم المرء مقتول بما قتل به ان سيفا فسيف وان خنجرا فخنجر (وأما الكلمة التى هى حرف محبوب أو اسم لمنافيه حرف حلوب) فهى نعم ان أردت بها تصديق الاخبار والعدة عند السؤال فهى حرف وان عنيت بها الابل فهى اسم والنعم تذكر وتؤنث ويطلق على الابل وعلى كل ماشية فيها ابل وفى الابل الحرف وهى الناقة الضامرة سميت حرفا تشبيها لها بحرف السيف وقيل انها الضخمة تشبيها لها بحرف الجبل (وأما الاسم المترددين فرد حازم وجمع ملازم) فهو سراويل قال بعضهم هو واحد وجمعه سراويلات فعلى هذا القول هو فرد وكنى عن ضمه الخصر بأنه حازم وقال آخرون بل هو جمع واحده سروال مثل شملال وشماليل وسربال وسرابيل فهو على هذا القول جمع ومعنى قوله ملازم أى لا ينصرف

وأحسن ما سمعت فى شيب الفود وفى وخط المشيب الذى ذكر قول عبد الرحيم بن هرون

رأيت الشيب مبتسما بفودى * ففاضت أدمعى بدم الفؤاد
وعمرى كل يوم فى انتقاص * وذاك النقص لقب بالزيادى
ولى خط وللايام خط * وبينهما مخالفة المداد
فأكتبه سوادا فى بياض * وتكتبه بياضا فى سواد

انشدها الفحديهى وقال عند انشادها ولعبد الحميد أبيات كأنها روضات جنات (قوله سجاياهم) أى طبائعهم (ياصاح) أراد ياصاحب فرخم لكثرة الاستعمال ولما جعل غسان من عادتهم توقير الضيف والشيب ضيف وجب عليه توقيره ومراعاة مثل هذا العموم قد تقدم له فى ذم الزجاج الذى جرت عليه شيله وأخذ هذا من قول دعبل

أحب الشيب لما قيل ضيف * لحبى للضيوف النازلينا

وقال المتنبى فى ذم هذا الضيف

ضيف ألم برأسى غير محتشم * والسيف احسن فعلا منه باللمم
ابعد بعدت بياضا لا بياض له * لأنت اسود فى عينى من الظلم

وقال محمود الوراق

للضيف أن يقرى ويعرف حقه * والشيب ضيف فاقره بخضاب
وافى بأصدق شاهد ولربما * وافى المشيب بشاهد كذاب
فافسخ شهادته عليك بخضبة * تنفى الظنون بها عن المرتاب
فاذا دنا وقت الرحيل فخله * والشيب يذهب فيه كل ذهاب

(وقوله والشيب ضيف له التوقير) قام وكيع لسفيان فنكر قيامه اليه فقال اتنكر على قيامى

وانما لم ينصرف هـذا النوع من الجمع وهو كل جمع ثالثه الف وبعدها حرف مشدّد أو حرفان او ثلاثة اوسطها ساكن لثقله وتفرده دون غيره من الجموع بان لا نظير له فى الاسماء الآحاد وقد كنى فى هذه الاحجية عما لا ينصرف بالملازم كما كنى فى التى قبلها عما ينصرف باللازم (واما الهاء التى اذا التحقت اماطت الثقل واطلقت المعتقل) فهى الهاء اللاحقة بالجمع المقدم ذكره كقولك صيارفة وصياقلة فينصرف هذا الجمع عنـد التحاق الهاء به لانها قد اصارته الى أمثال الآحاد نحو رفاهية وكراهية فخف بهذا السبب وصرف لهذه العلة وقد كنى فى هذه الاحجية عما لا ينصرف بالمعتقل كما كنى فى التى قبلها عما لا ينصرف بالملازم (وأما السين التى تعزل العامل من غير أن تجامل) فهى التى تدخل على الفعل المستقبل وتفصل بينه وبين أن التى كانت قبل دخولها من أدوات النصب فيرتفع حينئذ الفعل وتنتقل أن عن كونها الناصبة للفعل الى أن تصير المخففة من الثقيلة وذلك كقوله تعالى علم أن سيكون منكم مرضى وتقديره علم أنه سيكون (وأما المنصوب على الظرف الذى لا يخفضه سوى حرف) فهو عند اذ لا يجره غير من خاصـة وقول العامة ذهبت الى عنده لحن (واما المضاف الذى أخل من عرا الاضافة بعروة واختلف حكمه بين مساء وغـدوة) فهو لدن ولدن من الاسماء الملازمة للاضافة وكل ما يأتى بعدها مجرور بها الا غدوة فان العرب نصبتها بلدن لكثرة استعمالهم اياها فى الكلام ثم نونتها أيضا ليتبين بذلك أنها منصوبة لا أنها من نوع المجرورات التى لا تنصرف وعنـد بعض النحويين أن لدن بمعنى عند والصحيح ان بينهما فرقا لطيفا وهو أنّ عند يشتمل معناها على ماهو فى ملكك ومكنتك مما دنا منك وبعد عنك ولدن يختص معناها بما حضرك وقرب منك (واما العامل الذى يتصل آخره باوّله ويعمل معكوسه مثل عمله) فهو يا ومعكوسها اى وكلتاهما من حروف النداء وعملهما فى الاسم المنادى سيان وان كانت يا أجول فى الكلام وأكثر فى الاستعمال وقد اختار بعضهم ان ينادى ٢٦ بأى القريب فقط كالهمزة (واما العامل الذى نائبه ارحب منـه وكرا واعظم مكرا واكثر لله تعالى ذكرا) فهو باء القسم وهذه الباء هى اصل حروف القسم بدلالة استعمالها مع ظهور فعل القسم فى قولك أقسم بالله ولدخولها ايضا على المضمر كقولك بك لافعلن وانما ابدلت الواو منها فى القسم لانهما جميعا من حروف الشفة ثم لتقارب معنييهما لان الواو تفيد الجمع والباء تفيد الالصاق وكلاهـما متفق والمعنيان متقاربان ثم صارت الواو المبدلة من الباء أدور فى الكلام وأعلق بالاقسام ولهذا ألغز بانها اكثر لله تعالى ذكرا ثم ان الواو أكثر موطنا من الباء لان الباء لا تدخل الا على الاسم ولا تعمل غير الجر والواو تدخـل على الاسم والفعل والحرف وتجر تارة بالقسم وتارة باضمار رب وتنتظم ايضا مع نواصب الفعل وادوات العطف فلهذا وصفها برحب الوكر وعظم المكر (وأما الموطن الذى يلبس فيه الذكران براقع النسوان وتبرز فيه ربات الحجال بعمائم الرجال) فهو أوّل مراتب العدد المضاف وذلك ما بين الثلاثة الى العشرة فانه يكون مع المذكر بالهاء ومع المؤنث بحذفها كقوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام والهاء فى غير هذا الموطن من خصائص المؤنث كقولك قائم وقائمة وعالم وعالمة فقد رأيت كيف انعكس فى هذا الموطن حكم المذكر والمؤنث حتى انقلب كل منهما فى ضدّ قالبه وبرز فى بزة صاحبه (وأما الموضع الذى يجب فيه حفظ المراتب على المضروب والضارب) فهو حيث يشتبه الفاعل بالمفعول لتعذر ظهور علامة الاعراب فيهما أو فى أحدهما وذلك اذا كانا مقصورين مثـل موسى وعيسى أو من أسماء الاشارة نحو ذاك وهـذا فيجب حينئذ لازالة اللبس اقرار كل منهما فى رتبته ليعرف الفاعل منهما بتقدمه والمفعول بتأخره (وأما الاسم الذى لا يفهم الا باستضافة كلمتين أو الاقتصار منه على حرفين) فهو مهما وفيها قولان أحدهـما أنها مركبة من مه التى هى بمعنى اكفف ومن ما والقول الثانى وهو الصحيح ان الاصل فيها ما فزيدت عليها ما أخرى كما تزاد على ان فصار لفظها ماما فثقل عليهم توالى كلمتين بلفظ واحد فأبدلوا من ألف ما الاولى هاء فصارتا مهما ومهما من أدوات الشرط والجزاء ومتى لفظت بها لم يتم الكلام ولا عقل المعنى الا بايراد كلمتين بعدها كقولك مهما تفعل افعل وتكون حينئذ ملتزما للفعل وان اقتصرت منها على حرفين وهما مه التى بمعنى اكفف فهم المعنى وكنت ملزما من خاطبته

اليك وأنت حدثتنى عن عمرو بن دينار عن أنس بن مالك رضى الله عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اجلال الله عزوجل اجلال ذى الشيبة المسلم قال فأخذ سفيان بيده فأقعده الى جانبه وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال النبى صلى الله عليه ما أكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله تعالى له من يكرمه عنـد كبر سنه وقال صلى الله عليه وسلم أوحى الى ربى يقول الشيب على عبدى المؤمن نور من نورى وأنا أكرم من أن أحرق نورى بنارى وحدث محمد

ابن مسلم الخواص الرجل الصالح قال رأيت يحيى بن أكثم القاضى فى المنام فقلت له ما فعل الله بك قال أوقفنى بين يديه وقال يا شيخ السوء لولا شيبتك لاحرقتك بالنار فأخذنى ما يأخذ العبد بين يدى مولاه فلما أفقت قالها ثانية وثالثة فلما أفقت قلت يا رب ما هكذا حدثت عنك فقال تعالى وما حدثت عنى قلت حدثنى عبد الرزاق قال حدثنى معمر بن راشد عن ابن شهاب الزهرى عن أنس بن مالك عن نبيك محمد صلى الله عليه وسلم عن جبريل عنك يا عظيم انك قلت ما شاب لى عبد فى الاسلام شيبة الا استحييت منه أن أعذبه بالنار فقال الله عز وجل صدق عبد الرزاق وصدق معمر وصدق الزهرى وصدق أنس وصدق نبيى وصدق جبريل أنا قلت ذلك انطلقوا به الى الجنة

(شرح المقالة الخامسة والعشرين وتعرف بالكرجية)

(شتوت) أقمت فى الشتاء و (الكرج) مدينة معروفة وبشدة البرد موصوفة وهى بين أصبهان وهمذان وقد تقدم برد همذان فى الاول ومن همذان الى نهاوند مرحلتان ومن الكرج الى مدينة أصبهان ستون فرسخا وهى منازل عيسى بن ادريس بن معقل العجلى ولم تكن فى أيام العجم مدينة مشهورة وانما كانت فى عداد القرى العظام من رساتيق كورة أصبهان فنزلها العجليون فبنوا بها الحصون والقصور وجعلها أبو دلف مدينة عظيمة وقال أبو دلف دخلت على الرشيد فقال لى يا قاسم ما خبر أرضك قلت خراب يباب خربها الاكراد والاعراب فقال قائل هذا آفة الجبل وهو أفسده فقلت فأنا أصلحه قال الرشيد وكيف ذلك قلت أفسدته وأنت على وأصلحه وأنت معى ففعل ذلك وعمر الكرج حتى صار دار أجناد ومحل وفود وقصاد* وقال على بن جبلة زرته فى الجبل فلما حللت بالكرج أظهر من برى واكرامى أمرا مفرطا حتى تأخرت عنه تأخرا كبيرا فوصل الىّ معقل بن عيسى فقال يقول الامير انقطعت عنى وأحسبك استقللت برى فلا يغضبنك ذلك فساز يدفيه حتى ترضى فقلت والله ما قطعنى عنه الا افراطه بالبر قال وكتب اليه فى ذلك

هجرتك لم أهجرك من كفر نعمة * وهل يرتجى نيل الزيادة بالكفر
ولكننى لما أتيتك زائرا * فافرطت فى برى عجزت عن الشكر
فالآن لا آتيك الا مسلما * أزورك فى الشهرين يوما أو الشهر
فان زدتنى برا تزايدت جفوة * ولم تلقنى طول الحياة الى الحشر

فلما وصلت اليه قال قاتله الله ما أشعره وأدق معانيه فأجابنى لوقته وكان حسن البديهة

ألا رب ضيف طارق قد بسطته * وآنسته قبل الضيافة بالبشر
أتانى يرجينى فما حال دونه * ودون القرى والعرف من نيله سترى
وجدت له فضلا علىّ بقصده * الىّ وبرا زاد فيه على برى
فزودته مالا يقل بقاؤه * وزودنى مدحا يدوم مع الدهر

وبعث الىّ بها وبالف دينار مع وصيفة فقلت حينئذ

انما الدنيا أبو دلف * بين مبداه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على أثره
ملك تندى أنامله * كانبلاج النوء عن مطره

أن يكف (وأما الوصف الذى اذا أردف بالنون نقص صاحبه فى العيون وقوّم بالدون وخرج من الزبون وتعرض للهون) فهو ضيف اذا لحقته النون استحال الى ضيفن وهو الذى يتبع الضيف ويتنزل فى النقد منزلة الزيف

(المقامة الخامسة والعشرون الكرجية)

(حكى الحرث بن همام) قال شتوت بالكرج لدين

مستهل عن مواهبه * كابتسام الزهر عن زهره
جبل عزت مناكبه * امنت عدنان فى ثغره
كل من فى الارض من عرب * بين باديه ومحتضره
مستعير منه مكرمة * يكتسيها يوم مفتخره

والبيت الثانى أحفظ المأمون على ابن جبلة حتى سل لسانه من قفاه (قوله اقتضيه) أى أجمعه (ارب) حاجة (بلوت) قاسيت (الكالح) الشديد وكلح كلوحا أبدى أسنانه عند العبوس والبرد الشديد يبدى الاسنان عند رعده (صرها) بردها الشديد (النافح) المتحرك بالريح الباردة (جهد البلاء) مشقة الضر ويقال بلغ جهده أى أقصى قوته فأراد بجهد البلاء المشقة التى يتمنى الانسان عندها الموت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعيذ منه * أبو هريرة رضى الله تعالى عنه علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الدعاء اللهم انى أعوذ بك من سوء القضاء وجهد البلاء ودرك الشقاء وشماتة الاعداء وروى فى جهد البلاء أنه القتل صبرا * أنس رضى الله تعالى عنه يرفعه قال قتل الصبر جهد البلاء وقال صلى الله عليه وسلم جهد البلاء أن تحتاج الى ما فى أيدى الناس فيمنعوك * مجاهد قال كنت جالسا عند عبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر بالكوفة فأتى برجل أن يضرب عنقه فقلت هذا والله جهد البلاء فقال والله ما هذا الا كشرطة بحجام بمشراط ولكن جهد البلاء فقر مدقع بعد غنى موسع * الاحنف جهد البلاء خمسة خادم مذموم وحطب رطب وبيت يضف وخوان ينتظر وجبار على الباب يدق (عكف بى على الاصطلاء) ألزمنى التسخن بالنار وعكف على الشئ عكوفا لزمه (أزايل وجارى) أفارق بيتى والوجار جحر الضبع (اقامة جماعة) أى حضور الصلاة مع الجماعة وبردشكير بغرناطة كان أشد على ابن صارة حيث منعه الصلاة من برد الكرج على ابن همام حيث يقول ابن صارة

أخل لنا ترك الصلاة بأرضكم * وشرب الحميا وهو شئ محرم
فرارا الى نار الجحيم فانها * أرق علينا من شكير وأرحم
لئن كان ربى مدخلى فى جهنم * ففى مثل هذا اليوم طابت جهنم

(جوه مزمهر) هواؤه بارد والزمهرير البرد (دجنه مكفهر) سحابه متراكم مظلم (كنانى) بيتى (مهم) أمر لا يؤخر (عنانى) عرض لى وقصدنى (الجردة) الجلدة التى تجرد عنها ثوبها وفلان حسن الجردة والتجرد أى حسن العرى وقيل الجردة الثوب المتجرد البالى و (الريطة) عند العرب شئ رقيق شبه الملحفة ولذلك سمى به المرأة ولا معنى لهذه الصفة لانه قد وصفه بالعرى وانما أراد به هنا شبه الكراز فهو لفظ مغير عن أصله كالفوطة عند نا ضرب مما يعتم به وهى مغيرة عن أصلها وانما أصل الفوطة ثوب يجلب من الهند غليظ وتصغيرها فويطة يلبسه أهل مصر وأهل المشرق كما يلبس أهل المغرب وأهل الاندلس الاحرام والمئزر (واستثفر) بالثوب اذا لواه على فخذيه ثم أخرجه من بينهما فشده فى حجزته واستثفر الكلب بذنبه جعله بين فخذيه فتخيل صورة السروجى هنا التى هى نهاية فى القبح على ما يتصف به أبدا وقد لوى على رأسه قطعة من عمامة بالية واستثفر بمثلها فلا تجد له مثلا الا ما قال أبو دلامة فى نفسه

اذا لبس العمامة كان قردا * وخنزيرا اذا نزع العمامه

أقتضيه وأرب أقضيه فبلوت من شتائها الكالح وصرها النافح ما عرفنى جهد البلاء وعكف بى على الاصطلاء فلم أكن أزايل وجارى ولا مستوقد نارى الا لضرورة أدفع اليها أو اقامة جماعة أحافظ عليها فاضطررت فى يوم جوه مزمهر ودجنه مكفهر الى أن برزت من كنانى لمهم عنانى فاذا شيخ عارى الجلدة بادى الجردة وقد اعتم بريطة واستثفر بفويطة وحواليه جمع

وأين هذا من قول ابن رشيق في غلام معتم بعمامة حمراء

يامن يمـــــــر ولا تمر به القلوب من الحرق

بعمامـة من خـدّه * أو خـدّه منها سرق

فكأنه وكـأنهـا * قـمر أحاط به شـفق

شغل الجوارح والجوا * نح والخواطر والحدق

(وقال السلامي في عمامة)

حسناء ضافية بيضاء ناقية * كان رونقها في صارم ذكر

يزين أطرافها طرز كما رقت * على المجرة طرز الانجم الزهر

(كثيف) خشن منضم بعض حواشيه الى بعض من الكثرة (يحاشي) يستثني (ينبئ) يخبر (اوان القر) وقت البرد (حاذروا) خافوا (سلم) صلح (نبيه القدر) رفيع المنزلة (آوي) ارجع (وفر) مال كثير (يفري) يقطع (تفيد) تأتي بالفوائد (صفري) دنانيري (تبيد) تتلف (سمري) رماحي (كومي) ابلي والكوماء الناقة العظيمة السنام (اقري) أطعم الاضياف أي تشتكي ابلي من كثرة ما أنحرها للضيفان (شن) فرّق (الرزايا) المصائب (الغبر) الآتية في الزمان المحل (يسحتني) يستأصل مالي (يبري) يقطع لحمي (عفت) درست (غاض) ذهب وجف (دري) لبن ابلي (بار) كسد وضاع (سعري) سوقي (نضو) هزيل (فاقة) حاجة وفقر (عسر) ضيق حال (المطا) الظهر (قشري) ثيابي و(الدفء) ذهاب البرد وقد دفئ يدفأ أي سخن وذهب برده (الصن والصنبر) يومان من أيام العجوز وهي سبعة أربعة من آخر فبراير وثلاثة من أول مارس وقال الشاعر فجمعها

كسع الشتاء بسبعة غبر * بالصنّ والصنبر والوبر

وبآمر وأخيه مؤتمر * ومعلل وبمطفئ الجمر

(التضحي) الجلوس للشمس (خضمّ) كريم شبه بالبحر وهو الخضمّ (ذو رداء غمر) ذو عطاء كثير (مطرف) ثوب مربع في طرفيه علم * الفراء قيل مطرف لانه أطرف أي جعل في طرفيه العلمان (طمر) ثوب خلق (أرباب الثراء) أصحاب المال (الرافلين) الماشين بخيلاء وتبختر (الفراء) جمع فروة (أوتي) أعطي (خيرا) مالا (يرفق) يعين وأرفقته أعطيته ما يرتفق به (غرور) كثير الخداع (عثور) واقع بأهله (المكنة) الغنى (طيف) ما يرى في النوم * ابن الانباري في طيف الخيال قولان قيل أصله طيف فخفف وقال الاصمعي رحمه الله تعالى هو مصدر طاف وبه أخذ السهيلي رحمه الله تعالى فقال هو مصدر طاف الخيال يطيف طيفا ولا يقال منه طائف على فاعل لانه لا حقيقة للخيال انما هو توهم وتخيل فان كان شيء له حقيقة قلت فيه طائف نحو قوله تعالى فطاف عليها طائف من ربك لانّ الذي طاف عليها له حقيقة ويقال انه جبريل عليه الصلاة والسلام وأما قوله تعالى اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فقد قرئ طائف أيضا فطائف لانّ له حقيقة وطيف لانه غرور الشيطان وأمانيه تشبه بالخيال وما لا حقيقة له فتحصل من هذا ثلاث مراتب الخيال ولا حقيقة له فيعبر بالطيف ويقال في وسوسة الشيطان طائف وطيف وما عدا هذين فهو باسم الفاعل ولا يعبر عنه بطيف فقف عليه (الفرصة) ما تهيأ لك وتيسر لك

كثيف الحواشي وهو ينشد ولا يحاشي

ياقوم لا ينبئكم عن فقري

أصدق من عريي أوان القرّ

فاعتبروا بما بدا من ضرّي

باطن حالي وخفيّ أمري

وحاذروا انقلاب سلم الدهر

فانني كنت نبيه القدر

آوي الى وفر وحدّ يفري

تفيد صفري وتبيد سمري

وتشتكي كومي غداة أقري

فجرّد الدهر سيوف الغدر

وشنّ غارات الرزايا الغبر

ولم يزل يسحتني ويبري

حتى عفت داري وغاض درّي

وبار سعري في الورى وشعري

وصرت نضو فاقة وعسر

عاري المطا مجرّدا من قشري

كأنني المغزل في التعرّي

لا دفء لي في الصنّ والصنبر

غير التضحي واصطلاء الجمر

فهل خضمّ ذو رداء غمر

يسترني بمطرف أو طمر

طلاب وجه الله لا للشكر

ثمّ قال يا أرباب الثراء الرافلين في الفراء من أوتي خيرا فلينفق ومن استطاع أن يرفق فليرفق فان الدنيا غرور والدهر عثور والمكنة زورة طيف والفرصة

من مطالبتك (مزنة صيف) أى سحابة لادوام لها وأراد قول عمران بن حطان

أرى أشقياء الناس لايسمونها * على انهم فيها غراب وجوّع
أراها وان كانت تحب فانها * سحابة صيف عن قريب تقشع

ولما ولى بلال بن أبى بردة البصرة كان اذا اجتاز فى موالية بخالد بن صفوان يقول سحابة صيف عن قريب تقشع * فبلغ قوله بلالا فقال والله لاتقشع حتى يصيبك منها شؤبوب فردّه ثم ضربه مائة سوط (كافات) جمع كاف وأراد بها آلته ومايستعدّله بها وهى الاهب التى أراد (موافاته) مجيئه وحضوره (ساعدى) ذراعى (بردتى) ثوبى (الحفنة) مايملأ الكف (الجفنة) الصحفة (فليتعظ) أى يعتبر ويجعلنى عبرة (صرف) تقلب (استعدّ) أعدّ (لمسراه) مثواه وقال الالبيرى فى هذا المعنى

وذى غنى أوهمته همته * أنّ الغنى عنه غير منفصل
جرّ أذيال عجبه بطرا * واختال للكبرياء فى حلل
بزته أيدى الخطوب بزته * فاعتاض بعد الجديد بالسمل
فلا تثق بالغنى فآفته الـ * فقر وصرف الزمان ذو دول
كفى بنيل الكفاف منه غنى * عنه فكن فيه غير محتفل

*ومن مقامات البديع حدّثنا عيسى بن هشام قال أحلنى جامع حاوريا وقد انتظمت مع رفقة فى سلك الثريا وحين احتفل الجامع بأهله طلع الينا ذو طمرين قد أرسل صوانا واستتلى طفلا عريانا يضيق بالضرّ وسعه ويأخذه القرّ ويدعه لايملك غير القشرة بردة ولايكتنى بحماية رعدة فوقف الرجل وقال لاينظر لهذا الطفل الامن يرحم الله طفله ولايرق لهذا الضرّ الامن لايامن مثله يا أصحاب الخدود المفروزة والاردية المطروزة والدور المنجدة والقصور المشيدة انكم لن تأمنوا حادثا ولن تعدموا وارثا فبادروا الخير ما أمكن وأحسنوا مع الدهر ما أحسن فقد والله طعمنا السكباج وركبنا الهملاج ولبسنا الديباج وافترشنا الحشايا بالعشايا فما راعنا الاهبوب الدهر بغدره وانقلاب المجنّ لظهره فعاد الهملاج قطوفا والديباج صوفا وهلم جرا الى ماتشاهدون من حلىّ ومن تشاهدون فى زىّ فها نحن نرتضع من الدهر ثدى عقيم ونركب من الفقر ظهر بهيم فلا نرنو الابعين اليتيم ولانمدّ الايد الغريم فهل من كريم يجلو غياهب هذه البؤس ويفل أسباد هذه النحوس ثم قعد مرتفعا وقال للطفل أنت وشأنك فقال بما أكاد أقول وهذا الكلام لولق الشعر لحلقه أوالصخر لفلقه وان قلبا لم ينضجه لنيء وقد سمعتم ياقوم مالم تسمعوا قبل اليوم فليشغل كل منكم بالجود يده وليذكر غداه واقبا وولده وامنحونى أشكركم واذكرونى أذكركم وتمامها فى العشرين (قوله جلوت) أظهرت وكشفت (اجل) اكشف وبين عنه (تبا) خسرانا (نخر) بال (المنتقى) المختار (تجلى) تبدى وتظهر (الرميم) البالى (يبغى) يطلب وقوله تبا المفتخر بعظم نخر كانت العرب تتفاخر بالاحساب وتتعاظم بكرم الآباء فنزل القرآن العظيم بترك ذلك فى قوله تعالى انما المؤمنون اخوة وإنّ أكرمكم عند الله أتقاكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع أيها الناس انما الناس اخوة وليس لعربىّ على عجمىّ فضل الابالتقوى أيها الناس ان ربكم واحد

مزنة صيف وانى والله لطالما تلقيت الشتاء بكافاته وأعددت الاهب له قبل موافاته وها أنا اليوم ياسادتى ساعدى وسادتى وجلدتى بردتى وحفنتى جفنتى فليتعظ العاقل بحالى وليبادر صرف الليالى فان السعيد من اتعظ بسواه واستعد لمسراه فقيل له قد جلوت علينا أدبك فاجل لنا نسبك فقال تبا لمفتخر بعظم نخر انما الفخر بالتقى

وان أبا كم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب وأكرمكم عند الله أتقاكم فلذلك قال انما الفخر بالتقى وقال علي كرم الله وجهه و رضي عنه

الناس من جهة التمثيل أكفاء * أبوهم آدم والأم حواء
فان يكن لهم من قبل ذا نسب * يفاخرون به فالطين والماء

(وقال عامر بن الطفيل)

واني وان كنت ابن سيد عامر * وفي السر منها والصريح المهذب
فما سودتني عامر عن ولادة * أبى الله ان أسمو بأم ولا أب
ولكنني أحمي حماها وأتقي * أذاها وأرمي من رماها بمنكب

فهذا مع امكانه الفخر بالآباء لم يفتخر الا بنفسه وأخذه عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب فقال

لسنا وان احسابنا كرمت * يوما على الاحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا * تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وهذا مثل قول الحسن رضي الله تعالى عنه وقد أجزل صلة شاعر فليم في ذلك فقال أترى اني خفت أن يقول اني لست ابن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ولا ابن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ولكني خفت أن يقول لست كمثلهما فيصدق ويحمل عنه ويبقى مخلدا في الكتاب محفوظا على ألسنة الرواة فقال الشاعر أنت والله يا ابن رسول الله أعرف بالمدح والذم مني (قوله والادب المنتقى) حدثني يحيى بن أكثم قال بينما أنا جالس مع المأمون اذ دخل الدار فتى أبدع الناس زيا وهيبة ووقارا وهو لا يلتفت اعجابا بنفسه فنظر اليه المأمون فقال يا يحيى ان هذا الفتى لا يخلو أن يكون هاشميا أو نحويا ثم بعثنا من يتعرف ذلك منه فعاد الرسول فأخبر انه نحوي فقال المأمون يا يحيى أعلمت ان علم النحو قد بلغ باهله من عزة النفس وعلو الهمة منزلة بني هاشم في شرفهم يا يحيى من قعد به نسبه قام به أدبه قال وأنشد الشاعر

كن ابن من شئت واتخذ أدبا * يغنيك مأثوره عن النسب
ان الفتى من يقول ها أنا ذا * ليس الفتى من يقول كان أبي
مالي عقلي وهمتي حسبي * ما أنا مولى ولا أنا عربي
اذا انتمى منتم الى أحد * فانني منتم الى أدبي

وتكلم رجل عند عبد الملك بكلام ذهب فيه كل مذهب فقال له وقد أعجبه ابن من أنت يا غلام فقال ابن نفسي يا أمير المؤمنين التي نلت بها هذا المقعد منك قال صدقت أخذه ابن دريد فقال

كن ابن من شئت وكن مؤدبا * فانما المرء بفضل حسه
وليس من تكرمه لغيره * مثل الذي تكرمه لنفسه

وقالت عائشة رضي الله عنها كل كرم دونه لؤم فاللؤم أولى به وكل لؤم دونه كرم فالكرم أولى به يعني ان افعال الانسان اذا كرمت لم يضره لؤم آبائه واذا لؤمت لم ينفعه كرم آبائه وقال المعري

لو يعلم الانسان مقداره * لم يفخر المولى على عبده
لولا سجاياه وأخلاقه * لكان كالمعدوم في وجده

والادب المنتقى ثم انشد
لعمرك ما الانسان الا ابن يومه

وحمده أفعاله لا الذى * من قبله كان ولا بعده

(قوله ما تجلى يومه) أى على ما ظهر وانكشف يومه من أفعاله المحمودة أو المذمومه (محقوقفا) منحنيا (اجرنثم) انقبض (مقفقفا) مرتعدا ويقال قف شعره اذا ارتفع من ذعر أصابه وقف جلدى من هذا الحديث اذا اقشعر من استشناع ماسمع فاذا ضعف الفعل فردعلى فعفل زاد معناه مبالغة (غمر بنواله) أى غطى بعطاياه (وأمر بسؤاله) يريد قوله تعالى واسئلوا الله من فضله (آله) أهله (أهواله) شدائده ومخاوفه (أتح) قدر (يؤثر) يفضل غيره على نفسه (خصاصة) جوع وهذا منتزع من القرآن و (العصامية) منسوبة الى عصام بن شهبر بن الحرث الجرمى حاجب النعمان بن المنذر الذى يقول له النابغة

فانى لا ألام على دخول * ولكن ماوراءك ياعصام

ولم يكن عصام شريفا ولا نشأ فى قومه ولكن كان من أشد الناس بأسا وأفصحهم لسانا وأحزمهم رأيا وأقربهم الى النعمان وقال له رجل يوما كيف بلغت هذه المنزلة من الملك وأنت دنىء الاصل فقال

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الكر والاقداما * وصيرته سيدا همناما

ويقال كن عصاميا ولا تكن عظاميا أى افتخر بنفسك لا با آبائك الذين ماتوا وبقيت عظامهم فكل من ليس له شرف قديم وشرف بنفسه يقال له عصامى وكانت لرجل عند الحجاج حاجة فوصف بالجهل والحمق فأراد أن يختبره فقال أعصامى أنت أم عظامى فقال له الرجل عصامى عظامى فظن أنه يريد افتخاره بنفسه لفضله وبآبائه لشرفهم فقال الحجاج هذا من أفضل الناس وقضى حاجته ثم جربه بعد ذلك فوجده أجهل الناس فقال له أصدقنى والا قتلتك كيف أجبتنى بعصامى وعظامى فقال له الرجل لم أعلم معناهما فخشيت أن أقول أحدهما فأخطىء فقلت فى نفسى أقولهما معا فان ضرنى أحدهما نفعنى الآخر فقال الحجاج المعاذير تصير الغبى خطيبا فذهبت مثلا وسمع المأمون رجلا يفخر بنفسه وهو ناقص فقال أنت عظامى لا عصامى ولهذا أشار بما تقدم من قوله تباً لمفتخر بعظم نخر يريد ان عصاما ساد بنفسه لا بآبائه وكذلك السروجى لم يفخر الا بنفسه (الاصمعية) التى حكاها الاصمعى وقدمر من ملح الاصمعى فى هذا الكتاب جملة كافية بحمد الله تعالى والاصمعى عصامى لانه من باهلة وهى أهجن قبيلة فى العرب وألأمها وذكر المبرد فى كامله جملة أخبار فى أمثالها قال فيها الشاعر

ولو قيل للكلب يا باهلى * عوى الكلب من لؤم ذاك النسب

وهو مع ذلك خامل المنشأ وقد ذكرنا فى الاربعين خمول أبيه الا انه ساد الناس بنفسه أدبا وعلما ودينا ومن ملحه انه قال بينما انا فى طرق البصرة اذا انا بكناس يكنس كنيفا واذا هو يقول

فايالك والسكنى بارض مذلة * تعد مسيأ فيه ان كنت محسنا

فنفسك اكرمها وان ضاق مسكن * عليك بها فاطلب لنفسك مسكنا

قال فوقفت عليه فقلت والله ما بقى عليك من الهون شىء الا وقد اهنتها به فما الذى نلت من كرامتها قال والله لكنس الف كنيف احسن من القيام على باب مثلك ساعة * الاصمعى كان اعرابيان ستواخيان بالبادية ثم ان أحدهما استوطن الريف واختلف الى باب الحجاج فولاه اصبهان فسمع اخوه خبره فضرب اليه فأقام ببابه حينا لا يصل اليه ثم اذن له بالدخول فأخذ الحاجب

على ما تجلى يومه لا ابن امسه
وما الفخر بالعظم الرميم
وانما الفخار الذى يبغى الفخار
بنفسه ثم انه جلس محقوقفا
واجرنثم مقفقفا وقال
اللهم يا من غمر بنواله وامر
بسؤاله صل على محمد وآله
واعذنى على البرد وأهواله
واتح لى حرا يؤثر من خصاصة
ويواسى ولو بقصاصة
(قال الراوى) فلما جلى
عن النفس العصامية
والملح الاصمعية، جعلت

ملامح عيني تجمه ومرامي لحظي ترجمه حتى استبنت انه ابوزيد وان تعريه احبولة صيد ولمح هوان عرفاني قد ادركه ولم يأمن ان يهتكه فقال اقسم بالسمر والقمر والزهر والزهر انه لن يسترني الامن طاب خيمه وأشرب ماء المروءة أديمه فعقلت ماعناه وان لم يدر القوم معناه وساءني مايعانيه من الزعدة واقشعرار الجلدة فعمدت لفروة هي بالنهار رياشي وفي الليل فراشي فنضوتها عني وقلت له اقبلها مني فماكذب أن افتراها وعيني تراها ثم أنشد

لله من ألبسني فروة
أضحت من الرعدة لي جنه
ألبسنيها واقيا مهجتي
وقي شر الانس والجنه
سيكتسي اليوم ثنائي وفي
غد سيكسي سندس الجنة

قال فلما افتن قلوب الجماعة بافتنانه في البراعة ألقوا عليه من الفراء المغشاه والجباب الموشاه ما آده ثقله ولم يكد يقله فانطلق مستبشرا بالفرج مستسقيا للكرج وتبعته الى حيث ارتفعت التقيه وبدت السماء نقيه فقلت له لشد ماقرسك البرد فلا تعر من بعد فقال ويك ليس من العدل سرعة العذل فلا تعجل بلوم هو ظلم ولا تقف ماليس لك به علم فوالذي نور الشيبة وطيب تربة طيبة لولم أتعر لحت بالخيبه

فشى به وهو يقول

فلست مسلما مادمت حيا * على زيد بتسليم الامير

فقال زيد لاأبالي فقال الاعرابي

أتذكر اذ لحافك جلد شاة * واذ نعلاك من جلد البعير

فقال نعم فقال الاعرابي

فسبحان الذي أعطاك ملكا * وعلمك القعود على السرير

(تجمه) تختبره (مرامي لحظي) نظرات عيني وسهام نظري واحد المرامي مرماة وهي السهم (ترجمه) ترميه وتقع عليه (أحبولة) شبكة (يهتكه) يكشفه (السمر) ظل القمر ثم سمى حديث الليل سمرا به (الزهر) النجوم (خيمه) طبعه (أشرب) سقى (المروأة) الفعل الجميل (أديمه) وجهه ويقال أشرب فلان حب فلان اذا خالط حبه قلبه (ماعناه) ماأراده يريد انه لما قال لن يسترني انما اراد لن يستر على هذه الحيلة التي أريد بها خداع الناس بعد ماعرفها الامن هو كما وصف وقال النبي صلى الله عليه وسلم من رأى عورة أخيه فسترها كان كمن أحيا موؤدة من قبرها (ساءني) شق على (يعانيه) يقاسيه (اقشعرار) انقباض وارتعاد (عمدت) قصدت (رياشي) لباسي (نضوتها) جردتها (افتراها) اتخذها (جنة) سترا ووقاية (واقيا) صائنا (مهجتي) نفسي (وقي) كفى (الجنة) الجن (سندس) ثياب خضر (افتنانه) تنوعه (البراعه) الجودة والفصاحة (المغشاة) المغطاة بغيرها من الثياب (الموشاة) المزينة بالرقم (آده) أثقله (يقله) يرفعه (مستسقيا) داعيا بأن يسقيه الله تعالى (التقية) الخشية (قوله بدت السماء نقية) مثل ضرب لخلو الموضع من الناس وظهوره فيه وحده (ويك) أى عجبا لك (العذل) اللوم (تقف) تتبع يقال قفوت أثره أقفوه قفوا اذا تبعته ومنه قفافلان فلانا اذا اتبعه بكلام قبيح ويقال قفاه بالتخفيف * أبو عبيدة رحمه الله تعالى أصل القفو والتقافي البهتان يرمي به الرجل صاحبه واحتج بحديث حبان بن عطية من قفامؤمنا بماليس فيه حبسه الله تعالى في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج قال الفراء رحمه الله تعالى القفو مأخوذ من القيافة وهو تتبع الاثر يقال قاف القائف يقوف قيافة فهو قائف بتقديم الفاء على الواو كما قالوا في جذب جبذ وقرئ ولا تقف مثل تقل (نور) بيض (طيبة) مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وطيب الله تربتها بأن صيرها موطنا لنبيه صلى الله عليه وسلم في حياته ومستقرا له بعد مماته وذكر شيخنا ابن جبير المدينة فقال للمدينة المكرمة أربعة أبواب وهي تحت سورين في كل سور باب يقابله آخر باب الحديد وباب الشريعة وباب القبلة وباب البقيع وبين سورها الغربي وخندق النبي صلى الله عليه وسلم مقدار غلوة وبين السور والخندق عين النبي صلى الله عليه وسلم وعليه حلق عظيم مستدير ومنبع العين وسطه كأنه الحوض المستطيل وتحت العين سقايتان بينهما احداهما لطهر الناس وغسل أثوابهم والعين للاستقاء والعين عند السقايتين وتهبط اليها على خمس وعشرين درجة وماؤها يعم أهل الارض فضلا عن أهل المدينة وبقربة من الحوض ممايلي الحوض حجر الزيت يقال ان الزيت رشح للنبي صلى الله عليه وسلم من ذلك الحجر بحرمة الخوف وبالقرب منه بئر بضاعة وبازائها من الجهة اليسار جبل الشيطان حيث صرخ يوم أحد قتل نبيكم وعلى شفير

ذكر طيبة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

الخندق حصن الغراب وهو خرب كان عمر رضى الله عنه بناه لغراب المدينة وأمامه لجهة الغرب على بعد بئر رومة التى اشتراها عثمان رضى الله عنه بعشرين ألفا وداخل باب الحديد سقاية يهبط اليها على أدراج وهى بمقربة من الحرم المكرم وبقبلى الحرم دار مالك بن أنس رضى الله عنه ويطيف بالحرم شارع مباط بالحجر المنحوت وفى جوفى المدينة جبل أحد على ثلاثة أميال منها وبقبليه مسجد حمزة وقبره برحبة بجوفى المسجد وبازائه قبور الشهداء وحوله تربة حمراء أنزل فيها سورة الفتح الشريفة وشرقى المدينة بقيع الغرقد واذا خرجت على باب البقيع تلقى على يسارك قبر صفية عمة النبى صلى الله عليه وسلم وأم الزبير وأمامها قبة مختصرة البناء على قبر مالك بن أنس وأمامه قبر السلالة الطاهرة ابراهيم بن النبى صلى الله عليه وسلم عليه قبة بيضاء وعلى يمينها قبر عبد الرحمن بن عمر الذى جلده أبوه الحد فمات وبازائه قبر عقيل بن أبى طالب وعبد الله ابن جعفر وبازائه روضة صغيرة فيها ثلاثة من أبنائه صلى الله عليه وسلم ويليها روضة العباس والحسن رضى الله عنهما وعليها قبة مرتفعة فى الهواء وقبراهما مرتفعان على الارض مغشيان بألواح ملتصقة أبدع التصاق مرصعة بالصفائح الصفر مسكوكة بمسامير على أبدع صفة وعلى هذا الشكل قبر ابراهيم عليه السلام ابن النبى صلى الله عليه وسلم وفى آخر البقيع قبر عثمان بن عفان الشهيد وعليه قبة مختصرة البناء وبمقربة منه قبر فاطمة بنت أسد أم على كرم الله وجهه ومشاهد البقيع أكثر من أن تحصى لانها مدفن الصحابة رضى الله عنهم وقبلى المدينة على نحو الميلين قباء وكانت مدينة كبيرة متصلة بالمدينة المكرمة وبها المسجد الذى أسس على التقوى وهو مربع مستوى الطول والعرض له باب واحد من جهة الغرب وهو سبع بلاطات فى الطول ومثلها فى العرض وفيه صومعة طويلة بيضاء تظهر على البعد وفى وسطه مبرك الناقة بالنبى صلى الله عليه وسلم عليه حلق قصير شبه الروضة يتبرك الناس بالصلاة فيه وفى صحنه مما يلى القبلة شبه محراب على مسطبة وهو أول موضع ركع فيه النبى صلى الله عليه وسلم وفى قبلته دار بنى النجار وهى دار أبى أيوب الانصارى ويليها دار عائشة رضى الله تعالى عنها وبازائها دار عمر ودار فاطمة ودار أبى بكر رضى الله عنهم أجمعين ورضى عنا بهم وبازائها بئر أريس حيث تفل فيه النبى صلى الله عليه وسلم فعاد عذبا بعد أن كان أجاجا وفيه وقع خاتمه من يد عثمان رضى الله عنه وحديثه مشهور وفى آخره تل مشرف يعرف بعرفات لانه كان موقف النبى صلى الله عليه وسلم يوم عرفة ومنه زويت له الارض فأبصر الناس بعرفات ويدخل من التل على دار الصفة وبها كان عمار وسلمان وأصحابهما والطريق من قبلى قباء الى المدينة بين حدائق النخل المتصلة والنخيل تحدق بالمدينة من جهاتها وأعظمها جهة القبلة والشرق وأقلها جهة الغرب وآثار المدينة وقباء لا تحصى فلما خص الله تعالى تربة طيبة بصفوة عباده أقسم الحريرى بن طيبها (صفر العيبة) خلا الوعاء (نزع) مال وحن وتبرقع وستر وجهه (الاكفهرار) العبوس (شنشنتى) طبيعتى (الانعطاف) الرجوع (عقتنى) حبستنى (عققتنى) قطعتنى (أفتنى) حرمتنى (أفدتنى) أكسبتنى فائدة (اعفنى) أرحنى وعافنى (لغوك) باطلك (التلعابة) كثرة اللعب ورجل تلعابة حسن اللعب مزاح وفى الحماسة

وصفر العيبة ثم نزع الى الفرار وتبرقع بالاكفهرار وقال أما تعلم أن شنشنتى الانتقال من صيد الى صيد والانعطاف من عمرو الى زيد وأراك قد عقتنى وعققتنى وأفتنى أضعاف ما أفدتنى فأعفنى عفاك الله من لغوك واسدد دونى باب جدك ولهوك فجبذته جبذ التلعابة

هو الظفر الميمون ان عادوا غتدى * به الركب والتلعابة المتحبب

(جعجعت) صحت ودعوت به والجعجعة رغاء الابل (الدعابة) المزاح (أوارك) أسترك (عوارك) عيبك (صله) عطية (سترى لك) أى ثوبى وأراد (بعلميك) سكوتى عنك حين قلت لن يسترنى الا من طاب خيمه (ازدهر) توقدت عيناه غضبا (المتغضب) المستعمل الغضب (الدابر) الماضى و(الغابر) الذاهب وقوله (سبحان من طبع) معناه تنزيها لك يا ربنا من الولد والصاحب والشريك إى نزهناك من ذلك وانتصابه على المصدر كأنك قلت سبحت الله تسبيحا فجعلت سبحان فى موضع التسبيح ومعنى طبع على قلبك أى غشاه بالصدأ و لدنس والوسخ قال الله تعالى فطبع على قلوبهم وقال كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون وفى الحديث نعوذ بالله من طمع يدنى الى طبع وقال الشاعر

لا تطمعن طمعا يدنى الى طبع * ان المطامع فقر والغنا يأس

وأنشد يعقوب

لا خير فى طمع يدنى الى طبع * وعفة من قوام العيش تكفينى

و(الذهن) قوة ادراك العقل (أوهى) أضعف (خزنك) تقيفك وحزنك (الدسكرة) هنا قرية معروفة بينها وبين بغداد على طريق خراسان ستة عشر فرسخا و(ابن سكرة) من شعراء اليتيمة قال صاحبها ابن سكرة الهاشمى هو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد شاعر متسع الباع فى أنواع الابداع فائق فى قول الظرف والملح صاحب الفحول والافراد وجاء فى ميدان المجون والسخف بما أراد وكان يقال ببغداد ان زمانا جاد بابن سكرة وابن الحجاج لسخى جدا وما أشبههما الا بجرير والفرزدق فى عصرهما ويقال ان ديوان ابن سكرة يربو على خمسين ألف بيت ومن شعره فى غلام فى يده غصن نوار

غصن بان بدا وفى اليد منه * غصن فيه لؤلؤ منظوم

فتحيرت بين غصنين فى ذا * قمر طالع وفى ذا نجوم

وله فى غلام يعرف بابن برغوث

بليت ولا أقول بمن لأنى * اذا أنا قلت من هو تعشقوه

حبيب قد نفى عنى رقادى * فان غمضت أيقظنى أبوه

وله فى غلام أعرج

قالوا بليت بأعرج فأجبتهم * العيب يحدث فى غصون البان

ماذا على اذا استجدت شمائلا * وروادفا تغنى عن الكثبان

انى أحب جلوسه وأريده * للنوم لا للجرى فى الميدان

فى كل غصن منه حسن كامل * ما ضره ان زلت القدمان

وله فى غلام سميه

اذا باسمى دعيت حننت شوقا * وذكرنى به الداعى حبيبى

فليت كما اتفقنا فى الاسامى * وألفتها اتفقنا فى القلوب

وله أيضا

بنفسى عذار بدا طالعا * على ناضر الورد ما أملحا

كتمت هواه زمان الصبا * وبوحت بالحب لما التحى

و جعجعت به للدعابة وقلت له والله لولم أوارك وأغطى على عوارك لما وصلت الى صله ولا انقلبت اكسى من بصله فجازنى عن احسانى اليك وسترى لك وعليك بان تسمح لى برد الفروة أو تعرفنى كافات الشتوه فنظر الى نظر المتعجب وازمهر ازمهرار المتغضب ثم قال آما رد الفروة فأبعد من رد أمس الدابر والميت الغابر وأما كافات الشتوة فسبحان من طبع على ذهنك وأوهى وعاء خزنك حتى أنسيت ما أنشدتك بالدسكرة لابن سكره

وقالوا محا الشعر لما بدا * محاسنه منه فاستقبحا
فقلت لهم ما محا حسنه * ولكن صبري عنه محا

وله في مثله
وغزال لولا نعمة شعر * ذكرته لقلت بعض الجواري
شارب أشرب الصبابة قلبي * وعذار خلعت فيه عذاري

وله في مثله أيضا
من عذيري من شادن لا يراني * وهو روحي أهلا لرد السلام .
آنا من خده وعينيه والثغـ * ـر ومن ريقه البعيد المرام
بين ورد ونرجس ولآل * أقحوان وبابلي مدام

وله في مثله أيضا
في وجه انسانة كلفت بها * أربعة ما اجتمعن في أحد
الخد ورد والصدغ غالية * والريق خمر والثغر من برد

وله في مثله أيضا
لقد أمسكت من عمرو بن يحيى * بحبل ما أخاف له انبتاتا
حباني في الحياة ورم حالي * وأوصى بي أبا حسن وماتا
فكنت مجاور البحر منه * فلما مات جاورت الفراتا

جاء الشتاء وعندي من حوائجه
سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا

وله في وزير المهلبي
لاعذب الله ميتا كان ينعشني * فقد لقيت بضري مثل ما لاقى
طواه موت طوى عني مكارمه * فذقت من بعده بالفقر ما ذاقا

وقال فيه أيضا
مضى ملك عم البرية جوده * رؤف وان راع الاسود شفيق
سكرت بنعماه وجود وزيره * فقالت لي الايام سوف تذوق

وقال رحمه الله أيضا
لقد كان الشباب فكان غضا * له غـ ـرر وأوراق تظلك
وكان البعض منك فمات فاعلم * متى ما مات بعضك مات كلك

وبابعد ما بين حاله وقت قوله جاء الشتاء البيتين وبين حاله وقت موت المهلبي وقد أدرك فاقة فسئل عما أعد للشتوة فقال

قيل ما أعددت للبر * د فقد جاء بشده
قلت دراعة عري * تحتها جبة رعده

(قوله اذا القطر عن حاجاتنا حبسا) في معنى ذلك أن الحسن بن وهب تأخر عن ابن الزيات وهو يكتب له فاستبطأه فكتب الحسن اليه

أوجب العذر في تراخي اللقاء * ما ترى بي من هذه الانواء
لست أدري ماذا أقول وأشكو * من سماء تعوقني عن سماء
غير أني أدعو على تلك بالثكـ * ـل وأدعو لهذه بالبقاء
فسلام الاله أهديه مني * لك غضا يا سيد الوزراء

كان لابن عبد ربه فتى يهواه فاعلمه اني راحل غدا فلما أصبح عاقه عن السفر تكاثر المطر فانجلى عن ابن عبد ربه همه وكتب اليه

هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر * هيهات يأبى عليك الله والقدر
مازلت أبكي حذار البين ملتهبا * حتى رثا لي فيك الريح والمطر

يا برده من حشا حزن على كبد * نيرانها بغليل الشوق تستعر
آليت أن لا أرى شمسا ولا قمرا * حتى أراك فأنت الشمس والقمر

وعد ابن رشيق محبوبه الصائغ أن يكون عنده يوم عيد فصلى وارتقبه فاذا بالسماء قد أرعدت وأبرقت فكتب اليه

تجهم العيد وانهلت مدامعه * وكنت أعهد منه البشر والضحكا
كأنه جاء يطوى الارض من بعد * شوقا اليك فلما لم يجدك بكى

وكتب السلامى الى أصحابه والمطر قد قطعه عنهم

قطعتكم برغم المجد شهرا * أشد على من شهر الحرام
وكيف أزوركم والمزن تبكى * على دارى بأربعة سجام
وكانت منزلا لطلوق الحيا * فصارت واديا صعب المرام
تهافت ركع الجدران فيها * سجود السرعود بلا امام
أنادى كلما ارتفعت سحاب * فأبكت البوارق بابتسام
حوالينا كذاك ولا علينا * كفانا الله شرك من غمام

كنّ وكيس وكانون وكأس طلا
بعد الكباب وكس ناعم وكسا
ثم قال الجواب يشفى خير

(كنّ) أى بيت (كيس) وعاء الدراهم (كانون) حيث تجعل النار فيه (طلا) خمر (كباب) لحم يشرح و يشوى وكبيته فعلت ذلك به وقيل الكباب قطع الكرش تلوى عليها المصارين وأراد بها ههنا شواء اللحم و(الكس) اسم فرج المرأة وليس بعربى قال الفنجديهى رحمه الله تعالى سمعت بعض الفضلاء يقول كتب ابن سكرة فى يوم مطر الى صديق له

يوم مطير وعندى من خواطره * سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا
حروف كافاتها فيها مقومة * اذا تلاها الفتى ذو اللب أو درسا
كنّ وكيس وكانون وكأس طلا * مع الكباب وكس ناعم وكسا
فلو مطرت البحار الدهر لم ترنى * اقول أحسن هذا اليوم بى وأسا

وزاد ابن مسعود عليه كافا ثامنة فقال

وكم ليلة فى شهر كانون بتها * أعانق من حبى بها الدعص والغصنا
سمعت من الكافات فيها ثمانيا * فما شئت من مرأى أنيق حوى الحسنا
كبابا وكيزانا وكيسا وكاعبا * كساء وكوبا والكوانين والكنا

كما نقصه الامير تميم بن المعز السابعة فقال

اذا هب سلطان المريسى ضاحكا * سحيرا وحل الغرب كل نقاب
ورد على الارض الغمام ثيابه * فقم والقه فى عدة وحراب
بكن وكانون وكأس مدامة * وكيس وكس وافر وكباب

نقلت أبيات ابن مسعود من شرح شيخنا ابن اللبان قال ولما جمعنا فى أيام الشتاء ما جمعنا من الكافات قلت فى ضدها من الحر بيتين جمعت فيهما من الراآت ثمانية وهى

عندى فديتك راآت ثمانية * ألقى بها الحر وافى وان بردا
رق وروح و ريحان ورنق رشا * ورفرف ورياض ناعم وردا

من جلباب يدفى فاكتف بما وعيت وانكفى فقارقته وقد ذهبت فروتى لشقوتى وحصلت على الرعدة طول شتوتى

(المقامة السادسة والعشرون وتعرف بالرقطاء) ٣٨ (حدث الحرث بن همام) قال حللت سوق الاهواز لابسا حلة

الاعواز فلبثت فيها مدة أكابد شدة وأزجى أياما مسودة الى ان رأيت تمادى المقام من عوادى الانتقام فرمقتها بعين القالى وفارقتها مفارقة الطلل البالى فظعنت عن وشلها كميش الازار راكضا الى المياه الغزار حتى اذا سرت منها مرحلتين وبعدت سرى ليلتين تراءت لى خيمة مضروبة ونار مشبوبة فقلت آتيهما لعلى أنقع صدى أو أجد على النار هدى فلما انتهيت الى ظل الخيمة رأيت غلمة روقة وشارة مرموقة وشيخا عليه بزة سنية ولديه فاكهة جنية فحييته ثم تحاميته فضحك الى وأحسن الرد على وقال ألا تجلس الى من تروق فاكهته وتشوق مفاكهته فجلست لاغتنام محاضرته لا لالتهام ما بحضرته فحين سفر عن آدابه وكشر عن أنيابه عرفت أنه أبو زيد بحسن ملحه وقبح قلحه فتعارفنا حينئذ وحفت بى فرحتان ساعتئذ ولم أدر بأيهما أنا أضفى فرحا وأوفى مرحا أباسفاره من دجنة أسفاره أم بخصب رحاله بعد امحاله وتاقت نفسى الى أن أفض ختم سره وأبطن داعية يسره فقلت له من أين ايابك والى أين انسيابك وبم استلأت عيابك فقال أما المقدم فمن طوس واما المقصد فالى السوس وأما الجدة التى أصبتها فمن رسالة اقتضبتها

(جلباب) ثوب يلبس على الثياب (اكتف) اقتنع (وعيت) حفظت (انكفى) ارجع الى موضعك (طول) مدة والله تعالى اعلم

(شرح المقامة السادسة والعشرين وتعرف بالرقطاء)

(حللت) نزلت (الاهواز) مدينة واسعة لها سبع كور بين البصرة وفارس قال الرشاطى الاهواز متصلة بالجبل واصبهان وقيل ان الاهواز بلد من سكن قصبته ضعف عقله ولزمته الحمى (حلة الاعواز) ثوب الفقر والحلة ازار ورداء ولا يقال لثوب واحد حلة (لبثت) أقمت (أكابد) أقاسى (أزجى) أسوق (مسودة) شداد مشؤمة (تمادى) دوام وطول (المقام) الاقامة (عوادى) جمع عادية من العدوان وهو الظلم (الانتقام) العذاب والنكاية (رمقتها) نظرتها (القالى) البغيض (الطلل) ما شخص من آثار الدار (ظعنت) ارتحلت (وشلها) ماؤها القليل (كميش) مشمر وانكمش فى طلب حاجته اسرع فيها و(الازار) والمئزر ما يلبس عرضا من السراويل ولا تعرف العرب السراويل ووجدها اعرابى فظنها قميصا فأدخل يديه من على ساقيها والتمس من أين يخرج رأسه فلم يجد فرمى بها وقال هذا قميص الشيطان (قوله راكضا) أى جاريا وهمزة ماء مبدلة من هاء مياه (الغزار) الكثيرة (سرى ليلتين) أى سرت مقدار ما يسار فيه ليلتين (تراءت) ظهرت (مشبوبة) موقودة (أنقع صدى) أروى عطشا (أجد على النار هدى) أى أجد عليها من يرشدنى الى الطريق (روقة) حسانا وغلام روقة اذا أعجبك وغلمان روقة الواحد والجمع سواء وقيل روقة لفظ مفرد والجمع روق والهاء للمبالغة (شارة) هيئة حسنة يشار اليها (مرموقة) محبوبة (بزة سنية) ثياب حسان والبزة والبز أفضل الثياب (جنية) طرية كما اجتنيت (حييته) سلمت عليه (تحاميته) تباعدت عنه (تروق) تعجب (تشوق) تشوق وتدعو الى الطرب (مفاكهته) ممازحته وفاكهته حدثته بما يعجب (التهام) ابتلاع (سفر) كشف وبين أنه من أهل الادب (كشر عن أنيابه) كشف عن أسنانه عند الضحك (ملحه) مليح كلامه (قلحه) صفرة أسنانه (تعارفنا) عرفته من أنا وعرفنى من هو (حفت) أحاطت و(المرح) شدة الفرح وأوفى مرحا أى أكمل طربا ونشاطا (اسفاره) طلوعه واضاءته (دجنة) سواد وظلام (أسفاره) جمع سفر (رحاله) أوقاره يصف كثرة ماله وأنه اذا نزل منزلا أخصب بكثرة احماله (امحاله) جدبه (تاقت) اشتاقت (أفض) أكسر (ختم) ربط وشد (أبطن) أعرف باطنه (يسره) غناه (ايابك) رجوعك (انسيابك) ذهابك (عيابك) أوعية متاعك (طوس) مدينة منها الى نيسابور مرحلتان قال اليعقوبى مدينة طوس العظمى يقال لها نوبان وبها قبر الرشيد وبها توفى الرضا على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين وهى من ثغور الجبال المتصلة بخراسان ومجاورتها أيضا مدينة أصبهان وهى عظيمة وأما (السوس) فمدينة بأرض فارس تعمل بها الثياب السوسية من الخز قال الرشاطى السوس من كور الاهواز والسوس فى بلاد الغرب وذكر الجاحظ أن من طنجة اليها عشرين يوما وسوسة من بلاد افريقية على البحر يصنع بها ثياب رفاع والسوس اسم مشترك والذى قصد الحريرى منهما الاولى (الجدة) الغنى (اقتضبتها)

ارتحلتها (يفرشنى دخلته) يبسط لى باطن أمره وافرشتك حديثى بسطته لك وبينته (يسرد) يقرأ (مرامك) مطلبك وتقدمت (حرب البسوس) فى التاسعة عشر (عكفت) أقمت (يعلنى) يسقينى مرة بعد مرة و(التعليل) أن يطمعك فى قضاء حاجتك فاذا تقاضيته أظهر لك عللا وعوائق ثم يمنيك فتبقى حاجته اعتل لك بعلة مانعة من قضاء حوائجك (يجرنى) يعلقها بى ويجعلنى أجترها (أعنة) جمع عنان (التأميل) مصدر أمله اذا رجاه وحقق له أمله (حرج صدره) اذا ضاق (عيل) غلب وعالنى الامر يعولنى عولا غلبنى وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه وان خفتم عيلة عائلة أى خصلة تعولكم وتغلبكم (تعلة) ما تبديه من العلل فى اعتذارك لمن يتقاضاك (وفى غد أزجر غراب البين) أى التفاؤل به لفراقك وانما ينسبون الفراق للغراب لانهم اذا ارتحلوا عن موضع اجتمعت الغربان فيه يلتقطن ما تركوا من بقايا طعامهم وزبل دوابهم واذا أخذوا فى هدم البيوت للرحيل وأبصرهم الغراب صاح رغبة فيما يلتقط فيقولون عند ذلك نعق غراب البين فصار وايتشاءمون به وزجر الطير يذكر فى الثامنة والثلاثين قال المعرى فى صدق التفاؤل بالغراب

نبى من الغربان ليس على شرع * يخبرنا أن الشعوب على صدع
أصدقه فى مرية وقد امترت * صحابة موسى بعد آياته التسع
كأن بفيه كاهنا أو منجما * يخبرنا عما القينا من الفجع
وما كان أفعى أهل نجران مثله * ولا كان للانس الفضيلة فى السجع
أتى وهو طيار الجناح وان مشى * أشاح بما أعياسطيحا من السجع

(قوله أخلفك) أكذب وعدك (أرجأت) أخرت (لا لبثك) لا بطلك وأجعلك تقيم معى (استربت) تشككت وداخلتك الريبة (أغراك) حرضك وألصقك (أصخ) اسمع (قصص) خبر وحديث (سيرتى) عادتى (أضفها) ضمها و(أخبار الفرج بعد الشدة) ان ينزل بالانسان شدة فيشرف منها على الهلاك ثم ينزل الله تعالى تفريجها فالحديث بها يسمى خبر الفرج بعد الشدة ومنها ما جاء فى حديث أنس رضى الله عنه قال كان رجل على عهد النبى صلى الله عليه وسلم يتجر من بلاد الشأم الى المدينة ولا يصحب القوافل توكلا منه على الله تعالى فبينا هو جاء من الشأم عرض له لص على فرس فصاح بالتاجر قف فوقف التاجر وقال له شأنك بمالى فقال له اللص المال مالى وانما أريد نفسك فقال له أنظرنى حتى أصلى قال افعل ما بدالك فصلى أربع ركعات ورفع رأسه الى السماء يقول ياودود ياودود ياذا العرش المجيد يا مبدئ يا معيد يافعالا لما يريد أسألك بنور وجهك الذى ملأ أركان عرشك وأسألك بقدرتك التى قدرت بها على جميع خلقك وأسألك برحمتك التى وسعت كل شئ لا اله الا أنت يا مغيث أغثنى ثلاث مرات واذا بفارس بيده حربة فلما نظره اللص ترك التاجر ومضى نحوه فلما دنا منه طعنه فأرداه عن فرسه ثم قتله وقال للتاجر اعلم أنى ملك من السماء الثالثة لما دعوت الاولى سمعنا لابواب السماء قعقعة فقلنا أمر حدث ثم دعوت الثانية ففتحت أبواب السماء ولها شرر ثم دعوت الثالثة فهبط جبريل عليه السلام ينادى من لهذا المكروب فدعوت الله أن يولينى قتله واعلم ياعبد الله أن من دعا بدعائك فى كل شدة أغاثه الله وفرج عنه ثم جاء التاجر الى النبى صلى الله عليه

فسألته أن يفرشنى دخلته ويسرد على رسالته فقال دون مرامك حرب البسوس أو تعجبنى الى السوس فصاحبته اليها قهرا وعكفت عليه بها شهرا وهو يعلنى كاسات التعليل ويجرنى أعنة التأميل حتى اذا حرج صدرى وعيل صبرى قلت له انه لم يبق لك علة ولالى فى المقام تعلة وفى غد أزجر غراب البين وأرحل عنك بخفى حنين فقال حاش لله أن أخلفك أو أخالفك وما أرجأت أن أحدثك الا لالبثك واذا كنت قد استربت بعدتى وأغراك ظن السوء بمباعدتى فأصخ لقصص سيرتى المتدة وأضفها الى أخبار الفرج بعد الشدة فقلت له هات

وسلم فأخبره الخبر فقال لقد لقنك الله أسماءه الحسنى التي اذا دعي بها أجاب واذا سئل بها أعطى
وقال عمرو السرايا كنت أعبر في بلاد الروم وحدي فبينا أنا نائم اذ ورد علي علج فحركني ثم قال
يا أعرابي اختر اما مسايفة واما مطاعنة أو مصارعة فقلت المسايفة والمطاعنة لا معنى لهما
ولكن المصارعة فلم ينهنهني ان صرعني وقعد على صدري وقال أي قتلة تريد أن أقتلك فذكرت
الدعاء ورفعت رأسي الى السماء وقلت أشهد أن كل معبود ما دون عرشك الى منتهى الارضين
باطل عز وجهك الكريم فقد ترى ما نزل بي وأغمي علي فأفقت والرومي قتيل الى جانبي فقمت
وكنت أعلم الناس هذا الدعاء ووجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد الى العراق فأطلق أهل
سجون الحجاج وضيق على يزيد بن أبي مسلم كاتبه فظفر به يزيد لما ولي افريقية فجعل محمد يقول
اللهم احفظ لي اطلاق الاسرى واعطاء الفقراء فلما دنا يزيد منه وفي يده عنقود قال يا محمد مازلت
أسأل الله أن يظفرني بك فقال له محمد ومازلت أستجير الله منك قال فوالله ما أجارك ولا أعاذك
مني ووالله لاقتلنك قبل أن آكل هذه الحبة من العنب ووالله لو رأيت ملكا يريد قبض روحك
لسبقته اليها وأقيمت الصلاة فوضع حبة العنب بين يديه وتقدم فصلى بهم وكان أهل افريقية
اجتمعوا على قتل يزيد فلما ركع ضربه رجل بعمود حديد فقتله وقال لمحمد اذهب حيث شئت
* وقال حماد الراوية كنت منقطعا الى يزيد بن عبد الملك وكان أخوه هشام يجفوني في أيامه
لذلك فلما مات يزيد وأفضت الخلافة الى هشام خفته فمكثت في بيتي سنة لا أخرج الا لمن آمن
اليه من اخواني سرا فلما لم أسمع أحدا يذكرني في السنة أمنت فخرجت وصليت الجمعة في
الرصافة فاذا شرطيان قد وقفا علي وقالا يا حماد أجب الامير يوسف بن عمر فقلت في نفسي من
هذا كنت أخاف ثم قلت للشرطيين هل لكما ان تدعاني حتى آتي أهلي فأودعهم وداع من لا يرجع
اليهم أبدا ثم أسير معكما اليه فقالا ما الى ذلك من سبيل فاستسلمت في أيديهما وسرت الى يوسف بن
عمر وهو في الايوان الاحمر فسلمت عليه فرد علي السلام ورمى الي كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من عبد الله هشام أمير المؤمنين الى يوسف بن عمر أما بعد فاذا قرأت كتابي هذا فابعث الى حماد
الراوية من يأتيك به من غير تروع ولا تعتع وادفع اليه خمسمائة دينار وجملا مهريا يسير عليه
اثنتي عشرة ليلة الى دمشق فأخذت الدنانير وجعلت رحلي في غرز جمل أعد لي ووافيت دمشق
لاثنتي عشرة ليلة واستأذنت على هشام فأذن لي فدخلت عليه فورا في دار مفروشة بالرخام وبين
كل رخامتين قضيب من ذهب وهو جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب حمر من الخز وقد تضمخ
بالمسك والعنبر فسلمت عليه فرد علي السلام واستدناني فدنوت منه حتى قبلت رجله فاذا جاريتان
لم أر مثلهما قط في أذني كل واحدة منهما حلقتان فيهما لؤلؤتان تتوقدان فقال كيف أنت يا حماد
وكيف حالك فقلت بخير يا أمير المؤمنين قال أتدري فيم بعثت اليك قلت لا قال في بيت خطر ببالي
لم أدر من قائله قلت وما هو قال

ودعوا بالصبوح يوما فجاءت * قينة في يمينها ابريق

فقلت هو لعدي بن زيد في قصيدة له قال أنشدنيها فأنشدته

بكر العاذلون في وضح الصبح * يقولون لي أما تستفيق
ويلومون فيك يا ابنة عبد الله * والقلب عندكم موثوق

لست أدرى اذا أكثر العذل فيها * أعدوّ يلومنى أم صديق

حتى انتهيت الى قوله * ودعوا بالصبوح يوما * البيت

قدّمته على سلاف كعين الديك صفّى سلافها الراووق

مرّة قبل مزجها فاذا ما * مزجت لذّ طعمها من يذوق

وطفا فوقها فقاقيع كاليا * قوت حمر يزينها التصفيق

ثم كان المزاج ماء سحاب * لا ضرى آجن ولا مطروق

قال فطرب ثم قال لى أحسنت والله يا حماد ثم قال لاحدى الجاريتين اسقيه فسقتنى شربة ذهبت بثلث عقلى ثم قال أعده فأعدته عليه فاستخفه الطرب حتى نزل عن فرشه ثم قال للاخرى اسقيه فسقتنى شربة فذهب ثلث آخر من عقلى ثم قال سل حاجتك فقلت احدى الجاريتين فقال هما جميعا لك ثم قال للاولى اسقيه فسقتنى شربة سقطت منها فلم أفق الا والجاريتان عند رأسى وعشرة من الخدم مع كل واحد بدرة فقيل لى يقول لك أمير المؤمنين انتفع بهذا فى سفرك فأخذتها والجاريتين وعاودت أهلى وذكر أبو محمد هذه الحكاية فى الدرّة وقال هذه حكاية تنشر ماثر الاجواد وترغب المتأدب فى الازدياد وهذه النبذة دالة على أخبار الفرج بعد الشدّة فلنقتصر عليها (قوله ما أطول طيلك) أى ما أكثر حيلتك يقال ذلك للكثير الدهاء والتصرّف والطيل الحبل (أهول) أخوف وأغرب (وقير) اتباع لفقير وفائدة الاتباع المبالغة فى معنى الاول وذلك أنك تقول فلان فقير فيكون له الشئ اليسير من المال فاذا قلت وقير فليس له شئ البتة وقيل معنى وقير مثقل بالدين. وقربه والاتباع قصد لانه فسر بقوله لا فتيل لى ولا نقير كان انسانا توهم أن له شيأ فذكر وقيرا لنفيه ثم زاده بيانا بما بعده ولانه ذكر استئناف الدين بعد ذلك ويكون الوقير أيضا من الوقر فى العظم وهو الكسر كانه مكسور العظم كما ان الفقير أصله المكسور الفقار و (الفتيل) الخيط الذى فى شق النواة مثل الفتيلة والنقير الفرض الصغير الذى فى ظهرها وفيه كالنقطة ومنه تنبت النخيل والقطمير اللفافة التى عليها وهى القشرة اللطيفة (صفر اليدين) فراغهما من المال (التطوّق) لبس الطوق أراد أنه لبس من الدين طوقا (ادّنت) أخذت الدين و (الاتفاق) ضدّ الاختلاف (عسر) صعب (توهمت) حسبت (تسنى) تيسر (النفاق) ضد الكساد (توسعت) كثرت (بهظنى) غلبنى وثقل على (حقه) واجبه * أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان ابواب الرزق مفتوحة الى باب العرش فينزل الله تعالى الى عباده أرزاقهم على قدر نفقاتهم فمن قلل قلل له ومن كثر كثر عليه (مستحقه) صاحبه (خرت فى أمرى) أى فى همّ الدين وقال النبى صلى الله عليه وسلم علمنى جبريل دعاء فى الدين وهو أن يصلى اذا زالت الشمس أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة بأمّ القرآن وآية الكرسى وقل هو الله أحد فاذا سلم قرأ قل اللهمّ مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذلّ من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحىّ من الميت وتخرج الميت من الحىّ وترزق من تشاء بغير حساب ثم يقول يا فارج الهمّ يا كاشف الغم يا مجيب دعوة المضطرّ يا رحيم الدنيا والآخرة ارحمنى رحمة تغنينى بها عمن سواك واقض دينى فان الله تعالى يقضى دينه عنه وفيها اسم الله الاعظم (غريمى) صاحب دينى سمى غريما الادامته التقاضى والحاحه وملازمته من

فما أطول طيلك وأهول حيلك فقال اعلم أن الدهر العبوس ألقانى الى طوس وأنا يومئذ فقير وقير لا فتيل لى ولا نقير فألجأنى صفر اليدين الى التطوق بالدين فادنت لسوء الاتفاق ممن هو عسر الاخلاق وتوهمت تسنى النفاق فتوسعت فى الانفاق فما أفقت حتى بهظنى دين لزمنى حقه ولازمنى مستحقه فخرت فى أمرى وأطلعت غريمى

عليه الدين ويكون الغريم أيضا المطلوب بالدين لان الدين لازم له كما قال الشماخ
ناوذ بغالب الشرفين منها * كما لاذ الغريم من التبيع
(عسرى) فقرى ومثله (املاقى) وأملق ذهب ماله مشتق من الملقات وهى الصخور الملس كانه افتقر حتى لم يبق له ما يلبس الاجلده الاملس (نزع) كف (ارهاقى) تكليفى مالا أطيق وأرهقته كلفته مشقة والرهق الظلم (جد) عزم واجتهد (التقاضى) طلب المال (لج) عزم وركب رأسه (استنزلت) طلبت (رفق الكرام) لطفهم وحنانهم على الفقير (مياسرة) لين ومساهلة (ينظرنى) يؤخرنى والانظار الامهال وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه من فوعا من أنظر معسرا أظله الله فى ظله يوم لاظل الاظله (ميسرة) غنى (احتجان) اختزان واحتجنت الشئ ضممته بالمحجن وهو عود معقف (النضار) الذهب (مسالك الخلاص) طرق النجاة (سبائك) فقر وقطع (الخلاص) بالكسر الذهب الخالص (احتداد) اشتداد وقد احتد (لدده) خصامه والحاحه (مناص) مخلص ومفر وناص عن قرينه نوصا ومناصا اذا فزع وفر وما أحسن ما قال العبدى فى محمد بن ابراهيم يشكو غريما لازمه
اقض عنى يا ابن عم المصطفى * أنا بالله من الدين وبك
من غريم فاحش قد عزنى * أسود الوجه لعرضى منتهك
أنا والظل وهو ثالثنا * أينما زلت من الارض سلك
(شاغبته) شاررته أى أوقعت بينى وبينه الشغاب (واثبته) ضاربته ووثبت اليه ووثب الى (والى الجرائم) حاكم الجنايات و(الحاكم فى المظالم) هو القاضى (افضال) انعام (فضله) جوده وكرمه (وتشدد) بخل ورجل شديد ومتشدد أى بخيل قال الله تعالى وانه لحب الخير لشديد أى لبخيل من أجل حبه الخير وهو المال أو تشدد شدته على من تعين قبله حق (آنست) علمت وأحسست (بأس) ضر (وبوس) شدة (بيضاء) رقة يكتب فيها ولابن الرقاق فيهما
وواضحة كمثل النصل تجرى * مع الابصار كالماء القراح
ترى حبك المداد بجسم نور * كمخضر الفرند على الصفاح
كأن سواده فى صفحتيها * بقايا الليل فى وجه الصباح
(رقطاء) فيها حرف منقوط وآخر غير منقوط والرقطاء عندهم الدجاجة المرقشة وهى المنقطة بسواد وبياض ومنه قيل للنمر أرقط لان فيه تنقيطا خلاف لونه ولوشكر لمعطيه الدواة لانشد هذه الابيات وهى لابن سكرة
أخ مزجت بروحى روحه وجرى * منه مجرى دمى فى الجسم أفديه
أهدى الى دواة لو كتبت بها * دهرى أياديه لم تنفد أياديه
وهذه الرسالة التى أنشأها أبو محمد أبدع فيها بما أراد وأغرب بها وأجاد وتشد من الشعر النفيس فى مدح الرسائل ما يجرى لها كالوصف ويسرى بذكرها طيب العرف فمن ذلك قول أبى تمام
مداد مثل خافية الغراب * وقرطاس كرقراق السراب
والفاظ كالفاظ المثانى * وخط مثل وشم يد الكعاب
كتبت ولو قدرت هوى وشوقا * لكنت اليك سطرا فى الكتاب

على عسرى فلم يصدق املاقى ولا نزع عن ارهاقى بل جد فى التقاضى ولج فى اقتيادى الى القاضى وكلما خضعت له فى الكلام واستنزلت منه رفق الكرام ورغبته فى أن ينظرنى بمياسرة أو ينظرنى الى ميسرة قال لا اطمع فى الانظار واحتجان النضار فوحقك ما ترى مسالك الخلاص أو ترينى سبائك الخلاص فلما رأيت احتداد لدده وأن لا مناص لى من يده شاغبته ثم واثبته لترافعنى الى والى الجرائم لا الى الحاكم فى المظالم لما كان بلغنى من افضال الوالى وفضله وتشدد القاضى وبخله فلما حضرنا باب أميرطوس آنست أن لا بأس ولابوس فاستدعيت دواة وبيضاء وأنشات رسالة رقطاء

وهى اخلاق سيدنا تحب
وبعقوته يلب وقربه تحف
ونأيه تلف وخلته نسب

وله فى كتاب جاء من الحسن بن وهب

لقد جلى كتابك كل بث * جوى وأصاب شاكلة الرمى
وكان أغض فى عينى وأندى * على كبدى من الزهر الجنى
وأحسن موقعا منى وعندى * من البشرى أتت بعد النعى
فكائن فيه من معنى خطير * وكائن فيه من لفظ بهى
فيا ثلج الفؤاد وكان رضفا * ويا شبعى برونقه وريى

من أبيات كلها عيون وفيما ذكرنا دليل على ما تركنا وقال أبو نواس فى كتاب ورد عليه من صديق

و وارد ورد انشاء يؤكده * صدوره عن سليم الورد والصدر
شدت بتيجانه منه على نزه * تقسم الحسن بين السمع والبصر
عذوبة صدرت عن منطق يقع * كالماء يخرج ينبوعا من الحجر
وروضة من رياض الفكر بهجها * صوب القرائح لا صوب من المطر
كأنما نشرت أيدى الربيع بها * بردا من الوشى أو ثوبا من الحبر

(ولابن طاهر فى ابن ثوابة)

فى كل يوم صدور الكتب صادرة * عن رأيه وندى كفيه عن مثل
عن خط أقلامه خط القضاء على الأعداء بالموت بين البيض والاسل
لعابها عسل فى الصدر تبعثه * وربما كان فيه النفع للعلل
كأن أسطارها فى بطن مهرقة * نور يضاحك دمع الواكف الخضل

وقال بعضهم كتاب فيه من غرر المعانى * قلائد لا تنظمها اليدان
اذا نشرت صحائفه تجلت * بروضتها أزاهير المعانى
ترود العين منها فى مراد * مريع جاده فيض البنان
كأن مجال عين الفكر فيه * مجال اللحظ فى غرر الحسان

وقال آخر يدير على القرطاس أسمر مرهفا * اذا دار لم تلحق به البيض والسمر
كأن المعانى روضة وهو غيثها * فهما سقى أغصانها ضحك الزهر

وقال الرمادى قلم الوزير وكفه * هذا يصول وذا يطول
أضحى كليث خنية * وذواته للبث غيل

(قوله أخلاق سيدنا تحب) حسن أخلاق الانسان من كمال سعادته وكرم فضيلته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى مع أن الله عز وجل يقول فيه وانك لعلى خلق عظيم (قوله وبعقوته يلب) اى بمنزله يقام لحماية الممدوح من يلوذ به واكرامه له (وقربه تحف) اى من قرب منه أتحفه وهاداه ومن بعد منه فقد الامن فهلك (والنأى) البعد ولما كان القرب سببا للتحف والنأى سببا للتلف جعل نفس القرب والبعد هما الحياة والموت (خلته) صداقته (نسب) اى هو للصديق بمنزلة النسيب قيل لبزرجمهر من أحب اليك أخوك أم صديقك فقال لا أحب أخى الا اذا كان صديقى وقال أكثم بن صيفى القرابة تحتاج الى مودة والمودة لا تحتاج الى قرابة وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما

القرابة قد تقطع والمعروف قد يكفر وما رأيت كتقارب القلوب أخذه ابن مناذر فقال

قد تقطع الرحم القريب وتكفر النعمى ولا كتقارب القلبين

يدني الهوى هذا ويدني ذا هوى * فاذا هما نفس ترى نفسين

أخذه أبو تمام فحسنه فقال

فان الفتى في كل حال مناسب * تناسب روحانية من يشاكل

ولن ينظم العقد الكعاب لزينة * كما تنظم الشمل الاشت الشمائل

وقد تقدم حديث الارواح جنود مجندة ونظم الحسن له وقال الشاعر

لا خير في قربى بغير مودة * ولرب منتفع بود أباعد

واذا وجدت من البعيد مودة * فامدد له كف القبول بساعد

(قوله وقطيعته نصب) اى عداوته هم وتعب وقد قال أبو تمام

والا فاعلمه بأنك ساخط * ودعه فان الخوف لاشك قاتله

(غربه) اى حده (ذلق) اى حاد (شهبه) نجومه يعني أخلاقه ومكارمه (تأتلق) تضيء (وظلفه) منعه وكفه وظلفت نفسي عن الشيء منعتها منه (زان) يزين يقول ان قعه من تجاوز قدر ومنعه من سأل ما لا يجب زين بالممنوع وشرف بالمقموع فتأديب الملوك لا عار به وانما العار أن يهينك كفوك ومن لا حكم له عليك وقال المتنبي

ومن شرف الاقدام انك فيهم * على القتل موموق كانك شاكد

وان دما أجريته بك فاخر * وان فؤادا رعته لك حامد

وقال حبيب

خشعوا لصولتك التي هي عندهم * كالموت يأتي ليس فيه عار

وقال آخر وان أمير المؤمنين وعتبه * لك الدهر لا عار بما فعل الدهر

واذا تزين بمنعه فاظنك بعطائه على أن اليد القابلة للجدوى وهي اليد السفلى لا تنفك عن حشمة أو ذلة وقد اعتذروا لهذا المعنى قال أبو تمام

رأيت رجائي فيك وحدك همة * ولكنه في سائر الناس مطمع

وقال أيضا تدعى عطاياه وفرا وهي ان شهرت * كانت فخارا لمن يعروه مؤتنفا

ما زلت منتظرا أعجوبة زمنا * حتى رأيت نوالا يقتضي شرفا

وقال ابراهيم بن العباس

اذا طمع يوما عراني منحته * كتائب يأس كرها وطرادها

سوى طمع يدني اليك فانه * يبلغ أسباب العلا من أرادها

وقال الجريمي عطاؤك زين لامرئ ان أصبته * بخير وما كل العطاء يزين

وليس بعار لامرئ بذل وجهه * اليك كما بعض السؤال يشين

وقال أبو الطيب وفيض نواله شرف وزين * وفيض نوال بعض الناس ذم

وقال ابن أبي خالد شرف للشريف منك نوال * رب نيل تعافه الاحرار

فزاد بقوله للشريف على من سبق (قوله قويم نهجه) أي مستقيم طريقه (بان) تبين (قلب)

وقطيعته نصب وغربه ذلق
وشهبه تأتلق وظلفه زان
وقويم نهجه بان وذهنه
قلب وجرب ونعته

بحث (شرق وغرب) أى مشى بوصفه المادحون شرقا وغربا وأنشد المتنبى و زاد فيه معنى

ستحيا بك السمار ما لاح كوكب * وتحدو بك السفار ما ذرّ شارق
تخلى من الدنيا لينسى فما خلت * مغاربها من ذكره والمشارق

(قلب) درّب بالامور وفلان حول قلب اذا كان متصرّفا فى أموره نفاعا لاوليائه ضرارا لاعدائه كانه لمعرفته بالامور قد حوّل الامور وقلبها و (مبر) أى غالب لاعدائه (فطن) ذكى (مغرب) يأتى بالغرائب (عزوف) نزيه النفس بعيد من الريب (عيوف) كاره للدنايا (والمتلف) عند العرب الذى يتلف ماله بالجود و (المخلف) الذى يخلف ما أتلف بالاغارة على الاعداء وأخذ أموالهم يصفه بالشجاعة والكرم وقال البحترى

بأروع من طىّ كأن قميصه * يزرّ على الشيخين زيد وحاتم
سماحا وبأسا كالصواعق والحيا * اذا اجتمعا فى العارض المتراكم

وقال ابن الرومى لم تخلنى قط من صنائعك الـ*ـغرّ ولا من حروبك الضرس

تصرّف الغيث فى صواعقه * وتارة فى سجاله البجس

(وقال البحترى)

ضحوك الى الابطال وهو قريعهم * وللسيف حدّ حين يسطو ورونق
حياة وموت واحد منتهاهما * كذلك غمر الماء يروى ويغرق

وقال ديك الجن هو عارض زحل فمن شاء الحيا * أرضى ومن شاء الصواعق أغضبا

وقال أبو مسهر

تحيا الانام به فى الجدب ان قحطوا * جودا وتشقى به يوم الوغى الهام
كالمزن يجتمع الحالان فيه معا * ماء ونار وارهام واضرام

وقال ابن الرومى والناس طرا بين مرتقب * سطواته ومؤمل نفعه

كالعارض التهبت صواعقه * وسقى البلاد فلم يدع بقعه

(قوله أغر) مشهور (فريد) ليس له نظير (نابه) رفيع الذكر (ذكى) متوقد الفطنة ويروى زكى وهو الطاهر العفيف وقيل هو المتزيد فى الخير والزكاء النماء والزيادة (أنوف) كثير الحمية والغضب لما يستراب منه (مفلق) فصيح وأفلق جاء بالفلق وهى الداهية كانه جاء من الفصاحة بما لا يطاق (أبان) بين كلامه (طبّ) حاذق حسن التدبير (ناب هياج) حدث شر واختلاف (جل خطب) عظم أمر (مناظم) جمع منظوم (تأتلف) تجتمع يريد أن ما ينظم فى شرفه من المدائح يأتلف بلا تكلف على الشعراء لكثرة صفات الفضل والسودد كما قال حبيب

تغاير الشعر فيه اذ سهرت له * حتى ظننت قوافيه ستقتتل

وقال أبو الطيب لك الحمد فى الدر الذى لى لفظه * فانك معطيه وانى ناظم

وقال آخر ما لقينا من فضل جود بن يحيى * صير الناس كلهم شعراء

شؤبوب حبائه) دفع عطائه والشؤبوب دفع المطر (يكف) يقطر و يسقط (نائل) عطاء (فاض) سال وخرج على الارض (غاض) غاب وجف (والخلف) حلمة الضرع الذى يحلب منه اللبن وهو أيضا اسم للضرع (سخائه) جوده (عيابه) جمع عيبة (يحترب) يستلب أى لكثرة جوده

قوله ستحيا البيتين ليسا على ترتيب القصيدة التى فى الديوان اهـ

شرق وغرب
سد قلب سبوق مبر
فطن مغرب عزوف عيوف
مخلف متلف أغر فريد
نابه فاضل ذكى أنوف
مفلق ان أبان طب اذا نا
ب هياج وجل خطب مخوف
مناظم شرفه تأتلف وشؤبوب
حبائه يكف ونائل يديه فاض
وشح قلبه غاض وخلف
سخائه يحتلب وذهب
عيابه يحترب

كان ماله يسلبه القاصدون له (من الف لفه) أى من التف به ودخل فى جماعته واللف لفيف الناس ولف القوم اجتمعوا والتف بعضهم ببعض وأخذ هذا اللفظ من قول الاعشى

وقد ملأت بكر ومن لف لفها * نباكا فاحواض الربا فالنواعصا

بكر قبيلة ومن لف لفها أى من التف بها (فلج) أى ظفر بما أحب (جلب) ساق أى التاجر الذى يقصد بابه بما جاب اليه من الفوائد يجازيه على ذلك بالعطاء الكثير فلكثرة ما أخذ فكانه قد خدعه والملك المفضال يوصف أنه يخدع لكثرة هباته وقيل لعرابة بم سدت قومك قال أتخدع لهم فى مالى (هضم) نقص أراد أنه لا يهضم ولا يظلم من لم يذنب اليه (غوى) ضال مفسد (لبانه) أى لين خلقه (بعز) يمنع ويعظم والعزة فى اللغة الشدة والمنعة والعزاز الارض الصلبة يريد أن الامير اذا انبسط لم يهب واذا اشتدت سطوته لم يؤلف فالة هذا الممدوح بين العزة واللين وقال أبو تمام الجد شيمته وفيه فكاهة * سمح ولا جد لمن لم يلعب

شرس ويتبع ذاك لين خليقة * لا خير فى الصهباء مالم تقطب

(نكب) عدل ومال (مذهب) طريق (كز) بخيل قليل الخير (وثاب) عجول كثير الوثوب (نهزة) فرصة وغنيمة (يعف) يكف نفسه (بر) مطيع لله أراد أنه عفيف عن المحارم (قوله شعفا) اى حبا يطلب الغاية وشعاف القلب أعلاه يريد أن عفافه بلغ غاية الحب من القلوب وفلان مشعوف بفلان اذا ذهب به حبه كل مذهب * الفراء هو من الشعف وهى رؤس الجبال واحدها شعفة فكان معنى شعف بفلان ارتفع حبه الى أعلى موضع فيه (لبابه) خالصه (خلاب) آخذ للنفس غالب عليها (غر) حسان (ترف) تتلألأ وتشرق والرفيف بريق اللون (وفوقه) سهمه (والفوق) طرف السهم الذى يلى الوتر (ناضلته) راميته يقول سهمه (غلاب) لمن راماه (سجح) سهل الخلق (يهش) يهتز طربا (تلاف) تدارك (هفا) زل وسقط والهفوة الزلة (خل) صاحب (يرتاب) يشك (خرق) كريم جواد يتخرق فى العطاء (يعتر) يقصد (برز) ظاهر غير محتجب قال الفنجديهى رجل برز أى عفيف عاقل كريم (لا يليه باب) أى لا يحتجب ببابه دون قصاده ومما قيل فى الحجاب شاد الملوك قصورهم وتحصنوا * من كل طالب حاجة أو راغب

غالوا بأبواب الحديد لعزها * وتنافسوا فى قبح وجه الحاجب

فاذا تلطف للدخول عليهم * راج تلقوه بعذر كاذب

فاطلب الى ملك الملوك ولا تكن * بادى الضراعة طالبا من طالب

هى لمحمود الوراق وقال أبو مسهر أتيت أبا جعفر محمد بن عبد الكافى فحجبنى فكتبت اليه

انى أتيتك للتسليم أمس فلم * تأذن عليك لى الاستار والحجب

وقد علمت بأنى لم أرد ولا * والله ماردّ الا الحلم والادب

فاجابنى بهذا القول

لو كنت كافأت بالحسنى لقلت كما * قال ابن أوس وفيما قاله أدب

ليس الحجاب بمقص عنك لى أملا * ان السماء ترجى حين تحتجب

وقال حبيب سأترك هذا الباب مادام اذنه * على ما أرى حتى يلين قليلا

فما خاب من لم يأته متعمدا * ولا فاز من قد نال منه وصولا

من الف لفه فلج وغلب
وتاجر بابه جاب وخلب
كف عن هضم برى وبرئ
من دنس غوى وقرن لبانه
بعز ونكب عن مذهب
كز ليس بوثاب عند نهزة
شربل يعف عفة بر
فلذا يحب ويستحق عفافه
شعفا به فلبابه خلاب
أخلاقه غر ترف وفوقه
فوق اذا ناضلته غلاب
سجح يهش وذو تلاف ان هفا
خل فليس بحقه يرتاب
لا با خل بل باذل خرق اذا
يعتر برز لا يليه باب

ولا جعلت أرزاقنا بيد امرئ * حمى بابه من أن ينال دخولا
اذا لم أجد للاذن عندك موضعا * وجدت الى ترك المجيء سبيلا

وحجب أبو العتاهية عن بعض الهاشميين وقال له تكون للـ عودة فقال

لئن عدت بعد اليوم اني لظالم * سأصرف نفسي حيث تبغي المكارم
متى يظفر الغادي اليك بحاجة * ونصفك محجوب ونصفك نائم

قال المتنبي
أصبحت تأمر بالحجاب لخلوة * هيهات لست على الحجاب بقادر
من كان ضوء جبينه ونواله * لم يحجبا لم يحتجب عن ناظر
فاذا احتجبت فأنت غير محجب * واذا بطنت فأنت عين الظاهر

وقال جرير
قوم اذا حضر الملوك وفودهم * نتفت شواربهم على الابواب

وقال آخر
نهيت جميع الناس عن كل خطة * يدبرها في رأيها ابن هشام
فلما وردنا الباب أيقنت أننا * على الله والسلطان غير كرام

وقال آخر
وكل خفيف الشان يدعى مشمرا * اذا فتح البواب بابك اصبعا
ونحن الجلوس الماكثون توقرا * حياء الى أن يفتح الباب أجمعا

ان عض أزل فل غرب عضاضه
بغنائه فانحت منه ناب

(قوله عض أزل) أي اشتد زمان والازل ضيق العيش من الجدب والقحط وعض قبض باسنانه (فل) كسر (غرب) حد (بغنائه) بكفايته (انحت) انكسر (ناب) سن يقول ان عضت الشدائد الناس وأضرت بهم دفعها وكسر أنيابها بمواهبه وخيره لمن افقرته ومن مليح ما قيل في هذا المعنى

قول المتنبي
اظمتني الدنيا فلما جئته * مستسقيا مطرت علي سحائبا
حال متى علم ابن منصور بها * جاء الزمان الي منها تائبا

نقل المتنبي اللفظ والمعنى من قول أبي تمام
كثرت خطايا الدهر في وقد يرى * لنداك وهو الي منها تائب

والم به الحصني أيضا في قوله
وقد تحسن الايام بعد اساءة * ويذنب صرف الدهر ثم يتوب

وقال ابن المعتز
وعوقني الدهر عن قربه * زمانا فقد تاب عن ظلمه

وقال ابن الرومي
أساءت لي الايام يا ابن محمد * وهن الي اليوم معتذرات
رأين مطافي حول عفوك عائذا * فهن لما أبصرنه حذرات

وقال أبو تمام
اذا العيس لاقت بي أبا دلف غدا * تقطع ما بيني وبين النوائب

وقال أبو نواس
أخذت بحبل من حبال محمد * أمنت به من طارق الحدثان
تغطيت من دهري بظل جناحه * فعيني ترى دهري وليس يراني
فلو تسأل الايام عني ما درت * وأين مكاني ما عرفن مكاني

وقال أيضا
أنا في ذمة الخصيب مقيم * حيث لا تهتدي صروف الزمان
قد عرفنا من الخصيب خلالا * آمنتنا طوارق الحدثان
كيف أخشى من الليالي اغتيالا * ومكاني من الخصيب مكاني

(قوله جدير) اى حقيق (لب) كان لبيبا وعاقلا (شطن) بعد (أذعن) ذل وانقاد (القريع) السيد يدفع ضرالزمن ويقرعه (جابر زمن) اى مغنى فقير والزمن المقير الذى لازمه الفقر أو المريض الذى لازمه المرض وبه زمانة وأصل ذلك من الزمن (لبانه) اى لبن أمه وقال فى الدرة وقولهم الرضيع الانسان ارتضع بلبنه صوابه بلبانه لان اللبن هو المشروب واللبان هو مصدر لابنه اى شاركه فى شرب اللبن هذا معنى كلامهم الذى نحوا اليه ولفظوا به (التهتان) سيلان المطرو (افاضته) صبه وأراد فى لبن أمه ارتضع الجود فداوم عليه كقول المتنبى

سموا للمعالى وهم صبية * وسادوا وقادوا وهم فى المهود

وقد غلط المتنبى فى هذا ونسب فيه الى الكذب والمحال الفاضح لان سيادة الاطفال فى المهود وقود الجيوش من أمحل المحال وهذا وان كان ظاهره كذلك فقد اتسعت العرب وأهل الادب فى هذا القدر وأقاموا تخيل النجابة فى المولود فى مهده مقام وجودها فى كبره ثم اذا وجدوا صفة الكمال فى الرجل التام حكموا بكمالها لانه رضعها فى ثدى أمه او غذى بها فى بطن أمه ألا ترى قوله تعلمت العلم قبل أن يقطع سرك وسررك وقبل أن يقطع ذلك كان فى بطن أمه وهذا لم ينكره أحد ومن شعر الحماسة فى الذى رأى المهلب فى مهده فقال

خذونى به ان لم يسد سرواتهم * ويبرع حتى لا يصاب له مثل

وفيها أيضا لئن فرحت بى معقل عند شيبتى * لقد فرحت بى بين أيدى القوابل

وذلك لتخيل النجابة فيه فى ذلك الوقت ألا ترى ما تثبت نساء العرب من بلوغ السيادة لابنائهن عند ترقيصهن وانظر الى ذلك ان شئت فى فصل نظمناه فى كتابنا الموضوع لاختصار نوادر أبى على فقد سقط عن المتنبى والحريرى بهذا ما عيب عليهما وقال سوار بن أبى شراعة

تعرف السودد فى مولودهم * وتراه سيدا ان أيفعا

(نعش) رفع الضعيف بجوده (فرج) أزال همه (منافر) فاخر (أبهج) أدخل السرور على أحبابه اذا كان له الغلب (نافر) حاكم فى النسب وكانوا فى الجاهلية اذا تنازع الرجلان الشرف تنافرا الى حكامهم فيفضلون الاشرف وسميت منافرة لانهم كانوا يقولون عند المفاخرة أينا أعز نفرا وأشهر منافرة فى الجاهلية منافرة عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب مع علقمة بن علاثة بن عوف بن الاحوص بن جعفر حين قال له علقمة الرياسة لجدى الاحوص وانما صارت الى عمك أبى براء من اجله وقد أسن عمك وقعد عنها فانا أولى بها منك وان شئت نافرتك فقال عامر قد شئت والله لانا أكرم منك حسبا وأثبت نسبا وأطول قصبا فقال علقمة أنافرك وانى لبر وانك لفاجر وانى لولود وانك لعاقر وانى لعف وانك لعاهر وانى لواف وانك لغادر فقال عامر أنافرك أنا أسنى منك سنة وأطول قمة وأحسن لمة واجعد جمة وأبعد همة فقال علقمة أنت جسيم وانا قضيف وأنت جميل وانا قبيح ولكن انافرك أنا اولى بالخيرات منك فخرجت أم عامر فقالت نافره ايكما اولى بالخيرات ففعلوا على ان جعلوا مائة من الابل يعطاها الحكم الذى ينفر عليه صاحبه فخرج علقمة ببنى خالد بن الاصغر وبنى الاحوص ومعهما القباب والجزور والقدور ينحرون فى كل منزل يطعمون وخرج عامر ببنى مالك وقال انها المقارعة عن احسابكم فاشخصوا بمثل ما شخص به وقال لعمه أبى براء أعنى فقال سبنى فقال

وجدير بمن لب وفطن وقرب وشطن أن أذعن لقريع زمن وجابر زمن مذ رضع ثدى لبانه خص بافاضة تهتانه نعش وفرج وضافر ونافر فأزعج فأبهج

وفاء بحق أبلج أتعب من
سيلي وقرظ اذ هز وبلى
وتوج صفاته بجب عفاته
فلا خلا ذا بهجة
يمتد ظل خصبه
فانه بر حسن
آنس ضوء أشهبه
زان مزايا ظرفه

لا أسبك وأنت عمي فقال وأنا لا أسب الاحوص وهو عمي ولكن دونك نعلى فاني ربعت فيها أربعين سنة ولم ينهض معه فجعلا منافرتهما الى أبي سفيان بن حرب بن أمية ثم الى أبي جهل بن هشام فلم يقولا بينهما شيأ ثم رجعا آخرا الى هرم بن قطبة بن سيار بن عمرو الفزاري فقال لعمري لأحكمن بينكما فأعطياني موثقا أطمئن اليه ان ترضيا بحكمي وتسلما ماقضيت بينكما ففعلا فأقاموا عنده أياما فارسل الى عامر فأتاه سرا فقال قد كنت أحسب ان لك رأيا وأن فيك خيرا وما حبستك هذه المدة الا لتنصرف عن صاحبك أتنافر رجلا لا تفتخر أنت وقومك الا بآبائه فما الذي أنت به خير منه فقال عامر نشدتك الله والرحم أن لا تفضل علي علقمة فوالله لئن فعلت لا أفلح بعدها هذه ناصيتي فاجزرها واحتكم في مالي فان كنت ولا بد فاعلا فسو بيني وبينه فقال هرم انصرف فسوف أرى رأيي فانصرف عامر وهو لا يشك انه ينفره عليه ثم أرسل الى علقمة سرا فقال له ما قال لعامر فقال له أتفاخر رجلا هو ابن عمك في النسب وأبوه أبوك وهو مع ذلك أعظم منك غناء وأحمد لقاء وأسمح سماحا فما الذي أنت به خير منه فرد عليه علقمة مارد عامر وانصرف وهو لا يشك أنه ينفر عامرا عليه فأرسل هرم الى بنيه وبني أخيه وقال لهم اني قائل غدا بينهما مقالة فاذا فرغت فليطرد بعضكم عشر جزائر فلينحرها عن علقمة وليطرد بعضكم مثلها فلينحرها عن عامر وفرقوا بين الناس لا يكون بينهم جماعة ثم أصبح هرم فجلس مجلسه وأقبل عامر وعلقمة حتى جلسا فقال هرم انكما يا بني جعفر قد تحاكمتما الي وأنتما كركبتي البعير الآدم الفحل تقعان على الارض وليس فيكما واحد الا وفيه ماليس في صاحبه وكلا كما سيد كريم ولم يفضل واحدا منهما على صاحبه لئلا يجلب بذلك شرا بين الحيين ونحرت الجزر وفرق على الناس وعاش هرم حتى أدرك خلافة عمر رضي الله عنه فقال يا هرم أي الرجلين كنت مفضلا لو فعلت فقال لو قلت ذلك اليوم عادت جزعة ولبلغت شعفات هجر فقال عمر نعم مستودع السر أنت يا هرم مثلك فليستودع العشيرة أسرارهم والحكاية طويلة وقال فيه الاعشى

حكمتموه فقضى بينكم * أبلج مثل القمر الباهر
لا يقبل الرشوة في حكمه * ولا يبالي غبن الخاسر

(قوله فاء) اى رجع (أبلج) بين ظاهر (اتعب من سيلي) يقول ان الامير الذي يأتي بعده في تعب لانه يروم أن يفعل مثل مافعل فيعجز عنه وأعاد هذا المعنى منظوما في السابعة والثلاثين حين قال

سماحه ازرى بمن قبله * وعدله أتعب من بعده

أخذه من قول رجل قال لاحد الامراء وقد عزل عن عمله أصبحت والله فاضحا متعبا أما فاضحا فلكل وال قبلك بحسن سيرتك وأما متعبا فلكل وال بعدك أن يلحقك (قرظ) مدح (هز) حرك بالثناء عليه (بلى) جرب (توج صفاته) أي زينها وشرفها (عفاته) قصاده (بهجة) سرور وكنى بخصبه عن ماله ودعاله بالبركة والكثرة اذ جعله ممتد الظل (بر) مكرم (آنس) أبصر (شهبه) نيرانه الساطعة واحدها شهاب وأصل هائه التثقيل فخففت وكانت العرب توقد النيران فيقصدها الاضياف بالليل أراد أنه كثير الاكرام لمن يقصد ناره وأخذ اللفظ من قوله تعالى آنس من جانب الطور نارا (مزايا) فضائل (ظرفه) حسن هيئته وعذوبة لسانه وهو مصدر ظرف يظرف ظرفا فهو ظريف فمن قال الظريف البليغ وقصره على اللسان لم يجزله أن يقول ما أظرف زيد على

الاستفهام ومن جعل الظرف حسن الوجه والهيئة جازله ذلك وكذلك من جعل الظرف عاما فيكون معناه أى شئ فيه الظرف أوجهه أم هيئته أم ذكاؤه وبلاغته (بلبس) اختلاط أراد أنه يخلط الهزل بالجد والمزاح وخفة الطرب بالانقباض والحشمة وقد تقدم فى صفة التنوخى مثل هذا (والمزايا) جمع مزية وهى التمام والكمال وأصلها من الزى (فوزه) ظفره (تأثلت) تقدمت واتصلت (جلت) عظمت (فوته) سبقه (صنائع) أفعال جميلة (نمت) اشتهرت (يلائم) يوافق (حضرته) موضعه الذى يحضر فيه والقرب جمع قربة وهى ما يتقرب به من أعمال البر الى الله تعالى ومن الهدايا الى الملوك (غوث) اغاثة وكشف ضر (رقه) عبده (حظ) نصيب (حظوته) مكانته ورفعته (تليد ندب) تقول ندبت القوم دعوتهم يريد أنه عبد للدعوة التى دعاه بها خصمه الى الوالى والتليد من العبيد ما ولد عند غيرك ثم اشتريته صغيرا فكبر عندك وجعل نفسه عبدا للدعوة لما تعبد بها أو يريد بالتليد القديم فان التليد والتالد المال القديم والندب الهم من ندبت الميت ندبا فيريد أنه قديم هم ورجل ندب أى خفيف فى قضاء الحوائج لاصحابه فيريد على هذا تليد ندب أى خفيف ومن هذه صفته فقد وجبت حرمته (وشريد جدب) طريد فقر وجوع والجدب ضد الخصب (نوب) نوازل (أثرت) أبقت به أثرا وأثرها أخذها ماله حتى عاد فقيرا فمن نظره رأى أثر النوائب عليه (ناظم قلائد) قائل قصائد ورسائل (تسيرت) مشت فى الناس والبلاد (جاش لخطبة) تحرك صدره للكلام بها يريد أنه اذا أراد قول خطبة ازدحم الكلام فى صدره وارتفع كما يجيش القدر أى يغلى وتقدم هذا الكلام (قس) فصيح العرب ويأتى ذكره فى الاربعين (ثم) معناه هنالك (باقل) تقدم يريد أن قسا على فصاحته لو حضر مع الموصوف لنظم أو نثر لرجع فى عى باقل والعادة انما يذكر معه سحبان للزوم الرسالة وقال حبيب وذكر ثلاثة من أصحاب عبد الله ابن طاهر

أول حازوا خلائق قد تيقنت العلا * كل التيقن انهن نجومها
ثان لو أن باقلا المفهت يبرى * فى مدحها سهلت عليه حزومها
ثالث ولو أن سحبانا يسحب ذيله * فى ذمها لم يدر كيف يذيمها

(حبر) قال شعرا أو رسالة وأصل حبر وشى وزين (حبر) ثياب موشاة (نمنمت) زينت ورقت (نمت) تحركت بالروائح العطرة وقال الصابى فى المهلبى وكأنه يصف هذا الكلام

وان استنطق الانامل جاءت * ببيان كالجوهر المنضود
فى سطور كأنما نشرت * منها عصائب من برود
فقر لم يزل فقيرا اليها * كل مبدى بلاغة ومعيد
يغتدى البارع المفيد لديها * لاحقا بالمقصر المستفيد
ببيان شاف ولفظ مصيب * واختصار كاف ومعنى سديد

(وله فى مثله أيضا)

وكم من يد بيضاء حازت جمالها * يدلك لا تسود الا من النفس
اذا رقشت بيض الصحائف خلتها * تطرز بالظلماء أردية الشمس

(وقال السرى رحمه الله تعالى)

بلبس خوف ربه
فليرن سيد نافوزه بمفاخر
تأثلت وجلت وفوته
بصنائع نمت ونمت ويلائم
قرب حضرته غوث رقه
بحظ من حظوته فانه تليد
ندب وشريد جدب وجريح
نوب أثرت وناظم قلائد
تسيرت اذا جاش لخطبة
فلا يوجد قائل ثم قس ثم
باقل فان حبر قلت حبر
نمنمت وخلت رياضا قد نمت

شغلتك عن حسن الشآم مدائح * حسنت فما تنفك تطرب سامعا
زهر اذا صافحن سمع معاقد * خفض الكلام وغض طرفا خاشعا
جاءتك مثل بدائع الوشى الذى * مازال فى صنعاء يتعب صانعا
أو كالربيع يريك أخضر يانعا * متوردا ترفا وأصفر فاقعا

(وله أيضا فى مثله)

سأبعث الحمد موشيا سبائبه * الى الامير صريحا غير مؤتشب
ان المدائح لاتهدى لناقدها * الا وألفاظها أصفى من الذهب
كم رضت بالفكر منها روضة انفا * تفتح الزهر فيها عن جنى الادب
لفظ يروح له الريحان مطرحا * اذا جعلناه ريحانا على النخب

(قوله شربه) أى حظه من الماء (برض) قليل (قرض) سلف والقرض ما أخذ ليعوض منه (وفلقه) ضوء صبحه (غسق) ظلام يريد أن حاله متغيرة (جلبابه) ثوبه (خلق) بال (توغر) توقد واشتد غضبه والتوغر التوقد لشدة الغيظ والوغرة شدة الحر (غاشم) ظالم جاف (يستحثه) يستعجله (لازم) واجب (منّ) أنعم واحسن (بكفه) برده عنى (هبات) عطايا (توشح) تحزم وتزين وتوشح الرجل بثوبه جعله موضع الوشاح وتحزم (فاق) فضل بهذا المجد كل أحد (باء) رجع (فكى) انقاذى (وثاق) شدو ربط (سجايا) طبائع (ترفد) تصل وتعين والرفد المعونة (شائم برقه) راجى خيره ونازل أمره ونزّل البرق منزلة الجود لانه يأتى بالمطر والمطر يشبه به الجود (بمن) باحسان وانعام (أزلى) قديم (أبدى) باق مع الابد وهو الدهر * واذ قد فرغنا من شرح هذه الرسالة على صعوبتها فانا نعتذر الى من وقف على شرحنا لها من صعوبة هذا المقام فان هذه الرسالة وأمثالها انما يؤتى بها على جهة الملح والاقتدار لا على أنها من نفيس الكلام الفصيح ألا ترى الحريرى كيف اعتذر فى مثلها حيث قال اجل الابيات العرائس وان لم يكن نفائس ولاشك ان الشارح لمثل هذه الرسالة يقارب تعب منشئها فى انه يغوص على تلك الاستعارات البعيدة فيريد أن يبرز المعنى فى غاية البيان واللفظ فى أغلبها موضوع على غاية الابهام فوقع التمانع فلا يصل الى عبارة متوسطة تتعلق بالمعنى ولا تبعد من اللفظ الا بعد جهد فهذا عذرنا فى هذه الرسالة الرقطاء والقهقرية والخيفاء المتقدمتين وما علمت أحدا شرحها شرحنا ولا بلغ منها مبلغنا ولله منشئها من عالم بارع فما اتفق له انشاؤها الا بعد التبحر فى علوم اللغات حتى كان أباحفص بن برد يخاطبه بهذه الابيات

أبا العلاء استمع تعريض ذى مقة * أهدى لك الود محضا غير مقطوب
أنت الذى لم نعاشر مثله رجلا * فى العلم والظرف والآداب والطيب
تحصيل فضلك للحساد معجزة * وكنه علمك شئ غير محسوب
اما اللغات فما يعقوب يبلغ ما * وعيت منها ولا أشياخ يعقوب

(قوله استشف) نظر (لآليها) جواهر كلامها (لمح) رأى (المودع) المضمن المجعول وعنى بالسر ماذكر من النقط لحرف والترك لآخر (أوعز) تقدم (فصل) قطع (استخلصنى) ضمنى وأنقذنى منه (لمكاثرته) لزيادة عدده يريد ان الامير خلصه من غريمه وضمه اليه وجعله فيمن حواليه فكثر وابه (اختصنى بأثرته) افردنى بعطيته وآثرنى بها على غيرى (لبثت) أقمت (بضع سنين) قال

هذا ثم شربه برض وقوته قرض وفلقه غسق وجلبابه خلق وقد قلق لتوغر غريم غاشم يستحثه بحق لازم فان منّ سيدنا بكفه بهبات كفه توشح بمجد فاق وباء بأجر فكى من وثاق لاخلت سجايا خلقه ترفد شائم برقه بمنّ رب أزلى حى أبدى (قال) فلما استشف الامير لآليها ولمح السر المودع فيها أوعز فى الحال بقضاء دينى وفصل بين خصمى وبينى ثم استخلصنى لمكاثرته واختصنى بأثرته فلبثت بضع سنين أنعم فى ضيافته

وأرتع في ريف رافته حتى اذا غمرتني مواهبه ٥٢ وأطال ذيلي ذهبه تلطفت في الارتحال على ماترى من حسن الحال قال

فقلت له شكر المسن أتاح لك لقيان السمح الكريم وأنقذك به من ضغطة الغريم فقال الحمد لله على سعادة الجد والخلوص من الخصم الالد ثم قال أيما أحب اليك أن أحذيك من العطاء أم أتحفك بالرسالة الرقطاء فقلت املاء الرسالة أحب الي فقال وهو وحقك أخف علي فان نحلة ما يلج في الآذان أهون من نحلة ما يخرج من الاردان ثم كأنه أنف واستحيا فجمع لي بين الرسالة والحذيا ففزت منه بسهمين وفصلت عنه بغنمين وأبت الى وطني قرير العين بما حزت من الرسالة والعين

(المقامة السابعة والعشرون الوبرية)

(حكى الحرث بن همام) قال ملت في ريق زماني الذي غبر الى مجاورة أهل الوبر لآخذ أخذ نفوسهم الابية وألسنتهم العربية فشمرت تشمير من لا يألو جهدا وجعلت أضرب في الارض غورا ونجدا الى أن اقتنيت هجمة من الراغية وثلة من الثاغية ثم أويت الى عرب أرداف أقيال وأبناء أقوال فأوطنوني أمنع جناب وفلوا عني حد كل ناب فما تأوبني عندهم هم ولاقرع صفاتي سهم الى أن أضللت في ليلة منيرة البدر لقحة غزيرة الدر فلم أطب نفسا بالغاء طلبها والقاء حبلها على غاربها فتدبرت فرسا محضارا اعلى

أبو عبيدة رحمه الله البضع من واحد الى أربعة وقال الاخفش من واحد الى عشرة وقال الفراء مادون العشرة وقال ابن عباس رضي الله عنهما البضع من الثلاثة الى عشرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر لما نزلت في بضع سنين البضع ما بين السبع والتسع قال ابن سلام فلما انقضت سبع سنين ظهرت الروم على فارس وقال أبو محمد في الدرة البضع أكثر ما يستعمل فيما بين الثلاث الى العشر وأسر ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله تعالى وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين وذلك ان المسلمين كانوا يحبون أن تظهر الروم على فارس لانهم أهل الكتاب والمشركون يميلون الى أهل فارس لانهم أهل أوثان فلما بشر الله المسلمين بان الروم سيغلبون سر المسلمون ثم ان أبا بكر رضي الله عنه أخبر مشركي قريش بما نزل عليهم فقال له أمية ابن خلف خاطرني على ذلك فخاطره على خمس قلائص في مدة ثلاث سنين ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن البضع فقال ما بين الثلاثة الى العشرة فأخبره بخطاره مع ابن خلف فقال له ما حملك على تقريب المدة قال الثقة بالله ورسوله فقال له عد اليهم فزدهم في الخطر وازدد في الاجل فزادهم قلوصين وزادوه سنتين فظفرت الروم بفارس قبل انقضاء الاجل الثاني تصديقا لتقدير أبي بكر رضي الله عنه ويقال البضع بغير هاء للمؤنث مثل خمس وبضعة للمذكر مثل خمسة (أرتع) آكل وأتنعم و(الريف) الخصب و(الرافة) الرفق (غمرتني مواهبه) غطتني عطاياه وأراد باطالة ذيله كثرة ماله حتى صار منه فضول وصار يجر ذيله تبخترا (تلطفت) تسللت برفق (أتاح) قدر (لقيان) لقاء (الضغطة) التضييق وضغطه ضيق عليه (الجد) الحظ والسعد و(الالد) الشديد الخصومة (أحذيك) أعطيك (أتحفك) أهديك و(املاء الرسالة) القاؤها عليه ليكتبها (نحلة) عطية (يلج) يدخل (الاردان) الاكمام (أنف) كبر ذلك عليه واستنكفه (والحذيا) العطية (فصلت) زلت (أبت) رجعت (قرير العين) مسرورا بالفائدة (حزت) جمعت وصار في حوزي أي في ملكي (والعين) الذهب الاحمر

(شرح المقامة السابعة والعشرين وهي الوبرية)

(غبر) تقدم (أهل الوبر) أصحاب البوادي الذين مالهم الابل وكني بالوبر عنها (الابية) العزيزة التي تابى الذل (يألو جهدا) يقصر في الاجتهاد (أضرب) أمشي في الارض و(غورا ونجدا) مرتفعا ومنخفضا (اقتنيت) اكتسبت لنفسي لا للبيع وشرح الحريري ألفاظا في المقامة فنقتصر فيها على شرحه الا بقدر ما يزيد الكلام بيانا مثل قوله (آخذ أخذ نفوسهم) أي أتخلق باخلاقهم وطباعهم ويقال لو كنت مثلنا لاخذت باخذنا بكسر الهمزة وفتحها أي بخلائقنا وشكلنا واستعمل فلان على الشأم وما أخذ أخذه أي وما والاه وكان في حيزه (وقوله ارداف اقيال) يفسر القيل بالملك وبردف الملك وقيل القيل بالمشرق كالقائد بالاندلس والردافة في الجاهلية كالوزارة في الاسلام والردافة أن يرتدف مع الملك على مركوبه وان يستخلفه في موضعه متى غزا و(أويت) رجعت واتخذته مأوى (أوطنوني) أنزلوني (جناب) جانب (فلوا) كسروا (ناب) ضرس (تأوبني) أتاني ليلا (ولا قرع صفاتي سهم) أي لم ينلني ضر (اضللت) أتلفت وضلت الناقة واضلها ربها (منيرة) مضيئة (اللقحة) الناقة لها لبن (غزيرة الدر) كثيرة اللبن (الغاء) ترك (غاربها)

أعلى سنامها (اللدن) الرمح اللين (الخطار) الطويل المضطرب (واعتقلت) الرمح جعلته ما بين سرجك ورجلك (أجوب البيداء) اقطع القفر وفسر (حيعل) بأنه قول المؤذن حي على الصلاة حي على الفلاح وشاهده

ألا رب طيفٍ بات منك معانقي * الى أن دعا داعي الصلاة فحيعلا

وقال آخر أقول لها ودمع العين جار * ألم تحزنك حيعلة المنادى

ومعنى حي هلم وأقبل والفلاح الفوز وأفلح الرجل اذا فاز وأصاب خيرا والمفلحون الفائزون وقيل الفلاح البقاء أي أقبلوا على بيت البقاء في الجنة والمفلحون الباقون و (الصلاة) المعلومة والصلاة الرحمة كقوله تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وكقوله عليه الصلاة والسلام اللهم صل على آل أبي أوفى والصلاة بمعنى الدعاء كالصلاة على الميت وكقوله صلى الله عليه وسلم اذا دعي أحدكم الى طعام فليجب فان كان مفطرا فليأكل ومن كان صائما فليصل (أداء) قضاء (حلت في صهوتها) ركبت ظهرها ووثبت عليها (فورت) كشفت (قفوته) اتبعته (نشزا) مرتفعا (استطلعته) استخبرته وسألته (جدي) عزمي واجتهادي (هدرا) باطلا (ورده صدرا) أي سؤاله خبرا والورد اتيان الماء والصدر الرجوع عنه (لفح) تحرك (هجير) حر (يذهل) يشغل و (غيلان) اسم ذي الرمة وهو غيلان بن عقبة بن بهيس بن مسعود بن حارثة عداده في الرباب والرباب عدي بن عبد مناة وتيم بن عبد مناة وعكل وهو عوف بن عبد مناة وثور بن عبد مناة وضبة بن أد وهو عمهم وأد بن طابخة بن الياس بن مضر وسمي ذا الرمة بقوله يصف وتدا

وغير موضوح القفا موتود * أشعث باقي رمة التقليد

نعم قانت اليوم كالمعمود * من الهوى أو شبه المورود

بي ذات المبسم المبرود * والمقلتين وبياض الجيد

وقيل سمي به لانه خشي عليه من المس فأتي به رجل من الحي فكتب له معاذة علقت في عنقه وشدت بحبل وقيل سمته بذلك خرقاء التي يذكرها في شعره وذلك انه رآها وهي في جوار على سنها فأعجبته وأدام الالتفات اليها ثم قال لها يا جارية اخرزي لي هذه القربة فعلمت مراده فقالت له اني خرقاء فولى وفي يده قطعة حبل بال فنادته يا ذا الرمة ان كنت خرقاء فجاريتي صناع فاذهب اليها فقضي عليه ذو الرمة وسماها في شعره خرقاء فضت عليها وهي مي بنت عاصم بن طلبة بن قيس بن عاصم وتكنى أم ثور وغلبت عليه حتى عرف بها فقيل غيلان مي كما قيل كثير عزة وأول أمره مع مي فيما حكى الاصبهاني عن أمة لام مي قالت كنا نازلين بأسافل الدهناء ورهط ذي الرمة مجاورون لنا فجلست مية تغسل ثيابا لها ولامها في بيت رث فيه خروق وهي فتاة أحسن من رأيته حين بدا ثديها فلما فرغت لبست ثيابها وجلست عند أمها وأقبل ذو الرمة ينشد ضالة فدخل وجلس ساعة ثم خرج فقالت مية اني لأرى ان هذا العذري قد رآني منكشفة واطلع علي من حيث لا أشعر فان بني عذرة أخبث قوم في الارض فاذهبي فقصي أثره قالت فقصصت أثره فوجدته قد تردد أكثر من ثلاثين مرة كل ذلك يدنو فيطلع علينا ثم يرجع على عقبه ثم يعود فأخبرتها بذلك ثم لم ينشب ان جاء نا شعره فيها من كل وجه ومكان وحدث أيضا باسناده عن عمارة بن ثقيف ان ذا الرمة حدثه ان أول أمره معها انه خرج مع أخيه وابن عمه في بغاء ابل لهم فوردوا على ماء وقد جهدهم

واعتقلت لدنا خطارا وسريت ليلي جماء أجوب البيداء واقتري كل شجراء ومرداء الى أن نشز الصبح راياته وحيعل الداعي الى صلاته فنزلت عن متن الركوبة لاداء المكتوبة ثم حلت في صهوتها وفورت عن شهوتها وسرت لا أرى أثرا الا قفوته ولا نشزا الا علوته ولا واديا الا اجزعته ولا راكبا الا استطلعته وجدي مع ذلك يذهب هدرا ولا يجد ورده صدرا الى أن حانت صكة عمي ولفح هجير يذهل غيلان عن مي

(أخبار غيلان مع مي)

العطش قال فأتيت خباء عظيما أستسقي لهما ماء فاذا عجوز جالسة في رواقه فالتفتت وراءها وقالت يا مي اسق الغلام فدخلت عليها وهي تنسج شقة فقالت لي لقد كلفك أهلك السفر على ما أرى من حداثة سنك ثم قامت تصب في ركوتي ماء وعليها شوذن فلما انحطت على القربة رأيت مرأى لم أر أحسن منه فلهوت بالنظر اليها وهي تصب الماء فيذهب يمينا وشمالا فقالت العجوز يا بني الهتك مي عما بعثك له أهلك أما ترى الماء يذهب يمينا وشمالا قلت أما والله ليطولن هيامي بها ثم أتيت بالماء أخي وابن عمي فلففت رأسي وانتبذت ناحية وقلت

قد سحرت اخت بني لبيد * مني ومن سلم ومن وليد
رأت غلامي سفر بعيد * يدرعان الليل ذا الصدود
مثل الذراع اليلمق الحديد

وهي أول قصيدة قلت ثم مكثت أهيم بها في ديارها عشرين سنة وأما ابن قتيبة فقال مكثت مي تسمع شعر ذي الرمة ولا تراه فجعلت لله ان تنحر بدنة يوم تراه وكانت من أجمل الناس فلما رأته دميما أسود صاحت واسوأتاه واضيعة بدنتاه فقال

على وجه مي مسحة من ملاحة * وتحت الثياب الشين لو كان باديا

فكشفت عن جسدها وقالت أشينا ترى لا امّ لك فقال

ألم تر أن الماء يخبث طعمه * وان كان لون الماء أبيض صافيا

فقالت له قد رأيت ما تحت الثياب فلم يبق الا أن أقول لك هلم فذق ما وراءه فوالله لاذقت ذلك أبدا ثم صلح الامر بينهما فعادا لما كانا من حبهما وهو شاعر مجيد مكثر وصاف للاطلال والديار والصبر على قطع القفراء * أبو الفرج كان سليمان بن أبي شيخ راوية لشعر ذي الرمة فانشد يوما قصيدة له واعرابي من بني عدي يسمعه فقال أشهد أنك فقيه تحسن ما تلوته وكان يحسبه قرآنا وكان أهل البادية يعجبهم شعره وكان جرير والفرزدق يحسدانه وقال حماد الراوية ما أخر القوم ذكره الا لحداثة سنه وأنهم حسدوه وقال أبو المطرف لم يكن أحد منهم في زمانه أبلغ منه ولا أحسن جوابا وكان كلامه أحسن من شعره وقال مولى لبني هاشم رأيته بسوق المربد وقد عارضه رجل فقال يا اعرابي يهزأ به أتشهد بما لم تر قال نعم قال بماذا قال أشهد أن أباك ناك أمك * الاصمعي ما أعلم أحدا من العشاق شكا أحسن من شكوى ذي الرمة مع عفة وعقل * أبو عبيدة يخبر ذو الرمة فيحسن الخبر ثم يرد على نفسه فيحسن الرد ثم يعتذر فيحسن التخلص مع حسن انصاف في الحكم وعفاف وقال ذو الرمة من شعري ما ساعدني فيه القول ومنه ما أجهدت نفسي فيه ومنه ما جننت فيه جنونا فاما الذي طاوعني فيه القول فقولي

خليلي عوجا في صدور الرواحل * بجمهور حزوى فابكيا في المنازل
لعل انحدار الدمع يعقب راحة * من الوجد أو يشفي نجي البلابل

(وأما ما أجهدت نفسي فيه فقولي)

أأن توسمت من خرقاء منزلة * ماء الصبابة من عينيك مسجوم
كأنها بعد أحوال مضين لها * بالاشيمين يمان فيه تسهيم

(وأما الذي جننت فيه جنونا فقولي)

مابال عينك منها الماء ينسكب * كأنه من كلى مفرية سرب
براقة الجيد واللبات واضحة * كأنها ظبية أفضى بها لبب
زين الثياب وان أثوابها سلبت * فوق الحشية يوما زانها السلب
اذا أخو لذة الدنيا تبطنها * والبيت فوقهما بالستر محتجب
ساقت مطيبة العرنين مارنها * بالمسك والعنبر الهندي مختضب
لمياء في شفتيها حوة لعس * وفي اللثات وفي أنيابها شنب
كحلاء في برج بيضاء في دعج * كأنها فضة قد زانها ذهب

وهذه القصيدة من المطولات التي ينفت على المائة وربعها وتصرف فيها ماشاء من أوصاف الاطلال والديار والثور والحمار والكلاب والظبي وغير ذلك وفي خلال ذلك يأتي بتشبيهات بديعات وهو أشعر الشعراء الاسلاميين في التشبيه وكان يقول اذا قلت كان فلم أجد مخرجا فقطع الله لساني واحتذى في ذلك حذوه من المولدين ابن المعتز وقصد الحريري في هذا الموضع لمعنيين أحدهما لانه كان صادقا في حب مية فكان لايشغله عنها شيء لا مثل كثير عزة وغيره ممن لايصدق في حبه والثاني أنه يكثر في شعره صبره على قطع الهواجر لمية مثل قوله

وهاجرة من دون مية لم تقل * قلوصي بها والجندب الجون يرمح
اذا جعل الحرباء مما أصابه * من الحر يلوي رأسه ويرنح
لئن كانت الدنيا علي كما أرى * تباريح من مي فللموت أروح
ولما شكوت الحب كيما تثيبني * بودي قالت انما أنت تمزح

فذكر الحريري ان هذه الهاجرة شغلته عن ذكر مي حتى طلب ظلا يلوذ به (أستكن) أستتر وأطلب كنا (الوقدة) شدة الحر (أستجم) أستريح فأتقوى (أدنفني) أمرضني (اللغوب) التعب *وذكر طول اليوم وأنشد عليه في الشرح ويوم كظل الرمح وذكر أن اليوم القصير يوصف بابهام القطاة ولم ينشد عليه شيئا وقال جرير

ويوم كابهام القطاة محبب * الى صباه غالب لي باطله
رزقنا به الصيد الغزير فلم يكن * كمن نبله محرومة وحبائله
فيالك يوما خيره قبل شره * تغيب واشيه وأقصر عاذله

قال الاصمعي قال لي خلف الاحمر ويحه فما ينفعه حين يؤل الى الشر قلت فكيف يجب أن يقول قال خيره دون شره قلت والله لا أرويه بعدها الا هكذا (عجت) ملت (سرحة) شجرة (كثيفة) ملتفة (الاغصان وريقة) كثيرة الورق و(الافنان) الاغصان أو ما تفرع منها وما أحسن مانظم في الفرار من الحر الى الظل المازني كاتب مروان صاحب ميافارقين حين قال

وقانا وقدة الرمضاء روض * وقاه مضاعف الطل العميم
قصدنا نحوه فحنا علينا * حنو الوالدات على الفطيم
يراعي الشمس أنى قابلتنا * فيحجبها ويأذن للنسيم

وهذا ما يتعلق بالغرض وزاد فيه معنى بديعا بقوله

ويسقينا على ظما زلالا * ألذ من المدام مع الكريم

وكان يوما أطول من ظل القناة وأحر من دمع المقلات فأيقنت أني ان لم أستكن من الوقدة وأستجم بالرقدة أدنفني اللغوب وعلقت بي شعوب فعجت الى سرحة كثيفة الاغصان وريقة الافنان لأغور تحتها الى المغيربان

تروع حصاه غالية الغوانى * فتلمس جانب العقد النظيم

تأمل هذه الصفة تجدها غاية فى بابها وتخيل هذه الجارية كيف نظرت بياض الحصى فى الماء فارتاعت وحسبت عقدها تناثر فالتمسته بيدها وقال السرى فأحسن

أدرها ففقد اللوم احدى الغنائم * ولا تخش اثما الست فيها باثم

ولا عيش الا فى اعتصام بقهوة * يروح الفتى منها خضيب المعاصم

ولا ظل الا ظل كرم معرش * تغنيك من قطريه ورق الحمائم

سماء غصون تحجب الشمس ان ترى * على الارض الا مثل نثر الدراهم

وقال ابن ليال فى منتزه بشريش يسمى اجانة

أيا حبذا الاجانة كيفما اغتدت * زمان ربيع أوزمان عصير

مذانب ماء كاللجين على حصى * كدر بلا ثقب أغر نثير

ورمل اذا ما ابتل بالماء عطفه * غنينا به عن عنبر وذرور

وتين كما قامت على حلماتها * نهود عذارى الزنج فوق صدور

كأن القباب الخزفيها عرائس * على سرر مفروشة بحرير

(وله أيضا عفا الله تعالى عنه)

كأن جنى القوطى فى رونق الضحى * وقد حملته راحة الورقات

نهود عذارى زحزحت عن مقرها * فقامت على الاطراف والحلمات

فوالله ما أستروح نفسى ولا استراح فرسى حتى نظرت الى سانح فى هيئة سائح وهو ينتجع نجعتى ويشتد الى بقعتى فكرهت انعياجه الى معاجى فاستعذت بالله من شر كل مفاجى ثم ترجيت أن يتصدى منشدا أو يتبدى مرشدا فلما اقترب من سرحتى وكاد يحل بساحتى ألفيته شيخنا السروجى متشحا بجرابه ومضطغنا أهبة تجوابه فأنسى اذورد وأنسانى ماشرد ثم استوضحته من أين أثره وكيف عجره وبجره فأنشد بديها ولم يقل ايها قل لمستطلع دخيلة أمرى لك عندى كرامة وعزازة انا ما بين جوب ارض فأرض وسرى فى مفازة فمفازه زادى الصيد والمطية نعلى

(قوله استروح نفسى) أى استنشقت الريح فتنفست فيه من التعب أى ماسكنت عنى أنفاس التعب واستروحت الشىء وجدت ريحه (سانح) خاطر و(سائح) عابر يسيح فى الارض أى يمشى فى جهاتها ويقال للمكدى سائح لانه يسيح فى الكدية (ينتجع نجعتى) أى يقصد قصدى فى طلب الراحة والانتجاع طلب المرعى (يشتد) يجرى (بقعتى) موضعى (انعياجه) انعطافه (معاجى) مكانى الذى عجت اليه (مفاجى) آت على غفلة (يتصدى) يتعرض (منشدا) دالا على التلمعة تقول نشدت الضالة طلبتها وأنشدتها دللت عليها طالبها (مرشدا) هاديا للطريق (ساحتى) موضعى الذى أنا فيه (الفيته) وجدته (متشحا بجرابه) أى جعل جرابه موضع الوشاح (أهبة تجوابه) أى عدة جولانه (ورد) وصل (ماشرد) نفر يعنى الضالة (استوضحته) سألته أن يوضح لى أمره (بديها) مرتجلا من غير فكرة (المستطلع) الذى يحب أن يطلع على الامر (دخيلة أمرى) باطنه (عزازة) عزة ورفعة (جوب) قطع (سرى) مشى الليل (مفازة) قال الاصمعى هى المهلكة سميت بذلك تفاؤلا السالكها بالفوز كما سمى اللديغ سليما تفاؤلا بالسلامة * ابن الاعرابى هى مأخوذة من فوز الرجل اذا هلك والعرب تسمى النعل مطية مجازا حيث يستعان بها على قطع المفازة وأنشد أبو على الفارسى رحمه الله

رواحلنا ست ونحن ثلاثة * نجنبهن الماء فى كل مشرب

(وقال أبو نواس)

اليك أبا العباس يا خير من مشى * عليها امتطينا الحضرمى الملسنا

قلائص لم تعرف حنينا على طلا * ولم تدر ما قرع العقيق ولا الضنى

(وأخذه أبو الطيب فقال)

لا ناقتى تقبل الرديف ولا * بالسوط يوم الرهان أجهدها
شراكها كورها ومشفرها * زمامها والشسوع مقودها
أشد عصف الرياح تسبقه * تحتى من خطوها تأيدها

وكان السروجى أكثر عدة من أبى الشمقمق فى قوله

كلما كنت فى جموع فقالوا * قربوا للرحيل قربت نعلى
أترى اننى من الدهر يوما * لى فسمطية غير رجلى
حيثما كنت لا أخلف رحلا * من رآنى فقد رآنى ورحلى

(ومن أبيات المعانى فى نعل)

وسوداء المناسب يمتطيها * أخو الحاجات ليس له نكير
فيحملها وتحمله وفيها * منافع حيث يبتدر السفير
على أن السفار ينال منها * فيرفعها اذا جد المسير

السفير ورق الشجر والمسفرة المكنسة (والجهاز) ما يحتاج اليه المسافر من العدة (والعكازة) العصا (مصرا) بلدا (الخان) الفندق (والنديم) الصاحب على الشراب و(جزازة) قيل انه خليع مشهور عندهم وهذا لا يبعد وأخبرنى الاستاذ أبو ذر وغيره أنها القراطيس الصغار يكتب للناس فيها صفة حاله فيستجديهم بها فيريد أن نديمه اذا دخل بلدة قطع من قرطاس يجزها ورقة كبيرة يكتب فيها بما يجلب مما يؤكل ويشرب والجزازة ما يسقط من الشئ تجزه كالقصاصة ما يسقط مما يقص والنخالة والقلامة وغير ذلك فلما كانت القطعة الصغيرة تسقط من الورقة سموها جزازة ثم اشتهر عندهم ما صغر من القراطيس بهذا الاسم قال الفنجديهى جزازة أى قطعة كاغد عليها شئ مكتوب والجزازة ما يقطع من الشئ قال وأنشد بعضهم

وقالوا كيف حالك قلت حالى * تقضى حاجتى وتفوت حاجى
نديمى هرتى وسمير أنسى * دفاتيرى ومعشوقى سراجى

(أساء) أصاب فيه بسوء (أحزن) عليه (حاول) طلب (ابتزازه) تجريده وازالته (خلو) فارغ البال (الاسى) الحزن (منحازة) متنحية ومتعزلة منقبضة وانحاز انعزل (مل ء جفنى) أى أرقد هنيأ لقلة همى فتمتلئ عينى بالنوم وهو من قول المتنبى

* أنام مل ء جفونى عن شواردها * و(الحزازة) فى القلب تأثير الهم كأنه يحز فيه أى يقطع وقال الشاعر

اذا كان أولاد الرجال حزازة * فأنت الحلال الحلو والبارد العذب

والحزازة هنا الولد السوء ولا شئ أنكى للقلب من همه والحزازة أيضا الحقد والغيظ وفى قلبى منه حزازة أى حرقة وحزن (تفوقت) أى شربت فواقها وهو أخذه ما فيها شيأ فشيأ فما بين عبة وعبة فواق وأصله ما بين حلبة من الضرع وحلبة (مزازة) بين الحموضة والحلاوة (مجازا) طريقا يجاز عليه (تسنى) تيسر (اجازة) عطية وصلة (يروم) يطلب (نجازه) قضاءه وتمامه ولبعضهم فى هذا المعنى

وجهازى الجراب والعكازة
فاذا ما هبطت مصرا فبيتى
غرفة الخان والنديم جزازه
ليس لى ما أساء ان فات أو أحـ
ـزن ان حاول الزمان ابتزازه
غير أنى أبيت خلوا من الهم
ونفسى عن الاسى منحازه
أرقد الليل مل ء جفنى وقلبى
بارد من حرارة وحزازه
لا أبالى من أى كأس تفوقـ
ـت ولا ما حلاوة من مزازه
لا ولا أستجيز أن أجعل الذلـ
ـل مجازا الى تسنى اجازه
واذا ما طلبت كساحلة العا
ر فبعد المنى يروم نجازه

ثم رفع الى طرفه وقال لامر ماجدع قصير أنفه فأخبرته خبر ناقتى السارحة وما عاينته فى يومى والبارحة فقال دع الالتفات الى مافات والطماح الى ماطاح ولا تأس على ماذهب ولو أنه واد من ذهب ولا تستمل من مال عن ريحك وأضرم نار تباريحك ولو كان ابن بوحك أوشقيق روحك ثم قال هل لك فى ان تقيل وتحامى القال والقيل فان الابدان انضاء تعب والهاجرة ذات لهب ولن يصقل الخاطر وينشط الفاتر كقائلة الهواجر وخصوصا فى شهرى ناجر فقلت ذاك اليك وما أريد أن أشق عليك فافترش التراب واضطجع وأظهر أن قد هجع وارتفقت على ان أحرس ولا أنعس فأخذتنى السنة اذ زمت الالسنة فلم أفق الا والليل قد ولج والنجم قد تبلج ولا السروجى ولا المسرج فبت بليلة نابغية وأحزان يعقوبية أساور الوجوم وأساهر النجوم أفكر تارة فى رحلتى وأخرى فى رجعتى الى ان وضح لى عند افترار ثغر الضوء فى وجه الجو راكب يخد فى الدو فألمعت اليه بثوبى ورجوت ان يعترج الى صوبى فلم يعبأ بالماعى

أشد من عيلة وجوع * أغضاء حر على الخضوع
فاقنع من الدهر قوت يوم * وأنت بالمنزل الرفيع
* ولا ترد ثروة بمال * ينال بالذل والخشوع
وارحل اذا أجدبت بلاد * منها الى الخصب والربيع

(الدناءة) الفعل القبيح (نكس) دنىء (عاف) كره (اهتزازه) طربه وخفته ولبعضهم فى هذا المعنى

ويجتنب اللبيب ورود ماء * اذا كان الكلاب يلغن فيه
كما سقط الذباب على طعام * فتتركه ونفسك تشتهيه

وقال أبو محمد المصرى يخاطب المعتمد وقد فر منه

رحلت وفى القلب جمر الغضى * وهجرى لكم دون شك صواب
كما تهجر النفس حر الطعام * اذا ما تساقط فيه الذباب

(المنايا ولا الدنايا) أى اتيان المنية ولا فعل الدنية قال أوس بن حارثة يا مالك المنية ولا الدنية فى وصية طويلة والمنية معناها المقدورة المحكوم بها وهى مفعولة من المنى وهو المقدر والقدر يقال مناك الله بما يسرك وأصلها ممنووة فصرفت مفعو له فعيلة كمطبوخ وطبيخ وأدغمت الياء فى الياء (الخنا) الفساد (الجنازة) النعش (قوله لامر ما جدع قصير أنفه) أى ما جدع قصير أنفه الالمعنى وكذلك أنت ما خرجت فى هذا الوقت لشدة حره الى هذه القفار المخوفة الالمعنى فأخبرنى به فلذلك قال (فأخبرته خبر ناقتى) وأيضا فان أول الكلام يدل عليه لانه قال فاستوضحته من أين أثره فأخبره السروجى فى الشعر بقصته فلما أكملها سأل ابن همام عن قصته فأخبره بالناقة الضائعة و(السارحة) التى سرحت أى مشت حيث شاءت (عاينته) شاهدته ورأيته (الالتفات) النظر الى جهة (والطماح) ارتفاع العين بالنظر و(طاح) ذهب وتلف (لا تأس) لا تحزن (تستمل) تستدع حبه وأن يميل اليك بوده (مال) انحرف (عن ريحك) عن طريقك وهواك (أضرم) أوقد (تباريحك) أحزانك (تقيل) تنام فى القائلة (تحامى) تتباعد عنها (أنضاء) جمع نضو وهو المهزول أى قد أهزل التعب أبداننا (الهاجرة) القائلة سميت هاجرة لانها تهجر البرد أو لانها أكثر حرا من سائر النهار يقال فلان أهجر من فلان اذا كان أضخم منه (لهب) نار و(شهرى ناجر) يونيه ويوليه وهما أشد الحر قال الازهرى هما حزيران وتموز النجران العطشان *ابن سيده ظن قوم انهما حزيران وتموز وهذا غلط وانما هما وقت طلوع نجمين من نجوم القيظ * الليث كل شهر فى صميم الحر فاسمه ناجر لان الابل تنجر فيه أى تشتد عطشا حتى تيبس جلودها فلا تكاد تروى من الماء (هجع) رقد (وارتفقت) توكأت على مرفقى (السنة) النوم القليل (زمت) ربطت ومنعت (ولج) دخل (تبلج) أضاء وظهر (المسرج) الفرس عليه سرجه (أساور) أواثب (الوجوم) السكوت على غيظ والمعنى أن الغيظ اذا اشتد عليه عالج كظمه ودفعه عن نفسه فكأنه يواثبه (أساهر) أسامر والسهر امتناع النوم (الرجلة) بضم الراء القوة على المشى ورجل يرجل رجلا ورجلة اذا مشى فى السفر وحده بلا دابة (وضح) تبين (افترار) انكشاف وافتر كشف أسنانه عند الضحك (يخد) يسرع (الدو) الصحراء و(الراكب) من يركب البعير و(الجو) نواحى السماء (يعترج الى صوبى) يميل الى جهتى وقصدى (يعبأ) يبال (الماعى) اشارتى.

وهو مصدر ألمعت اليك أى أشرت اليك فاذا بعدعنك الرجل فلم يسمع صوتك جردت ثوبك وأشرت اليه والاشارة بالثوب هى الالماع (أوى) أشفق (التباعى) تحرقى وتوجعى (هينته) سكينته (أصمانى) أصاب مقتلى (اهانته) احتقاره (أوفضت) أسرعت (أستردفه) أطلب اليه أن يردفنى (تغطرفه) تكبره والغطريف السيد العظيم (الاين) الفتور (أجلت) صرفت (مسرح) موضع تسرحها وجولانها بالنظر و(اللقطة) ما يجده الانسان قد سقط لغيره فيأخذه ويلتقطه (أذريته) رميت به عنها (مضلها) أى الذى ضلت له وتلفت (رسلها) لبنها (أشعب) الطماع رجل مدنى صاحب نوادر وملاء وله صنعة فى الغناء وكان أبخل الناس وأكثرهم طمعا ويقال فى المثل أطمع من أشعب ولهذا قال الحريرى فلا تك كأشعب اى لا تطمع فى اخذ الناقة فتكون مثله فى طمعه فى مال غيره (فتتعب) من تعلقت له بشىء (وتتعب) أنت معه فى المخاصمة

(ومن حكايات اشعب) قال سالم بن عبد الله بن عمر لاشعب ما بلغ من طمعك قال لم أنظر الى اثنين يتساران فى جنازة الا قدرت أن الميت أوصى لى بشىء وقال له ابن أبى الزناد ما بلغ من طمعك قال ما زفت بالمدينة امرأة الا كنست بيتى رجاء أن يغلط بها الى وكانت عائشة بنت عثمان كفلته مع ابن أبى الزناد فقال أشعب تربيت معه فى مكان واحد وكنت أسفل ويعلو حتى بلغنا ما ترون وقيل لعائشة هل آنست من أشعب رشدا فقالت أسلمته منذ سنة فى البزفسألته بالامس أين بلغت فى الصناعة فقال يا أمه قد تعلمت نصف العمل وبقى نصفه تعلمت النشر فى سنة وبقى على تعلم الطى وسمعته اليوم يخاطب رجلا وقد ساومه قوس بندق فقال بدينار فقال أشعب والله لو كنت اذا رميت عليها طائرا وقع فى مجرى مشويا مع رغيفين ما اشتريتها بدينار فأى رشد يؤنس منه ونظر الى رجل يعمل طبقا فقال له أسألك بالله الا ما زدت فى سعته طوقا أو طوقين فقال له الرجل ما معنى ذلك قال لعله أن يهدى الى يوما فيه شىء وقيل له أرأيت أطمع منك قال نعم خرجت الى الشأم مع رفيق لى فتلاحينا عند دير فيه راهب فقلت له الكاذب منا اير الراهب فى استه فنزل الراهب من صومعته وقد أنعظ فقال أيكما الكاذب ثم قال دعواهذا امرأتى أطمع منى ومن الراهب فقيل له وكيف ذلك فقال انها قالت ما يخطر على قلبك شىء يكون بين الشك واليقين الا وأنا أتيقنه ودعواهذا شاتى أطمع منى ومنها قيل وكيف قال صعدت على سطح فنظرت الى قوس قزح فظننته حبل قت فأهوت اليه فسقطت فاندقت عنقها وقيل له هل رأيت أطمع منك قال كلبة آل فلان رأت رجلا يمضغ علكا فتبعته فرسخين تظن انه يأكل شيئا وقيل له ما بلغ من طمعك قال أضجرنى الصبيان يوما فأردت أن أشغلهم عنى فقلت لهم ان بموضع كذا عرسا فامضوا نحوه فلما ذهبوا ظننت ان ثم عرسا فتبعتهم وقال ابن شرف

وما بلوغ الامانى فى مواعدها * الا كأشعب يرجو وعد عرقوب
وقد تخالف مكتوب القضاء به * فكيف لى بقضاء غير مكتوب

وقال ابن حجاج

فديت من نفسى من كلما * لقيته والحق لا يغضب
فقلت يا عرقوب أطمعتنى * فقال لم نفسك يا أشعب

(قوله يتقح) أى يبدى الوقاحة (ينزو) يقفز (يستأسد) يتشبه بالاسد فيستقوى (يستكين) يذل

(نبذة من حكايات اشعب)

ولا أوى لالتباعى بل سار على هينته وأصمانى بسهم اهانته فأوفضت اليه لأستردفه وأحتمل تغطرفه فلما أدركته بعد الأين وأجلت فيه مسرح العين وجدت ناقتى مطيته وضالتى لقطته فما كذبت أن أذريته عن سنامها وجاذبته طرف زمامها وقلت له انا صاحبها ومضلها ولى رسلها ونسلها فلا تكن كأشعب فتتعب وتتعب فأخذ يلدغ ويصى ويتقح ولا يستحى وبيناهو ينزو ويلين ويستأسد ويستكين

يريد انه كان مرة يتقوّى ومرة يذل (غشينا) جاءنا فجأة (لابساجلد النمر) أى وقحا شجاعا (هاجما) آتيا على غفلة (المنهمر) الكثير الانصباب وتقدم أثر خبر بعد عين (الامسية) المنسوبة الى أمس * الفنجديهى رأيت بخط الحريرى النسبة الى أمس امسى وهو من شاذ النسب (ناشدته) حلفته (أوافى) أجاء وأتى (التلافى) التدارك قبل فوته (معاذ الله) أى استجير بالله مما ذكرت (أجهز) أتم عليه (مكلومى) مجروحى وفى أخبار على رضى الله عنه انه ما أجهز على مكلوم قط (أخبر) أعلم (كنه) حقيقة (جاشى) نفسى قاله ابن سيده .وقيل الجاش القلب وقيل رباطته وشدته عند الشئ يسمعه مايدرى ماهو وقيل جاشى روع قلبى واضطرابه عند الفزع و (استوحش) من الشئ لم يأنس به (انجاب) انقشع وزال (أطلعته طلعها) أخبرته سرها وعلوت طلع الاكمة أى مكانا يطلع منه على ماحولها ويشرف عليه و (القحة) صلابة الوجه كأنه جعل منها برقعا على وجهه (العريسة) ماوى الاسد و (الفريسة) الصيد يفترسه أى يكسر عنقه وهى اكيلة الاسد (أشرع) صوب (أنار) نور (ينج منجى) يخلص مخلص وشبه خلوصه بخلوص الذباب لانه يقع على الجسد أو الطعام فيقتذر الانسان بقره فيشرده وهو واجد عليه فينجو الذباب سالما بعد اذايته وأخذه من قول ابراهيم بن العباس الصولى لمحمد بن الزيات

فلن كيف شئت وقل ماتشا * وأبرق يمينا وأرعد شمالا
نجا بك قومك منجى الذباب * حمته مقاذيره أن ينالا

وأخذه ابراهيم من قول الآخر

أسمعنى عبد بنى مسمع * فصنت عنه النفس والعرضا
ولم أجبه لاحتقارى له * ومن يعض الكلب ان عضا

ومن قول الآخر

قوم اذا ماجنى جانيهم وأمنوا * للؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا

وهو كثير وانما اخترع ابراهيم لفظ الذباب وعرض أى بعض الادباء على صاحب له بحضر جماعة شعرا فجعل يعرض عن محاسن الشعر ويتتبع مواضع النقد حسدا فقال له صاحب الشعر أراك كالذباب تعرض عن المواضع السليمة وتتبع قروح الجسد وتدنيسه وقال ابن الرومى

تأمل العيب عيب * ما بالذى قلت ريب
والشعر كالشعر فيه * مع الشبيبة شيب
فليصفح الناس عنه * فطعنهم فيه عيب

ومنكيات الذباب لابن آدم كثيرة منها نزوله على الوجه عند النوم فيلقى منه بلاء أو فى الصلاة فيصير أضر من ابليس للتشاغل وأما اذا تساقط فى الطعام فتنغيصه وتنفيره للطباع اضرار لايخفى وقد قدمت آنفا فى ذلك من الشعر شيأ ولذلك تضرب به العرب المثل فتقول أجرأ من ذباب لانه ينزل على الاسد والامير * ونذكر هنا ماهو أشد اذاية منه وهو البعوض ولولا أن أيامه قلائل لاخلى البلاد قال ابن رشيق يتشكاه

يارب لا أقوى على دفع الاذى * وبك استعنت على الضعيف المؤذى
مالى بعثت الى ألف بعوضة * وبعثت واحدة الى النمروذ

اذ غشينا أبو زيد لابسا جلد النمر وهاجما هجوم السيل المنهمر فخفت والله أن يكون يومه كأمسه وبدره مثل شمسه فألحق بالقارظين وأصير خبرا بعد عين فلم أر الآن أن أذكرته العهود المنسية والفعلة الامسية وناشدته الله أوافى للتلافى أم لما فيه اتلافى فقال معاذ الله أن أجهز على مكلومى أو أصل حرورى بسمومى بل وافيتك لأخبر كنه حالك وأكون يمينا لشمالك فسكن عند ذلك جاشى وانجاب استيحاشى وأطلعته طلع القحة وتبرقع صاحبى بالقحة فنظر اليه نظر ليث العريسة الى الفريسة ثم أشرع قبله الرمح وأقسم له بمن أنار الصبح لئن لم ينج منجى الذباب

وقال ابن شرف

لك منزل كملت ستارته لنا * للهو لكن تحت ذاك حديث
غنى الذباب وظل يزمر حوله * فيه البعوض ويرقص البرغوث

وقال آخر

ليل البراغيث والبعوض * ليل طويل بلا غموض
فذاك ينزو بغير رقص * وذا يغني بلا عروض

(وقوله ويرض من الغنيمة بالاياب) منقول من قول امرئ القيس وقد طفت البيت وهو مشهور (يوردن) يدخلن (وريده) صفحة عنقه والوريدان العرقان يجري فيهما النفس وهما في مقدم العنق وفجعته المصيبة فجعا أوجعته فهو فجيع ومفجوع وموت فاجع والفجيعة الرزية الموجعة (يفجعن) يحزن (وليده) ابنه (وديده) صاحبه (نبذ) رمى (حاص) مال الى الهرب ويقال حاص يحيص حيصا اذا عدل ومنه ما لهم من محيص أي من ملجا ومحيد (تسلها) خذها (تسنمها) اركب سنامها (احدى الحسنيين) أي المسرتين ولو رجع له الفرس لكملتا له فالناقة احداهما (بذات صدري) علم بحاجة نفسي وبحقيقة ما أضمرته في صدري (تكهن) علم (خامر) خالط (طليق) مستبشر (ذليق) حديد (ضمي) ذلي وضري (ساءك) أحزنك (اطرح) اترك وقد أعاده هذا في السابعة والثلاثين فقال وهبها الاخطأ ولا اصابة *وسأل الحطيئة عتيبة النهاس العجلي فرده فقال له قومه عرضتنا ونفسك للشر هذا الحطيئة وهو هاجينا أخبث هجاء فقال ردوه فردوه فقال كتمتنا نفسك ولك عندنا ما يسرك ثم قال له من أشعر الناس فقال الذي يقول

ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

فقال له وهذه من مقدمات أفاعيك ثم قال لو كيله اذهب به الى السوق فابتع له كل ما أحب فعرض عليه الخزوز ورقيق الثياب فعرض هو الى الأكسية الغلاظ فاشترى له ما أراد فرجع الى عتيبة فقال له اسمع

سئلت فلم تبخل ولم تعط طائلا * فسيان لا ذم عليك ولا حمد
وأنت امرؤ لا الجود منك سجية * فتعطي وقد يعدي على النائل الوجد

وامتدح أبو تمام ابراهيم بن المهدي فوجده عليلا فقبل منه المدحة وأناله ما يصلحه وقال له عسى أن أقوم من مرضي فأكافئك فأقام شهرا ثم كتب له

ان حراما قبول مدحتنا * وترك ما نرتجي من الصفد
كما الدنانير والدراهم في الـ * ـبيع حرام الا يدا بيد

فقال لحاجبه أعطه ثلاثين ألفا وجئني بدواة فكتب اليه

*عاجلتنا فأتاك عاجل برنا * قلا ولو أمهلتنا لم نقلل
فخذ القليل وكن كأنك لم تقل * ونكون نحن كأننا لم نفعل

وقال الخوارزمي

ولما ان رأيت ابني وليد * وبينهما اختلاف في الفعال
وهبت قبيح ذا لجميل هذا * وأسلمت العواقب للسالي
اذا اليد أحسنت منها يمين * تسوغنا لها ذنب الشمال

ويرض من الغنيمة بالاياب
ليوردن سنانه وريده
وليفجعن به وليده ووديده
*فنبذ زمام الناقة وحاص
وأفلت وله حصاص فقال
لي أبو زيد تسلها وتسنمها
فانها احدى الحسنيين
وويل أهون من ويلين
(قال الحرث بن همام) فحرت
بين لوم أبي زيد وشكره وزنة
نفعه بضره فكأنه نوجي
بذات صدري أو تكهن
ما خامر سري فقابلني بوجه
طليق وأنشد بلسان ذليق
يا أخي الحامل ضيمي
دون اخواني وقومي
ان يكن ساءك أمسي
فلقد سرك يومي
فاغتفر ذاك لهذا
واطرح شكري ولومي
ثم قال أنا تئق وأنت مئق
فكيف نتفق

وولى يفرى اديم الارض ويركض طرفه أيما ركض * فاعدوت أن اقتعدت مطيتى وعدت لطيتى حتى وصلت الى حلتى بعد التيا والتى *(تفسير ما أودع هذه المقامة من الالفاظ اللغوية والامثال العربية)* (قوله ريق زمانى) ورائقه يعنى أوله وقد يخفف فيقال ريق وقوله (آخذ أخذ نفوسهم الابية) يعنى أقتدى بهم يقال منه أخذ أخذه واخذه بكسر الهمزة وفتحها (والهجمة) نحو المائة من الابل (والثلة) القطيع من الغنم و (الراغية) الابل و (الثاغية) الشاء ومنه قولهم ماله راغية ولا ثاغية أى لا ناقة له ولا شاة وقوله (أرداف أقيال) أى يخلفون الملوك اذا غابوا وقوله (أبناء أقوال) أى فصحاء يقال للمنطيق انه ابن أقوال (وقوله فتدثرت فرسا محضارا) التدثر الوثوب على ظهر الفرس والمحضار والمحضير الشديد العدو مأخوذ من الحضر وهو العدو وقوله (أقترى كل شجراء ومرداء) الاقتراء تتبع الارض والشجراء ذات الشجر والمرداء الخالية من النبات ومنه اشتقاق الامرد لخلو وجهه عن الشعر وقوله (حيعل الداعى الى صلاته) يعنى به قول المؤذن حى على الصلاة حى على الفلاح والمصدر منه الحيعلة ومثله من المصادر الهيللة والحمدلة والحولقة والبسملة والحسبلة والسبحلة والجعلفة فالهيللة حكاية قول لا اله الا الله والحمدلة حكاية قول الحمد لله والحولقة حكاية قول لا حول ولا قوة الا بالله والبسملة حكاية قول بسم الله والحسبلة حكاية قول حسبنا الله والسبحلة حكاية قول سبحان الله والجعلفة حكاية قول جعلت فداك وقوله (فنزلت عن متن الركوبة) يعنى المركوبة يقال ناقة ركوب وركوبة وحلوب وحلوبة وقد قرئ فنها ركوبتهم و (الصهوة) مقعد الفارس و (الشحوة) الخطوة (والجزع) قطع الوادى عرضا وقوله (صكة عمى) يعنى به قائم الظهيرة وقد اختلف فى أصله فقيل كان عمى رجلا مغوارا فغزا قوما عند قائم الظهيرة وصكهم صكة شديدة فصار مثلا لكل من جاء ذلك الوقت وقيل المراد به الظبى لانه يسدر فى الهواجر ويذهب بصره فيصطك وكذلك الحية ٦٢ واصطكاك الظبى بما يستقبله كاصطكاك الاعمى ثم صغر الاعمى تصغير الترخيم فقيل عمى كما صغروا أسود وأزهر فقالوا سويد وزهير وقوله (وكان يوما أطول من ظل القناة) يوصف اليوم الطويل بظل القناة كما يوصف اليوم القصير بابهام القطاة والعرب تزعم أن ظل الرمح أطول ظل ومنه قول شبرمة بن الطفيل (شرح

ويوم كظل الرمح قصر طوله * دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

(وقوله أحر من دمع المقلاة) المقلاة هى المرأة التى لا يعيش لها ولد فدمعها أبدا حار لحزنها لانه يقال ان دمعة الحزن حارة ودمعة السرور باردة ولهذا قيل للمدعو له أقر الله عينه مأخوذ من القر وهو البرد وقيل للمدعو عليه أسخن الله عينه مأخوذ من السخنة وهى الحرارة وقيل ان اقرار العين مأخوذ من القرار فكأنه دعا له أن يرزق ما يقر عينه حتى لا تطمح الى ما لغيره وكانت الجاهلية تزعم أن المقلاة اذا وطئت على قتيل شريف عاش ولدها والى هذا أشار بشر بن أبى حازم فى قوله تظل مقاليت النساء يطأنه * يقلن ألا يلقى على المرء مئزر وقوله (علقت بى شعوب) يعنى المنية ولا يدخل هذا الاسم أداة التعريف مثل دجلة وعرفة وقوله (لا غور بحتها الى المغيربان) التغوير النزول للقائلة كما أن التعريس النزول آخر الليل للتهويم أو الاستراحة والمغيربان تصغير المغرب وكان قياس تصغيره المغيرب الا ان العرب ألحقت آخره ألفا ونونا على طريق الشذوذ وقوله (مضطغنا أهبة تجوابه) الاضطغان أن يحمل الشئ تحت حضنه والاضطبان ان يحمله تحت ضبنه والضبن ما بين الابط والكشح وكلاهما متقارب ويقال أول مراتب الحمل الابط ثم الضبن وهو أسفل الابط ثم الحضن وهو عند الجنب والتجواب مصدر جاب وجميع المصادر التى جاءت على تفعال هى بفتح التاء الا قولهم تبيان وتلقاء لا غير وزاد بعضهم تيصال وقوله (عجرى وبجرى) يريد به جميع أمرى الظاهر والباطن وأصل العجر العقد الناتئة فى العصب والبجر العقد الناتئة فى البطن وقوله (ولم يقل ايها) أى لم يأمرنى بالكف يقال للمستزاد ايه وللمستكف ايها وقوله (لامر ما جدع قصير أنفه) قصير هذا هو مولى جذيمة الابرش وكان جدع أنفه بيده حين قتلت الزباء مولاه ثم أتاها وأوهمها أن عمرو بن عدى ابن أخت جذيمة هو الذى جدع أنفه اتهاما له بأنه غش خاله جذيمة اذ أشار عليه بقصدها فحظى بهذا القول عندها حتى جهزته مرارا الى العراق فكان يأتيها بالطرف منه الى ان استصحب فى آخر نوبة الرجال فى الصناديق وتوصل الى قتلها والاخذ بثار مولاه منها وقصته مشهورة

(قوله يفرى) أى يقطع (أديم الارض) وجهها (يركض طرفه) يجرى فرسه (أيما) صفة لمصدر محذوف وفيه معنى التعجب من كثرة جريه تقديره يركض ركضا أى ركض (اقتعدت) ركبت القعود وتقدمت فى الاولى (ماعدوت) ما جاوزت أى ما عملت شيأ قبل القعود على الناقة (حلتى) موضعى الذى هو سكنى ونزولى وحل نزل

وقوله (ولو كان ابن بوحك) يعنى ولد الصلب اشارة الى انه ولد فى باحة الدار وهى عرصتها وجمعها بوح وقيل ان البوح من أسماء الذكر وقوله (فى شهرى ناجر) هما شهرا الحر وقيل انهما حزيران وتموز وأنكر أبو بكر بن دريد هذا القول وقال هما طلوع نجمين وقوله (بت بليلة نابغية) أومأ به الى قول النابغة فبت كأنى ساورتنى ضئيلة * من الرقش فى أنيابها السم ناقع وقوله (فالمعت اليه بثوبى) يعنى أشرت اليه يقال منه ألمع ولمع بمعنى وقوله (يلدغ ويصى) هذا مثل يضرب لمن يظلم ويشكو يقال صات العقرب تصى صأيا وصئيا بفتح الصاد وكسرها اذا صوتت وكذلك الفرخ وما أحسن قول ابن الرومى فى هذا المعنى

تشكى المحب وتشكو وهى ظالمة * كالقوس تصمى الرمايا وهى مرنان

وقوله (ينزو ويلين) هذا المثل يضرب لمن يتعزز ثم يذل ويقال ان أصله ان الجدى ينزو وهو صغير فاذا كبر لان وقوله (لا يساجلد النمر) هذا المثل يضرب للمتقحم الجرىء لان النمر أجرأ سبع وأقله احتمالا للضيم ومن هذا الاشتقاق قولهم تنمر أى صار مثل النمر وقوله (فألحق بالقارظين) الاصل فى القارظ انه الذى يجنى القرظ وهو النبات المدبوغ به والقارظان المشار اليهما أحدهما من عنزة والآخر من النمر بن قاسط وكانا خرجا يجنيان القرظ فلم يرجعا ولا عرف لهما خبر فضرب بهما المثل لكل غائب لا يرجى ايابه واليهما أشار أبو ذؤيب فى قوله

وحتى يؤب القارظان كلاهما * وينشر فى القتلى كليب لوائل

وقوله (حرورى بسمومى) ٦٣ الحرور الريح الحارة ليلا والسموم الريح الحارة نهارا وقد يقام احداهما مقام الاخرى مجازا وقال بعضهم الحرور يكون ليلا ونهارا والسموم يختص بالنهار وقوله (ليث العريسة) يعنى مأوى السبع ويقال فيه عريس وعريسة باثبات الهاء وحذفها كما يقال غاب وغابة وعرين وعرينة فأما الغيل والخيس فلم يلحقوا بهما الهاء وقوله (أفلت وله حصاص) هذا المثل يضرب لمن نجا من هلكة أشفى عليها بعدما كاد يهوى فيها والحصاص العدو وقيل انه الضراط وقوله (ويل أهون من ويلين) هذا المثل يضرب تسلية لمن ناله بعض المكروه ومثله قول الراجز

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا * حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وقوله (أنا تئق وأنت مئق فكيف نتفق) هذا المثل يضرب للمتنافيين فى الخلق فان التئق هو الممتلىء غيظا مأخوذ من قولهم أتأقت الاناء اذا ملأته والمئق هو الباكى فكأن التئق ينزع الى الشر لغيظه والمئق يضيق ذرعا باحتماله ومثله قول بعضهم أنا كاف وأنت صلف فكيف نأتلف وقوله (لطيتى) يعنى لقصدى وجهتى وقد يقال فيها طية بالتخفيف وقوله (بعد اللتيا والتى) اللتيا تصغير التى وهو على غير قياس التصغير المطرد لان القياس أن يضم أول الاسم اذا صغر وقد أقر هذا الاسم على فتحته الاصلية عند تصغيره الا أن العرب عوضته عن ضم أوله بأن زادت ألفا فى آخره وأجرت أسماء الاشارة عند تصغيرها على حكمه فقالت فى تصغير الذى والتى اللذيا واللتيا وفى تصغير ذا وذاك ذيا وذياك وقد اختلف فى معنى قولهم بعد اللتيا والتى فقيل هما من أسماء الداهية وقيل المراد بهما بعد صغير المكروه وكبيره

(المقامة الثامنة والعشرون السمرقندية) (أخبر الحرث بن همام) قال استبضعت فى بعض أسفارى القند وقصدت به سمرقند وكنت يومئذ قويم الشطاط جموم النشاط أرمى عن قوس المراح الى غرض الافراح وأستعين بماء الشباب على ملامح السراب فوافيتها بكرة

(شرح المقامة الثامنة والعشرين وهى السمرقندية)

(استبضعت) اتخذت بضاعة (القند) عسل السكر و(سمرقند) بلد عظيم من بلاد خراسان غزاها ملك من ملوك اليمن اسمه شمر فملكها وهدمها فسميت شمركند بمعنى خرابة شمر ثم عربت فقيل سمرقند وأهلها السغد وفى رواية انه لما انتهى الى السغد قاتلهم أياما فتحولوا الى مدينتهم فحاصرهم حولا حتى افتتحها عنوة فقتل منهم وسبا وهدمها ثم ثاب له رأى فأمر ببنائها فبنيت خيرا مما كانت ثم أمر بصخرة فبنيت عند بابها وكتب عليها هذا بناء ملك العرب لا العجم شمر الملك الاشم ووجد فى سورها لوح من نحاس فيه كتاب وهو هذا ما أمر ببنائه شمر وقد تقدم أن فرغانة من أعمالها التى هى آخر خراسان وبين سمرقند وبغداد ستة أشهر وتقدم أن مدينة سمرقند من أحسن بلاد الله تعالى ولما أشرف قتيبة بن مسلم عليها فرأى ما أدهشه لافراط حسنها قال كأنها السماء فى الخضرة وكأن قصورها النجوم والزهرة وكأن أنهارها المجرة (قوله قويم الشطاط) أى معتدل القامة (جموم النشاط) أى كثير القوة والخفة و(المراح) النشاط و(الافراح) جمع فرح و(ماء الشباب) نضارة الفتوة ونعمة الصبا (ملامح السراب) مواضع يلمح السراب فيها أى يلمع ويظهر فأراد انه استعان بقوة فتوته على قطع الصحراء (وافيتها) أتيتها

(عروبة) اسم يوم الجمعة سمى بذلك لحسنه حيث كان موسما وهو من قولهم جارية عروب أى حسناء وكانت العرب تسمى أيام الاسبوع بأسماء يجمعها بيتان وهما

أؤمل أن أعيش وأن يومى * بأول أو بأهون أو جبار
أو التالى دبار فان أفته * فمؤنس أو عروبة أو شبار

وعروبة من الاسماء التى تدخلها الالف واللام مرة وتسقط منها أخرى قال الشاعر

* يوم كيوم عروبة المتطاول *

وقال آخر

* يوم العروبة أورادا بأوراد *

وحكوا أن سيبويه كان فى حلقة بالبصرة فتذاكروا شيأ من حديث قتادة فذكر سيبويه حديثا غريبا وقال لم يروه الا سعيد بن أبى العروبة فقال له بعض الفضلاء ماهاتان الزيادتان يعنى الالف واللام فى العروبة فقال سيبويه هكذا ينبغى أن يقال لان العروبة هى يوم الجمعة فمن قال عروبة فقد أخطأ قال محمد بن سلام فذكرت ذلك ليونس بن حبيب فقال أصاب سيبويه لله دره وسمى يوم الجمعة لما جاء فى حديث سلمان قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرى لم سمى يوم الجمعة قلت الله ورسوله أعلم قال لان فيه جمع أبوك آدم وقال بعضهم فذكر عروبة

عروبة بعد أن كابدت الصعوبة فسعيت وما ونيت الى أن حصل البيت فلما نقلت اليه قندى وملكت قول عندى عجت الى الحمام على الاثر

فى الغيدزار وكان يوم عروبة * يا فرحتى بثلاثة الاعياد

وكان المتوكل صاحب بطليوس ينتظر وفود أخيه عليه من شنترين يوم الجمعة فأتاه يوم السبت فلما تلقاه عانقه وأنشد

تخيرت اليهود السبت عيدا * وقلنا فى العروبة يوم عيد
فلما ان طلعت السبت فينا * أطلت لسان محتج اليهود

وقال ابن الرومى

وحبب يوم السبت عندى أننى * ينادمنى فيه الذى أنا أحببت
ومن عجب الاشياء انى مسلم * حنيف ولكن خير أيامى السبت

(قوله كابدت) أى قاسيت (سعيت وما ونيت) جريت وما فترت ويقال ونى ينى أى ضعف والونى الضعف والفتور والاعياء (ملكت قول عندى) يريد أن المسافر فى الطريق لا يحسب ماله ملكا له حتى يدخل المدينة لانه متعرض للهلاك فى الطريق فاذا دخل المدينة وحصل فى بيته ملكه فصار ملكت قول عندى عبارة عن سلامة ماله وخلاصه من حوادث الاسفار نحو السرق والنهب والغرق والغصب أو يكون عبارة عن الحصول فى البيت يقول عندى كذا أى فى بيتى (عجت) أى ملت على الاثر أى فى الحين ورجع على الاثر أى مستعجلا كأنه مشى على أثره فى طريقه قبل غيره فمعنى عجت الى الحمام على الاثر أى دخلته على الفور فى الحال وقد ذكرنا بابا أدبيا من الشعر فى الحمام فى الرابعة ونذكر ههنا فيه فنا آخر من الادب قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم ستفتح عليكم أرض الاعاجم وتجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات فلا يدخلها الرجل الا بازار وامنعوا النساء أن يدخلنها الا مريضة أو نفساء وروى أن عبيد بن قرط الاسدى دخل مع صاحبين له بلدا فيها حمام فأحب صاحباه دخوله فيها فنهاهما عبيد فأبيا الا دخوله فلما دخلاه رأيا فيه رجلا يتنور أى يستعمل النورة فسألاه عنها

فأخبرهما باذهابها الشعر فاستعملاها فلم يحسنا فأحرقتهما وأضرّت بهما فقال عبيد

لعمرى قد حذرت قرطا وجاره * ولا ينفع التحذير من ليس يحذر
نهيتهما عن نورة أحرقتهما * وحمام سوء ناره تتسعر
فما منهما الا أتانى موقعا * به أثر من سهما يتقشر
أجدّكما لم تعلما ان جارنا * أبا الحسل بالبيداء لا يتنوّر
ولم تعلما حمامنا فى بلادنا * اذا جعل الحرباء فى الجدب يحضر

ورد أعرابى البصرة فنزل على ابن عم له فلما رأى البصرى شعث الاعرابى أراد أن ينظفه فقال له يوم جمعة ان الناس يتطهرون للجمعة ويتنظفون ويلبسون أحسن الملابس فتعال أدخلك الحمام لتتنظف من قشف السفر والبادية وتتطهر للصلاة فدخل معه الحمام فعندما وطئ الاعرابى فرش أوّل بيت فى الحمام لم يحسن المشى عليها الشدة ملاستها فزلق وسقط لوجهه وصادفت جبهته حرف مدخل البيت فشجه شجة منكرة فخرج مرعوبا وهو ينشد ودماؤه تسيل

وقالوا تطهر انه يوم جمعة * فأبت من الحمام غير مطهر
تزوّدت منه شجة فوق حاجبى * بغير جهاد بئسما كان متجرى
يقول لى الاعراب حين رأيتنى * به لا بظبى بالصريمة أعفر
وما تعرف الاعراب منيا بأرضها * فكيف ببيت ذى رخام ومرمر

وقال ابن سكرة دخلت حماما فخرجت وقد سرق مداسى فعدت الى دارى حافيا وأنا أقول

اليك أذمّ حمام ابن موسى * فان فاق المنى طيبا وحرّا
تكاثرت اللصوص عليه حتى * ليحفى من يطيف به ويعرى
ولم أفقد به ثوبا ولكن * دخلت محمدا وخرجت بشرا

يريد بشرا الحافى وكان من كبار الزهاد ولزم المشى حافيا فلقب به (وقوله أمطت) أى أزلت (وعثاء السفر) شدته ومشقته وفى الحديث اللهم انى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وأصله من الوعث وهو الدهس أى الرمل الدقيق وقيل الوعث الرمل تغيب فيه القوائم وقيل هو الطريق الخشن الصعب (بالاثر) أى بالحديث المروى وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبىّ صلى الله عليه وسلم من اغتسل يوم جمعة غسل الجنابة ثم راح فى الساعة الاولى فكأنما قرّب بدنة ومن راح فى الثانية فكأنما قرّب بقرة ومن راح فى الثالثة فكأنما قرّب كبشا ومن راح فى الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح فى الخامسة فكأنما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر و(الانعام) هى الابل والبقر والغنم وقال فى الدرة فرقت العرب بين النعم والانعام فجعلت النعم اسما للابل خاصة وللماشية التى فيها الابل وتذكر وتؤنث وجعلت الانعام اسما لانواع المواشى مثل الابل والبقر والغنم (حظيت) سعدت (جليت) سبقت و(الحلبة) جماعة الخيل وأراد بها الناس المبادرين للصلاة وأنه سبقهم (المركز) الموضع تنتظر فيه الصلاة (دين) طاعة (أفواجا) جماعات (يردون) يأتون الجامع (اكتظ) امتلأ وضاق بأهله (حفله) اجتماع الناس فيه (أظل) دنا وقرب (تساوى الشخص وظله) يريد حديث عمر رضى الله عنه أن صل الظهر اذا صار ظلك مثلك (برز) خرج (أهبته)

فامطت عنى وعثاء السفر وأخذت فى غسل الجمعة بالاثر ثم بادرت فى هيئة الخاشع الى مسجدها الجامع لالحق بمن يقرب من الامام ويقرب أفضل الانعام فحظيت بأن جليت فى الحلبة وتخيرت المركز لاستماع الخطبة ولم يزل الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ويردون فرادى وأزواجا حتى اذا اكتظ الجامع بحفله وأظل تساوى الشخص وظله برز الخطيب فى أهبته

عدته للصلاة (متهاديا) متمايلا لوقاره (عصبته) جماعة المؤذنين (ارتقى) طلع (مثل بالذروة) جلس بأعلى المنبر أو ظهر بأعلاه (والمائل) اللاطئ بالارض أو القائم المنتصب وهو من الاضداد وسمى المنبر منبرا لارتفاعه وعلوه من النبر وهو ارتفاع الصوت ونبر الرجل نبرة تكلم بكلمة فيها علوّ وأنشد أبو الحسن بن البراء

انى لاسمع نبرة من قولها * فأكاد أن يغشى علىّ سرورا

(مشيرا باليمين) مذهب الشافعى رضى الله عنه أن الخطيب اذا جلس على المنبر أشار الى الناس بيمينه مسلما من غير كلام قال ابن عمر رضى الله عنهما انطلقت مع النبى صلى الله عليه وسلم الى مسجد قباء فصلى فيه فخرج علىّ صهيب فقلت يا صهيب كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يردّ على من يسلم عليه قال يشير بيده (قوله جلس) قال الخليل يقال لمن كان قائما اقعد ولمن كان نائما أو ساجدا اجلس وهذا أصحّ لان القعود هو الانتقال من علو الى سفل ولهذا يقال لمن أصيب برجله مقعد والجلوس هو الانتقال من سفل الى علو ورجل جالس آت نجدا وهو المكان المرتفع وذكره الحريرى فى الدرّة (ختم) أكمل (قوله الآلاء) اى النعم الواسعة الكثيرة (حسم اللأواء) قطع الشدة (الرمم) العظام البالية (مصورها) منشئ صورتها وأراد قوله تعالى قل يحييها الذى أنشأها أوّل مرّة (عاد وارم) أمّتان قديمتان وقيل ارم قبيلة من عاد فيها الملك عاد وقيل ارم اسم لقبائل كثيرة كالعماليق وطسم وجديس هلكوا وهم من ولد ارم بن سام بن نوح ومن لم يصرف ارم جعله اسما للقبيلة وقال سابق البربرى فى ذهاب الامم

وكيف يأمن ريب الدهر مرتهن * بعدوة الدهر ان الدهر عداء
ألق على الجبل من عاد كلا كله * وقوم هود فهم هام وأصداء

وقال أيضا

أين الملوك التى عن خطها غفلت * حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
غرّت زمانا بملك لادوام له * جهلا كما غرّ نفسا من يمنيها
وصبحت قوم عاد فى ديارهم * بقطع يوم عادتهم عواديها
وتبعا وثمود الحجر غادرهم * ريب المنون رمما فى مغانيها
فكيف يبقى على الأحداث غابرنا * كأننا قد أظلتنا دواهيها

وقال الالبيرى

أين الملوك وأين ما جمعوا وما * ذخروه من ذهب المتاع الذاهب
ومن السوابغ والصوارم والقنا * ومن الصواهل بدّن وشوارب
كانت سوابقها تحمل منهم * أقمارا ندية وأسد كتائب
كانوا ليوث حقيبة لكنهم * سكنوا غياض أسنة وقواضب
قصفتهم ريح الردى ورمتهم * كف المنون بكل سهم صائب

(قوله مصرّ) اى مقيم على الذنب و (العالم) كل مخلوق وأراد به الحيوان (طوله) فضله (هدّ) أذل وأهلك وهدّ البناء كسره وهدمه و (المارد) العاتى وهو المبالغ فى الطغيان والفساد والكثير الشر (حوله) قوته (مؤمّل) راج (مسلم) مفوض (الصمد) من أسماء الله تعالى والسيد المطاع والصمد الذى لا يولد له وقيل الصمد الذى لا جوف له وقال ابن الانبارى أجمع أهل اللغة بلا خلاف على أنّ الصمد الذى ليس فوقه أحد الذى يصمد اليه الناس فى أمورهم وأنشد لورقة بن نوفل

متهاديا خلف عصبته فارتقى فى منبر الدعوة الى أن مثل بالذروة فسلم مشيرا باليمين ثم جلس حتى ختم تطسم التأذين ثم قام وقال الحمد لله الممدوح الاسماء المحمود الآلاء الواسع العطاء المدعوّ لحسم اللأواء مالك الامم ومصور الرمم وأهل السماح والكرم ومهلك عاد وارم أدرك كل سر علمه ووسع كل مصر حلمه وعمّ كل عالم طوله وهدّ كل مارد حوله أحمده حمد موحد مسلم وأدعوه دعاء مؤمل مسلم وهو الله لا اله الا هو الواحد الاحد العادل الصمد لا ولد له ولا والد

سبحان ذي العرش سبحانا يدوم له * رب البرية فرد واحد صمد

وأنشد لعمرو بن مسعود * وبالسيد الصمد * وأنشد * ولا رهينة الاسد صمد * وأنشد خذها حذيف فأنت السيد الصمد * (قوله ردء) معين وأردأتك على الامر أعنتك (مساعد) موافق لمراده (ممهدا) باسطا و (الملة) الدين (الاحمر) أراد به الابيض وأراد لكل الناس وقيل الاحمر العجم مثل الروم والفرس لانهم بيض تعلوهم حمرة والاسود العرب لانهم لسكناهم الصحارى تغلب السمرة على ألوانهم (الارحام) في الاصل الفروج ثم يكنى بها عن القرابات الذين بينهم رحم (وسم) بين وجعل له علامة والسمة العلامة (رسم) كتب وبين وأصل الرسم الاثر ورسمت الشئ أثرت به أثرا (الاحلال) الدخول في الحل (الاحرام) الدخول في الحرم وأراد انه علم موضع الحل والحرم (آله) أهله (همر ركام) انصب سحاب (هدر) صوت (وسرح) تفرق في المرعى (سوام) ابل راعية (سطا) اهتز ليقطع (اكدحوا) اعملوا والكدح عمل الانسان من خير وشر واكتسابه للدنيا والآخرة (لمعادكم) أي ليوم بعثكم والمعاد المرجع (الاصحاء) جمع صحيح (اردعوا) كفوا (اذرعوا) البسوا الخوف (أود) اعوجاج (وساوس الامل) أحاديث الطمع والرجاء (أوهامكم) نفوسكم (حوّل) تغير (حلول) نزول (الاهوال) المخاوف (مساورة) مواثبة (الاعلال) الاصابة بعلة (مصارمة) مقاطعة (الآل) الاهل والقرابة (اذكروا الحمام) اذكروا الموت (الرمس) تراب القبر (هول مطلعه) خوف ما يراه الانسان فيه (اللحد) الحفيرة في جانب القبر (مودعه) المجعول فيه كأنه وديعة فيه (الملك) منكر ونكير اللذين يفتنان الناس في قبورهم (روعة) تفريع وتخويف (المطلع) المأتى قال الجوهري رحمه الله تعالى يقال أين مطلع هذا الامر أي مأتاه وهو موضع الاطلاع من اشراف الى انحدار وجاء هول المطلع في الحديث حدث واثلة بن الاسقع وغيره قالوا خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس اذكروا الموت وهول مطلعه وما تقدمون عليه من أعمالكم فانما أنتم عابر وسبيل الى دار الخلود ازهدوا في دنيا ناقصة غير زائدة مفرقة غير مجمعة وارغبوا في دار لا تخرب قصورها ولا يبلى سرورها ولا يموت ساكنها أعمار أهل الجنة أبناء ثلاث وثلاثين سنة مكحلون يأكلون ويشربون لا يخرج من أجوافهم شئ الا يعرقون عرقهم ذلك مسك فلم أر مثل الجنة نام طالبها ولم أر مثل النار نام هاربها وقال ابن سكرة

محمد ما أعددت للترب والبلى * وللملكين الواقفين على القبر

وأنت مصرّ لا تراجع توبة * ولا ترعوى عما يذمّ من الامر

سيأتيك يوم لا تحاول دفعه * فقدّم له زادا الى البعث والحشر

وتقدم الباب موفى حقه في الحادية عشر * ونذكر هنا بعض ما قيل في الامل والطمع المانعين للناس من أعمال البر قال أبو العتاهية

تعلقت بآمال * طوال أيّ آمال

فأقبلت على الدهر * ملحا أيّ اقبال

أيا هذا تجهز لـ * ـفراق الاهل والمال

فلا بد من الموت * على حال من الحال

وقال أبو تمام ألعمر في الدنيا تجد وتعمر * وأنت غدا فيها تموت وتقبر

ولا ردء معه ولا مساعد أرسل محمدا للاسلام ممهدا وللملة موطدا ولادلة الرسل مؤكدا وللاسود والاحمر مسددا وصل الارحام وعلم الاحكام ووسم الحلال والحرام ورسم الاحلال والاحرام كرم الله محله وكمل الصلاة والسلام له ورحم آله الكرماء وأهله الرحماء ماهمر ركام وهدر حمام وسرح سوام وسطا حسام اعملوا رحمكم الله عمل الصلحاء واكدحوا لمعادكم كدح الاصحاء واردعوا أهواءكم ردع الاعداء وأعدّوا للرحلة اعداد السعداء واذّرعوا حلل الورع وداووا اعلال الطمع وسووا أود العمل وعاصوا وساوس الامل وصوروا الاوهامكم حوّل الاحوال وحلول الاهوال ومساورة الاعلال ومصارمة المال والآل واذكروا الحمام وسكرة مصرعه والرمس وهول مطلعه واللحد ووحدة مودعه والملك وروعة سؤاله ومطلعه

تلقح آمالا وترجو نتاجها * وعمرك مما قد ترجيه أقصر
وهذا صباح اليوم ينعاك ضوءه * وليلته تنساك لو كنت تشعر
تحوم على ادراك ماقد كفيته * وتقبل بالآمال فيها وتدبر
ررزقك لا يعدوك اما معجل * على حاله يوما واما مؤخر

(وقال محمود الوراق)

علام يسعى الحريص فى طلب الرزق بطول الرواح والدلج
ياقارع الباب رب مجتهد * قد أدمن القرع ثم لم يلج
فاطو على الهم كف مصطبر * فآخر الهم أول الفرج

(وقال عبد الصمد بن المعذل)

وأعلم أن بنات الرجا * تحل العزيز محل الذليل
وأن ليس مستغنيا بالكثير * من ليس مستغنيا بالقليل

والمحوا الدهر ولؤم كره كم وسوء محاله وبكره طمس معلما وأمرسط عمما وطحطح عرمرما ودمر ملكا مكرما

(قوله المحوا) انظروا (كره) رجوعه (محاله) شدته ومعاداته وخداعه (طمس) محا وأذهب (معلما) موضعا من تفعا تعلم به الجهة التى هو فيها (طحطح) أهلك وفرق (عرمرما) جيشا كبيرا (دمر) أهلك والدمار الهلاك * ونذكر بعض من ذم الدهر من ملوك الاسلام من ذلك أن سليمان ابن عبد الملك لبس فى يوم الجمعة لباسا شهر به ودعا بتخت فيه عمائم وبيده مرآة فلم يزل يعتم بواحدة بعد أخرى وأرخى سدولها وأخذ بيده مخصرة واعتلى منبره ناظرا فى عطفيه وجمع حشمه وقال أنا الملك الشاب السيد الحجاب الكريم الوهاب فتمثلت له احدى جواريه فقال كيف ترين أمير المؤمنين فقالت أراه منى النفس وقرة العين لولا ما قال الشاعر

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى * غير أن لا بقاء للانسان
أنت خلو من العيوب ومما * يكره الناس غير أنك فانى

فدمعت عيناه وخرج على الناس باكيا فلما فرغ من صلاته رجع ودعا بالجارية وقال لها ما حملك على ماقلت قالت والله ما رأيتك ولا دخلت عليك فأكبر ذلك ودعا بقية جواريه فصدقنها على ذلك فراعه ذلك ولم يبق الامديدة حتى مات * الفضل بن الربيع قال كنت مع المنصور فى السفر الذى مات فيه فنزلنا بعض المنازل فدعانى وهو فى قبته الى حائط وقال ألم أنهكم أن تدعوا العامة تدخل هذه المنازل فيكتبون فيها مالا خير فيه قلت وما هو قال ألا ترى ما على الحائط مكتوبا

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت * سنوك وأمر الله لابد نازل
أبا جعفر هل كاهن أو منجم * يرد قضاء الله أم أنت جاهل

فقلت والله ما على الحائط شئ وانه لنقى أبيض قال الله قلت الله قال انها والله نفسى نعيت الى الرحيل بادر بى الى حرم الله وأمنه هاربا من ذنوبى واسرافى على نفسى فرحلنا وثقل حتى بلغ بئر ميمون فقلت له قد دخلت الحرم قال الحمد لله وقبض من يومه ولما حضرته الوفاة قال هذا السلطان لاسلطان من يموت * على بن يقطين قال لما كنا مع المهدى بماسبذان قال لى أصبحت جائعا فائتنى بارغفة ولحم بارد فأكل ونام فى البهو فما استيقظنا الا لبكائه فبادرنا فقال أما رأيتم ما رأيت وقف على رجل لو كان فى ألف ما خفى على فقال

كأني بهذا القصر قد باد أهله * وأوحش منه ربعه ومنازله
وصار عميد الملك من بعد بهجة * الى قبره تحثي عليه جنادله
فلم يبق الا ذكره وحديثه * ينادي عليه معولات حلائله

فما أتت عليه عشرة أيام حتى توفي قال الاصمعي دخلت على الرشيد يوما وهو ينظر في كتاب ودموعه تحدر على خده فالتفت وقال اجلس أرأيت ما كان مني قلت نعم قال أما انه لو كان من أمر الدنيا ما رأيت هذا ثم رمى الي به فاذا فيه مكتوب لابي العتاهية

يا مؤثر الدنيا بلذتها * والمستعد لمن يفاخره
نل ما بدا لك أن تنال من الدنيا فان الموت آخره
هل أنت معتبر بمن خربت * منه غداة قضى عساكره
وبمن خلت منه أسرته * وبمن خلت منه منابره
أين الملوك وأين غيرهم * صاروا مصيرا أنت صائره

ثم قال كأني أخاطب بهذا دون كل الناس فلم يلبث الا قليلا حتى مات * ولما رجع المأمون من غزوته التي افتتح فيها أربعة عشر حصنا نزل على عين تعرف بالعشيرة ينتظر رجوع رسله من الحصون فأعجبه بردمائها وصفاؤه وحسن بياضه وكثرة الخضرة والخصب بالموضع وجلس على خشب بسط له على الماء وطرح فيه درهما فقرأ كتابته في قرار الماء لصفائه ولم يقدر أحد يدخل الماء لشدة برده فلاحت سمكة نحو الذراع كأنها سبيكة فضة فنزل بعض الفراشين فأخذها فاضطربت في يده وتملصت ووقعت في الماء فنضح منه على صدر المامون ثم أخذها ووضعها بين يديه في منديل تضطرب فأمر بأن تقلى الساعة فأخذته رعدة من ساعته ولم يقدر يتحرك فغطى باللحف وهو يرتعد ويصيح البرد فأتي بالسمكة فلم يقدر عليها وسال على جسمه عرق كالرب لم يعرفه الاطباء فلما ثقل قال اخرجوني أنظر الى عسكري وأنظر الى مالي وملكي وذلك ليلا فأشرف على الجيش وانتشاره ونيرانه فقال يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه فلما ثقل رنا بطرفه نحو السماء وقد امتلأت عيناه دموعا فقال يا من لا يموت ارحم من يموت وقضى عليه من ساعته وكان كثيرا ما ينشد

ومن لم يزل غرضا للمنو * ن تترك ذات يوم عميدا
وان أخطأت مرة نفسه * فيوشك تخطئها أن يعودا
فبينا يحيد وتخطئنه * قصدن فأعجلنه أن يحيدا

*وذكر أبو المواريث قاضي نصيبين أنه رأى في المنام ليلة قائلا يقول

يا نائم الليل في جثمان يقظان * ما بال عينيك لا تبكي بتهتان
ان الليالي لم تحسن الى أحد * الا أساءت اليه بعد احسان
هلا رأيت صروف الدهر ما فعلت * بالهاشمي وبالفتح بن خاقان

يعني المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان قال فأتى البريد بقتلهما في تلك الليلة وقال سابق البربري

ورب أغيد ساجي الطرف معتصب * بالتاج نيرانه للحرب تستعر
يظل مفترش الديباج محتجبا * اليه تجبى قباب الملك والحجر

قد غادرته المنايا فهو مستلب * مجندل ترب الخدين منعفر

(همه) مراده (سك المسامع) قطع الآذان وقد سك أذنه اذا استأصلها بالقطع والمقطوع الاذن يقال له أسك وسككت الشيء فاستك أي سددته فانسد (سج) صب (أكداء) قطع ومنع (ارداء) اهلاك (الرعاع) سقط الناس (المسوّد) من ليس بسيد (المطاع) الذي يقول ما أراد فيطاع ولا يعصى (الاساود) الحيات (والآساد) جمع أسد (موّل) أعطى مالا (مال) انحرف وخرج عن طريقه (عكس) قلب (الآمال) جمع أمل وهو الرجاء وقال مسلم بن الوليد

الدهر آخذ ما أعطى مكدّر ما * أصفى ومفسد ما أهدى له بيد

فلا يغرّنك من دهر عطيته * فليس يترك ما أعطى على أحد

(وقال أبو تمام)

أقول لنفسي حين مالت لصفوها * الى خطوات قد تحين أمانيا

فهبني من الدنيا ظفرت بكل ما * تمنيت أو أعطيت فوق منائيا

أليس الليالي غاصباتي مهجتي * كما غصبت قبل القرون الخواليا

(قوله صال) صاح وهدر (كلم) جرح (الاوصال) المفاصل وهو موصل عظم عضو في عضو (لؤم) صار لئيما (روع الاوداء) فزع الاحباب (السهو) الغلط (الاصرار) الاقامة على الذنب (الآصار) الاثقال يريد اثقال الذنوب (اطراح) ترك ورمى (مسلككم) طريقكم (الساهرة) وجه الارض وقيل الارض البيضاء (المورد) موضع الماء الذي يرده الناس والبهائم ولا غناء لاحد من قصد الماء فجعل الساهرة موردا على هذا المعنى (أهوال الطامّة) مخاوف القيامة ومافيها من الهول والخوف واصابت الناس طامة أي داهية وأمر عظيم وقد طم الامر اذا عظم وجاوز الحد (مرصدة) معدة ينتظرون بها و (الحطمة) التي تحطم الناس أي تكسرهم يعني جهنم أعاذنا الله منها وهو اسم علم من أسماء جهنم دخلته اللام ايذانا بالصفة (المؤصدة) المغلقة (رواؤهم) منظرهم الحسن (حالك) أسود (السموم) جمع سم و (السموم) الريح الحارة (أم) قصد (أحكم) أتقن (كدح) عمل (روح مأواه) راحة مسكنه (موادعا) متاركا ومصالحا قال ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك (دهمه) غشيه وأتاه فجأة ودهمه يدهمه لغة (المرام) المطلب (حصر) حبس (المام) نزول (الالام) الاسقام (حوم الحمام) دنوّ الموت (هدو) سكون (الحواس) الادراكات وهي التي يحس بها الانسان الاشياء ويدركها وهي خمسة العين يدرك بها النظر والانف والاذن يدرك بهما الشم والسمع واللسان واليد يدرك بهما الذوق واللمس فيريد أن هذه الجوارح تسكن بالموت ولا تتحرك ونشد هنا أبياتا تليق بالموضع بعض تعلق ونذكر فيها الاطباء الذين لا حيلة لهم في الموت قال عدي بن زيد

أين أهل الديار من قوم نوح * ثم عاد من بعدهم وثمود

بينما هم على الاسرّة والانـ * ـماط أفضت الى التراب الخدود

والاطباء بعدهم لحقوهم * ضلّ عنهم سعوطهم واللدود

همته سك المسامع وسح المدامع واكداء المطامع وارداء المسمع والسامع عم حكمه الملك والرعاع والمسود والمطاع والحسود والحساد والاساود والآساد ما موّل الامال وعكس الآمال وما وصل الاوصال وكلم الاوصال ولاسرّ الاوساء ولؤم وأساء ولا أصح الاولاد الداء وروع الاوداء الله الله رعاكم الله الام مداومة اللهو ومواصلة السهو وطول الاسرار وحمل الآصار واطراح كلام الحكماء ومعاصاة الله السماء أما الهرم حصادكم والمدر مهادكم أما الحمام مدرككم والصراط مسلككم أما الساعة موعدكم والساهرة موردكم أما أهوال الطامة لكم مرصدة أما دار العصاة الحطمة المؤصدة حارسهم مالك ورواءهم حالك وطعامهم السموم وهواؤهم السموم لا مال أسعدهم ولا ولد ولا عدد حماهم ولا عدد ألا رحم الله امرأ ملك هواه وأمّ مسالك هداه واحكم طاعة مولاه وكدح لروح مأواه وعمل ما دام العمر مطاوعا والدهر موادعا والصحة كاملة والسلامة حاصلة والا دهمه عدم المرام وحصر الكلام والمام الآلام وحوم الحمام وهدوّ الحواس

وصحيح

وصحيح أضحى يعود مريضا * وهو أدنى للموت ممن يعود

(وقال الخليل بن أحمد)

فكن مستعدا لداعى الفناء * فان الذى هو آت قريب

وقبلك داوى المريض الطبيب * فعاش المريض ومات الطبيب

ولابن الرومى وفصده بعض الاطباء فزعم أن الفصد زاد فى علته فقال

غلط الطبيب علىّ غلطة مورد * عجزت محالته عن الاصدار

والناس يلحون الطبيب وانما * غلط الطبيب اصابة المقدار

(وقال غيره)

قد قلت لما قال لى قائل * قد صار نعمان الى رمسه

فأين ما يذكر من طبه * وحذقه بالماء مع جسه

هيهات لا يدفع عن غيره * من كان لا يدفع عن نفسه

(ومنه قول الآخر)

أقول لنعمان وقد ساق طبه * نفوسا نفيسات الى باطن الارض

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا * حنانيك بعض الشر أهون من بعض

(ويحكى) أن القاضى ابن منظور بلغه أن أبا العلاء بن زهر مرض فضحك وقال فأين طبه فبلغت أبا العلاء فقال

قالوا ابن منظور تبسم هازئا * لما مرضت فقلت يعثر من مشى

قد كان جالينوس يمرض دائما * فن الامام المرتضى قبل الرشا

(وقال المتنبى)

لابد للانسان من ضجعة * لا تقلب الانسان عن جنبه

ينسى بها ما مر من عجبه * وما أذاق الموت من كربه

نحن بنو الموت فما بالنا * نعاف ما لابد من شربه

تبخل ايدينا بأرواحنا * على زمان هى من كسبه

فهذه الارواح من جوه * وهذه الاجساد من تربه

يموت راعى الضأن فى جهله * كموت جالينوس فى طبه

(اصيب الجرمى فى عينيه فقال)

اذا مات بعضك فابك بعضا * فبعض الشئ من بعض قريب

يمنينى الطبيب شفاء عينى * وما غير الاله لها طبيب

ومراس الارماس آهالها حسرة

(قوله مراس) أصله معالجة الشئ الشديد وكل شئ التصق بشئ واحتك به فقد مارسه ومرست الدواء بالماء دلكته و(الارماس) القبور واحدها رمس فيريد بها ما يلقاه الانسان فى قبره من الدواهى وتقدمت فى الحادية عشر ويروى الامراس جمع مرس وهو حبل من ليف يفتل على ثلاثة مراسه جريانه على البكرة فالبكرة تأكل قوته كل يوم فتقطعه كما ان الايام تأكل قوة ابن آدم فتقطعه فاذا مات أكل بدنه القبر (آها) كلمة توجع (حسرة) فجيعة والهاء فى لها كناية عن

ألمها مؤكد وأمدها سرمد وممارسها مكمد ما لولهه حاسم ولا لسدمه راحم ولا له ممّا عراه عاصم ألهمكم الله أجدا الالهام وردّاكم رداء الاكرام وأحلكم دار السلام وأسأله الرحمة لكم ولاهل ملّة الاسلام وهو أسمح الكرام والمسلم والسلام (قال الحرث ابن همام) فلما رأيت الخطبة نخبة بلا سقط وعروسا بغير نقط دعانى الاعجاب بنمطها العجيب الى استجلاء وجه الخطيب فأخذت أتوسّمه جدّا وأقلب الطرف فيه مجدّا الى أن وضح لى بصدق العلامات أنه شيخنا ذو المقامات ولم يكن بد من الصمت فى ذلك الوقت فامسكت حتى تحلل من الفرض وحل الانتشار فى الارض ثم واجهت تلقاءه وابتدرت لقاءه فلما لحظنى خف فى القيام وأحفى فى الاكرام ثم استصحبنى الى داره وأودعنى خصائص أسراره وحين انتشر جناح الظلام وحان ميقات المنام أحضر أباريق المدام معكومة بالفدام فقلت أتحسوها امام النوم وأنت امام القوم

الحسرة أضمرها بشريطة التفسير أى ما أعظمها من حسرة آها أى تأوها (ألمها مؤكد) أى وجعها شديد متتابع (سرمد) دائم (ممارسها) معالجها ومخالطها (مكمد) مهموم محزون (ولهه) حزنه (حاسم) مزيل قاطع (سدمه) حيرته (عراه) قصده (عاصم) مانع (ألهمكم) ذكركم ونبهكم (أحلكم) أنزلكم (دار السلام) الجنة من دخلها سلم من العذاب وبقى فى سلامة (ملة) دين (أسمح) أكرم (السلام) الذى هو من أسماء الله سبحانه وتعالى ومعناه المسلم لعبده أو هو على حذف المضاف ومعناه ذو السلام أى صاحب السلام ويحتمل أن يريد به اللفظة التى يقطع بها الكلام كما تقول لمن تقطع كلامه والسلام أى لا زيادة عندى على هذا أو أردت والسلام عليكم فحذفت اختصارا وفى تأويل السلام عليكم وجهان احدهما أنه اسم الله بمعنى الله تعالى عليكم اى على حفظكم أو بمعنى السلامة عليكم فالسلام جمع سلامة * قال ابن الانبارى السلام فى كلام العرب على أربعة أقسام السلام التسليم تقول سلمت سلاما والسلام الله تعالى والسلام جمع سلامة والسلام شجر عظام واحدها سلامة قال الاخطل

ورابية السكران قفر فنابها * لهم شجع الاسلام وحرمل

(نخبة) مختارة (سقط) لفظ ردىء (استجلاء) نظر (أتوسمه) أنظر سمته أى علامته التى يعرف بها (جدّا) كثيرا (مجدّا) مجتهدا (وضح) تبين (ذو المقامات) صاحب المجالس (البد) الفرار قال الفراء رحمه الله تعالى يقال لا بدّ اليوم من قضاء حاجتى أى لا فرار ويقال ليس لهذا الامر بد أى لا محالة (الصمت) السكوت والانصات لاستماع الخطبة فرض عند الشافعى رضى الله عنه لقوله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا أى لاستماع الخطبة وقال جماعة من المفسرين انه انما نزلت الآية فى السكوت لاستماع الخطبة * أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قلت لصاحبك والامام يخطب أنصت فقد لغوت * أبو هريرة وأبو سعيد انهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خرج الى الجمعة وعليه الوقار ثم رجع ثم أنصت الى ان جلس الامام فلم يتكلم حتى ينزل ثم صلى الجمعة غفر الله له ما بينه وبين الجمعة التى تليها قال أبو هريرة وثلاثة أيام يريد من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها (تحلل من الفرض) تخلص من الصلاة (الانتشار) انحلال الجموع من الصلاة وانبساطهم على الارض (تلقاءه) مقابلته (أحفى) بالغ واستيقظ وتحفيت بفلان أظهرت العناية به فى سؤاله اياه (ميقاته) وقته (معكومة) مشدودة وعكمت البعير شددت فمه والوعاء شددت رأسه (الفدام) خرقة يشد بها فم الابريق ليصفو بها ما فيه (تحسوها) تشربها (وأنت امام القوم) توبيخ له على قبح فعله مع الفضل الذى سبق له والعيب الكبير يصغر فى حق أهل الريب كما ان الصغير يعظم فى حق أهل المروآت وقال المتنبى فى المعنى وان كان من غير الباب

وما يوجع الحرمان من كف حارم * كما يوجع الحرمان من كف رازق

(وقال المخزومى)

والعيب فى الجاهل المغمور مغمور * وعيب ذى الشرف المذكور مذكور

كفوفة الظفر تخفى من حقارتها * ومثلها فى سواد العين مشهور

(وقال ابراهيم بن المهدى)

لولا الحياء وانى مشهور * والعيب بالرجل الكبير كبير
لحللت منزله الذى يحتله * ولكان منزلنا هو المهجور

(مه) اسكت ومعنى قوله (انا بالنهار خطيب وبالليل أطيب) مما وقع فى كتاب مفتاح السرور والافراح حكاية عن بعضهم أنه قال رأيت قاصا يقص غداة يوم ثم رأيته بالعشى فى حانة والقدح فى يده فقلت ما هذا فقال انا بالغداة قاص وبالعشى عاص ومن ذلك ما كتب به يحيى بن خالد لابنه الفضل حين بعث فيه أهل خراسان كتابا الى الرشيد انه مشتغل بالصيد وادمان اللذات فرمى به الى يحيى وقال يا أبت اكتب اليه بما يردعه فكتب على ظهر الكتاب حفظك الله يا بنى وأمتع بك فقد انتهى الى أمير المؤمنين ما أنت عليه من التشاغل بالصيد وادمان اللذات فعاود ما هو اليق بك وأزين لك فانه من عاد الى ما يزينه وترك ما يشينه لم يعرفه أهل دهره الا به وقد قلت أبياتا فالتزمها وان جاوزتها عزلتك عن سخط ولم أكملك حولا وكتب اليه

انصب نهارا فى طلاب العلا * واصبر على فقد لقاء الحبيب
حتى اذا الليل أتى مقبلا * واستترت فيه عيون الرقيب
فباشر الليل بما تشتهى * فانما الليل نهار الاريب
كم من فتى تحسبه ناسكا * قد لقى الليل بأمر عجيب
ألقى عليه الليل أثوابه * فبات فى لهو وعيش خصيب
ولذة الاحمق مشهورة * يرصدها كل حسود رقيب

فامتثل ما فيها حتى عزل عنها وقال الحلوانى فى ضده

أنت الذى قسم الزمان لنفسه * قسمين بين رياسة ومتاب
أعطى لمرتبة العلاء نهاره * منها وجنح الليل للمحراب

وقال الفنجديهى فى قوله انا بالنهار خطيب وبالليل أطيب معناه أنا صالح المنظر فاسد المخبر انظر فى مرآة المراآة وأسر مساواة المساآت وأديم المناجاة جلوة وأقيم المداجاة خلوة آمر الناس بالرشاد وأنا أتوسد وسادة الفساد وقال ابن عمر رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الصلاة حين يراه الناس ثم أساءها حين يخلو فتلك استهانة يستهين بها ربه (قوله تسليك عن أناسك) أى اشتغالك عن أهلك وبلدك وهو مسقط رأسه أى الموضع الذى سقط فيه رأسه عند ولادته (خطابتك) فصاحتك فى خطبتك (أدناسك) عيبك وتلطيخ عرضك (مدار) دورانه فى أيدى الشاربين (أشاح) نحى معرضا وأشاح فى الامر صمم عليه (الفا) صاحبا (نأى) بعد يقول له جوابا للومه لا تبك صاحبا بعد عنك ولا منزلا تغربت عنه وتقلب مع الدهر كما يتقلب مع أهله (ودر) من الدوران (سكنا) أهلا والفا تسكن اليه (ومثل الارض كلها دارا) أى بلدا والدار البلد فى قوله تعالى فأصبحوا فى دارهم جاثمين وتمتعوا فى داركم (داره) لاينه وسايسه (اللبيب) العاقل (دارى) أحسن مخالطة الناس واصلها الخداع تقول العرب دريت الصيد أدريه دريا وداريته اداريه مداراة والدرية بعير يقعد عنده الصائد يستتر به فيجىء الصيد فيأنس بالبعير فيرميه من قرب وكان الحسن يقول المداراة تستجلب مودة القلوب فتخدعهم فى عقولهم وفى الحديث أحب الناس تحببا الى الله أكثرهم تحببا الى الناس وفيه اذا أحب الله

فقال مه أنا بالنهار خطيب
وبالليل أطيب فقلت والله
ما أدرى أأعجب من تسليك
عن أناسك ومسقط راسك
أم من خطابتك مع ادناسك
ومدار كاسك فأشاح بوجهه
عنى ثم قال اسمع منى
لا تبك الفا نأى ولا دارا
ودر مع الدهر كيفما دارا
واتخذ الناس كلهم سكنا
ومثل الارض كلها دارا
واصبر على خلق من تعاشره
وداره فاللبيب من دارى

عبدا حببه الى الناس *(وقال ابن عبدربه)*

وجه عليه من الحياء مهابة * ومحبة تجرى مع الانفاس
واذا أحب الله يوما عبده * ألقى عليه محبة للناس

كتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى سعد بن أبى وقاص ان الله اذا أحب عبدا حببه الى الناس واعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس واعلم ان مالك من الله بمنزلة ما للناس عندك* وقال بعضهم أتيت الخليل فوجدته على طنفسة صغيرة فوسع لى فكرهت أن أضيق عليه فتأخرت فأخذ بعضدى وقدمنى الى نفسه وقال لا يضيق سم الخياط بمتحابين ولا تسع الارض متباغضين أخذه ابن عبدربه فقال

صل من هويت وان أبدى مباغضة * فأطيب العيش وصل بين الفين
واقطع حبائل خدن لا تلائمه * فقلما تسع الدنيا بغيضين

ولابى محمد بن أبى الوليد المالقى

صيرفؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا فى معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

(ولابن الرقاق)

ألا ادن وان ضاق الندى فانه * رحيب بود ضمنته الاضالع
يضيق الفضا عن صاحبين تباغضا * وسم خياط بالحبيبين واسع

(وقال التهامى)

بين المحبين مجلس واسع * والود حال بقرب الشاسع
والبيت ان ضاق عن ثمانية * متسع بالوداد للتاسع

(فرصة) نهزة وغنيمة (دارا) دهرا وقال السرى

قم فانتصف من صروف الدهر والنوب * واجمع بكاسك بين اللهو والطرب
واخلع عذارك واشرب قهوة مزجت * بقهوة الفلج المعسول والشنب
توج بكاسك قبل الحادثات يدى * فالكاس تاج يد المثرى من الادب

(جائلة) دائرة (كسرى) اسم ملك الفرس وكسرى ملك الملوك أنوشروان بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام الملك العادل ملك العرب والعجم كان موصوفا بالعدل معروفا بحسن الرعاية والفضل وشهرته فى كتب الآداب مغنية فى ذكره عن الاطناب قيل كان مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لاثنتين وأربعين سنة مضت من ملكه وملك تسعا وأربعين سنة وكسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان كان ملكا شديد البطش نافذ الرأى قد بلغ من الظفر ومسالمة الدهر حدا لم يبلغه ملك من الملوك كان ملكه ثمانى وثلاثين سنة وفى سنة ثلاثين من ملكه بعث نبينا صلى الله عليه وسلم وحدث خالد بن ربوة وكان رأسا فى المجوس فأسلم قال كان كسرى اذا ركب ركب معه رجلان فيقولان له ساعتئذ أنت عبد ولست برب فيشير برأسه أن نعم فركب يوما فقالا ذلك له فلم يشر برأسه فشكواه الى صاحب الشرطة فركب ليعاتبه وكان كسرى قد نام فلما وقع صوت حوافر الدواب فى أذنه استيقظ فدخل عليه صاحب الشرطة فقال أيقظتمونى انى رأيت كأنه رقى بى فوق

ولا تضع فرصة السرور فما
تدرى أيوما تعيش أم دارا
واعلم بأن المنون جائلة
وقد أدارت على الورى دارا
وأقسمت لا تزال قانصة
ما كثر عسكر الحيا وما دارا
فكيف ترجى النجاة من شرك
لم ينج منه كسرى ولا دارا

سبع سموات فوقفت بين يدى الله تعالى واذا رجل بين يديه عليه ازار ورداء فقال لى سلم مفاتيح خزائن الارض الى هذا ألست المأمور بكذا فلم تفعل وانى أردت أن أقولها فاستردها منه فأيقظتمونى وصاحب الازار والرداء هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبعث له رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة بن قيس وكتب له بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله النبى الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أدعوك بدعاية الله عز وجل فانى رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فأسلم تسلم فان أبيت فان اثم المجوس عليك فلما قرأ الكتاب شقه وقال يكتب الىّ بهذا وهو عبدى فبلغ الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مزقه مزق الله ملكه أو قال اللهم مزقهم كل ممزق ثم كتب كسرى الى باذان وهو على اليمن ان ابعث الى هذا الرجل الذى بالحجاز رجلين جلدين يأتيانى به فبعث باذان قهرمانه وكان كاتبا حاسبا وهو بابومة وبعث معه برجل من الفرس وكتب معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره أن ينصرف معهما الى كسرى وقال لبابومة ويلك انظر من الرجل وكلمه وائتنى بخبره فخرجا حتى قدما الطائف فسألا عنه فقالوا هو بالمدينة واستبشر أهل الطائف وقالوا نصب له كسرى كفيتم الرجل فخرجا حتى قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه بابومة وقال ان شاهانشاه ملك الملوك كسرى كتب الى باذان يأمره أن يبعث اليك من يأتيه بك وقد بعثنى اليك لتنطلق معى فان فعلت كتبت فيك الى ملك الملوك بكتاب ينفعك ويكف عنك به وان أبيت فهو من قد علمت وهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك فقال لهما ارجعا حتى تأتيانى غدا وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر أن الله تعالى قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله فى ليلة كذا فى شهر كذا بعد ما مضى من الليل كذا سلط الله عليه ابنه فقتله فقالا هل تدرى ما تقول فانا قد خفنا منك ما هو أيسر من هذا أفنكتب به عنك ونخبر الملك قال نعم أخبراه ذلك عنى وقولا له ان دينى وسلطانى سيبلغ ما بلغ ملك كسرى وقولا له ان أسلمت أعطيتك الناس تحت يدك وملكتك على قومك من الابناء فخرجا من عنده حتى قدما على باذان فأخبراه الخبر فقال والله ما هذا بكلام ملك وانى لأرى الرجل نبيا فان كان ما قال حقا فهو نبى مرسل فان لم يكن فسأرى فيه رأيا فلم يلبث ان قدم عليه كتاب شيرويه وفيه أما بعد فانى قد قتلت كسرى ولم أقتله الا غضبا لفارس مما كان استحل من قتل اشرافهم فاذا جاءك كتابى هذا فخذ لى الطاعة ممن قبلك وانظر الى الرجل الذى كتب لك فيه فلا تهجه حتى يأتيك أمرى فيه فقال باذان ان هذا الرجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وأسلمت الابناء من فارس وكسرى أنوشروان هو الذى بنى سور الابواب وهو من عجائب الدنيا فلما بناه هادته الملوك وكاتبته وهو الذى افتتح كثيرا من بلاد الشأم الرومية ونقل منها الرخام الى العراق وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم ولد لاثنتين وعشرين سنة من ملكه وقيل انه ولد فى آخر ملكه كما قدمنا ثم ولى من بعده ابنه هرمز وكان مضعفا غزته الملوك وطمعت فيه ثم خلعته الفرس وسملت عينيه وعقد الملك لابنه ابرويز فى حياته فبعد حروب شديدة اجتمع لابرويز أمره وكان وزيره بزرجمهر أكثر الفرس حكما ومواعظ وفى ملكه كانت وقعة ذى قار بين بكر بن وائل والهامرز صاحب أبرويز لاربعين سنة لمولد النبى صلى الله عليه وسلم

وقيل انها كانت فى غزوة بدر وقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبى نصرت وكان على مربط أبرويز خمسون ألف دابة وألف فيل نخرج فى أحد أعياده وقد صفت له الجيوش وأحدقت به مائة ألف فارس دون الرجالة وصفت له الفيلة فلما ابصرت به سجدت له فما رفعت رؤسها حتى رفعت خراطيمها بالمحاجن فأعلم بذلك وقال وددت أنها فارسية ولم تكن هندية انظروا الى أدبها من بين سائر الدواب ثم هدم الله تعالى هذا الملك العظيم بالاسلام قال الالبيرى

فطف البلاد لكى ترى آثار من * قد كان يعمرها من الاقيال
عصفت بهم ريح الردى فذرتهم * ذرو الرياح الهوج حقف رمال
فتقطعت أسبابهم وتمزقت * ولطالما كانوا كنظم لآلى

قيل لابرويز وكان حكيما ماشهوة ساعة قال الجماع قيل فما شهوة يوم قال دخول الحمام قيل فما شهوة جمعة قال غسل الثياب قيل فما شهوة شهر قال تجديد الثياب قيل فما شهوة سنة قال تزوج الابكار قيل فما شهوة الابد قال أما فى الدنيا فمشاهدة الاخوان وأما فى الآخرة فنعيم الجنة ونظر الى قذاة فى طعام فدعا الطباخ فقال ما هذا فقال حاوتيه بالليل فى وقت لم يكن فيه ماء معين فأمر بضرب عنقه فغضب الطباخ وقال يا ابن الاشتوربان تفسيره يا ابن سائس الدواب فعفا عنه وقال انا معشر الملوك نعاقب فى الصغير ونعفو عن الكبير *وأما دارا بن دارا بن بهمن وهو آخر ملوك الفرس الاول فانه كان ضخم الملك ذا قدرة ومكانة وهو الذى بنى بأرض الجزيرة مدينة دارا بجرد وكانت جنده ستمائة ألف ولقيه الاسكندر بالجزيرة فدارت بينهم الحروب أربعين يوما وخندق دارا على عسكره خمس خنادق وجعل على كل خندق اثنى عشر ألف رجل وكانت النوبة لاتصيب الرجل الا يوما فى كل خمسة أيام فوجد الاسكندر من ذلك وجدا شديدا فبعث الى دارا انا كدنا نتفانى ورأيت رأيا فيه البقاء لنا ولك وذلك أن تفرج لى فأخرق صفك خرقا الى جانب بلادك وأرجع الى بلادى فانا لانرى الفرار من الزحف وهو عار لا يغسل فاجابه دارا الاسبيل الى ذلك فلما رأى الاسكندر ذلك وضع البرنس وحسر عن رأسه وقال يامعشر الروم هذا هو العجز والذل عن الانتصار هل فيكم من يحتال لى فى هذا الامر وله نصف مال الروم والعجم ونصف ما فى بيوت الاموال فقد أدركتنى الحمية فبلغ الخبر الى صاحب حرس دارا فقال أنا أفعل ذلك وآخذ مالا عظيما فلما التحم القتال حمل على دارا فطعنه بحربة فى ظهره فوقع على الارض وانهزم عسكر دارا فجاء الاسكندر ووضع رأس دارا فى حجره ومسح التراب عن وجهه وقبله وبكى وقال الحمد لله الذى لم يجعل قتلك على يدى ولا على يد أحد من جندى فسل ما بدا لك أقضه فقال له دارا من حاجتى عندك أن لا تخرب بيوت النيران وأن تنصفنى من قاتلى قبل موتى فانه ان بقى عندك سيكفر معروفك كما كفر معروفى فقال له الاسكندر حاجتى عندك أن تزوجنى بنتك روشنك فقال دارا على أن تجعل الملك من بعدك لولدك منها فاجابه الى ذلك وزوجه ابنته وأخذ الاسكندر قاتله وقطعه أربع قطع واستولى على جميع مملكته وملك دارا أربع عشرة سنة وقيل ست سنين وقسم الاسكندر غنائم عسكره فى ثلاثين يوما وشاور الاسكندر معلمه ارسطاطاليس فى أن يقتل من بقى من الفرس فقال له لا تفعل ولكن ول على كل جهة شريفا من أهلها فيتنافسون فلا يجمعهم

(ذكر دارا)

قال فلما اعتورتنا الكؤس
وطربت النفوس جرعنى
اليمين الغموس على أن أحفظ
عليه الناموس فاتبعت
مراده ورعيت ذمامه
ونزلته بين الملا منزلة الفضيل
وسدلت الذيل على مخازى
الليل ولم يزل ذلك دأبه
ودابى الى أن تهيأ ايابى
فودعته وهو مصر على
التدليس ومسر حسو
الخندريس

ملك أبدا فقعل فهم ملوك الطوائف حتى انتزع اردشير منهم الملك وقال ان كلمة فرقتنا خمسمائة سنة وتسع عشرة سنة يعنى كلمة ارسطاطاليس لحكامة بالغة وملوك الفرس الاول ستة عشر ملكا وملوك الفرس الثوانى اثنان وثلاثون منهم امرأتان وملك بعد اردشير سابور وهو من عظمائهم فقتح الحصون ومدن المدن وبنى الايوان وهو بالجانب الشرقى من المدائن وهو من عجائب البنيان وعجائب الفرس كثيرة وفى هذه النبذة غنية توافق ماشرطناه (قوله اعتورتنا) أى قصدتنا ودارت علينا (الغموس) الشديدة وهى فى الجاهلية التى تغمس صاحبها فى العار وفى الاسلام تغمس صاحبها فى الاوزار والغمس ارتباط الشئ فى الشئ فى ماء أو صبغ حتى اللقمة فى الخل والغموس قيل انها اليمين التى يقطع بها الرجل حق غيره فيحلف كاذبا * الليث رحمه الله هى اليمين التى لا استثناء فيها وفى الحديث اليمين الغموس تدع الديار بلاقع أى قفرا فارغة من كل رزق و (الناموس) اظهار فعل الخير وتناامس الرجل اذا اظهر ما لا يعتقد وأصل النمس الستر وكل شئ سترت به شيأ فهو ناموس له وناموس الرجل صاحب سره ويقال لصاحب سر الخير ناموس ولصاحب سر الشر جاسوس قال أبو عبيدة هما بمعنى * غيره الناموس صاحب سر الملك وقد نمس ينمس نمسا ونامسته منامسة (مرامه) مطلبه ومراده (رعيت ذمامه) حفظت حقه ومابينى وبينه مما يجب ان يراعى (الملا) الجماعة (الفضيل) هو ابن عياض التميمى كنيته أبو على وهو ممن شهر بالزهد والخير وهو من رجال رسالة القشيرى قال صاحبها أبو على خراسانى من ناحية مرو ولد بسمرقند ومات فى الحرم سنة سبع وثمانين ومائتين وكان شاطرا يقطع الطريق وسبب توبته أنه عشق جارية فبينما هو ذات يوم يرتقى الجدار اليها اذ سمع تاليا يتلو ألم يأن للذين امنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزل من الحق فقال يارب قد آن فرجع فأوى الى خربة فاذا فيها رفقة فقال بعضهم نرتحل وقال بعضهم حتى نصبح فان فضيلا فى الطريق فيقطع علينا فأمنهم وسار معهم حتى بلغوا وجاور الحرم وقال الفضيل اذا أحب الله عبدا أكثر همه واذا أبغض عبدا وسع عليه دنياه وقال الكامل المروأة من بر والديه وأصلح ماله وأنفق من فضله وأكرم اخوانه وحسن خلقه ولزم بيته وقال اذا رأيت الليل مقبلا فرحت وقلت أخلو بربى واذا أبصرت الصبح استرجعت كراهة أن يجيء من يشغلنى واطلع عليه بعض اخوانه من كوة ولحيته تقطر دموعا فقال ياهؤلاء ليس هذا زمن حديث انما هو زمن احفظ لسانك وعالج قلبك وأخف مكانك وخذ ما تعرف ودع ماتنكر وقال لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت على لا أحاسب بها لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة اذا مر بها أن تصيب ثيابه وقال ترك العمل لاجل الناس رياء والعمل لاجل الناس هو الشرك وقال أبو على سليمان الدارانى صحبت الفضيل ثلاثين سنة مارأيته ضاحكا ولا متبسما الايوم مات ابنه على فقلت له فى ذلك فقال ان الله تعالى أحب أمرا فاحببته وقال انى لاعصى الله فاعرف ذلك فى خلق حمارى وأخباره كثيرة وهذه اللمعة دالة عليها (قوله سدلت) أى أرخيت (مخازى) قبائح ومايخزى عليها فاعلها لو اطلع على فعله (دأبه ودابى) عادته وعادتى (ايابى) رجوعى (مصر) مقيم (التدليس) تلبيس الامر وكتمان العيب ويشبه عذل ابن همام السروجى فى شرب الخمر ثم مساعدته اياه بعد لومه وشربه معه قول ابن أبى ربيعة وهو أحسن ماقيل فى المساعدة

وخل كنت عين النصح منه * اذا نظرت ومستمعا سميعا
أطاف بقينة فنهيت عنها * وقلت له أرى أمرا شنيعا
أردت رشاده جهدي فلما * أبى وعصى أتيناها جميعا

وقال اعرابي

وكنت اذا علقت حبال قوم * صحبتهم وشيمتي الوفاء
فأحسن حين يحسن محسنوهم * وأجتنب الاساءة ان أساؤا
أشاء سوى مشيئتهم فآتى * مشيئتهم وأترك ما أشاء

(شرح المقامة التاسعة والعشرين وهى الواسطية)

(الجانى) اضطرنى (قاسط) جائر (أنتجع) اقصد لطلب الرزق (واسط) بلد معروف بناه الحجاج وسط المسافة التى بين البصرة والكوفة منها الى كل واحدة منهما خمسون فرسخا وسكنه ومات فيه وقال اليعقوبى واسط مدينتان على خافتى دجلة فالمدينة القديمة التى هى منازل الدهاقين هى الشرقية من دجلة وهى مدينة كسكر وابتنى الحجاج مدينة فى الجانب الغربى وجعل بينهما جسرا من السفن وبنى بها قصره والقبة الخضراء التى يقال لها خضراء واسط والمسجد الجامع وعليها سور ونزلها الولاة بعد الحجاج وهى بين البصرة والكوفة والاهواز متوسطة فسميت واسط بذلك قال الطبرى خرج الحجاج يرتاد منزلا لاهل الشام فأمعن حتى نزل اطراف كسكر فبينما هو كذلك اذ هو براهب قد أقبل على أتان له فعبر دجلة فلما كان بموضع واسط تفاجت الاتان فبالت فنزل الراهب فاحتفر ذلك البول وحمله حتى رمى به دجلة وذلك بعين الحجاج فقال على به فلما أتاه قال ما حملك على ما صنعت فقال انا نجد فى كتبنا انه يبنى فى هذا الموضع مسجد يعبد الله فيه ما دام أحد فى الارض يوحد فاختط الحجاج مدينة واسط وبنى المسجد فى ذلك الموضع وذلك سنة ثلاث وثمانين (قوله سكنا) أى صاحبا يسكن اليه ويؤنس به و(المسكن) المنزل الذى يسكن فيه (البيداء) الصحراء أراد أنه غريب ليس له صاحب ولا منزل كالحوت فى الصحراء و(اللمة) الجمة من الشعر تلم بالمنكب (قادنى) ساقنى (الحظ) النصيب و(الجد) السعد (الناكص) الراجع الى خلفه يريد ان سعده يمشى الى جهة خلف ونكص ينكص رجع القهقرى (خان) فندق و(الشذاذ) الغرباء الذين شذوا عن أوطانهم اى فروا منها وبعدوا والشذاذ التفرق وكلمة شاذة مفترقة من جنسها وشذ الرجل انفرد عن أصحابه و(الآفاق) النواحى (اخلاط الرفاق) من لا يتخصص منهم ولا يتعين (ايطانه) سكناه (هوى أوطانه) حب بلاده (استفردت) سكنتها منفردا و(الحجرة) البيت (أنافس) أغال من قولهم نفست عليه بالشئ اذا ضننت به ولم تحب أن يصير اليه (لمح الطرف) نظر العين (بيت بيت) أى بيته ملاصق بيتى وهما اسمان جعلا كاسم واحد وبنيا على الفتح (نزيله) النازل معه (جدك) سعدك (ضدك) عدوك المخالف لك (البدرى) الابيض المستدير كالبدر يريد الرغيف شبهه بالبدر فى بياضه واستدارته وقال ابن الرومى مررت بخباز يبسط الرقاق كاسرع من رجوع الطرف ما بين أن ترى العجين فى يده كالكرة حتى يندحى فيصير كالقمر الا مقدار لحظة فشبهت سرعة انبساطها بسرعة الدائرة فى الماء يقذف فيه بالحجر فقلت

ما أنس لا انس خبازا مررت به * يدحو الرقاق كوشك اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها فى كفه كرة * وبين رؤيتها نوراء كالقمر

(المقامة التاسعة والعشرون الواسطية)

(حكى الحرث بن همام) قال ألجأنى حكم دهر قاسط الى أن أنتجع أرض واسط فقصدتها وأنا لا أعرف بها سكنا ولا أملك فيها مسكنا ولما حللتها حلول الحوت بالبيداء والشعرة البيضاء فى اللمة السوداء قادنى الحظ الناقص والجد الناكص الى خان ينزله شذاذ الآفاق وأخلاط الرفاق وهو لنظافة مكانه وظرافة سكانه يرغب الغريب فى ايطانه وينسيه هوى أوطانه فاستفردت منه بحجرة ولم أنافس فى أجرة فما كان الا كلمح طرف أو خط حرف حتى سمعت جارى بيت بيت يقول لنزيله فى البيت قم يا بنى لا قعد جدك ولا قام ضدك واستصحب ذا الوجه البدرى

(ذكر مدينة واسط)

الابمقدار ماتنداح دائرة * فى صفحة الماء يرمى فيه بالحجر

ويتعلق بهذا ماقيل من الشعر فيمن ليس له نباهة من الغلمان كان ابن وضاح جالسامع جملة من الادباء فمر بهم غلام نظيف يبيع الخبز فلم يتجه لاحد فيه شئ الا ابن وضاح فانه قال

خابز الخبز ظريف * عذبت فيه الحتوف
خامل الانساب لكن * هو فى الحسن شريف
خصره أهيف شخت * وكذا الغزلان هيف
من يخاصم مقلتيه * حكمت فيه السيوف

(نظر ادريس بن اليمانى الى غلام وسيم بالحمام عليه اسمال فقال)

توشح بالظلماء وهو صباح * وامرض بالاجفان وهى صحاح
وظل فؤادى طائرا عن جوانحى * وليس له الا الغرام جناح
قضيب صباح فى وشاح دجنة * ألا ليتنى تحت الوشاح وشاح
ولا عجب أن أفسدتنى جفونه * فكل فساد فى هواه صلاح

(وقال الرصافى)

يقولون لى يوما وقد مر ضاربا * بمعوله ضرب المرجم بالغيب
تعلم صفارا فقلت استعارها * غداة رنا من صبغة العاشق الصب
يعود النحاس الاحمر التبر عسجدا * بكفيه عند السبك والمد والضرب
فحمرته مشتقة من حيائه * وصفرته مما يخاف من العتب

(قوله الدرى) الابيض الذى يشبه الدر فى لونه ويقال كوكب درى منسوب الى الدر مشبها به لصفائه وحسنه بضم الدال وتشديد الياء ودرىء بالضم والهمز ودرىء بكسر الدال مع الياء ومع الهمزة ودرىء بالفتح والهمز فمن كسر وهمز فهو فعيل من درأ الكوكب اذا جرى فى أفق السماء ومن كسر بلا همز فلاجل الياء بعد الراء ومن ضم وهمز خطأه الفراء قال فعيل ليس فى ابنية العرب وأثبته سيبويه قال أبو عبيدة أصله درّوى مثل سبوح فجعلوا الواو ياء وجعلوا الضمة قبلها كسرة ومثله عتو وعتى (قوله الاصل النقى) يعنى القمح الذى صنع منه كان نقيا من الزبل وغيره و(شقاء جسمه) قد فسر فى التاسعة عشر وهو الآن يبين بعض شقائه (فقبض ونشر) وقت العجن أو وقت الخبز لانه نقطع قبضة ثم يبسط للخبز (سجن) خزن قمحه فى المخازن (وشهر) أبرز منها للسوق وشهر على الناس أو يكون سجنه الفرن وشهرته البيع فى السوق أو عندما يطاف به على الاسواق وقال المعرى يلغز فى القمح

وسمراء فى بيض الحسان شريتها * بصفر من العين الشبيهة بالشمس
وقد غيبت فى الخدر عصرا مصونة * محجبة عن أعين الجن والانس
فلما بدت عنه بدت سمة النوى * عليها ولم تجزع لحادثة الامس
فأهلا بأنثى لم ترد يدلامس * بسوء ولا أبدت نفارا من اللمس

(سقى) جعل الماء عليه للعجين (فطم) قطع عنه الماء (لطم) سوى بالكف وعامتنا تشدد الطاء (أركض) أسرع (المشوق) الكثير الشوق وشاقك الشئ يشوقك اذا هاجك (قايض) عاوض

واللون الدرى والاصل النقى والجسم الشقى الذى قبض ونشر وسجن وشهر وسقى وفطم وأدخل النار بعد مالطم ثم اركض الى السوق ركض المشوق فقايض

به اللاقح الملقح المفسد المصلح المكمد المفرّح المعنى المروّح ذا الزفير المحرق والجنين المشرق واللفظ المقنع
والنيل الممتع الذى اذا
طرق رعد وبرق وباح
بالحرق ونفث فى الخرق
قال فلما قرت شقشقة
الهادر ولم يبق الاصدر
الصادر برز فتى يميس وما
معه أنيس فرأيتها عضلة
تلعب بالعقول وتغرى
بالدخول فى الفضول
فانطلقت فى اثر الغلام
لاخبر فحوى الكلام فلم
يزل يسعى سعى العفاريت
ويتفقد نضائد الحوانيت
حتى انتهى عند الرواح
الى حجارة القدّاح فناول
بائعها رغيفا وتناول منه
حجرا لطيفا فعجبت من
فطانة المرسل والمرسل
وعلمت أنها سروجية وان لم
أسأل وما كذبت أن بادرت
الى الخان منطلق العنان
لانظر كنه فهمى وهل
قرطس فى التكهن سهمى
فاذا أنا فى الفراسة فارس
وأبو زيد بوصيد الخان جالس
فتهادينا بشرى الالتقاء
وتقارضنا تحية الاصدقاء
ثم قال ما الذى نابك حتى
زايلت جنابك فقلت
دهر هاض وجور فاض
فقال والذى أنزل المطر من
الغمام وأخرج الثمر من
الاكمام لقد فسد الزمان
وعم العدوان وعدم
المعوان والله المستعان فكيف أفلت وعلى أى

وقايضت الرجل فعلت معه ما يفعل معك (اللاقح) فى الاصل الناقة يعلوها الفحل فتحمل منه ولقحت حملت والملقح الفحل يعلوها عند السفاد وقد بين انه يريد حجر الزند جعله لاقحا لانه حامل بالنار وملقحا لان به تخرج النار من الزند فكأنه القحه بالنار أى جعلها فيه والزند أيضا لاقح ملقح لان النار لا توجد فى واحد منهما على انفراده والنار تصلح فى موضع وتفسد فى آخر فلذلك وصفه بهما (المعنى) المتعب باحراقه (المروّح) المدخل الراحة باصلاحه وان جعله للزند فمعنى اذا شح ومروح اذا أورى ونحوه (المكمد) أى المحزن (المفرّح) ضدّه و(الزفير) التنفس وزفرة الحجر هى النار وهى تحرق كل ما تعلقت به وهو (الجنين) أى المستور فى الحجر فاذا ظهر أشرق وأضاء و(اللفظ) صوت الحجر فى الزند فاذا أبدى النار أقنعك واكتفيت به وهو (نيله) أى عطاؤه و(الممتع) الكثير وقليل النار كثير وقد قال الاعرابى ان السقط يحرق الدوحة أراد ما يسقط من الزند من النار الضعيفة يحرق الشجر الكثير الملتف (طرق) ضرب (رعد) صوّت (برق) لمعت ناره (باح) أظهر ما يسر فيه (الحرق) التهاب القلب بالهم فكنى به عما فى الحجر من النار (نفث) بزق (الخرق) التى تسقط فيها نار الزند وهذه ألفاظ كلها متقاربة بعضها يفسر بعضا لانها من مليح الكلام (قرت) سكنت (الهادر) الفحل و(شقشقته) ما يخرج من لهاته وتقدّمت فى الاولى ويزعمون انها لا توجد عند نحر الفحل وكذلك بيضه لا توجد قال وأنشد بشر بن المعتمد

خصيته تبطل من حطمه * عند حدوث الذبح والنحر
ما ان يرى الراؤن من بعدها * شقشقة مائلة الهدر

وأراد به سكت المتكلم (صدر الصادر) خروج الخارج من الماء بعد شربه (برز) خرج (يميس) يتبختر ويتثنى (عضلة) داهية وأمر صعب (تعرى) تحرض وتلصق (فحوى) معنى (يسعى) يجرى (العفاريت) شر الشياطين وأدهاها (نضائد) ما جعل شيأ على شئ (الرواح) العشى (القدّاح) حجر الزند تقدح النار منه (ناول) أعطى (لطيفا) دقيقا (فطانة) ذكاء (وما كذبت) أى ما خيبت (منطلق العنان) مسيب حيث شاء (كنه) حقيقة (قرطس) أصاب الغرض مرّة بعد أخرى والقرطاس يجعل غرضا فاذا توالى ضربه قيل قرطس و(التكهن) الحديث بما يكون (والفراسة) النظر بالظن (وصيد الخان) فناء الفندق وقيل بابه من أوصدت الباب أغلقته وقيل عتبة بابه (تهادينا) أهديته وأهدانى (البشرى) السرور أى فرح كل واحد منا بصاحبه فتهادينا البشرى (تقارضنا) اندفعنا بالسلام يريد حالة الصديقين اذا التقيا بعد سفر فيبالغ كل واحد منهما فى سلام صاحبه ويتابعه و(التحية) السلام ومنه التحيات لله ومنه قوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أى سلم عليكم وقيل التحيات الملك وكان الملك يحيا بأنعم صباحا وأبيت اللعن وقيل معناه البقاء لله وقال زهير بن خباب

من كل ما نال الفتى قد نلته * الا التحية من اله قادر

أى البقاء (نابك) نزل بك (جنابك) بلدك وناحيتك والجناب فناء الدار (هاض) كسر (فاض) كثر (الغمام) السحاب (والثمر) الثمار و(أكمامها) ما يكون فيها ثمرها وكل ما وارى شيأ فهو كمام له وكم (عم) شمل (العدوان) الفساد (المعوان) ما يستعان به وقال الشاعر

لله دريك أى زمان * أصبحت فيه وأى أهل زمان

كل

كل يدانيك المحبة جاهلا * يعطى ويأخذ منك بالميزان

فاذا رأى رجحان حبة خردل * مالت مودته مع الرجحان

(وقال ابن المكك)

نحن مع الدهر فى أعاجيب * فنسأل الله صبر أيوب

أقفرت الارض من محاسنها * فابك عليها بكاء يعقوب

(وصفيك) خاليك من الخير والشر وهى حالة السفر (اجفلت) هربت مسرعا والاجفال الهروب ثم قال مشيت فى ظلام الليل فصار لى كالقميص (ادلجت) مشيت فى السحر (خميصا) جائعا (أطرق) أمال رأسه ساكتا (ينكت) يخط فى الارض (ارتياد) طلب (الفرض) من العطية مافرضت على نفسك عطاءه على أن لا تجازى عليه و(القرض) ما أعطى من غير فرض قال الحريرى القرض بالقاف ما يستعاد عوضه والفرض بالفاء ما لا عوض فيه وأنشد فى الدرة لابى عبد الله النميرى يرثى أبا عبد الله الازدى

مضى الازدى والنمرى يمضى * وبعض الشكل مقرون ببعض

أخى والمجتنى ثمرات ودى * وان لم يجز فى قرض وفرض

وكانت بيننا أبدا هنات * توفر عرضه فيها وعرضى

وماهانت رجال الازد بعدى * وان لم تدن أرضهم من أرضى

الهنات كناية عن المنكرات فأراد أنه أمال رأسه الى الارض مفكرا وجعل يخط فيها بيده أو بعود وهو فعل المهموم الكثير الفكر كما قال امرؤ القيس

ظللت ردائى فوق رأسى قاعدا * أعد الحصى ما تنقضى عبراتى

فلم يرد أنه يعدها ليعلم كم فيها وحاله من البكاء والحيرة تنفى الثبات على العدد وانما أراد أنه كان يعبث فيها بيده اشتغالا وفى قلبه من الهم ما غلب على الصبر وقد بالغ ذو الرمة فى بيان هذا المعنى بقوله

عشية مالى حيلة غير أننى * بلقط الحصى والخط فى الدار مولع

أخط وأمحو تارة وأعيده * بكفى والغربان فى الدار وقع

(وقال ابن جعيل فى ذلك)

لا ينكتون الارض عند سؤالهم * لتطلب العلات بالعيدان

بل يبسطون وجوههم فترى لهم * عند السؤال كأحسن الالوان

(وقال الشريف الرضى فأحسن)

تفرى أنامله التراب تعللا * وأناملى فى سنى المقروع

(قوله أكثبه) أى دنا منه (قنص) صيد (فرص) جمع فرصة وهى كالغنيمة (يأسو) يطب (يريش) يجعل عليه الريش (الغل) الزوجة هنا وقالت عائشة رضى الله عنها انما النساء أغلال فلينظر أحدكم غلا يجعل فى عنقه وتقول العرب للمرأة السيئة الخلق غل قمل وعوتب الكسائى فى ترك التزوج فقال وجدت معاناة العفة أيسر من معاناة العيال (القل) القلة (وضل بن ضل) مجهول لا يعرف وفلان ضل اذا كان مجهولا متمكنا فى الضلال (المشير بك والبك) يقال أشار به اذا رفعه وأشار النار وأشار بها وتشورها أى رفعها فمعنى انا المشير بك أى ارفع قدرك واعظم منزلتك أى

وصفيك أجفلت فقلت ثم اتخذت الليل قميصا وادلجت فيه خميصا فأطرق ينكت فى الارض ويفكر فى ارتياد الفرض والقرض ثم اهتز هزة من أكثبه قنص أو بدت له فرص وقال قد علق بقلبى أن تصاهر من يأسو جراحك ويريش جناحك فقلت وكيف أجمع بين غل وقل ومن الذى يرغب فى ضل بن ضل فقال أنا المشير بك واليك

أثنى عليك بخير فى غيبتك عند اصهارك والمشير اليك اذا حضرت أشرت اليك ان تتزوّج فيهم اذا
رأيتهم أكفاءك (والوكيل لك) عليهم حتى يزوّجوك والوكيل عليك لتمتثل ما آمرك به من
الزواج فيهم حسبنا الله ونعم الوكيل قيل فيه الكافى هو وقال الفراء يكون المعنى كافينا الله ونعم
الكافى كقولك رازقنا الله ونعم الرازق ابن الانبارى وهو أحسن فى اللفظ من قولك كافينا الله
ونعم الوكيل (دينهم) عادتهم (جبر) اصلاح (فك) حل (احترام) اعزاز وتقريب وهو افتعال من
الحرمة أى يجعلونه فى حرمتهم (العشير) الصاحب (استنصاح المشير) أى من أشار عليهم بشئ
رأوه ناصحا (ابراهيم بن أدهم) هو من شيوخ الصوفية وهو من رجال رسالة القشيرى قال
صاحبها فمنهم أبو اسحق ابراهيم بن أدهم بن منصور بن اسحق البلخى من كورة بلخ من أبناء الملوك
وحدث ابراهيم بن بشار قال صحبت ابراهيم بن أدهم بن منصور بن اسحق البلخى بالشأم فقلت له
يا أبا اسحق خبرنى عن بدء أمرك كيف كان فقال كان أبى من ملوك خراسان وكنت شابا فركبت
يوما على دابة ومعى كلب وخرجت الى الصيد فاثرت ثعلبا فبينا أنا فى طلبه اذ هتف بى هاتف
ألهذا خلقت أم بهذا أمرت ففزعت ووقفت ثم عدت فركضت الثانية ففعل مثل ذلك ثلاث
مرّات ثم هتف بى من قربوس السرج لا والله ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت قال فنزلت
وصادفت راعيا لابى فأخذت منه جبة من صوف فلبستها وأعطيته الفرس وما كان معى ثم
دخلت البادية متوجها الى مكة فبينا أنا يوما فى مسيرى اذا برجل يسير وليس معه اناء ولا زاد
فلما أمسى وصلى المغرب حرّك شفتيه بكلام لا أفهمه واذا أنا باناء فيه طعام واناء فيه شراب
فأكلت وشربت وكنت على ذلك معه أياما وعلمنى اسم الله الاعظم ثم غاب عنى وبقيت وحدى
فبينا أنا ذات يوم مستوحش من الوحدة دعوت الله فاذا أنا بشخص آخذ بحجزتى فقال لى سل تعط
فراعنى صوته فقال لا روعة عليك ولا بأس أنا أخوك الخضر ان أخى داود علمك اسم الله الاعظم
فلا تدع على أحد بينك وبينه شحناء فتهلكه ولكن ادع الله به ان يقوى ضعفك ويؤنس وحشتك
ويجدّد به فى كل يوم نيتك ورغبتك ثم تركنى وانصرف وصحبه سفيان الثورى والفضيل بن
عياض ودخل الشأم ومات بها وكان يأكل من عمل يده مثل الحصاد وحفظ البساتين وكان كبير
الشأن فى الورع وقال أطب مطعمك ولا عليك أن لا تقوم بالليل ولا تصوم بالنهار وكان عامة
دعائه اللهم انقلنى من ذل معصيتك الى عز طاعتك وقال لرجل فى الطواف اعلم انك لا تنال
درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات وهى أن تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة وتغلق باب العز
وتفتح باب الذل وتغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد وتغلق باب النوم وتفتح باب السهر وتغلق
باب الغنى وتفتح باب الفقر وتغلق باب الامن وتفتح باب الاستعداد للموت وقال محمد بن المبارك
الصورى كنت مع ابراهيم بن أدهم فى طريق بيت المقدس فنزلنا وقت القيلولة تحت شجرة رمان
فصلينا ركعات فسمعت صوتا من أصل الرمان يا أبا اسحق أكرمنا بأن تأكل منا شيأ فطأطأ رأسه
فقال ذلك ثلاث مرات ثم قال يا محمد كن شفيعا اليه ليتناول منا شيأ فقلت يا أبا اسحق لقد سمعت
فقام وأخذ رمانتين فأكل واحدة وناولنى الاخرى فأكلتها وهى حامضة وكانت قصيرة فلما
رجعنا مررنا بها وهى شجرة عالية ورمانها حلو وهى تثمر فى كل عام مرتين وسموها رمانة العابدين
وركب ابراهيم فى مركب فهاجت ريح شديدة فلف ابراهيم رأسه بعباءة وطرح نفسه مع

(ترجمة ابراهيم بن أدهم)

والوكيل لك وعليك مع أن دين القوم جبر الكسير وفك الاسير واحترام العشير واستنصاح المشير الأنهم لو خطب اليهم ابراهيم ابن أدهم

الناس فسمعوا صوتا من البحر يقول لا تخافوا ففيكم ابراهيم بن أدهم وصاح الناس فى المركب أين ابراهيم بن أدهم ثم سكنت الريح فخرج وما عرفوه وقال له رجل من أين كسبك فقال

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ﴿ فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

(ترجمة جبلة بن الايهم)

وأخباره فى كتب التصوف كثيرة تطول (وأما جبلة بن الايهم) بن جبلة بن الحرث الاوسط بن ثعلبة بن الحرث الاكبر بن عمرو بن جفنة وفى نسبه اختلاف وهو آخر ملوك غسان وكان طوله اثنى عشر شبرا فاذا ركب مسح الارض بقدميه ولما أراد ان يسلم كتب الى عمر ليستأذنه فى القدوم

أوجبلة بن الايهم

عليه فسر بذلك وكتب اليه ان اقدم فلك ما لنا وعليك ما علينا فخرج فى مائة فارس من عك وجفنة فلما دنا الى المدينة ألبسهم ثياب الوشى المنسوجة بالذهب الاحمر والحرير الاصفر وجلل الخيل بجلال الديباج وطوقها أطواق الذهب والفضة ولبس تاجه وفيه قرط مارية فلم يبق فى المدينة الا من خرج اليه وفرح المسلمون بقدومه واسلامه ثم حضر الموسم مع عمر فبينما هو يطوف بالبيت اذ وطئ على ازاره رجل من فزارة فحله فالتفت اليه جبلة مغضبا فلطمه فهشم أنفه فاستعدى عليه الفزارى عمر فقال ما دعاك الى أن لطمت أخاك فقال انه وطئ ازارى ولولا حرمة هذا البيت لاخذت الذى فيه عيناه فقال له عمر أما أنت فقد أقررت فاما أن ترضيه واما ان أقيده منك قال أتقيده منى وهو رجل سوقة قال قد شملك واياه الاسلام فما تفضله الا بالعافية قال قد رجوت ان أكون فى الاسلام أعز منى فى الجاهلية فقال هو ذاك قال اذا أتنصر قال ان تنصرت ضربت عنقك واجتمع وفد فزارة ووفد جبلة وكادت تكون فتنة فقال جبلة أنظرنى الى غد يا أمير المؤمنين قال ذلك اليك فلما كان فى جنح الليل خرج فى أصحابه الى القسطنطينية فتنصر وأعظم هرقل قدومه وسر به وأقطع له الاموال والرباع فلما بعث عمر رضى الله عنه رسوله الى هرقل يدعوه الى الاسلام فأجابه الى المصالحة ثم قال للرسول أرأيت ابن عمك الذى أتانا راغبا فى ديننا يعنى جبلة قال لا قال القه ثم ائتنى وخذ الجواب فذهب فوجد على باب جبلة من الجمع والحجاب والبهجة مثل ما على باب قيصر قال فتلطفت فى الاذن حتى دخلت عليه فرأيت رجلا أصهب اللحية ذا سبال وكان عهدى به أسود اللحية فأنكرته فاذا هو قد دعا بسحالة الذهب فذرها على لحيته حتى عاد أصهب وهو قاعد على سرير من قوارير فلما عرفنى رفعنى معه على السرير وجعل يسائلنى عن المسلمين فقلت قد أضعفوا أضعافا على ما تعرف وسأل عن عمر رضى عنه فقلت بخير حال فاغتم بسلامة عمر فانحدرت عن السرير فقال لم تأبى الكرامة فقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا قال نعم صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك من الدنس ولا تبال علام قعدت فطمعت فيه عند صلاته على النبى صلى الله عليه وسلم فقلت ويحك يا جبلة ألا تسلم وقد عرفت الاسلام وفضله قال أبعد ما كان منى قلت نعم قد فعل رجل من فزارة أكثر مما فعلت ارتد وضرب أوجه المسلمين بالسيف ثم أسلم وقبل منه وخلفته بالمدينة مسلما قال زدنى من هذا ان كنت تضمن لى أن يزوجنى عمر ابنته ويولينى الامر من بعده رجعت الى الاسلام فضمنت له التزويج ولم أضمن الخلافة فأومأ الى وصيف بين يديه فذهب مسرعا فاذا موائد الذهب قد نصبت بصحائف الفضة فقال لى كل فقبضت يدى وقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الاكل فى آنية الذهب والفضة فقال نعم صلى الله عليه وسلم ولكن

نق قلبك وكل فيما أحببت فأكل فى الذهب والفضة وأكلت فى الخلنج ثم جىء بطشت من الذهب فغسل فيها وغسلت فى الصفر ثم أومأ الى خادم عن يمينه فذهب مسرعا فسمعت حسا فاذا خدم معهم كراسى مرصعة بالجواهر فوضعت عشرة عن يمينه وعشرة عن يساره واذا عشر جوار فى الشعور عليهن ثياب الوشى مكسرات فى الحلى فقعدن عن يمينه وقعد مثلهن عن يساره واذا بجارية قد خرجت كالشمس حسنا وعلى رأسها تاج عليه طائر وفى يدها اليمنى جامة وفيها مسك وعنبر فتيت وفى يدها اليسرى جامة فيها ماء الورد فصفرت بالطائر فوقع فى جامة ماء الورد فاضطرب فيه ثم وقع فى جامة المسك فتمرغ فيه ثم طار فوقع على صليب فى تاج جبلة فرفرف حتى نفض ما فى ريشه عليه وضحك جبلة من شدة السرور ثم قال للجوارى اللاتى عن يمينه بالله أضحكننا فاندفعن يغنين تخفق عيدانهن يقلن

لله درّ عصابة نادمتهم * يوما بجلق فى الزمان الاول
يسقون من ورد البريص عليهم * بردى يصفق بالرحيق السلسل
أولاد جفنة حول قبر أبيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل
يغشون حتى ما تهرّ كلابهم * لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه نقية أحسابهم * شم الانوف من الطراز الاول

فضحك ثم قال أتدرى من قائل هذا قلت لا قال حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال للاتى عن يساره بالله أبكيننا فاندفعن بعيدانهن يغنين

لمن الدار أقفرت بعمان * بين أعلى اليرموك والصمان
ذاك مغنى لآل جفنة فى الدهـ * ـر محلا لحادثات الزمان
قد أرانى هناك دهرا مكينا * عند ذى التاج مجلسى ومكانى
ثكلت أمهم وقد ثكلتهم * يوم حلوا بحادث الجولان
ودنا الفصح فالولائد ينظمـ * ـن سراعا أكلة المرجان

فبكى حتى سالت الدموع على لحيته ثم قال لى وهذا لحسان أيضا ثم أنشأ يقول

تنصرت الاشراف من أجل لطمة * وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفنى فيها لجاج ونخوة * وبعت بها العين الصحيحة بالعور
فيا ليت أمى لم تلدنى وليتنى * رجعت الى الامر الذى قال لى عمر
ويا ليتنى أرعى المخاض بقفرة * وكنت أسيرا فى ربيعة أو مضر
ويا ليت لى بالشام أدنى معيشة * أجالس قومى ذاهب السمع والبصر

ثم سألنى عن حسان أحىّ هو قلت نعم ثم أمر بمال وكسوة ونوق موقورة برا وقال أقرئه سلامى وادفع له هذا وان وجدته ميتا فادفعه الى أهله وانحر الجمال على قبره فلما قدمت على عمر أخبرته الخبر فقال هلا ضمنت له الاسلام فاذا أسلم قضى الله علينا بحكمه ثم بعث الى حسان فأقبل وقد كف بصره فلما دخل قال يا أمير المؤمنين انى وجدت ريح آل جفنة قال نعم هذا رجل أقبل من عنده قال هات يا ابن أخى ما بعث به الىّ معك قلت وما علمك قال انه كريم من عصبة رجال كرام مدحتهم فى الجاهلية فحلف أن لا يلقى أحدا يعرفنى الا أهدى الىّ معه شيأ فدفعته اليه وأخبرته بأمره

فى الابل فقال وددت انى كنت ميتا فنحرت على قبرى ثم أخذها وانصرف وهو يقول

انّ ابن جفنة من بقية معشر * لم يغذهم آباؤهم باللوم
لم ينسنى بالشام اذ هو ربها * كلا ولا متنصرا بالروم
يعطى الجزيل ولا يراه عنده * الا كبعض عطية المذموم
فأتيته يوما فقرب مجلسى * وسقى ورَوّانى من الخرطوم

وذكر الثعالبى أنّ رسول عمر لما أرسله الى قيصر قال وأمرنى ان أضمن لجبلة ماشرط فلما قدمت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته فعلمت أن الشقاء قد غلب عليه وحدثت أن صاحب برطونة اليوم من ذريته وذكر الثعالبى أنه وجد للصابى فصلا من كتاب استظرفه جدا بذكر صلة وصلت اليه من الصاحب وهو وصل أطال الله بقاء سيدنا أبو العباس أحمد بن الحسين وأبو محمد أحمد بن جعفر بن شعيب حاجين فعرجا على مسلمين وعاجا على مسلمين فين عرفتهما وقبل أن أردّ السلام عليهما مددت اليد الى ما معهما كما مدّها حسان بن ثابت الى رسول جبلة ابن الايهم ثقة منى بصلته وشوقا الى تكرمته واعتمادا لاحسانه والفا بموارد انعامه وتيقنا أن الخطرة منى على باله مقرونة بالنصيب من ماله وان ذكراه لى مشفوعة بجدواه *رجع ما انقطع فيريد أنه لوخطب لهؤلاء القوم ابن أدهم على زهده وفضله أو ابن الايهم على ملوكيته وعزته لسوّوا بينهما فى الصداق اقتداء بالنبىّ صلى الله عليه وسلم وجاء فى الترمذى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لا تغالوا صدقات النساء فانها لو كانت مكرمة أو تقوى عند الله لكان أولاهم بها نبى الله صلى الله عليه وسلم وما أعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيأ من نسائه على أكثر من اثنتى عشرة أوقية قال ابن عيينة والاوقية عند أهل العلم أربعون درهما واثنتا عشرة أوقية أربعمائة وثمانون درهما وفى غير الترمذى أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال تياسروا فى الصداق وكانت صدقات أزواج النبىّ صلى الله عليه وسلم على عظم قدره وعلوّ مرتبته اثنتى عشرة أوقية ونشا والنش عشرون درهما فذلك خمسمائة درهم وروى عن عمر رضى الله عنه أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال ألا لا تغالوا صدقات النساء فانه لا يبلغنى عن أحد أنه ساق أكثر من شئ ساقه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سيق اليه الا جعلت فضل ذلك فى بيت المال فعرضت له امرأة فقالت يا أمير المؤمنين كتاب الله أحق أن يتبع أو قولك قال كتاب الله تعالى قال فيم ذلك قالت ان الله تعالى يقول وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيأ فقال عمر رضى الله عنه كل أحد أفقه من عمر ثم رجع الى المنبر فقال انى كنت نهيتكم عن أن تغالوا فى صدقات النساء فليفعل كل رجل منكم فى ماله ما أحب فرجع عمر عن اجتهاده الى ما قامت عليه الحجة فأباحه للناس واستعمله فى نفسه فأصدق أم كلثوم بنت علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهم أربعين ألفا والقنطار ألف دينار ومائتا دينار الا أن المياسرة فى الصداق أحب عند أهل العلم من المغالاة *ومن الملح فى صداق خمسمائة ما حدّث به ابن أبى شيبة قال كان حجاج جارنا فسمعته يقول لابيه تزوجت أمى على خمسمائة درهم وبقيت أنا لك ربحا فقال له أبوه من سخنة عين هذا الربح أخشى (قوله مهر) يقال مهر المرأة يمهرها وأمهرها عين لها مهرا (ان تطالب بصداق) أى أن القصة ليس لها حقيقة فليس ثم من يطالبك بصداق ولا طلاق (حشدك) جمعك وأصله مصدر

(ذكر مغالاة الصدقات)

لما زوجوه الا على خمسمائة درهم اقتداء بما مهر الرسول صلى الله عليه وسلم زوجاته وعقد به أنكحة بناته على أنك لن تطالب بصداق ولا تلجأ الى طلاق ثم انى سأخطب فى موقف عقدك ومجمع حشدك خطبة لم

تفتق رتق سمع ولا خطب بمثلها فى جمع (قال الحرث ابن همام) فازدهانى بوصف الخطبة المتلوة دون الخطبة المجلوة

حتى قلت له قد وكات اليك هذا الخطب فدبره تدبير من طب لمن حب فنهض مهرولا ثم عاد متهللا وقال أبشر باعتاب الدهر واحتلاب الدر فقد وليت العقد وأكفلت النقد وكأن قد ثم أخذ فى مواعدة أهل الخان واعداد حلواء الخوان فلما امتد الليل أطنابه وأغلق كل ذى باب بابه أذن فى الجماعة ألا احضروا فى هذه الساعة فلم يبق فيهم الا من لبى صوته وحضر بيته فلما اصطفوا لديه واجتمع الشاهد والمشهود عليه جعل يرفع الاصطرلاب ويضعه ويلحظ التقويم ويدعه الى أن نعس القوم وغشى النوم فقلت له يا هذا ضع الفاس فى الراس وخلص الناس من النعاس فنظر نظرة فى النجوم ثم انتشط من عقله الوجوم وأقسم بالطور والكتاب المسطور لينكشفن سر هذا الامر المستور ولينتشرن ذكره الى يوم النشور ثم انه جثا على ركبته واسترعى الاسماع لخطبته وقال الحمد لله الملك المحمود المالك الودود مصور كل مولود ومآل كل مطرود ساطح المهاد وموطد الاطواد ومرسل الامطار ومسهل الاوطار عالم الاسرار ومدركها ومدمر الاملاك ومهلكها

ثم استعمل لجماعة الناس (تفتق) تشق (رتق) غلق و (السمع) الاذن (ازدهانى) دعانى الى الزهو وهو العجب والكبر أى أعجبت بوصفها (المتلوة) المقروأة و (الخطبة) الزوجة المخطوبة (المجلوة) التى كشف وجهها لينظر اليها (وكات) أى أسندت (اليك) وجعلتك القائم (الخطب) الامر (طب) أصلح حال العليل فيقول دبر هذا الامر تدبير الطبيب أمر حبيبه اذا كان عليلا وطبه أى عناه وقيل معنى طب حذق بالشئ وجاد فيه ذهنه والطب الحاذق بالامر فيكون معناه دبر أمرى تدبير المميز الحاذق أمر حبيبه قال ابن الانبارى قولهم من حب طب أى من أحب حذق وفطن واحتال لمن يحب والطب فى اللغة الحذق والفطنة ورجل طبيب وطب اذا كان حاذقا وسمى الطبيب لفطنته ومعنى حب أحب وقال البصريون لا يقال حب يحب وجاء عنهم محبوب على فعل لا يتكلم به * الكسائى والفراء يقال حببت وأحببت وحب فى المثل يدل على صحته والبصريون يقولون حب اتباع لطب (مهرولا) مسرعا (متهللا) مستبشرا (اعتاب) ارضاء (الدر) اللبن (وليت العقد) اى أعطيت النكاح أى جعلنى أبو الزوجة وليها (أكفلت النقد) أى جعلت كفيلا على أخذه والكفيل الضامن أو يكون معنى أكفلت ضمن لى وأعطيت كفيلا والنقد المال الحاضر (وكأن قد) اى وكأن قد أحضر المال وتيسر النكاح (الخوان) المائدة (اذن) صاح (لبى) أجاب وقال لبيك (الاصطرلاب) آلة للمنجمين يأخذون بها الاوقات (يلحظ) ينظر (التقويم) التعديل (غشى النوم) غطى العيون وخمرها (ضع الناس فى الراس) أى اقصد الى عين الخبر وهى كلمة تقال عند التوكيد فى العزم على الامر ومعناه اقطع ما تريده من الامر وافصله * والذى نظر نظرة فى النجوم هو ابراهيم عليه السلام لانه تفكر ما الذى يصرفهم عنه اذا كلفوه الخروج معهم فقال انى سقيم (انتشط) انحل و (العقلة) ما ينشب فيها الانسان فتعقله ويقال لفلان عقلة يعتقل بها الناس وذلك اذا صارعهم عقل أرجلهم و (الوجوم) العبوس والحزن الشديد أراد أنه كان فى تقويمه طالع نحس فكان معبسا حزينا فلما زالت ساعته ودخلت ساعة طالع سعد استبشر وزال عبوسه وانما عقد هذا النكاح ليلا لان قصده المكر ولانهم كانوا يختارون نكاح آخر النهار على أوله قال بعض العلماء ذهبوا فى ذلك الى اتباع السنة فى الفال فآثر الناس استقبال الليل بعقد النكاح تيمنا بما فيه من الهدو والاجتماع على صدر النهار لما فيه من التفرق والانتشار وذهبوا الى تأويل القرآن لان الله سمى الليل فى كتابه سكنا وجعل النهار نشورا كما يستحبون النكاح يوم الجمعة للاجتماع وقال الشاعر

و يوم الجمعة التنعيم فيه * وتزويج الرجال من النساء

(الطور) جبل موسى عليه السلام الذى آنس من جانبه النار وكلمه الله عنده (سر هذا الامر) أراد ما أضمره لهم من الخداع انه سينكشف ويتحدث به الى يوم القيامة (جثا) يجثو جثوا جلس على ركبتيه (استرعى) استدعى (الاسماع) الآذان ويقال أرعنى سمعك أى اسمعنى واخل أذنيك لاستماع حديثى (قوله مآل) اى ملجأ (مطرود) منفى (ساطح) باسط (المهاد) الارض (موطد الاطواد) مثبت الجبال و (الاوطار) الحاجات (مدمر الاملاك) اى مهلك الملوك والاملاك جمع ملك وهذا كما قال عدى بن زيد

أين كسرى كسرى الملوك أنوشر * وان أم أين قبله سابور

و بنو الاصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور
وأخو الحصن اذ بناه واذ دجـ*ـلة تجبى اليه والخابور
وتفكر رب الخورنق اذ أشـ*ـرف يوما وللهدى تذكير
لم يهبه ريب المنون فباد الـ*ـملك عنه فبابه مهجور
ثم بعد القلاع والملك والاسـ*ـرة وارتهم هناك القبور
ثم راحوا كأنهم قصب جف فألوت بها الصبا والدبور

(وقال الاسود بن يعفر)

ولقد علمت لوان علمى نافعى * ان السبيل سبيل ذى الاعواد
ماذا أؤمل بعد آل محرق * تركوا منازلهم وبعد اياد
جرت الرياح على محل ديارهم * فكأنهم كانوا على ميعاد
ولقد غنوا فيها با كرم غنية * فى ظل ملك ثابت الاوتاد
فاذا النعيم وكل ما يلهى به * يوما يصير الى بلى ونفاد

الاصمعى أصيب فى حفير حول الحيرة تابوت فيه رجل عليه خفان وعند رأسه لوح فيه أنا عبد المسيح بن حيان بن نفيلة

حلبت الدهر أشطره حياتى * ونلت من المنى فوق المزيد
وكافحت الامور وكافحتنى * ولم أخضع لمعضلة كؤد
وكدت أنال بالشرف الثريا * ولكن لاسبيل الى الخلود

دخل أرطاة بن سهية على عبد الملك فقال كيف حالك وكان قد أسن فقال ضعف حالى وقل مالى وكثر منى ما كنت أحب أن يقل وقل منى ما كنت أحب أن يكثر قال فكيف أنت فى شعرك فقال والله ما أغضب ولا أطرب ولا أرهب وما الشعر الا من نتائج هذه على انى القائل

رأيت المرء تأكله الليالى * كاكل الارض ساقطة الحديد
وما تبغى المنية حين تأتى * على نفس ابن آدم من مزيد
وأعلم أنها عما قليل * ستوفى نذرها بأبى الوليد

فارتاع عبد الملك ثم قال بل توفى نذرها بك مالى ولك قال يا أمير المؤمنين لاترع فما عنيت الا نفسى فقال أما والله لتلمن بى وأبو الوليد كنية لعبد الملك ولارطاة و(التكوير) ادخال الليل على النهار والنهار على الليل وكورت الشئ رددته ولويت بعضه على بعض (هطل وهمل) معناهما صب (الركام) السحاب المتراكم (السؤل) المطلوب (أوسع) أغنى (المرمل) الذى نفد زاده (الارمل) الفقير أو الذى ماتت زوجته والتى مات زوجها يقال لها أرمل وأرملة ومنع قوم أن يقال للفاقد زوجته أرمل وأجازه بعضهم (مداه) غايته (الاواه) ابراهيم عليه السلام وهو من التأوه وهو التوجع والتحزن والنطق بأواه أوّاه (صادع) مفسد والصدع الشق فى زجاجة أو حائط (علما) اى اماما يهتدى به (مسددا) مصلحا و(الرعاع) السقاط والضعفة من الناس (ودوسواع) صنمان (حكم) قضى (احكم) أتقن (أصل) ثبت الاصول (مهد) سوى ووطا (الوعود) جمع وعد

ومكور الدهور ومكررها
ومورد الامور ومصدرها
عم سماحه وكمل وهطل
ركامه وهمل وطاوع
السؤل والامل وأوسع
المرمل والارمل أحمده
حمدا ممدودا مداه وأوحده
كما وحده الاواه وهو الله
لا اله للامم سواه ولا صادع
لما عدله وسوّاه ارسل
محمدا علما للاسلام واماما
للحكام ومسددا للرعاع
ومعطلا أحكام ودّ وسواع
أعلم وعلم وحكم وأحكم
وأصل الاصول ومهد
واكد الوعود

وأوعدواصل الله له الاكرام واودع روحه دار السلام ورحم آله وأهله الكرام مالمع آل ولمع رال وطلع هلال وسمع اهلال اعملوا رعاكم الله اصلح الاعمال واسلكوا مسالك الحلال واطرحوا الحرام ودعوه واسمعوا أمر الله وعوه وصلوا الارحام وراعوها وعاصوا الاهواء واردعوها وصاهروا لحم الصلاح والورع وصارموا رهط اللهو والطمع ومصاهركم أطهر الاحرار مولدا وأسراهم سوددا وأحلاهم موردا وأصحهم موعدا وهاهو امكم وحل حرمكم مملكا عروسكم المكرمة وماهرا لها كما مهر الرسول أم سلمة وهو أكرم صهر أودع الاولاد وملك ما أراد وماسها مملكه ولا وهم ولا وكس ملاحمه ولا وصم أسأل الله لكم احماد وصاله ودوام اسعاده وألهم كلا اصلاح حاله والاعداد لمعاده وله الحمد السرمد والمدح لرسوله محمد فلما فرغ من خطبته

(ذكر خطب في النكاح)

(اوعد) هدد وخوف (واصل) داوم (أودع روحه دار السلام) أدخله الجنة (آل) سراب (لمع) أسرع (رال) فرخ النعام (اهلال) رفع الصوت بالتلبية بمكة (اطرحوا) اتركوا وارموا به (عوه) احفظوه (الارحام) القرابات الواحد رحم والارحام من النساء الواحد رحم (راعوها) احفظوها وحاموا عليها (الاهواء) دواعى النفس (اردعوها) كفوها (صاهروا) ناكحوا (لحم) قرابات ولحمة النسب التحام القرابة وانضمامها (صارموا) قاطعوا (مصاهركم) ختنكم المتزوج اليكم (أسراهم) أشرفهم وأكثرهم مروأة وقد سرى فهو سرى (أمكم) قصدكم (حل) نزل (حرمكم) بلدكم وموضعكم الذى هو كالحرم فى أمنه (مملكا) متزوجا والاملاك التزويج الذى تملك به المرأة * قال ابن هشام أم سلمة بنت أمية بن المغيرة تزوج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وقعة بدر فى سنة اثنتين من التاريخ واسمها هند بنت أمية زاد الركب ابن المغيرة وفى حديث أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم تزوج أم سلمة على متاع قيمته عشرة دراهم (سها) أخطأ (مملكه) منكحه الذى أعطاه وليته (وكس) غبن و (وهم) فى الحساب غلط فيه و (ملاحمه) أى مصاهره (وصم) عيب والوصم العيب و (أحمد) الرجل احمادا أى صار أمره الى الحمد أراد أنه من أهل الاحساب فلا ينقص من يصاهره (الاعداد للمعاد) أى الاستعداد لليوم الذى يعاد فيه الى نشأته الاولى (السرمد) الدائم (والرسول) الذى يتابع أخبار الذى بعثه أخذا من قولهم جاءت الابل أرسالا أى متتابعة ويثنى رسولان ويجمع رسل ومنهم من يوحده فى كل حال قال الله تعالى انا رسول رب العالمين وحده لانه فى معنى الرسالة وأنشد

فأبلغ أبا بكر رسولا سريعة * فمالك يا ابن الحضرمى وماليا

قال الفراء رحمه الله وحده اكتفاء بالرسول من الرسولين وأنشد

ألكنى اليها وخير الرسو * ل أعلمهم بنواحى الخبر

أراد الرسل فاكتفى بالواحد عن الجمع واذ كملت الخطبة فلنسق من خطب النكاح ما يحسن بالوضع * ومن مشاهير الخطب فيه خطبة أبى طالب فى تزويج النبى صلى الله عليه وسلم من خديجة رضى الله عنها وهى الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم عليه الصلاة والسلام وزرع اسمعيل وجعل لنا حرما آمنا وبيتا محجوجا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان محمد بن عبد الله ابن أخى ممن لا يوازن فتى فى قريش الا رجح به برا وفضلا وكرما وعقلا ومجدا ونبلا وان كان فى المال قل فانما المال ظل زائل وعارية مسترجعة وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك وما أحببتم من الصداق فعلى فهذه الخطبة من أفضل خطب الجاهلية * وعن يحيى بن أكثم أراد المأمون أن يزوج ابنته من على الرضا فقال يا يحيى تكلم فاجللت أن أقول أنكحت فقلت يا أمير المؤمنين أنت الحاكم الاكبر والامام الاعظم وأنت أولى بالكلام فقال الحمد لله الذى تصاغرت الامور بمشيئته ولا اله الا الله اقرارا بربوبيته وصلى الله على سيدنا محمد عند ذكره وعترته أما بعد فان الله سبحانه قد جعل النكاح دينا ورضيه حكما وأنزله وحيا ليكون سببا للمناسلة وانى قد زوجت ابنة المأمون من على بن موسى الرضا وأمهرتها أربعمائة دينار اقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهاء الى ما درج اليه السلف الصالح والحمد لله رب العالمين وحضر المأمون املاكا وهو أمير فسأله من حضر أن يخطب فقال الحمد لله والصلاة على المصطفى رسوله

وخير

وخيرما عمل به كتاب الله وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ولولم يكن في المناكحة آية منزلة ولا سنة متبعة الاما جعل الله في ذلك من تأليف البعيد وبر القريب لسارع اليه الموفق المصيب وبادر اليه العاقل اللبيب وفلان قد عرفتموه في نسب لم تجهلوه خطب اليكم فتاتكم فلانة وقد بذل لها من الصداق كذا فشفعوا شافعنا وأنكحوا خاطبنا وقولوا خيرا تحمدوا عليه وتؤجروا فيه أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم * وخطب رجل من بني أمية الى عمر بن عبد العزيز أخته فأطال فقال عمر الحمد لله ذي الكبرياء وصلى الله على محمد خاتم الانبياء أما بعد فان الرغبة منك دعت الينا وان الرغبة منا فيك أجابت بنا وقد أحسن بك ظننا من أودعك كريمته واختارك ولم يختر عليك وقد زوجناك على كتاب الله تعالى امساك بمعروف أو تسريح باحسان * وكان الحسن البصري رحمه الله يقول في خطبة النكاح بعد الحمد والثناء أما بعد فان الله تعالى جمع لهذا النكاح الارحام المنقطعة والانساب المفترقة وجعل ذلك في سنة من دينه ومنهاج من أمره وقد خطب فلان اليكم وعليه وعليكم من الله نعمة وهو يبذل من الصداق كذا فاستخيروا الله وردوا خيرا يرحمكم الله * الاصمعي رحمه الله كانوا يستحسنون من الخاطب أن يطيل ليدل على الرغبة ومن المخطوب اليه الايجاز ليدل على الاجابة (قوله البديعة النظام) اى الغريبة التأليف (العرية من الاعجام) اى العاطلة من النقط (الرفاء) السكون والالتحام ويدعى للمتزوج فيقال له بالرفاء والبنين اى بالاتفاق مع الزوجة ووجود البنين مما يكون منها وهو من رفأت الثوب اذا ضممت بعضه الى بعض او من رفوت الرجل اذا سكنته قال ابو زيد رحمه الله هو من المرافاة غير مهموز وهي الموافقة وتزوج عقيل بن أبي طالب فقيل له بالرفاء والبنين فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفأ أحدكم أخاه فليقل على الخير والبركة بارك الله لك وبارك عليك (الآبدة) الداهية وجاء بآبدة أي بكلمة أو خصلة وحشية منكرة واشتقاقه من الاوابد وهي الوحش وكذلك الآبد يقال أبد الشاعر اذا أتى بالعويص في شعره فمعنى أبدى الآبدة أي أظهر الداهية التي يبقى ذكرها على الابد (زجرني) نهاني (أنهضني) أقامني وقدمني (المناولة) اعطاء الطعام (تصافح الاجفان) غلقها وفتحها بسرعة كقولك طرفة العيون (خروا للاذقان) أي سقطوا على وجوههم والذقن مجمع اللحيين يعبر به عن الوجه لان العرب تسمي الشيء ببعض ما فيه واذا خر على وجهه فأقرب شيء الى الارض ذقنه فخصه بالذكر ولهذا قال الله تعالى يخرون للاذقان سجدا (أعجاز) أصول (خاوية) فارغة مما كانه ويقال خاوية ساقطة بالية (صرعى) قتلى وأراد به السكارى و (بنت الخابية) هي الخمر ومعنى الخابية التي تخبأ فيها الاشياء مأخوذ من خبأت فبنيت على ترك الهمز ويقال خبأت الشيء وخبأته وخبيته وقرأت الشيء وقريته (احدى الكبر) واحدة من الكبائر (أم العبر) أي أعظم الدواهي وما يتعظ به (لم أعد) لم أتجاوز (الخبيص) نوع من الحلواء (البنج) نبات يسكر منه وهو لبن الخشخاش البري المعروف بالافيون و (الخلنج) ضرب من الخشب (زهرا) مضيئة يعني الكواكب (السارين) الماشين بالليل (طرا) جمعا (نكرا) منكرا (المخزيات) جمع مخزية وهي الخصلة الرديئة يخزى صاحبها متى ذكرت له والخزي الهوان (صيور) مآل ورجوع أي ما يصير اليه أمره (عدوى عره) أي انتقال ضرره والعر الجرب والعدوى انتقال المرض من المريض الى الصحيح ومعناه عند العرب

البديعة النظام العرية من الاعجام عقد العقد على الخمس المثين وقال لي بالرفاء والبنين ثم أحضر الحلواء التي كان أعدها وأبدى الآبدة عندها فأقبلت اقبال الجماعة عليها وكدت أهوي بيدي اليها فزجرني عن المؤاكلة وأنهضني للمناولة فوالله ما كان بأسرع من تصافح الاجفان حتى خر القوم للاذقان فلما رأيتهم كأعجاز نخل خاوية أو كصرعى بنت خابية علمت أنها لاحدى الكبر وأم العبر فقلت له يا عدي نفسه وعبد فلسه أعددت للقوم حلوا أم بلوى فقال لم أعد خبيص البنج في صحاف الخلنج فقلت أقسم بمن أطلعها زهرا وهدى بها السارين طرا لقد جئت شيأ نكرا وأبقيت لك في المخزيات ذكرا ثم جرت فكرة في صيور أمره وخيفة من عدوى عره حتى طارت نفسي

شعاعا وأرعدت فرائصى ارتياعا ٩٠ فلما رأى استطارة فرقى واستشاطة قلقى قال ماهذا الفكر المرمض والزوع المومض

فان يكن فكرك فى أجلى من أجلى فأنا الآن أرتع وأطفر وأقوى هذه البقعة منى وأقفر وكم مثلها فارقتها وهى تصفر وان يكن نظرا لنفسك وحذرا من حبسك فتناول فضالة الخبيص وطب نفسا عن القميص حتى تأمن المستعدى والمعدى ويتمهد لك المقام بعدى والا فالمفر المفر قبل أن تسحب وتجر ثم عمد لاستخراج مافى البيوت من الاكياس والتخوت وجعل يستخلص خالصة كل مخزون ونخبة كل مذروع وموزون حتى غادر ما ألغاه فخه كعظم استخرج مخه فلما همن ما اصطفاه ورزم وشمر عن ذراعيه وتحزم أقبل على اقبال من لبس الصفاقة وخلع الصداقة وقال هل لك فى المصاحبة الى البطيحة لازوجك باخرى مليحة فاقسمت له بالذى جعله مباركا اينما كان ولم يجعله ممن خان فى خان انه لاقبل لى بنكاح حرتين ومعاشرة ضرتين ثم قلت له قول المتطبع بطباعه الكائل له بصاعه قد كفتنى الاولى خسرا فاطلب آخر للاخرى فتبسم من كلامى ودلف لالتزامى فلويت عنه عذارى وابديت له ازوراري فلما ابصر بانقباضى وتجلى له اعراضى انشد يا صارفا عنى المودة والزمان له صروف ولائمى

اذا كان الجرب بواحدة من الابل سرى فى غيرها وفى الصحيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعدوى ولاطيرة ولاصفر ولاهامة ولايورد ممرض على مصح فقال أعرابى يارسول الله فمابال الابل التى تكون فى الرمل كأنها الظباء فيجىء البعير الاجرب فيدخل فيها فيجربها كلها قال فمن أعدى الاول وقال النابغة

فلا تتركنى بالوعيد كأننى * الى الناس مطلى به القار أجرب

فأراد أنه خاف أن يؤخذ بذنب السروجى (شعاعا) متفرقة فى كل جهة يقال نفس شعاع أى تفرقت همتها ورأى شعاع أى متفرق (والفرائص) جمع فريصة وهى بضعة عند الكبد ترعد عند الفزع قال امرؤ القيس * وترعد منهن الكلى والفرائص * (ارتياعا) فزعا (استطارة فرقى) انتشار فزعى (واستشاطة) التهاب واحتراق (المرمض) المحرق وهو من لفظ الرمضاء و(الروع) الفزع (المومض) الذى يدع صاحبه مبهوتا شاخص البصر من شدته وأومضت المرأة بعينها اذا برقت (الاجل) بالتحريك التأخير وبتسكينها الجناية يقول ان تفكرت فى تأخيرى من الهرب بسبب جنايتى فالآن أجمع أموالهم وأفر قال الفنجديهى ان يكن فكرك فى اجلى أى فى جنايتى يقال اجل الرجل عليهم شرا يأجل ويأجل اجلا اى جناية وهيجه من أجلى أى من جرائى (أرتع) آكل اموالهم (أطفر) أفر هاربا وطفر وثب وسار مسرعا (اقوى وأقفر) معناهما اخلى موضعى وأقفر الرجل من أهله انفرد عنهم وبقى وحده والدار خلت وكذلك أقوت وقويت واقفرت الارض من الكلا ورأسه من الشعر وجسده من اللحم وأقوى واقفر لا يتعديان (تصفر) تصوت وهذا عجز بيت لتأبط شرا وصدره * فابت الى فهم وما كدت آيبا * تصفر اى تنفخ ندما على فوتى والنادم على الشىء يتابع النفخ يقول كم مثل هذه الخصلة فارقتها وهى تصفر تندما على مافاتها (تناول) خذ (فضالة) بقية (طب نفسا) عنه أى لتكن نفسك طيبة على فقده فانك اذا أكلت الخبيص سكرت بخدرتك فصرت فى جملة من أكل ماله فتأمن بذلك (المستعدى) هو الشاكى (والمعدى) هو الحاكم ويقال استعديت الحاكم فأعدانى اى استعنته فأعاننى (يتمهد) يتوطأ (المفر المفر) أى بادر الفرار (وتسحب) هو (تجر * الاكياس) اوعية الدراهم والدنانير (التخوت) أوعية الثياب (يستخلص) يختار (خالصة) خياره وكذلك (نخبة * مذروع) مكيل بالذراع يعنى الثياب (موزون) يعنى الجواهر ومافى معناها مما يباع بالوزن مثل العطريات وغيرها من شبهها (الفخ) آلة للصيد يحسن أن يكنى به عن المكيدة (همن) شده بالهميان نوع من التكة (اصطفاه) اختاره (رزم) جعله رزمة والرزمة فى كلام العرب التى فيها ضروب من الثياب واخلاط يقال رازم الرجل فى أكله اذا خلط بعضه ببعض ورازمت علف الدابة خلطته وقد يريد به ماشد على وسطه من المال بهميانه (الصفاقة) صلابة الوجه (خلع) ازال (البطيحة) قرية عامرة بقرب البصرة من جهة واسط وبينها وبين البصرة وواسط جهة كبيرة تعرف بالبطاح وتتوسطها البطيحة (معاشرة ضرتين) مصاحبة زوجتين (المتطبع بطباعه) المتخلق بخلقه (الكائل له بصاعه) أى الذى أعطاه من الهزل مثل ما أعطاه (دلف) أسرع (التزامى) معانقتى وضمى له (لويت) عطفت أى أعرضت عنه بوجهى (ازوراري) انقباضى (تجلى) ظهر (اعراضى) تركى اقبالى عليه (صارفا) منحيا (المودة) المحبة (صروف) دفوع (معنفى) موبخى

ولائمى (فضح) كشف و (العسوف) الآخذ بجهالة قبل التجربة (تلحى) تلمى (يراعون) يحفظون حقوقهم (بلوتهم) خبرتهم ومثله (سبكتهم زيوف) دراهم ردية يريد أنهم قوم لاخير فيهم (مخيف) مضر مفزع (ان تمكن) ارتفع وكانت له مكانة (مخوف) لايقدم عليه خوف ضرره (الصفى الوفى) الصادق الود (الحفى) المكرم لصديقه المعتنى به (العطوف) الرحيم (الضرى) المعتاد الذى ضرى أخذ الخرفان (صرعى) مطروحون على الارض و (الحتوف) جمع حتف وهو الهلاك (اقتنوه) اكتسبوه (رغم) اذلال (انثنيت) أى رجعت (المجانى) مايجنى من الثمار (والقطوف) مايقتطف منها وهى جمع قطف وهو العنقود (خلفت) تركت خلفى (مكلوم) مجروح (الحشى) اسقاط الجوف (وترت) أخذت منهم ثأرى وحقى (أرباب الارائك) أصحاب الاسرة (والدرانك) البسط (السجوف) جمع سجف وهو الستر والارائك جمع أريكة والدرانك واحدها درنوك (الهول) الامر المفزع (تراع) تفزع و (فيه) متعلقه وقوف يريد ان الاسد تفزع أن تقف فى الهول الذى وقف فيه (سفكت) قتلت (فتكت) عتيت (هتكت) قطعت (حمى) مايحمى ويمنع (أنوف) كثير الانفة والحمية (ارتكاض) جرى واضطراب وتحرك (موبق) مهلك (خفوف) اسراع (الرؤف) الكثير الرفق والرحمة قال ابن رشيق فى معنى هذا الخروج بعد تعديد ذنوبه

اذا أتى الله يوم الحشر فى ظلل * وجىء بالامم الماضين والرسل
وحاسب الخلق من احصى بقدرته * أنفاسهم وتوفاهم الى أجل
ولم أجد فى كتابى غير سيئة * تسوءنى وعسى الاسلام يسلم لى
رجوت رحمة ربى وهى واسعة * ورحمة الله أرجى لى من العمل

(ولابن لنكك)

اذا خفق اللواء على يوما * وقد أخذ امرؤ القيس اللواء
رجوت الله لا أرجو سواه * لعل الله يرحم من أساء

(وقال ابن الرقاق)

ياعالم السر منى * اصفح بفضلك عنى
منيت نفسى بعفو * مولاى منك ومنى
وكان ظنى جميلا * فكن اذا عند ظنى

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى مايشاء * توفى رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مسرفا على نفسه فلما حضرته الوفاة رفع رأسه فاذا أبواه يبكيان عليه فقال لهما مايبكيكما قالا نبكى لاسرافك على نفسك قال فلا تبكيا فوالله مايسرنى أن الذى بيد الله من أمرى بأيديكما فأتى جبريل عليه الصلاة والسلام النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره أن فتى توفى اليوم فاشهده فانه من أهل الجنة فاستكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه عن عمله فقالا ماعلمنا عنده شيأ من خير الا أنه قال عند الموت كذا قال من ههنا أتى حسن الظن بالله من أفضل العمل عنده وعن أنس رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم لايموتن أحدكم حتى يحسن ظنه بالله تعالى فان حسن الظن ثمن الجنة

ومعنفى فى فضح من * جاورت تعنيف العسوف
لاتلحنى فيما أتيت * فاننى بهم عروف
ولقد نزلت بهم فلم * ارهم يراعون الضيوف
وبلوتهم فوجدتهم * لما سبكتهم زيوف
مافيهم الا مخيف * ان تمكن او مخوف
لابالصفى ولا الوفى * ولا الحفى ولا العطوف
فوثبت فيهم وثبة الذ * ئب الضرى على الخروف
وتركتهم صرعى كأنهم * سقوا كأس الحتوف
وتحكمت فيما اقتنو * ه يدى وهم رغم الانوف
ثم انثنيت بمغنم * حلو المجانى والقطوف
ولطالما خلفت مكلوم * الحشى خلفى يطوف
ووترت أرباب الارا * ئك والدرانك والسجوف
ولكم بلغت بحيلتى * ماليس يبلغ بالسيوف
ووقفت فى هول تراع * الاسد فيه من الوقوف
ولكم سفكت وكم فتكت * وكم هتكت حمى انوف
وكم ارتكاض موبق * لى فى الذنوب وكم خفوف
لكننى اعددت حسن * الظن بالمولى الرؤف

* أبوهريرة رضى الله عنه عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال حسن الظنّ من حسن العبادة
* وكان محمد بن نافع الواعظ صديقا لابى نواس قال فلما بلغنى موته أشفقت عليه فرأيته
فى النوم فقلت أبانواس فقال لات حين كناية قلت الحسن قال نعم قلت مافعل الله بك قال
غفر الله لى قلت بأى شئ قال بتوبة تبتها قبل موتى بأبيات قلتها قلت أين هى قال عند أهلى فسرت
الى أمه فلما رأتنى أجهشت بالبكاء فقلت انى رأيت كذا فكأنها سكنت وأخرجت الىّ كتبا
مقطعة فوجدت بخطه كأنه قريب

يارب ان عظمت ذنوبى كثرة * فلقد علمت بان عفوك أعظم
ان كان لا يرجوك الا محسن * فمن الذى يدعو ويرجو المجرم
أدعوك رب كما أمرت تضرعا * فاذا رددت يدى فمن ذا يرحم
مالى اليك وسيلة الا الرجا * وجميل ظنى ثم انى مسلم

وانما قال لات حين كناية لان العرب لاتكنى الميت انما تدعوه باسمه قال الراجز

وقام نسوة بجنب حفرتى * بنات أختى وبنات اخوتى
* يدعون باسمى وتناسوا كنيتى *

وقال آخر فقد جعلت تدعى كلاب بن جعفر * بأسمائها الا بالكنى لاتجيبها

(قوله لج فى الاستعبار) أى أكثر فى البكاء (ألظ) ألحّ وألظ به دار عليه (استمال) استعطف وأماله اليه (المنحرف) المائل عنه (المقترف) المكتسب الاثم ويقال قرف فلان فلانا اذا ألصق به عيبا وكسبه ذنبا واقترف فلان ذنبا أى اكتسبه وألصقه بنفسه (المعترف) المقر بذنبه * أبوهريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل ملائكة يترحمون على المقرين على أنفسهم بالذنوب وروى أبوذرّ عن النبىّ صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه ابن آدم انك ان يبلغ ذنبك عنان السماء ثم تستغفرنى أغفر لك ولا أبالى (غيض) جفف وغيب من غيض الماء اذا انتقص وجف (المنهل) السائل (تأبط) اى جعله تحت ابطه (انسل) خرج مخفيا نفسه متحرزا أن يراه أحد (انسياب) مشى لايحس به (الحية) يعنى الشيخ سماه حية لاذايته أهل الخان بالشج فجعله كسم الحية فمن ألقته ويقال أيضا فى تصغير الحية حوية وأصلها الواو لانها من تحوت أى تلوّت وقيل هى من الحياة لطول عمرها (انتهاء الداء الى الكية) مثل يضرب لانتهاء الداء الى أقصاه تقول العرب آخر الطب الكى تريد ان المريض يعالج بكل دواء فلا يوافقه فاذا عولج بالكى لم يبق بعده دواء والا فهو الموت فيريد أنه ان أقام بعدهما انتهى الى هوان وعذاب (تربى) تثبطى وتربث بالمكان أطال الجلوس فيه (مجلبة) اى سبب جلبه وسوقه (رحيلى) يريد متاعه وصغره لفقره وقلة ماعنده ورحل الانسان ماله ومتاعه فى السفر (أسرى) أمشى بالليل (الطيب) قرية بالعراق بقبرة واسط بينها وبين البطيحة المتقدمة وسميت الطيب لطيب هوائها وخصبها (احتسب) أدعو وأقول حسبيه الله ومجازيه على قبيح أفعاله والاحتساب طلب الاجر فمعنى أحتسب (الله على الخطيب) أطلب الى الله تعالى الثواب بانكارى على الخطيب والله تعالى ربى عليه توكلت واليه أنيب

(شرح المقامة الثلاثين وهى الصورية)

(قال) فلما انتهى الى هذا البيت لج فى الاستعبار وألظ بالاستغفار حتى استمال هوى قلبى المنحرف ورجوت له مايرجى للمقترف المعترف ثم انه غيض دمعه المنهل وتأبط جرابه وانسل وقال لابنه احتمل الباقى والله الواقى
(قال المخبر بهذه الحكاية) فلما رأيت انسياب الحية والحية وانتهاء الداء الى الكية علمت أن تربثى بالخان مجلبة للهوان فضممت رحيلى وجمعت للرحلة ذيلى وبت ليلتى أسرى الى الطيب وأحتسب الله على الخطيب

(المقامة الثلاثون الصورية)

(ترجمة المنصور)

(قوله مدينة المنصور) هي بغداد والمنصور هو أمير المؤمنين أبو جعفر بن محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس استخلف بعد أخيه السفاح وبويع له يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين ومائة وهو ابن احدى وأربعين سنة وعشرة أشهر وكان حاجا وقت وفاة السفاح فعقد له البيعة عمه موسى بن علي بن عبد الله بالانبار وورد الخبر على المنصور في أربعة عشر يوما وقد بشر به النبي صلى الله عليه وسلم ونظر الى عمه العباس فقال هذا عمي أبو الخلفاء الاربعين أجود قريش كفا من ولده السفاح والمنصور والمهدي وقال المنصور رأيت في المنام كأني في المسجد الحرام فنودي أين عبد الله فقمت أنا وعبد الله بن يحيى نستبق حتى وصلنا الى الدرجة العليا فجلس هو وأخذ بيدي فأصعدت وأدخلت الكعبة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ومعه أبو بكر وعمر وبلال قال فأقعدني وأوصاني بأمته وعممني فكان كورها ثلاثا وعشرين كورا وقال خذها اليك أبا الخلفاء الى يوم القيامة * وقال المنصور الخليفة لا يصلحه الا التقوى والسلطان لا يصلحه الا الطاعة والرعية لا يصلحها الا العدل وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه * وولد المنصور في سنة خمس وتسعين في اليوم الذي مات فيه الحجاج ومات بمكة ببئر ميمون لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة (صور) مدينة بالشام بينها وبين دمشق ثلاثون فرسخا * وقال شيخنا ابن جبير مدينة صور يضرب بها المثل في الحصانة لا يلقي لطالبها بيد طاعة ولا استكانة قد أعدها الافرنج مفزعا لحادثة زمانهم وجعلوها مثابة لامانهم وحصانتها ومناعتها أعجب ما يحدث به وذلك أنها راجعة الى بابين أحدهما في البر والثاني في البحر والبحر يحيط بها الا من جهة واحدة فالبري يفضى اليه بعد ولوج ثلاثة أبواب أو أربعة كلها في ستائر مشيدة محيطة بالباب والبحري يدخل اليه بين برجين مشيدين الى مرسى له ليس في البلاد أعجب منه وصفا يحيط به سور المدينة من ثلاثة جوانب ويحدق به من جانب آخر جدار معقود بالجص والسفن تدخل تحت السور وترسي فيه وتعرض من البرجين المذكورين سلسلة عظيمة معقودة تمنع عند اعتراضها الداخل والخارج ولا مجال للمراكب الا عند ازالتها وعلى الباب حراس لا يدخل الداخل ولا يخرج الا على أعينهم فشأن هذا المرسى شأن عظيم وعند الباب البري عين معينة تنحدر اليها على أدراج والآبار والجباب بها كثيرة لا تخلو دار منها ولا بساتين بها انما تجلب لها الفواكه من أقطارها التي بالقرب منها ولها أعمال متصلة والجبال التي بالقرب منها معمورة بالضياع ومنها تجيء الثمرات اليها وللمسلمين الباقين بها مسجدان وأعلمني أحد أشياخنا أنها أخذت من أيديهم سنة ثمان عشرة وخمسمائة بعد محاصرة طويلة وبها كانت دار الصنعة ومنها تخرج مراكب المسلمين للغزو (قوله ذا رفعة) أي عزة ومكانة (خفض) طيب عيش ومعنى (مالك رفع وخفض) أي صاحب احمال ترفع على الابل في السفر وتحط عنها للنزول ويريد أنه ذو قدرة وتمكن يخفض ويرفع من أراد (قوله تقت) أي اشتقت (مصر) قال الهمذاني سميت بمصر بن هرمس بن هروس جد الاسكندر وقال أهل اللغة المصر الحد فسميت مصر لانها حد بين المشرق والمغرب * ابن دريد كل بلد عظيم مصر نحو البصرة والكوفة طول مصر من الشجرتين اللتين بين أجع والعريش الى أسوان وعرضها من برقة الى ايلة فهي مسيرة أربعين ليلة وافتتحت كلها

قوله ابن يحيى في نسخة ابن علي اه

(حكى الحرث بن همام) قال ارتحلت من مدينة المنصور الى بلدة صور فلما حصلت بها ذا رفعة وخفض ومالك رفع وخفض تقت الى مصر

(ذكر مدينة صور)

(ذكر مصر)

في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه على يدى عمرو بن العاص بن وائل السهمى ولما افتتحت
مصر أتى أهلها الى عمرو فقالوا له أيها الامير ان لنيلنا هذا سنة لا يجرى الا بها فقال لهم ماذاك
فقالوا له اذا كان اثنتا عشرة ليلة تخلو من بؤنة من أشهر العجم عمدنا الى جارية بكر بين أبويها
فأرضينا أبويها وحملنا عليها من الحلى والحلل أفضل ما يكون ثم ألقيناها فى النيل فقال لهم عمرو
ان هذا لا يكون فى الاسلام وان الاسلام يهدم ما قبله فأقاموا بؤنة وأبيب ومسرى وهى أسماء
ثلاثة أشهر للقبط لا يجرى النيل فيها الا قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء منها فلما رأى ذلك
عمرو بن العاص كتب بذلك الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب عمر بطاقة وكتب الى عمرو
انى بعثت اليك ببطاقة فألقها فى النيل فأخذ عمرو البطاقة فاذا فيها من عبد الله عمر أمير المؤمنين
الى نيل مصر أما بعد فان كنت انما تجرى من قبلك فلا تجر وان كان الله الواحد القهار هو الذى
يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك فألقى البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب بيوم
وقد تهيأ أهل مصر للجلاء فلما ألقى البطاقة فى النيل أصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله تعالى
ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة فقطع الله تعالى تلك السنة السوء من أهل مصر قال ابن جبير
ومدينة مصر كبيرة عامرة مختلفة الاسواق من المدن التى سارت بأوصافها الرفاق وهى
على شط النيل وعلى النيل فى مقابلتها قرية كبيرة الشان كثيرة البنيان تعرف بالجيزة وتعترض
بينهما جزيرة فيها مساكن حسان وعلالى مشرفة وهى مجتمع لهو أهل مصر ومنتزههم
وبينها وبين مصر خليج يذهب بطولها نحو الميل ولا مخرج له وبالجزيرة جامع يخطب فيه ويتصل
بهذا الجامع المقياس الذى يعتبر فيه قدر زيادة فيض النيل كل سنة وابتداؤه من شهر بؤنة
ومعظم انتهائه اغشت وآخرها أول شهر اكتوبر * والمقياس عمود رخام مثمن فى موضع *(ذكر المقياس)*
ينحصر فيه الماء عند انتهائه اليه وهو مفصل على اثنين وعشرين ذراعا وكل ذراع مفصلة
على أربعة وعشرين قسما متساوية تعرف بالاصابع فاذا استوى الماء تسع عشرة
ذراعا فى الفيض فهى الغاية عندهم فى طيب العام وربما كان الماء فيها كثير العموم الفيض
والمتوسط ما استوى سبع عشرة ذراعا وهو أحسن مما زاد عليه والذى يستحق به السلطان
خراجه ست عشرة ذراعا فصاعدا وعليها تعطى البشارة للذى يرقب الزيادة فى كل يوم ويعلم
بها مياومة وان قصر عن ست عشرة فلا يجبى لذلك السلطان فى ذلك العام ولا خراج الا ما يعول
عليه وبقرية الجيزة يوم الاحد سوق عظيمة يتحدث بها * وعلى نحو سبعة أميال فى الصحراء التى
يفضى منها الى الاسكندرية الاهرام القديمة المعجزة البناء الغريبة المنظر المربعة الشكل كأنها *(ذكر الاهرام)*
القباب المضروبة قد قامت فى جو السماء لاسيما الاثنان منها فى سعة الواحد منهما من ركنه الى
ركنه ثلثمائة خطوة وست وستون خطوة محددة الاطراف فى رأى العين وربما أمكن الصعود
اليها على خطر ومشقة فتلقى أطرافها المحددة كأوسع ما يكون من الرحاب قد أقيمت من الصخور
العظام المنحوتة وركبت تركيبا بديع الالصاق يكاد يعجز أهل الارض نقض بنيانها * وبمصر
أيضا المسجد المنسوب الى عمرو بن العاص وبها الجبانة المعروفة بالقرافة وهى من عجائب الدنيا
لما تحتوى عليه من مشاهد الانبياء وأهل البيت والصالحين والعلماء وذوى الكرامات من أهل
الزهد * وبها قبر آسية امرأة فرعون وبها مساجد معمورة بالليل والنهار يبيت بها الصالحون

*وبها

توقان السقيم الى الاساة والكريم الى المواساة فرفضت علائق الاستقامة ونفضت عوائق الاقامة واعروريت ظهر ابن النعامة وأجفلت نحوها اجفال النعامة فلما دخلتها بعد معاناة الاين ومداناة الحين كلفت بها كاف النشوان بالاصطباح والحيران بتنفس الصباح فبينما أنا يوما بها أطوف وتحتى فرس قطوف اذ رأيت على جرد من الخيل عصبة كمصابيح الليل فسألت لانتجاع النزهة عن العصبة والوجهة فقيل أما القوم فشهود وأما المقصد فاملاك مشهود فحدتنى ميعة النشاط على أن سرت مع الفراط لافوز بحلاوة اللقاط وأحوز حلواء السماط فأفضينا بعد مكابدة العناء الى دار رفيعة البناء

*وبها قبر الشافعى محمد بن ادريس الامام رضى الله عنه وهو من المشاهد العظيمة احتفالا واتساعا * والمشهد العظيم الشأن الذى بالقاهرة حيث رأس سيدنا الحسين بن على رضى الله عنهما هو فى تابوت من فضة مدفون قد بنى عليه بنيان يقصر الوصف عنه مجلل بأنواع الديباج محفوف بأمثال العمد الكبار شمعا بيضاء أكثرها موضوع فى أتوار الفضة وحف أعلاه كله بامثال التفافيح ذهبا فى مصنع شبه الروضة يبهر الابصار حسنا وجمالا وفيه من أنواع الرخام المجزع الغريب الصنعة البديع الترصيع مالا يتخيله المتخيلون والمدخل اليها على مسجد على مثالها فى التانق حيطانه كلها رخام وأغرب ما فيه حجر موضوع فى الجدار الذى يستقبله الداخل شديد السواد والبصيص يصف الاشخاص كلها كأنه المرآة الهندية ولتزاحم الناس على القبر وانكبابهم عليه وتمسحهم به وبالكسوة التى عليه مرأى هائل وأخبار مصر كثيرة فلنقتصر على هذه النبذة (الاساة) الاطباء (المواساة) أن يجعلك أسوة نفسه فى ماله فيقاسمك فيه (رفضت) تركت (علائق) أسباب تتعلق به فتحبسه (نفضت) أزلت واطرحت ونفضت ثوبى من الغبار أزلته عنه (عوائق) موانع وهى ما يصرف الانسان عن وجهه الذى يعرفيه ويريده (اعروريت) ركبته عريا (ابن النعامة) الطريق وقيل صدر القدم قال عنترة * وابن النعامة عند ذلك مركبى * وقيل ابن النعامة الساق وقيل عرق فى الرجل وقيل الفرس الفاره (أجفلت) أسرعت (النعامة) واحدة النعام (معاناة) مقاساة (الاين) الفتور من التعب (مداناة الحين) مقاربة الهلاك (كلفت بها) أى أحببتها وولعت بها (النشوان) السكران يريد أنه فرح فرح السكران اذا أصبح للشرب وهو الاصطباح والمهموم بالليل اذا طلع ضوء النهار انجلى همه فجعل بياض الفجر (تنفس) اى انتشر (٣) فى الظلام (قطوف) متقارب الخطو كانه يقطف خطوه اى يقطعه (جرد) ملس والاجرد القصير الشعر (عصبة) جماعة (مصابيح) سرج ويريد بها النجوم (قوله الوجهة كالجهة) وهو كل موضع استقبلته وقصدته وتوجهت اليه (املاك) نكاح وأملك الرجل املاكا تزوج وأملكه غيره زوجه وشهدنا املاكه اى عرسه * ابن عمر رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم من شهد املاك امرئ مسلم فكأنما صام يوما فى سبيل الله واليوم بسبعمائة (مشهود) اى محضور (حدتنى) ساقتنى (ميعة) حدة ونشاط والميعة أول الشباب وأول جرى الفرس وميعة كل شئ معظمه (والفراط) السباق المتقدمون الواحد فارط (اللقاط) ما يلتقط من العرس مما ينثر فيه للحاضرين من نحو الكعك والخبيص وما ينثر فيه يسمى نثارا وكان نثار العرب فى عرسهم التمر (أحوز) أحصل (السماط) السوق التى جوانبها صفان متقابلان والسماط أيضا ان يصطف العسكر صفين متقابلين والسماط فى الطعام أن تلصق مائدة باخرى ويجلس الناس عليها صفين متقابلين والسماط الصف منه ومنه سمط الجوهر ومنه الشعر المسمط وهو الذى أبياته مفصلة على أجزاء متقابلة وقد نبهنا عليه فى الحادية عشرة (مكابدة) مقاساة وهى من الكبد كان الكبد يتعب بها و (العناء) التعب (رفيعة البناء) قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد هوانا أنفق ماله فى البناء وقال النبى صلى الله عليه وسلم من بنى بناء فى غير ظلم ولا اعتداء أو غرس غرسا فى غير ظلم ولا اعتداء فان أجره جار ما انتفع به أحد من خلق الرحمن وقال بعض الحكماء

(٣) قوله فجعل بياض الفجر تنفس أى انتشر الخ كذا فى النسخ التى بايدينا ولعل فيها سقطا او تحريفا من النساخ ونعوذ بالله من سقم النسخ الناشئ من عدم الاعتناء بها ومقابلتها على أصلها الصحيح ولعل الاصل والله أعلم فجعل بياض الفجر تنفس الصباح اى انتشار ضوئه فى الظلام أو نحو ذلك تأمل والله ولى الهداية اهـ

مصححه

دهليزها مجللا باطمار مخرقة ومكللا بمخارف معلقة وهناك شخص على قطيفة فوق دكة لطيفة فرابني عنوان الصحيفة ومرآى هذه الطريقة ودعاني التطير بتلك المناحس الى أن عمدت لذلك الجالس فعزمت عليه بمصرف الاقدار ليعرفني من رب هذه الدار فقال ليس لها مالك معين ولا صاحب مبين انما هي مصطبة المقيفين والمدروزين ووليجة المشقشقين والجلوزين فقلت في نفسي انا لله على ضلة المسعى وامحال المرعى وهممت في الحال بالرجعى لكني استهجنت العود من فوري والقهقرة دون غيري فولجت الدار متجرعا الغصص كما يلج العصفور القفص فاذا فيها ارائك منقوشة وطنافس مفروشة ونمارق مصفوفة وسجوف مرصوفة وقد اقبل المملك يميس في بردته ويتبهنس بين حفدته فحين جلس

اذا أيسر الرجل ابتلى بثلاثة أشياء صديقه القديم يجفوه وامرأته يتزوج عليها وداره يهدمها ويبنيها وعلى قوله أما القوم فشهود جاء فيهم حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا الشهود فان الله عزوجل يستخرج بهم الحقوق ويدفع بهم الظلم (قوله وسيعة) أي واسعة و(الفناء) الساحة وهي ماحول الدار (الثراء) كثرة المال (السناء) الشرف والرفعة (صهوات) ظهور (دهليز) مدخل الدار الذي تسميه عامتنا الاسطوان والاسطوان عند العرب السواري واحدها اسطوانة وأنشد أبو موسى الجاحظ في نوادره وذكر الدهليز فقال

أويت في الدهليز مذ أربع * ولم أكن آوي الدهاليزا

خبزي من السوق وشعري لكم * تلك لعمري قسمة ضيزى

(مجللا) مغطى (أطمار) ثياب خلقة (مكللا) محلقا (مخارف) قفف أو تعاليق للغرباء يجعلون فيها ما يأخذونه من الصدقة والمخارف عند العرب جمع مخرف وهي قفيفة تشبه الزنبيل يخترف فيها الرطب اي يجتنى فيها (قطيفة) نوع من البسط (دكة) هي الدكان (رابني) شككني وخوفني (عنوان) دليل (الصحيفة) الكتاب أراد تطيرت بتلك المخارف وأراد انها دار خيبة وحرمان وكان ابن همام في هذه القصة طفيليا على ماوصف به نفسه من الرفاهية وربما تولع أهل الظرف والادب بمثل هذا فقد حكينا عن ابراهيم بن المهدي واسحق الموصلي مثل هذا في أخبار الطفيليين على منادمتهما الخلفاء وكثرة أموالهما (البدعة) ٣ الشيء المبدع الذي لم يفعل قبله مثله و(الطريقة) الغريبة المستظرفة (التطير) التشاؤم (المناحس) جمع منحوس وهو الذي لا يفارقه النحس وأراد به المخارف والاطمار التي قدم (مصرف الاقدار) هو الله تعالى (رب الدار) مالكها أو الناظر في اصلاحها ماذكره مما لا يفهم له معنى ٤ (المقيفين) المكدين وقيل المقيفون جمع مقيف وهو الذي يقفو آثار الناس اي يتبعهم يطلب لهم شيأ و يدعو لهم و(المدروزين) المكدين ودروزة كلمة أعجمية معناها الكدية و(المشقشق) الذي يحاكي أصوات الطيور فتجتمع اليه فيصطادها و(الجلوز) والجلواز الشرطي الذي يتصرف حول السلطان (قوله وليجة) اى مدخل والوليجة الموضع الذي يلج الانسان فيه اي يدخله أو كهف يستتر فيه (القهقرة) الرجوع الى خلف (ضلة) ضلالة (المسعى) المشي بعجلة أراد ان مشيه كان لغير فائدة (امحال) يبوسة وجفوف (فوري) حيني من قبل ان أسكن (الغصص) جمع غصة وهي ما يختنق بها وتجرعها صعب (ارائك) سرر مزينة (طنافس) بسط (ونمارق) مخاد (سجوف) ستور (مرصوفة) مضمومة ملتصقة وجعل البيت بهذه الامتعة الكثيرة لانه بيت عرس فهي تستعد له وان كان قد رأى في دهليزه مرقعات تدل على فقر فان الغرباء في البلاد يعلقون مرقعاتهم في دهليز الفندق و بيته في غاية الرفاهية والدار المذكورة انما كانت فندقا للفقراء الغرباء والمكدين والجالس في دهليزها خادم الفندق وحين ساله عنها أخبره انها ليس لها رب معين انما هي دار المكدين والمخارفين وقيل لاحد المكدين أتبيع مرقعتك فقال هل رأيت صائدا يبيع شبكته (المملك) العروس (يميس) يتبختر و(يتبهنس) مثله في المعنى (حفدته) خدمه واتباعه ويقال حفد العبد يحفد حفدا اذا خدم وفي الدعاء واليك نسعى ونحفد أي نخدمك ونعمل لك وقال الشاعر

(٣) قوله البدعة ليست في نسخة المتن كما ترى وكان في نسخته البدعة الطريقة اهـ

٤ قوله ماذكره مما لا يفهم له معنى هكذا في النسخ التي بايدينا وهي مع ما قبلها لا تلتئم ولا يفهم لها معنى ولعل هناك كلاما سقط من النساخ تلتئم معه هذه الجملة ونعوذ بالله من سقم النسخ اهـ مصححه

حفد

حفد الولائد بينهن وأسلمت * بأكفهن أزمة الاجمال

أبو عبيدة يقال حفد يحفد وأحفد يحفد وفسر طاوس قوله تعالى بنين وحفدة أى خدما فهو مطابق للغة وفسره ابن مسعود رضى الله عنه بالاختان وهو مطابق لما فى المقامة لان المكدين لاخدم لهم وقال الفراء رحمه الله الحفدة جمع حافد ككامل وكملة (ابن السماء) الجوهرى ماء السماء لقب عامر بن حارثة الازدى أبو عمرو مزيقياء الذى خرج من اليمن لما أحس بسيل العرم وسمى ماء السماء لانه كان اذا أجدب قومه مانهم أى كفاهم مؤنتهم حتى يأتيهم الخصب فكانه خلف من ماء السماء وقيل لولده بنو ماء السماء وهم ملوك الشأم والعرب تسمى أيضا بنى ماء السماء لانهم يعيشون بماء السماء قال الازهرى رحمه الله السماوة ماء بالبادية وكان اسم أم المنذر ماء السماء فسمته العرب ابن ماء السماء وهو المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى وأمه ماء السماء وهى امرأة من النمر بن قاسط سميت بذلك لجمالها ولما ملك كسرى الذى اسمه قباذ بن فيروز خرج فى أيامه رجل يقال له مردك فدعا الناس الى الزندقة واباحة الحرم وان لا يمنع أحد أخاه ما بيده فدعا قباذ المنذر ليدخل فى هذا المذهب فأنف وأبى المنذر هذا الفعل الخسيس فطرده قباذ من مملكته ونفاه عن الحيرة ودعا الحرث بن عمرو بن حجر آكل المرار فأجابه وكان الحرث شديد الملك فشدد له ملكه وكانت أم أنوشروان بين يدى قباذ يوما فدخل عليه مردك فلما رآها قال لقباذ ادفعها الى لاقضى حاجتى منها قال له قباذ دونكها فوثب اليه أنوشروان فلم يزل يسأله أن يهب له أمه حتى قبل رجليه فتركها له فلما هلك قباذ وتولى أنوشروان وجلس فى مجلسه أقبل المنذر اليه وأذن للناس فدخل عليه مردك ودخل عليه المنذر فقال أنوشروان كنت أتمنى أمنيتين أرجو ان يكون الله تعالى قد جمعهما لى فقال مردك وما هما أيها الملك قال تمنيت أن أملك فاستعمل هذا الرجل الشريف يعنى المنذر وأن أقتل هؤلاء الزنادقة فقال له مردك أو تستطيع أن تقتل الناس كلهم فقال انك لههنا يا ابن الزانية والله ما ذهب نتن ريح جوربك من أنفى مذ قبلت رجليك الى يومى هذا وأمر به فقتل وصلب وقتل فى ضحوة واحدة من الزنادقة مائة ألف وصلبهم وطلب الحرث فخرج هاربا بجميع ما معه وأخذ المنذر فى طلبهم فأخذ من بنى آكل المرار ثمانية وأربعين رجلا فضرب رقابهم وألح فى طلب امرئ القيس فلحق السموأل وتمام القصة فى الثالثة والعشرين (قوله الاحماء) أى الاختان (ساسان) شيخ المكدين قال الفنجديهى ساسان هو أستاذ المكدين ومقدمهم وواضع طرائقهم ومعلمهم قال أبو الفتح اسمعيل بن الفضل ابن الاخشيد السراج المكدى فى كتابه حدثنا أبو بكر البطاينى المكدى حدثنا محمد بن على بن أحمد الفقيه المكدى حدثنا مليك بن صالح المكدى قال سمعت طرارة المكدى قال قال ساسان ألا أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى قلت بلى قال هى الكدية وقوله (أستاذ الاستاذين) حدث أحمد بن الحسن قال كنت عند أبى الحسن بن أبى الفضل فدخل رجل فذكر انه شاعر فقال الشعراء ثلاثة شاعر وشعرور وشعرة فأما الشاعر فالمفلق والشعرور المستملح والشعرة المستثقل لرداءة شعره والاستادون ثلاثة أستاذ فى الدين كالعلماء والفضلاء وأستاذ فى الدنيا كالوزراء والعمال والولاة وأستاذ لا دين عنده يتعلم منه ولا دنيا ينتفع بها كالحجام يسمى أستاذا والبناء والملاح وبنو ساسان ملوك الفرس (قدوة) مقدم (الشحاذين) المكدين والشحاذ

(اخبار المنذر الملقب بماء السماء)

كانه ابن ماء السماء
نادى منادمن قبل الاحماء
وحرمة ساسان استاذ
الاستاذين وقدوة الشحاذين
لاعقدهذا العقد

الملح في المسئلة وشحذت السيف بالغت في صقالته (المبجل) المعظم يقال بجلته تبجيلا أي عظمته تعظيما ماخوذ من البجيل والبجال وهو الرجل الضخم وفي الحديث أصبتم خيرا بجيلا أي كثيرا ضخما (الاغر) المشهور لحسنه (المحجل) الابيض (شب) ترعرع ونشأ (الملوان والقتيان) الليل والنهار و (ثغامته) شعرته (نورها) بيضها والثغام نبت أبيض وهو ضرب من البهمى منابته الجبال اذا يبس ابيض بياضا شديدا * أبو حنيفة تنبت الثغامة خيوطا طوالا دقاقا من أصل واحد فاذا جفت ابيضت كلها واذا أمحل الثغام كان أشد بياضا ويشبه به الشيب قال المرار الفقعسي

أعلاقة أم الوليد بعدما * أفنان رأسك كالثغام المخلس

(وقال حسان رضي الله عنه)

أو ما ترى رأسي تغير لونه * شمطا فأصبح كالثغام المحل

والثغام مرعى وتعلفه الخيل قال بشر وذكر الخيل

فباتت ليلة وأديم يوم * على البهمى يجز لها الثغاما

(قوله زربيته) طنفسته والجمع الزرابي وقيل هي الوسائد وقيل الثياب الموشاة و (الضوضاء) الاصوات (ازدلف) قرب (مسنده) موضع اسناده (سبلته) لحيته وقيل شاربه وهذه الخطبة التي ذكر ليس فيها لفظ الا وهو يتضمن اشارة للكدية (قوله المبتدع) أي الفاعل له قبل أن يفعل (النوال) العطاء (المؤمل) المرجو (شرع) فرض و (نهر السؤال) من قوله تعالى وأما السائل فلا تنهر وقال ابن عمران

ان ابن آدم حين يلحف سائل * ينقد من حنق عليه فينهره
والله ان يقصده عبد ملحف * بسؤاله يدنيه منه ويشكره
فسل الاله ولذ به لا تنسه * فالله يذكر عبده اذ يذكره

وقال أيضا

سؤالنا دعاؤنا للجنه * لهم علينا بالقبول منه
من سال منهم ويك أعطينه * ولو بتمرة فواسينه
أو اجمل الرد لا تنهرنه ٣ * وان يكن يلحف فاعذرنه * وادع له الله وصبرنه

(قوله ندب) أي دعا وحرض (المضطر) الشديد الحاجة (القانع) المتذلل عند السؤال (والمعتر) المتعرض للمعروف (والمحروم) الذي لا يسأل أحدا شيأ وهو محتاج (طعمة هنية) الكدية لان فائدتها تحصل بلا تحمل تكلف ولا مشقة (دعوة بلا نية) قولك للسائل الله يعطيك وسع الله عليك ونحوه وأنشدوا فيهم

ورجال ونساء * وبنات وبنونا
واذا يدعى لهم بو * ما تراهم يغضبونا

وقال آخر

ألم ترني أبغضت ليلى وذكرها * كما أبغض المسكين دعوة سائله

لان السائل لا يطلب من المسؤل الدعاء انما يطلب ما يشبع الامعاء * ومما يستظرف من هذا ما حكى الاصمعي قال مر بي أعرابي سائلا فقلت له كيف حالك قال أسأل الناس الحافا فيعطوني كرها

المبجل في هذا اليوم الاغر المحجل الا الذي جال وجاب وشب في الكدية وشاب فأعجب رهط الصهر ما اشاروا اليه وأذنوا في احضار المنصوص عليه فبرز حينئذ شيخ قد أمال الملوان قامته ونور القتيان ثغامته فتباشرت الجماعة باقباله وتبادرت الى استقباله فلما جلس على زربيته وسكنت الضوضاء لهيبته ازدلف الى مسنده ومسح سبلته بيده ثم قال الحمد لله المبتدئ بالافضال المبتدع للنوال المتقرب اليه بالسؤال المؤمل لتحقيق الامال الذي شرع الزكاة في الاموال وزجر عن نهر السؤال وندب الى مواساة المضطر وامر باطعام القانع والمعتر ووصف عباده المقربين في كتابه المبين فقال وهو أصدق القائلين والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم احمده على ما رزق من طعمة هنية واعوذ به من استماع دعوة بلا نية

٣ قوله لا تنهرنه اي لا تزجرنه ويقرأ بحذف الف لا للضرورة الوزن اه مصححه

فلا

فلا يؤجرون على مايعطونى ولا يبارك لى فيما آخذ والعمر بين ذلك فان والاجل قريب والامل بعيد. * سأل اعرابى رجلا يكنى أبا عمرو عند داره فقال يرزقك الله فعاد اليه يوما آخر فقال بمثل ماقال أمس وتنحنح ففلتت منه ضرطة فقال الاعرابى

ان أبا عمرو لمكبوس الوسط * اذا سألناه تمطى وضرط * اعطاؤه يرزقك الله فقط

(قوله أشهد أن لا اله الا الله) أى أعلم وأبين ومنه شهد الله أى أعلم وبين أنه لا اله الا هو ومنه شهد الشاهد عند الحاكم أى بين له ماعنده وأعلمه الخبر (يمحق) يزيل ويستأصل (الربا) الحرام وأصله الزيادة (ويربى) يزيد ويكثر أى يضعفها له (ينسخ) يزيل (المسكين) الضعيف الذليل (وخفض جناحه) ألان جانبه فهو مثل للاشفاق والحنان وأصله أن الطائر انما يخفض جناحه على فراخه ويلحفها به شفقة عليها قال الله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة و (استكان) خضع وذل وهو استفعل من كان أصله استكون نقلت حركة الواو الى الكاف فانقلبت الفا لتحركها فى الحكم وانفتاح ماقبلها فهى فى الاصل كاستقام وبابه أو يكون افتعل من السكون لان الخاضع يقلل الكلام وأصله استكن فوصلت فتحة الكاف بألف كقوله

قلت وقد جرت على الكلكال * أراد الكلكل وقال تعالى فما استكانوا لربهم وما يتضرعون وأنشد أبو على * فما استكان لما لاقى ولا خضعا * (قوله المثرين) الاغنياء (الزلفة) القربة يتقرب بها الى الله تعالى (أصفيائه) أحبابه (الصفة) تشبه القبلة والصفة كالسقيفة وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الغرباء يظعنون اليه من الجهات وليس عندهم شئ فيسكنون سقائف المسجد فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرض الناس على الصدقة عليهم وكان يجلس لهم فيعلمهم القرآن وخصهم الحريرى بالذكر لان لهم حالة يشبهون بها المكدين من لباس الخلقان والعيش من صدقات الناس فهم يتأسون بأهل الصفة ويجعلونهم حجة على من زجرهم ومما يحسن أن ينشد فى هذا المعنى قول ابن عمران

السائلون عيال الله والمال * لله فابذله فيهم خاب من لؤما

نجد على ثقة بالله من خلف * ياويح من كان للرحمن متهما

واحذر من الرد ان الله يمقته * من غير عذر وشؤم الشح قد علما

(الشعوب) جمع شعب وهو أكبر من القبيلة (الدراج) كنى بذلك لكثرة حركته (ولاج) كثير الولوج على الناس للكدية (خراج) كثير الخروج فى طلب رزقه والولاج الخراج الذى يحسن الدخول فى أموره والخروج منها ويقال فلان ولاج خراج اذا كان متصرفا فى أموره نفاعا لاوليائه ضرارا لاعدائه (والافك) سوء الكذب (الصراح) الظاهر البين يريد أنه اذا وصف حالته فى كديته لا يتكلم الا بالكذب (الهرير) كثرة الصياح والشر وهرير الكلب صوته دون نباحه من قلة صبره على البرد (والابرام) الاثقال والاضجار يريد أنه يوالى الصياح على من يكديهم ويثقل عليهم بالعتب على ترك الصدقة حتى يفتدوا منه (والالحاح) المداومة والاكثار من السؤال * وقدم الحطيئة المدينة فى سنة مجدبة فمشى أشرافها بعضهم لبعض خوفا من لسانه وقالوا قدم علينا هذا الرجل وهو يأتى الشريف منا فان أعطاه جهد نفسه وان حرمه هجاه فجمعوا له بينهم أربعمائة دينار فأتوه فقالوا هذه صلة آل فلان وهذه صلة آل فلان

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له الها يجزى المتصدقين والمتصدقات ويمحق الربا ويربى الصدقات واشهد ان محمدا عبده الرحيم ورسوله الكريم ابتعثه لينسخ الظلمة بالضياء وينتصف للفقراء من الاغنياء فرفق صلى الله عليه وسلم بالمسكين وخفض جناحه للمستكين وفرض الحقوق فى اموال المثرين وبين مايجب للمقلين على المكثرين صلى الله عليه صلاة تحظيه بالزلفة وعلى اصفيائه اهل الصفة اما بعد فان الله تعالى شرع النكاح لتتعففوا وسن التناسل لكى تتضاعفوا فقال سبحانه لتعرفوا يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا وهذا أبو الدراج ولاج بن خراج ذو الوجه الوقاح والافك الصراح والهرير والصياح والابرام والالحاح

يخطب سليطة أهلها وشريطة بعلها قنبس بنت أبي العنبس لما بلغه من التحافها بالحافها واسرافها في اسفافها وانكماشها على معاشها وانتعاشها عند هراشها ١٠٠ وقد بذل لها من الصداق شلاقا وعكازا وصقاعا وكرازا فأنكحوه انكاح مثله وصلوا حبلكم بحبله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم وأسأله أن يكثر في المصاطب نسلكم ويحرس من المعاطب شملكم

(ذكر عهد الطفيليين)

فأخذها وظنوا أنهم قد كفوه المسئلة فاذا هو يوم الجمعة قد استقبل وهو يقول من يحملني على بغلين كفاه الله كية النار (السليطة) الحديدة اللسان وقد سلطت فهي سليطة (شريطة) موافقة (بعلها) أي زوجها أي جاءت على شرط زوجها فهي مثله في خصالها كلها (قنبس) اسمها وهو من القبس وهي الشعلة كأنها لحدتها شعلة نار تحرق ما مرت به (عنبس) من العبوس ونونه ونون قنبس زائدتان (التحافها) ارتدائها والتوائها فيه (الحافها) الحاحها في السؤال (اسفافها) تساقطها على ما تجمع من الناس والاسفاف التتبع لمداق الامور والاسفاف الدخول في الامر الدنيء وقد أسف تعرض للامر الدنيء (انكماشها) انحنازها واجتهادها (انتعاشها) قيامها وارتفاعها (هراشها) مشارتها القرابتها والمهارشة أصلها للكلاب وهي أن يترافع الكلبان ويتنابحا ويعض كل واحد صاحبه فجعل مدافعتها عند الشر لاقرانها ومضارتها كالهراش للكلاب ولا تكمل عندهم نجابتها حتى تفوق أقرانها في الشر والسب بالقبائح وضرب الكف على ذلك والا فهي ناقصة (بذل) أعطى (شلاقا) ثوب مرقع وليس بعربي وقيل هو شبه المخلاة وقيل هو خريطة تجعل فيها كسر الخبز (عكازا) عصا تقرع بها الابواب وتضرب بها الكلاب (صقاعا) خرقة بالية تجعلها على رأسها (كرازا) اناء تعلقه في ذراعها تجعل فيه الصدقة وقيل الكراز اناء لشرب الماء وتسميه عامتنا الكرازة فكان صداق هذه المرأة ثوبا مرقعا تلبسه للكدية وخرقة بالية لرأسها وعصا تقرع بها الابواب وأناء اما أن تجعل فيه ما يدق من الصدقة أو تجعل فيه ماء لشربها عند طوافها للكدية والكرز هو الخرج والكراز كبش يحمل عليه الراعي أداته (عيلة) فقرا (شملكم) عددكم (المعاطب) المهالك وخطأ أبو محمد في الدرة من يذهب من الخواص بالعيلة الى العيال وقال انما العيلة الفقر بدليل قوله تعالى وان خفتم عيلة وتصريف الفعل منه عال يعيل فهو عائل والجمع عالة وفي التنزيل العزيز ووجدك عائلا فاغنى وفي الحديث لأن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس وأما الذين يعالون فهم عيال واحدهم عيل كجيد وجياد وجمع عيال على عيائل كركاب وركائب وأعال فهو معيل كثر عياله وعالهم يعولهم وفي الحديث ابدأ بمن تعول ومن كلام العرب والله لقد علت حتى علت أي صنت عيالي حتى افتقرت وأما قوله تعالى ذلك أدنى أن لا تعولوا فمعناه أن لا تجوروا وقال بعض العرب لحاكم حكم عليه بما لم يوافقه والله لقد علت علي في الحكم أي جرت ومن فسر في الآية تعولوا بأن معناه تكثر عيالكم فقد وهم * واذ فرغنا من تفسير هذه الخطبة الهزلية وقد قدمنا ان ابن همام في هذه المقامة طفيلي فنذكر هنا العهد الذي كتب الصابي بأمر معز الدولة لمحمد بن فريعة الطفيلي ببغداد وقد استخلفه على التطفيل فان هذا العهد يوافق خطبة المقامة في كثير من اغراضها وذلك عهد عهده محمد بن عبد الرحمن الى الفضل بن النعمان حين استخلفه على سنته واستنابه على حياطة رسومه وسنته من التطفيل على أهل مدينة السلام وما يتصل بها من أرباضها وأكنافها وما يجري معها من سوادها وبياضها وأطرافها لما توسمه فيه

قوله ومن فسر في الآية الخ في الكشاف والذي يحكى عن الشافعي رحمه الله أنه فسر أن لا تعولوا أن لا تكثر عيالكم فوجهه أن يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولهم مانهم يمونهم اذا أنفق عليهم لان من كثر عياله لزمه أن يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب وكلام مثله من أعلام العلم وأئمة الشرع ورؤس المجتهدين حقيق بالحمل على الصحة والسداد وأن لا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت من في أخيك سوأ وأنت تجد لها في الخير محملا وكفى بكتابنا المترجم بكتاب شافي العي من كلام الشافعي شاهدا بأنه كان أعلى كعبا وأطول باعا في علم كلام العرب من أن يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقا وأساليب فسلك في تفسير هذه الكلمة طريقة من الكنايات اه نقله مصححه

من قلة الحياء وشدة اللقاء وكثرة اللقم وجودة الهضم وأمره أن يتوسم اسم التطفيل ومعناه ويعرف مغزاه ومنحاه ويتصفحه تصفح الباحث عن حظه بمجهوده غير القائل فيه بتسليمه وتقليده فان كثيرا من الناس قد نسب صاحبه للشره والنهم وحمله على الجشع والقرم فنهم من غلط فى استدلاله فأساء فى مقاله ومنهم من شح بماله فدفع عنه باحتياله وكلا الفريقين مذموم وجميعهما مليم ملوم لا يتعلقان بعذر واضح ولا يتعريان من لباس فاضح وقد عرفت يا أخى بالتطفيل ولا عار فيه عند ذوى التحصيل لان التطفيل مشتق من الطفل وهو وقت المساء وأوان العشاء فلما كثر استعمل فى صدر النهار وعجزه وأوله وآخره كما قيل القمران للشمس والقمر وكما قيل العمران لابى بكر وعمر وأمره أن يعتمد سوائد الكبراء والعظماء بعراياه ويبسط الامر بسراياه فانه يظفر من ارادته بالغنيمة الباردة ويصل بها الى الغريبة الشاردة فيجد بها من طرائف الالوان الملذذة للسان وبدائع الطعوم السائغة فى الحلقوم ما لا يجده عند غيرهم ولا يناله الا لديهم لحذق صناعتهم وجودة أدواتهم وخصب ناديهم وكثرة ذات أيديهم والله يوفر من ذلك حظنا ويسدد نحوه لحظنا ويوضح عليه دليلنا ويسهل اليه سبيلنا وأمره أن يجتلب التكرمة ممن يحصل منهم وده ويستدعى بالتلطف نائله ورفده وكثيرا ما يتفق ذلك للمداخلين ويتيسر للمتوصلين وأمره أن يصادق قهارمة الدور ومدبريها ويرافق وكلاء المطابخ ومدبريها فانهم يملكون من أصحابهم أزمة مطاعمهم ومشاربهم وأمره أن يتعهد أسواق المتسوقين ومواسم المتبايعين فاذا رأى وظيفة قد زيد فيها أو أطعمة قد احتشد منها اتبعها الى القصد بها وشيعها الى المنزل الحاوى لها واستعلم ميقات الدعوة ومن يحضرها من أهل اليسار والثروة وأمره أن يجتنب مجامع العوام المقلين ومحافل الرعاع المقترين وأن لا ينقل اليها قدما ولا يغفر لما كلها فا فانها عصابة تجتمع على مضض النفوس والاحوال وقلة الاحلام والاموال وفى التطفيل عليها اجحاف بها يؤلم وازراء بمروأة التطفيل يثلم وأمره أن يحوز الخوان اذا حصل والطعام اذا انقل حتى يعرف بالحدس والتخمين عدد الالوان فى الكثرة والقلة وافتنانها فى الطيب واللذة فيقدر لنفسه أن يشبع مع آخرها وينتهى عند انتهائها فلا يفوته نصيب من كثيرها وقليلها ولا يخطئه الحظ من دقيقها وجليلها ومتى أحس بقلة الطعام وعجره أمعن فى أوله امعان الكيس فى سعيه والرشيد فى أمره فانه اذا فعل ذلك سلم من عواقب الاغمار الذين يكفون طرفا ويقلون تأدبا ويظنون أن المائدة تبلغهم الى آخر حاجتهم وتنتهى بهم الى حد غايتهم فلا يلبثون أن يخجلوا خجلة الوامق الراغب وينقلبوا بحسرة الراهق الخائب وأمره أن يروض نفسه ويغالط حسه ويضرب عن كثير مما يلحقه صفحا ويطوى دونه كشحا ويستحسن الصمم عن الفحشاء ويغمض عن اللقمة الخشناء وان أتته الوكزة فى حلقه صبر عليها لاجل الوصول الى حقه وان وقعت الصفعة فى راسه عض عليها بمواقع أضراسه وان لقيه لاق بالجفاء قابله باللطف والصفاء اذا كان ولج الابواب وخالط الاصحاب وجلس مع الحضور واختلط بالجمهور فلا بد أن يلقاه المنكر لامره ويعير به المستغرب لوجهه فان كان حرا حسنا أمسك وتذمم وان كان فظا غليظا همهم وتكلم وان يستعمل مع المخاطب له الملاينة وأن يجتنب عند ذلك المخاشنة ليرد غيظه ويقل حده ويكف غربه

ويأمن سعيه وأمره أن يتعهد الجوارشات المعدّة للعدد والمقوّية للمعد المشهية للطعام المسهلة سبيل الانهضام وأن يكون فى اتخاذها كالكاتب الذى يخط أقلامه والفارس الذى يصقل حسامه وأمره اذا غشى أبواب الملوك أهل السلطان أن يصانع البواب والحجاب ويخدم القوّاد والكتّاب فاذا دخل السواد الاعظم توسط الجمع لا يتأخر ولا يتقدم بعد أن يجمل ثيابه ويحسن كلامه وجوابه فطعام الامراء تدعى اليه الحفلاء احتفالا ويتكفل بالوفود على العموم اكتفالا فهذا العهد مطابق لاحوال هذه المقامة * ومما يتصل بخطبة المقامة من الخطب الهزلية ماحدّثوا أن رجلا خطب الى قوم وجاء يخطب فاستفتح خطبة النكاح بحمد الله فأطال ثم ذكر خلق السموات والارض واقتصر ثم ذكر القرون حتى ضجر من حضر ثم التفت الى الخاطب فقال ما اسمك أعزك الله فقال والله قد نسيت اسمى من طول خطبتك وهى طالق ثلاثا ان تزوّجتها بهذه الخطبة فضحك القوم وعقدوا له فى مجلس آخر * أنكح خالد ابن صفوان عبده أمته فقال له العبد لو دعوت الناس فخطبت قال ادعهم أنت فدعاهم فلما اجتمعوا تكلم خالد فقال ان الله أعظم وأجل من أن يذكر فى نكاح هذين الكلبين وأنا أشهدكم أنى قد زوّجت هذه الزانية من هذا ابن الزانية * خطب مصعب بن حيان خطبة نكاح فحصر فقال لقنوا موتاكم لا اله الا الله فقالت له الجارية عجل الله موتك ألهذا دعوناك * خطب ثقيل فى تزويج فأطال فقام واحد من القوم وقال اذا فرغ الثقيل بارك الله لكم فان على شغلا أريد المبادرة فيه وخطب رجل امرأة فجعل يخطب وينعظ فضرب رأس ذكره بيده وقال مه الك يساق الحديث (قوله أبرم) أى أحكم وسدّد و(الختن) ولى الزوجة مثل الاب والاخ وابن العم فهم الاختان وكل شئ من قبل الزوج فهم الاحماء واحدهم حما مثل قفا وحمو مثل أبو وحمء مهموز والاصهار تجمعهما و(الخطبة) مراسلة المرأة للزواج و(النثار) ما نثر عليه من الدراهم وقد نثرت الشئ نثرا اذا رميت به متفرقا وأصحاب الزوج تدخلهم حمية عند ذلك فينثر كل واحد منهم من الدراهم ما أمكنه فيجمع ويشترى منها أنواع الاطعمة ولذلك قال (أغرى الشحيح بالايثار) أى حرضه على أن يتكرم و(استغرق) جاوز وحدّث ابن قتيبة عن أبى عثمان قال مررت بمحضر قد اجتمع فيه خلق كثيرون فسألت بعضهم ما جمعهم فقال هذا سيد الحى تزوج منا فتاة فتكلم الشيخ فقال الحمد لله وصلى الله على رسول الله اما بعد فان الله جعل المناكحة التى رضيها فعلا وأنزلها وحيا سبب المناسلة وان فلانا ذكر فلانة وبذل لها من الصداق كذا وقد زوجته اياها وأوصيته بوصية الله فيها ثم قال هاتوا نثاركم فقلبت على رؤسنا غرائر التمر (قوله ذلاذله) أى اطراف ثوبه والذلذل مايلى الارض من أسفل القميص (أراذله) جمع أرذل وهو الدنئ والرذل والمرذل والرذيل الدون و(العرجة) التعريج ويقال ماعليه عرجة ولا تعريج أى اقامة * وبهجة الشئ حسنه ونضارته و(عاج) مال و(السماط) كل مستو على نسق وصف الناس سماط وأراد به المائدة و(الطهاة) الطباخون من الناس (تناصفت) اعتدلت وأنصف كل جزء منها صاحبه والتناصف اعتدال الحسن (ربع) جلس يقال ربعت بالمكان أقمت به وربعت الحجر رفعته باليد لانظر شدتى وربع وقف وتحبس (ربضته) موضعه الذى يقعد فيه والربضة القطعة الغليظة من الثريد (يرتع) يأكل وفلان يرتع أى هو مخصب لا يعدم شيأ يريده (الروضة) موضع العشب وأراد بها ما بين

(ذكر خطب هزلية فى النكاح)

فلما فرغ الشيخ من خطبته وأبرم للختن عقد خطبته تساقط من النثار ما استغرق حدّ الاكثار وأغرى الشحيح بالايثار ثم نهض الشيخ يسحب ذلاذله ويقدم أراذله (قال الحرث بن همام) فتبعته لانظر عرجة القوم وأكمل بهجة اليوم فعاج بهم الى سماط زينته طهاته وتناصفت فى الحسن جهاته فحين ربع كل شخص فى ربضته وطفق يرتع فى روضته انسللت من الصف وفررت

أيديهم من الطعام (الزحف) الضرب والوثوب الى الشر وأراد انه لما جلس كل انسان أن يأكل خشى هوان جلس للأكل أن يغرم ويشتهر بأنه طفيلى فيحتاج أن يتدافع وان يتواثب مع صاحب الحانوت فى ثمن ما أكل ففر من ذلك والزحف مشى الاعمى (لفتة) نظرة بالتواء كأنه يلوى عنقه فينظر ولفت اليه لفتا والتفت صرف وجهه اليه و (هجم) دخل عليه بغتة (برم) بخيل وهو الذى لا يدخل مع القوم فيما دخلوا فيه من المغرم (والمعاشرة) ترك المخالفة فى الصحبة (طباقا) جمع طبق أى هى طبق فوق طبق يعنى السماء (وطبقها) ملأها وعمها يقال طبق الغيم تطبيقا اذا أصاب بمطره جميع الارض (اشراقا) نورا وضوأ (لماقا) الاصمعى رحمه الله هو ما يشرب فان أردت نفيه قلت ما ذقت لماقا وأنشد

كبرق لاح يعجب من رآه * ولا يشفى الحوائم من لماق

الحوائم العطاش وحكى يعقوب أن اللماق يصلح فى الاكل والشرب قال ابن كيسان هو الشئ اليسير من الطعام والشراب (لست رقاقا) أكلت خبزا مرققا واللوس تتبع بقية الشئ الحلو فى فالنا * ابن سيده لاس لوسا تتبع الحلاوة فأكلها وما ذاق لوسا ولا لواسا أى ذواقا ولا يلوس كذا أى لا يتناوله (أو تخبرنى) حتى تخبرنى (أين مدب صبالك) يريد أين ولدت فدببت صغيرا (مهب صبالك) مجىء ريحك وأراد أين بلدك (الصعداء) التنفس بتوجع وهى من فعل المهموم (استنزف الدمع) استفرغه بالبكاء حتى انقطع ونزف وأنزفه افناه بالبكاء (استنصت) أمرهم بالسكوت (مسقط الرأس) يريد الموضع الذى سقط فيه رأسه عند ما ولد (أموج) أتصرف وأتحرك والمائج المضطرب (يروج) يتعجل (وردها) ماؤها (السلسبيل) عين فى الجنة والسلسبيل الخمر (المروج) المواضع الخصبة (مغانيهم) منازلهم و (البروج) منازل القمر وأراد أنهم فى الحسن والرفعة كالنجوم وأن دورهم فى العلو والاستواء كالبروج وسبقه الحلوانى القيروانى الى هذا التشبيه فقال يتشوق الى القيروان بعد خرابها

ليت شعرى وليت حرف تمن * ربما علل الفؤاد السقيما
كيف يا قيروان حالك لما * نثر البين سلكك المنظوما
كنت أم البلاد شرقا وغربا * فمحا الدهر وشيك المرقوما
نحن أولادها ولكن عققنا * بعد ان لم نطق بها أن نقيما
دمن كانت البروج وكنا * أقمرا فى بنائها ونجوما

وقال السرى يتشوق الى الموصل وكان بحلب

أمحل صبوتنا دعاء مشوق * يرتاح منك الى الهوى الموموق
فتى أزور قباب مشرفة الذرا * فادور بين النسر والعيوق
فأرى الصوامع فى غوارب أكمها * مثل الهوادج فى غوارب نوق
محمرة الجدران ينفح طيبها * فكأنها مبنية بخلوق
حمر تلوح خلالها بيض كما * فصلت بالكافور بين عقيق
كلف تذكر قبل ناهية النهى * ظلمين ظل هوى وظل حديق
فتفرقت عبراته فى خده * اذ لا مجير له من التفريق

من الزحف فانت من الشيخ لفتة الى ونظرة هجم بها طرفه على فقال الى أين يا برم هلا عاشرت معاشرة من فيه كرم فقلت والذى خلقها طباقا وطبقها اشراقا لا ذقت لماقا ولا لست رقاقا أو تخبرني أين مدب صبالك ومن أين مهب صبالك فتنفس الصعداء مرارا وأرسل البكاء مدرارا حتى اذا استنزف الدمع استنصت الجمع وقال لى أرعنى السمع

مسقط الرأس سروج
وبها كنت أموج
بلدة يوجد فيها
كل شئ ويروج
وردها من سلسبيل
وصحاريها مروج
وبنوها ومغانيهم * نجوم وبروج

وقال الثعالبى مانظرت الى الصوامع مذبرزت من نيسابور الاذكرت بيته فارى الصوامع
واستأنفت العجب من حسن هذا التشبيه و براعته (قوله نفحة رياها) أى حركة رائحتها الطيبة
(مرآها البهيج) منظرها الحسن (وأزاهير رباها) أنوار كداها وهى جمع أزهار وأزهار جمع زهر
وهو النور (تنجاب) تزول * ثم قال سروج هى الموضع الذى أرست به جنة الدنيا أى ثبتت فيه
فكأنه قال جنة الدنيا هى سروج وسروج هذه بلد بقرى وعمارات وهى من بلاد الجزيرة وكورها
المشهورة والجزيرة انقسمت قسمين ديار ربيعة وديار مضر وسروج من كور ديار مضر وهى ثغرية
اذا كان للسلمين قوة يملكونها واذا ضعفوا غلبهم الروم عليها وهى كثيرة الثلج والبرد (قوله ينزاح)
يبعد (النشيج) البكاء (والزفرة) تنفس المهموم (زحزحنى) نحانى (تهمى) تسيل (شجو)
حزن (قر) سكن (يهيج) يتحرك (خطبها) أمرها (مريج) مختلط (مساع) مواضع تصرفه
ويكون المسعى مصدرا بمعنى السعى (قاصرات) اى قصيرة وكذا استعمالها الان فعلها اقصر واسم
فاعلها فعيل مثل ظرف فهو ظريف (الخطو) جمع خطوة (عوج) معوجة (يومى حم) أى يوم
موتى قدر أراد ليت انى مت ولا أرى خروجى منها * أنس رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه
وسلم لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فان كان لا بد فاعلا فليقل اللهم أحينى ما كانت الحياة
خيرا لى وتوفنى اذا كانت الوفاة خيرا لى * جابر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال
لا تمنوا الموت فان هول المطلع شديد وان من السعادة أن يطول عمر العبد وان يرزقه الله الانابة
وفى معنى وصفه سروج و بكائه عليها قال الحضرمى الاعمى يتشوق الى القيروان

أيا سقى الله ارض القيروان حيا * كأنه عبراتى المستهلات
كأنها لذة الجنات تربتها * مسكية وحصاها جوهريات
أرض أريضة أقطار مباركة * لله فيها براهين وآيات

وحدثنى الفقيه أبو عبد الله بن زرقون فى بستانه بطريانة أيام قراءتى عليه النوادر والكامل
وكان رحمه الله ذاكرا بالطريقة الادبية مع تميزه بالطريقة الفقهية فدارت بينى و بينه فى أحدى
العشيات أنواع من المذاكرات فى فنون ادبيات فاهتز رحمه الله وهش وأظهر السرور بى
وأنا يومئذ غلام ما بقل عذارى فقال لقد علمت أن بينى و بينك أخوة قلت وكيف ذاك يا سيدى
فقال انى ولدت ببلدك شريش فزدت بالحديث غبطة واستزدت منه فقال لى ومع ذلك فثم قصة
مستظرفة اعلم انى كنت اجتزت بشريش قافلا من العدوة مع الفقيه أبى بكر عبد الله بن العربى
رحمه الله فلما صرنا فى بطاحها وبين كرماتها وجنانها أخذ الفقيه أبو بكر يثنى عليها بكل لسان على
كثرة ما رأى من البلدان و يقول ان الاشياء التى جمعت فيها لا تكاد تجتمع فى بلدة من كثرة
الزرع والضرع والزيت والعصير والملح وغير ذلك فقلت له أعلمت أنى ولدت بها فقال لى أبو بكر
أتقول أنت الآن

*مسقط الرأس شريش * فقلت له مجيزا * وبها كنت أعيش *
فقال أبو بكر * بلدة يوجد فيها * فقلت * كل شئ و يريش *
فقال أبو بكر * وردها من سلسبيل * فقلت * وصحاريها عريش *

ثم سرنا فى طريقنا على قوافى السروجية فرددناها شريشية وقطعنا بها الطريق ونحن لا نشعر

حبذا نفحة رياها * ومرآها البهيج
وأزاهير رباها * حين تنجاب الثلوج
من رآها قال مرسى * جنة الدنيا سروج
ولمن ينزاح عنها * زفرات ونشيج
مثل مالاقيت مذ زحـ * زحنى عنها العلوج
عبرة تهمى وشجو * كلما قر يهيج
وهموم كل يوم * خطبها خطب مريج
ومساع فى الترجى * قاصرات الخطو عوج
ليت يومى حم لما * حم لى منها الخروج

قال فلما أبن بلده ووعيت ما أنشده أيقنت أنه علامتنا أبو زيد وان كان الهرم قد أوثقه بقيد فبادرت الى مصافحته واغتنمت مؤاكلته من صحفته وظلت مدة مقامى بمصر أعشو الى شواظه وأختشو صدفتى من درر ألفاظه الى أن نعب بيننا غراب البين ففارقته مفارقة الجفن للعين

فكانت أسر عشية رأيت بمجالسة مثل هذا الفاضل وسنه قد نيف على الثمانين بسنتين يحدثنى عن ابن العربى وابن عبدون الكاتب ونظرائهم فى رياض كلها نزهة على نهر اشبيلية وهى امامنا على بهجتها وجمالها مادحا لى ولبلدى ليدخل على بذلك مسرة نسأل الله تعالى أن يبلغه غاية السرور فى دار البقاء (قوله وعيت) أى حفظت (علامتنا) عالمنا المشهور بالعلم (أوثقه) ربطه وشده وقد تقدم هذا القبيل من الهرم فى اخبار واشعار حسان (مصافحته) معانقته ووضع كفى على كفه * ابن عمر رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرئ يصافح أخاه ليس فى صدر واحد منهما على أخيه احنة لم تتفرق أيديهما حتى يغفر الله عز وجل ما مضى من ذنوبهما الاحنة الحقد (اغتنمت) حسبتها غنيمة (مؤاكلته) الاكل معه * ابن عمر رضى الله عنهما طعام السخى دواء وطعام الشحيح داء (ظلت) أى دمت قال الله تعالى الذى ظلت عليه عاكفا أى دمت عليه مقيما قال سيبويه رحمه الله أصله ظللت الليث يقال ظل نهاره صائما ولا تقول العرب ظل الا لكل عمل بالنهار كما لا تقول بات الا للعمل بالليل (أعشو) أنظر ببصر ضعيف (شواظه) ناره والشواظ لهب النار الذى لا دخان فيه (صدفتى) أذنى (نعب) صاح (البين) الفراق والغراب اذا صاح عندهم تشاءموا به وقد تقدم ذلك (مفارقة الجفن للعين) أى مسرعا بقدر ماتفتح عينك

(المقامة الحادية والثلاثون الرملية)

(شرح المقامة الحادية والثلاثين وهى الرملية)

(حكى الحرث بن همام) قال كنت فى عنفوان الشباب وريعان العيش اللباب أقلى الاكتنان بالغاب وأهوى الاندلاق من القراب لعلمى أن السفر ينفج السفر وينتج الظفر ومعاقرة الوطن تعقر الفطن وتحقر من قطن

(عنفوان وريعان) معناهما أول و (اللباب) الخالص (أقلى) أبغض (الاكتنان) الاستتار والاقامة فى الكن و (الغاب) الشجر الملتف وهو بيت الاسد وأراد به بلدته وانه كان يكره الاقامة بها ويحب السفر (أهوى) احب (الاندلاق) الخروج بسرعة وسهولة و (القراب) وعاء يجعل فيه السيف وهو غمده (السفر) جمع سفرة وهى التى يجعل فيها الخبز ويضم عليها بحلق وتستعمل فى السفر (ينفج) يكثر أى تكثر المأكولات فى السفر فتنفج به (ينتج) يولد (الظفر) الفوز بالحاجة (معاقرة الوطن) ملازمة بلد الانسان (تعقر الفطن) تميت القلوب وتبلد الاذهان (قطن) سكن وأقام فيريد أن الاقامة فى بلد الانسان تحقر شأنه وتبلد خاطره قال الشاعر

أنفق من الصبر الجميل فانه * لم يخش فقرا منفق من صبره
والمرء ليس ببالغ فى أرضه * كالصقر ليس بصائد فى وكره

وأنشد الفنجديهى

نقل ركابك فى الفلا * ودع العوالى والقصور
فمحالفوا أوطانهم * أشباه سكان القبور
لولا التغرب ما ارتقى * در البحور الى النحور

وقالوا من لم يصاحب البر والفاجر ولم يؤدبه الرخاء مرة والشدة أخرى ولم يخرج من الظل الى الشمس فلا ترجه وتقدم مثل هذا فى التاسعة وقال أبو العباس الاعمى

ملت حمص وملتنى فلو نطقت * كما نطقت تلاحينا على قدر
وسولت لى نفسى أن أفارقها * والماء فى المزن أصفى منه فى الغدر

أما اشتفت مني الايام في وطني * حتى تضايق بي ماعز من وطري
ولاقضت من سواد العين حاجتها * حتى تكرّ على ما كان في السفر

(وقال البحتري)

وليس اغترابي من سجستان انني * عدمت بها الاخوان والدار والاهلا
ولكنني مالي بها من مشاكل * وان الغريب الفرد من يعدم الشكلا

(ولابي الفتح البستي عفا الله عنه)

ما أنصفت بغداد حين توحشت * لنزيلها وهي المحل الآنس
لم يرع لي حق القرابة مجستر * فيها ولا حق المروأة فارس

وتعقب عليه المعري في هذا فقال في أبي القاسم علي بن الحسن التنوخي القاضي

ذم الوليد ولم أذمم جواركم * فقال ما أنصفت بغداد حيثنا
فان لقيت وليدا والنوى قذف * يوم القيامة لم أعدمه تبكيتا
أحسنت ماشئت في تأنيس مغترب * ولو بلغت المدى أحسنت ماشيتا

(وقال أبو الفتح البستي)

وما غربة الانسان في شقة النوى * ولكنها والله في عدم الشكل
واني غريب بين بست وأهلها * وان كان فيها أسرتي وبها أهلي

(ولابي بكر بن تقي)

أقمت فيكم على الاقتار والعدم * لو كنت حرا أبيّ النفس لم أقم
فلا حديقتكم يجنى لها ثمر * ولا سماؤكم تنهل بالديم
أنا امرؤ ان نبت بي أرض أندلس * جئت العراق فقامت لي على قدم
ما العيش بالعلم الا حالة ضعفت * وحرفة وكلت بالقعدد الهرم

(وللفقيه ابي محمد بن حزم)

ولي حول اكناف العراق صبابة * ولا غرو أن يستوحش الكلف الصب
فان ينزل الرحمن رحلي بينهم * فحينئذ يبدو التأسف والكرب
هنالك يدري أن للبعد قصة * وان كساد العلم آفته القرب

فاجلت قداح الاستشارة واقتدحت زناد الاستخارة ثم استجشت جاشا أنبت من الحارة وأصعدت الى ساحل الشام للتجارة فلما خيمت بالرملة وألقيت بها عصا الرحلة صادفت بها ركابا تعد للسرى ورحالا تشد الى أم القرى

(قوله أجلت) أي صرفت (قداح) سهام (الاستشارة) مشاورة غيره في رأيه واجالة القداح تأتي في الثالثة والاربعين واستعارها هنا لمن يستشيره في أمر السفر قداحا فان وافق رأيه فكأنه خرج له على السهم افعل وان خالفه فكأنه خرج عليه لا تفعل (اقتدحت) ضربت (زناد) ما يكون فيه النار (الاستخارة) طلب الخيرة من الله تعالى (استجشت) حركت (جأشا) نفسا وهي في سكونها عن السفر كالحجر فلا تحرك للسفر (اصعدت) طلعت (خيمت) أقمت (الرملة) بلدة بالشام سمتها العرب بالرملة لما غلب عليها الرمل وهي من كورة فلسطين بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلا وكانت لد مدينة فلسطين القديمة فلما ولي الخلافة سليمان بن عبد الملك ابتنى مدينة الرملة وخرب لد ونقل أهل لد اليها فصارت الرملة مدينة فلسطين (ألقيت) تركت (الرحلة) الارتحال وكنى بالقاء العصا عن الاقامة بعد أن تهيأ (أم القرى) مكة وكأنو ينا

(ذكر مكة شرفها الله تعالى)

ترك ذكر مكة لشهرتها ثم وجدنا شيخنا ابن جبير قد ذكر فيها أشياء قل من يضبطها فأثبتناها اعلاما لمن أحب استطلاعها وتبركا بذكر البيت الشريف أعزه الله تعالى * قال شيخنا مكة بلدة قد وضعها الله تعالى بين جبال محدقة بها اذ هي فى بطن واد مدينة كبيرة مستطيلة لها ثلاثة أبواب باب المعلا يخرج منه الى الجبانة بالموضع الذى يعرف بالحجون عن يسار المار اليها جبل فى أعلاه ثنية عليها علم يشبه البرج يخرج منها الى العمرة وتعرف الثنية بكداء وهى التى جعلها حسان موعد خيل الاسلام فى قوله * تثير النقع موعدها كداء * ومنها دخلت مكة يوم الفتح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخلوها من حيث قال حسان والحجون هو الذى قال فيه الحرث ابن مضاض

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وعن يسار المار اليها جبل وفى جبانة الحجون مدفن جماعة من الصحابة دثرت اليوم قبورهم وفيها بقية علم الظاهر وهو موضع خشبة عبد الله بن الزبير كان فى موضعه بناء مرتفع فهدمه أهل الطائف غيرة منهم على لعنة الحجاج صاحبهم وعن يمينك اذا استقبلت الجبانة مسجد فى مسيل بين جبلين وهو الذى بايعت الجن فيه النبى صلى الله عليه وسلم وعلى باب الحجون طريق الطائف والعراق والصعود الى عرفات والباب بين الشرق والشمال مائلا الى الشرق الباب الثانى باب السفلى الى جهة الجنوب عليه طريق اليمن ومنه دخل خالد بن الوليد يوم الفتح الباب الثالث باب العمرة يعرف بالباب الزاهر عليه طريق المدينة والشأم وجدة وهو غربى ومنه يخرج الى التنعيم وهو على فرسخ من مكة وهو أقرب ميقات للمعتمرين وطريقه حسن فيه الآثار العذبة المسماة بالشبيكة وعلى ميل من مكة فى طريق التنعيم يلفى مسجد بازائه حجر كالمصطبة يعلوه حجر آخر مسند فيه نقش دائر يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم قعد عليه مستريحا عند مجيئه من العمرة يمسح الناس خدودهم به تبركا وبعده بغلوة على يسار الطريق قبر أبى لهب وامرأته قد علاهما جبلان عظيمان من الصخر لرجم الناس على قديم الدهر وعلى قدر ميل يلفى الزاهر وهو مبنى على جانبى الطريق يحتوى على دار وبساتين لاحد المكيين وفيه مكان مستطيل عليه كيزان الماء ومراكن مملوأة وهى القصارى للشرب والطهور وفيه منفعة كبيرة للمعتمرين وعلى جانبى الطريق فى الزاهر أربعة أجبال جبلان من هنا وجبلان من هنا يذكر أنها التى جعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام اجزاء الطير عليها ثم دعاها عند قوله رب أرنى كيف تحيى الموتى وعند اجازتك بالزاهر تمر بالوادى المعروف بذى طوى كان ابن عمر رضى الله عنهما يغتسل فيه عند دخوله مكة وفيه نزل النبى عليه الصلاة والسلام عند دخوله وفيه مسجد ابراهيم عليه الصلاة والسلام وفيه آبار تعرف بالشبيكة ثم تخرج من الوادى الى أعلام وهى أحجار موضوعة بين الحل والحرم كالابراج المصفوفة فداخلها الى جهة مكة حرم والابراج واخذة من أعلى جبل يعترض عن يمين الطريق الى العمرة وينشق الطريق الى جبل عن يساره وهما ميقات المعتمرين وخارجها بنحو غلوتين مسجد عائشة رضى الله عنها * ومن جبال مكة جبل أبى قبيس وهو على الحرم فى الجهة الشرقية يقابل الحجر الاسود فى أعلاه مسجد عليه سطح يشرف على مكة ويظهر حسنها وحسن الحرم واتساعه وجمال الكعبة وهو مستودع الحجر الاسود زمن الطوفان حتى أداه الى ابراهيم

عليه الصلاة والسلام وفيه قبر آدم عليه السلام وهو أحد أخشبي مكة والاخشب الثاني المتصل بقعيقعان في الجهة الغربية وفيه موقف النبي صلى الله عليه وسلم عند انشقاق القمر * ومن جبالها حراء على مقدار فرسخ ومشرف على منى وهو مرتفع في الهواء كان متعبد النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي اهتز تحته فقال اسكن حراء فما عليك الا نبي وصديق وشهيدان لعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما وفيه نزلت أول آية من القرآن وهو آخذ من الغرب الى الشمال وعلى طرفه الشمالي جبانة الحجون المتقدمة * ومن جبالها جبل ثور وهو في الجهة اليمانية على فرسخ أو أزيد وفيه الغار الذي أوى اليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى مقربة من الغار قبة جبريل وهي عمود منقطع من الجبال قد قام شبه الذراع المرتفعة مقدار نصف القامة وانبسط من أعلاه شبه السكف كأنه قبة مبسوطة يستظل تحتها نحو العشرين رجلا ومن مكة الى منى نحو خمسة أميال * ومنى مدينة عظيمة الآثار واسعة الاختطاط وقد خربت اليوم الا منازل يسيرة محدثة للنزول كان الطريق اليها الميدان اتساعا وانفساحا وأول ما يلقى المتوجه اليها بقربها مسجد البيعة التي عقدها العباس للنبي صلى الله عليه وسلم على الانصار ثم يفضي بها الى جمرة العقبة وهي أول منى وعليها مسجد وبها علم منصوب شبه أعلام الحرم المذكورة يجعله الرامي عن يمينه مستقبلا مكة ويرمي بها سبع حصيات يوم النحر اثر طلوع الشمس ثم ينحر أو يذبح ويحلق أو يقصر ومنى كلها منحر ويحل له كل الاشياء الا النساء وبعدها الجمرة الوسطى وبها أيضا علم وبين الجمرتين قدر غلوة وبعدها بمقدار غلوة الجمرة الاولى التي ترمى وقت الزوال ثاني يوم النحر بسبع حصيات وفي الوسطى بسبع وفي جمرة العقبة بسبع فتلك احدى وعشرون حصاة ويفعل ذلك في ثالث يوم النحر فتلك اثنتان وأربعون حصاة وسبع تقدمت يوم النحر فتكمل تسع وأربعون حصاة وفي اثر ذلك ينفض الحاج الى مكة وعند الجمرة الاولى يلقى مجرى الذبيح عليه السلام وفي موضع المجرى حجر ملصق بجدار فيه أثر قدم صغيرة يقال انها أثر قدمه عند تحركه لان له الحجر اشفاقا فيقبله الناس ويلمسونه تبركا به * ومسجد الخيف آخر منى وهو متسع الساحة كأكبر ما يكون من الجوامع وصومعته في رحبة المسجد وله في القبلة أربع بلاطات وهو مسجد مشهور البركة ومن منى الى المزدلفة نحو خمسة أميال والمزدلفة تسمى المشعر الحرام وجمعا فلها ثلاثة أسماء ووادي محسر حد بين المزدلفة ومنى والمزدلفة بسيط من الارض فسيح حولها صهاريج للماء وفي وسط البسيط حلق في وسطها قبة في أعلاها مسجد يصعد اليه على أدراج من جهتين يزدحم الناس عليه للصلاة فيه عند مبيتهم بها وبين المزدلفة وعرفات أزيد من خمسة أميال وعرفات بسيط من الارض مد البصر لو حشر الخلائق فيه لوسعهم تحدق به جبال كثيرة وفي آخر البسيط جبل الرحمة وهو موقف الناس والعلمان قبله فما امامهما الى عرفات حل وما دونهما حرم وجبل الرحمة منقطع عن الجبال قائم في البسيط فهو كله حجارة وكان صعب المرتقى فأحدثوا فيه من أربع جهاته أدراجا وطيئة يصعد فيها بالدواب الموقرة وفي أعلاه قبة تنسب لام سلمة رضي الله عنها وفي وسطها مسجد يحدق به سطح فسيح الساحة جميل المنظر يزدحم الناس عليه للصلاة فيه فيشرف منه على بسيط عرفات وفي أسفله عن يسار القبلة دار عتيقة البنيان فيها غرف لها طيقان تنسب الى آدم عليه الصلاة والسلام وعن يسارها مسجد صغير وبمقربة

من

من العلمين مسجد ابراهيم عليه الصلاة والسلام بقى منه الجدار القبلى يخطب فيه الخطيب يوم
الوقفة ثم يجمع بين الظهر والعصر ثم يقف الناس بعد جمعهم الظهر والعصر باكين داعين
متضرعين حتى يغيب قرص الشمس ثم يدفع الامام المالكى بالناس بالنفر دفعا ترتج منه الجبال
فيصلون بمزدلفة المغرب والعشاء الآخرة فيبيتون بها والدنيا كلها شموع مسرجة فاذا صلوا الصبح
غدوة النحر وقفوا داعين ومزدلفة كلها موقف الا وادى محسر فان فيه تقع الهرولة الى منى فاذا
بلغوا منى رموا بها جمرة العقبة ثم ينفر الناس الى البيت المكرم الى طواف الافاضة وهو كمال الحج
*وأما البيت المكرم فهو قريب من التربيع له أربعة أركان ركن ينظر الى الشرق وفيه الحجر
الاسود ومنه ابتداء الطواف يبعد الطائف عنه قليلا والبيت عن يساره ثم يلقى بعد ذلك فى
طوافه الركن العراقى وهو ناظر الى الشمال ثم الركن الشامى وهو ناظر الى المغرب ثم الركن
اليمانى وهو ناظر الى الجنوب ثم يعود الى ركن الحجر الاسود وذلك شوط واحد وباب البيت فى
الصفح الذى بين ركن الحجر والركن العراقى وهو قريب من الحجر بعشرة أشبار وما بين الحجر
والباب يسمى الملتزم وهو موضع استجابة الدعاء ويرتفع الباب من الارض أحد عشر شبرا ونصفا
والباب من فضة مذهب بديع الصنعة يستوقف الابصار حسنا وعضادتاه كذلك وعتبته العليا
كذلك وعلى رأسها لوح ذهب خالص ابريز فى سعة نحو شبرين وله نقارتا فضة كبيرتان يتعلق
عليهما قفل الباب والباب ناظر الى الشرق وسعته ثمانية أشبار وطوله ثلاثة عشر شبرا وغلظ
الحائط الذى ينطوى عليه الباب خمسة أشبار وداخل البيت مفروش بالرخام المجزع وحيطانه
كلها رخام مجزع قد قام على ثلاثة أعمدة من الساج مفرطة الطول بين كل عمود وعمود أربع
خطا ودائر البيت كله من نصفه الاعلى مطلى بالفضة المذهبة يخيل اليك أنها صفيحة ذهب
لغلظها بالجوانب الاربع وللبيت خمسة مضا وعليها زجاج عراقى بديع النقش أدرجت فى وسط
السقف ومع كل ركن مضو أو يلقى الداخل من الباب عن يساره ركن الحجر الاسود وباب الرحمة
هو الذى يصعد عليه الى السطح والمقام حجر مغشى بالفضة ارتفاعه ثلاثة أشبار وسعته شبران
اعلاه أوسع من اسفله وآثار القدمين والاصابع فيه صب لنا فيه ماء زمزم فشربناه منه ومن الباب
الى الركن العراقى حوض طوله اثنا عشر شبرا وعرضه خمسة أشبار وارتفاعه شبر هو علامة
موضع المقام وهو مصب ماء البيت وموضع المقام الذى يصلى فيه ما بين الباب والركن العراقى
وموضع المقام قبة حديد موضوعة الى جانب قبة زمزم ترفع فى أشهر الحج وتزال قبة الخشب
لانها أجل لازدحام الناس ومن ركن الحجر الى الركن العراقى أربعة وخمسون شبرا ومن الحجر
الاسود الى الارض ستة أشبار فالطويل يتطامن لتقبيله والقصير يتطاول له وموضع الطواف
مفروش بحجارة مبسوطة كأنها الرخام سود وحمر وبيض تتسع عن البيت مقدار تسع خطا
وسائر الحرم مفروش برمل أبيض وطواف النساء فى آخر الحجارة المفروشة والحجر ستة أذرع وهو
الذى تركته قريش من البيت وعليه جدار دوره تسع وعشرون خطوة وهى أربعة وسبعون
شبرا من داخل الدويرة ودور جداره كله مجزع بديع الالصاق من الرخام وهو مفروش بالرخام
المجزع البديع التفاريع والتقاطيع فمرآه عجيب والحرم له ثلثمائة سوار من الرخام وذرع الحرم
فى الطول أربعمائة ذراع وفى العرض ثلثمائة ذراع فتكسيره ثمانية وأربعون مرجعا وله تسع

فعصفت بى ريح الغرام واهتاج لى شوق الى البيت الحرام فزممت ناقتى ونبذت علقى وعلاقتى وقلت للائمى أقصر فانى

سأختار المقام على المقام
وأنفق ما جمعت بأرض جمع
وأسلو بالحطيم عن الحطام

ثم انتظمت مع رفقة كنجوم الليل لهم فى السير جرية السيل والى الخير جرى الخيل فلم نزل بين ادلاج وتأويب وايجاف وتقريب الى أن حبتنا أيدى المطايا بالتحفة فى ايصالنا الى الجحفة فحللناها متاهبين للاحرام متباشرين بادراك المرام فلم يك الا أن أنخنا بها الركائب وحططنا الحقائب حتى طلع علينا من بين الهضاب شخص ضاحى الاهاب وهو ينادى ياأهل ذا النادى هلم الى ماينجى يوم التنادى فانخرط اليه الحجيج وانصلتوا واحتفوا به وأنصتوا فلما رأى تأثفهم حوله واستطعامهم قوله تسنم احدى الآكام ثم تنحنح مستفتحا للكلام وقال يامعشر الحجاج الناسلين من الفجاج أتعقلون ماتواجهون والى من تتوجهون أم تدرون على من تقدمون وعلام تقدمون أتخالون أن الحج هو اختيار الرواحل وقطع المراحل واتخاذ المحامل وايقار الزوامل أم تظنون أن النسك هو نضو الأردان وانضاء الابدان ومفارقة الولدان والتنائى عن البلدان كلا والله بل هو اجتناب الخطية قبل اجتلاب المطية واخلاص النية فى قصد تلك البنية وامحاض الطاعة عند وجدان الاستطاعة واصلاح المعاملات امام اعمال اليعملات استعمال

صوامع وتسعة عشر بابا أكثرها مفتح على الابواب منها باب الصفا وهو مفتح على خمسة أبواب وهو أكبرها وعليه يخرج الى السعى بين الصفا والمروة وللصفا أربع عشرة درجة وللمروة خمسة ومابين الصفا والمروة ميل وهو اليوم سوق جميل يجمع الفواكه بمكة وحوانيت الباعة يمين وشمال فلا يكاد الساعون يخلصون للسعى لكثرة الزحام وقبة بئر زمزم تقابل الحجر الاسود ومنها اليه أربع وعشرون خطوة وداخلها مفروش بالرخام الابيض وتنور البئر فى وسطها من رخام دوره أربعون شبرا وارتفاعه أربعة أشبار ونصف وغلظه شبر وعمقه احدى عشرة قامة وعمق الماء سبع وباب القبة ناظر الى الشرق ثم ذكر فى البيت ومايتصل به من البئر من ذلك غرائب من صنع الرخام والنقوش وغير ذلك أشياء لايسع كتابنا ذكرها فلنقتصر على هذا القدر (قوله عصفت) تحركت واشتدت (الغرام) الشوق (اهتاج) تحرك (زممت) شددت زمامها (نبذت) رميت (علقى) مايتعلق به ويمسكه عن ارادته (علاقتى) مايتعلق بقلبى (أقصر) كف (المقام) مقام ابراهيم عليه السلام (المقام) الاقامة و(جمع) اسم المزدلفة سميت بذلك لاجتماع الناس فيها (الحطيم) حجر بمكة (الحطام) كسب الدنيا (انتظمت) ارتفقت (كنجوم الليل) أى هم اشراف وأهل أحساب (جرية) انصباب (الادلاج) سير الليل (تأويب) سير النهار (ايجاف) اسراع (تقريب) جرى متقارب (حبتنا) أوصلتنا واعطتنا (التحفة) الهدية (ايصالنا) توصلنا (الجحفة) ميقات أهل الشأم ومصر والمغرب وبينها وبين البحر ثمانية أميال (حللناها) نزلنا فيها (الاحرام) الدخول فى الحرم (متباشرين) يبشر بعضنا بعضا (بادراك المرام) بلوغ الحاجة (أنخنا الركائب) بركنا الابل بالارض (حططنا الحقائب) أنزلنا الاحمال عن ظهورها (الهضاب) الكدى واحدتها هضبة (ضاحى الاهاب) بارز الجلد أى ثوبه خلق لايستره (النادى) المنزل (هلم) أى أقبلوا (يوم التنادى) أى يوم البعث لاجتماع الناس فيه أولانه ينادى للحساب (انخرط) اندفع بسرعة (الحجيج) اسم لجماعة الحجاج (انصلتوا) خرجوا اليه مسرعين (احتفوا) استداروا (وانصتوا) سكتوا (تأثفهم) اجتماعهم وثبوتهم حتى صار واله كالاثافى للقدر (استطعامهم قوله) استدعاءهم كلامه (تسنم) ارتفع عليها واصل تسنم ركب البعير و(الآكام) الكدى (الناسلين) المسرعين (الفجاج) الطرق و(تعقلون) تفهمون (تواجهون) تستقبلون بوجوهكم يريد البيت (الى من تتوجهون) تقصدون (الرواحل) الابل (المراحل) المواضع يرحل اليها وينزل فيها (المحامل) آلات من خشب يركب عليها واحدها محمل يقال ان الحجاج أول من أحدثها ولذلك قال الشاعر

أول عبد صنع المحاملا * أخزاه ربى عاجلا وآجلا

(قوله الزوامل) جمع زاملة وهى البعير وغيره من الدواب يحمل عليها الطعام * وايقارها رفع الاوقار عليها وهى الاحمال والوقر الحمل (النسك) التعبد (نضو الاردان) تجريد المخيط من الثياب (التنائى) التباعد (اجتناب) بعد واجتنبته بعدت عنه وتركته (الخطية) الذنب يريد ان أول مايجب على الحجاج أن يقدموا التوبة و(البنية) هى الكعبة (امحاض) اخلاص (وجدان) اصابة (الاستطاعة) القدرة على الشىء وهى شرط وجوب الحج (المعاملات) الافعال التى يتعامل بها الناس بينهم من المبايعات وغيرها وأراد اصلاح فعل العبد بينه وبين ربه (اعمال اليعملات)

الذنوب ولاتعدل تعرية الاجرام بتعبية الاجرام ولا تغنى لبسة الاحرام عن المتلبس بالحرام ولا ينفع الاضطباع بالازار مع الاضطلاع بالأوزار ولا يجدى التقرب بالحلق مع التقلب فى ظلم الخلق ولا يرحض التنسك فى التقصير درن التمسك بالتقصير ولا يسعد بعرفة غير أهل المعرفة ولا يزكو بالخيف من يرغب فى الحيف ولا يشهد المقام الامن استقام ولا يحظى بقبول الحجة من زاغ عن المحجة فرحم الله أمرأ صفا قبل مسعاه الى الصفا وورد شريعة الرضا قبل شروعه على الاضا ونزع عن تلبيسه قبل نزع ملبوسه وفاض بعروفه قبل الافاضة من تعريفه ثم رفع عقيرته بصوت أسمع الصم وكاد يزعزع الجبال الشم وأنشد

ماالحج سيرك تأويبا وادلاجا ولا اعتيامك أجمالا وأحداجا
الحج أن تقصد البيت الحرام على تجريدك الحج لاتقضى به حاجا
وتمتطى كاهل الانصاف متخذا ردع الهوى هاديا والحق منهاجا
وأن تواسى ماأوتيت مقدرة من مدّ كفا الى جدواك محتاجا

استعمال الابل للمشى والبعملة الناقة تعمل كثيرا فى المشى (شرع) فرض (المناسك) مواضع الذبح والنحر و (الناسك) الذى يأتى بنسك وهو مايذبح أو ينحر فى الحرم (أرشد السالك) على الطريق للمشى فيها (الحالك) الشديد السواد (الذنوب) الدلو (الانغماس) الغطس يريد أن التطهر لايزيل الذنوب وما أحسن قول الحلوانى فى غلام وسيم أراد النهوض للحج

ياطالب الحج وهو ذو صغر * عجلت فاستأنه الى الكبر
ان كنت تبغى مثوبة فعسى * تحمل لى قبلة الى الحجر
وان رميت الجمار فارم بها * كل فؤاد عليك لم يطر
فقال دعنى وزمزما فعسى * أغسل عن وجنتى دم البشر

(قوله تعدل) أى تقاوم وتساوى (الاجرام) الاجسام واحدها جرم (تعبية الاجرام) يحمل أعباء الذنوب (لبسة) هيئة اللباس (التلبس) التعلق والاختلاط (الاضطباع) الاشتمال والالتحاف واضطبع الرجل بثوبه اذا أدخله تحت عضده الايمن وألقاه على منكبه الايسر و (الاضطلاع) القيام بها و (الاوزار) أثقال الذنوب (يجدى) ينفع (يرحض) يغسل (التقصير) الاخذ من الشعر (درن) وسخ (التمسك) التعلق (التقصير) التضييع وترك الاجتهاد (عرفة) يوم من أيام الحج سميت بذلك لان آدم عليه السلام لما أهبط من الجنة نزل بالهند وحوّاء بجدة فالتقيا بعرفة فسمى موضع التقائهما و يوم التقائهما عرفة وقيل هى من العرف وهو الصبر ورجل عارف أى صابر فسمى الموضع عرفة لصبر الناس على القيام به للدعاء وقيل هى من العرف وهو الريح الطيبة لانها طيبة بنسبتها الى منى لما بمنى من أقذار الفروث والدماء لان بمنى ينحر الهدى (يزكو) يكون ناميا والزكاء النماء والصلاح و (الخيف) موضع بمكة سمى بالخيف وهو ماارتفع من الارض عن موضع السيل وانحدر عن غلظ الجبل و (الحيف) الظلم (يحظى) يسعد ويظفر (زاغ) مال وخرج (المحجة) الطريق المستقيم (صفا) خلص قلبه (مسعاه) سعيه وجريه (الصفا) صخرة بمكة (ورد) دخل (شريعة الرضا) طريقة الخير والشريعة فى النهر والغدير الطريق يهبط عليه الى الماء وبه سميت شريعة الدين لانه طريق موصل الى الله تعالى فورد الشريعة دخل فيها ووصل الى الماء وشرعت الدواب فى الماء دخلت فيه (الاضا) الغدران (نزع) زال وكف (تلبيسه) تخليطه و (الافاضة) آخر الطواف (تعريفه) وقوفه بعرفة (عقيرته) كناية عن صوته (يزعزع) يحرك (الشم) المرتفعة (اعتيامك) اختيارك (أحداجا) جمع حدج وهو ما يجعل على ظهر البعير يركب عليه (حاجا) جمع حاجة (تمتطى) تركب (كاهل) مقدم الظهر (ردع) كف وورد (هاديا) دليلا (منهاجا) طريقا (تواسى) تعطى (جدواك) عطيتك (حوتها) جمعتها (اخداجا) نقصانا (المرائين) المظهرين الخير وهم على خلافه و (حسب) بمعنى يكفى (كذا) عجلة وشدة (الازعاج) ضد السكون والقرار وأزعجته لم تدعه يستقر (حرزا) تحصيل وأحرزه جعله تحت حرز (ألجوه) أمكنوه من لجه (العرض) مايسب من الرجل أو يمدح (هاجى) شاتم وساب * ومما قيل فى الرياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء وقال صلى الله عليه وسلم لارياء ولاسمعة من يسمع يسمع الله به وقال صلى الله عليه وسلم من أسر سريرة ألبسه الله رداءها ان خيرا فخير وان شرا

فهذه ان حوتها حجة كملت * وان خلا الحج منها كان اخداجا
حسب المرائين غبنا أنهم غرسوا * وما جنوا ولقوا كدّا وازعاجا
وأنهم حرموا احرزا ومحمدة * وألجوا عرضهم من عاب أوهاجا

قوله حرزا كذا فى نسخ الشرح ونسخ المتن أجرا اه مصححه

فشر وقال من أصلح سريرته أصلح الله علانيته وقال الشاعر

وإذا أظهرت شيأ حسنا * فليكن أحسن منه ما تسر
فمسر الخير موسوم به * ومسر الشر موسوم بشر

(وقال يحيى بن اكثم)

يقول لى القاضى معاذ مشاورا * وولى امرا أفيما يرى من ذوى الفضل
بعيشك ماذا تحسب المرء فاعلا * فقلت وماذا يفعل الذئب فى النحل
يدق خلاياها و يأكل شهدها * و يترك للزبال ما كان من فضل

وأنشد الفرزدق

رئيس السوق محمود السجايا * يقصر عن مدائحه البليغ
نسميه بيحيى وهو ميت * كما أن السليم هو اللديغ
يعاف الوردان ظمئت حشاه * وفى مال اليتيم له ولوغ

*(وللابيض فى الفقهاء المرائين)

أهل الرياء لبستم ناموسكم * كالذئب يدلج فى الظلام العاتم
فملكتم الدنيا بمذهب مالك * وقسمتم الاموال بابن القاسم
وركبتم شهب البغال بأشهب * و باصبغ صبغت لكم فى العالم

وله فى نحوه ايضا

قل للامام سنا الائمة مالك * نور العيون ونزهة الاسماع
لله درك من همام ماجد * قد كنت راعينا فنعم الراعى
فمضيت محمود النقيبة طاهرا * وتركتنا قنصا لشر سباع
أكلوا بك الدنيا وأنت بمعزل * طاوى الحشى متكفت الاضلاع
نشكوك دنيا لم تزل بك برة * ماذا رفعت بها من الاوضاع

وفى الاسرائيليات جاءت عصفورة فوقفت على فخ فقالت له مالى أراك منحنيا قال لكثرة صلاتى انحنيت قالت فمالى أراك بادية عظامك قال لكثرة صيامى بدت عظامى قالت فما هذا الصوف عليك قال لزهادتى لبست الصوف قالت فما هذه الحبة فى يدك قال قربان ان مر بى مسكين ناولته اياها قالت فانى مسكينة قال خذيها فقبضت على الحبة فاذا الفخ فى عنقها فصاحت قعى قعى تفسيره لاغرنى مراء بعدك أبدا قال الشاعر

نعوذ بالله من أناس * تشيخوا قبل أن يشيخوا
تقوسوا وانحنوا رياء * فاحذرهم انهم فخوخ

*وكان صائد يصيد العصافير فى يوم بارد فكان يذبحها والدموع تسيل فقال عصفور لصاحبه لا بأس عليك من الرجل أما تراه يبكى فقال له الآخر لا تنظر دموعه وانظر ما تصنع يداه *ورأى بعضهم ثم هتك الله ستره فقال

بينا أنا فى توبتى مقبلا * قد شبهونى بابن دواد
وقد حلت العلم مستظهرا * وجدتوا عنى باسناد

اذخطر الشيطان بى خطرة * نكست منها فى أبى جاد

ابن دواد عابد بمكة *صلى رجل مراءفقيل له ما أحسن صلاتك قال ومع ذلك فانى صائم *وقال طاهر بن الحسين لابى عبد الله المروزى كم لك منذ نزلت العراق قال منذ عشرين سنة وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة قال يا أبا عبد الله سألناك عن مسئلة فأجبتنا عن مسئلتين *وأمر عمر لرجل بكيس فقال آخذ الخيط فقال عمر ضع الكيس *وكتب رجل عند الحسين كتابا فقال أتجعلنى فى حل من تراب الحائط فقال يا أخى بل ورعك لا يتكسر وأخبارهم كثيرة (قوله ابغ) أى اطلب (القرب) أفعال البر التى تقرب من الله تعالى واحدها قربة (ولا جاوخر اجا) أى كيف تصرف فيها (داجى) ساتر العداوة ونافق (الحسنى) اسم للفعل الحسن وتكون الحسنى مؤنثة الاحسن فتلزمها اللام كالكبرى والاكبر وبابه وتكون الحسنى كالبشرى والرجعى (ينهنه) يزجر ويكف (فاجا) جاء بغتة ولبعضهم

وهل نحن الا مرامى السهام * ويحفزها نابل دائب

طرائد تطلبنا النائبات * ولابد أن يدرك الطالب

حبائل للدهر مبثوثة * يردّ الى جذبها الهارب

وقال آخر فى معناه

تحاربنا جنود لا تجارى * ولا تلقى بآساد الحروب

تفوّق اسهما عن ظهر غيب * وما اغراضها غير القلوب

فأنى باحتراس من جنود * مؤيدة تمد من الغيوب

وقال ابن جبلة

وأرى الليالى ما طوت من شرتى * زادته فى عظتى وفى افهامى

وعلمت ان المرء من سنن الردى * حيث الرمية من سهام الرامى

(قوله اقن) أى اكتسب والتزم (خلقا) طبيعة *وقال صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله وقالت الحكماء كل ذى نعمة محسود عليها الا المتواضع وقال عبد الملك أفضل الرجال من تواضع عن رفعة وعفا عن قدرة وأنصف عن قوة *وقال رجل لبكر بن عبد الله علمنى التواضع فقال له اذا رأيت من هو اكبر منك فقل سبقنى الى الاسلام والعمل الصالح فهو خير منى واذا رأيت من هو أصغر منك فقل سبقته الى الذنوب فهو خير منى وقال أبو العتاهية

يا من تشرّف بالدنيا ولذتها * ليس التشرّف رفع الطين بالطين

اذا رأيت شريف القوم كلهم * فانظر الى ملك فى زى مسكين

(وقال أبو الفتح البستى)

من شاء عيشا رغيدا يستفيد به * فى دينه ثم فى دنياه اقبالا

فلينظرنّ الى من فوقه أدبا * ولينظرن الى من دونه مالا

(قوله لا تشم) أى لا تنظر (خال) سحاب (لاح بارقه) ظهر برقه (تراءى) تظاهر (هتون) كثير الماء (السكب) الصب (ثجاجا) صبابا ثج الماء يثج ثجا وثججته أنا (يصاخ) يسمع (أصم) كسب الصمم و(النعى) الخبر بالموت (ناجى) حدث (اللبيب) العاقل (بلغة) قوت يوم (تدرّج) تطوى

أخى فابغ بما تبديه من قرب
وجه المهيمن ولا جاوخر اجا
فليس تخفى على الرحمن خافية
ان أخلص العبد فى الطاعات
أو داجا
وبادر الموت بالحسنى تقدمها
فما ينهنه داعى الموت ان فاجا
واقن التواضع خلقا لا تزايله
عنك الليالى ولو البستك التاجا
ولا تشم كل خال لاح بارقه
ولو تراءى هتون السكب ثجاجا
ما كل داع بأهل أن يصاخ له
كم قد أصم نعى بعض من ناجا
وما اللبيب سوى من بات
مقتنعا
ببلغة تدرج الايام ادراجا

(كثر) كثرة (قل) قلة (مغبته) عاقبته وآخره (ناز) مرتفع ونزا الفحل ينزو نزوا قفز على الانثى (لين) فتور (هاج) اضطرب ويروى وكل نازالى لين وهو الصحيح أخذه من المثل فلان ينزو و يلين يقول لاتنخدع بما يكون له ظهور فى ملبسه وهيئته فقد يخيب ظنك وتقل فائدته أو يكون مضرا لانفاعا كما قد ينادى بك فتظن النداء لمنفعة فاذا سمعته فاجأتك بمصيبة وأخذ لفظ كم قد أصم بنعى من قول أبى تمام

أصم بك الناعى وان كان اسمعا * فاصبح مغنى الجود بعدك بلقعا

والسابق الى هذا المعنى جزو بن ضرار أخو الشماخ بقوله

أتانى فلم أسرر به حين جاءنى * حديث باعلى القبتين عجيب

تصاممته حتى أتانى بقينة * وأفرغ منه مخطئ ومصيب

وقال المتنبى طوى الجزيرة حتى جاءنى خبر * فزعت منه بآمالى الى الكذب

حتى اذا لم يدع لى صدقه خبرا * شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بى

أشار بعد ذلك بالبيتين الى القناعة وأن كثير الدنيا مصيره الى قليل وقد تقدمت أمثال هذا

(وقال أبو تمام)

ياقليل البقاء فى هذه الدا * ر الى كم يغرك التسويف

عجبا لامرئ يذل لذى الما * ل ويكفيه كل يوم رغيف

ولابن عمران عجبا للذ يبغى الغنى والفقر فى * نيل الغنى لو صحت الالباب

فيما يبلغنى المحل كفاية * والفضل فيه تكاثر وحساب

(قوله فلما ألقم عقم الافهام) أى جعل العقيم منها حاملا بالعلم والفهم (استروحت) شممت فوجدت رائحته (ماد) مال (الارتياح) الطرب (مكثت) أقمت (استوعب) استوفى (نث) نشر (اكمته) كديته (دلفت) أسرعت (أتصفح) أنظر (صفحات محياه) جهات وجهه (أستشف) أبالغ النظر فيها (جوهر حلاه) خلقة صفاته (الضالة) التلفة (أنشدها) أطلبها (القلائد) جمع قلادة وهى ما يجعل فى العنق من سلوك الجوهر وغيرها ومنه تقليد البدن بمكة وتقلدت بالسيف جعلته فى عنقى وقلدتك الامر جعلته فى عنقك وناظم القلائد جاعلها فى خيطها و يعنى بالقلائد مانثر من وعظه وأنشده من شعره وصدق لعمرى ان كلامه المنظوم والمنثور أبهى من القلائد فى أعناق الخرائد وقوله (عناق اللام للالف) أما بخط المغرب فلا معانقة بينهما الا فى الطرفين وربما وقعت فى بعض هذا الخط كالصليب وفى بعضه لا التقاء بينهما البتة وانما يريد صورة لام ألف بالخط الكوفى وهما بذلك الخط متعانقان متلازمان من الاعلى الى الاسفل وأخذ اللفظ من قول بكر بن خارجة

يامن اذا قرأ الانجيل ظل له * قلب الحنيف عن الاسلام منصرفا

رأيت شخصك فى نومى يعانقنى * كما تعانق لام الكاتب الالفا

ونذكر هنا ما يستحسن فى العناق قال البحترى

تلك نعم لو أنعمت بوصال * لشكرنا فى الوصل انعام نعم

تسبيت موقف الجار وشخصا * نا كشخص أرمى الجار وترمى

فكل كثر الى قل مغبته
وكل ناز الى لين وان هاجا
(قال الراوى) فلما ألقم
عقم الافهام بسحر الكلام
استروحت ريح أبى زيد
ومادبى الارتياح اليه أى
ميد فمكثت حتى استوعب
نث حكمته وانحدر من
اكمته ثم دلفت اليه لاتصفح
صفحات محياه وأستشف
جوهر حلاه فاذا هو الضالة
التى أنشدها وناظم القلائد
اللاتى أنشدها فعانقته
عناق اللام للالف

وقال

وقال أيضا ولم أنس ليلتنا فى العنا * ق لف الصبا بقضيب قضيبا
كما مرت الريح فى سيرها * فطورا خفوقا وطورا هبوبا
وقال ابن المعتز كأنما عانقت ريحانة * تنفست فى ليلها البارد
فلو ترانا فى قميص الدجى * حسبتنا من جسد واحد
(وقال على بن الجهم)
سقى الله ليلا ضمنا بعد هجعة * وأدنى فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعا لو تراق زجاجة * من الماء فيما بيننا لم تسرب
وقال ابن عبدوس الفاسى سرت يوما الى ابن الجهم فأنشدنى البيتين فى العناق فاقتدح زندى لايراد مثله فقلت
لا والمنازل من نجد وليلتنا * بعيد اذ جسد انا بيننا جسد
كم رام فينا الكرى مع لطف مسلكه * نوما فما انفك لا اخذ ولا عضد
ما أنصفونى دعونى فاستجبت لهم * حتى اذا قربونى منهم بعدوا
أخذ هذا البيت من قول الآخر
أشكو الذين اذاقونى مودتهم * حتى اذا أيقظونى للهوى رقدوا
(وقال أبو نواس)
لبسنا رداء الليل والليل راضع * الى أن تردى رأسه بمشيب
وبتنا كغصنى بانة عصفتهما * مع الصبح ريحا شمأل وجنوب
الى ان بدا ضوء الصباح كأنه * مبادي نصول فى عذار خضيب
فيا ليل قد فارقت غير مذمم * ويا صبح قد أصبحت غير حبيب
(قال صالح بن موسى)
لى سيد ما مثله سيد * تصدت الحمى له فاشتكى
عانقته عند موافاتها * والافق بالليل قد احلولكا
فجاءت الحمى لعاداتها * فلم تجد ما بيننا مسلكا
ولابن الرومى طالما التفت الى الصبح لنا ساق بساق
فى نقاب من وداد * ولثام من عناق
وقال أيضا أعانقها والنفس بعد مشوقة * اليها وهل بعد العناق تدان
والثم فاها كى تموت حرارتى * فيشتد ما القى من الهيجان
كأن فؤادى ليس يشفى غليله * سوى أن يرى الروحان يمتزجان
وقال ابن المعتز يارب فتيان صحبتهم * لا يرفعون لسلوة قلبا
لو تستطيع قلوبهم نفذت * اجسامهم فتعانقت حبا
(وقال ابن رشيق)
ومهفهف يحميه عن نظر الورى * غيران سكنى الموت تحت قبابه
فلثمت خدا منه ضرم لوعتى * وجعلت أطفئ حرها برضابه

وضممته للصدر حتى استوهبت * منى ثيابى بعض طيب ثيابه
فكأن قلبى من وراء ضلوعه * طربا بخبر قلبه عما به

(وقال ابن لبال)

ما كنت أحسب قبل رؤية وجهه * أن البدور تدور فى الاغصان
غازلته حتى بدالى ثغره * فحسبته درّا على مرجان
كم ليلة عانقته فكأنما * عانقت من عطفيه غصن البان
يطغى و يلعب عند عقد سواعدى * كالمهر يلعب عند ثنى عنان

وقال آخر

مشتاقة طرقت فى الليل مشتاقا * أهلا بمن لم تخن عهدا وميثاقا
يازائرا زار من قرب على بعد * آنست مستوحشا الاذقت مااذاقا
ياليل عرج على الفين قد جعلا * عقد السواعد للاعناق أطواقا

ونزلته منزلة البر عند الدنف وسألته أن يلازمنى فابى أو يزاملنى فنبا وقال آليت فى حجتى هذه أن لا أحتقب ولا أعتقب ولا أكتسب ولا أنتسب

(وقال ابن الرقاق)

ومرتجة الاعطاف أما قوامها * فلدن وأما ردفها فرداح
سريت فبات الليل من قصر بها * يطير وما غير السرور جناح
و بت وقد زارت بأنعم ليلة * يعانقنى حتى الصباح صباح
على عاتقى من ساعديها حمائل * وفى خصرها من ساعدىّ وشاح

ونظير هذا قول ابن برهون الغرناطى

لله درليال ما أحيسنها * وما أحيسن منها ليلة الاحد
لو كنت حاضرنا فيها وقد غفلت * عين الرقيب فلم تنظر الى أحد
أبصرت شمس الضحى فى ساعدى قمر * ريم موسدة فى ساعدى أسد

(وقال ابن قاضى ميله)

حيث التقى أسد العرين وظبية * تحت اللحاف وصارم وسوار
قالت أرى بينى و بينك ثالثا * ولقد عهدتك للدخيل تغار
أأمنت نشر حديثنا فأجبتها * هذا الذى تطوى له الاسرار

أخذ هذا من قول امرئ القيس

تجافى عن المأثور بينى وبينها * وتدنى علىّ السابرىّ المضلعا

يعنى بالمأثور السيف (قوله الدنف) المريض (يزاملنى) يرادفنى والزميل الرديف (نبا) ارتفع وامتنع (أحتقب) أركب موضع الحقيبة وهى ما يعلق خلف الراكب فيريد أنه حلف أن لا يكون رديفا و يريد بأحتقب أتخذ حقيبة للزاد يريد أنه لا يحمل زادا اتكالا على ما عند الله تعالى (أعتقب) أركب عقبة يعنى نوبة وهما يعتقبان و يتعاقبان اذا ركب أحدهما جاء الآخر فكان مكانه والاعتقاب ركوب واحد ونزول آخر ولحاتم فى المعنى

وما أنا بالساعى بفضل زمامها * لتشرب ماء الحوض قبل الركائب
وما أنا بالطاوى حقيبة رحلها * لابعثها خفا وأترك صاحبى
اذا كنت ربا للقلوص فلا تدع * رفيقك يمشى خلفها غير راكب

ولا أرتفق ولا أرافق ولا أوافق من ينافق ثم ذهب يهرول وغادرني أولول فلم أزل اقريه نظري وأودلو عشي على ناظري

حتى توقل أحد الاطواد
ووقف للحجيج بالمرصاد فلما
شاهد ايضاع الركبان
فى الكثبان وقع بالبنان
على البنان واندفع ينشد
ليس من زار راكبا
مثل ساع على القدم
لاولاخادم اطا
ع كعاص من الخدم
كيف يا قوم يستوي
سعي بان ومن هدم
سيقيم المفرطو
ن غدا مأتم الندم
و يقول الذى تقر
رب طوبى لمن خدم
ويك يا نفس قدمى
صالحا عند ذى القدم
وازدرى زخرف الحيا
ة فوجدانه عدم
واذكرى مصرع الحما
م اذا خطبه صدم
واندبى فعلك القبيـ
ح وسحى له بدم
وادبغية بتوبة
قبل ان يحلم الادم
فعسى الله ان يقيـ
لك السعير الذى احتدم
يوم لاعثرة تقا
ل ولا ينفع السدم
ثم انه اغمد عضب لسانه
وانطلق لشانه فمازلت فى
كل مورد نرده ومعرس
نتوسده اتفقده فافقده
واستنجد بمن ينشده فلا
يجده حتى خلت ان الجن اختطفته او الارض اقتطفته فما كابدت فى الغربة كهذه الكربة ولا منيت فى سفرة بمثلها من زفرة

أنخها فأردفه فان حملتكما * فذاك وان كان العقاب فعاقب

(أرتفق) أستعين (أرافق) أطلب رفيقا (يهرول) يسرع المشى (غادرنى) تركنى (أولول) أصيح ياويلى (أقريه) أتبعه (توقل) صعد (الاطواد) الجبال (بالمرصاد) بمضيق الطريق بحيث يرتصد فيه جميع الناس والمرصد والمرصاد عند العرب الطريق (ايضاع) سرعة وقد أوضع فى سيره أسرع كأنه يهتز ويركض (الكثبان) أكداس الرمل (وقع) ضرب (بالبنان على البنان) أى صفق بيديه وقد تطلق البنان مرادا بها اليد قال الله تعالى واضربوا منهم كل بنان أى الايدى والارجل وأنشد الفنجديهى

أقاموا الديدبان على يفاع * وقالوا لا تنم للديدبان
اذا أبصرت ضيفا من بعيد * فوقع بالبنان على البنان
تراهم خشية الاضياف خرسا * يقيمون الصلاة بلا أذان

(قوله ليس من زار راكبا) البيت يريد أن ثواب الماشى فى الحج أكثر من ثواب الراكب وقال ابن عباس لبنيه اخرجوا من مكة مشاة فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان للحاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته سبعين حسنة وللماشى بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قالوا يا رسول الله وما حسنات الحرم قال الحسنة منها بمائة ألف وقوله سعى بان ومن هدم من قول بشار

متى يبلغ البنيان يوما تمامه * اذا كنت تبنيه وآخر يهدم

(المفرطون) المقصرون (مأتم) مناحة (ويك) تعجب (أزدرى) احتقرى (زخرف) زينة (وجدان) مصدر وجدت الشئ (اندبى) ابكى (الحمام) الموت (مصرعه) طرحه للميت بالارض (خطبه) أمره الشديد (صدم) ضرب والصدم ضرب الشئ الصلب بمثله وأراد أنه أصاب من قولهم صدمهم أمر أى أصابهم (سحى) صبى (يحلم) يتثقب (الادم) الجلد وهو مثل يضرب للشئ يفوت قال الشاعر * كدابغة وقد حلم الاديم * (السعير) النار المتقدة (احتدم) التهب واشتد اتقاده (السدم) هم مع ندم (عضب) حد وأراد باغماده سكوته (لشأنه) لامره (مورد) موضع الماء (نرده) نقصده (معرس) موضع النزول بالسحر للاستراحة (نتوسده) ننزل فيه (أتفقده) أطلبه والتفقد طلب المفقود قال الله تعالى وتفقد الطير أى طلبه بعد ما فقده (أستنجد) استعين (ينشده) يطلبه (اختطفته) أخذته بسرعة (اقتطفته) اقتطعته (كابدت) قاسيت (الكربة) الهم (منيت) بليت (زفرة) تنفس المهموم

* (ولابى طالب الرقى فى غلام محرم) *

ومشتمل عطفى عفاف وفتنة * يرى قتل من يهوى الى النسك مسلكا
جنى اللحظ من خديه وردا مكفورا * ومن عارضيه ياسمينا ممسكا
فيا رائحا منه بأوفر فتنة * تجهز لعام بعد هذا لعلكا

وقال صالح بن موسى

عشقت صوفيا له شاهد * يقيم عذرى عند عذالى
قد عبد الله بأحواله * فليته ينظر فى حالى

(حكى الحرث بن همام) قال اجمعت حين قضيت مناسك الحج واقمت وظائف العج والثج ان أقصد طيبة مع رفقة من بني شيبة لأزور قبر النبي المصطفى واخرج من قبيل من حج وجفا فأرجف بأن المسالك شاغرة وعرب الحرمين متشاجرة فحرت بين اشفاق يثبطني واشواق تنشطني الى ان القي في روعي الاستسلام وتغلب زيارة قبره عليه السلام فاعتمت القعدة واعددت العدة وسرت والرفقة لاتلوي على عرجة ولا تني في تأويب ولا دلجة حتى وافينا بني حرب وقد آبوا من حرب فأزمعنا ان نقضي ظل اليوم في حلة القوم و بينما نحن نتخير المناخ ونرود الورد النقاخ اذ رأينا هم يركضون كأنهم الى نصب يوفضون فرابنا انثيالهم وسالنا ما بالهم فقيل قد حضر ناديهم فقيه العرب فاهراعهم لهذا السبب فقلت لرفقتي الا نشهد مجمع الحي لنتبين الرشد من الغي فقالوا القد اسمعت اذ دعوت ونصحت وما ألوت ثم نهضنا نتبع الهادي ونؤم النادي حتى اذا أطللنا عليه واستشرفنا الفقيه المنهود اليه

(شرح المقامة الثانية والثلاثين وتعرف بالطيبية)

(أجمعت) عزمت عليه كأنه جمع نفسه له و (مناسك الحج) متعبداته (وظائف) لوازم والوظيفة النصيب الذي يلزمك عزمه (العج) رفع الصوت بالتلبية وكانوا في الجاهلية اذا أتموا حجهم يتفاخرون بما ثر آبائهم فامروا بالثناء على الله تعالى (والثج) اراقة الدماء وعج يعج عجا وعجيجا رفع صوته وثججت الدمع أثجه أسلته وهو لازم ومتعد وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الاعمال فقال العج والثج (طيبة) مدينة النبي صلى الله عليه وسلم (بنو شيبة) حجبة البيت وشيبة هو عبد المطلب وسمي بذلك لانه نشأ بالمدينة عند اخواله صغيرا فلما مات أبوه هاشم ذهب اليه المطلب فأتى به فرآه معه أهل مكة فقالوا اماهو الاعبد اشتراه فغلب عليه عبد المطلب (جفا) أراد به قول النبي صلى الله عليه وسلم من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني ومن زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاءني زائرا لا يهمه الا زيارتي كان حقا على الله أن أكون له شفيعا يوم القيامة وفي رواية من زار قبري وجبت له شفاعتي و (أرجف) الرجل خاض في الفتنة والاخبار المسيئة و (شغر الطريق) خلا من حماته والمدينة خلت من حماتها او بلد شاغر بعيد من القاضي و السلطان فلا يمتنع من غارة أحد والشغر التفرقة ومنه خرجوا اشغر بغر أي تفرقوا وشغر عن بلده شغر او شغارا اذا طرحوه ونفوه واشتغرت الحرب بينهم اتسعت وعظمت وامرأة شاغرة اذا رفعت رجليها لكل من نكحها والمعنى أن المسالك شاغرة أي ان الطرق مضطربة خالية من حماتها (الحرمين) مكة والمدينة (متشاجرة) مختلفة (اشفاق) خوف (يثبطني) يحبسني (تنشطني) تحرضني (روعي) نفسي (الاستسلام) الانقياد لامر الله تعالى (اعتمت) اخترت (القعدة) الراحلة المتخذة للركوب (تلوي) تعطف (عرجة) شيء يشغل ليعرج عليه (تني) نفتر و (تأويب ودلجة) مشي النهار والسحر والدلجة بضم الدال الاسم من الادلاج وهو سير جميع الليل والتأويب سير النهار أجمع والدلجة بفتح الدال الوزن ٣ من الادلاج بوزن الافتعال وهو أن يسير من آخر الليل يعقوب خرجنا بدلجة ودلجة اذا خرجوا في آخر الليل (وافينا) وصلنا (آبوا) رجعوا (أزمعنا) عزمنا (نقضي) نتم أراد عزمنا على أن ننزل ونتم بقية يومنا عندهم و (ظل) الشيء انما يبقى ببقائه (والحلة) النزول و (القوم) اسم للجمع والحلة هيئة الحلول والحلة مجلس القوم ومجتمعهم لانهم يحلونه والجمع حلال والحلة جماعة بيوت الناس (المناخ) موضع النزول (نرود) نطلب (الورد النقاخ) الماء البارد العذب وأنشد أبو علي

تركت النبيذ لاهل النبيذ * وأصبحت أشرب عذبا نقاخا

سمي نقاخا لانه ينقخ الفؤاد ببرده أي يكسره (يركضون) يجرون مسرعين (نصب) صنم كانوا في الجاهلية ينصبونه ويذبحون عليه لاوثانهم وجمعه أنصاب والنصب الشر قال الله تعالى بنصب وعذاب (يوفضون) يسرعون (اهراعهم) أسراعهم وأهرع أسرع فزعا من تعدا ويهرعون يستحثون (ألوت) قصرت (الهادي) الدليل (نؤم) نقصد (النادي) مجتمع القوم (أطللنا) قربنا منه ودنونا وأشرفنا عليه (استشرفنا) نظرنا وتأملنا والاستشراف أن تضع يدك على حاجبك من الشمس اذا أردت النظر الى شيء بعد منك (المنهود) المقصود ونهدت اليه ونهضت بمعنى ونهد ينهد نهدا أي شخص ونهض وقيل أكثر ما يستعمل هذا في الحرب يقال نهد الى العدو اذا نهض

٣ قوله الوزن من الادلاج كذا بالاصل ولعله اسم مصدر أو المرة من الادلاج اهـ مصححه

لبقاتله (ألفيته) وجدته (ذا الشقر والبقر) صاحب الدواهي يقال جاء بالشقر والبقر اذا جاء بالكذب المستفظع وجاء بالشقاري والبقاري أي بالكذب و (الفواقر) قواصم الظهر يراد بها الدواهي والفاقرة الكاسرة للفقار وهو عظم الصلب و (الفقر) في النثر مثل القوافي في الشعر (القفداء) بالقاف قبل الفاء أن يلف عمامته على رأسه ولا يرسل منها شيأ ابن سيده القفداء والقفد اذا لوى عمامته على رأسه ولم يسدلها قال الازهري رحمه الله تعالى العمة القفداء معروفة وهي الميلاء والسنة أن يتعمم و يسدل خلف ظهره ابن عمر رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا تعمم سدل عمامته بين كتفيه (والصماء) أن تجلل نفسك بالثوب غير المخيط ولا ترفع شيأ من جوانبه فتكون فيه فرجة تخرج منها اليد وانما نهى عن ذلك مخافة أن تصيبه شدة في تلك الحالة وهو لا يقدر على اخراج يده فيدفعها فيهلك وقال الفنجديهي رأيت بخط الحريري اشتمل الصماء أي التحف بثوب جلل جسده وقيل لها صماء لانها لا منفذ فيها كالصخرة الصماء التي لا صدع فيها ولا خرق وهي عند الفقهاء أن يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبيه فتبدو اعورته فنهى عن ذلك وقال الازهري هذا أصح الكلام والفقهاء أعلم بتأويل هذه و (القرفصاء) أن يقعد على أليتيه وينصب ساقيه ويلصق فخذيه ببطنه ويحتبي بيديه فيضعهما على ساقيه قاله أبو عبيد وقيل هي جلسة المحتبي ثم يرفع فخذيه وركبتيه الى صدره ويدير يديه على ساقيه ويشدهما فاذا فعلت ذلك بالرجل وشددت يديك عليه فقد قرفصته الفنجديهي رأيت بخط الحريري معناه أن يحتبي بيديه قال أبو أمامة كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس القرفصاء فيضع يده اليمنى على الشمال عند المفصل وتقرفص الرجل اذا جمع يديه وانضم من جرب أو قروح به (أعيان) أشراف (محتفون) محلقون والمنزل محفوف بالناس اذا اجتمعوا بحفافيه أي بجانبيه و (الاخلاط) الدون من الناس و (المعضلات) الغامضات من الكلام الصعب (واستوضحوا) أي طلبوا مني ايضاحها أي بيانها (فطر) خلق وفطر الله الخلق ابتدأ خلقهم قال ابن عباس ما كنت أدري ما فاطر السموات والارض حتى احتكم الى اعرابيان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أي ابتدأتها وقال الله تعالى الا الذي فطرني أي خلقني و يتفطرن يتشققن وانفطرت تشققت (وعلم آدم الاسماء) كلها أي علمه أسماء كل شيء من المخلوقات و (فقيه العرب) أي عالمهم وقال تعالى ليتفقهوا في الدين أي ليكونوا علماء به وكل عالم بشيء فهو فقيه فيه ويقال فقهت عنك أي فهمت وفقهت فقها أي صرت فقيها وهو الحاذق بما يعلمه وفقهت الرجل غلبته في الفقه (العرباء) الخالصة وهذا الادعاء الذي يدعى الآن يسمى انتحال العلم وقال بعض الحكماء لا ينبغي لاحد أن ينتحل العلم وقال مقاتل ابن سليمان يوما وقد دخلته أبهة العلم سلوني عما تحت العرش الى أسفل الثرى فقال له رجل ما نسألك عن شيء من ذلك انما نسألك عما معك في الارض أخبرني عن كلب أهل الكهف ما كان لونه فأفحمه ولما شهرت تآليف ابن قتيبة ولحظ بعين العالم المتفنن صعد المنبر وقد غص المحفل واعتلى تبريزا على علماء وقته مع فضل جاه اشتمل به من السلطان فقال ليسألني من شاء عما شاء فقام اليه أحد الاغفال فقال له ما القتيل والقطمير فلم يحر جوابا وأفحم ونزل خجلا وانصرف الى منزله كسلا فلما نظر اللفظتين وجد نفسه أذكر الناس بهما وهذا من عقاب العجب

الفيته ابا زيد ذا الشقر والبقر والفواقر والفقر وقد اعتم القفداء واشتمل الصماء وقعد القرفصاء وأعيان الحي به محتفون وأخلاطهم عليه ملتفون وهو يقول سلوني عن المعضلات واستوضحوا مني المشكلات فوالذي فطر السماء وعلم آدم الاسماء اني لفقيه العرب العرباء

* ورأيت فى بعض الاخبار أن ابن قتيبة سئل عن حرف لغة فلم يعلمه وقت السؤال وكان أبيض مشربا بحمرة فلما وجد الحرف غلبت الحمرة على وجهه حتى طفئ أسفا على فوت الحرف وقت الحاجة ولعله كان ماقدمنا فى الحكاية وقال قتادة ما سمعت قط شيأ الاحفظته ولا حفظت قط شيأ فأنسيته ثم قال ياغلام هات نعلى فقال هما فى رجليك ففضحه الله وقال قتادة حفظت مالم يحفظ أحد قط ونسيت مالم ينس أحد قط حفظت القرآن فى سبعة أشهر وقبضت على لحيتى وأنا أريد أن أقطع ما تحت يدى فقطعت مافوقها * وكان بشر يش رجل من أهل الدين والورع وحج فى أيام أبى حامد وصحبه ففاتت صلاة الصبح يوما لاحد أصحابه فلامه على ذلك فاعتذر له صاحبه فلم يعذره ثم قال له على معنى الترغيب كملت لى اليوم عشرون سنة مافاتتنى صلاة الصبح فى جماعة فلما كان فى اليوم الثانى أدرك الحاج من صلاة الصبح ركعة واحدة فلما لقيه صاحبه بعد الصلاة قال له هذا كما رأيت وانما ذكرت عملك على معنى التبصرة والارشاد فلو ذكرته على غير ذلك لفاتتك الثانية واذا كان موسى كليم الله قد عاتبه الله على الانتحال حين سئل أى الناس اليوم أعلم قال أنا وابتلى بالسفر حتى لقى الخضر وجلس اليه راغبا فى أن يعلمه والخضر لا ينبسط له فى التعليم ونقر عصفور فى البحر فقال له الخضر ماعلمى وعلمك فى علم الله تعالى الامثل مانقص هذا العصفور من هذا البحر وروى عن عبد الملك بن حبيب من طريق وهب ابن منبه ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام أتدرى لم كلمتك قال لا يارب قال انى اطلعت على قلوب العباد فلم أر فيها قلبا أشد تواضعا من قلبك قال المنجم وأعلم من تحت الجرباء

لكل شئ فى الورى آفة * وآفة المرء من الكبر

وقال آخر

الكبر باس والتواضع رفعة * والمزح والضحك الكثير سقوط
والحرص فقر والقناعة نعمة * واليأس من روح الاله قنوط

فينبغى لكل عاقل أن يقول ما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله رب زدنى علما ولايرى لنفسه حظا و يشكر الله تعالى على ما أعطاه فهو بالادب أليق وبالشرع أوفق ومن سخيف الشعر فى الانتحال

وماعن لى من غامض العلم غامض * مدى الدهر الابت منه على علم

(وقال عدى بن الرقاع)

وعلمت حتى ما أشاور عالما * عن علم واحدة لكى أزدادها

وسمعه كثير ينشده الوليد بن عبد الملك فقال له كذبت ورب البيت الحرام فليمتحنك أمير المؤمنين فى صغار الامور دون كبارها حتى يتبين جهلك وما كنت قط أحمق منك اليوم حين تظن هذا من نفسك وقال أبو موسى المنجم ما أحد تمنيت أن أراه فلما رأيته أمرت بصفعه الاعديا فقيل له ولم ذلك قال لقوله هذا البيت كنت أعرض عليه أصناف العلوم فكلما مر عليه بشئ لا يحسنه أمرت بصفعه (قوله وأعلم من تحت الجرباء) سميت السماء جرباء لان النجوم فيها كالجرب فى البدن وقال ابن الرومى فى غلام يهواه وخرج عليه جدرى وأشار الى جرب السماء

وقالوا شانه الجدرى فانظر * الى وجه به أثر الكلوم
فقلت ملاحة نثرت عليه * وماحسن السماء بلا نجوم

فصمد له فتى فتيق اللسان جرىء الجنان وقال انى حانرت فقهاء الدنيا حتى انتحلت منهم مائة فتيا فان كنت ممن يرغب عن بنات غبر ويرغب منافى مبر فاسمع وأجب لتقابل بما يجب فقال الله أكبر سيبين الخبر وينكشف المضمر فاصدع بما تؤمر قال ما تقول فيمن توضأ ثم لمس ظهر نعله قال انتقض وضوءه بفعله (النعل الزوجة) قال فان توضا ثم أنكأه البرد قال يجدد الوضوء من بعد (البرد النوم) قال أيمسح المتوضئ أنثييه قال قد ندب اليه ولم يوجب عليه (الانثيان الاذنان) قال أيجوز الوضوء مما يقذفه الثعبان قال وهل أنظف منه للعريان (الثعبان جمع ثعب وهو مسيل الوادى) قال أيستباح ماء الضرير قال نعم ويجتنب ماء البصير (الضرير حرف الوادى والبصير الكلب) قال أيحل التطوف فى الربيع قال يكره ذلك للحدث الشنيع (التطوف التغوط والربيع النهر الصغير) قال أيجب الغسل على من أمنى قال لاولو ثنى (أمنى نزل منى ويقال منه منى وأمنى وامتنى) قال فهل يجب على الجنب غسل فروته قال أجل وغسل ابرته (الفروة جلدة الرأس والابرة عظم المرفق) قال أيجب عليه غسل صحفته قال نعم كغسل شفته (الصحفة أسرة الوجه) قال فان أخل بغسل فأسه قال هو كالولغ غسل رأسه (الفأس العظم المشرف على نقرة القفا) قال أيجوز الغسل فى الجراب قال هو كالغسل فى الجباب (الجراب جوف البئر) قال فما تقول فيمن تيمم ثم رأى روضا قال بطل تيممه فليتوضا (الروض ههنا جمع روضة

وقال أبو بكر بن السراج فى الفتح بن مسروق البلخى وقيل قالها فى ابن ياسر المغنى وكان من أحسن الناس وجها

لى قر جدر لما استوى * فزاده حسنا وزادا الهموم
كأنما غنى لشمس الضحى * فنقطته طربا بالنجوم

وقال آخر كأن آثار تجدير بوجنته * عشر معوزة فى صحف وراق

(وقال ذو الوزارتين أبو الوليد بن زيدون)

قال لى اعتل من هويت حسود * قلت أنت العليل ويحك لاهو
ما الذى تنقمون من بثرات * ضاعفت حسنه وزانت حلاه
وجهه فى الصفاء والرقة الما * ء فلا غرو أن حباب علاه

(قوله صمد) أى قصد (فتيق) طليق (جرىء الجنان) ماضى القلب قويه (انتحلت) اخترت (الفتيا) لغة فى الفتوى وهما اسمان يوضعان موضع الافتاء تقول أفتانى افتاء وفتيا وفتوى (بنات غبر) كناية عن الكذب * الفنجديهى رأيت بخط الحريرى بنات الغبر الكذب * الفراء يقال للرجل أبو بنات عبر وهو الباطل بعين مهملة وباء منقوطة واحدة (مبر) رزق وصلة وأصله جلب الطعام للاكل (الله أكبر) حكى أهل اللغة ان معناه كبير وقال الفرزدق

ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

أى عزيزة طويلة * قال معن بن أوس

لعمرك ماأدرى وانى لاوجل * على أينا تعدو المنية أول

أى لوجل وقال النحويون الكسائى والفراء وهشام معناه أكبر من كل شئ فحذفت من لان افعل خبر كقولك أبوك أفضل وأعقل أى من غيره ولو كان اسما لم يحذف منه شئ ألا ترى أن من قال أخوك أفضل لم يقل ان أفضل أخوك فحذفت من فى الخبر لان الخبر يدل على أشياء غير موجودة فى اللفظ نحو أخوك قام فيدل على المصدر والزمان والمكان والاسم لا يحذف منه شئ يدل عليه و (الخبر) مصدر خبرت خبرة ومخبرا اذا جربته فأراد سيتبين لك بالتجربة ما ادعيته من العلوم وينكشف لك ما أضمرته منها (أصدع) تكلم وأظهر وصدعت بالحق تكلمت به جهارا وقوله تعالى فاصدع بما تؤمر أى اظهر دينك وانما اعتمد الشيخ أبو محمد الحريرى فى شرح الالفاظ التى ألغزبها على الوجه المعمى ولنشرح ماسوى ذلك مما اشتملت عليه ان شاء الله تعالى (قوله لمس) جز أصابعه عليها (أنكأه) جعله متكئا (يقذفه) يطرحه من بطنه و (الضرير) الاعمى و (البصير) السالم البصر * والطوف مصدر طاف حول الشئ اذا دار به و (الحدث) الغائط وجعله شنيعا لان الانسان اذا فعله فى الماء ظهر على وجه الماء فكانت به شنعة واستقذر الماء فلم يستعمل وان كان مباحا استعماله (قوله أخل) نقص (نقرة) حفرة (الروض)

وهى الصبابة تبقى فى الحوض) قال أيجوز أن يسجد الرجل فى العذرة قال نعم وليجانب القذرة (العذرة فناء الدار) قال فهل له السجود على أنف الخلاف قال لا ولا على أحد الأطراف (الخلاف الكم) قال فان سجد على شماله قال لا بأس بفعاله (الشمال جمع شملة) قال فهل يجوز السجود على الكراع قال نعم دون الذراع (الكراع ما استطال من الحرّة وهى أرض ذات حجارة سود) قال أيصلى على رأس الكلب قال نعم كسائر الهضب (رأس الكلب ثنية معروفة) قال أيجوز للدارس حمل المصاحف قال لا ولا حملها فى الملاحف (الدارس الحائض) قال ماتقول فمن صلى وعانته بارزة قال صلاته جائزة (العانة الجماعة من حمر الوحش) قال فان صلى وعليه صوم قال يعيد ولو صلى مائة يوم (الصوم ذرق النعام) قال فان حمل جروا وصلى قال هو كمالو حمل باقلى (الجرو الصغار من القثاء والرمان) قال أتصح صلاة حامل القروة قال لا ولو صلى فوق المروة (القروة ميلغة الكلب) قال فان قطر على ثوب المصلى نجو قال يمضى فى صلاته ولا غرو (النجو السحاب الذى قد هراق ماءه) قال أيجوز أن يؤم الرجال مقنع قال نعم ويؤمهم مدرّع (المقنع لابس المغفر والمدرع لابس الدرع) قال فان أمهم من فى يده وقف قال يعيدون ولو أنهم ألف (الوقف السوار من العاج أو الذبل وأراد أنه لا يجوز للرجال الائتمام بالنساء) قال فان أمهم من فخذه بادية قال صلاته ١٢٢ وصلاتهم ماضية (الفخذ العشيرة وبادية أى يسكنون البدو واختار بعض أهل اللغة تسكين الخاء من هذه الفخذ ليحصل الفرق بينها وبين العضو) قال فان أمهم الثور الاجم قال صل وخلاك ذم (الثور السيد والاجم الذى لا رمح معه) قال أيدخل القصر فى صلاة الشاهد قال لا والغائب الشاهد (صلاة الشاهد صلاة المغرب سميت بذلك لاقامتها عند طلوع النجم لان النجم يسمى الشاهد) قال أيجوز للمعذور أن يفطر فى شهر رمضان قال ما رخص فيه الا للصبيان (المعذور المختون وهو أيضا المعذر) قال فهل للمعرّس أن يأكل فيه قال نعم بملء فيه (المعرّس المسافر الذى ينزل فى آخر ليله ليستريح ثم يرتحل) قال فان أفطر فيه العراة قال لا تنكر عليهم الولاة (العراة الذين تاخذهم العرواء وهى الحمى برعدة) قال فان أكل الصائم بعد ما أصبح قال هو احوط له واصلح (اصبح اى استصبح بالمصباح) قال فان عمد لان أكل ليلا قال ليشمر للقضاء ذيلا (ذكر ابن دريد أن الليل فرخ الحبارى وقال غيره هو ولد الكروان) قال فان اكل قبل ان تتوارى البيضاء قال يلزمه والله القضاء (البيضاء من أسماء الشمس) قال فان استثار الصائم الكيد قال أفطر ومن احل الصيد (الكيد القىء واستثاره اى استدعاه) قال أله أن يفطر بالحاج الطابخ قال نعم لا بطاهى المطابخ (الطابخ الحمى الصالب) قال فان ضحكت المرأة فى صومها قال بطل صوم يومها (ضحكت ههنا أى حاضت ومنه قوله تعالى فضحكت فبشرناها باسحق) قال فان ظهر الجدرى على ضرتها قال تفطر ان آذن بمضرتها (الضرة أصل الابهام واصل الثدى أيضا) قال ما يجب فى مائة مصباح قال حقتان يا صاح (المصباح الناقة التى تصبح فى المبرك) قال فان ملك عشر خناجر قال يخرج شاتين ولا يشاجر (الخناجر النوق الغزار الدرّ واحدتها خنجر وخنجور) قال فان سمح للساعى بحممته قال يا بشرى له يوم قيامته (الساعى جابى الصدقة والحممة خيار المال) قال أيستحق حملة الاوزار من الزكاة جزا قال نعم اذا كانوا غزا (والاوزار)

مواضع الغيث و (الصبابة) البقية و (الكراع) الرجل وكراع كل شئ طرفه و (الحرّة) أرض فيها حجارة سود و (الهضب) جمع هضبة وهى الصخرة العظيمة والكدية الصغيرة وقيل الهضبة الجبل المنبسط على وجه الارض وقيل الجبل الطويل المتسع والجمع هضاب (ثنية) عقبة و (الميلغة) مايشرب فيه الكلب الماء وهى من ولغ الكلب اذا تناول الماء بلسانه و (القروة) نقير من خشب تشرب منه الكلاب و (القثاء) هو الفقوس و (النجو) هو الحدث (لاغرو) لا عجب و (المقنع) لابس القناع يريد المرأة و (الوقف) ماوقف وحبس من الاموال على المساكين والمساجد و (الذبل) جلد السلحفاة البرية ويقال انها تعظم فربما يضع التاجر ليلا عليها حمله يظنها صخرة فتتحمل به ويستعمل من الطبق الذى عليها خلاخل للحشم والعبيد و (العاج) عظم الفيل و (الاجم) الذى ليس له قرنان (وخلاك ذم) باعدك ذم و (المعذور) الذى تبين عذره و (الطاهى) طابخ اللحم و (الصالب) الحمى لا ترعد والحاحها ملازمتها و (الجدرى) قروح صغار تخرج على الصبيان (وضرتها) شريكتها فى زوجها و (الحقة) التى استحقت أن يركب عليها و (الخناجر) نوع من السكاكين الكبار و (يشاجر) يخالف و (الجابى) الجامع للصدقة ومنه الجباية

(الاوزار السلاح وغزى جمع غاز) قال أيجوز للحاج أن يعتمر قال لا ولا أن يختمر (الاعتمار لبس العمارة وهي العمامة والاختمار لبس الخمار) قال فهل له أن يقتل الشجاع قال نعم كما يقتل السباع (الشجاع الحية) قال فان قتل زمارة في الحرم قال عليه بدنة من النعم (الزمارة النعامة واسم صوتها الزمار) قال فان رمى ساق حر فجدله قال يخرج شاة بدله (ساق حر ذكر القماري) قال فان قتل أم عوف بعد الاحرام قال يتصدق بقبضة من طعام (أم عوف الجرادة) قال أيجب على الحاج استصحاب القارب قال نعم ليسوقهم الى المشارب (القارب طالب الماء بالليل) قال ما تقول في الحرام بعد السبت قال قد حل في ذلك الوقت (الحرام المحرم والسبت حلق الرأس وحل من تحليل الحج) قال ما تقول في بيع الكميت قال حرام كبيع الميت (الكميت الخمر) قال أيجوز بيع الخل بلحم الجمل قال ولا بلحم الجمل (الخل ابن المخاض ولا يحل بيع اللحم بالحيوان سواء كان من جنسه أو من غير جنسه) قال أيحل بيع الهدية قال لا ولا بيع السبية (الهدية بالتشديد ما يهدى الى الكعبة ويقال فيها هدية بتسكين الدال وتخفيف الياء والسبية الخمر) قال ما تقول في بيع العقيقة قال محظور على الحقيقة (العقيقة ما يذبح عن المولود في اليوم السابع من ولادته) قال أيجوز بيع الداعي على الراعي قال لا ولا على الساعي (الداعي بقية اللبن في الضرع والساعي جابي الصدقة) قال أيباع الصقر بالتمر قال لا ١٢٣ ومالك الخلق والامر (الصقر الدبس) قال أيشتري المسلم سلب المسلمات قال نعم ويورث عنه اذا مات (السلب لحاء الشجر وهو ايضا خوص الثمام) قال فهل يجوز أن يبتاع الشافع قال ما لجوازه من دافع (الشافع الشاة التي يتبعها سخلها) قال أيباع الابريق على بني الاصفر قال يكره كبيع المغفر (الابريق السيف الصقيل الكثير الماء وبنو الاصفر الروم) قال أيجوز أن يبيع الرجل صيفيه قال لا ولكن ليبيع صفيه (الصيفي الولد على الكبر والصفي الناقة الغزيرة الدر) قال فان اشترى عبدا فبان بامه جراح قال ما في رده من جناح (الام مجمع الدماغ) قال أتثبت الشفعة للشريك في الصحراء قال لا ولا للشريك في الصفراء (الصحراء الاتان التي يمازج بياضها غبرة والصفراء الناقة) قال أيحل أن يحمى ماء البئر والخلا قال ان كان في الفلا فلا يحمى يمنع والخلا الكلأ) قال ما تقول في ميتة الكافر قال حل للمقيم والمسافر (الكافر البحر وميتته السمك الطافي فوق مائه) قال أيجوز أن يضحى بالحول قال هو أجدر بالقبول (الحول جمع حائل) قال فهل يضحى بالطالق قال نعم ويقرى منها الطارق (الطالق الناقة ترسل ترعى حيث شاءت) قال فان ضحى قبل ظهور الغزالة قال شاة لحم بلا محالة (الغزالة الشمس) قال بعضهم يقال *طلعت الغزالة ولا يقال غربت وضدها الجونة تسمى بها عند مغيبها لانها تسود حين تغيب كما قال الشاعر

تبادر الجونة أن تغيبا*

قال أيحل التكسب بالطرق قال هو كالقمار بلا فرق (الطرق الضرب بالحصى وهو من أفعال الكهنة) قال أيسلم القائم على القاعد قال محظور فيما بين الاباعد (القاعد التي قعدت عن الحيض أو عن الازواج) قال أينام العاقل تحت الرقيع قال أحبب به في البقيع (الرقيع السماء وعنى بالبقيع بقيع المدينة) قال أيمنع الذمي من قتل العجوز قال معارضته في العجوز لا تجوز (العجوز الخمر وقتلها مزجها)

و (الاوزار) أثقال الذنوب و (الغزى) هؤلاء الرماة بالنشاب و (يعتمر) يحج بعمرة و (يختمر) يستعمل الخبز المختمر و (الزمارة) المرأة تضرب بالمزمار و (البدنة) الناقة سميت بذلك لضخامتها وبدن الرجل ضخم (جدله) قتله وطرحه على الجدالة وهي الارض ومن أبيات اللغز في الجرادة

وما صفراء تكنى أم عوف * كأن سويقتيها منجلان

و (القارب) السفينة الصغيرة و (الكميت) الفرس الاسود العرف والذنب والكمتة حمرة تضرب الى السواد و (الجمل) الحروف و (العقيقة) خرزة حمراء (محظور) ممنوع و (الصقر) من جوارح الطير (الدبس) عسل التمر (خوص) ورق (الثمام) شجر ضعيف ورقه كورق الدوم مزدوجة (الابريق) آنية الخمر (الصيفي) ما ولد في زمن الصيف و (الصفي) الصاحب الخالص و (الدر) اللبن و (بان) ظهر و (جناح) اثم و (الاتان) الانثى من الحمير و (الطافي) المرتفع على وجه الماء و (الحول) جمع أحول وحولاء (أجدر) أحق (والطرق) السير بالليل (محظور) ممنوع و (الرقيع) الاحمق الذي يتخرق عليه رأيه حتى يحتاج الى أن يرقع ثم كثر حتى صار الرقيع الماجن القليل الحياء فاراد أيرقد عاقل تحت رقيع فقال ما أحسن ذلك اذا كان في البقيع هذا معناه في الظاهر وما قصد به قد فسره و (البقيع) في الاصل كل موضع فيه

قال أيجوز أن ينتقل الرجل عن عمارة أبيه قال ما يجوز لحامل ولا نبيه (العمارة القبيلة) قال ما تقول فى التهود قال هو
مفتاح التزهد (التهود التوبة ومنه قوله تعالى انا هدنا اليك) قال ما تقول فى صبر البلية قال اعظم به من خطية (الصبر
الحبس والبلية الناقة تحبس عند قبر صاحبها فلا تسقى ولا تعلف الى أن تموت وكانت الجاهلية تزعم ان صاحبها يحشر عليها)
قال أيحل ضرب السفير قال نعم والحمل على المستشير (السفير ما تساقط من ورق الشجر والمستشير الجمل السمين وهو أيضا
الجمل الذى يعرف اللاقح من الحائل) قال أيعزر الرجل أباه قال يفعله البر ولا يأباه (التعزير التعظيم والنصرة والتوقير)
قال ما تقول فيمن أفقر أخاه قال حبذا ما توخاه (أفقره أعاره ناقة يركب فقارها) قال فان أعرى ولده قال يا حسن ما اعتمده
(اعراه أعطاه ثمرة نخلة عاما) قال فان أصلى مملوكه النار قال لا اثم عليه ولا عار (المملوك العجين الذى قد أجيد عجنه حتى قوى)
قال أيجوز للمرأة أن تصرم بعلها قال ما حظر أحد فعلها (البعل النخل الذى يشرب بعروقه من الارض) قال فهل تؤدب
المرأة على الخجل قال أجل (الخجل سوء احتمال الغنى ومنه قوله صلى الله عليه وسلم للنساء انكن اذا جعتن دقعتن واذا شبعتن
خجلتن) قال ما تقول فيمن نحت أثلة أخيه قال أثم ولو أذن له فيه (نحت أثلته اذا اغتابه وقدح فى عرضه) قال أيحجر الحاكم
على صاحب الثور قال نعم ليأمن غائلة الجور (الثور الجنون) قال فهل له أن يضرب على يد اليتيم قال نعم الى أن يستقيم
(يقال ضرب على يده اذا حجر عليه) ١٢٤ قال فهل يجوز أن يتخذ له ربضا قال لا ولو كان له رضا (الربض الزوجة) قال
فتى يبيع بدن السفيه
قال حين يرى له الحظ فيه
(البدن الدرع القصيرة)
قال فهل يجوز أن يبتاع
له حشا قال نعم اذا لم يكن
مغشى (الحش النخل
المجتمع) قال أيجوز أن
يكون الحاكم ظالما قال
نعم اذا كان عالما (الظالم
الذى يشرب اللبن قبل أن
يروب ويخرج زبده) قال
أيستقضى من ليست له بصيرة
قال نعم اذا حسنت منه السيرة (البصيرة الترس) قال فان تعرى من العقل قال ذاك عنوان الفضل (العقل   القوارى
ضرب من الوشى) قال فان كان له زهو جبار قال لا انكار عليه ولا اكبار (الزهو البسر المتلون والجبار النخل الذى فات اليد
وضده القاعد) قال أيجوز أن يكون الشاهد مريبا قال نعم اذا كان أريبا (المريب الذى يكثر عنده اللبن الرائب) قال فان
بان أنه لاط قال هو كالوخاط (لاط الحوض اذا طينه) قال فان عثر على أنه غربل قال ترد شهادته ولا تقبل (غربل اى قتل
ومنه قول الراجز * ترى الملوك حوله مغربله) قال فان وضح أنه مائن قال هو وصف له زائن (المائن ههنا الذى يعول
ويكفى المؤنة من مان يمون لا من مان يمين) قال ما يجب على عابد الحق قال يحلف بالله الخلق (العابد ههنا الجاحد والحق الدين)
قال ما تقول فيمن فقأ عين بلبل عامدا قال تفقأ عينه قولا واحدا (البلبل الرجل الخفيف) قال فان جرح قطاة امرأة ففاتت
قال النفس بالنفس اذا فاتت (القطاة ما بين الوركين) قال فان ألقت الحامل حشيشا من ضربه قال ليكفر بالاعتاق عن ذنبه
(الحشيش الجنين الملقى ميتا) قال ما يجب على المختفى فى الشرع قال القطع لاقامة الردع (المختفى نباش القبور) قال فما يصنع
بمن سرق أساود الدار قال يقطع ان ساوين ربع دينار (الاساود الآلات المستعملة كالاجانة والقدر والجفنة) قال فان سرق
ثمينا من ذهب قال لا قطع كما لو غصب (الثمين الثمن كما يقال فى النصف نصيف وفى السدس سديس) قال فان بان على المرأة السرق
قال لا حرج عليها ولا فرق (السرق الحرير الابيض) قال أينعقد نكاح لم يشهده القوارى قال لا والخالق البارى

أصول أشجار مختلفة (التهود) الدخول فى دين اليهودية (عمارة أبيه) ما كان أبوه يعمره من دار
يسكنها ومال يعمره (السفير) الرسول (المستشير) المسترشد الذى يستشيرك فى أموره
والحمل عليه اهانته وظلمه (اللاقح) الحامل بالولد و(الحائل) ضدها و(يعزر) يؤدب والتعزير
ضرب دون الحد و(البر) المكرم لابيه (توخاه) قصده وكذلك اعتمده (أصلاه) جعله فيها
(تصرم) تقطع وتباعد وأصل الصرم القطع (بعلها) زوجها (حظر) منع (الخجل) الاستحياء
وأراد بـ(سوء احتمال الغنى) أن تكون مبذرة لمالها سفيهة فكأن الغنى لما أتاها لم تحتمله
فأفسدته (نحت) نجر (اثلة) شجرة (غائلة) ضرر (الربض) بقاع من الارض تباع وتشترى
(الحش) الكنيف (مغشى) يغشاه الناس ويدخلونه (البصيرة) اليقين والنظر السديد (السيرة)
العادة (عنوان) دليل وعلامة و(الزهو) التكبر والاعجاب (الاريب) العاقل (لاط) عمل عمل
قوم لوط (وضح) تبين (مائن) كاذب (القطاة) نوع من الحمام وفقأ العين أخرجها و(البلبل)
طائر (الحشيش) نبات يابس (الردع) الكف والمنع (الاساود) الحيات (الثمين) الرفيع الثمن

(القوارى) طير خضر وقد بين هو أنه أراد بالقوارى الشهود و يقال المسلمون قوارى الله فى الارض أى شهوده قال جرير * المسلمون لما أقول قوارى * وباتت العروس بليلة شيباء اذا غشيها زوجها * الفنجديهى رأيت بخط الحريرى رحمه الله تعالى

طببوها ولم أطب بطيب * رب منع ألذ من اعطاء
بت فى درعها وباتت ضجيعى * فى بصير وليلة شيباء

البصير هنا قطعة من دم وقد أتينا على ما فى هذه المسائل من الغريب فى الظاهر وأما ما قصده من المعمى فهو مفسر فى الاصل ولقد أحسن أبو محمد فى هذه الفتاوى وأجاد و بلغ من الاقتدار والاتساع فوق المراد وان كان لا يوصف فيها بالابتداع فلقد أحسن فى الاتباع والسابق الى هذا المعنى أبو بكر بن دريد رحمه الله تعالى فى كتاب سماه بالملاحن وهى من اللحن وهو أن تورى بلفظ عن لفظ ثم تمم تلك الاعراض وحسنها أحمد بن عبد الله فى كتاب سماه بالمنقذ وفائدة حفظ هذه الاعراض أن يخوف الرجل أو يروعه أمير ظالم أو مسلط غاشم فيتخلص منه بهذه المعاريض فأما أن يقطع بها حق مسلم فلا سبيل اليها ومعتمدهم فيها حديث عمران بن حصين أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى المعاريض مندوحة عن الكذب وفى حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه عجبت لمن يحسن المعاريض كيف يكذب ولمن لاحن الناس كيف لا يعرف جوامع الكلم وقول النبى صلى الله عليه وسلم لطلائع المشركين حين لقوه فى نفر من أصحابه فقالوا ممن أنتم من ماء فتركوهم وأراد فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق وقوله صلى الله عليه وسلم فى مزاحه لاحدى عماته ان الجنة لا تدخلها عجوز فلما جزعت قال لها ان الله تعالى يخلقهم يوم القيامة شواب أبكارا وقال لامرأة ما فعل زوجك الذى فى عينيه بياض فلما جزعت قال لها أوليس فى كل عين بياض وقال له رجل احملنى قال ما عندى الا ولد الناقة فقال وما أصنع بولد الناقة فقال صلى الله عليه وسلم وهل الابل الا من النوق فاستجيزت المعاريض على هذا النحو من المزاح أو التخويف * ومن ذلك أن بعض العرب أدخل على الواثق وكان يقول بخلق القرآن و يعاقب من خالفه فقال له ما تقول فى القرآن فتصامم عليه فأعاد السؤال فقال من تعنى يا أمير المؤمنين فقال اياك أعنى فقال مخلوق يعنى نفسه و تخلص منه وقال لآخر من الصالحين ما تقول فى القرآن فأخرج يده وجعل يعد أصابعه و يقول التوراة والانجيل والقرآن هؤلاء الثلاثة مخلوقة فعنى أصابعه وتخلص منه وتعذر على رجل لقاء المأمون فى ظلامة فصاح على بابه أنا أحمد النبى المبعوث فادخل اليه واعلم انه تنبأ فقال له ما تقول فذكر ظلامته فقال له ما تقول فيما حكى عنك فقال وما هو قال ذكروا أنك تقول انك نبى فقال معاذ الله انما قلت أنا أحمد النبى المبعوث أفأنت يا أمير المؤمنين ممن لا يحمده فاستظرفه وأمر بانصافه * وخرج شريح القاضى من عند زياد وتركه يجود بنفسه فسأله الناس عن حاله فقال تركته يأمر وينهى فجزعوا للسلامته فراعهم الاصياح النائحات عليه فسئل شريح عن قوله فقال تركته يأمر بالوصية وينهى عن البكاء * وسئل ابن شبرمة عن رجل لستعمل فقال ان له شرفا وقدما و يدا فنظروا فاذا هو ساقط سفلة فقيل له فى ذلك فقال شرفه أذناه و يده الذى يأوى اليه وقدمه الذى يمشى عليه وقال صاحب المنقذ اذا حلفت بالايمان اللازمة لك فانو بالايمان

(القوارى الشهود لانهم يقرون الاشياء أى يتتبعونها) قال ما تقول فى عروس باتت بليلة حرة ثم ردت فى حافرتها بسحرة قال يجب لها نصف الصداق ولا تلزمها عدة الطلاق (يقال باتت العروس بليلة حرة اذا امتنعت على زوجها فان اقتضها قيل باتت بليلة شيباء والرد فى الحافرة يعنى الرجوع فى الطريق الاول وكنى به عن طلاقها وردها الى أهلها

الأيدى قال تعالى وعن أيمانهم وعن شمائلهم فان قلت كل امرأة لك طالق فاعن الطالق من الابل وهى التى يطلقها الراعى والطالق التى يحمل عليها عقالها فان قيل احلف بظهار امرأتك كظهر أمك فاعن بالظهر ماركب من الخيل والبغال والحمير ولاجناح عليه فى ركوب دواب أمه فان قال احلف بمالك على المسلمين صدقة فاعن مالك على المساكين من دين وليس لك عليهم شئ فان أحلفك بأن كل مملوك لك حر فالمملوك الدقيق الملتوت بالماء والزيت أو السمن فان قال كل غلام لك حر فالحر الحية الذكر والحر من الرمل الذى ماوطئ والحر ذكر الحمام قال حميد * دعت ساق حر ترحة وترنما * فان أحلفك بأن كل جارية لك حرة فالجارية السفينة والريح والشمس فان قال احلف والا كل أمة لك حرة فالحرة الاذن والحرة السحابة الغزيرة المطر فان أحلفك والا فالك حبس فحبس بلد معروف قال ابن حلزة

* لمن الديار عفون بالحبس * فان قال والا فهو كافر فالكافر الليل أو البحر أو الزراع للبذر قال الله تعالى أعجب الكفار نباته وأصله الساتر وتقول كل امرأة تزوجتها فقد طلقتها بتاتا فتزوجت اتخذت زوجا من النبات أى لونا قال الله تعالى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج وقال تعالى فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى وطلقتها ألبستها الطلق وهو قبة من جلود والبتات الزاد وتقول ماتطيبت ولاتمسكت فتطيبت أتيت الطيب وهو بلد بين واسط والسوس أو طيبة مدينة النبى صلى الله عليه وسلم وتمسكت لبست مسكا وهو الجلد أو تفعلت من الامتساك وتقول ماله قبلى درهم ولا دينار فدرهم قبيلة من ربيعة لهم خطة فى البصرة ودينار اسم رجل معروف وماله قبلى ثوب ولاشقة ولا قميص الثوب الرجوع من ثاب يثوب والشقة البعد والقميص غشاء القلب وماله قبلى شى بوجه من الوجوه ولا بسبب من الاسباب الشى مصدر شويت اللحم والوجوه صور مختلفة من التصاوير والوجه المقصد والجمع وجوه والاسباب الحبال وما أوصيت اليه وما أوصى الى أوصى دخل فى الواصى وهو بيت متصل بعضه ببعض ولا أعلم له دارا ولا عقارا فدارا بلد معروف بالجزيرة قال الشاعر

ولقد قلت لرجلى * بين حران ودارا اصبرى يارجل حتى * يرزق الله حمارا

والعقار النخل ولا أعرف للمرأة بعلا ولا وليا فالبعل النخل أو الشجر يشرب بماء السحاب والولى المطر يلى الوسمى وتقول مااشتريت لفلانة ضرتك قميصا ولا ازارا ولا رداء ولا قناعا ولا غلالة ولا حليتها خاتما ولا خلخالا ولا طوقا ولا سوارا ولا قرطتها ولا شنفتها ولا كسوتها ولا جلست مع قينة ولا مغنية ولا ضاربة بعود ولا بطبل ولا رباب ولا سمعت زمارة ولا ذقت نبيذا فالقميص غشاء القلب والرداء السيف أو الدين أو الغطاء والازار قبل المرأة أو جسم الرجل قال الشاعر * فدى لك من أخ ثقة ازار * والازار العفاف والقناع جمع قنع وهو طبق يجعل عليه الفاكهة وفى الحديث ان الربيع ابنة معوذ أتت النبى صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب وآخر من زغب فأكل منه والزغب القثاء والغلالة مسمار من مسامير الدروع قال * فهن وضاء صافيات الغلائل * والغلالة الجماعة من الناس والخاتم شعرات بيض فى قوائم الفرس والسوار مصدر ساورت الرجل والخلخال الرمل الجريش والطوق المصدر من الطاقة وقرطتها من القرط وهو العلف الرطب تأكله الدواب فاذا يبس فهو القت وشنفتها

جعلتها

جعلتها مشنفة أي مبغضة من شنفت الرجل اذا أبغضته وكسوتها ضربت كساها وهو جانبها وجانب كل شئ كساه والجمع أكساء والقينة هزمة بين الورك وعجب الذنب من الفرس والعود الذي يتبخر به والزمارة الفاجرة ومنه نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كسب الزمارة والزمارة الغل وفي خبر الحجاج أتي سعيد بن جبير وفي عنقه الزمارة أي ساجور والطبل السلة التي يجعل فيها الطعام والطبل الخراج والمغنية ناقة تضرب بنابها والرباب سحاب متراكب قريب من الارض والنبيذ ما نبذته النعام أو الحمير بارجلها من الحصى * وتقول مالي مركوب وما بعت عبدا وقد افتقرت حتى ما في ملكي نفقة يوم مالي يعني ملكي ومركوب ضربت ركبته وثنية بالحجاز وعبد جبل من جبال طئ وافتقر اشتد فقاره أو كسر فقار جدي أو حمل والملك الحجة *وتقول ما أضعت عملك ولا قصرت ولا أهملت ولا فرطت ولا سامحت أحدا ولا تركت واجبا ولا ارتفقت بحبة ولا أبقيت غاية في مناصحتك أضعت كثرت ضياعي وفرطت بعثت فارطا وهو طالب الماء وقصرت بنيت قصرا وأهملت كثرت هواملي وهي الابل السارحة في المرعى بلا راع وسامحت نظرت أينا أكرم والواجب الساقط وارتفقت نمت على مرفقي والغاية راية الخمار *وتقول ما شمت له أبا ولا عما ولا عمة ولا خالا ولا خالة ولا صحبته ولا شاهدته ولا راسلته ولا شاربته ولا نادمته ولا رأيته منذ دهر أبا داء يأخذ المعزى قال

* أبا لا خال الضأن منه نواجيا * وعم قطعة من الناس وقرية بالشأم والعمة النخلة قال صلى الله عليه وسلم نعمت العمة لكم النخلة وقيل لها عمة لانها خلقت من بقية طينة آدم عليه السلام والخال السحاب والخال من البرود والخال من الخيلان والخالة جمع خال من الكبر وصحبته منعته قال تعالى ولا هم منا يصحبون أي يمنعون وشاهدته أكلت معه الشهد وراسلته شربت معه الرسل وهو اللبن وشاربته من الشوارب ونادمته من الندم ورأيته ضربت رئته ودهر قبيلة من اياد * وتقول ما كتبت له حرفا ولا خططت له بقلم ولا شتمته ولا هجوته ولا افتريت عليه ولا أعرف عليه سوأ الحرف الناقة المضمرة والقلم القدح قال الله تعالى اذ يلقون أقلامهم يعني قداح الميسر والشتم قبح الوجه وهجوته أزلت نعمته وهو الهجى مقصور وافتريت لبست الفرو والسوء البرص * وتقول رأيته في السوق متوفى مقبورا وما أخذ دواء ولا معجونا فالسوق أصول الشجر وأعناقها متوفى دائما مقبورا مبخرا بالعود الهندي الذي فيه قبر أي رخاوة والدواء والدواية جلدة اللبن والمعجون المضروب على عجانه * وتقول هو مجنون مصاب قد غل مرارا فما اعتذرت له ولا تنصلت لانه ليس من الاجواد ولا الشجعان الذين يقذح في انسابهم المجنون المستور مصاب منحدر من صاب يصوب وغل من الغلة واعتذر وتنصل اتخذ عذارا ونصلا والاجواد العطاش والشجعان الحيات والانساب أسنان المشط * وتقول رأيت الجيش بالثغر والفارس في الفوارس فما أفضل عليه حد امن العرب والعجم الجيش الغليان والثغر شجر له شوك والفارس الحسن الفراسة أو الفوارس كثبان رمل والعرب فساد المعدة وعربت معدته والعجم النوى وما أكلت دابتي شعيرا الشعير جمع شعيرة وهو مسمار من الفضة في قائم السيف والباب متسع وفيه تانس لما ذكره أبو محمد * ومن المعاريض ان الحجاج لما اخرج ابن القبعثرى من سجنه

قال له سمنت باغضبان قال القيد والرتعة والخفض والدعة ومن يكن ضيف الامير يسمن قال لأحملنك على الأدهم قال مثل الامير يحمل على الادهم والورد والكميت قال انه حديد قال يكون حديدا خير من أن يكون بليدا قال اضربوا به الارض قال منها خلقنا كم وفيها نعيدكم قال جروه قال بسم الله مجراها ومرساها قال احملوه على الايدى فلما حمل قال سبحان الذى سخر لنا هذا فضحك الحجاج وقال غلبنا هذا الخبيث خلوه الى صفحى عنه قال فاصفح عنهم وقل سلام * وقال خالد بن الوليد لعبد المسيح بن عمرو الغسانى وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة من أين أقصى أثرك قال من صلب أبى قال من أين خرجت قال من بطن أمى قال فعلام أنت قال على الارض قال ففيم أنت قال فى ثيابى قال أتعقل لاعقلت قال اى والله وأقيد قال ابن كم أنت قال ابن رجل واحد قال فاسنك قال عظم قال ماتزيدنى مسئلتك الاعيا قال ماأجبتك الاعن مسئلتك * الربيع بن عبد الرحمن قلت لاعرابى أتهمز اسرائيل قال انى اذا لرجل سوء أراد قوله هماز مشاء بنميم قلت اتجر فلسطين قال انى اذا القوى * خلف الاحمر قلت لاعرابى ألق عليك بيتا قال على نفسك فألقه * قيل لاعرابى أتهمز الفارة قال الهر يهمزها ودخل رجل من محارب قيس على عبد الله بن يزيد الهلالى عامل ارمينية وقد بات على قرب من غدير فيه ضفادع فقال عبد الله ماتركتنا شيوخ محارب ننام فى هذه الليلة لشدة اصواتها فقال المحاربى أصلح الله الامير انها أضلت برقعا فهى فى بغائه اراد الهلالى قول الاخطل

تنق بلاشئ شيوخ محارب * وماخلتها كانت تريش ولاتبرى

ضفادع فى ظلماء ليل تجاوبت * فدل عليها صوتها حية البحر

(وأراد المحاربى قول الآخر)

لكل هلالى من اللؤم برقع * ولابن هلال برقع وقميص

وهذا النحو من التعريض كثير وقال أبو الحسن بن سراج رحمه الله تعالى

ياضرة الشمس التى أشرقت * قد أشرقت بحجة مشتاقك

لحظك اوخصرك قد ضمنا * ماضمنت عهدة ميثاقك

ثأر الهوى يطلبه ثائر * مصرعه مابين احداقك

لاتدخرى أنفس صوت فقد * رغب فى أنفس أعلاقك

رفقا بمن ملكته فى الهوى * فانه آخر عشاقك

فأنفس أعلاق المرأة معلوم والظرف كله فى قوله فانه آخر عشاقك يعرض انها اسنت فلا عاشق لها من بعده والقينة التى داعبها ومازحها تفهم ماخوطبت به لانها تلميذة ولادة بنت المكتفى وولادة شاعرة بارعة التندير فمن تندرها قولها فى ذى الوزارتين بن زيدون عاشقها تعرض له بشئ كان يزن به

مالابن زيدون على فضله * يغتابنى ظلما ولاذنب لى

يلحظنى شزرا اذاجئته * كانما جئت لاخصى على

وعلى صبيه وكان يمزح معه (قوله يغضغضه) ينقصه (الماتح) المستقى من أعلى البئر والمائح بالياء من قعرها (حبر) عالم (أطرق) امال رأسه ساكتا (وأرم) سكت (العى) الذى ان كلمته لم

فقال له السائل لله درك من بحر لايغضغضه الماتح وحبر لايبلغ مدحته المادح ثم أطرق اطراق الحى وأرم ارمام العى فقال له أبو زيد

يحسن ردجوابه (ايه) بمعنى زدنى من سؤالك * ابن السرى اذا قلت ايه يا رجل فانما تأمره أن يزيدك من الحديث المعهود بينكما كأنك قلت هات الحديث وان قلت ايه بالتنوين فكأنك قلت هات حديثاما (فالى متى) سكوتك (مرماة) سهم يرمى به السبق وقيل هو سهم مدور النصل (بعد اشراق صبحك) أى بعد ظهور فضلك واشراق ضوء (مماراة) شك (أبنت) بينت (ذلق) حديد (صهصلق) شديد (مثلة) مغير الخلق فهى فعلة من المثل ويقال المثلة والمثل بمعنى

*ونذكر على قوله انا فى العالم مثلة فصلا فى ذكر قباح الوجوه من العلماء وغيرهم فمنهم الجاحظ وأراد المتوكل ان يعلم بنيه الثلاثة وولاة عهده فأدخل عليهم فارتاعوا من قبح وجهه فأخرج عنهم بعنف * وحكى المسعودى أن الجاحظ قال ذكرت للمتوكل لتعليم بعض ولده فلما رآنى استبشع منظرى فأمر لى بعشرة آلاف درهم وصرفنى وقال الحمدونى

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا * لرأيته فى دون قبح الجاحظ
رجل ينوب عن الجحيم بوجهه * وهو العدو لكل عين لاحظ

قال الاصمعى رحمه الله دخلت يوما على جعفر بن يحيى فقال لى هل لك يا أصمعى من زوجة قلت لا قال فجارية قلت للمهنة قال فهل لك ان أهب لك جارية نظيفة قلت انى لمحتاج الى ذلك فأمر بجارية فأخرجت وهى فى غاية الحسن والجمال والهيئة والظرف فقال لها قد وهبتك لهذا وقال لى خذ هذه فشكرته وبكت الجارية وقالت يا سيدى أتدفعنى لهذا الشيخ مع ما أرى من سماجته وقبح منظره وجزعت جزعا شديدا فقال لى يا أصمعى هل لك أن أعوضك منها ألف دينار فقلت ما أكره ذلك فأمر لى بها ودخلت الجارية فقال لى يا أصمعى أنكرت عليها شيأ فأردت عقوبتها بك ثم رحمتها منك فقلت أيها الامير أفلا أعلمتنى قبل ذلك فانى لم آتك حتى سرحت لحيتى وأصلحت وجهى وعمتى فلو عرفت الخبر لسترت على هيئتى وخلقتى فوالله لو رأتنى كذلك لما عاودت شيأ تنكره أبدا وماضر من ذكرنا قبحهم مع العلم الذى زينهم الله به وكذا ينبغى لمن خلق قبيح الصورة أن يستعمل لها الاخلاق الحسان والافعال الحسان لئلا يجمع بين قبيحين * كان الاويقص المخزومى أقبح الناس خلقة وما رؤى مثله فى العفاف والزهد وكان قاضى مكة فقال يوما لجلسائه قالت لى أمى يا بنى انك خلقت خلقة لا تصلح معها لمجالسة الفتيان فى بيوت القيان فعليك بالدين فان الله تعالى يرفع به الخسيسة ويتم به النقيصة فنفعنى الله بكلامها فوليت القضاء * وروى أن أم مالك بن أنس أوصته بمثل هذه الوصية حين أراد أن يتعلم الغناء فى حداثته فتركه وتعلم العلم فذهب به حيث بلغ * وكان عطاء بن أبى رباح اعور اسود أفطس أشل أعرج ثم عمى وأمه سوداء تسمى بركة وقيل لاهل مكة بعد موته كيف كان عطاء بن أبى رباح فيكم قالوا كان مثل العافية التى لا يعرف فضلها حتى تفقد وكان فى خلقة أبان بن عثمان كل عيب وكان يضرب بعيوبه المثل فى المدينة * كان معن بن زائدة أمير اليمن يوما جالسا اذ أتته امرأة من بنى سهم ومعها ابن صغير يتبعها ويطأ أذيالها فقالت أصلح الله الامير ان عمى زوجنى من ليس بكفء فقال من هو فقالت ابن ذى مناجب فقال على به فدخل أقبح من خلق الله وأشوههم خلقا فقال من هذه منك قال امرأتى قال خل سبيلها ففعل فاطرق معن ساعة ثم رفع رأسه فقال

لعمرى لقد أصبحت غير محبب * ولا حسن فى عينها ذا مناجب

(ذكر قباح الوجوه من أهل العلم وغيرهم)

ايه يا فتى فالى متى والى متى فقال له انه لم يبق فى كنانتى مرماة ولا بعد اشراق صبحك مماراة فبالله أى ابن أرض أنت فما أحسن ما أبنت فأنشد بلسان ذلق وصوت صهصلق
أنا فى العالم مثله
ولاهل العلم قبله

فالمتها لما تبينت وجهه * وعيناله خوصاء من تحت حاجب
وأنفا كانف البكر يقطر نائئا * على لحية عضباء منه وشارب
أتيت بها مثل المهاة تسوقها * فيا حسن مجلوب ويا شر جالب

وكان تزوجها بمكة وقدم بها اليمن والصبي هو ابن جامع المغني المشهور * وحكى البحترى فى نوادره عن رجل سماه قال مررت بامرأة من أجمل الناس معها رجل من أقبحهم فقلت لها يا أمة الله من هذا منك قالت رجليه فقلت ومن قرنك به قالت اخيه فقلت

جزى الرحمن عنك أخاك شرا * فقد أخزاك فى الدنيا وزادا
فلم أر مغزلا قرنت بكلب * ولا خزا بطانته بجادا

وقال آخر

ألا رب بيضاء المحاجر طفلة * تساق الى وغد من القوم تنبال
يقولون جرتها اليك قرابة * فويح العذارى من بنى العم والخال

وقال آخر

لابن عبد النور وجه * صار للقبح ملاذا
قال قرد اذ رآه * لعنة الله على ذا

وقال فى بشار

تواثب اقمارا وأنت مشوه * وأقرب خلق الله من شبه القرد

وكان بشار ضخما قبيح الوجه جاحظ الحدقتين أقبح الناس عمى ومنظرا فقال فيه حماد عجرد

ألا من مبلغ عنى الذى والده برد
اذا ما نسب الناس * فلا قبل ولا بعد
وأعمى يشبه القردا * اذا ما عمى القرد

فقال بشار عندما سمع هذا البيت ما أخطأ ابن الزانية من صفتى نقرة وجعل يبكى ويقول ما حيلتى يرانى ويشبهنى ولا أراه فأشبهه وبعده

ولو تلقيه فى صلد * صفا لانصدع الصلد
هو الكلب اذا ما ما * ت لم يوجد له فقد

وأنشده رجل قول حماد

دعيت الى برد وأنت لغيره * وهبك لبرد نكت أمك من برد

فقال له ههنا أحد قال لا قال أحسن والله ابن الزانية ولقد تعين له فى بيت واحد على خمسة معان من الهجو وهى دعيت الى برد معنى وأنت لغيره معنى ثان وهبك لبرد معنى ثالث نكت أمك شتم واستخفاف مجرد وهو معنى رابع ثم ختمها بقوله من برد فأتى بالطامة الكبرى وأوجع ما مر عليه من قول حماد

لو طليت جلدته عنبرا * لافسدت جلدته العنبرا
أو طليت مسكا ذكيا اذا * تحول المسك عليه خرا

* كان حفص بن أبى وردة أفطس أعفص مقبح الوجه وكان حماد صديقه فتناشدوا الشعر يوما فطعن حفص على مرقش فقال حماد

لقد كان فى عينيك يا حفص شاغل * وأنف كثيل العود عما تتبع
تشنع لحنا فى كلام مرقش * ووجهك مبنى على اللحن أجمع

فأذناك اقواء وأنفك مكفأ * وعيناك ايطاء فأنت المرقع

أخذ تشبيه الانف بالشبل من قول كعب فى الوليد بن عبد الملك .

فقدت الوليد وأنفاله * كشبل البعير أبى أن يولا

قال أبو زيد رأيت اعرابيا كان أنفه كوز من عظمه فرآنا نضحك فقال لنا ما يضحككم فوالله لقد كنت فى قوم يسمونى الافطس وقال الشاعر

اذا أنت أقبلت فى حاجة * اليه فكلمه من خلفه

فان أنت واجهته بالكلام * لم يسمع الصوت من أنفه

وقال آخر

انّ عيسى انف أنفه * أنفه ضعف لضعفه

لو تراه راكبا والأنف قد مال بعطفه

لرأيت الانف فى السرج * وعيسى ردف أنفه

(وقال الحسن فى جعفر بن يحيى)

ذاك الوزير الذى طالت علاوته * كأنه ناظر فى السيف بالطول

(وقال أبو على الخليع)

سابور ويحك ما أخسك بل أخصك بالعيوب .

وجه قبيح فى التبسم كيف يحسن فى القطوب

كان جحظة البرمكى ناتئ العينين جدا قبيح الوجه فقال فيه ابن الرومى

نبئت جحظة تستعير جحوظه * من فيل شطرنج ومن سرطان

يا رحمة لمنادميه تحملوا * ألم العيون للذة الآذان

وكان طيب الغناء وحضر مجلسه على بن بسام فتفرق القوم الحذاق فقال جحظة مالى لا أعطى مخدّة فقال له ابن بسام غنّ فالمخادّ كلها اليك تصير وقال فيه

يامن هجوناه فغنانا * أنت وحق الله أهجانا

سيان ان غنى لنا جحظة * أو هر مجنون فزنانا

وله فيه أيضا

لجحظة المحسن عندى يد * أشكرها منه الى المحشر

لما رآنى رد برذونه * وصاننى عن وجهه المنكر

كان الحطيئة قبيح المنظر كثير الشر فالتمس يوما انسانا يهجوه فلم يجد فجعل يقول

أبت شفتاى اليوم الا تكلما * بشرّ فما أدرى لمن أنا قائله

فاطلع فى ماء فرأى وجهه فقال

أرى لى وجها قبح الله شخصه * فقبح من وجه وقبح حامله

نظر الى هذا اسمعيل بن معمر القراطيسى فقال

ويلى على ساكن شط الفراه * مزاحه على الحياه

ما تنقضى من عجب فكرتى * من خصلة فرّط فيها الولاه

ترك المحبين بلا حاكم * لم يقعدوا للعاشقين القضاه

وقد أتانى خبر ساءنى * مقالها فى السر واسوأتاه

أمثل هذا يبتغي وصلنا * أما يرى ذا وجهه في المراه

وقال الاصبهاني ان القراطيسي سأل العباس بن الاحنف فقال له يا أبا الفضل هل قلت في معنى قولي هذا شيأ فقال قلت

جارية أعجبها حسنها * ومثلها في الناس لم يخلق

خبرتها أني محب لها * فأقبلت تضحك من منطق

والتفتت نحو فتاة لها * كالرشا الوسنان في قرطق

قالت لها قولي لهذا الفتى * انظر الى وجهك ثم اعشق

(وقال الصقلي في صفة عذول قبيح)

رأى وجه من أهوى عذولي فقال لي * أجلك عن وجه أراه كريها

فقلت له بل وجه حبي مراءة * فأنت ترى تمثال وجهك فيها

(ولابن القابلة السبتي)

ووجه حبيب رق حسنا أديمه * يرى الصب فيه وجهه حين ينظر

تعرض لي عند اللقاء به رشا * تكاد الحيا من محياه تقطر

ولم يتعرض كي أراه وانما * أراد يريني أن وجهك أصفر

(ولبعض المصريين في غلام يهواه)

يجري النسيم على غلالة خده * وأرق منه ما يمر عليه

ناولته المرآة ينظر وجهه * فعكست فتنة ناظريه اليه

(وقال الرمادي)

واذا أراد تنزها في روضة * أخذ المراة بكفه فتنزها

كان للفضل بن سهل وصيفة ظريفة كثيرة الملح والنوادر وكانت ساقيته وكان أبو نواس يولع بها ويمازحها فقال لها يوما اني أحبك وتبغضيني فلم ذلك فقالت له وجهك والحرام لا يجتمعان فقال

مذكرة مؤنثة مهاة * اذا برزت تشبهها غلاما

تعاف الماء والعسل المصفى * وتشرب من فتوتها المداما

تقول لحظها يا سيف أبشر * ستروى من دم وتشق هاما

وقائلة لها في وجه نصح * علام قتلت هذا المستهاما

فكان جوابها في حسن مس * أأجمع وجه هذا والحراما

(ومن ملح ابن لنكك في اهاجي أبي رياش)

على القبح الفظيع أبو رياش * يعاشرنا باخلاق ملاح

يبيح أكفنا أبدا قفاه * فنصفعه على وجه المزاح

(وله فيه أيضا)

قل للوضيع أبي رياش لا تبل * ته كل تيه بالولاية والعمل

ما ازددت حين وليت الا خسة * كالكلب أنجس ما يكون اذا اغتسل

(قوله تعريس) أي نزول آخر الليل (يهدى) الاول يرشد و يدل على الطريق و يقال هداه يهديه

غير أني كل يوم
بين تعريس ورحله
والغريب الدار لو حل
ل بطوبى لم تطب له
ثم قال اللهم كما جعلتنا ممن
هدى و يهدى فاجعلهم

هدى فى الدين وهداه يهديه هداية فى الطريق (يهدى) يعطى هدية ويقال أهداه هدية يهديها اهداء اذا أعطاها (الذود) مابين الثلاث الى العشر من الابل ولا تكون الا اناثا (قينة) جارية مغنية ويقال القينة الامة كانت مغنية أو غير مغنية (الفينة) الساعة والحين ويقال انى لآتيه الفينة بعد الفينة وفينة بعد فينة يستعمل بالالف واللام وبتركهما أى أديم الاختلاف اليه الحين بعد الحين والوقت بعد الوقت (يزجى) يسوق (السفيه) البطال المشتغل باللهو (هنيهة) سويعة تصغير هنة ويقال فى تصغيرها هنية وهنيهة كما تصغر سنة سنية وسنيهة (يجول) يتصرف (لبوسا) ثوبا يشا كله أخذه من قول النابغة

البس لكل حالة لبوسها * اما نعيمها واما بوسها

(لابست) خالطت (صرفيه) حاليه من الخير والشر (عاشرت) صاحبت (يلائمه) يوافقه (أروق) أعجب والصرف اسم لحادث الدهر لانه يصرف الاشياء عن وجوهها (طورا) مرة (أقرى المسامع) أعطى الآذان واجعل فيها البيان (امانطقت) أى ان نطقت (الحرون) الذى يأبى المشى والانقياد (الشموس) الذى اذا نخس وثب وقيل الذى يمنع الركاب (البراع) الاقلام ارعفها أسالها بالمداد (يحلى) يزين (الطروس) الكتب سميت بذلك لانها ممحوة والمطروس الممحو قال رؤبة * كما رأيت الطلل المطروسا * وعلى ذكر البراع قال محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمى فى قلم

وأهيف طاوى الكشح اسمر ناطق * له جولان فى بطون المهارق
كان اللآلى والزبرجد نطقه * ونور الخزامى فى عيون الحدائق
اذا استعجلته الكف أمطر خاله * بلا صوت ارعاد ولا صوب بارق

(وقال ابن عبد ربه)

بكفه ساحر البيان اذا * أداره فى صحيفة سحرا
مهفهف تزدهى به صحف * كأنما حليت به دررا
يكاد عنوانها روعته * ينبيك عن سرها الذى استترا

(وقال التهامى)

يلقى العدا من كتبه بكتائب * يجررن من زرد الحروف ذيولا
فترى الصحيفة حلبة وجيادها * أقلامها وصريرهن صهيلا
فى كفه قلم أتم من القنا * طولا وهن أتم منه طولا

وله أيضا

وإذا راش بالانامل منه * قلما واستمد ساء وسرا
قلما دبر الاقاليم حتى * قال فيه أهل التناسخ أمرا
يتبع الرمح أمره فابن عشرين ذراعا بالرأى يخدم شبرا

(السها) نجم خفى (خلبن) خدعن (أسارن) أبقين والسؤر البقية وفى الحديث اذا أكلتم فأسئروا واوأخذت سائره معناه بقيته (الرسيس) أول برد الحمى يريد أن هذه الملح لعذوبتها اذا حلت فى القلب أحدثت فيه حركة وهزة واذا سمع ذو الذكاء كلاما مستطرفا من نثر أو نظم وجد له دبيبا وقشعريرة وأخذ وكم مشكلات من قول على رضى الله عنه

اذا المشكلات تصدين لى * كشفت حقائقها بالنظر

ممن يهتدى ويهدى فساق اليه القوم ذود امع قينة وسألوه أن يزورهم الفينة بعد الفينة فنهض يميتهم العود ويزجى الامة والذود (قال الحرث بن همام) فاعترضته وقلت له عهدى بك سفيها فتى صرت فقيها فظل هنيهة يجول ثم انشد يقول

لبست لكل زمان لبوسا
ولابست صرفيه نعمى وبوسا
وعاشرت كل جليس بما
يلائمه لأروق الجليسا
فعند الرواة أدير الكلام
وبين السقاة أدير الكؤسا
وطورا بوعظى أسيل الدموع
وطورا بلهوى أسر النفوسا
وأقرى المسامع امانطقت
بيانا يقود الحرون الشموسا
وان شئت أرعف كفى اليراع
فساقط درا يحلى الطروسا
وكم مشكلات حكين السها
خفاء فصرن بكشفى شموسا
وكم ملح لى خلبن العقول
وأسأرن فى كل قلب رسيسا

وان برقت فى تخيل الصوا * ب عمياء لا يجتليها البصر
مقنعة بغيوب الامور * وضعت عليها صحيح الفكر
لسانا كشقشقة الارحبى أو كالحسام اليمانى الذكر
وقلبا اذا استنطقته الفنو * ن ترعليها نداه درر

(ذكر مدح الشعراء للشعر)

(عذراء) قصيدة بكر لم يسبق اليها (فهت) نطقت (اثنى) رجع (طليقا) منتشرا فى الناس (حبيسا) موقوفا عليها لا يتعداها لغيرها ومدح الشعراء للشعر باب شاؤه بعيد وسنذكر لحبيب وهو المبرز فيه ولغيره مايستحسن ويستجاد قال حبيب

وعذراء فهت بها فانثنى
عليها الثناء طليقا حبيسا

جاءتك من نظم اللسان قلادة * سمطان فيها اللؤلؤ المكنون
حذيت حذاء الحضرمية أرهفت * فأجادها التحصين والتبيين
انسية وحشية كثرت بها * حركات أهل الارض وهى سكون
أما المعانى فهى أبكار اذا * فضت ولكن القوافى عون

وقال أيضا فوالله لا انفك أهدى قصائدا * اليك يحملن الثناء المجللا
يخالك بهابرد عليك مجدد * وتحسبه درا عليك مفصلا
ألذ من السلوى وأطيب نفحة * من المسك مفتوقا وأيسر محملا
أخف على سمع وأثقل قيمة * وأقصر فى سمع الجليس وأطولا

(وقال البحترى)

تطوف القوافى فيكم فكأنما * يطير اليكم من علو قصيرها
وكم لى من محبوكة الوشى فيكم * اذا أنشدت قام امرؤ يستعيرها

وقال أيضا ألست الموالى فيك نظم قصائد * هى الانجم اقتادت مع الليل أنجما
ثناء كأن الروض منه منوّر * ضحى وكأن الوشى فيه مسهما

وقال أيضا اليك القوافى نازعات قواصد * يسير ضاحى وشيها وينمنم
ومشرقة فى النظم غر ايزيدها * بهاء وحسنا أنها لك تنظم
ضوامن للحاجات اماشوافعا * مشفعة أوحاكمات تحكم

(وقال على بن الجهم)

ولكن احسان الخليفة جعفر * دعانى الى ماقلت فيه من الشعر
فسار مسير الشمس فى كل بلدة * وهب هبوب الريح فى البر والبحر

(ولابن الرومى يهجو)

خذها اليك منيحة سيارة * فى الناس من بادومن متحضر
تغدو اليك بحاصب وبتارب * وعلى الرواة بلؤلؤ متخير

(وقال السرى الموصلى)

أتتك يجول ماء الطبع فيها * مجال الماء فى السيف الصقيل
قواف ان ثنت للمرء عطفا * ثنى الاعطاف فى برد جميل

وقال أيضا شرقت بماء الطبع حتى خلتها * شرقت لرونقها بشبر ذائب

ويقول

ويقول سامعها اذا ما أنشدت * اعقود حمد أم عقود كواكب

وقال أيضا
ألفاظها كالدر في الفاظه * لا بل تزيد عليه في لألائه
من كل رائعة الجمال كأنما * جاد الشباب لها برونق مائه
والشعر بحر حزت أنفس دره * وتنافس الشعراء في حصبائه

وقال أيضا
لفظ صقلت متونه فكأنه * في مشرقات النظم در سحاب
وكأنما أجريت في صفحاته * حر اللجين وخالص الزرياب
أغربت في تحبيره فرواته * في نزهة منه وفي استغراب
وقطعت منه شبيبة لم تشتغل * عن حسنه بصبا ولا تصاب
واذا ترقرق في الصحيفة ماؤه * عبق النسيم فذاك ماء شباب
يصغي اللبيب له فيقسم لبه * بين التعجب منه والاعجاب
جد يطير شراره وفكاهة * تستعطف الاحباب للاحباب

قال يحيى بن أكثم لمحمد بن حازم ما في شعرك شئ غير انك لا تطيله فقال
أبى لي أن أطيل الشعر قصدي * الى المعنى وعلمي بالصواب
فأبعثهن أربعة وخمسا * مثقفة بألفاظ عذاب
خوالد ما حدا ليل نهارا * وما حسن الصبا بأخي الشباب
وهن اذا وسمت بهن قوما * كاطواق الحمائم في الرقاب
وهن اذا أقمن مسافرات * تهاداها الرواة مع الركاب

على انني من زماني خصصت
بكيد ولا كيد فرعون موسى
يسعر لي كل يوم وغى
أطا من لظاها وطيسا وطيسا
ويطرقني بالخطوب التي
يذبن القوى ويشبن الرؤسا
ويدني الى البعيد البغيض
ويبعد عني القريب الأنيسا
ولولا خساسة اخلاقه
لما كان حظي منه خسيسا

(قوله على اني) أي مع اني (وقوله ولا كيد فرعون موسى) أضاف فرعون الى موسى لان الفراعنة كانوا جماعة وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل أمة فرعونا وفرعون هذه الامة أبو جهل وفرعون موسى كان أكبر الفراعنة كيدا وأطولهم عمرا وأعتاهم على الله وأسراهم مملكة * ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال موسى عليه الصلاة والسلام يارب أمهلت فرعون أربعمائة سنة وهو يقول أنا ربكم الاعلى ويكذب بآياتك ويجحد رسلك فأوحى الله تعالى اليه انه كان حسن الخلق سهل الحجاب فاحببت ان أكافئه وأما عذابه لبني اسرائيل فقد قدمناه في الخاسسة * ومما يحكى عنه انه كان يأمر بالقصب فيشق ويجعل أمثال الشفار ثم يضف بعضه الى بعض ثم يؤتى بالحبالى من بني اسرائيل فيوقفن عليه فيحز أقدامهن حتى ان المرأة لتضع ولدها فيقع بين رجليها فتظل تطؤه تتقي به حد القصب عن رجليها قال وهب بن منبه بلغني انه ذبح في طلب موسى تسعين ألف ولد ونسب الثعالبي المفسر فرعون فقال هو أبو العباس الوليد بن مصعب بن الريان بن اراشة بن ثروان بن عمرو بن فازم بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام (قوله يسعر) أي يهيج (وغى) حرب (لظاها) حرها (وطيسا) شدة وحمي الوطيس اشتدت الحرب وأصله تنور من حديد يطبخ فيه فشبهت شدة الحرب وحرارتها به وقيل هو حفرة يختبز فيها والوطيس الوطء الشديد والبلاء الذي يطس الناس أي يدقهم ويقتلهم (يطرقني) يقصدني ليلا (الخطوب) الامور الشداد (خساسة) حقارة (حظي) نصيبي * ومما قيل في معنى قوله * ويدني الى البعيد البغيض * البيت قول الزاهد بن عمران

المام كل ثقيل قد أضربنا * نروم نقصهم والشيء يزداد
ومن يخف علينا الايام بنا * وللثقيل مع الساعات ترداد
(ويقرب منه قول الشاعر)
وكيف يود القلب من لا يوده * بلى قد تريد النفس من لا يريدها
(وقال عدى بن الرقاع)
نبلتك أخت بنى لؤى اذ رمت * وأصاب نبلك اذ رميت سواها
وأعارها الحدثان منك مودة * وأعار غيرك ودها وهواها
(وهذا من قول الاعشى)
علقتها عرضا وعلقت رجلا * غيرى وعلق أخرى غيرها الرجل
وقال مسلم بن الوليد وهو صريع الغوانى وكان خاملا فولاه سهل جرجان فشرف فقال
أهل الصفاء نأيتم بعد قربكم * فما انتفعت بعيش بعدكم صافى
وقد قصدت ندى من لا يوافقنى * فكان سهمى عنه الطائش الطافى
أردت عمرا وشاء الله خارجة * أما كفى الدهر من خلفى واخلافى
ولهذا أشار ابن شرف بقوله
سل عن رضاى عن الزمان فانه * كرضا الفرزدق عن بنى يربوع
لله حال قد تنقل عهدها * كخلاف نقل الدهر حال صريع
دارت درارى الخطوب قواصدا * حتى نظرن الى من تربيع
(وله أيضا يشكى)
مالى أجاذب ذى الدنيا مولية * فكل ثوب عليها قد من دبر
أتى الزمان على يأس بهلبنى الدنيا كبشرى بمولود على كبر
وقال أيضا
انى وان عزنى نيل المنى لأرى * حرص الفتى خلة زيدت على العدم
تقلدتنى الليالى وهى مدبرة * كأننى صارم فى كف منهزم
وقال الحطيئة ضاقت على وجوه الرأى فى نفر * يلقون بالجحد والكفران احسانى
أقلب الطرف تصعيدا ومنحدرا * فما أقابل انسانا بانسانى
وقال أيضا لقد ماتت اخوتى الصالحون * فمالى صديق ومالى عماد
اذا أقبل الصبح ولى السرور * وان أقبل الليل ولى الرقاد

فقلت له خفض الاحزان ولا تلم الزمان واشكر لمن نقلك عن مذهب ابليس الى مذهب ابن ادريس

ذكر الامام الشافعى رضى الله عنه

(قوله خفض) أى سكن و(ابن ادريس) هو الامام الشافعى محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف يلتقى نسبه مع بنى هاشم وبنى أمية فى عبد مناف وقال صلى الله عليه وسلم نحن وبنو المطلب كهاتين وأشار باصبعيه السبابة والوسطى مضمومتين وحاصرت قريش بنى المطلب مع بنى هاشم فى الشعب وكان الشافعى أعلم الناس وأورعهم وأعبدهم وأجودهم فان أردت أن تقف على حفظه ومبلغ علمه فانظر رحلته ووصفه بعض أهل العلم فقال هو شقيق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسبه وشريكه

فى حسبه زوج المطلب ابنه هاشما الشفاء بنت هاشم بن عبد مناف أخيه فولدت له عبد يزيد جد الشافعى رضى الله عنه فكان يقال لعبد يزيد المحض لا قذى فيه فولد الشافعى رضى الله تعالى عنه هاشمان هاشم بن المطلب وهاشم بن عبد مناف فالشافعى ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم وابن عمته لان الشفاء أخت عبد المطلب فهى عمة النبى صلى الله عليه وسلم وأسلم السائب جده يوم بدر وكان صاحب راية بنى هاشم بن عبد مناف أسر وفدى نفسه فأسلم فقيل له لم تسلم قبل أن تفتدى فقال ما كنت أحرم المؤمنين طمعا لهم فى" قال أبو ثور ما رأيت ولا رأى الراؤن مثله وقال أحمد بن حنبل ما صليت صلاة منذ أربعين سنة الا وأنا أدعو الله للشافعى وقال له ابنه أى رجل كان الشافعى حتى تدعو له هذا الدعاء فقال يا بنى كان كالشمس للدنيا أو كالعافية للناس وحدث صالح ابن أحمد بن حنبل قال مشى أبى مع بغلة الشافعى فى ركابه فبعث اليه يحيى بن معين فقال له يا أبا عبد الله أما رضيت الا أن تمشى مع بغلته فقال يا أبا زكريا لو مشيت من الجانب الآخر لكان أنفع لك وما مس أحد محبرة الا وللشافعى فى عنقه منة * وقال الشافعى رضى الله عنه ما شبعت منذ ست عشرة سنة لان الشبع يثقل البدن ويقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة وقال ما حلفت بالله لا صادقا ولا كاذبا وقال ما ناظرت أحدا قط فأحببت أن يخطئ وما كلمت أحدا الا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه من الله رعاية وحفظ وما كلمت أحدا الا وأنا لا أبالى أن يبين الله الحق على لسانه أو لسانى وما أوردت الحجة على أحد فقبل منى الا هبته واعتقدت محبته ولا كابرنى على الحق أحد ودافع الحجة الا سقط من عينى ورفضته وكان يختم القرآن فى رمضان ستين مرة كل ذلك فى الصلاة * وقال الكرابيسى بت معه غير ليلة فكان يصلى نحوا من ثلث الليل فما رأيته يزيد على خمسين آية فاذا أكثر فمائة آية وكان لا يمر بآية فيها رحمة الا سأل الله لنفسه ولجميع المسلمين ولا بآية عذاب الا تعوذ منها وسأل النجاة منها لنفسه ولجميع المسلمين * وقال عمر بن عبد الله البلوى جلسنا يوما نتذاكر الزهاد والعباد والعلماء وما بلغ من زهدهم وفصاحتهم وعلمهم فبينما نحن كذلك اذ دخل علينا عمر بن نباتة وقال فيم تتحاورون فأعلمناه فقال عمر والله ما رأيت رجلا قط أورع ولا أخشع ولا أصبح ولا أسمح ولا أعلم ولا أكرم ولا أجمل ولا أجل ولا أفضل من محمد بن ادريس الشافعى خرجت أنا وهو والحرث بن لبيد الى الصفا وكان الحرث صاحب صالح المرى وكان من المتقين الخاشعين وكان حسن الصوت فقرأ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فرأيت الشافعى رضى الله عنه قد تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا ثم خر مغشيا على وجهه فلما أفاق جعل يقول أعوذ بك من مقام الكاذبين واعراض الغافلين اللهم خضعت لك قلوب العارفين وذلت لك قلوب المشتاقين اللهم هب لى جودك وجللنى بسترك واعف عن تقصيرى بكرم وجهك ثم قمنا وتفرقنا * وقال الربيع بن سليمان سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول أتى على عيد وليس عندى نفقة فاستسلفت سبعين دينارا النفقة أهلى فبينا أنا كذلك اذ أتانى رجل من قريش يشتكى الى الحاجة فأخبرته خبرى وقلت له خذ ما تحب فقال لى ما يقنعنى الا أكثر من هذه الدنانير فقلت له فخذها وبت ومامعى دينار ولا درهم فبينا أنا فى منزلى اذ أتانى رسول جعفر بن يحيى البرمكى يقول أجب الوزير فأجبته فقال ما شأنك فى هذه الليلة يهتف بى هاتف كلما دخلت فى النوم يقول

الشافعي الشافعي فأخبرته بالخبر فأعطاني خمسمائة دينار ثم قال أزيدك فاعطاني خمسمائة أخرى فلم يزل يزيدني حتى أعطاني ألفي دينار ومن جوده أن سوطه وقع من يده فأعطى من ناوله اياه خمسين دينارا وورد مكة بعشرة آلاف درهم فضرب خباءه خارجها فأتاه الناس فما برح من موضعه حتى فرقها وكان شاعرا مجيدا قال أبو القاسم بن الازرق دخلت عليه فقلت له يا أبا عبد الله أما تنصفنا لك هذا الفقه تفوز بفوائده ولنا هذا الشعر وقد جئت تداخلنا فيه فاما أفردتنا أو أشركتنا في الفقه وقد أتيت بأبيات ان أجزتها بمثلها تبت من الشعر وان عجزت تب منه فقال لي ايه يا هذا فأنشدته هذا الكلام

ماهمتي الا مقارعة العدا * خلق الزمان وهمتي لم تخلق
والناس أعينهم الى سلب الغنى * لا ينظرون الى الحجا والأولق
لكن من رزق الحجا حرم الغنى * ضدان مفترقان أي تفرق
لو كان بالحيل الغنى لوجدتني * بنجوم أقطار السماء تعلق

فقال الشافعي رضي الله تعالى عنه ألا قلت كما أقول ارتجالا

ان الذي رزق اليسار فلم ينل * حمدا ولا أجرا لغير موفق
فالجد يدني كل أمر شاسع * والجد يفتح كل باب مغلق
فاذا سمعت بأن مجدودا حوى * عودا فاثمر في يديه فحقق
واذا سمعت بأن محروما أتى * ماء ليشربه فغاض فصدق
وأحق خلق الله بالهم امرؤ * ذو همة يبلى بعيش ضيق
ومن الدليل على القضاء وكونه * بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق

فقلت له لا قلت شعرا بعدها * قال المبرد كان الشافعي رضي الله عنه أشعر الناس وآدب الناس وأعرفهم بالفقه والقراآت ولقد أخبرني بعض أصحابي أنه مات ولد لعبد الرحمن بن مهدي فكتب اليه الشافعي رضي الله عنه يا أخي عز نفسك بما تعزي به غيرك واستقبح من فعلك ما تستقبحه من غيرك واعلم ان أمض المصائب فقد سرور وحرمان أجر فكيف اذا اجتمعا مع اكتساب وزر فتناول حظك يا أخي اذا قرب منك قبل أن تطلبه وقد نأى عنك ألهمك الله عند المصائب صبرا وأحرز لنا ولك بالصبر أجرا وكتب اليه

اني أعزيك لا اني على ثقة * من الحياة ولكن سنة الدين
فما المعزى بباق بعد ميته * ولا المعزي وان عاشا الى حين

(وقال أيضا)

علمي معي حيثما يممت ينفعني * قلبي وعاء له لا بطن صندوق
ان كنت في البيت كان العلم فيه معي * أو كنت في السوق كان العلم في السوق

وقال أيضا

ومنزلة السفيه من الفقيه * كمنزلة الفقيه من السفيه
فهذا زاهد في قرب هذا * وهذا فيه أزهد منه فيه
اذا غلب الشقاء على سفيه * تقطع في مخالفة الفقيه

وناظر الشافعي محمد بن الحسن الكوفي بالرقة فقطعه الشافعي فبلغ ذلك هرون الرشيد فقال أما

علم

علم محمد بن الحسن اذا ناظر رجلا من قريش أنه يقطعه سائلا أو مجيبا والنبي صلى الله عليه وسلم يقول قدموا قريشا ولا تقدموا عليها وتعلموا منها ولا تعلموها فان علم العالم منها يسع طباق الارض وكان الشافعي يعظم محمد بن الحسن لعلمه واستعار منه شيأ من كتبه فلم يسعفه بذلك فكتب اليه الشافعي رضي الله تعالى عنه

قل للذي لم ترعينا من رآه مثله * ومن كأن من رآ * ه قد رأى من قبله
العلم ينهى أهله * ان يمنعوه أهله لعله يبذله * لأهله لعله

فبعث اليه بما سأل وقال في الفقيه ابن عبد الحكم وقد اعتل فعاده

مرض الحبيب فعدته * فمرضت من حذري عليه
شفي الحبيب فعادني * فشفيت من نظري اليه

وقال أبو سعيد سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول بيتين وهما

اني أرى نفسي تتوق الى مصر * ومن دونها عرض المهامه والقفر
فوالله ما أدري أللخفض والغنى * أقاد اليها أم أقاد الى القبر

قال فوالله ما كان الا قليل حتى سيق اليهما جميعا ورأيته بعد وفاته فقلت له ما فعل الله بك فقال اجلسني على كرسي من ذهب ونثر علي اللؤلؤ الرطب * وقال المزني دخلت عليه غداة وفاته فقلت له كيف أصبحت يا أبا عبد الله قال أصبحت من الدنيا راحلا ولا خواني مفارقا ولكاس المنية شاربا ولا أدري الى الجنة تصير نفسي فأهنيها أم الى النار فاعزيها ثم أنشا يقول

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي * جعلت الرجا مني لعفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته * بعفوك ربي كان عفوك أعظما

وكانت وفاته في رجب ليلة الجمعة سنة أربع ومائتين ودفن في صبيحتها وهو ابن أربع وخمسين سنة وصلى عليه السري بن الحكم أمير مصر ودفن بها نحو قبور الشهداء في مقبرة بني عبد الحكم وعند رأسه عمود من الحجر كبير وفيه مكتوب هذا قبر محمد بن ادريس الشافعي أمين الله وقال الشافعي أظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ورغب في مودة من لا ينفعه وقبل مدح من لا يعرفه * وقال من غلبت عليه شدة الشهوة بحب الدنيا لزمته العبودية لأهلها ومن رضي بالقنع زال عنه الخضوع وقال الربيع بن سليمان سمعت الشافعي يقول

وأنزلني طول النوى دار غربة * يجاورني من ليس مثلي يشاكله
أحامقه حتى يقال سجية * ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

(قال وسمعته ينشد)

صن النفس واحملها على ما يزينها * تعش سالما والقول فيك جميل
ولا تولين الناس الا تجملا * نبا بك دهر أو جفاك خليل
وان ضاق رزق اليوم فاصبر الى غد * عسى نكبات الدهر عنك تزول
ولا خير في ود امرئ متلون * اذا الريح مالت مال حيث تميل
وما أكثر الاخوان حين تعدهم * ولكنهم في النائبات قليل

قال وسمع رجلا يسفه على رجل من أهل العلم فقال لأصحابه نزهوا أسماعكم عن استماع الخنا كما

تنزهون ألسنتكم عن النطق به فان المستمع شريك القائل فان السفيه ينظر الى أخبث شئ فى وعائه فيحرص على أن يفرغه فى اوعيتكم * نظم بعضهم هذا المعنى فقال

فسمعك صن عن سماع الخنى * كصون اللسان عن النطق به
فانك عند استماع الخنى * شريك لقائله فانتبه

وكان الحسن البصرى رحمه الله اذا خطب الحجاج وذكر السلف يتكلم تشاغلا عن خطبته فقيل له فى ذلك فقال ان السامع والمتكلم شريكان ألم تسمع قول الشاعر

فجاءبه ناطق منهم * بليغ ومستمع صامت
فكل له حظه انه * أعان مع الناطق الساكت

وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود

ان كنت لاترهب ذمى لما * تعلم من صفحى عن الجاهل
فاخش سكوتى اذ أنا منصت * فيك لمسموعى خنى القائل
فالسامع القول كمن قاله * والموكل المأكول كالآكل

وذكر الفخديهى الشافعى فقال هو امام الانام ونظام الاسلام أحد الائمة الاربعة الاطواد الشامخة فى الدين الاجواد رضيع لبان النبوة أفضل العلماء وأعلم الفضلاء وصدر البدور وبدر الصدور وهادى الدعاة وداعى الهداة اكسير العلوم واكليل الرسوم علم العلماء شظية من علمه وحلم الحلماء جذوة من حلمه وعقائد الاصول مقتدحة من زناد كلماته وقواعد الفروع مقترحة من عداد نغماته فارس هيجاء المشكلات ومقوّم عوجاء المعضلات منبع السنن ومتبع السنن فاز بغلبات الاقران وحاز قصبات الرهان بطهارة الاعراق ودماثة الاخلاق وفخامة شرف الامومة وكرامة طرفى الابوة والعمومة درة الاصداف من صميم آل عبد مناف كشف الظلمة عن الامة وصرف عنهم المظلمة المدلهمة بعلم كالبحر اللجى ورأى كالبدر فى الليل الدجى مذهبه مؤيد بنصوص القرآن وفصول الفرقان أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان فهو بين المذاهب والاديان كالناظر فى الاجفان والسمع فى الآذان والعقل فى الانسان والعدل للسلطان أحله الله محل القدس وأدلى اليه سحاب الانس فى كلام أكثر من هذا (قوله دع الهتار) أى اترك تمزيق العرض وفلان يهاتر فلانا أى يسابه بالباطل من القول والقبيح من اللفظ وأصل الهتر سقط الكلام والباطل والمهاترة القول الذى ينقض بعضه بعضا وأهتر الرجل فهو مهتر اذا أولع بالقول فى الشئ واستهتر فهو مستهتر ذهب عقله فيه وانصرفت اليه همته (تهتك) تخرق وتكشف يريد انه لما عرض له بنقائصه قال له دع الضير وكشف العيب فليس هذا موضعه (انهض) تقدم (لنضرب) لنمشى فى الارض (نرحض) نغسل (المزار) زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم (درن الاوزار) وسخ الذنوب (هيهات) معناه بعد ذلك عنك (أفقه) أفهم و(ذمما) جمع ذمة وهى العهد (أمما) شيأ قريبا والامم القصد (هاك) أى خذ (المعمى) المغطى المشكل المعنى وأراد به شرح المائة الفتيا الملغزة ويقال لمن يطلب ما يمكن ولم يشتط طلب أمما قال قيس الرقيات

كوفية نازح محلتها * لاأمم دارها ولاصقب

فقال دع الهتار ولاتهتك الأستار وانهض بنا لنضرب الى مسجد يثرب فعسى أن نرحض بالمزار درن الاوزار فقلت هيهات أن أسير أو أفقه التفسير فقال تالله لقد أوجبت ذمما وطلبت اذ طلبت أمما فهاك ماينشى فى النفس وينفى اللبس (قال) فلما أوضح لى المعمى وكشف عنى

الصقب القرب (الغمى) هى الغمة التى تغطى على الذهن والمعمى الامر الملتبس (الاكوار) ماهو للابل كالبرادع للدواب (الشقة) السفر البعيد و (السول) المراد والمسؤل (أشأم وأعرقت) قصد الشأم وقصدت العراق * ونذكر هنا فصلا فى زيارة القبر المعظم وتوديع زائره له ووصف الروضة والمسجد وذكر يثرب وهى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم ومهاجره سماها طيبة لما كان اشتقاقها من التثريب وكان صلى الله عليه وسلم يغير الاسماء التى تدل على الاستقباح الى ضدها وقال صلى الله عليه وسلم من زار قبرى وجبت له شفاعتى * ابن عمر رضى الله عنهما يثرب أرض مدينة الرسول فى ناحية منها وقال شيخنا ابن جبير فى روضته صلى الله عليه وسلم شاهدنا الروضة المكرمة وقد وقع الاذان بوصول صدر الدين رئيس الشافعية الاصبهانى الذى ورث النباهة والوجاهة فى العلم كابرا عن كابر المعروف برئيس العلماء توارثه عن أب فأب وقد غص الحرم بالمنتظرين وقد أعد له كرسى بازاء الروضة المقدسة فصعد وحضر قراؤه أمامه فابتدؤا بالقراءة بنغمات عجيبة وتلاحين مطربة بهجة وهو يلحظ الروضة المقدسة ويعلن بالبكاء ثم أخذ فى خطبة من انشائه سحرية البيان وسلك فى أساليب من الوعظ باللسان وأنشد أبياتا بديعة من قوله كان يردد منها هذا البيت ويشير الى الروضة المعظمة المطهرة

هاتيك روضته تفوح نسيما * صلوا عليه وسلموا تسليما

وتمادى فى وعظه الى أن أطار النفوس من خشية ورقة وهو يعتذر من التقصير لهول ذلك المقام ويقول عجبا لالكن العجم كيف ينطق عند أفصح العرب وتهافتت الاعاجم عليه معلنين بالتوبة وقد طاشت ألبابهم ودهشت عقولهم فيلقون نواصيهم بين يديه فيستدعى الجلمين ويجزها ناصية ناصية وكلما جز ناصية كساها عمامة فتوضع عليه للحين عمامة أخرى ثم ختم مجلسه بأن قال معشر الحاضرين قد تكلمت لكم ليلة بحرم الله وهذه الليلة بحرم رسوله ولا بد للواعظ من كدية وأنا أسألكم حاجة ان ضمنتموها الى أرقت لكم ماء وجهى فى ذكرها فاعلن الناس بالاسعاف وشهيقهم قد علا فقال حاجتى أن تكشفوا رؤسكم وتبسطوا أيديكم ضارعين لهذا النبى الكريم فى أن يرضى عنى ويسترضى الله عز وجل لى ثم أخذ فى تعداد ذنوبه والاعتراف بها فأطار الناس عمائمهم وبسطوا أيديهم للنبى صلى الله عليه وسلم داعين له باكين متضرعين فما رأيت ليلة أكثر دموعا ولا أعظم خشوعا من تلك الليلة ثم انفض المجلس قال ابن جبير رحمه الله ثم كان فى اليوم التالى لهذه الليلة وداعنا للروضة المكرمة فياله وداعا ذهلت له النفوس ارتياعا حتى طارت شعاعا وماظنك بموقف ينادى بالتوديع فيه سيد المرسلين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين انه لموقف تنفطر فيه الافئدة وتطيش له الالباب المتئدة فوا أسفاه وا أسفاه كل يبوح لديه بأشواقه ولا يجد بدا من فراقه فما تستطيع الى الصبر سبيلا ولا تسمع فى ذلك المقام الارنة وعويلا وكل بلسان الحال ينشد

محبتى تقتضى مقامى * وحالتى تقتضى الرحيلا

بوأنا الله بزيارة هذا النبى الكريم منزل الكرامة وجعله شفيعنا يوم القيامة وأحلنا بفضله فى جواره الكريم دار المقامة ثم ذكر الروضة المقدسة مع المسجد العتيق الذى احتوى على الروضة فقال المسجد المبارك مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مستطيل وتحفه من جهاته الاربع

الغمى شددنا الاكوار
وسرت وسار ولم أزل من
مسامرته مدة مسايرته
فما أنسانى طعم المشقة
ووددت معه بعد الشقة حتى
اذا دخلنا مدينة الرسول
وفزنا من الزيارة بالسول
أشأم وأعرقت وغرب
وشرقت

(نبذة فى زيارة قبره عليه الصلاة والسلام)

بلاطات مستطيلة ووسطه كله صحن مفروش بالحصى والرمل وفى الصحن خمس عشرة نخلة فالجهة القبلية لها خمس بلاطات مستطيلة من غرب الى شرق والجنوبية كذلك على الصفة المذكورة والشرقية لها ثلاث بلاطات والغربية لها أربع بلاطات وطول المسجد مائة خطوة وست وتسعون خطوة وسعته مائة وست وعشرون خطوة وعدد سواريه مائتان وتسعون وهى أعمدة متصلة بالسمك دون قسى تنعطف عليها فكأنها دعائم قوائم وهى من حجر منحوت قطعا قطعا ململمة مثقوبة توضع أنثى فى ذكر ويفرغ بينهما الرصاص المذاب الى أن يتصل عمودا قائما وتكسى بغلالة جير ويبالغ فى صقلها ودلكها فتظهر كأنها رخام أبيض وتحف بالبلاط المتصل بالقبلة من البلاطات الخمس مقصورة تكتنفه من غرب الى شرق والمحراب فيها وعلى رأس المحراب حجر مربع أصفر قدر شبر فى شبر ظاهر البريق يقال انه كان مرآة كسرى وفى أعلى داخل المحراب مسمار مثبت فى جداره فيه شبه حق صغير لا يعرف من أى شئ هو ويزعمون انه كان كأس كسرى ونصف جدار القبلة الاسفل رخام موضوع ازارا على ازار مختلف الصنعة واللون مجزع أبدع تجزيع والنصف الاعلى من الجدار مرصع كله بفصوص الذهب المعروفة بالفسيفسا قد نتج الصانع فيه نتائج غريبة من الصنعة تضمنت تصاوير أشجار مختلفة الصفات مائلة الاغصان بثمرها والجداران الشرقى والغربى الناظران الى الصحن مجردان أبيضان مقرنصان قد زينا برسم يتضمن أنواعا من الاصبغة الى ما يطول وصفه من الاحتفال فى هذا المسجد المبارك وفى الجهة الشرقية بيت مصنوع من عود للمبيت بعض سدنته وسدنته فتيان أحابيش صقالب طراف الهيات نظاف الملابس والمؤذن الراتب فيه أحد أولاد بلال وفى جوف الصحن قبة كبيرة تعرف بقبة الزيت هى مخزن لجميع آلات المسجد وله تسعة عشر بابا لم يبق منها مفتوحا سوى أربعة اثنان فى الغرب ويعرفان بباب الرحمة وباب الخشية واثنان فى الشرق باب جبريل ويقابله دار عثمان التى استشهد بها وباب الرجاء وفى الشرق خمسة مغلقة وفى الغرب كذلك وفى الجنوب أربعة وفى القبلة واحد صغير وله ثلاث صوامع احداها فى الركن الشرقى على هيئة الصوامع واثنتان فى ركنى الجهة الجنوبية صغيرتان على هيئة برجين والروضة المقدسة مع آخر الجهتين الجهة القبلية مما يلى الشرق وقد انتظمت من بلاطاته مما يلى الصحن فى السعة اثنين وينفت الى البلاط الثالث بمقدار أربعة أشبار ولها خمسة أركان بخمس صفحات وشكلها شكل عجيب لا يكاد يتأتى تصويره ولا تمثيله والصفحات الاربع محرفة عن القبلة تحريفا بديعا لا يتأتى لاحد معه استقبالها فى صلاته لانه ينحرف عن القبلة والذى اخترع ذلك فى تدبيرها مخافة أن يتخذها الناس مصلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وأخذت من الجهة الشرقية سعة بلاطتين وانتظم داخلها من أعمدة الابلاطة ستة وسعة الصفحة القبلية منها أربعة وأربعون شبرا وسعة الصفحة الشرقية ثلاثون شبرا ومن الركن الشرقى الى الركن الجنوبى صفحة سعتها خمسة وثلاثون شبرا ومن الركن الجنوبى الى الغربى صفحة سعتها تسعة وثلاثون شبرا ومن الركن الغربى الى القبلى صفحة سعتها أربعة وعشرون شبرا وفى هذه الصفحة صندوق آبنوس مختم بالصندل مصفح بالفضة مكوكب بها طوله خمسة أشبار وعرضه ثلاثة أشبار وارتفاعه أربعة وهو قبالة رأس النبى صلى الله عليه وسلم فجميع سعة الروضة من جميع جهاتها مائة شبر واثنان وسبعون شبرا وهى مؤزرة بالرخام

البديع

البديع النحت الرائع النعت ويتنهى الازار منها الى نحو الثلث أو أقل يسيرا وعليه من الجدار المكرم ثلث آخر قد علاه تضميخ المسك والطيب مقدار نصف شبر مسودا مترا كما متشققا مع طول الازمنة والايام والذى يعلوه من الجدار شبابيك عود متصلة بالسمك الاعلى لان أعلى الروضة متصل بسمك المسجد والى حيز ازار الرخام تنتهى الاستار وهى لازوردية اللون مختمة بخواتم بيض مثمنة ومربعة وفى داخل الخواتيم دوائر مستديرة ونقط بيض تحف بها فمنظرها منظر بديع الشكل وفى أعلاها رسم مائل الى البياض وفى الصفحة القبلية امام وجه النبى صلى الله عليه وسلم مسمار فضة هو قبالة الوجه المكرم فيقف الناس امامه للسلام والى قدميه صلى الله عليه وسلم رأس أبى بكر رضى الله عنه ومما يلى كتفى أبى بكر رأس عمر رضى الله عنهما فيقف المسلم مستدبر القبلة ومستقبل الوجه الكريم فيسلم ثم ينصرف يمينا الى وجه أبى بكر ثم الى وجه عمر رضى الله تعالى عنهما وامام هذه الصفحة المكرمة نحو العشرين قنديلا معلقة من الفضة وفيها اثنان من ذهب . وفى جوفى الروضة حوض صغير مرخم فى قبلته شكل محراب قيل انه بيت فاطمة رضى الله تعالى عنها ويقال هو قبرها وعن يمين الروضة المكرمة المنبر الكريم ومنه اليها اثنتان وأربعون خطوة وهو فى الحوض المبارك الذى طوله أربع عشرة خطوة وعرضه ست خطا وهو مرخم كله وارتفاعه شبر ونصف وارتفاع المنبر نحو القامة أو أزيد وسعته خمسة أشبار وطوله خمس خطوات وأدراجه ثمانية وبابه على هيئة الشباك مقفل يفتح يوم الجمعة وطوله أربعة أشبار ونصف شبر والمنبر مغشى بعود الآبنوس ومقعد النبى صلى الله عليه وسلم من أعلاه ظاهر وقد طبق عليه لوح من الآبنوس غير متصل به يصونه من القعود عليه يدخل الناس أيديهم اليه ويمسحونه تبركا بلمس ذلك المقعد الكريم وعلى رأس رجل المنبر اليمنى حيث يضع الخطيب يده حلقة فضة مجوفة مستطيلة تشبه حلقة الخياط لكنها أكبر لاعبة تستدير فى موضعها يزعمون أنها كانت لعبة للحسن والحسين فى حال خطبة جدهما صلوات الله عليهم أجمعين وفى الروضة الصغيرة التى بين القبر والمنبر جاء الاثر انها روضة من رياض الجنة وقدرها ثمان خطا ويتزاحم الناس فى هذه الروضة للصلاة وبازائها لجهة القبلة عمود يقال انه مطبق على بقية الجذع الذى حن للنبى صلى الله عليه وسلم وقطعة منه فى وسط العمود ظاهرة يقبلها الناس ويمسحون خدودهم فيها وعلى حافتها فى القبلة منها صندوق كبير للشمع والانوار التى توقد أمام الروضة كل ليلة ومصلى الامام فى الروضة الصغيرة المذكورة الى جانب الصندوق وبينها وبين الروضة الكبيرة محمل كبير مدهون عليه مصحف كبير فى غشاء مقفل هو أحد المصاحف الاربعة التى وجه بها عثمان الى البلاد وبازاء المقصورة لجهة المشرق خزانتان كبيرتان محتويتان على كتب ومصاحف موقوفة على المسجد ويليها فى البلاط الثانى دفة لجهة الشرق ودفة مطبقة على وجه الارض الى سرداب يهبط اليه على ادراج تحت الارض يفضى الى خارج المسجد الى دار أبى بكر وهو كان طريق عائشة رضى الله عنهما اليها وذلك الموضع هو موضع الخوخة المفضية لدار أبى بكر رضى الله عنه التى أمر النبى صلى الله عليه وسلم بابقائها وبازاء دار أبى بكر دار عمر وابنه عبد الله بن عمر رضى الله عنهم أجمعين وفيما ذكرناه كفاية والله تعالى أعلم

(المقامة الثالثة والثلاثون التفليسية)

(شرح المقامة الثالثة والثلاثين وتعرف بالتفليسية)

(يفعت) شببت ولم أبلغ الحلم وقاربت ذلك * ابن أبي الخير يفع الغلام وأيفع اذا كان ابن سبع سنين فاذا ناهز الحلم قيل مراهق وكوكب فاذا أدرك قيل فيه حزور * غيره غلام يفعة غض الشباب وجارية يفعة والجمع ايفاع وأيفع فهو يافع على غير قياس قال ابن سيده رحمه الله ولم يقل أحد منهم يفع الغلام ولا موفع ومثله أبقل الموضع وأورس والورس نبت أصفر (جوب) قطع (الخلوات) حيث يخلو للذاته (أراعي) أحفظ (مأثم) اثم (الفوات) فوت الوقت (رافقت في رحلة) صاحبت في ارتحال وسفر (حللت بحلة) نزلت ببلدة والحلة جماعة البيوت والحلة القوم الحلول والجمع حلال (مرحبت) قلت مرحبا (الداعي) هو المؤذن وجاء من الاثر في تأخير الصلاة قوله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليصلي الصلاة ومافاته وقتها ولما فاته من وقتها أعظم أو أفضل من أهله وماله فهذا وقد أدرك آخر الوقت سيندم على فوات أوله وقال عليه الصلاة والسلام الوقت الاول من الصلاة رضوان الله والثاني عفو الله فقال أبو بكر رضي الله عنه رضوان الله أحب الي من عفوه وانما قال ذلك لان عفو الله لا يتصور الا عند اكتساب خطيئة * وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الصلاة يوما فقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة من النار ومن لم يحافظ عليها كان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف وقال عليه الصلاة والسلام ان الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله وكتب عمر رضي الله عنه الى عماله ان أهم أموركم عندي الصلاة من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع وجاء في القرآن فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وفي التفسير لم يتركوا الصلاة وانما أضاعوا وقتها وقال صلى الله عليه وسلم لا تفريط في النوم وانما التفريط في الذي يؤخر الصلاة الى وقت الاخرى وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون فقال هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها ومما يستطرف من هذا الباب أن المنصور قيل له ان أبا دلامة لا يحضر الصلاة لانه معتكف على الخمر وقد أفسد فتيان العسكر فلو أمرته بالصلاة معك لاصلحته وغيره فلما دخل عليه قال أبو دلامة الماجن قال يا أمير المؤمنين ما أنا والمجون وقد ساورت باب قبري فقال دعني من استكانتك وتضرعك واياك وأن تفوتك صلاة الظهر والعصر في مسجدي فان فاتتك لاحسنن أدبك ولاطيلن حبسك فوقع في شر أمر فلزم المسجد أياما ثم كتب رقعة ودفعها الى المهدي فأوصلها الى أبيه وفيها

ألم تعلما انا الخليفة لزني * لمسجده والقصر مالي وللقصر
أصلي به الاولى جميعا وعصرها * فويلي من الاولى وويلي من العصر
أصليهما بالكره في غير مسجدي * فمالي في الاولى وفي العصر من أجر
يكلفني من بعد ماشبت توبة * يحط بها عني الثقيل من الوزر
ووالله مالي نية في صلاتها * ولا البر والاحسان والخير من أمري
لقد كان في قومي مساجد جمة * ولم ينشرح يوما لغشيانها صدري
وماضره والله يغفر ذنبه * لو ان ذنوب العالمين على ظهري

فقال صدق دعوه يضل من يشاء ومايضرني ذلك والله لا يفلح هذا أبدا فدعوه يفعل مايشاء وكان

(ذكر النهي عن فوات وقت الصلاة)

(حكى الحرث بن همام) قال عاهدت الله تعالى مذ يفعت أن لا أؤخر الصلاة ما استطعت فكنت مع جوب الفلوات ولهو الخلوات أراعي أوقات الصلات وأحاذر من مأثم الفوات واذا رافقت في رحلة أو حللت بحلة مرحبت بصوت الداعي اليها واقتديت بمن يحافظ عليها

الجماز منقطعا الى أبى جزو الباهلى فتناسك أبو جزو فقال للجماز لا أحب أن تخالطنى الان تتنسك فأظهر النسك ثم كتب اليه

قد جفانى الامير كى أتقرى * فتقربت مكرها لجفائه
والذى أنطوى عليه المعاصى * علم الله نيتى من سمائه
ماقراة لمكره بقراة * قدرواه الامير عن فقهائه

*ومن مجون أبى نواس ان الامير لما نهاه عن الخمر وحبسه فكلمه فيه الفضل بن الربيع وأخرجه كتب اليه

أنت يا ابن الربيع علمتنى الخير وعودتنيه والخير عاده
فارعوى باطنى وراجعنى الحلم * فأحدثت رهبة وزهاده
لوترانى ذكرت بى الحسن البصرى فى حال نسكه أوقتاده
* التسابيح فى ذراعى والمصحف فى لبتى مكان القلاده
فاذا شئت أن ترى طرفة تعجب منها مليحة مستفاده
فادع بى لاعدمت تقويم مثلى * فتأمل بعينك السجاده
لورآها بعض المرائين يوما * لاشتراها يعدّها للشهادة
أثر لاح للصلاة بوجهى * توقن النفس أنه من عباده

وأذن بشار لاصحابه والمائدة بين يديه فأكل ولم يدعهم لطعامه ثم دعا بطشت وكشف عن سوأته فبال ثم حضر الظهر والعصر والعشاء الاولى والآخرة فلم يصل فقالوا له أنت أستاذنا وقد رأينا منك أشياء أنكرناها عليك قال وماهى قالوا دخلنا والطعام بين يديك فلم تدعنا اليه قال انما أذنت لكم لتأكلوا ثم ماذا قالوا دعوت بالطشت ونحن حضور فبلت ونحن نراك فقال أنا مكفوف وأنتم بصراء وأنتم المأمورون بغض البصر دونى ثم ماذا قالوا حضرت الصلاة فلم تصل فقال ان الذى يقبلها تفاريق يقبلها جملة هذا على أنه القائل

فاتفق حين دخلت تفليس

ألم ترأن الدهر يقدح فى الصفا * وان بقائى ان حييت قليل
خليلىّ ماقدّمت من عمل التقى * وليس لايام المنون خليل
فعش خائفا للموت أوغير خائف * على كل نفس للحمام دليل

(وقال الحسن رحمه الله تعالى)

وندمان يرى عيبا عليه * بأن يمسى وليس له انتشاء
اذا نبهته من نوم سكر * كفاه مرة منك النداء
اذا ماأدركته الظهر حيا * فلا ظهر عليه ولا عشاء
يصلى هذه فى وقت هذى * فكل صلاته أبدا قضاء

(ذكر مدينة تفليس)

(تفليس) مدينة بأرمينية بينها وبين قالى قلا ثلاثون فرسخا ومن قالى قلا ابتداء الانهار العظام أولها الفرات وقد تقدم يأخذ من قالى قلا فرسخين ثم يشق مغربا الى دبيل الى ورثان ثم يصب الى بحر الخزر والثانى الكبير يخرج من مدينة قالى قلا ثم يشق الى مدينة تفليس مشرقا الى مدينة بردعة وأرضها ثم يقرب من بحر الخزر فيلتقى مع الرس ويصيران نهرا واحدا ويقال ان خلف الرس ثلثمائة مدينة خراب وهى التى ذكرها الله تعالى وأصحاب الرس بعث اليهم حنظلة بن

أن صليت مع عصبة مفاليس فلما قضينا الصلاة وأزمعنا الانفلات برز شيخ بادي اللقوة بالي الكسوة والقوة فقال عزمت على من خلق من طينة الحرية وتفوق در العصبية الا ما تكلف لي لبثة واستمع مني نفثة ثم له الخيار من بعد وبيده البذل والرد فعقد له القوم الحبا ورسوا أمثال الربا فلما آنس حسن انصاتهم ورزانة حصاتهم قال يا أولي الابصار الرامقة والبصائر الرائقة أما يغني عن الخبر العيان وينبي عن النار الدخان شيب لائح ووهن فادح وداء واضح والباطن فاضح ولقد كنت والله ممن ملك ومال وولي وآل ورفد وأنال ووصل وصال فلم تزل الجوائح تسحت والنوائب تنحت حتى الوكر قفر والكف صفر والشعار ضر والعيش مر والصبية يتضاغون من الطوى ويتمنون مصاصة النوى ولم أقم هذا المقام الشائن وأكشف لكم الدفائن الا بعد ما شقيت ولقيت وشئت مما لقيت فليتني لم أكن بقيت ثم تأوه تأوه الاسف وأنشد بصوت ضعيف

أشكو الى الرحمن سبحانه
تقلب الدهر وعدوانه
وحادثات قرعت مروتي
وقوضت مجدي وبنيانه
واهتصرت عودي ويا ويل من
تهتصر الاحداث أغصانه
وأمحلت ربعي حتى جلت * من ربعي الممحل جرذانه وغادرتني حائرا بائرا * أكابد الفقر وأشجانه
من بعد ما كنت أخا ثروة * يسحب في النعمة أردانه يختبط العافون أوراقه *

صفوان فقتلوه فأهلكوا وقيل في أصحاب الرس غير ذلك وارمينية مقسومة على ثلاثة أقسام فالقسم الاول مدينة دبيل ومدينة قاليقلا ومدينة خلاط ومدينة شمشاط ومدينة السواد والجزء الثاني مدينة بردعة ومدينة البيلقان ومدينة قبلة ومدينة الباب والابواب والثالث مدينة خزران ومدينة تفليس والمدينة التي تعرف بمسجد ذي القرنين وافتتحت ارمينية في خلافة عثمان افتتحها سلمان بن ربيعة الباهلي في سنة أربع وعشرين (عصبة) جماعة (مفاليس) فقراء وأفلس الرجل صار صاحب فلوس بعد أن كان صاحب دنانير (ازمعنا الانفلات) عزمنا على الخروج (اللقوة) داء يأخذ في الوجه و(الفواق) ما بين الحلبتين (در العصبية) ابن الجمة وهو مثل (نفثة) كلمة (البذل) العطاء (والرد) المنع (الحبا) عقد اليدين على الركبتين (رسوا) ثبتوا (الربا) الكدى (آنس) أبصر (انصاتهم) سكوتهم (رزانة حصاتهم) رجاحة عقولهم والحصاة يكنى بها عن العقل قال طرفة

وان لسان المرء ما لم يكن له * حصاة على عوراته لدليل

(الابصار الرامقة) العيون الناظرة (البصائر) جمع بصيرة وهي المعتقد (الرائقة) المعجبة (العيان) المعاينة يقول معاينتك الشئ تغني عن خبرته وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الخبر كالمعاينة (ينبي) يخبر (لائح) ظاهر (وهن) ضعف (فادح) مثقل بين (فاضح) أي صاحبه في شهرة وفضيحة (ملك) كان ملكا أو ملك الاموال العظام فصار ذا ملك (مال) صار ذا مال (ولي) صار واليا (آل) ساس أي صار يسوس الناس أي يكون عليهم أميرا قال عمر رضي الله عنه ألنا وإيل علينا (رفد) وهب الرفد (أنال) أعطى النيل والنوال يقال منه نلته وأنلته (وصل) أعطى صلة والرفد والنوال العطاء والايالة السياسة آل الامير رعيته أحسن سياستهم وآل ماله يؤله أصلحه (صال) بطش وهدد وصال الفحل هدر في قطيعه (الجوائح) المصائب (تسحت) تستاصل الاموال (تنحت) تنجر وتأخذ (النوائب) النوازل (الوكر) قعر المنزل (صفر) خالية من الدراهم (الشعار) اللباس (يتضاغون) يصيحون والضغاء صياح الذئب اذا جاع والضغاء البكاء بذل وخشوع (الطوى) الجوع (مصاصة) ما يمص منه (الشائن) العائب صاحبه (شقيت) أدركني الشقاء (لقيت) أصابتني لقوة (تأوه) توجع وقال أوه (الاسف) الحزين (عدوانه) ظلمه (قرعت مروتي) ضربت صخرتي وأراد بها نفسه (قوضت) نقضت وهدمت (اهتصرت) كسرت وحتت وهصر الغصن تعطفه وانحناؤه وضرب بالمروة والعود أمثالا وهو يريد جسده وماله (أمحلته) جعلته محلا (جلت) تقت (الممحل) الذي لا نبات فيه ولا رزق (جرذانه) فئرانه وقد تقدم فائدة هذا المعنى (بائرا) هالكا (أكابد) أقاسي (أشجانه) أحزانه (أخا ثروة) صاحب غنى (يسحب) يجر (اردانه) أذياله (يختبط) يطلب (العافون) الطالبون للرزق وخبطت الورق ضربتها بالعصا فتسقط فتعلفها الابل فيضرب بها المثل لعطية الكريم قال وأنشد زهير

وليس مانع ذي قربى وذي رحم * يوما ولا معدما من خابط ورقا

(السارون) الماشون بالليل (عانه) أصابه بالعين (ازور) انقبض (عاف) كره (عافى العرف) طالب المعروف (عرفانه) معرفته (همه) أذابه (وشانه) عابه * ومن كلام العرب فى هذا الباب ماحكى الاصمعى رحمه الله أن الاعراب أصابتهم سنوات كثيرة جدبة فدخلت طائفة منهم البصرة وبين أيديهم أعرابى يقول أيها الناس اخوانكم فى الدين وشركاؤكم فى الاسلام عابر وسبيل وفلال بؤس وصرعى جدب تتابعت علينا سنون ثلاث غيرت النعم وأكلت النعم فما كلنا مابقى من جلودها فوق عظامها فلم نزل نعلل بذلك نفوسنا ونمنى بالغيث قلوبنا حتى عاد مخنا رارا وعاد اشراقنا ظلاما فأقبلنا اليكم يصرعنا الوعر وينكبنا السهل وهذه آثار مصائبنا لائحة فى قسماتنا فرحم الله متصدقا من كثير أومواسيا من قليل فلقد عظمت الحاجة وكسف البال وبلغ المجهود والله يجزى المتصدقين * وقف أعرابى على حلقة يونس النحوى فقال الحمد لله وأعوذ به ان أذكر به وأنساه انا أناس قد قدمنا هذه المدينة ثلاثون رجلا لاندفن ميتا ولانتحول عن منزل وان كرهناه فرحم الله عبدا تصدق على ابن سبيل ونضو طريق وفل سنة فانه لاقليل من الاجر ولاغنى عن الله ولاعمل بعد الموت يقول الله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له ان الله لايستقرض من عوز ولكن ليبلو أخيار عباده * قال الاصمعى رحمه الله وقف أعرابى علينا فقال تتابعت علينا سنون بتغير وانتقاص فما تركت لنا ضيعا ولاريعا ولانافطة ولاعافطة ولاثاغية ولاراغية فأماتت الضرع وأفنت الزرع وعندكم من فضل الله نعمة فاعينوا من عطية الله اياكم وارحموا أبا أيتام وأنضاء زمان فلقد خلفت أقواما لايمرضون مريضهم ولايكفنون ميتهم ولاينتقلون من المنزل وان كرهوه ولقد مشيت اليكم حتى انتعلت الدماء وجعت حتى أكلت النوى المحرقة * وقفت اعرابية على عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه فقالت انى أتيت من أرض شاسعة تهبطنى هابطة وترفعنى رافعة فى ملمات من البلايا برين لحمى وهضن عظمى وتركننى والهة وقد ضاق بى البلد بعد الاهل والولد وكثرة العدد لاقرابة تؤوينى ولاعشيرة تحمينى فسالت أحياء العرب من المرتجى سيبه المأمون عيبه الكثير نائله المكفى سائله فدللت عليك وأنا امرأة من هوازن فقدت الوالد والرافد فاصنع فى أمرى واحدة من ثلاث اما أن تحسن صفدى واما أن تقيم أودى واما أن تردنى الى بلدى فقال بل أجمعهن لك ففعل بها ذلك * خرج المهدى يطوف بالبيت بعد هدأة من الليل فسمع أعرابية من جانب المسجد وهى تقول قوم متظلمون نبت عنهم العيون وفدحتهم الديون وعضتهم السنون بادت رجالهم وذهبت أموالهم أبناء سبيل وأنضاء طريق وصية الله ووصية رسوله صلى الله عليه وسلم فهل من آمر بخير كلاه الله فى سفره وخلفه فى أهله فأمر لها بخمسمائة درهم * ومما جاء فى ذم السؤال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب فيه أهون من أن يأتى رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أومنعه وقال صلى الله عليه وسلم من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر وقال أكثم ابن صيفى كل سؤال وان قل أكثر من كل نوال وان جل وقال ابن عباس رضى الله عنهما المساكين لايعودون مريضا ولايشهدون جنازة ولايحضرون جمعة واذا اجتمع الناس فى أعيادهم ومساجدهم يسألون الله من فضله اجتمعوا يسألون الناس ما بأيديهم * سأل سائل بمسجد الكوفة

ويحمد السارون نيرانه
فأصبح اليوم كأن لم يكن
أعانه الدهر الذى عانه
وازور من كان له زائرا
وعاف عافى العرف عرفانه
فهل فتى يحزنه مايرى
من ضر شيخ دهره خانه
فيفرج الهم الذى همه
ويصلح الشأن الذى شانه

(قال الراوى) فصبت الجماعة الى أن تستنبئه لتستنجس خبأته وتستنفض حقيبته فقالت له قد عرفنا قدر رتبتك ورأينا در مزنتك فعرفنا دوحة شعبتك واحسر اللثام عن نسبتك فأعرض اعراض من منى بالاعنات أو بشر بالبنات وجعل يلعن الضرورات ويتأفف من تغيض المروآت ثم أنشد بلفظ صادع وجرس خادع

لعمرك ما كل فرع يدل
جناه اللذيذ على أصله
فكل ما حلا حين تؤتى به
ولا تسأل الشهد عن نحله
وميز اذا ما اعتصرت الكروم
سلافة عصرك من خله
لتغلى وترخص عن خبرة
وتشرى كلا شرا مثله
فعار على الفطن اللوذعى
دخول الغميزة فى عقله

قال فازدهى القوم بذكائه ودهائه واختلبهم بحسن أدائه مع دائه حتى جمعوا له خبايا الخبن وخفايا الثبن وقالوا له يا هذا انك حمت على ركية بكية وتعرضت نحلية خلية فخذ هذه الصبابة وهبها لا احظا ولا اصابة فنزل قلبهم منزلة الكثر ووصل قبوله بالشكر

فلم يعط شيأ فقال اللهم انك بحاجتى عالم لا تعلم أنت الذى لا يعوزك نائل ولا يحفك سائل ولا يبلغ مدحك قائل أسألك صبرا جميلا وفرجا قريبا وبصرا بالهدى وقوة فيما تحب وترضى فتبادروا اليه بالعطية فقال لا والله لا ارزؤكم الليلة شيأ ثم خرج وهو يقول

ما نال باذل وجهه بسؤاله * عوضا ولو نال الغنى بسؤال
واذا النوال مع السؤال وزنته * رجح السؤال وخف كل نوال
واذا بليت ببذل وجهك سائلا * فابذله للمتكرم المفضال

وقال بعض الادباء المخذول من كان له الى اللئام حاجة وأنشد الجاحظ فى نوادره لاعرابى

سير النواعج باللمعة فى الضحى * يمشى الذليل بها على بلبال
خير من الطمع الدنىء ومجلس * بفناء لا طلق ولا مفضال
فابثث حوائجك المليك فانه * يغنيك قبل تخشع بسؤال

(قوله تستنبئه) تحقق من هو (تستنجش) تستخرج والنجش استخراج الشىء المجهول المستور وقيل تنفير الوحش وهو من الاول لان تنفير المطمئن كاظهار الكامن (خبأته) سره الذى أخبرهم بظاهره حيث قال كيت وكيت (الحقيبة) وعاء يعلقه الرجل خلف رحله يجعل فيه ما يعز عليه مما يحتاج أن يتناوله متى شاء وأراد بها ههنا موضع سره (تستنفض) تنثر ما فيها (رتبتك) قدرك ومنزلتك (در مزنتك) ماء سحابك وأراد ما أبدى لهم من البلاغة (دوحة) شجرة (شعبتك) فرعك وغصنك (احسر) أزل واكشف (اللثام) ما يجعل على الانف والفم يريد عرفنا أصلك ومن أين أنت (منى) بلى (الاعنات) المشقة وعنته وأعنته كلفته ما يشق عليه (وبشر بالبنات) أخبر بولادتهن وقد أخبر الله تعالى أن من بشر بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به وقد تقدم وأد البنات وهو دسهن فى التراب وقال النبى صلى الله عليه وسلم من طريق عقبة بن عامر لا تكرهوا البنات فانهن المؤنسات الغاليات وقال عليه الصلاة والسلام أحبوا البنات فانى أبو البنات وان الرجل اذا ولدت له ابنة هبط اليها ملكان فسحا على ظهرها وقالا ضعيفة خرجت من ضعيف من أعان عليك لم يزل يصاب الى يوم القيامة (قوله يتأفف) يقول أف أف وهو من فعل المهموم الملهوف (تغيض المروآت) ذهاب الافعال الحسان (صادع) شديد يشق الاذن (جرس) صوت (جناه) ما يجتنى منه (الشهد) العسل أى كل العسل ولا تسل عن النحل التى صنعته ولا من أين هو ضربه مثلا لترك سؤالهم عنه اذ أفادهم (سلافة) خمر لم تعصر (عصرك) تعصيرك (خبرة) معرفة وتجربة (اللوذعى) الذكى (الغميزة) ضعف التدبير والنظر لان الذى لا يحسن التدبير والنظر اذا سقط غمزه الناس وعابوه (ازدهى) دعاهم الى الزهو والاعجاب به (ذكائه) حدة ذهنه (اختلبهم) خدعهم (الخبن) أطراف الثوب كالكم وغيره و (الثبن) أطراف الرداء وشبهه والخبنة فى الثوب المخيط وقد خبنته عطفته وكففته بالخياطة وقيل الخبن القبض والخبنة لما يلى البطن من حجزة السراويل والازار والجمع خبن والثبنة ما يلى الظهر من السراويل والازار (حمت) حلقت (ركية) بئر (بكية) قليلة الماء (خلية) جبح النحل حيث كان من حجر أو شجر وقيل الخلية الخشبة المنقورة لها خاصة والخلية فى غير هذا السفينة فشبهت خلية النحل بها (خلية) فارغة (الصبابة) الشىء القليل اذا أخذ

منه

ثم تولى يجر شقه ويهب بالخبط طرقه (قال المخبر بهذه الحكاية) فصور لى انه محيل لحليته متصنع فى مشيته فنهضت أنهج منهاجه وأقفو أدراجه وهو يلحظنى شزرا ويوسعنى هجرا حتى اذا خلا الطريق وأمكن التحقيق نظر الىّ نظر من هش وبش وماحض بعد ماغش وقال انى لاخالك أخا غربة ورائد صحبة فهل لك فى رفيق يرفق بك ويرفق وينفق عليك وينفق فقلت له لو أتانى هذا الرفيق لواتانى التوفيق فقال لى قد وجدت فاغتبط واستكرمت فارتبط ثم ضحك مليا وتمثل لى بشرا سويا فاذا هو شيخنا السروجى لاقلبة بجسمه ولاشبهة فى وسمه ففرحت بلقيته وكذب لقوته وهممت بملامته على سوء مقامته فشحا فاه وأنشد قبل أن ألحاه

ظهرت برث لكما يقال
فقير يزجى الزمان المزجى
وأظهرت للناس أن قد فلجت
فكم نال قلبى به ماترجى
ولولا الرثاثة لم يرث لى
ولولا التفالج لم ألق فلجا

ثم قال انه لم يبق لى بهذه الارض مرتع ولافى أهلها مطمع فان كنت الرفيق فالطريق الطريق فسرنا منها منجردين ورافقته عامين أجردين وكنت على ان أصحبه ماعشت فابى الدهر المشت

منه بكثرة (الخبط) أراد به أخذ الاموال بالسؤال يقال خبطت الشجرة خبطا نفضت ورقها أراد أنه كان يجر جانبه المعتلّ فكل من مرّ به وسأله رحمه (محيل) مغير (حليته) خلقته وصفاته (نهضت) تقدّمت للمشى (أنهج منهاجه) أمشى فى طريقه (أقفو أدراجه) اتبع آثاره (يلحظنى) ينظرنى (شزرا) أى فى جهة بمؤخر عينه قال ابن الانبارى نظر الىّ شزرا أى نظر الىّ من جانب عينه من شدّة العداوة والبغضاء يقال شزر يشزر اذا نظر من جانب عينه من العداوة أو من الفرق (ويوسعنى هجرا) أى يكثر تجنبى ومباعدتى (هش) خف واهتز (بش) حسن اللقاء ويقال بش فلان بفلان اذا سرّ به وفرح وانبسط اليه ويقال تبشبش به بمعنى بش به والبشاشة والهشاشة الطلاقة والتبسم (ماحض) أخلص ودّه (غش) ضد أخلص ويقال غشه أى عمل فيما يحبه شيأ قليلا وخلطه بما يسوءه أخذ من الغشش وهو الشراب الكدر (اخالك) أحسبك (رائد) طالب (يرفق بك) يلاطفك ويكون بك رفيقا (يرفق) يوليك مرافقه أى يعينك بماله حتى يجد معها الرفق (لواتانى) لوافقنى (اغتبط) أى كن به مغتبطا أى محبا فى بقائه والغبطة حسن الحال (استكرمت فارتبط) أى اتخذت كريما وجاء هذا اللفظ فى حكاية ذكرها أبو على وهى ان فتى من العرب جاء الى أمّه وقد عميت فقال لها ياأمّه انى اشتريت فرسا فقالت صفه لى قال اذا استقبل فظبى ناصب واذا استدبر فهقل هاضب واذا استعرض فسيد قارب موالى المسمعين طامح الناظرين مدعلق الطبيين قالت أجودت ان كنت أعربت قال انه مشرف التليل سبط الخصيل وهواه الصهيل قالت أكرمت فارتبط (قوله مليا) أى طويلا (قلبة) علة قال الكسائى رحمه الله مابه قلبة أى شئ يقلقه فينقلب من أجله على فراشه لغمه وقال الفراء رحمه الله مابه من وجع يخاف عليه منه من قولهم قلب الرجل اذا أصابه وجع فى قلبه فلا يكاد ينقلب منه قال الاصمعى رحمه الله معناه مابه داء مأخوذ من القلاب وهو داء يصيب الابل فى رؤسها فيقلبها الى فوق (شبهة) التباس وتغير (وسمه) صفاته (اللقية) المرّة الواحدة من اللقاء وقال فى الدرّة العرب تقول لقيته لقية ولقاءة ولقاية اذا أرادوا المرّة الواحدة فان أرادوا المصدر قالوا لقيته لقاء ولقى ولقيا هذا وأنشد

وان لقاها فى المنام وغيره * وان لم تجد بالبذل عندى لرابح

وخطا من يقول لقيته لقاءة واحدة وأغفل ان سيبويه قال فى كتابه أتيته اتيانة ولقيته لقاءة واحدة (واللقوة) استرخاء اللحى وعوجه (مقامته) مجلسه الذى كدى به (شحا فاه) فتحه قال جرير

وضع الخزير فقيل ابن مجاشع * فشحا جحافله جراف هبلع

الخزير بنقط الخاء ثم زاى دقيق يلبك بشحم وجراف الشئ سخونه (ألحاه) ألومه (يزجى) يسوق (المزجى) القليل الخير وهذا كما قال لبست الخميصة أبغى الخبيصة (فلجت) أصبت بفالج (الرثاثة) سوء الحال (التفالج) استعمال الفالج وهو خدر يصيب الجسد (فلجا) فوزا وظفرا (مرتع) موضع يرعى فيه (منجردين) مسرعين وانجرد الرجل فى سيره اذا جدّ فى الذهاب (أجردين) تامّين كاملين وسرت يوما وشهرا وحولا أجرد وجريدا أى تاما قال سويد بن كراع

وجشمنى خوف ابن عفان ردّها * فثقفتها حولا جريدا ومربعا

(المشت) المفرّق

(شرح المقامة الرابعة والثلاثين وتعرف بالزبيدية)

(جبت) قطعت (البيد) الصحارى (زبيد) بلدة باليمن بينها وبين صنعاء أربعون فرسخا وليس في اليمن بعد صنعاء أكبر منها ولا أغنى من أهلها ولا أكثر خيرا واسعة البساتين كثيرة المياه والفواكه من الموز وغيره وهى برية لاساحلية و (بلغ أشدّه) أى بلغ الحلم وقيل ثلاثين سنة قال الازهرى رحمه الله تعالى الاشدّ فى كتاب الله تعالى على ثلاث معان أما قوله تعالى فى قصة يوسف عليه السلام ولما بلغ أشدّه آتيناه حكما وعلما فبلوغه مبلغ الرجال وكذا فى اليتيم حكمه أن يحفظ عليه ماله حتى يبلغ أشدّه وبلوغه أشده ان يؤنس الرشد منه مع أن يكون بالغا وأما قوله تعالى فى قصة موسى عليه الصلاة والسلام ولما بلغ أشده واستوى فقرن بلوغ الاشد بالاستواء وهو أن تجتمع قوّته ويكتهل وذلك من ثمان وعشرين الى ثلاث وثلاثين سنة وذلك منتهى الشباب وأما قوله تعالى حتى اذا بلغ أشدّه وبلغ أربعين سنة فهى نهاية بلوغ الاشد وعندها بعث محمد صلى الله عليه وسلم وقد اجتمعت حكمته وتمام عقله فبلوغ الاشد محصور البداية محصور النهاية ما بين ذلك (ثقفته) قوّمته وحذقته (خبر) أى جرب وعرف (مجالب وفاقى) أى عرف من أين يجلب ما يوافقنى (يتخطى) يتجاوز (مرامى) مرادى ومقصدى (لاجرم) أى لامحالة ولابد ثم صارت بمعنى حقا (قربه) ما يتقرب به الىّ من المبرة (التاطت) لصقت (بصفرى) بنفسى وقلبى والصفر دود فى البطن اذا جاع الانسان عضت شراسيفه وهى رقيق البطن قال أعشى باهلة * ولا يعض على شرسوفه الصفر * فيريد أن هذا الغلام مهذب يأتى بمحاولاته على الوفاق ويقرب الطعام من مولاه وقت الحاجة ومن حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال نعما للمملوك أن يتوفاه الله بحسن عبادة ربه وطاعة سيده نعماله وقال عليه الصلاة والسلام اذا نصح العبد لسيده وأحسن عبادة ربه فله أجران (أخلصته) أفردته (ألوى) ذهب به وأهلكه (المبيد) المهلك وننشد هنا أبياتا لابن الحضرمى فى غلام هلك للمتوكل ببطليوس

غالته أيدى المنايا * وكن فى مقلتيه
وكان يسقى الندامى * بطرفه ويديه
غصن ذوى وهلال * جاء الكسوف عليه

ويستحسن لابن همام أن ينشد فى وصف هذا الغلام

حين تمت آدابه وتردى * برداء من الشباب جديد
وسقاه ماء الشبيبة فاهتز اهتزاز الغصن الندى الاملود
وسمت نحوه العيون وما كا * ن عليه لزائد من مزيد
وكأنى أدعوه وهو قريب * حين أدعوه من مكان بعيد

وأنشد بعضهم

نأى آخر الايام عنك حبيب * فللعين سح دائم وغروب
كأن لم يكن كالغصن فى ميعة الضحى * سقاه الندى فاهتز وهو رطيب
وريحان صدرى كان حين أشمه * ومؤنس قصرى كان حين أغيب

(المقامة الرابعة والثلاثون الزبيدية)

(أخبر الحرث بن همام) قال لما جبت البيد الى زبيد صحبنى غلام قد كنت ربيته الى أن بلغ أشدّه وثقفته حتى أكمل رشده وكان قد أنس بأخلاقى وخبر مجالب وفاقى فلم يكن يتخطى مرامى ولا يخطئ فى المرامى لاجرم أن قربه التاطت بصفرى وأخلصته لحضرى وسفرى فألوى به الدهر المبيد حين ضمتنا زبيد

وكانت يدى ملآنة ثم أصبحت * بحمد الهى وهى منه سليب

(شالت نعامته) أى ارتفع نعشه ويقال فى المصلوب شالت نعامته أى ارتفعت خشبته وشالت نعامة القوم أى ولوا منهزمين وهو مثل يضرب للانهزام وللهلاك وللتفرق وأنشد الشاعر

نلقى خصاصة بيننا ارماحنا * شالت نعامة أينا لم يفعل

يخاطب أعداءه وقد وافقهم يقول هلم نلق فى الفرجة التى بيننا أرماحنا ونضرب بالسيوف هلك وانهزم من لم يفعل يدعو عليه وينسب ذلك للنعامة لان النعام موصوف بالسخف والرق والشراد فاذا قالوا شالت نعامتهم وخفت نعامتهم ورق رأيهم فمعناه اذا تركوا مواضعهم بجلاء أو بموت ويقال أحمق من نعامة لانها تنشر للطعام فربما رأت بيضة نعامة أخرى وحدها فتحضنها وتنسى بيضتها ثم تجىء الاخرى فترى على بيضتها غيرها فتمضى لوجهها واياها عنى ابن هرمة بقوله

كتاركة بيضها بالعرا * وملبسة بيض أخرى جناحا

قاله الجاحظ وأما أبو عبيدة فقال عنى الحمامة وقال ابن الاعرابى بيضة البلد التى سار بها المثل هى بيضة النعامة التى تتركها فلا تهتدى اليها فتفسد فلا يقربها شئ قال الراعى

لو كنت من أحد يهجى هجوتكم * يا ابن الرقاع ولكن لست من أحد

تأبى قضاعة أن ترضى لكم نسبا * وابنا نزار فأنتم بيضة البلد

(قوله نامته) أى حركته التى تنمو بحياته وزعموا أن النامة بوزن العامة عرق اليافوخ (أسيغ طعاما) استسهل بلعه (أريغ غلاما) أطلبه (السداد) اسم ما يسد به الشئ مثل سداد القارورة وهو صمامها وسداد الفقر ما يذهبه ويكتفى به من المال وسداد الثغر ما يذهب خوفه من الخيل والرجال والسداد بالفتح الاصابة فى المنطق وقال يعقوب السداد والسداد بمعنى واحد وسنعيد ذكره فى أخبار العرجى (والعوز) فقد الشئ فانه أراد عبدا يسد به فقد غلامه الميت (اذا قلب) أى اذا قلبت خلقته وجدت كل جزء منها حسنا (خرّجه) حذقه ورباه (الاكياس) أهل الفطنة والحذق (والافلاس) الفقر (وثب) قفز وعجل الى المشى (بذل) أعطى و(تحصيله) وجوده وحصوله (كثب) قرب يريد أنه أعطى من نفسه القدرة على حصوله فى أقرب مدة (دارت الاهلة دورها) أى كملت السنة وكملت الاهلة فيها بالطلوع (كورها وحورها) زيادتها ونقصانها وقد تقدم الكور والحور (نجز) حضر (سح) أمطر (النخاسين) الدلالين للعبيد والدواب * ثعلب أخذ من النخس وهو الدفع فمعنى النخاسين الذين يشترون العبيد ليدفعوهم الى غيرهم (ليس كل من خلق يفرى) مثل وخلق قدّر يقال خلق الصانع الجلد اذا قدر ما يقطع منه وقيل انخلق القطع والفرى القطع أيضا ولكن تقديرا فمعنى المثل ليس كل من قطع شيأ قدّر ما يقطع به ويفرى أيضا يحسن القطع على جهة الاصلاح قال زهير

ولأنت تفرى ما خلقت وبعـ * ـض القوم يخلق ثم لا يفرى

ويقال أيضا خلق الشئ صنعه وفراه أفسده وأراد ليس كل الناس يحسن شراء العبيد (قوله يحك جلدى مثل ظفرى) هو مثل يضرب فى ترك الاتكال على الناس قال الامام الشافعى رضى الله عنه

ماحك جلدك مثل ظفرك * فتول أنت جميع أمرك

فلما شالت نعامته وسكنت نامته بقيت عاما لا أسيغ طعاما ولا أريغ غلاما حتى ألجأتنى شوائب الوحدة ومتاعب القومة والقعدة الى أن أعتاض عن الدرّ الخرز وأرتاد من هو سداد من عوز فقصدت من يبيع العبيد بسوق زبيد فقلت أريد غلاما يعجب اذا قلب ويحمد اذا جرب وليكن ممن خرّجه الاكياس وأخرجه الى السوق الافلاس فاهتز كل منهم لمطلبى ووثب وبذل تحصيله عن كثب ثم دارت الاهلة دورها وتقلبت كورها وحورها وما نجز من وعودهم وعد ولا سح لها رعد فلما رأيت النخاسين ناسين أو متناسين علمت أن ليس كل من خلق يفرى وأن ان يحك جلدى مثل ظفرى

فرفضت مذهب التفويض
وبرزت الى السوق بالصفر
والبيض فانى لاستعرض
الغلمان وأستعرف الاثمان
اذ عارضنى رجل قد اختطم
بلثام وقبض على زند غلام
وقال
من يشترى منى غلاما صنعا
فى خلقه وخلقه قد برعا
بكل ما نطت به مضطلعا
يشفيك ان قال وان قلت وعى
وان تصبك عثرة يقل لعا
وان تسمه السعى فى النار سعى
وان تصاحبه ولو يوما رعى
وان تقنعه بظلف قنعا
وهو على الكيس الذى قد جمعا
ما فاه قط كاذبا ولا ادّعى
ولا أجاب مطمعا حين دعا
ولا استجاز نث سرّ أودعا
وطالما أبدع فيما صنعا
وفاق فى النثر وفى النظم معا
والله لولا ضنك عيش صدعا
وصبية أضحوا عراة جوّعا
ما بعته بملك كسرى أجمعا
قال فلما تاملت خلقه القويم
وحسنه الصميم خلته من
ولدان جنة النعيم وقلت
ما هذا بشرا ان هذا الا ملك
كريم

واذا قصدت لحاجة * فاقصد لمعترف بقدرك

(رفضت) تركت (التفويض) أن يتكل الرجل على غيره ويسلم أمره اليه (الصفر والبيض) الدنانير والدراهم (أستعرض) أطلب أن يعرض علىّ و(عارضنى) قابلنى (استعرف) أطلب معرفته (اختطم) جعل اللثام على طرف الانف وهو الخطم والخرطوم للسباع واللثام ما كان على الانف من النقاب (والزند) طرف عظم الساعد المتصل بالكف فهو قد قبض على أرق موضع فى الذراع (الصنع) الحاذق بالصناعة والمرأة صناع (برع) فضل وفاق غيره (نطت) علقت (مضطلعا) مكتفيا قويا عليه (وعى) حفظ (لعا) كلمة تقال للعاثر يعنى أقال الله عثرتك وسلمك الله (تسمه السعى) تكلفه المشى (رعى) حفظ الصحبة (الظلف) للشاة بمنزلة الحافر للدابة (الكيس) الحذق (فاه) تكلم * ثم قال لم يدعه الطمع قط فأجابه (استجاز) استحل (نث) نشر وافشاء (أبدع) أغرب وأتى بما لم يسبق اليه (ضنك) ضيق (صدع) كسر وأنشدوا فى هذا المعنى

وقد تخرج الحاجات يا أم مالك * علائق من رب بهن ضنين

(خلقه القويم) المعتدل القامة (الصميم) الخالص وهو فعيل من صم الشئ اذا لم يكن فيه فرجة ولا خلل (خلته) حسبته * وننشد فى هذه المقامة فى الغلمان ماله سبب وتعلق بذكر يوسف عليه السلام أو بكون الغلام مملوكا حتى يوافق غرض المقامة كان شفيع غلام المتوكل أحسن الفتيان وأظرفهم وكان المتوكل يجن به جنونا فأحب يوما أن ينادم حسين بن الضحاك وان يرى ما بقى من شهوته وكان قد أسن فاحضره وسقاه حتى سكر وقال لشفيع اسقه فسقاه وحياه بوردة وكانت على شفيع ثياب موردة فمدّ حسين يده الى ذراع شفيع فقال المتوكل أتخمش أخص خدمى بحضرتى فكيف لو خلوت به ما أحوجك الى الادب وكان قد غمز شفيعا على العبث به فدعا بدواة فكتب

وكالوردة الحمراء حيا بوردة * من الورد يمشى فى قراطق كالورد
له عبثات عند كل تحية * بكفيه تستدعى الحليم الى الوجد
تمنيت أن أسقى بعينيه شربة * تذكرنى ما قد نسيت من العهد
سقى الله دهرا لم أبت فيه ليلة * خليا ولكن من حبيب على وعد

ثم دفعها الشفيع فأعطاها المتوكل فاستملحها وقال أحسنت والله يا حسين ولو كان شفيع ممن تجوز هبته لوهبته لك ولكن بحياتى يا شفيع الا كنت ساقيه بقية يومنا وأمر له بمال كثير * وكان لمعز الدولة غلام تركى وكان وضئ الوجه منهمكا فى الشراب ولفرط ميل مولاه اليه جعله رئيس سرية جردها لحرب بنى حمدان وكان المهلبى يستظرفه ويستحسنه فقال

ظبى يروق الماء فى * وجناته ويروق عوده
ويكاد من شبه العذا * رى فيه أن تبدو نهوده
ناطوا بمعقد خصره * سيفا ومنطقة تؤده
جعلوه قائد عسكر * ضاع الرعيل ومن يقوده

فكانت الدائرة على جيش الغلام كما أشار اليه ولو غزاهم بالسلاح الذى أمر به السغا غلاما غازيا وهو

يا غازيا أتت الاحزان غازية * الى فؤادى والاحشاء حين غزا

ان بارزتك رماة الروم فارمهم * بسهم عينيك تقتل كل من برزا
لكان الظافر الغالب* وكان بديع غلام عمرو المأموري أحسن خلق الله وجها وكان الوزير ابن الزيات مفتونا به فاجتاز عليه راكبا با آلة الحرب فقال فيه

راح علينا راكبا طرفه * أغيد مثل الرشا الآنس
قد لبس القرطق واستمسكت * كفاه من ذى بدن مائس
وقلد السيف على غنجه * كأنه فى وقعة الداحس
أقول لما أن بدا مقبلا * ياليتنى فارس ذا الفارس

(وقال ابن الرقاق)

ومهند عضب براحة أغيد * فى جفنه عضب يقد مفاصلى
يسطو بذاك وذا فيغدو قرنه * بهما صريع لواحظ ومناصل
ماض كلا السيفين لكن لحظه * أمضى والا فاسألن مقاتلى

وكان لابى عيسى بن الرشيد غلام اسمه بشير وكان آية فى الجمال وكان صالح أخوه يتعشقه فبلغت لابى عيسى قصة جرت بينهما فحجبه ومنعه أن يخرج من داره الا بحافظ وكاد حسين بن الضحاك يموت فيه عشقا فقال فيه

ظنّ من لا كان ظنا * بحبيبى فحماه
أرصد الباب رقيبـ * ـن له فا كتنفاه
فاذا ما اشتاق قربى * ولقائى منعاه
جعل الله رقيبيـ * ـه من السوء فداه

وقال فيه
ان من لا يرى وليس يرانى * نصب عينى ممثل بالامانى
بأبى من ضميره وضميرى * أبدا بالمغيب يناجيان
نحن شخصان ان نظرت وروحا * ن اذا ما اختبرت ممتزجان
فاذا ما هممت بالامر أوهمّ * بشئ بدأته وبدانى
كان وفقا ما كان منه ومنى * فكأنى حكيته وحكانى
خطرات النفوس منا سواء * وسواء تحرك الابدان

وجاء يوما فحدث معه فاشار لتقبيله فقال له بشير اياك والتعرض لى وانج بنفسك وكانت فيه عربدة فقال فيه حسين
أيها النفاث فى العقد * أنا مطوى على الكمد
انما زخرفت لى خدعا * فدحت فى الروح والجسد
ما لانس كان مبتذلا * منك لى بالامس لم يعد
يوم تعطينى وتأخذها * دون ندمانى يدا بيد
ذاك يوم كان حاسدنا * فيه معذورا على الحسد

(قوله استنطقته) أى سألته أن ينطق (صباحته) حسنه (لهجته) لفظه واصلها طرف اللسان فكنى بها عن حلاوته (بهجته) حسنه ونضارته وأصلها حسن اللون (لم ينطق بحلوة ولا مرة) أى بكلمة جيدة ولا رديئة (فاه) نطق (ضربت عنه) أعرضت عنه (صفحا) أى أوليته صفحة

ثم استنطقته عن اسمه لا لرغبة فى علمه بل لانظر أين فصاحته من صباحته وكيف لهجته من بهجته فلم ينطق بحلوة ولا مرة ولا فاه فوهة ابن أمة ولا حرة فضربت عنه صفحا

وقلت له قبحا العيك وشقحا فغار فى الضحك وأنجد ثم أنغض رأسه الى وأنشد يامن تلهب غيظه اذلم أبح * باسمى له ماهكذا من
ينصف ان كان لايرضيك الا كشفه * فأصخ له أنا يوسف أنا يوسف ولقد كشفت لك الغطاء فان تكن * فطنا عرفت وما
أخالك تعرف قال فسرى عتبى بشعره ١٥٤ واستبى لبى بسحره حتى شدهت عن التحقيق وأنسيت قصة يوسف الصديق
ولم يكن لى هم الا مساومة
مولاه فيه واستطلاع طلع
الثمن لاوفيه وكنت أحسب
انه سينظر شزرا الى ويغلى
السيمة على فما حلق الى
حيث حلقت ولا اعتلق بما
به اعتلقت بل قال ان الغلام
اذا نزر ثمنه وخفت مؤنه
تبرك به مولاه والتحف عليه
هواه وانى لاوثر تحبيب هذا
الغلام اليك بأن أخفف
ثمنه عليك فزن مائتى درهم
ان شئت واشكر لى ماحييت
فنقدته المبلغ فى الحال كما
ينقد فى الرخيص الحلال
ولم يخطر لى ببال أن كل
مرخص غال فلما تحققت
الصفقة وحقت الفرقة
هملت عينا الغلام ولا
همول دمع الغمام ثم أقبل
على صاحبه وقال
لحاك الله هل مثلى يباع
لكيما تشبع الكرش الجياع
وهل فى شرعة الانصاف أنى
أكاف خطة لا تستطاع
أن ابلى بروع بعد روع
ومثلى حين يبلى لايراع
اما جربتنى فخبرت منى *
نصائح لم يمازجها خداع
وكم أرصدتنى شركا لصيد
فعدت وفى حبائلى السباع
ونطت بى المصاعب فاستقادت * مطاوعة وكان بها امتناع
وأى كريهة لم أبل فيها * وغنم لم يكن لى فيه باع
وما أبدت لى الايام جرما * فيكشف فى مصارمتى القناع
ولم تعثر بحمد الله منى * على عيب يكتم أو يذاع

وجهى وهى جانبه (شقحا) اتباع لقبح وقيل هى من شقح البسر اذا تغيرت خضرته بحمرة
اوصفرة وهو اقبح مايكون فى رأى العين وقيل هو من شقحت العود اذا كسرته وقيل هو من
أشقاح الكلاب وهى أدبارها ويقال قبحا وشقحا بضم اولهما وفتحه (غار) أتى الغور وهو
المنخفض من الارض (انجد) اتى نجدا ومعناه بالغ فى الضحك وذهب فى جهاته (أنغض رأسه)
أى حركه كأنه يهدو يستخف به (تلهب) اشتعل (أبح) أتكلم (اصخ) استمع (أنا يوسف) أى
أنا حر مثل يوسف صلوات الله عليه اذباعه اخوته (سرى عتبى) أزال لومى (استبى لبى) أى تملك
عقلى بسحره وحلاوة كلامه (شدهت) تحيرت وهو مقلوب دهشت (التحقيق) التمييز وهذا كما
قال الشاعر

والله مافتنت نفسى محاسنه * الا وقد سحرت ألفاظه أذنى
ماتصدر العين عنه لحظة مللا * كأنه كل شئ مرتضى حسن

(استطلاع طلعه) استخبار خبره والسؤال عن قدره (لاوفيه) لاعطيه له كاملا وافيا (شزرا)
نظر فيه اعراض (السيمة) السوم وهو السؤال عن الثمن (ماحلق الى حيث حلقت) أى
مادار الى حيث درت أى ما كان عنده شئ مما ظننت به من طلبه سوما غاليا ويروى الامكان الى
(نزر) قل (مؤنه) لوازمه ومايحتاج اليه (تبرك) رآه مباركا والبركة الكثرة والسعة (التحف)
انضم (هواه) حبه (أوثر) أفضل (تحققت الصفقة) تم البيع (هملت) سالت (الغمام)
السحاب (لحاه الله) لعنه وأبعده ولحيت الرجل لمته وأصله من لحوت العود ألحوه ولحيته
ألحاه اذا قشرته وأنشد ابن الاعرابى فى نوادره

لحينت شماسا كما تلحى العصا * سبا لو ان السب يدمى لدمى

ويقال لاحاه ملاحاة ولحاو أصلها المبالغة ثم كثرت حتى جعلت كل ممانعة ومدافعة ملاحاة
(الكرش) العيال وكرش الرجل عياله وصغار ولده ويقال فى المعيل عليه كرش منثورة واذا
أكثرت المرأة أولادها قيل نثرت كرشها وقد قدم أن صبيته جوع (الشرعة) الطريق
و(الخطة) مثل القصة الامر يقع بين القوم (ابلى) امتحن (الروع) الفزع لانه يصيب الروع
وهو القلب (يمازجها) يخالطها (أرصدتنى) جعلتنى رصدا والرصد من يرقبك وأنت لاتعلم
فاذا جئته هجم عليك (والشرك) آلة الصيد (حبائلى) شباكى (نطت) علقت (المصاعب)
الامور الشاقة (استقادت) انقادت (ابل) ابالغ وأجهد نفسى فيه (غنم) غنيمة (جرم) ذنب
(مصارمتى) مقاطعتى وكشفت فى الامر القناع اذا جاهدت فيه وبالغت (تعثر) تطلع (يكتم)
يستر (يذاع) يفشى وبحمد الله فى البيت وقعت اعتراضا بين العامل والمعمول كما وقعت فى
التاسعة والاربعين اعتراضا بين المبتدا وخبره فى قوله وانت بحمد الله ولى عهدى وتعلقها
بمحذوف تقديره ابتدئ بحمد الله أو فتح بحمد الله الذى خلصنى من عيب يعثر لى عليه أو الذى

جعلك

جعلك ولى عهدى ومنه سبحان الله وبحمده معناه أنزه الله وابتدئ بحمده أو افتتح بحمده ودخلت الواو هنا لغير معنى العطف ألا ترى أنك لو قلت سبحان الله وحمده لكان المعنى أسبحه تسبيحا وأحمده حمدا هكذا يقتضى ماجاء من المصادر منصوبا فى هذا الباب وفى قولنا وبحمده لا يكون المعنى ما تقدم فى المنصوب ولكن الباء آذنت بمعنى ابتدأت أو أبدأ بحمد الله كأنك قلت حمدت الله على الهامه اياى تسبيحه وتامل قوله تعالى يسبحون بحمد ربهم (قوله ساغ) أى سهل (نبذ) ترك (البراية) ما يتساقط من العود اذا نحر ومن القلم اذا برى وكذا يأتى فى مثل البرادة والنحاتة ونحوها (الصناع) الحاذقة بالصنعة والرجل صنع بغير ألف (قرونك) نفسه (سمحت) جادت (أشرى) أباع (عنه) أى عن البيع (صونى حديثك) أى صيانتى للحديث الذى أحدثت من بيعى وأناحر (يوم جدبنا الوداع) أى فى هذه الساعة التى تريد أن تودعنى فيها (سكاب) اسم فرس لرجل من العرب من بنى تميم سأله بعض الملوك أن يبيعها منه فأبى عليه وقال

أبيت اللعن ان سكاب علق * كريم لا يعار ولا يباع
مفداة مكرمة علينا * يجاع لها العيال ولا تجاع

(الطرف) الفرس الكريم يقول لست أنا دون ذلك الفرس لكن طباع مالكه أفضل من طباعك حيث كان يجيع عياله ويشبعه ولم يهنه بالبيع كما أهنتنى به وعجز البيت الاخير صدر بيت لعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنهم وهو العرجى سمى بذلك لانه ولد بالعرج من مكة وقيل بل كان له بها مال وكان يكثر الاختلاف اليه فنسب اليه يكنى أبا عمرو وهو شاعر مطبوع بالغزل مجيد و يشبه فى غزله ومقصده بعمر بن أبى ربيعة وكان يهوى جيداء أم ابراهيم بن هشام المخزومى ولها يقول

أبصرت وجها لها فى جيده تلع * تحت العقود وفى القرطين تشهير
وجه تحير فيه الماء فى بشر * صاف له حين أبدته لنا نور

ولها يقول

الى جيداء قد بعثوا رسولا * ليخبرها فلا صحب الرسول
كأن العام ليس بعام حج * تغيرت المواسم والشكول

ولها يقول

عوجى علينا ربة الهودج * انك ان لا تفعلى تحرجى
فالحج ان حجت وماذا منى * وأهله ان هى لم تحجج
فما استطاعت غير أن أومأت * نحوى بعينى شادن أدعج

وقال أيضا

باتا بأنعم ليلة حتى بدا * صبح يلوح كالاغر الاشقر
فتلازما عند الفراق صبابة * أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فلما شاع نسيبه بها قبض عليه ابنها محمد عند ولايته الحجاز بسبب طلبة عليه فضربه بالسياط وألقى الزيت على رأسه وأوقفه للناس فى الشمس حتى غشى عليه وسجنه بضع سنين حتى مات فى سجنه فقال فى السجن

أضاعونى وأى فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر
وخلونى ومعترك المنايا * وقد شرعت أسنتهم لنحرى

فأنى ساغ عندك نبذ عهدى
كما نبذت برايتها الصناع
ولم سمحت قرونك بامتهانى
وأن أشرى كما يشرى المتاع
وهلا صنت عرضى عنه صونى
حديثك يوم جد بنا الوداع
وقلت لمن يساوم فى هذا
سكاب فما يعار ولا يباع
فما أنا دون ذاك الطرف لكن
طباعك فوقها تلك الطباع
على أنى سأنشد عند بيعى
أضاعونى وأى فتى أضاعوا

كأنى لم أكن فيهم وسيطا * ولم تك نسبتى فى آل عمرو
أجرّر فى الجامع كل يوم * فيا لله مظلمتى وقسرى
عسى الملك المجيب لمن دعاه * ينجينى ويعلم كيف شكرى
فأجزى بالكرامة أهل ودى * وأجزى بالعداوة أهل وترى

فلما أفضت الخلافة الى الوليد بن يزيد بن عبد الملك قبض على محمد بن هشام وأخيه ابراهيم ودعا لهما بالسياط فقال له محمد أسألك بالقرابة قال وأى قرابة بينى وبينك قال فاسألك بصهر عبد الملك فقال لم تحفظه فقال يا أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يضرب قرشى الا فى حد فقال ففى حدّ أضربك وقود قال وماذاك قال أنت أوّل من سن ذلك على العرجى وهو ابن عمى وابن أمير المؤمنين عثمان بن عفان فما رعيت جدّه ولا نسبه بهشام من قبل أمه اضربهما يا غلام فضربهما ضربا مبرحا وأثقلا بالحديد ووجه بهما الى يوسف بن عمر وأمره بتعذيبهما فضربهما حتى ماتا * وغنى اسحق الموصلى الرشيد قوله * أضاعونى وأى فتى أضاعوا * فسأل عن سبب هذا الشعر فأخبره بحديث العرجى قال اسحق فرأيته يتغيظ فلما أخبرته بما فعل بابنى هشام جعل وجهه يسفر وغيظه يسكن ثم قال يا اسحق لولا ما حدّثتنى به من فعل الوليد لما تركت أحدا من أمثال بنى مخزوم الا قتلته بالعرجى ومن جيد شعر العرجى

فهل أنت آت أهل ليلى فناظر * لذنب جفونى أم جفونى تجرما
فان يك من ذنب ففى ذاك حكمهم * وحسب امرئ فى حقه أن يحكما
كمثل شهاب النار فى كف قابس * اذا الريح هبت وهو كر أضرما

ومن جيده

أخبرت انك قلت نقتله * لا تفعلين فدتكم نفسى
والله لا آتى لكم سخطا * حتى أغيب فى ثرى رمسى
والله لا أنسى تطوّفها * تهتز بين كواعب خمس
كالبدر صورتها اذا سفرت * واذا تنقب فهى كالشمس

ومنه

حور بعثن رسولا فى ملاطفة * ثبتا اذا أسقط المنسأة الوهم
فجئت أمشى على هول أجشمه * تجشم المرء هولا فى الهوى كرم
أمشى كما حرّكت ريح يمانية * غصنا من البان رطبا بله رهم
حتى جلست ازاء البيت مكتتما * وطالب الحاج تحت الليل يكتتم
فبت أسقى بأكواس أعل بها * من بارد طاب منه الطعم والنسم

وفى معنى قوله أمشى كما حركت البيت يقول ابن دعبل

قالت لقد أعييتنا حجة * فأت اذا ما هجع السامر
واسقط علينا كسقوط الندى * ليلة لا ناه ولا آمر *

وقال الواثق

قالت اذا الليل دجا فأتنا * فجئتها حين دجا الليل
خفىّ وطء الرجل من حارس * ولو دنا حلّ به الويل *

ومن ظرف العرجى أنه وعد هوى له أن تزوره فى منتزه فجاءته على أتان ومعها جارية لها وجاء العرجى على عير ومعه غلام فواقعها العرجى ثم خرج فرأى الغلام يواقع الجارية والعير على

الاتان

الاثان فلما نظر الحال قال هذا يوم غاب عذاله ويسمى أخذ الحريري شطر بيت العرجي التضمين وليس بسرقة والتضمين يكون في بيت وفي شطر بيت والشعراء تتولع به كثيرا وهو من صنعة البديع فمن الثاني قول الاخطل

ولقد سما للخرمي فلم تقل * بعد الوغى لكن تضايق مقدمي

(ومثله قول الآخر)

وجزت على باب الامير كأنني * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

ومن تضمين بيت بكماله قول الحسن بن هانئ

اني عجبت وفي الايام معتبر * والدهر يأتي بألوان الاعاجيب

من صاحب كان دنياي وآخرتي * عدا علي جهارا عدوة الذيب

قد كان لي مثلا لو كنت أعقله * من رأى غالب أمر غير مغلوب

لا تمدحن امرأ حتى تجربه * ولا تذمنه من غير تجريب

فضمن هذا البيت وقال ابن حجاج

قد قلت لما ان رجعت موليا * ومعي مزابيرمن الكتاب

نحن الذين يقال عنا كلنا * فل العصا وطريدة الحجاب

قوم اذا قصدوا الملوك لمطلب * نتفت شواربهم على الابواب

وقال ابن رشيق سألني بعض أصحابنا ان أضمن له قول الشاعر

فان فخرت بآباء لهم شرف * قلنا صدقت ولكن بئس ما ولدوا

ولا أزيد على بيت واحد فقلت

أصبحت من جملة الاشراف ان ذكروا * كواحد الناس لا تزكو له عدد

والتضمين كثير وعلى بيت العرجي * أضاعوني وأي فتى أضاعوا * حديث النضر بن شميل قال كنت أدخل على المأمون في سمره فدخلت ذات ليلة وعلي أطمار أخلاق فقال يا نضر ما هذا التقشف تدخل على أمير المؤمنين في هذه الخلقان فقلت أنا شيخ ضعيف وحر مرو شديد فأتبرد بهذه الخلقان قال لا ولكنك قشف فجمل منك هذا على التقشف ثم أجرينا الحديث فقال حدثنا هشيم عن بشر عن مجاهد عن الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها وكمالها كان فيها سداد من عوز فأورده بفتح السين قلت يا أمير المؤمنين حدثنا عوف بن أبي جميلة الأعرابي عن الحسن عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها وكمالها كان فيها سداد من عوز وكان متكئا فاستوى جالسا وقال كيف قلت يا نضر سداد قلت سداد لان السداد هنا لحن قال أو تلحنني قلت انما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه فقال فما الفرق بين السداد والسداد قلت السداد القصد في الدين والسبيل والسداد بالكسر البلغة في الشيء وكل ما سددت به شيأ فهو سداد قال أو تعرف العرب ذلك قلت نعم هذا العرجي من ولد عثمان يقول

أضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

ثم أطرق مليا وقال قبح الله من لا أدب له ثم تجارينا الحديث فقال كيف روايتك للشعر قلت قد رويت الكثير منه قال فأنشدني أحسن ما قالته العرب في الحلم فأنشدته

اذا كان دوني من بليت بجهله * أبيت لنفسي أن أقابل بالجهل
وان كان مثلي في محل من العلا * هويت اذا حلما وصفحا عن المثل
وان كنت أدنى منه في الفضل والحجا * رأيت له حق التقدم والفضل

فقال ما أحسن ما قال فأنشدني أحسن ما قالته العرب في الحزم فأنشدته

على كل حال فاجعل الحزم عدة * لما أنت باغيه وعونا على الدهر
فان نلت أمرا نلته عن عزيمة * وان قصرت عنه الحقوق فمن عذر

قال فما أحسن ما قال فأنشدني أحسن ما قالته العرب في اصلاح العدو حتى يكون صديقا فأنشدته

وذي غله ساءلته فقهرته * فأوقرته مني بعبء التحمل
ومن لا يدافع سيآت عدوه * باحسانه لم يأخذ الطول من عل
ولم أر في الاشياء أسرع مهلكا * لضغن قديم من وداد معجل

فقال ما أحسن ما قال فأنشدني أحسن ما قالته العرب في السكوت فأنشدته

اني ليهجرني الصديق تجنبا * فأريه ان لهجره أسبابا
وأراه ان عاتبته أغريته * فيكون تركي للعتاب عتابا
واذا بليت بجاهل متحكم * يجد المحال من الامور صوابا
أوليته مني السكوت وربما * كان السكوت عن الجواب جوابا

فقال ما أحسن ما قال ثم قال ما مالك يا نضر قلت أريضة بمرو الروذ أتصابها وأتمززها قال أفلا نفيدك مالا معها قلت ان رأى ذلك أمير المؤمنين فاني لذلك لمحتاج فأخذ القرطاس وكتب وأنا لا أدري ما يكتب ثم قال كيف تأمر اذا أردت أن تترب الكتاب قلت يا غلام أترب الكتاب قال فهو ماذا قلت مترب قال فمن السحاة قلت يا غلام اسح الكتاب قال فهو ماذا قلت مسحي قال فمن الطين قلت يا غلام طن الكتاب قال فهو ماذا قلت مطين ومطان فقال هذه أحسن من الاولى ثم قال يا غلام أتربه واسحه وطنه ثم صلى بنا العشاء ثم قال لغلامه امض معه الى الفضل ابن سهل بهذا الكتاب فلما قرأه قال يا نضر ان أمير المؤمنين أمر لك بخمسين ألف درهم وما سبب ذلك فأخبرته الحديث على جهته فقال لحنت أمير المؤمنين فقلت كلا انما لحن هشيم وكان لحانة فتتبع أمير المؤمنين ألفاظه وقد تتبع ألفاظ الفقهاء ورواة الاخبار فعجل لي ما في الكتاب وأمر لي من عنده بأربعين ألف درهم فانصرفت بتسعين ألف درهم بحرف استفاده مني وهذا الخبر جاء في أخبار النحويين وذكره الحريري في درة الغواص باخصر مما ذكرناه ثم قال باثر الخبر وقد أذكرني هذا المثل أبياتا أنشدنيها أحد أشياخي رحمهم الله لابن أبي الهيدام

لي صديق هو عندي عوز * من سداد لا سداد من عوز
وجهه يذكرني دار البلى * كلما أقبل نحوي وضمز
واذا جالسني جرعني * غصص الموت بكرب وعلز
يصف الود اذا شاهدني * واذا غاب وشى بي وهمز

قوله أتصابها أي أشرب صبابتها اه من درة الغواص اه

كحمار السوء يبدى مرحا * فاذا سيق الى الحمل غمز
ليتنى أعطيت منه بدلا * بنصيبى شرّ أولاد المعز
قد رضينا بيضة فاسدة * عوضا منه اذا البيع نجز

وكان لابى حنيفة رحمه الله جار اسكاف بالكوفة يعمل نهاره أجمع فاذا أجنه الليل رجع الى منزله بالحم ولحم أو سمك فيطبخ اللحم أو يشوى السمك حتى اذا دب الشراب فيه رفع عقيرته ينشد

أضاعونى وأى فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

فلا يزال يشرب ويردده ذا البيت حتى يغلبه النوم وكان أبو حنيفة رحمه الله يصلى الليل كله ويسمع جلبته وانشاده ففقد صوته لياليا فسال عنه فقيل له أخذه العسس منذ ثلاث ليال وهو محبوس فصلى الفجر وركب بغلته ومشى فاستأذن على الامير فقال ائذنوا له وأقبلوا به راكبا ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ففعل به ذلك فوسع له الامير مجلسه وقال له ما حاجتك فقال لى جار اسكاف أخذه العسس منذ ثلاث ليال فتأمر بتخليته فقال نعم وكل من أخذ من تلك الليلة الى يومنا هذا ثم أمر بتخليتهم أجمعين فركب أبو حنيفة وتبعه جاره الاسكاف فلما أوصله داره قال له أبو حنيفة أترانا يافتى أضعناك قال لا بل حفظت ورعيت جزاك الله خيرا عن صحبة الجوار ورعاية الحق ولله على أن لا أشرب الخمر أبدا فتاب ولم يعد الى ما كان عليه * ومما يوافق هذا الموضع فى المقامات من ظرف الحكايات التى تضمنت بيع المماليك عند الضرورات وما للاجواد من جزيل الهبات مماذكروا من أحسن أخبار الغلمان ان جعفر بن يحيى عرض عليه فى بعض متوجهاته مملوك من مماليك لرجل جفاه السلطان فقبض ماله وأمر ببيع مماليكه فعرض عليه من جملتهم غلام كما طر شاربه أجمل الناس يدير بين فكيه لسانا أبين من الصبح قال جعفر فقلت له ما اسمك قال ماهر فقلت له وما صنعتك قال الادب والغناء والشعر وماشئت من بعد فسألته عن ثمنه فقال خمسمائة دينار على الضرورة قال فأديت ثمنه وسالته أن يسمعنى شيأ من غنائه فأخذ العود وغنى

حملتم جبال الحب فوقى وانى * لاعجز عن حمل القميص وأضعف
ظفرتم بكتمان اللسان فمن لكم * بكتمان عين دمعها الدهر يذرف

فأطربنى غناؤه وشجانى فأجزته ووهبت له وخلعت عليه وأمرته بمعادلتى فلما اجتزت منزل مولاه بعقدار ميل أنشأ يقول

وما كنت أخشى معبدا أن يبيعنى * بشئ ولو أضحت أنامله صفرا
أخوهم ومولاهم وحامل سرهم * ومن قد ثوى فيهم وعاشرهم دهرا
أشوقا ولما تمض لى غير ساعة * فكيف اذا خب المطى بنا شهرا

فقلت ياغلام أتعرف منزل مولاك من ههنا فقال هيهات وهل تخفى معالم الصب فقلت اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى ووهبت له ألف دينار فقال لى زميلى أمثل هذا يعتق فقلت أو مثله يملك فولى وهو يقول

لا يوجد الخير الا فى معادنه * والشر حيث طلبت الشر موجود

* وحدث ابن عائشة قال كان لرجل من قيس عيلان جارية وكان بها معجبا ولها مكرما فاصابته

قال فلما وعى الشيخ أبياته وعقل مناغاته تنفس الصعداء وبكى حتى أبكى البعداء ثم قال لى انى أحل هذا الغلام محل ولدى ولا أميزه عن أفلاذ كبدى ولولا خلو مراحى وخبو مصباحى لما درج عن عشى الى أن يشيع نعشى وقد رأيت ما نزل به من لوعة البين والمؤمن هين لين فهل لك فى تسلية قلبه وتسرية كربه بأن تعاهدنى على الاقالة فيه متى استقلت وان لا تستثقلنى اذا ثقلت ففى الآثار المنتقاة المروية عن الثقات من أقال نادما بيعته أقاله الله عثرته (قال الحرث بن همام) فوعدته وعدا أبرزه الحياء وفى القلب أشياء فاستدنى حينئذ الغلام اليه وقبل ما بين عينيه وأنشد والدمع يرفض من جفنيه

خفض فدتك النفس ما تلاقى
من برحاء الوجد والاشفاق
فما تطول مدة الفراق
ولا تنى ركائب التلاقى
بحسن عون القادر الخلاق

ثم قال له أستودعك من هو نعم المولى وشمر ذيله وولى فلبث الغلام فى زفير وعويل ريثما يقطع مدى ميل فلما استفاق وكفكف دمعه المهراق قال أتدرى لم أعولت وعلام عوّلت فقلت أظن فراق مولاك هو الذى أبكاك فقال انك لفى واد وأنا فى واد ولكم بين مريد ومراد ثم أنشد

حاجة وجهد فقالت له لو بعتنى فان نلت طائلا عدت به عليك فعرضها للبيع فعرضت على عمر بن عبد الله بن معمر المذحجى فأعجبته فاشتراها بمائة ألف درهم فلما مضت لتدخل القصر ودّعت مولاها وأنشدته

هنيأ لك المال الذى قد أصبته * ولم يبق فى كفىّ الا تفكرى
أقول لنفسى وهى فى كرب غشية * أقلى فقد بان الحبيب أو اكثرى
اذا لم يكن للوصل عندك حيلة * ولم تجدى بدا من الصبر فاصبرى

(فأجابها مولاها)

فلولا قعود الدهر بى عنك لم يكن * لفرقتنا شئ سوى الموت فاعذرى
أؤب بحزن من فراقك موجع * أناجى به قلبا طويل التفكر
عليك سلام لا زيارة بيننا * ولا وصل الا أن يشاء ابن معمر

فقال ابن معمر قد شئت خذ بيدها فهى لك وثمنها (قوله عقل مناغاته) أى فهم كلامه والمناغاة تكليم الطفل بما يهوى ويفرح به فاذا ردّ الصبى كلامك أو حاكاك فقد ناغاك (الصعداء) ارتفاع نفس المهموم (أفلاذ) قطع يريد أولاده والفلذة قطعة من الكبد ولفرط الاشفاق به والمحبة فى الولد يخاطبه أبواه بقلبى وكبدى وقالوا أولادنا أكبادنا وقال الشاعر

وانما أولادنا بيننا * أكبادنا تمشى على الارض

(مراحى) موضع ابلى ودوابى وكنى بخلو المراح عن الفقر وذهاب المال (درج) مشى (لوعة البين) حرقة الفراق (هين لين) هما مع الازدواج مخففتان فان أفردتا شددتا (قوله لما درج عن عشى) يقول لولا الفقر ما بعته مادمت حيا (وتسرية كربه) ازالة همه (المنتقاة) المختارة المدوّنة المكتوبة المجموعة والحديث معروف من طريق أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من أقال نادما بيعته أقاله الله عثرته أى عفا عن زلته (أبرزه) أظهره ويريد بقوله (وفى القلب أشياء) أنه أضمر أن لا يقيله أبدا (يرفض) يسقط متفرقا (خفض) سكن (برحاء) شدّة (الوجد) الحزن (الاشفاق) الخوف (تنى) تفتر (زفير) أنفاس مرتفعة (عويل) بكاء (ريث) قدر (مدى) غاية (والميل) قدر مد البصر من الارض ويقال انه ألف خطوة من خطا البعير والفرسخ ثلاثة أميال والبريد أربعة فراسخ (استفاق) استراح وخف ما يجده (كفكف) ردّ وأذهب (المهراق) المصبوب (أعولت) بكيت بصوت عال وأعول اعوالا صاح ورفع صوته وعوّلت على كذا اتكلت عليه وعلى الله معوّلى اتكالى وقال الشاعر

وليس على ريب الزمان معوّل

(كم بين مريد ومراد) يريد انهما متقاربان فى اللفظ متباعدان فى المعنى لان المريد فى الشئ المحب فيه والمراد الشئ المطلوب وهو المحبوب فأنت قد تريد الشئ فتمنعه وغيرك قد يراد له فيأباه ولا يريده فاللفظان متضادّان فيقول التبس عليك سر بكائى فظننت انه على فراق مولاى فتفطن الآن انه على سخف عقلك كما التبس اللفظان على غير ناقد فاذا تفطن لهما تباعدا عليه والمريد عند أهل الارادة المبتدى والمراد المنتهى فالمريد هو الذى نصب للتعب والمقاساة والمراد الذى اتى الامر من غير مشقة فهو مرفوق به مرفه وقيل المريد متحمل والمراد محمول * الجنيد المريد تتولاه سياسة المعلم والمراد تتولاه رعاية الحق لان المريد يسير

والمراد

لم أبك والله على الف نزح * ولا على فوت نعيم وفرح

وانما دمع اجفانى سفح
على غبى لحظه حين طمح
ورطه حتى تعنى وافتضح
وضيع المنقوشة البيض الوضح
ويك أما ناجتك هاتيك الملح
بأننى حوبيى لم يبح
اذ كان فى يوسف معنى قد وضح
قال فتمثلت مقاله فى مرآة
المداعب ومعرض الملاعب
فتصلب تصلب المحق
وتبرأ من طينة الرق
فجلنا فى مخاصمة اتصلت
بملاكمة وأفضت الى محاكمة
فلما أوضحنا للقاضى الصورة
وتلونا عليه السورة قال
ألا ان من أنذر فقد أعذر
ومن حذر كمن بشر ومن
بصر فاقصر وان فيما
شرحتماه لدليلا على أن
هذا الغلام قد نبهك فما
ارعويت ونصح لك فما
وعيت فاستر داء بلهك
واكتمه ولم نفسك ولا تلمه
وحذار من اعتلاقه
والطمع فى استرقاقه فانه
حر الاديم غير معرض
للتقويم وقد كان أبوه
أحضره أمس قبيل أفول
الشمس واعترف بأنه
فرعه الذى أنشاه وان
لا وارث له سواه فقلت
للقاضى أو تعرف أباه أخزاه
الله فقال وهل يجهل أبو زيد
الذى جرحه جبار وعند
كل قاض له إخبار وأخبار
فتحرقت حينئذ وحولقت وأفقت ولكن حين فات الوقت

والمراد يطير فتى يلحق السائر الطائر * القشيرى كل مريد فى الحقيقة مراد لانه اذا أراده الحق للخصوصية وفقه للارادة ولكنهم فرقوا بينهما (قوله الف) أى صاحب (نزح) بعد (سفح) جرى (غبى) جاهل (لحظه) نظره (طمح) ارتفع (ورطه) أنشبه والورطة أهوية تكون فى رأس الجبل يشق على من وقع فيها الخروج منها وتورطت الماشية وقعت فى الورطة قال طفيل

تهاب طريق الحق تحسب أنه * وعور وراط وهو بيداء بلقع

وقيل الورطة الوحل تقع فيه الغنم فلا يمكنها التخلص ثم ضرب مثلا فى كل شدة يقع فيها الانسان وأورطت فلانا فتورط هو أى وقع فيما يعسر التخلص منه * أبو عمرو الورطة الهالكة قال الراجز

ان تأت يوما مثل هذى الخطه * تلاق من ضرب نميز ورطه

(قوله تعنى) اى تعب (افتضح) اشتهر و (الوضح) الشديدة البياض النقية أى ضيع الدراهم المنقوشة البيض والوضح البيان والضوء والغرة والفضة والدرهم الصحيح وقيل انه وصف الدراهم بالمصدر كما يقال امرأة زور وزوركرم (ويك) عجبا لك (وقوله هاتيك) يقال للمذكر ذا وهو للقريب وذاك لما هو أبعد وذلك لابعد الثلاثة وللمؤنث ذه وذى وذبلا ياء وتا وتى وهى للقريبة وتيك للتى هى أبعد منه وتلك وتالك لابعدهن وتدخل ها التنبيه على كل ما ليس فيه لام لان اللام موضوعة للبعيد وها موضوعة للقريب فلا يجمع بينهما نحو هذا وهذاك وهاتا وشاهده

* وليست دارنا هاتا بدار * وهذو هذى وهذ وهاتيك وشاهده قول ذى الرمة

قد احتملت مى فهاتيك دارها * بها السحم تروى والحمام المطوق

(قوله لم يبح) أى لم يجعل مباحا * أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أنا خصمهم ومن كنت خصمه خصمته رجل عاهد ثم غدر ورجل باع حرا ورجل استأجر أجيرا فلم يوفه أجره (وضح) تبين (تمثلت) تصورت (المداعب) الممازح (والمعرض) بفتح الميم الموضع الذى تعرض فيه الاشياء والمعرض الثوب تعرض فيه الجارية (تصلب) تقوى وهو تفعل من الصلابة وهى الشدة والارض الصلبة القوية ولا أعلم أحدا خالف فى هذه الرواية الا ابن ظفر فانه رواه تصلت بالتاء بنقطتين وفسره بتجرد وجد وكل جاد مجاهد مسرع فى أمره فهو متصلت فيه فذكروا أنه تصحف عليه اللفظ فشرحه على تصحيفه (المحق) صاحب الحق (الرق) العبودية وذكر الطينة لانها أصل الخلق (وتبرأ) منها تباعد (جلنا) تصرفنا (ملاكمة) مدافعة ومضاربة واللكم الضرب بجمع الكف (أفضت) اتصلت (أوضحنا) بينا (الصورة) القصة (تلونا) قرأنا وذكرناها له (أنذر) أعلم (أعذر) أتى بعذر ويقال قد أعذر من أنذر أى قد بلغ أقصى العذر من أنذرك وعذر الرجل فهو معذر اذا اعتذر ولم يأت بعذر ومنه قوله تعالى وجاء المعذرون من الاعراب (ارعويت) رجعت عن جهلك وانكففت (بلهك) غفلتك وجهلك (حذار) أى احذر ان تتعلق به (استرقاقه) تملكه وتعبده ومنه قولهم سوق الرقيق ومنه سمى العبد رقيقا لانهم يرقون لمالكهم ويخضعون له ويذلون و (الاديم) الجلد (للتقويم) لمعرفة قيمته (أفول) غروب (أنشاه) أحدثه وولده (جبار) باطل (اخبار) اعلام (وأخبار) جمع خبر وأخبره أعلمه (تحرقت) عضضت أسنانى حتى صوتت من شدة الغيظ (حولقت) قلت لا حول ولا قوة الا بالله (أفقت) انتبهت وأنشد الفنجديهى فى معنى هذا

وأيقنت أن لثامه كان شرك مكيدته وبيت قصيدته فنكس طرفي ما لقيت وآليت أن لا أعامل ملثما ما بقيت

ولم أزل أتأوه لخسر صفقتي
وافتضاحي بين رفقتي فقال
لي القاضي حين رأى
امتعاضي وتبين حر
ارتماضي يا هذا ما ذهب من
مالك ما وعظك ولا أجرم
اليك من أيقظك فاتعظ
بما نابك وكاتم أصحابك
ما أصابك وتذكر أبدا
ما دهمك لتقي الذكرى
دراهمك وتخلق بخلق من
ابتلي فصبر وتجلت له العبر
فاعتبر (قال الحرث بن
همام) فودعته لابسا ثوب
الخجل والحزن ساحبا ذيلي
الغبن والغبن ونويت
مكاشفة أبي زيد بالهجر
ومصارمته يد الدهر فجعلت
أتنكب عن ذراه وأتجنب
ان أراه الى أن غشيني في
طريق ضيق فحياني تحية
شيق فما زدت على أن
عبست وما نبست فقال
ما بالك شمخت بأنفك على
الفك فقلت أنسيت انك
احتلت وختلت وفعلت
فعلتك التي فعلت فأضرط
بي متهازيا ثم أنشد متلافيا
يا من بدا منه صدو*
دموحش وتجهم
وغدا يريش ملاوما
من دونهن الاسهم
ويقول هل حر يبا*
ع كما يباع الادهم
أقصر فما أنا فيه بد* عا مثل ما تتوهم قد باعت الاسباط قبـ* ـلي يوسفا وهم هم* (قصة يوسف عليه السلام)*

يفتضح الجاهل لكنه * من بعد ما غر به الناصح
ويصلح ابن السوء لكنه * من بعد ما مات الاب الصالح

(قوله وأيقنت أن لثامه كان شرك مكيدته) أي شبكة حيلته (وبيت القصيدة) أحسن بيت فيها فأراد أن حيلته كانت لثامه (نكس طرفي) أي كسر عيني وأمال نظري (أتأوه) أتوجع (رفقتي) أصحابي (امتعاضي) توجعي (ارتماضي) حرقة قلبي من شدة الهم ولا يكون الممتعض كاظما فلا بد من ظهور الكرب عليه وأمر ممعض وماعض أي ممض كارب (قوله ما ذهب من مالك ما وعظك) هو مثل ومعناه اذا ذهب من مالك شئ حذرك أن يحل بك مثله فتأديبه اياك عوض من ذهابه (أجرم) أذنب (نابك) نزل بك (دهمك) غشيك (تجلت) ظهرت (العبر) العلامات المخوفة واعتبرت بالشئ اذا اتعظت به (الخجل) الحياء (ساحبا) جارا (الغبن) بسكون الباء في البيع وبفتحها في الرأي يريد انه غبن في رأيه وبيعه قال في الدرة الغبن باسكان الباء في المال وبفتحها في الرأي والعقل (نويت) أضمرت (مصارمته) مقاطعته وصرمت فلانا قاطعت ما بيني وبينه من المودة والصرم القطع وقيل لليل صريم لانقطاعه عن النهار وهو في تأويل مصروم أي مقطوع وكذلك الصريم من الرمل وهو الذي انقطع من معظمه (يد الدهر) أي أبد الدهر *أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل للمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام والسابق الى الجنة (ذراه) جهته (غشيني) قصدني وأتاني على غفلة (شيق) شديد الحب (ما نبست) ما تكلمت (شمخت) رفعت أنفك كبرا وشمخ تكبر (ختلت) خدعت وخاتل في معنى ختل وأصل المخاتلة المشي للصيد قليلا قليلا خفية لئلا يسمع حسك ثم جعلت مثلا لكل شئ ورى به وستر على صاحبه (متلافيا) متداركا للألفة (تجهم) عبوس (ملاوما) جمع ملام أو ملاومة وهي اللوم والعتاب يريد أن لومه أنفذ من السهام (الادهم) قيل أراد به الفرس وقصد لونه للقافية وقيل أراد العبد الاسود (بدعا) أي أولا أي ما أنا أول من فعل ذلك (الاسباط) اخوة يوسف عليه السلام (وهم هم) اى وهم أنبياء لم يتغيروا عن مراتبهم ويقال هو هو اى هو كما عهدته لم يتغير* وقد جرى ذكر يعقوب والاسباط في المقامات في مواضع وبني هذه المقامة على ذكر يوسف وجماله وبيع اخوته اياه ونريد أن نلم بطرف من أخبارهم على شرط الكتاب ذكر أهل الاخبار أن يعقوب وهو اسرائيل عليه السلام تزوج بنت خاله ليا بنت ليان بن توبيل فولدت له روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا وغيرهم ثم توفيت وخلف على أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين وكان يوسف وأمه قد قسم لهما من الحسن شطره فكفلت يوسف عمته وكانت أكبر ولد اسحق وكانت عندها منطقة لاسحق يتوارثونها على قدر أسنانهم فلما ترعرع يوسف أراد يعقوب أخذه منها وقال لها والله لا أقدر على الصبر عنه فقالت له والله لا أقدر على صرفه اليك فلما رأت عزمه على أخذه حزمت المنطقة تحت ثياب يوسف وهو نائم ثم ادعت فقدها فطلبت فوجدت عنده وكان من سنتهم ان من سرق شيأ أخذ فيه فتركه لها حتى ماتت فلما رجع الى أبيه شغل به عن سائر بنيه فحسدوه فسألوا أباهم ارساله معهم للنزهة بعد ان ضمنوا حفظه فأخرجوه الى البرية وأخذوا يضربونه وكلما ضربه واحد استغاث بآخر فيضربه الآخر فلما كادوا يقتلونه منعهم يهوذا وذكرهم بما ضمنوا الابيه من حفظه فانطلقوا فأدلوه في الجب وهو يقول يا أباه لو تعلم

ما

مايصنع بابنك بنو الآباء وكان بعض اخوته لاسه فجعل يتعلق بشفير الجب فربطوا يديه وألقوه
فيه فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا يخولك ثم أرادوا أن يرضخوه بصخرة فمنعهم
يهوذا وكان يأتيه بالطعام خفية منهم ثم مرت سيارة فأدلى واردهم دلوه فتعلق به فلما رآه بشر به
السيارة وقال السدى ان الذى أخرجه انما دعا صاحباله اسمه بشرى فأتى اخوته الذين أخرجوه
وقالوا انه عبد لنا فباعوه منهم بعشرين درهما على أن يخرجوه من أرض الشأم فشرطوا الاخوته
أن يغربوه ويذهبوا به الى مصر فحينئذ رجعوا الى أبيهم عشاء يبكون فهذه قصة بيع الاسباط
يوسف على اختصار ثم انه لما بلغ مصر بيع من العزيز وكان فرعون وهو الريان بن الوليد قد
ولاه خزائنها فكان من قصته مع امرأة العزيز ومن حبها فيه ومن دعائها اياه لنفسها ومن تأبيه
من ذلك واستنزالها اياه حتى هم بها ورؤيته برهان ربه وهو رؤيته صورة يعقوب بعض على
اصبعه وقيل انه رأى فى الحائط مكتوبا ولا تقربوا الزنا ومبادرته الباب فارا منها وقدها قميصه
من دبر ووجوده العزيز على باب الدار جالسا مع ابن عم له وهو الشاهد من أهلها وقيل انه كان
صبيا فى المهد واشتهار أمرهما بمصر حتى تحدثت به نسوة فى المدينة وقلن امرأة العزيز تراود
فتاها عن نفسه واحضارها لهن واعدادها لهن ما يتكئن عليه وقيل المتكأ الاترج وأمرها له
أن يخرج عليهن واعظامهن اياه حتى شغلن به عن أنفسهن وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ماهذا
بشرا تنزيها له عن أن يأتى مثله ريبة فكان من هذا الخبر ما قص الله فى القرآن ونطقت به التفاسير
والاخبار ثم ان امرأة العزيز قالت للعزيز ان عبدك فضحنى فى الناس فاما سجنته وامابرزت للناس
أعتذر عن نفسى فحبسه فدخل معه رجلان أحدهما خباز الملك والآخر نديمه وكان لما بلغ الحلم
آتاه الله حكما وعلما من العبارة فكان فى السجن يفسر الرؤيا للمسجونين ويمرض مرضاهم
ويوسع على من ضاق عليه مكانه فقال أحد الفتيين لصاحبه هلم نجرب هذا العبد فسألاه من غير
أن رأيا شيأ وقالا له انا نراك من المحسنين فى معاشرتك أهل السجن فقال لهما أما أحدكما فنادم
الملك وأما الآخر فيصلب فقالا له ما رأينا شيأ فقال لهما قضى الامر فيكما ثم قال للذى ظن أنه ناج
منهما اذكرنى عند ربك وأخبره أنى محبوس ظلما فأوحى الله تعالى اليه ان اتخذت من دونى
وكيلا لاطيلن سجنك فعوقب بالسجن حيث هم بامرأة العزيز وباطالته حيث اتكل فى أمره
على غير ربه ثم كان من رؤيا الملك وجهل أهل دولته وتفسير يوسف لها وقول الملك ائتونى به
وتأبيه من الخروج حتى يسأل النسوة عن شأنه وشهادتهن عند الملك ببرائته واعتراف امرأة
العزيز بانها راودته وقوله فى العزيز ليعلم أنى لم أخنه بالغيب ويقال ان جبريل قال له عند ذلك
ولا يوم هممت بما هممت به فقال وما أبرئ نفسى ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى الآية
واستخلاص الملك اياه لنفسه وجعله على خزائن أرضه ما اشتهر قرآنا وتفسيرا ويقال ان العزيز
مات فى تلك المدة وان يوسف تزوجها وقال لها أليس هذا خيرا فقالت لا تلمنى كنت امرأة حسناء
فى ملك ودنيا وكان صاحبى لا يأتى النساء وكنت كما جعلك الله فى حسنك فغلبتنى نفسى على
ما رأيت فيزعمون انه وجدها عذراء وأنها ولدت له ابنين ثم أجدبت الارض فأتاه اخوته منتجعين
فكان من أمره معهم واحسانه اليهم فى الكيل وطلبه لهم أن يأتوه بشقيقه بنيامين ورجوعهم
موقرين ورغبته اياهم فى ارساله معهم وأخذه بسرقة الصواع وتأذيهم بذلك ورجوعهم الى

أبيهم وتوالى الحزن على يعقوب بفقد ابنيه وأمره لبنيه أن يرجعوا طالبين ليوسف وأخيه ودخولهم على يوسف أذلاء صاغرين وتعريفه اياهم بمكانه وبعثه بالقميص على أبيه وجمع شملهم بعد طول مدة الفراق مانص الله تعالى أنه عبرة لأولى الالباب ولولا أن الامر فى كتب التفسير أشهر من أن يجهل لفسرناه فصلا فصلا (قوله وأقسم بالتى يسرى اليها المتهم) يعنى مكة والمتهم الآتى تهامة وتهامة اسم مكة قال الاصمعى سمعت العرب تقول اذا انحدرت من ذات عرق فقد أتهمت (شعث سهم) أى متغيرة ألوانهم وشعورهم (قوله اعذر أخاك) قال زيد بن على ثلاثة لا يجتمعن الا فى كريم حسن المحضر واحتمال زلات الاخوان وقلة الملالة للصديق (لاحت) ظهرت (طاحت) هلكت (اقشعرارك) انقباضك قال والقشعريرة رعدة وانقباض (ازورارك) انقباضك وميلك (لفرط شفقتك) لكثرة خوفك (غبر نفقتك) أى تخاف على مابقى من نفقتك وان آخذها (يوطئ) أى يجعل غيره يطأ الجمر أى لأضر مرتين و(الكشح) الخصر وقيل الجنب وقيل هو اسم لما بين الاضلاع ورأس الورك وكلها متقاربة وطوى كشحه على أمر استمر عليه وطوى كشحه مثل يضرب للمجانبة والمكاتمة قال الشاعر

طوى كشحا خليلك والجناحا * لبين منك ثم غدا وراحا

و(الشح) البخل مع الحرص و(اضطرنى) ألجأنى (الخالب) الخادع (صفيا) صاحبا مخلصا (حفيا) معينا كريما مكرما (نبذت) رميت وطرحت (ظهريا) أى خلف ظهرى واتخذه ظهريا أى عدة يستظهر بها أى يجعلها خلف ظهره حتى متى احتاجها استعملها (فريا) عجبا ومنكرا والفرى الامر العظيم والفرى الكذاب ومما جاء فى الشعر على أخبار يوسف عليه السلام قال ابن الرقاق

بأبى وغير أبى أغن مهفهف * مهضوم ما خلف الوشاح خميصه
لبس الفؤاد فزقته جفونه * فأتى كيوسف حين قد قميصه

وقال أيضا

وسافر عن قمر * مبتسم عن درر
لولاح للحور وقد * سل حسام الحور
لقد منه شغفا * قميصه من دبر

(ومن الملح فى ذلك قول ابن حجاج فى بختيار)

فديت وجه الامير من قمر * يجلو القذى نوره عن البصر
ان زليخا لو أبصرتك لما * ملت الى الحشر لذة النظر
بل وحياتى لو كنت يوسفها * لم تك من تهمة العزيز برى
* فاننى عالم بأنك لو * شممت ريا نسيمها العطر
سبقتها واندلقت تتبعها * من بين تلك البيوت والحجر
ولم تزل بالكدين تنقرها * من قبل وقت العشا الى السحر
طبعك كالماء فى سهولته * لكن أبو الزبرقان من حجر
ان الملوك الشباب ما خلقوا * الا صلاب الفياش والكمر

وقال آخر

قميص يوسف لما قد من دبر * كانت براءته فيه من الكذب

هذا وأقسم بالتى
يسرى اليها المتهم
والطائفين بها وهم
شعث النواصى سهم
ماقت ذاك الموقف الـ
مخزى وعندى درهم
فاعذر أخاك وكف عنه
ملام من لا يفهم

ثم قال أما معذرتى فقد لاحت
وأما دراهمك فقد طاحت
فان كان اقشعرارك منى
وازورارك عنى لفرط شفقتك
على غبر نفقتك فلست ممن
يلسع مرتين ويوطئ على
جمرتين وان كنت طويت
كشحك وأطعت شحك
لتستنقذ ما علق باشراكى
فلتبك على عقلك البواكى

(قال الحرث بن همام)
فاضطرنى بلفظه الخالب
وسحره الغالب الى أن
عدت له صفيا وبه حفيا
ونبذت فعلته ظهريا وان
كانت شيأ فريا

وفى قيصك لما قد من دبر * مما يدل على الفحشاء والريب

(وقال آخر فى الحسن بن وهب)

اذا لقيت بنى وهب بمنزلة * لم تدر أيهما الانثى من الذكر
مؤدبون على الفحشاء من صغر * مدربون على النكراء من كبر
قيص اناثهم ينشق من قبل * وقص ذكرانهم تنقد من دبر
محنكون ولم تقطع سرائرهم * بين الحواضن والدايات بالكمر

(شرح المقامة الخامسة والثلاثين وهى الشيرازية)

(التطواف) مصدر طوفت حول الشئ اذا أكثرت المشى حوله وقد طفت به واطفت واذا ادرت وأكثرت ذلك قلت طوفت و(شيراز) مدينة فارس العظمى وهى مدينة جليلة عظيمة ينزلها الولاة ولها سعة حتى انه ليس فيها منزل الا وفيه لصاحبه بستان فيه جميع الثمار والرياحين والبقول وكل ما يكون فى البساتين وشرب أهلها من عيون تجرى فى أنهار تأتى من جبال يسقط عليها الثلج (قوله ناد) مجلس (يستوقف) يحبس ويجعله يقف (المجتاز) خاطر الطريق المار عليه (أوفاز) انحفاز وعجلة ومنه قولهم قعد مستوفزا معناه قعد على وفز من الارض والاوفاز جمع وفز وهو أن لا يطمئن فى قعوده قال الجوهرى رحمه الله تعالى تقول نحن على أوفاز ولا تقول على وفز ومعناه أن لا تلقاه معدا الازهرى الوفزة الوثبة بعجلة وقعد مستوفزا اذا رفع أليتيه ووضع ركبتيه ولم يطمئن (تعديه) تخطيه وجوازه و(خطت) مشت (عجت) ملت (أسبك) أجرب (سرجوهره) أراد باطن أهله اذ كانوا فى الظاهر ذوى مناظر فأراد أن يعرف هل هم أهل علوم وآداب حتى يكملوا فى الظاهر والباطن أم أمرهم على خلاف ذلك وبين ذلك بقوله (كيف ثمره من زهره) فكنى بالزهر عن ظاهرهم وبالثمر عن سرهم الباطن وسر كل شئ باطنه وخالصه وقال المعرى

فلا يغرنك سر من سواه ابدا * ولو أنار فكم نور بلا ثمر

(قوله أفراد) أى كبراء لا نظير لهم فمن مال اليهم استفاد وأفراد نجوم الدرارى (والعائج) المائل (فكاهة) حديث مطرب (الاغاريد) أصوات الطير ويطلقون على ما كان فيه حنان ورقة منها اسم التغريد والغناء الا الحمام فانهم يسمون أصواتها غناء وتغريدا وبكاء ونياحا ويأخذونه من حال السامع لها وقرئ على أبى الحسن بن السراج قول سويد بن الاعلم

لقد تركت فؤادك مستجنا * مطوقة على فنن تغنى
يميل بها وتركبه بلحن * اذا ماعن للمحزون أنا

فقال انما تكون أصوات الحمام على ما فى نفس المستمع فاذا سمعها من يطرب سماها هناء واذا سمعها من يحزن سماها بكاء وقال ابن قاضى ميلة مصدقا لما قاله ابن السراج

لقد عرض الحمام لنا بسجع * اذا أصغى له ركب تلاحى
شجا قلب الخلى فقال غنى * وبرح بالشجى فقال ناحا

(وسبقه المعرى بقوله)

(المقامة الخامسة والثلاثون الشيرازية)

(حكى الحرث بن همام) قال مررت فى تطوافى بشيراز على ناد يستوقف المجتاز ولو كان على أوفاز فلم استطع تعديه ولا خطت قدمى فى تخطيه فعجت اليه لأسبك سرجوهره وأنظر كيف ثمره من زهره فاذا أهله افراد والعائج اليهم مفاد وبينما نحن فى فكاهة أطرب من الاغاريد وأطيب

بأرض للحمامة أن تغني * بها ولمن تأسف أن تنوحا
وقد قدمنا في شرح الصدر فصلا للحمام وما أحسن قول البحتري
حيتك عنا شمال طاف طائفها * في جنة نفحت روحا وريحانا
غنت سحيرا فناجي الغصن صاحبه * سرا بها وتداعي الطير اعلانا
ورق تغني على غصن مهدلة * تسمو بها وتمس الارض أحيانا
تخال طائرها نشوان من طرب * والغصن من هزه عطفيه نشوانا

وهذه ديباجة أبي عبادة و (حلب العناقد) الخمر (احتف) انتظم (طمرين) أي ثوبين خلقين (يناهز) يقارب (العمرين) ثمانين سنة وذلك ان الانسان من الشبيبة الى الاربعين في نماء وزيادة وقوة ومن الاربعين الى الثمانين في نقص فالبالغ الثمانين قد استوفى عمري الزيادة والنقص وسئل ذو الرمة عن سنه فقال بلغت نصف عمر الهرم أربعين سنة وقيل العمر ستون سنة لقوله عليه الصلاة والسلام أعمار أمتي ما بين الستين الى السبعين ومن حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من أتت عليه ستون سنة فقد أعذر الله اليه فالعمران على هذا مائة وعشرون سنة والحكماء يزعمون أنه منتهى ما يبلغ عمر ابن آدم والاظهر من سياق المقامة انه أراد الاول لان من قارب مائة وعشرين سنة لا يلتذ بخمر ولا بغيره وهو يزعم في المقامة انه يحاول شربها الغناء وغير ذلك (قوله أبان) بين (منطيق) فصيح (احتبى حبوتهم) أي جلس مثل جلوسهم (المنتدين) أهل المجلس (ازدراه) احتقره (أصغريه) قلبه ولسانه وقيل لهما الاصغران لصغر حجمهما من بين الاعضاء لفضلهما وشرفهما على الاعضاء قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ولكني مدرب الاصغرين وجلبهما القيام والكمال كأنه قال المرء يقوم أموره بلسانه وقلبه ويكمل المرء بهما قال الاصمعي رحمه الله تعالى كان ضمرة بن أبي ضمرة قصيرا وكان يقول المرء باصغريه بقلبه ولسانه (يتداعون) يدعو بعضهم بعضا الى ذكر الفصاحة والاشبه أن يكون من الادعية وهي الاحجية والاغلوطة كأنهم يتحاجون و (فصل الخطاب) كناية عن الفصاحة (يعتدون) يحسبون و (الاحطاب) جمع حطب ولا يقال للعود حطب حتى يجف ماؤه وييبس فأراد أنهم حسبوا أبا زيد من جنس الحطب لانضارة فيه كأنه لاعلم عنده وقال الشاعر
اذا العود لم يثمر وان كان شعبة * من المثمرات اعتده الناس للحطب
(يفيص) يتكلم ويندفع في القول وفاص لسانه وأفاص أي أبان (يبين) يبين (سمة) علامة (سبر) قاس وجرب (قرائحهم) أذهانهم (خبر) جرب (شائلهم) ناقصهم (راجحهم) وافيهم والشائل من الدراهم الناقص الذي يشول به الميزان أي يرتفع والراجح ضده وقال في الدرة الشائل المرتفع وأنشد
ياقوم من يعذر من عجرد * القاتل المرء على الدانق
لما رأى ميزانه شائلا * وجاه بين الاذن والعاتق
(استنثل كنائنهم) استخرج ماعندهم والكنانة جعبة السهام (الفدام) خرقة تجعل على فم الابريق ليصفو الخمر بها (أخلاق) ثياب بالية (خلاق) نصيب وافر من الخير (ينابيع) مخارج الماء من العيون (النكت) المعاني الغامضة والنكتة نقطة في شئ تخالف لونه فاذا كانت في الكلام فهي عيونه (النخب) المختارة (بدائع) غرائب (ذوب الذهب) ماذاب منه ولو أنشدهم

من حلب العناقيد اذ احتف بناذو طمرين قد كاد يناهز العمرين فجابلسان طليق وأبان ابانة منطيق ثم احتبى حبوة المنتدين وقال اللهم اجعلنا من المهتدين فازدراه القوم لطمريه ونسوا ان المرء باصغريه وأخذوا يتداعون فصل الخطاب ويعتدونه عوده من الاحطاب وهو لا يفيص بكلمة ولا يبين عن سمة الى أن سبر قرائحهم وخبر شائلهم وراجحهم فحين استخرج دفائنهم واستنثل كنائنهم قال ياقوم لو علمتم أن وراء الفدام صفو المدام لما احتقرتم ذا أخلاق وقلتم ماله من خلاق ثم فجر من ينابيع الادب والنكت النخب ماجلب به بدائع العجب واستوجب أن يكتب بذوب الذهب

شعرا يوافق مجلسهم لم يكن الأبيات الناشي

كأنهم في صدور الناس أفئدة * تحس ما أخطروا فيها وما اعتمدوا
يبدون للناس ما تخفي ضمائرهم * كأنهم وجدوا منها الذي وجدوا
دلوا على باطن الدنيا بظاهرها * وعلم ما غاب عنهم بالذي شهدوا
مطالع الحق ما من شبهة غسقت * الا ومنهم لديها كوكب يقد

أو أبيات ابن شهيد حيث قال

وفتية كالنجوم حسنا * كلهم شاعر نبيل
متقد الجانبين ماض * كأنه الصارم الصقيل
راموا انصرامي عن المعالي * والقرب من دونها كليل
فاشتد في اثرها مسيح * كل كثير به قليل
في مجلس شأنه التصافي * تطيش في وصفه العقول

(قوله خاب) أي خدع و (الخلب) الحجاب الذي بين سوادا القلب وسواد البطن (تحلحل) تحرك وأصله للبعير اذا حركته للقيام تقول له حل حل (عاقت) منعت وحبست (مسرب) طريق مسيل الماء وسرب يسرب سروبا مضى على وجهه في سفر بعيد وسرب الماء يسرب سربا ومسربا فهو سرب سال والمعنى منعته المشي (وسم قدحك) علامة سهمك والقدح السهم قبل أن يراش ويركب نصله (وارويتنا من نضحك) أي أسقيتنا من بالك والنضح الرش الخفيف (قيضك ومحك) أي ظاهرك وباطنك لان القيض قشرة البيضة العليا وقلبها الاصفر هو المح بحاء غير منقوطة * الفنجديهى عن قيضك ومحك أي عن نسبك وبلدك (صمت) سكت (أفحم) غلب وقطع عن الكلام (أعول) بكى (وشوب أبي زيد وروبه) أي تخلطه في حيله والشوب الخلط تقول شبت الماء باللبن أي خلطتهما والروب اتخاذ الرائب والشوب اللبن الممزوج بالماء هنا والروب الخالص ويقال ما عنده شوب ولا روب أي لا مرق ولا لبن وقيل الشوب العسل والروب اللبن وفلان يشوب ويروب أي يخلط ويصفي وأصله يريب قلبت يروب طلبا للازدواج يضرب مثلا لمن يخلط في القول والعمل والشوب والروب جميعا الخلط وراب الرجل روبا اختلط عقله ورأيه (أساليبه) طريقه (المألوف) الملتزم (صوبه) قصده وجانبه وصوابه (سهومة محياه) تغير وجهه (سهوكة رياه) نتن رائحته من البخر وغيره (وقوله فاذا هو اياه) استعمل اياه وهو ضمير منصوب في موضع الرفع وهو غير جائز عند سيبويه وجوزه الكسائي في مسئلة "مشهورة جرت بينهما قال الفنجديهى سألت شيخنا العلامة امام النحاة جمال العلماء أبا محمد عبد الوهاب بن برى بن عبد الجبار المقدسي عن شرحها فقال أيده الله سألت شرح الله صدرك وأعلى في منازل الشرف قدرك عن المسئلة" التي جرت بين سيبويه والكسائي "وهي قوله كنت أظن ان العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو اياها وسألت عن وجه النصب في اياها عند من أجاز ذلك فاعلم ان مذهب النحويين البصريين في مثل هذه المسئلة "أن يكون ما بعد اذا مرفوعا بالابتداء والخبر فيقال فاذا هو هي على حد ما في الكتاب العزيز فاذا هي بيضاء للناظرين وقوله فاذا هي ثعبان مبين "فاذا هنا ظرف مكان وليست كالزمانية وسافرق بينهما وتقديرها في نحو خرجت فاذا زيد قائم خرجت فبالحضرة زيد قائم

فلما خلب كل خلب وقلب اليه كل قلب تحلحل ليرحل وتأهب ليذهب فعلقت الجماعة بذيله وعاقت مسرب سيله وقالت له قد أريتنا وسم قدحك وأرويتنا من نضحك فخبرنا عن قيضك ومحك فصمت صموت من أفحم ثم أعول حتى رحم (قال الراوي) فلما رأيت شوب أبي زيد وروبه وأساليبه المألوف وصوبه تأملت الشيخ على سهومة محياه وسهوكة رياه فاذا هو اياه فكتمت سره كما يكتم

والعامل فى اذا قائم وان شئت نصبت قائما على الحال وجعلت الخبر فى اذا كما تقول خرجت فاذا زيد القائم والقائم فالقائم بالرفع على الخبر والنصب على الحال ومذهب الكوفيين فى الحال أن تكون نكرة ومعرفة ومن هنا منع سيبويه من اياها فى المسئلة لان المضمر لا يقع حالا لتعريفه وعدم الاشتقاق فيه والحال تكون نكرة مشتقة والكوفيون يجيزون النصب على معنى خرجت فاذا زيد قائما والاقرب عندى ان يريدوا فاذا هو موجود اياها فحذف الخبر وهو موجود لدلالة الكلام عليه ومثل هذا عندهم لئن ضربته ليضربنه السيد الشريف فينصبون السيد باضمار فاذا حملته على هذا تخرج * وحكى عن أبى زيد انه سمع هذه المسئلة من العرب بنصب اياها فان صح انه سمعها فهذا وجه ويجوز فى قياس قولهم أن يكون على اسقاط الكاف وهم يروون فى الخبر ذكاة الجنين ذكاة أمه بنصب ذكاة يقدرون كذكاة أمه فتقديرها فاذا هو كهاأى فاذا الزنبور كالعقرب وهم يجيزون ادخال الكاف على الضمير وسيبويه يمنعه الا فى الشعر كقول العجاج وأم أوعال كها أو أقربا وقال رؤبة

فلا أرى بعلا ولا حلائلا * كهو ولا كهن الا حاظلا

وأجاز بعض النحويين أن يكون اياها كناية عن الجملة التقدير فاذا هو لسعته كلسعتها فكنى عن الجملة بقوله اياها وينصب على الحال لانها كناية عن الجملة وهى نكرة فتصير فى حكم النكرة كما صارت الهاء فى ربه رجلا نكرة فى المعنى لكونها كناية عن نكرة ولذا دخلت رب عليها وهى لا تدخل الا على نكرة فهذا ما يقتضيه وجه النصب فى اياها على ما ذكره الكوفيون والفرق بين اذا الزمانية والمكانية من أوجه أحدها ان الزمانية تقتضى الجملة الفعلية لما فيها من معنى الشرط والمكانية تقع بعدها الجملة الابتدائية أو المبتدأ وحده والثانى ان الزمانية تقتضى جوابا والمكانية لا تقتضيه والثالث ان الزمانية مضافة الى الجملة التى بعدها والمكانية ليست مضافة الى ما بعدها بدليل خرجت فاذا زيد فزيد مبتدأ واذا خبره والرابع ان الزمانية تكون فى صدر الكلام نحو اذا جاء زيد فاكرمه والمكانية لا يبتدأ بها الا ان تكون جوابا للشرط كالفاء فى قوله وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون والخامس ان الزمانية تقتضى الاستقبال والمكانية تقتضى معنى الحضور لانها للمفاجأة والمفاجأة للحاضر دون المستقبل انقضى الكلام عليها على جهة الاختصار (وقوله الداء الدخيل) هو الذى لا يتكلم به استقباحا له أو لمحله (يخيل) يشتبه ويشكل وخال يخيل اشتبه (نزع) كف (اعواله) بكائه (عثورى) اطلاعى (رمقنى) نظر الى (بعين مضحاك) أى كثير الضحك (متباك) مستعمل للبكاء بتكلف (أعنو) أذل (فرطات) سقطات وزلات (عاتق) شابة قد أدركت ولم تبن بهاز وجها بل هى بكر ويريد بها الخمر التى لم يفض أحد خاتمها و(عانس) طالت اقامتها فى بيت أبيها (الاندية) المجالس (القود) قتل النفس بالنفس (استذنبت) نسبت الى الذنب (الاقضية) جمع قضاء أى كلما قيل لى فعلت هذا الذنب قلت انما هو قضاء الله وقدره وأخذ هذا المعنى من قول الحسن بن الضحاك

واتركى العذل على من قاله * وانسبى جورى الى حكم القضا .

ولهذا البيت حكاية أدبية قال الحسن كانت لى نوبة فى دار الواثق فبينا أنا نائم ذات ليلة اذ جاءنى خادم من خدام الحرم فقال لى ان أمير المؤمنين يدعوك فقلت له وما الخبر قال انه كان نائما الى جنب

الداء الدخيل وسترت مكره
وان لم يكن يخيل حتى اذا
نزع عن اعواله وقد عرف
عثورى على حاله رمقنى
بعين مضحاك ثم طفق ينشد
بلسان متباك
أستغفر الله واعنو له
من فرطات أثقلت ظهريه
ياقوم كم من عاتق عانس
ممدوحة الاوصاف فى الانديه
قتلتها الا أتق وارثا
يطلب منى قود أوديه
وكلما استذنبت فى قتلها
أحلت بالذنب على الاقضيه

حظيته فقام وهو يظنها نائمة فلم بجارية أخرى وعاد الى فراشه فغضبت حظيته وتركته حتى نام ثم قامت ودخلت حجرتها فانتبه وهو يظنها عنده فطلبها فلم يجدها فقال من اختلس كريمتي ويحكم أين هي فأخبرناه انها قامت غضبى ومضت الى حجرتها فدعا بك قال فمضيت مع الرسول ورويت أبياتا في طريقي فلما جئته خبرني القصة وقال لي قل في هذا شيأ ففكرت هنيهة كاني أقول شعرا ثم أنشدته الابيات

غضبت أن زرت أخرى غضبة * فلها العتبى علينا والرضا
يا فدتك النفس كانت هفوة * فاغفريها واصفحي عما مضى
واتركي العذل على من قاله * وانسبي جوري الى حكم القضا
فلقد نبهتني من رقدتي * وعلى قلبي كنيران الغضى

فقال أحسنت بحياتي أعدها علي يا حسن فأعدتها عليه حتى حفظها وأمر لي بخمسمائة درهم فقام ومضى الى الجارية فأنشدها الابيات فتراضيا فكان بعد اذا رآني تبسم لموقع الابيات ونجحها عند الجارية والاحالة على القضاء بالذنب هو مذهب الجبرية فمن فعل منهم ذنبا قال لا ذنب لي انما قدر علي ومذهب القدرية خلافه قال الشاعر في رده

اذا أذنبوا قالوا مقادير قدرت * وما العار الا ما تجر المقادر

(وقوله غيها) أي فسادها (مستشريه) لاحية مصممة واستشرى الشيء انتشر واستشرى في أمره لج فيه * والقتل الذي ذكره البنات هو الوأد الذي كانت تفعله الجاهلية قال الله سبحانه وتعالى واذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت والموؤدة التي تدفن حية فتثقل بالتراب والوأد القتل وورد قيس بن عاصم المنقري على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له بعض الانصار عن وأده البنات فقال قيس ما ولدت لي بنت الا وأدتها وما رحمت منهن الا واحدة ولدتها أمها وأنا في سفر فدفعتها الى اخوالها وقدمت فسألت عن الحمل فاخبرت انها ولدت ميتا ومضت سنون حتى ترعرعت فزارت أمها ذات يوم فدخلت فرأيتها قد ضفرت شعرها وجعلت في قرونها شيأ من الخلوق ونظمت عليها ودعا وألبستها قلادة وجعلت في عنقها مخنقة فقلت من هذه الصبية فقد أعجبني حسنها فبكت ثم قالت هذه ابنتك كنت خبرتك اني ولدت ميتا وهذه التي ولدت فجعلتها عند خالها وبلغت هذا المبلغ فأمسكت عنها حتى اشتغلت أمها ثم أخرجتها يوما فحفرت حفرة فجعلتها فيها وهي تقول يا أبت أتغطيني بالتراب حتى واريتها وانقطع صوتها فما رحمت واحدة منهن ممن وأدت غيرها فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان من لا يرحم لا يرحم * وذكر ان قيسا وأد بيده بضع عشرة ابنة وكان السبب في وأد البنات أن المستمرج اليشكري اغار على قوم قيس فسبا نساء فيهن ابنته وابنة أخيه فدخل قيس اليهم فسألهم ان يهبوهما له فوجد المستمرج قد اصطفاهما لنفسه فسأله اياهما فقال قد جعلت أمرهما اليهما فان اختارتاك فخذهما فاختارتا المستمرج فانصرف فوأد كل ابنة له خوفا من الفضيحة فاقتدت به العرب في ذلك * قال الهيثم ان الوأد كان مستعملا في قبائل العرب قاطبة وكان يستعمله واحد ويتركه عشرة فجاء الاسلام وقد قل الا في تميم وقيل كان الوأد في تميم وقيس وبكر وهوازن وأسد لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها

ولم تزل نفسي في غيها
وقبلها الابكار مستشريه
حتى نهاني الشيب لما بدا
في مفرقي عن تلكم المعصيه

عليهم سنين كسني يوسف فاجدبوا سبع سنين حتى أكلوا الوبر بالدم ولهذا جاء تحريم الدم وهذا خبر بين أن الوأد كان للحاجة لا للانفة وبه نزل القرآن قال الله تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق وقال ولا يقتلن أولادهن ومن ذكر انه كان انفة وانه كان في تميم ومن جاورهم فيحتج بحديث أبي عبيدة أن تميما منعت النعمان الاتاوة فوجه اليهم أخاه الريان وجل من معه من بكر بن وائل فاستاق النعم وسبى الذرارى وفي ذلك يقول المستمرج اليشكرى

لما رأوا راية النعمان مقبلة * قالوا ألا ليت أدنى دارنا عدن
ياليت أم تميم لم تكن عرفت * مرءا وكانت كمن أودى به الزمن

وقال النعمان في جوابه

لله بكر غداة الروع لو بهم * يرمى ذرا حصن زالت بهم حصن
اذ لا أرى أحدا في الناس يشبههم * الا فوارس حامت عنهم اليمن

فوفدت اليه تميم فأناب اليهم وأحب البقيا وقال

ما كان ضر تميما لو تعهدها * من فضلها ما عليه قيس عيلان

فسألوه النساء فقال كل امرأة اختارت أباها ردت اليه وان اختارت صاحبها تركت عنده فكلهن اخترن آباءهن الا ابنة قيس بن عاصم اختارت صاحبها عمرو بن المستمرج فنذر قيس لا يولد له ابنة الا قتلها فهذا شئ يعتل به من وأد البنات و يقول فعلناه أنفة وقد كذب بما أنزل الله تعالى في القرآن المجيد وأين فعل قيس في الوأد وقساوة قلبه من فعل صعصعة بن ناجية بن عقال جد الفرزدق فانه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اني كنت أعمل عملا في الجاهلية لنفسي أينفعني ذلك اليوم قال وما عملك قال أضللت ناقتين عشراوين فركبت جملا ومضيت في بغائهما فرفع لي بيت فقصدته فاذا شيخ جالس بفناء الدار فسألته عنهما فقال هما عندي وقد أحيا الله تعالى بهما قوما من أهلك مضر فجلست عنده لتخرجا الي فاذا عجوز قد خرجت من كسر البيت فقال لها ما وضعت فان كان ذكرا شاركنا في أموالنا وان كان أنثى وأدناها فقالت وضعت أنثى فقلت أتبيعنيها فقال وهل تبيع العرب أولادها فقلت انما اشترى حياتها الا رقها فقال بكم فقلت احتكم قال بالناقتين والجمل قلت ذلك لك على أن يبلغني واياها الجمل ففعل فآمنت بك يارسول الله وقد صارت لي سنة في العرب أشترى كل موؤدة بناقتين وجمل فعندي الى هذه الغاية ثمانون ومائة موؤدة قد أنقذتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفعك ذلك لانك لم تبتغ وجه الله وان تعمل في اسلامك عملا صالحا تثب عليه وقال الفرزدق يفتخر بفعل جده على جرير

ألم تر أنا بني دارم * زرارة منا أبو معبد
ومنا الذي منع الوائدات * وأحيا الوئيد فلم يوأد
أيطلب مجد بني دارم * عطية كالجعل الاسود
قريب بحك قفا مفرق * لئيم مآثره قعدد
ومجد بني دارم دونه * مكان السماكين والفرقد

وعطية هو أبو جرير ويأتي في الاربعين وجاء في الحديث الترغيب في اكرام البنات قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم من ابتلى بشيء من هذه البنات فأحسن اليهنّ كن له ستراً من النار وفي طريق آخر من كان له ثلاث بنات او ثلاث اخوات او بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة ولبعضهم تهنئة بمولودة اتصل بي خبر المولودة كرم الله غرّتها وانبتها نباتا حسنا وقد علمت انهن أقرب الى القلوب وان الله عزوجل قد بدأ بهن في الترتيب فقال سبحانه يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وما سماه الله تعالى هبة فهو بالشكر أولى وبحسن التقبل أحرى وقال بعض الشعراء

أحب البنات وحب البنا * ت فرض على كل نفس كريمه
فان شعيبا من أجل ابنتيـ * ـه أخدمه الله موسى كليمه

وفي الحديث دفن البنات من المكرمات عزى رجل يحيى بن خالد في حرمة له فقال أيها الوزير دفن الحرم من النعم ثم قال

تعزّ اذا رزئت بخير درع * يسربل للمصائب درع صبر
فلم أر نعمة شملت كريما * كعورة مسلم سترت بقبر

(وقال عمر بن أبي علقمة المري)

اني وان سيق الي المهر * ألف وعبدان وذود عشر * أحب أصهاري الي القبر

(وقال أبو اسحق بن خلف)

لولا أميمة لم أجزع من العدم * ولم أجب في الليالي حندس الظلم
تهوى حياتي وأهوى موتها شفقا * والموت أكرم نزال على الحرم

(وقال عبد الله بن عبد الله بن طاهر)

لكل أبي بنت يراعي شؤنها * ثلاثة أصهار اذا ذكر الصهر
فبيت يغطيها وبعل يصونها * وقبر يواريها وخيرهم القبر

وقال آخر

لا تيأسن منها فقد زوّجتها * كفؤا او ضمنت الصداق مليكا

فلم أرق مذ شاب فودى دما
من عاتق يوما ولا مصبيه
وها أنا الآن على ما ترى
مني ومن حرفتي المكديه
أربّ بكرا طال تعنيسها
وحجبها حتى عن الاهويه
وهي على التعنيس مخطوبة
كخطبة الغانية المغنيه
وليس يكفيني لتجهيزها
على الرضا بالدون الاميه
والبد لا توكا على درهم

(قوله فودى) أي ناحية رأسي (مصبية) لها اصبوة أو يصبو اليها من رآها وجعل الخمر مصبية لانها تغلب شرابها فتصيرهم سكارى عقولهم عقول الصبيان فهي تلعب بهم كما تلعب الام بصبيانها (حرفتي) صنعتي (المكديه) الصعبة وأكدى الحافر بلغ كدية فرفع عن الحفر آيسا من الماء ثم استعير لغير ذلك (أربّ) أصلح (تعنيسها) اقامتها بغير زوج قال عمر رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب في التوراة من بلغت ابنته اثنتي عشرة سنة فلم يزوجها فأصابت اثما فاثم ذلك عليه وقال عليه الصلاة والسلام من بلغ له ولد النكاح وعنده ما ينكحه به فلم ينكحه فأصاب اثما فالاثم بينهما ويعني بها خمر اقدمية حجبها عن الاهوية لئلا يفسدها الهواء (قوله مخطوبة) مطلوبة (الغانية) البارعة الجمال التي غنيت بحسنها عن الزينة قال الرستمي أصلها في ذات الزوج التي استغنت بزوجها ثم قيل في غير ذات الزوج قال عمارة هي الشابة التي تعجب الرجال ويحبونها (المغنية) التي نشأت في الغنى وأغنى بمعنى استغنى والمغنية أيضا التي تغني زوجها عن غيرها الكمال خصالها (توكا) تشدّ وتربط والوكاء الخيط يشد به فم الوعاء

* وراود عبد فى الجاهلية ابنة سيده عن نفسها فامكنته حتى بلغ اربه منها ثم عمدت اليه فجبته فقال لها أبوها فى ذلك فقالت من و ردغ بر مائه صدر بمثل حاله ان العبد لمن نوكه قد ابتذل اناءلم نوكه فقال أبوها بابنية لا شلل ولا عمى و (ميه) محذوفة اللام ولا يدرى اواو لامها أم ياء قاله صاحب العين وقال ابن الاعرابى مايت القوم وأمأيتهم صار وا فى مائة ففى مأيت دليل قاطع على ان اللام ياء وقال الفراء رحمه الله تعالى وكراع أصلها مئية وأنشد

فقلت والركب قد تخطيه منيته * أدنى عطيات آبائى مئيات *

(قوله قفر) غير عامرة (معجمة) زال سحابها ضربه مثلا للخاوى من المال فلا فى أرضه خصب فتعمر من أجله ولا فى سمائه سحاب فيرجى خيرها وقد تقدم لغيمى مطر (القينة الملهية) الجارية المغنية وهى فى كلام العرب الامة مغنية كانت أو غير مغنية قال زهير

*ردّ القيان جمال القوم فاحتملوا * واشتقاقها من قنت الشئ اقينه قينا اذا لممته قال الشاعر

ولى كبد مجروحة قد بدا بها * صدوع الهوى لو أن قينا يقينها

ولهذا سمى الصواغ والحداد قينا والماشطة قينة (قوله فيغسل الهم بصابونه) يعنى فينفى همى بالخمر لانها تنفى الهم والحزن والغم كما يغسل الصابون وسخ الثوب (المضنية) الممرضة (يقتنى) يكتسب (تضوع رياه) تتحرك رائحته يريد انه يكتسب منه السامع الدعاء فيثنى عليه ثناء حسنا فى الدنيا ويدعو له بالآخرة ويقال ضاع المسك يضوع أى انتشرت رائحته وقال الشاعر

وماهو الا المسك عند ذوى الحجى * يضوع وعند الجاهلين يضيع

(نديت) كرمت (انباع) سال (عرفه) معروفه (نجعت) انقضت وتمت (بغيته) طلبته (طفق) أخذ وجعل (سارح) ذاهب يريد انه شمر للسير وأضاف ساقا السارح وهو يريد عن ساق رجل سارح أى ذاهب (ربيبة خدره) أى التى رباها فى بيته وربيبة الرجل بنت امرأته من غيره قيل لها ذلك لانه يربيها فهى فعيلة بمعنى مفعولة فاصلها مربوبة ويقال رب فلان فلانا ورباه وربيه وتربيه بمعنى واحد (حدثان) أول (وشك) سرعة (مرامى) مرادى ومطلبى (ازدلف) قرب ويقال قتلت الخمر اذا مزجتها وقد فسره بقوله مزج المدام قال الاخطل

فقلت اقتلوها عنكم بمزاجها * وأحبب بها مقتولة حين تقتل

وكان الاخطل خليعا فأتى هنا على المزوجة وقال فى التى لم تمزج

وكأس مثل عين الديك صرف * تنسى الشاربين لها العقولا

اذا شرب الفتى منها ثلاثا * بغير الماء حاول أن يطولا

مشى قرشية لا شك فيها * وأرخى من ما زره الفضولا

وأصبح عبد الملك يوما فى غداة باردة فأنشد هذه الابيات ثم قال كأن الاخطل الآن فى حانوت خمار محلل الازار مستقبل الشمس ثم بعث من يطلبه بدمشق فوجده كما وصف وقال له يوما ألا تسلم فنفرض لك فى الفئ ونعطيك عشرة آلاف درهم قال فكيف بالخمر فقال له عبد الملك وماتصنع بها وان اولها مر وآخرها سكر قال الاخطل وفيما بين هاتين منزلة ما يسرنى ملكك بها وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه وقد أعطى كأس خمر ممزوجة

ان التى ناولتنى فرددتها * قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

والارض قفر والسما معجمه
فهل معين لى على نقلها
مجوبة بالقينة الملهية
فيغسل الهم بصابونه
والقلب من أفكاره المضنيه
ويقتنى منى الثناء الذى
تضوع رياه مع الادعيه
(قال الراوى) فلم يبق فى
الجماعة الامن نديت له كفه
وانباع اليه عرفه فلما نجعت
بغيته وكملت منيته أخذ
يثنى عليهم بصالح ويشمر
عن ساق سارح فتبعته
لاستعرف ربيبة خدره ومن
قتل فى حدثان أمره فكان
وشك قيامى مثل له مرامى
فازدلف منى وقال افقه عنى
قتل مثلى ياصاح مزج المدام

كلتاهما حلب العصير فعاطني * بزجاجة أرخاهما للمفصل

فدعا بالقتل على الذى أعطاها له ممزوجة وذكر الحريرى فى الدرة البيتين وقال فى قوله أرخاهما القياس أشدهما ارخاء للمفصل لأن أصل هذا الفعل ارخى فبناؤه ليس مقيسا كما قالوا ما أحوجه الى كذا فبنوه من حوج وان كان قياسه ما أشد حاجته * ولهذين البيتين حكاية يحسن أن نعقبهما بروايتها ونضوع نشرهما بنشر ملحها وهى ما رواه أبو بكر محمد بن القاسم الانبارى عن أبيه قال حدثنا الحسن بن عبد الرحمن الربعى قال حدثنا أحمد بن عبد الملك بن السماك السعدى قال حدثنا أحمد بن ظبيان الحائز قال اجتمع قوم على شراب لهم فغناهم مغنيهم بشعر حسان ان التى البيتين فقال بعضهم امرأتى طالق ان لم أسال الليلة عبد الله بن الحسن القاضى عن علة هذا الشعر لم قال ان التى فوحد ثم قال كلتاهما فثنى فاشفقوا على صاحبهم وتركوا ما كانوا عليه ومضوا يتخطون القبائل حتى انتهوا الى بنى شقرة وعبد الله بن الحسن يصلى فلما فرغ من صلاته قالوا قد جئناك فى أمر قد دعتنا اليه ضرورة وشرحوا له خبرهم وسألوه الجواب فقال * ان التى ناولتنى فرددتها * عنى بها الممزوجة بالماء ثم قال من بعد كلتاهما حلب العصير يريد الخمر المحتلبة من العنب والماء المحتلب من السحاب المكنى عنها بالمعصرات فى قوله تعالى وأنزلنا من المعصرات قال الشيخ الامام الاجل الاوحد العالم أبو محمد أدام الله سعادته فهذا ما فسره به عبيد الله بن الحسن وقد يبقى فى الشعر ما يحتاج الى كشف سره وتبيان نكتته أما قوله * ان التى ناولتنى فرددتها * قتلت قتلت فانه خاطب به الساقى الذى كان ناوله كأسا ممزوجة لانه يقال قتلت الخمر اذا مزجتها فكأنه أراد ان يعلمه أنه قد فطن لما قد فعله ثم ما اقتنع منه بذلك حتى دعا عليه بالقتل فى مقابلة المزج وقد أحسن كل الاحسان فى تجنيس اللفظ ثم انه عقب الدعاء عليه بان استعطى منه ما لم تقتل يعنى الصرف التى لم تمزج وقوله أرخاهما للمفصل يعنى اللسان وسمى مفصلا بكسر الميم لانه به يفصل بين الحق والباطل وليس فيما اعتمده عبيد الله بن الحسن من الاسماح وخفض الجناح ما يقذف فى نزاهته أو يغض من نبله وبراعته ويضارع هذه الحكاية فى وطاة القضاة المتقشفين للمستفتين وتلاينهم فى مواطن اللين ما يحكى أن حامد بن العباس سأل على بن عيسى فى ديوان الوزارة عن داء الخمار وعن دوائه فأعرض عن كلامه وقال ما أنا وهذه المسئلة فخجل حامد منه ثم التفت الى قاضى القضاة أبى عمرو فسأله عن ذلك فتنحنح القاضى لاصلاح صوته ثم قال قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال النبى عليه الصلاة والسلام استعينوا على الصناعات بأهلها والاعشى هو المشهور فى الجاهلية بهذه الصناعة وقد قال

وكاس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها
لكى يعلم الناس أنى امرؤ * أتيت المروأة من بابها

ثم تلاه أبو نواس فى الاسلام فقال

دع عنك لومى فان اللوم اغراء * وداونى بالتى كانت هى الداء

فأسفر حينئذ وجه حامد وقال لعلى بن عيسى ما ضرك يا بارد أن تجيب ببعض ما أجاب به قاضى القضاة وقد استظهر فى جواب المسئلة بقوله سبحانه أولا ثم بقول الرسول عليه الصلاة والسلام

ثانيا وبين الفتيا وأدّى المعنى وتقصى من العهدة فكان تخلّ على بن عيسى من حامد بهذا الكلام أكثر من تخلّ حامد منه لما ابتدأه بالمسئلة وتبع حسان مسلم بن الوليد فقال وأحسن

اذا شئتما أن تسقيانى مدامة * فلا تقتلاها كل ميت محرّم

خلطنا دما من كرمة بدمائنا * فأظهر فى الالوان منا الدم الدم

(وقال أبو نواس فى الصرف)

وكميت أرقها وهج الشمـ * ـس وصيف يفنى بها وشتاء

لم يشنها الطاهى بطبخ ولا غيـ * ـرها عن طبيعة الكرم ماء

وقال فيه أيضا

توارت عن الابصار من عهد آدم * حذار الكون الماء يوما قرينها

فصنها عن الماء القراح وأسقنى * فانك ان لم تسقنى مت دونها

على أنه القائل

ألا دارها بالماء حتى تلينها * فلن تكرم الصهباء حتى تهينها

وقال أبو نواس لاخوانه فى مرض موته اياكم والخمر صرفا فانها أحرقت كبدى وقال ابن رشيق

قدر المدامة فوق قدر الماء * فارغب بكاسك عن سوى الاكفاء

مالى ومزج الراح الا فى فمى * بالريق من فم غادة حسناء

ذاك المزاج وان تعدّانى الذى * فى المزن من ذى رقة وصفاء

أشهى وأبلغ فى الفؤاد مسرة * من غيره وأدب فى الاعضاء

لى الصرف ان مزج النديم ولم أكن * مستأثرا فيها عن الندماء

وقال أيضا قلت لمن نا وانى مرة * مالى حب الغيد بل حبها

لا تسقنى للراح ممزوجة * واشرب فما يمكننى شربها

ما راحتى فى الراح ان غيرت * دعها كما جاء بها ربها

ونصل بهذا النمط ما قيل فى نبيذ الزبيب قال أبو الاسود الدؤلى

دع الخمر يشربها الغواة فاننى * رأيت أخاها مغنيا بمكانها

فان لا يكنها أو تكنه فانه * أخوها غذته أمه بلبانها

يقول ان لا يكن الزبيب الخمر أو الخمر الزبيب فانهما اخوان غذيا بلبن واحد وهى الحبة التى هى أصل العنب والزبيب فاحدهما ينوب مناب الآخر وأنشد الحامضى

تركت الحميا لست اختار شربها * وما حاجتى فى أن أسرّ الأعاديا

ولكنّ أخرى من نبيذ معتق * يميلك ان أكثرت منه الامانيا

أخو الخمر من عنقودها غير أنهم * اذا قطعوه جففوه لياليا

قال المامون نقلت هذا المعنى با بيات ملوكية لا تحضر السوقة بمثلها

صلى الندمان يوم المهرجان * بكاس من معتقة الدنان

بكاس خمر وانى عتيق * فان العبد عبد خسروانى

وجنبنى الزبيبين طرّا * فشأن ذوى الزبيب خلاف شانى

فاشربها

فأشربها وأزعمها حراما * وأرجو عفو رب ذى امتنان

ويشربها ويزعمها حلالا * وتلك على الشقى خسارتان

سال رجل شريحا القاضى هل النبيذ حلال أم حرام فقال حلال فقال قليله خير أم كثيره قال قليله قال الرجل ما رأيت حلالا وقليله خير من كثيره الا هذا * وقال قتيبة بن مسلم لقاضى مرو بلغنى انك شربت النبيذ قال نعم أصلحك الله أشرب منه ما يسلى العقل ويطيب النفس ويغنى عن الماء ويهضم الطعام قال فما أبقيت قال أبقيت أخبثه وأردأه الاتكاء على الشمال ومنادمة الرجال والاختلاف الى المبال * وترك رجل النبيذ فقيل له لم تركته وهو رسول السرور الى القلب فقال ولكنه بئس الرسول يبعث الى الجوف فيذهب الى الرأس (قوله لهذم) هو سنان الرمح (بنت الكرم) الخمر (تجهيزها) حملها (والطاس) اناء الخمر كالابريق يصب منه الشراب فى الكاس وجمعه طاسات قال الناشى

وكانما الطاسات مما حولها * من نورها يسجن فى ضحضاح

لو بث فى غسق الظلام ضياؤها * طلع المساء بغرة الاصباح

وقدم فى المقامة انه لا يجهزها الا مصحوبة بالقينة أى لا يشربها الا بالغناء وقد ذموا الغناء ومدحوه فأما ذمه فقال الكندى الغناء برسام حاد لان المرء يسمع فيطرب فيسمح فيفتقر فيغتم فيمرض فيموت وقال يزيد بن الوليد اياكم والغناء فانه يسقط المروأة وينقص الحياء ويبدى العورة ويزيد فى الشهوة وانه لينوب عن الخمر ويصنع بالعقل ما يصنع به السكر وان كان ولا بد فجنبوه النساء فان الغناء داعية الزنا وأما مدحه فقال ربيعة بن عبد الرحمن السماع مطربة وهو من نتيجة العقل فمن كره السماع دل بذلك على قلة عقله وقال بعض الفلاسفة جعلت اللذات خمسا فى خمس فجعل اللمس لليدين والشم للمنخرين والسمع للاذنين والذوق للسان واللون للعينين وعلى كل جارحة تعب من اللذات الا النغمة فانه لا تعب على الاذنين فيها ولذلك صار الناس كلهم عربيهم وعجميهم صغيرهم وكبيرهم مشتركين فى الاصاخة الى النغمة الحسنة والصوت المستمتع متباينين فى غير ذلك وقد يوجد أكثرها فى أكثر الحيوان كالخيل يصفر لها عند الشرب فتشرب والابل يحدى لها فتنقاد قال الشاعر

فليس الشرب الا بالملاهى * وبالحركات فى بم وزير

فلا تشرب بلا طرب فانى * رأيت الخيل تشرب بالصفير

وقال آخر

فانظر الى الابل التى * هى ويك أغلظ منك طبعا

تصغى الى صوت الحدا * ة فتقطع الفلوات قطعا

(قوله التغاضى) أى التغافل (عربيد) سيئ الاخلاق عند سكره وهو الذى يؤذى بيده ولسانه أصحابه (رعديد) جبان فزاع (بون) فضل ومزية (من ذى علق) أى من صاحب محبة هو مثل يضرب لمن ينظر بود ومحبة ابن ظريف العلق الحب وعلق فلان فلانة أى أحبها والله الموفق

(شرح المقامة السادسة والثلاثين وهى الملطية)

ليس قتلى بلهذم أو حسام

والتى عنست هى البكر بنت الكرم لا البكر من بنات الكرام

وتجهيزها الى الكاس والطاس قبالى الذى ترى ومقامى

فتفهم ما قلته وتحكم فى التغاضى ان شئت أوفى الملام

ثم قال أنا عربيد وأنت رعديد وبيننا بون بعيد ثم ودعنى وانطلق وزودنى نظرة من ذى علق

المقامة السادسة والثلاثون الملطية

(أخبر الحرث بن همام) قال

(انحت المطية) صيرتها باركة بالارض (ملطية) بلد بالجزيرة ذات انظار وقرى بينها وبين الرقة خمسون فرسخا والرقة أم قرى الجزيرة وذكرها المسعودى فى شعره فقال

ولم يحلبوها من وراملطية * تصدع أجبال بها واكام

وقيل ملطية فى ثغر الشأم قال اليعقوبى ملطية هى المدينة العظمى وكانت قديمة فأخربها الروم فبناها المنصور سنة تسع وثلاثين ومائة وجعل عليها سورا واحدا ونقل اليها عدة قبائل من العرب قال وهى فى مستو من الارض يحيط بها جبال الروم وماؤها من عيون وأودية من الفرات وخففها المتنبى ضرورة فقال

وكرت فدرت فى ذراملطية * وملطية أم البنين ثكول

(قوله مطية البين) يريد ناقة السفر أى أقام بها وترك السفر (الحقيبة) وعاء الرجل و (العين) الذهب (هجيراى) عادتى (وألقى بها عصاه) أى أقام بها وترك السفر (أتورّد) أطلب وأدخل وتوردت الابل الماء دخلته قطعة قطعة و (المرح) النشاط (شوارد) نوافر وأراد أنه أتبع نفسه جميع اللذات بملطية وشاهدها (مرتع) موضع خصيب كثير الطعام (مأرب) حاجة (الثواء) الاقامة (عمدت) قصدت (ابتياع الاهب) اشتراء العدد للسفر (الظعن) الارتحال (الرهط) الجماعة من ثلاثة الى عشرة (سبؤا قهوة) اشتروا خمرة (ارتبؤا ربوة) طلعوا كدية وقال الحسن

وفتيان صدق قد صرفت مطيهم * الى بيت خمار نزلنا به ظهرا
أتيناه يهوديا تحمل ظاهرا * ويضمر فى المكنون من سره الشرّا
* فجاء بها غانية ذهبية * فلم نستطع دون السجود لها صبرا
خرجنا على أن المقام ثلاثة * فطابت لنا حتى أقمنا بها شهرا

(وقال فى شراء الخمر بثيابه)

نجوت من اللص المغير بسيفه * اذا ما رماه بالنجار سبيل
واصلت خمارا على بخمرة * فراح بأثوابى ورحت أميل

(وقال الأمير تميم بن المعز)

شربنا على نوح المطوقة الورق * وأردية الروض المفوفة البلق
معتقة أفنى الزمان وجودها * فجاءت كفوت اللحظ أورقة العشق
كأن السحاب الغر أصبحن أكؤسا * لنا وكأن الراح فيها سنى البرق
فبتنا نحث الكأس حثا واننا * لنشربها بالحث صرفا ونستسقى
الى أن رأيت النجم وهو مغرب * واقبال رايات الصباح من الشرق
كأن سواد الليل و الفجر طالع * بقية لطخ الكحل فى الاعين الزرق

وأحسن فى هذا المعنى ماشاء الا أنه جعل شربه فى الروض على نوح الحمام ولو عوّض من لفظ النوح لفظ الغناء أو التغريد لكان أتم للذته كما قال ابن الرومى

وأذكى نسيم الروض ريعان ظله * وغنى مغنى الطير فيه فرجعا
وكانت أهاريج الذباب هناكم * على شدوات الطير صوتا موقعا

أنخت بملطية مطية البين
وحقيبتى ملأى من العين
فجعلت هجيراى مذ ألقيت
بها عصاى أن اتورد موارد
المرح وأتصيد شوارد الملح
فلم يفتنى بها منظر ولا مسمع
ولا خلا منى ملعب ولا مرتع
حتى اذا لم يبق لى فيها مأرب
ولا فى الثواء بها مرغب عمدت
لانفاق الذهب فى ابتياع
الاهب فلما أكملت الاعداد
وتهيأ الظعن عنها أو كاد
رأيت تسعة رهط قد سبؤا
قهوة وارتبؤا ربوة

(وقال

(وقال آخر)

وكأس كريق الالف شعشعها به * وعيشي من هذا الشراب المشعشع
اذا ماشربنا كأسها صاب فضلها * على روضنا للمسمع المتخلع

المسمع المغني يعني به الذباب الذي ذكره عنترة في قوله

فترى الذباب بها يغني وحده * هزجا كفعل الشارب المترنم

وانما ذكر الحريري الربوة لان النبات فيها أحسن وأسلم من نبات الانخفاض لان نبات الانخفاض وخم قال الله تعالى كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين وقال المتنبي * نحن نبت الربا وأنت الغمام * (قوله دماثتهم قيد الالحاظ) أي سهولة أخلاقهم تقيد عيون الناظرين اليهم حتى لا ينظروا الى غيرهم قال ابن المعتز

منظره قيد عيون الورى * فليس خلق يتلقاه

(نحوتهم) قصدتهم (شغفا) حبا (انتظمت) سرت معهم في نظام واحد والنظام الجوهر (معاشرهم) مصاحبهم (ألفيتهم) وجدتهم (ابناء علات) أي غرباء من بلاد مختلفة وبنو العلات الذين أبوهم واحد وامهاتهم شتى (قذاذف فلوات) أي قدرمت بهم القفار والطرق المختلفة واحدتها قذيفة وهي التي يقذف أي يرمي بها (لحمة) أي قرابة (ألفت شملهم) أي جمعت متفرقهم وجعل للادب لحمة مجازا وجعل الادب يجمعهم كما يجمع بني العلات الأب والبلاد تفرقهم كما تفرق بني العلات الامهات * وهذا نحو ما يحكى أن دعبلا ذكر عند علي بن الجهم فكفره ولعنه وقال كان يظهر على أبي تمام وهو خير منه دينا وشعرا فقال له بعض من حضر لو أن أبا تمام أخوك مازدت على مدحك له فقال ان لم يكن أخي في النسب فهو أخي في المودة والأدب أما سمعت ما خاطبني به وأنشد لابي تمام

ان كان يجمعنا الاخاء فاننا * نغدو ونسري في اخاء تالد
أو نفترق نسبا يؤلف بيننا * أدب أقمناه مقام الوالد

وكرر أبو تمام هذا المعنى فاحسن بقوله

ذو الود مني وذو القربى بمنزلة * واخوتي اسوة عندي وخلاني
عصابة جاورت آدابهم أدبي * فهم وان فرقوا في الارض جيراني
أرواحنا في مكان واحد وغدت * أجسامنا في عراق أو خراسان

(وأنشد اسحق الموصلي)

يقولون لي هل من أخ أو قرابة * فقلت لهم ان الشكول أقارب
نسيبي في رأيي وعزمي ومذهبي * وان باعدتنا في الولاء المناسب
وليس أخي الا الصحيح وداده * ومن هو في وصلي وقربي راغب

* وكان لسليمان بن وهب نديم يأنس به فعربد عليه ليلة فاطرحه وجفاه فوقف له بالطريق فلما مر به وثب اليه ثم قال أيها الوزير لا تكن في أمري الا كما قال علي بن الجهم

القوم أخدان صدق بينهم نسب * من المودة لم يعدل به نسب
تراضعوا درة الصهباء بينهم * فاوجبوا الرضيع الكأس ما يجب

ودماثتهم قيد الالحاظ
وفكاهتهم حلوة الالفاظ
فنحوتهم طلبا لمنادمتهم
لا للمادتهم وشغفا بممازجتهم
لا بزجاجتهم فلما انتظمت
عاشرهم واضحيت معاشرهم
ألفيتهم أبناء علات
وقذائف فلوات الا ان لحمة
الادب قد ألفت شملهم الفة
النسب وساوت بينهم في

لا يحفظون على السكران زلته * ولا يريبك من أخلاقهم ريب

فقال قد رضيت عنك رضا صحيحا فعد لشأنك (قوله الرتب) أي المنازل الرفيعة (مثل كواكب الجوزاء) أي في الاضاءة والرفعة و(الجملة المتناسبة الاجزاء) أي المتفقة يعني مقاديرهم في الفضل وغيره متساوية لا تفاضل بينهم كالجملة التي لا مزية لبعضها على بعض وأقل جملة حسابية اجزاؤها متناسبة لا كسر في بعضها وأولها النصف والثلث والربع والخمس والسدس والسبع والثمن والتسع والعشر هي ألفان وخمسمائة وعشرون نصفها ألف ومائتان وستون وثلثها ثمانمائة وأربعون وربعها ستمائة وثلاثون وخمسها خمسمائة وأربعة وسدسها أربعمائة وعشرون وسبعها ثلثمائة وستون وثمنها ثلثمائة وخمسة عشر وتسعها مائتان وثمانون وعشرها مائتان واثنان وخمسون (قوله ابهجني) أي أفرحني (أحمدت) وجدته محمودا (الطالع) النجم الذي يسعد به صاحبه وينحس على زعمهم (طفقت) أخذت (أفيض بقدحي) أضرب بسهمي وهذا من فعل الميسر وأراد انه يمشي كلامه مع كلامهم ويدخل مداخلهم (أدتنا) أوصلتنا (شجون المفاوضة) طرق المراجعة في الكلام والشجون في الكلام تداخله واختلاط بعضه ببعض والتفاوض الاندفاع في الحديث وفي المثل الحديث ذو شجون أي ذو فنون وأصله من الشجر المشجون وهو الشجر الذي التف بعضه ببعض (التحاجي) التفاطن (المقايضة) المعاوضة والمقارضة (الكرى) النوم (فات) يعني مات وأراد ان هذا النوع من الالغاز وهو ان يؤتى بلفظ عوضا من لفظ آخر يتوارد معه على معنى واحد والمماثلة التي بينهما انما هي موافقة المعنى (نجلو) نكشف (السها) نجم خفي وقرن السها في خفائه مع القمر في ظهوره وانما يشير الى قولهم في المثل أريها السها وتريني القمر وأراد انهم يأتون بلفظة ظاهرة المعنى وأخرى خفية فلا يتم لهم شئ (القشيب) الثوب الجديد (الرث) الخلق (ننشل) نخرج النشيل وهو لحم يطبخ بلا تابل ثم ينشل أي يخرج بالمنشل وهو حديدة معقفة (ذهب حبره وسبره) هيئته ولونه قال الفراء من قولهم جاءت الابل حسنة الاحبار والاسبار قال الاصمعي رحمه الله هي الجمال والبهاء وآثار النعمة يقال فلان حسن الحبر والسبر اذا كان جميلا حسن الهيئة وفي الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره أي قد ذهب جماله وبهاؤه وسمي الحبر حبرا لانه يزين الكتاب ويحسن القرطاس وحبرت الشئ زينته وقيل انه سمي حبرا لانه يؤثر في القرطاس فيكون علامة فيما يقع فيه ويقال للاثر حبرة وحبار والسبر الاصل واللون والهيئة والمنظر والسبر ما يدل به على لون الدابة وكرمها ويروى حبره وسبره بكسر أولهما وفتحه فاذا كسرا كانا اسمين واذا فتحا كانا مصدرين وحبره علمه وسبره قياسه (مثل) تمثل قائما (الاكياس) أوعية الدراهم و(نفضت) ألقى ما فيها وأراد فراغ كلامهم (وحصحص) تبين و(اليأس) ضد الرجاء (اجبال القرائح) انقطاعها عن الكلام (اكداء) صعوبة وأصل هذا في البئر فأول ما يرشح من مائها هو القريحة ثم نقل الى الطبيعة والذهن وأجبل الحافر اذا حال بينه وبين الماء جبل وأكدى حال بينه وبينه كدية والجبل والكدية حجارة وصلابة تعرض في البئر لا يمكن حفرها معها ثم يقال أكدى أي قل خيره وأجبل الشاعر أي انقطع شعره وأكدى فلان عطائي أي قطعه وقلل خيره ومنه قوله تعالى وأعطى قليلا وأكدى و(الماتح) المستقي على فم البئر و(المائح) النازل الى قعرها ليملأ الدلاء

الرتب حتى لاحوا مثل
كواكب الجوزاء وبدوا
كالجملة المتناسبة الاجزاء
فابهجني الاهتداء اليهم
وأحمدت الطالع الذي أطلعني
عليهم وطفقت أفيض
بقدحي مع قداحهم واستشفي
برياحهم لا براحهم حتى
أدتنا شجون المفاوضة الى
التحاجي بالمقايضة كقولك
اذا عنيت به الكرامات
ما مثل النوم فات فأنشأنا
نجلو السها والقمر ونجني
الشوك والثمر وبينا نحن
ننشر القشيب والرث وننشل
السمين والغث وغل علينا
شيخ قد ذهب حبره وسبره
وبقي خبره وسبره فمثل
مثول من يسمع وينظر
ويلتقط ما ينتثر الى أن
نفضت الاكياس وحصحص
الياس فلما رأى اجبال
القرائح واكداء الماتح
والمائح

ويفرق بينهما بنقطتي الحرف الذي قبل آخرهما فتى كانتا فوق الحرف فالمستقي فوق البئر لكثرة الماء ومتى كانتا تحته فالمستقي في قعر البئر ليملأ الدلو بيده وذلك لقلة الماء واذا تكاثرت الدلاء عليه وكثر صياح الناس عليه من رأس البئر وكل يرغبه ليملأ دلوه فيأخذ دلو من لا مال له فيضرب به رجاء البئر اي جانبه ليرتدع الناس عنه ثم يضرب مثلا للمهان قال الشاعر

فلا يرمي بي الرجوان اني * اقل القوم من يغني مكاني

وقالت جارية من العرب تستعطفه

يا ايها المائح دلوي دونكا * اني رايت الناس يحمدونكا

ومن امثالهم ابصر من المائح باست الماتح وانشد الفنجديهي

يا مائح العين عدمت الردى * من حوض هذي العين كم تستقي

من شيمة الماء انحدار فلم * ماء جفوني ابدا يرتقي *

جمع اذياله وولا ناقذاله
وقال ما كل سوداء تمرة
ولا كل صهباء خمرة
فاعتلقنا به اعتلاق الحرباء
بالاعواد وضربنا دون

(قوله جمع أذياله) شمر شابه للقيام (قذاله) قفاه (ما كل سوداء تمرة) مثل والسوداء تستعمل للتمرة والفحمة فيقول ما كل الكلام سهل فتتعاطونه وما كل ما جئتم به بفائق فيدخل في باب المقايضة وهو مثل يضرب في موضع التهمة (والصهباء) من أسماء الخمر والصهبة أن تعلوا لحمرة شقرة وأصوله سود و(الحرباء) دويبة تستقبل الشمس بوجهها اذا استوت في كبد السماء وان لم يتأت لها الفرصة بوجهها تململت وتقلبت ولم تزل في قلق حتى تميل الشمس فتستقبلها أعني قرصها بوجهها حتى تغرب وهي في طول يومها الا تأكل شيأ فاذا جاء الليل ذهبت تبغي ما تأكل والانثى منها حرباءة وقال أبو عبيدة الحرباء تستقبل الشمس برأسها أبدا يقال انما تفعل ذلك لتقي جسدها برأسها وقيل الحرباء ذكر أم حبين وفي صدره استرخاء وقرب من الارض فاذا حميت الارض بالشمس خاف على صدره أن تحرقه الارض للزوقه بها فيصعد على عود شجرة فيلتزمه بيديه ويجعله بينه وبين الشمس ويضرب به المثل في التشبث بما تعلق به وذلك انه اذا تعلق بعود التزمه وقبض عليه فلا يفارقه حتى يستوثق من آخر فيضرب المثل به فيقال أحزم من الحرباء وقال قيس بن الحدادية

بانت سعاد فأمسى القلب مشتاقا * وأقلقتها نوى الازماع اقلاقا

واحتث حاديهم بزلا مخيسة * كوم الذرا مدد الاعضاد أفياقا

ألا أتيح لها حرباء تنضبة * لا يرسل الساق الا ممسكا ساقا

والساق ساق الشجرة والتنضب شجر يتعلق بأعواده الحرباء فيقال حرباء تنضبة كما يقال ذئب غضى وقال الازهري رحمه الله تعالى الحرباء دويبة على خلقة سام أبرص ذات أربع قوائم دقيقة الرأس مخططة الظهر وأكثر الشعراء من ذكر الحرباء وتشبيهها ومن جيد ذلك قول ذي الرمة

ودوية جرداء جداء خيمت * بها هفوات الصيف من كل جانب

كان يدي حربائها متشمسا * يدا مذنب يستغفر الله تائب

وقال آخر وقد جعل الحرباء يصفر لونه * ويخضر من لفح الهجير غباغبه

ويسبح بالكفين حتى كانه * أخو فجوة غال به الجزع صالبه

وقال أيضا يظل بها الحرباء للشمس مائلا * على الجذع الا أنه لا يكبر

اذا حول الظل العشي رأيته * حنيفا وفي قرن الضحى يتنصر

غدا أكهب الاعلى وراح كأنه * من الضح واستقباله الشمس أخضر

أخبر أنه يدور مع الشمس فى وقت الزوال حتى تكون الشمس فى حذاء القبلة فكأنه باستقباله لها فى ذلك الوقت مسلم يصلى لها وفى الضحى تكون فى وجه المشرق فكأنه نصرانى فيستقبلها بصلاته وقال ابن الرومى

مابالها قد حسنت ورقيبها * أبدا قبيح قبح الرقباء

ماذاك الا أنها شمس الضحى * ابدا يكون رقيبها الحرباء

(قوله وجهته) أى جهته (والسد) الحاجز بين الشيئين (يحاص) يخاط ويقال حاص ثوبه وعين صقره وشقوق رجليه حوصا وحياصة خاطها وقيل الحوص الخياطة بعد رقعة ولا يكون الا فى جلد وأنشد يعقوب

ترى برجليه شقوقا فى كلع * من بارئ حيص ودام منسلع

الكلع الوسخ ومنسلع متشقق و(القصاص) أخذ الحق فى الجنايات (وتنهر) توسع فترده كالنهر (الفتق) الخرق (وتسرح) تذهب (لوى عنانه) أماله وعطفه (جثم) برك (راصعا) لاصقا بالارض والرصع تباعد ما بين الركبتين ورصع بالشئ يرصع رصوعا اذا لازمه (استثرتمونى) طلبتمونى واستخرجتم ما عندى و(البحث) المناقشة فى السؤال وأصله الصيد تقول استثرت الصيد اذا بحثت عليه حتى تقيمه من مرقده (قوله حكم سليمان فى الحرث) كان سليمان عليه السلام فيما ذكروا أبيض وضيأ جسيما كثير الشعر يلبس من الثياب البياض فلما بلغ مبلغ الرجال كان أبوه فى أيام ملكه يشاوره فى أموره وكان هذا الحكم فيما ذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث يانبى الله انفلتت غنم هذا فى زرعى ليلا فرتعت فى حرثى فلم تستبق منه شيأ فقال له داود اذهب فان الغنم لك فلكه رقابها بما أكلت من حرثه فلما خرجا من عنده خطرا على سليمان عليه السلام فأخبراه بقضاء أبيه فقال لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا فأخبر داود عليه السلام فدعاه وقال له كيف كنت تقضى بينهما فقال أدفع الغنم الى صاحب الحرث فيكون له رسلها ونسلها وصوفها ويبذر صاحبها لصاحب الحرث مثل حرثه فاذا صار الزرع كهيئته يوم أكل أخذ غنمه فقال داود القضاء ما قضيت به وحكم بقضاء سليمان عليهما السلام وقال ابن مسعود وشريح ومقاتل أراد بالحرث الكرم وان الغنم أكلت قضبانه فأفسدته فحكم بها داود لصاحب الكرم ولم يكن بين الغنم والكرم تفاوت فمروا بسليمان عليه السلام وهو ابن احدى عشرة سنة فقال يعمل الراعى فى اصلاح الكرم حتى يعود كهيئته ثم يأخذ غنمه ومن عجائب حكم سليمان عليه السلام ما رواه مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم بينا امرأتان معهما ابناهما اذ جاء الذئب فذهب بأحدهما فقالت هذه انما ذهب بابنك وقالت الاخرى انما ذهب بابنك فاختصما الى داود عليه السلام فقضى به للكبرى فمرتا على سليمان فأخبرتاه فقال عليه السلام ائتيانى بسكين أشقه بينكما فقالت الصغرى لا ويرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى قال أبو هريرة رضى الله عنه والله ان كنت سمعت بالسكين قبل ذلك ما كنت أقول الا المدية (قوله الشمائل) الخلائق والطبائع (والشمول الذهبية) الخمر الحمراء وذكر فى هذه المقامة

وجهته بالاسداد وقلنا له ان دواء الشق أن يحاص والا فالقصاص القصاص فلا تطمع فى أن تجرح وتطرح وتنهر الفتق وتسرح فلوى عنانه راجعا ثم جثم بمكانه راصعا وقال أما اذا استثرتمونى بالبحث فلا حكم حكم سليمان فى الحرث اعلموا يا ذوى الشمائل الادبية والشمول الذهبية ان وضع الاحجية

لامتحان الالمعية واستخراج الخبيئة الخفية وشرطها أن تكون ذات مماثلة حقيقية وألفاظ معنوية ولطيفة أدبية فتى نافت هذا النمط ضاهت السقط ولم تدخل السفط ولم أركم حافظتم على هذه الحدود ولا مزتم بين المقبول والمردود فقلنا له صدقت وبالحق نطقت فكل لنا من لبابك وأفض علينا من عبابك فقال أفعل لئلا يرتاب المبطلون ويظنوا بى الظنون ثم قابل ناظورة القوم وقال

يا من سما بذكاء
في الفضل وارى الزناد
ماذا يماثل قولى
جوع أمدّ بزاد

ثم ضحك الى الثانى وأنشد

ياذا الذى فاق فضلا
ولم يدنسه شين
ما مثل قول المحاجى
ظهر أصابته عين

ثم لحظ الثالث وأنشأ يقول

يا من نتائج فكره
مثل النقود الجائزه
ما مثل قولك للذى
حاجيت صادف جائزه

ثم اتلع الى الرابع وقال

أيا مستنبط الغامض
من لغز واضمار
الا اكشف لى ما مثل
تناول الف دينار

ثم رمى الخامس ببصره وقال

يا أيهذا الالمعى
أخو الذكاء المنجلى
ما مثل أهمل حلية
بين هديت وعجل

ثم التفت لفت السادس وقال يا من تقصر عن مداه خطا مجاريه وتضعف ما مثل قولك للذى اضحى يحاجيك اكفف اكفف

ثم خلج السابع بحاجبه وقال

أنهم سبوا القهوة وذكر ههنا أنها فى لونها حمراء والعرب تمدح بشرب الخمر السبيئة وتصفها بالحمرة كقول الاعشى وهو فى أوصافها فى الجاهليين كالحسن فى الاسلاميين وحبه فيها صده عن الاسلام

وسبيئة مما تعتق بابل * كدم الذبيح سلبتها جريالها

وقوله أيضا

فقمنا ولما يصح ديكنا * الى خمرة عند جدادها
فقلت له هذه هاتها * بادماء فى حبل مقتادها
فقام فصب لنا قهوة * تسكننا بعد ارعادها
كميت تكشف عن حمرة * اذا صرحت بعد ازبادها
فجال علينا بابريقه * مخضب كف بفرصادها
فرحنا تنعمنا نشوة * تجور بنا بعد قصادها

(وقال أبو ذؤيب)

ولا الراح راح الشام جاءت سبيئة * لها غاية تهدى الكريم عقابها
عقار كماء النئ ليست بخمطة * ولا خلة يكوى الشروب شهابها

وقال الحسن

وخمار أنخت عليه ليلا * قلائص قد تعبن من السفار
فترجم والكرى فى مقلتيه * كمخمور شكا ألم الخمار
ابن لى كيف سرت الى حريمى * وثوب الليل مصبوغ بقار
فقلت له ترفق بى فانى * رأيت الصبح من خلل الديار
فكان جوابه أن قال كلا * وما صبح سوى صبح العقار
وقام الى الدنان فسد فاها * فعاد الليل مسدول الازار

(وقال عبد الصمد)

وخمة ناظور تحف بروضة * يحييك منها وردها والبنفسج
وأشمط أعلى وسطها بعد هجعة * تراه بها من قره يتشنج
دعوت فلبى وهو بالصوت عارف * وأقبل نحو الباب يزهو ويهرج
فقلت له المصباح ان كنت مسرجا * فقال قفوا فالخمر فى الكاس تسرج

(قوله لامتحان الالمعية) أى لاختبار الفطنة (نافت) باعدت (النمط) النوع يقال الزم هذا النمط أى هذا المذهب والفن والطريق (ضاهت) شابهت (السقط) ردىء المتاع وما لا يعبأ به و(السفط) وعاء لجميع الثياب الرفيعة وسفط العلوم الكتب أى لم تكتب ولم تدون فى الكتب (مزتم) فرقتم (لبابك) خالص ما عندك (أفض) صب (عبابك) بحرك وعب البحر عبابا هاج واضطرب (يرتاب) يشك (ناظورة القوم) كبيرهم الذى ينظرون اليه (سما) ارتفع (ذكاء) جودة الذهن (وارى) مبدى النار أى زنده متى ضرب أورى نارا (فاق) فضل غيره (النتائج) ما يولده الفكر من الكلام (النقود) الدراهم (اتلع) مد عنقه ونصبه وتلع الرجل يتلع تلعا أخرج رأسه من شئ كان فيه (مستنبط) مستخرج (الغامض) الخفى وغمض غموضا دق وأحوج الى النظر و(الالمعى) هو الذكى أى صاحب الفطنة (التفت لفت) أى قصد قصده بالنظر ولفت عنقه الى أى لواها ناظرا الى (مداه) غايته (خلج) غمز وقال الراجز *قد خلجت بحاجب وعين*

يامن له فطنة تجلت * ورتبة فى الذكاء جلت بين فما زلت ذا بيان * مامثل قولى الشقيق أفلت ثم استنصت الثامن وأنشد
يامن حدائق فضله * مطلولة الازهار غضه مامثل قولك للمحا * جى ذى الحجا اختار فضه ثم حدج التاسع ببصره وقال
يامن يشار اليه فى الشـ * ـقلب الذكى وفى البراعه اوضح لنا مامثل قو * لك للمحاجى دس جماعه (قال الراوى) فلما انتهى الى هزمنكبى وقال يامن له النكت التى * يشجى الخصوم بها وينكت انت المبين فقل لنا * مامثل قولى خالى اسكت
ثم قال قد انهلتكم وامهلتكم وان شئتم ان اعلكم عللتكم (قال) فألجأنا لهب الغلل الى استسقاء العلل فقال لست كمن يستأثر على نديمه ولا ممن سمنه فى اديمه ثم كر على الاول وقال يامن اذا اشكل المعمى * جلته افكاره الدقيقه
ان قال يوما لك المحاجى * خذ تلك مامثله حقيقه ١٨٢ ثم ثنى جيده الى الثانى وقال يامن بدا بيانه * عن فضله مبينا
ماذا امثال قولهم
حمار وحش زينا
ثم اوحى الى الثالث بلحظه وقال
يامن غدا فى فضله
وذكائه كالاصمعى
مامثل قولك للذى
حاجاك أنفق تقمع
ثم حملق الى الرابع وأنشد
يامن اذا ماعويص
دجا أنار ظلامه
ماذا يماثل قولى
استنش ريح مدامه
ثم أومض الى الخامس وقال
يامن تنزه فهمه
عن ان يروّى أو يشكا
مامثل قولك للذى
اضحى يحاجى غط هلكى
ثم اقبل قبل السادس وأنشد
ياأخا الفطنة التى
بان فيها كماله
ساربا الليل مدة
أى شئ مثاله
ثم نحى ببصره الى السابع وقال يامن يحلى بفهم * اقام فى الناس سوقه لك البيان فبين * مامثل احبب فروقه باجود
ثم قصد قصد الثامن وانشد يامن تبوّأ ذروه * فى المجد فاقت كل ذروه مامثل قولك أعط ابـ * ـريقا يلوح بغير عروه
ثم ابتسم الى التاسع وقال يامن حوى حسن الدرا * ية والبيان بغير شك مامثل قولك للمعا * جى ذى الذكاء الثور ملكى
ثم قبض بجمعه على ردنى وقال يامن سما بثقوب فطنته * فى المشكلات ونور كوكبه ماذا امثال صفير جحفلة * بينه تبيانا ينم به
(قال الحرث بن همام) فلما أطربنا بما سمعناه وطالبنا بمكاشفة معناه قلنا له لسنا من خيل هذا الميدان ولا لنا بحل هذه العقد يدان فان ابنت مننت وان كتمت غممت فظل يشاور نفسيه ويقلب قدحيه حتى هان بذل الماعون عليه فأقبل حينئذ على الجماعة وقال يا أهل البلاغة والبراعة سأعلمكم مالم تكونوا تعلمون ولا ظننتم انكم تعلمون

(تجلت) ظهرت (جلت) عظمت و(استنصت) سكت (حدائق) بساتين (مطلولة) أصابها الطل (غضة) ناعمة (الحجا) العقل (حدج) رمى (البراعة) الفصاحة ووفور العقل (يشجى) يغص والغصص الاختناق (ينكت) يقلبهم على رؤسهم وطعنه فنكته ألقاه على رأسه وعند القضاعى يشجى وينكت أى يسكت على ذلك (أنهلتكم) أسقيتكم والنهل الشرب الاوّل والعلل الشرب الثانى (أعلكم) أسقيكم عللا (لهب الغلل) أى حر العطش (يستأثر) أى يخص نفسه بشئ دون أصحابه (سمنه فى أديمه) أى خيره موقوف عليه والاديم هنا زق السمن وأصل المثل سمنكم هريق فى أديمكم أى خيركم موقوف عليكم قاله أبو عبيدة وخطأ البكرى فى تفسير الاديم بالزق وقال انما الاديم هنا طعامكم المأدوم فعيل بمعنى مفعول أى خيرهم راجع اليهم وهو قول الازهرى رحمه الله ولم ينكر الاول وهو مثل يضرب للبخيل ولمن لا يتعداه خيره وينفق على نفسه دون غيره * وقمعه يقمعه ضربه بالمقمعة أى قهره وكفه وقمع الشراب وأقمع مرّ فى الحلق مرّا بغير جرع (كرّ) عطف (جيده) عنقه (أوحى) أشار (حملق) أحدّ النظر (عويص) صعب (دجا) اسودّ (أنار) جعل فيه النور (تنزه) تباعد (يروّى) يفكر وقدروأت الحديث اذا دبرته وهيأته (بان) تبين (يحلى) تزين (تبوأ) نزل و(الذروة) أعلى الشئ (ثقوب) نفوذ (أبنت) بينت (مننت) أفضلت علينا (نفسيه) أراد انه يردّد رأيه هل يفعل أولا يفعل فكأن له نفسين يردّد المشورة عليهما حتى يظهر لهما الرأى الارجح فيهما فيبنى عليه وقال حويرث العبدى

لكل امرئ نفسان نفس كريمة * ونفس فيعصيها الفتى أو يطيعها

وقد تقدّم معنى يقلب قدحيه (الماعون) المعروف وقال يونس الماعون فى الجاهلية كل عطية ومنفعة وفى الاسلام الزكاة والطاعة وقال ابن عباس الماعون المعروف كله حتى ذكر القدر والقصعة والفأس وحكى الفنجديهى عن ابن عباس الماعون العارية وقال الماعون اسم جامع لمنافع البيت كالقدر والفأس والماء والملح ونحوها وقال الاعشى

باجودمنه بماعونه * اذا ماسماؤهم لم تغم

والأظهر فيه انه من العون وأصله معوون بوزن مفعول فقدمت الواو التى بعد العين فصار موعون ثم قلبت ألفا كما قيل ياجل وحكى الفراء عن بعض العرب الماعون الماء فيكون على هذا مفعولا من العين و يعل كماعل من العون أو يكون فاعولا من معن الماء اذا سال وهو أيضا قول من اشتقه من قولهم ممعن هربا أو من قولهم عين معين قال قطرب ماعون فاعول من المعن وهو الشيء اليسير ومنهم من قال أصله معونة والالف بدل من الهاء (قوله أوكوا) أى شدّوا (روّضوا) زينوا واجعلوها مثل الرياض (الاردان) الاكمام (آضت) رجعت أذهانهم مضيئة بالفهم وزال عنها الالتباس (تغن بالامس) يريد أن أكمامهم كانت بالامس ممتلئة بالدراهم فتفرغت اليوم اذوهبوا له مافيها (المفرّ) المهرب (المقرّ) المنزل والبلد (الشكول) المرأة الثكلى الفاقدة لاحبابها (شعب) أى طريق أى كل بلد لى بلد (ربعى رحب) أى منزلى متسع (المستهام) الذى غلب الحب على قلبه فخرج هائما على وجهه لايدرى اين يتوجه وهام يهيم ذهب عقله فخرج فى غير الطريق وقيل الهائم العليل القلب على الذى يجد فى قلبه هياما وهو وجع يجده البعير فلا يروى من شرب الماء قال عروة بن حزام

بى اليأس اوداء الهيام اصابنى * فاياك عنى لايكن بك مابيا

أو يكون من التهويم وهو هجوم النوم وهو فى الاوجه الثلاثة اسم مفعول وكان قياسه مستهيما الا انه لما كان كأنه مغلوب على ذلك جاء على هذا وحذف به لدلالة المعنى و (الصب) العاشق (البكر) التى ولدت بها (الجو) اسم لنواحى السماء و (مهب الريح) موضع هبوبها من الجوّ واراد بلدته التى يجيء منها و يخرج عنها للبلاد (الغناء) الكثيرة الاشجار و تقدمت علتها (أصبو) أميل (ادنى) أقل (نوشيته) تزيينه كلامه (مشيئته) ارادته (طمر) وثب وهو من الاضداد يقال طمرت الشيء سترته وطمر الجرح سفل وعلا أيضا ومنه قيل للبرغوث طامر لنزوه وارتفاعه (ناء) نهض (قمر) حازه بالقمار (سكع) مشى مشى المتعسف (صقع) ذهب وقيل لم يدر أين صقع أى أين ذهب والسكع الذهاب على غير هداية والصقع الناحية من الارض وما ادرى أين صقع أى أى ناحية قصد من الارض *(فصل فى تفسير الاحاجى)* اذا اردت ان تعرف المماثلة فى هذه الاحاجى فتنظر جوع امد بزاد فتقابله بطوامير فتقسم هذه اللفظه فتقابل القسم الاوّل وهو طوا بقولك جوع فتجده مثله فى المعنى وتقابل بالقسم الثانى وهو مير قولك أمد بزاد فتجده مثله فى المعنى والمير الامداد بالزاد ومير الرجل اعطى نفقة وقوتا لعياله فهذه المماثلة الحقيقية التى قدم وكذلك تقابل ظهر أصابته عين بقولك مطاعين فتجد المطا الظهر وعين الرجل اصيب بالعين وكذلك صادف جائزة هى ألفى صلة وألفى هى صادف والجائزة هى الصلة تصل بها من قصدك وان تركت الالفاظ منظومة بغير تقسيم ينتج منها معنى آخر فيقال لك ما الطوامير فتقول الكتب الواحد طومار والمطاعين جمع مطعان وهو الكثير الطعن والفاصلة التى تقع بين شيئين فتفصل هذا من هذا والفاصلة فى العروض توالى أربعة أحرف أو ثلاثة متحركة بعدها ساكن وهكذا هى المقايضة فى هذه المقامة تصل اللفظة فيكون لها معنى وتفصلها فيكون لها معنى آخر وأنا أفسر معنى المتصلة اذا المنفصلة قد وقع تفسيرها فى المقامة

فاوكوا عليه الأوعية وروّضوا به الأنديه ثم أخذ فى تفسير صقل به الاذهان واستفرغ معه الاردان حتى آضت الافهام أنور من الشمس والاكمام كأن لم تغن بالامس ولما اهتم بالمفر سئل عن المقر فتنفس كما تتنفس الشكول ثم انشأ يقول

كل شعب لى شعب
وبه ربعى رحب
غير انى بسروج
مستهام القلب صب
هى أرضى البكر والجوّ
الذى منه المهب
والى روضتها الغنّـ *
اء دون الروض أصبو
ما حلا لى بعدها حلـ * ـو
ولا اعذوذب عذب

(قال الراوى) فقلت لاصحابى هذا أبو زيد السروجى الذى أدنى ملحه الاحاجى وأخذت أصف لهم حسن نوشيته وانقياد الكلام لمشيئته ثم التفت فاذا به قد طمر وناء بما قمر فعجبنا مما صنع اذ وقع ولم ندر أين سكع وصقع

(تفسير الأحاجى المودعة هذه المقامة)

أما جوع أمدّ بزاد فمثله طوامير وأما ظهر اصابته عين فمثله مطاعين وأما صادف جائزة فمثله الفاصلة وأما تناول ألف دينار

فثله هادية وأما أهمل حلية فثله الغاشية وأما اكفف اكفف فثله مهمه وأما الشقيق أفلت فثله أخطار وأما ما اختار فضة فثله أبارقة لان الرقة من أسماء الفضة وقد نطق بها النبي صلى الله عليه وسلم فقال في الرقة ربع العشر وأما دس جماعة فثله طافية وأما خالي اسكت فثله خالصه لانك اذا ناديت مضافا الى نفسك جاز لك حذف الياء واثباتها ساكنة ومتحركة وقد حذف ههنا حرف النداء كما حذفه في ١٨٤ أصل الاحجية وصه بمعنى اسكت وأما خذ تلك فثله هاتيك وأما حمار وحش زين فثله فرازين لان الفرا حمار الوحش ومنه الحديث كل الصيد في جوف الفرا وأما قوله أنفق تقمع فثله منتقم لان الامر من مان يمون من ومضارع وقت تقم وأما استنش ريح مدامة فثله رحراح لان الامر من استدعاء الرائحة رح وأما غاظ هلكى فثله صنبور لان البور هم الهلكى وفي القرآن وكنتم قوما بورا وأما سار بالليل مدة فثله سراحين وأما أحبب فروقة فثله مقلاع لان الامر من ومق يمق مق واللاع الجبان يقال فلان هاع لاع اذا كان جبانا جزوعا وأما أعط ابريقا يلوح بغير عروة فثله أسكوب لان الاوس الاعطاء والامر منه اس والكوب الابريق بغير عروة وأما الثور ملكى فثله اللالكي لان اللاء على وزن القنا هو ثور الوحش وأما صفير جفلة فثله مكاشفة لان المكاء الصفير قال الله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية والاصل في المكاء المد لكنه قصره في هذه الاحجية كما حذف همزة (نجدة)
الفراء في أحجيته وكلا الامرين من قصر الممدود وحذف همزة المهموز جائز

(المقامة السابعة والثلاثون الصعدية)

(حكى الحرث بن همام) قال أصعدت الى صعدة وأنا ذو شطاط يحكي الصعدة واشتداد يبدر بنات صعدة فلما رأيت نضرتها ورعيت خضرتها سألت نحارير الرواة عمن تحويه من السراة ومعادن الخيرات لاتخذه جذوة في الظلمات

(قوله هادية) أي مرشدة تقول هدتني الطريق فهي هادية و(الغاشية) ما يغشى القلب أي يغطيه من الهم والسقم والغاشية أيضا القوم يغشونك أي يقصدونك ويزورونك والغاشية القيامة والغاشية المرأة تغشاك أو تزورك والغاشية غشاء القلب والغاشية غشاء السرج و(المهمه) القفر (والاخطار) جمع خطر وهو الغرر والاخطار المنازل الشريفة (والابارقة) جمع ابريق وهو اناء معروف والابارقة أيضا السيوف الصقيلة واحدها ابريق و(الطافية) الجيفة تطفو على وجه الماء أي تطلع عليه و(الفرازين) وزراء الفرس الواحد فرزان ومنه فرزان الشطرنج الذي تسميه العامة فرزانة وزير الشاه والشاه في كلام الفرس الملك (وقت) معناه كففت و(المنتقم) الفرح بمصيبة غيره و(الرحراح) من الاواني الواسع القصير الحديد ورحراح موضع معروف و(الصنبور) النخلة الطويلة العنق القليلة الحمل والصنبور أيضا العفاص الذي يجعله السقاء في فم القربة ويشد عليه ويفرغ منه الماء والصنبور أيضا اللئيم والصنبور من الناس من ليس له نسل و(السراحين) الذئاب الواحد سرحان و(الاسكوب) المطر الكثير الصب والاسكوب والاسكاب قطعة خشب فيها اقرص تجعل في خرق الزق و(المقلاع) آلة يقلع بها الشيء والله الموفق

(شرح المقامة السابعة والثلاثين وتعرف بالصعدية)

(أصعدت) طلعت وارتفعت قال يعقوب الاصعاد الى نجد واليمن والحجاز والانحدار الى العراق والشام وعمان وقال الاخفش أصعد في البلاد سار فيها ومضى وأصله الذهاب في الصعود وهو الارتفاع ثم توسعوا في ذلك قال الفراء رحمه الله الاصعاد في ابتداء الاسفار والمخارج تقول أصعدنا من مكة الى بغداد وأصعدنا من بغداد الى خراسان فأما في السلم فتقول صعدت فيه لا أصعدت قال يعقوب رحمه الله صعد في الجبل وأصعد في البلاد انحدر فيها وصعد ارتقى و(صعدة) مدينة عظيمة باليمن بينها وبين صنعاء ستون فرسخا وتحكم فيها صنعة الجلود والجلد الصعدي في غاية الجودة ويضرب المثل بحسن نسائها (الشطاط) طول القامة و(الصعدة) الرمح (الاشتداد) جري (يبدر) يسبق (بنات صعدة) حمر الوحش (نضرتها) خصبها ونعمتها والنضرة صفاء اللون وبريقه (نحارير) علماء والنحرير الماهر والحاذق الذي جرب الامور وعرفها وهو اسم يجمع وجوها من المدح ففسر النحرير بالعالم والمفلق والحاذق والماهر والعادل (والسراة) السادة وهو جمع سري وهو السيد الشريف وجمع فعيل على فعلة عزيز لا يعرف غير هذا (الجذوة) الجمرة الغليظة العظيمة وجيمها بثلاث حركات ويجمع ثلاثتها نحو جذا وجذا وجذا

(نجدة) قوة وعونا (الظلامات) جمع ظلامة وهو مايشتكيه المظلوم (رحيب الباع) واسع العطاء فكنى بالباع عن ذلك والعرب اذا وصفت الرجل بالسخاء قالوا هو رحيب الباع وطويل الباع وكريم الباع والباع والبوع بسط اليد بالمعروف وقد باع يبوع منه ويقال للبخيل قصير الباع (خصيب الرباع) أى هو كثير المال فجمع له مع كرمه كثرة ماله فالناس يجدون فى كنفه الخصب وقد يراد بخصيب الرباع نافق سوق الاحكام فالمتعلق به يجد الخصب (تميمى النسب) أى من بنى تميم وشرك الطباع مع النسب وهو يريد أنه كامل تام فى خلقه فنسب قبيلته لتميم وطباعه للتمام والكمال فغلب أحدهما وشرك بينهما للقرب قال ابن شرف فبما لم بهذا التشريك ويحسن ان يمدح قاضى المقامة به لجوده

جاور عليا ولا تحفل بحادثة * اذا ادّرعت فلا تسأل عن الاسل
اسم حكاه المسمى فى الفعال فقد * حاز العليين من قول ومن عمل
فالماجد السيد الحر الكريم له * كالنعت والعطف والتوكيد والبدل
زان العلا وسواه شانها وكذا * تميز الشمس فى الميزان والحمل
وربما عابه مايفخرون به * يشنا من الحصر مايهوى من الكفل
سل عنه وانطق به وانظر اليه تجد * ملء المسامع والافواه والمقل

فانه أراد بقوله حاز العليين أى حاز عليا بالاسمية والعلو بالفعلية وهذا مثل ماتقدم للحريرى

جاد بالعين حين أعمى هواه * عينه فانثنى بلا عينين

فقد أوقع التشبيه على شيئين يتفقان فى اللفظ ويختلفان فى المعنى وقد أنشدنا فيما تقدم لبعض المتاخرين

فكيف اصبر عنها اليوم اذ جمعت * طيب الهواءين ممدود ومقصور

فالمقصور هوى النفس والممدود الهواء الذى بين السماء والارض وقد قدّمنا فى تفسير قول الحريرى وحيا المسجد بالتسليمتين ان السلام الواحد على من فى المسجد عند دخوله والثانى تحليل الصلاة وقوله هنا تميمى النسب والطباع من هذا القبيل وأكثره فى كلام المولدين وهو مستعمل فى كلام العرب ولا يبعد أن يكون من هذا قولهم التقى الثريان فانهم يريدون بذلك كثرة المطر وأنه يبلغ فى الارض الى التراب الندى فالثرى الواحد المطر والثانى التراب الندى على انه يحتمل أن يريد بذلك أن التراب اليابس لما بله المطر حتى لحق بالتراب الندى صار اليابس منهما يسمى ثرى فقيل التقى الثريان وقال النابغة

وقد أبقت صروف الدهر منى * كما أبقت من السيف اليمانى
يصمم وهو مأثور جراز * اذا جمعت بقائمه اليدان

فسره أبو عبيدة البكرى وغيره بانه أراد بذلك الجارحة والأيد الذى هو القوة فجمع على الاخف فهذا من قبيل ماقدمناه ولا يحضرنى الآن غيرهذا من كلام العرب (قوله الالمام) أى تخفيف الزيارة (اتنفق) أتخرج والنفاق ضد الكساد و(الاجام) الزيارة (صدى صوته) أى متى دعاه وجده حاضرا مجيبا له والصدى صوت الجبل الذى يردّ عليك اذا صحت وابن همام فى هذا المقامة شرطى القاضى (وسلمان) الذى ذكره هو سلمان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخادمه

ونجدة فى الظلامات فنعت لى قاض بها رحيب الباع خصيب الرباع تميمى النسب والطباع فلم أزل أتقرب اليه بالالمام وأتنفق عليه بالاجام حتى صرت صدى صوته وسلمان بيته

(ذكر مناقب سلمان الفارسى)

ويعرف بسلمان الخير قالت عائشة رضى الله عنها كان لسلمان رضى الله عنه مجلس مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ينفرد به فى الليل حتى كاد يغلبنا عليه وقال عليه الصلاة والسلام أمرنى
ربى بحب أربعة وأعلمنى أنه يحبهم على وأبوذر والمقداد وسلمان رضى الله تعالى عنهم وأتى
أبوسفيان على سلمان وصهيب وبلال فقالوا ما أخذت سيوف الله من عنق عدوّ الله مأخذها
فقال أبوبكر رضى الله عنه أتقولون هذا الشيخ قريش وسيدهم وأتى النبىّ صلى الله عليه وسلم
فأخبره فقال يا أبابكر لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك فأتاهم أبوبكر رضى الله
عنه فقال يا اخوتاه أغضبتكم فقالوا لا ويغفر الله لك وكان من أبناء أساورة فارس وأصله
من رام هرمز وقيل كان من أصبهان وكان يطلب دين الله ويتبع من يرجو ذلك عنده فدان
بالنصرانية وغيرها وقرأ الكتب وصبر فى ذلك على مشقات نالته وكلها مذكورة فى اسلامه
فى كتب السير وقيل تداوله فى ذلك بضع عشر ربا حتى أفضى الى النبىّ صلى الله عليه وسلم
فاشتراه من قوم من اليهود وأوّل مشاهده الخندق وهو الذى أشار بحفره فقال أبوسفيان وأصحابه
هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها وسئل علىّ عنه فقال علم علم الاول بحر لا ينزف هو منا
أهل البيت وفى رواية هو مثل لقمان الحكيم وكان فاضلا حبرا زاهدا عالما متقشفا وتعلم عمل
الخوص فقيل له لم تعمل هذا وأنت أمير وقد أجرى عليك رزق فقال انى أحببت أن آكل من عمل
يدى وكان يتصدّق بما رزق من بيت المال وكانت له عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها وقال
صلى الله عليه وسلم لو كان الدين فى الثريا لناله سلمان * أبوهريرة رضى الله عنه كنا جلوسا عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ سورة الجمعة فلما قرأ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وفينا سلمان
وضع يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجل من هؤلاء وتوفى فى آخر خلافة
عثمان رضى الله عنه وما ترك شيأ يورث عنه وفضائله كثيرة وعلى قولهم لابى بكر لا ويغفر الله لك
قال أبومحمد فى الدرة وربما أجاب المستخبر بلا النافية ثم عقبها بالدعاء له فيستحيل الكلام الى الدعاء
عليه كما روى ان أبابكر رضى الله عنه رأى رجلا بيده ثوب فقال أتبيع هذا فقال لا عافاك الله
فقال أبوبكر رضى الله عنه لقد علمتم لو تعلمون فهلا قلت لا وعافاك الله قال أبومحمد والمستحسن
ما قال يحيى بن أكثم للمأمون وقد سأله عن أمر فقال لا وأيد الله أمر أمير المؤمنين وحكى ان
الصاحب بن عباد لما سمع هذه الحكاية قال والله لهذه الواو أحسن من واوت الاصداغ
فى خدود المرد الملاح (قوله اشتيار شهده) أى استخراج عسله وأراد اجتناء منفعته (انتشاق)
شم يقال نشق الريح الطيبة نشقا وانتشق وتنشق شمها (الرند) شجر طيب الرائحة قال ابن دريد
رحمه الله هو الآس وقال الجوهرى رحمه الله ربما سمى العود رندا (مشاجر الخصوم) مواضع
الخصام التى يتشاجر فيها الخصمان أى يمتزج كلام هذا بكلام هذا من الشجر واحدها
مشجر وقد يراد بها المصدر وجمع لاختلاف أنواعه (أسفر) أمشى بينهم بالصلح (المعصوم)
المحفوظ من الوقوع فيما يحذر واصل العصمة فى كلامهم المنع وعصمته من كذا اذا منعته
والله يعصمك من الناس أى يمنعك (الموصوم) ذو الوصم وهو العيب فأراد أنه يصلح بين أهل الخير
والشر (للاسجال) للحكم وأسجل القاضى على نفسه بالحكم وسجل اذا كتب على نفسه
فأراد أنه جلس للحكم فى العقود والسجلات (ومحفل) القوم مجتمعهم (والاحتفال) كثرة الناس

وكنت مع اشتيار شهده
وانتشاق رنده أشهد مشاجر
الخصوم وأسفر بين المعصوم
والموصوم منهم فبينما
القاضى جالس للاسجال
فى يوم المحفل والاحتفال

واجتماعهم ومعنى احتفل الرجل جمع وأراد يكثر من الشئ الذى قصد وجمع المحفل محافل
ومنه الشاة المحفلة وهى التى يحبس لبنها أياما فى ضرعها لا تحلب (الرياش) الثياب (تبصر المحفل)
نظر الجمع وشخص فيهم (نقاد) مفتش كأنه ينقد ببصره الرجال ويريد أنه نظر من شرط القاضى
أهل الحزم والجراءة فأخبرهم بقصة ابنه فانطلقوا فاقوا به ونقاد الدراهم الذى يمعن النظر فيها
والتقليب لها ليميز جيدها من رديئها (وحى اشارة) يريد اشارة العين اذا غمزت من تريد أن يفهم
اشارتك دون غيره والوحى الايماء الخفى (ضرغام) أسد فى عظم خلقته وشدته (التغاضى)
التغافل والسكوت عن الظلم (الصدى) الذى علاه الصدأ وهو وسخ السيف و (الاخلاف)
جمع خلف وهو ما يحلب منه اللبن ويقبض عليه الحالب قال ابن دريد وقيل الخلف للناقة
كالضرع للبقرة (أجحم) تأخر (أعربت) أوضحت (أعجم) أبهم ولبس (أذكيت) أوقدت
(أخمد) أطفأ وخمدت النار طفئ لهبها (كفلته) ربيته (دب) مشى مشى صغير على يديه ورجليه
(شب) صار شابا (ألطف) أشفق وارق (رب) أصلح يريد أنه أصلح أحواله وأحسن تربيته تحرزا
من أن ينسبه القاضى الى تقصير (أكبر) رآه كبيرا (أطرف) أعجب وجعلهم يستطرفون خبره
(الثكلين) الفقدين يريد أن الرجل اذا عقه ولده ولم يبره فكأنه قد فقده * ومما جاء فى العقوق
كان جرير الشاعر أعق الناس بأبيه وكان بلال ابنه كذلك فراجع جرير بلالا فى الكلام فقال له
بلال الكاذب بينى وبينك نالك أمه فأقبلت امه عليه وقالت يا عدو الله تقول هذا لابيك فقال
جرير دعيه فكأنه سمعها منى وانا اقولها لابى وممن شهر عنه العقوق بوالديه الحطيئة الشاعر
قال يهجو أباه

* لحاك الله ثم لحاك حقا * أبا ولحاك من عم وخال
فبئس الشيخ أنت لدى المخازى * وبئس الشيخ أنت لدى المعالى
جمعت اللؤم لا حياك ربى * وأبواب السفاهة والضلال

وقد تقدم هجوه نفسه وأمه وممن هجا أباه وغيره على بن بسام وما سلم من هجائه أمير ولا وزير
ولا كبير ولا صغير ومما قال فى أبيه

هبك عمرت عمر عشرين نسرا * أترى اننى أموت وتبقى
فلئن عشت بعد موتك يوما * لأشقن جيب مالك شقا

(وقال فيه أيضا)

بعثت لاستهديك عيرا ولم أكن * علمت بأن العير صار لنا صهرا
فوجهه كى نشترك فى ركوبه * فتركبه بطنا وأركبه ظهرا

وقال فيه أيضا

شدت دارا خلتها مكرمة * سلط الله عليها الغرقا
وأرانيك صريعا وسطها * وأرانيها صعيدا زلقا

(وقال فيه أيضا)

بنى أبو جعفر دارا فشيدها * ومثله لخيار الدور بناء
فالجوع داخلها والذل خارجها * وفى جوانبها بؤس وضراء

اذ دخل شيخ بالى الرياش بادى
الارتعاش فتبصر المحفل
تبصر نقاد ثم زعم ان له
خصما غير منقاد فلم يكن الا
كضوء شرارة أو وحى اشارة
حتى أحضر غلام كأنه
ضرغام فقال الشيخ أيد الله
القاضى وعصمه من التغاضى
ان ابنى هذا كالقلم الردى
والسيف الصدى يجهل
أوصاف الانصاف ويرضع
اخلاف الخلاف ان أقدمت
أجحم واذا أعربت أعجم
وان أذكيت أخمد ومتى
شويت رمد مع انى كفلته
مذ دب الى أن شب وكنت
له ألطف من ربى ورب فأكبر
القاضى ما شكا اليه وأطرف
به من حواليه ثم قال أتشهد
ان العقوق احد الثكلين

(ذكر ذم العقوق)

ما ينفع الدار من تشييد حائطها * وليس داخلها خبز ولا ماء

وكذب كان أبو جعفر محمد بن نصر بن منصور بن بسام في نهاية السودد والمروأة والنظافة رجل مترف نبيل المركب مليح الملبس ظريف الغلمان له همة في تشييد البنيان ومارثاه ابن الرومي به يدل على كذب انه قال ابن الرومي فيه

أودى محمد ابن نصر بعدما * ضربت به في جوده الامثال
ملك تنافست العلا في عمره * وتنافست في موته الآجال
من لم يعاين سير نعش محمد * لم يدر كيف تسير الاجبال
ودخرته للدهر أعلم انه * كالحصن فيه لمن يؤل مآل
وتمتعت نفسي بروح رجائه * زمنا طويلا والتمتع مال
ورأيته كالشمس ان هي لم تنل * فالرفق منها والضياء ينال
لهفي لفقدك يا محمد انه * فقدت بك النجحات والانغال
بالله أقسم ان عمرك ما انقضى * حتى انقضى الاحسان والاجمال

ولابن القاسم يعزي أبا القاسم بن وهب في ابن مات له

قل لابي القاسم بن وهب * أتى بك الدهر للعجائب
مات لك ابن وكان زينا * وعاش ذو الشين والمعايب
حياة هذا كموت هذا * فليس تخلو من المصائب

وقد تقدم هجوه في أخيه ومن حسن التعطف على الابن العاق قول ابراهيم الصابي وكان ابنه يعقه

أرضى عن ابني اذا ما عقني حذرا * عليه أن يغضب الرحمن من غضبي
ولست أدري بم استحققت من ولدي * اسخان عيني وقد أقررت عين أبي

ولرب عقم اقر للعين فقال الغلام وقد امعضه هذا الكلام والذي نصب القضاة للعدل وملكهم اعنة الفضل والفصل انه ما دعا قط الا امنت ولا ادعى الا آمنت ولا لبى الا واحرمت ولا أورى الا وأضرمت بيد أنه كمن يبغي بيض الانوق ويطلب الطيران من النوق فقال له القاضي وبم أعنتك

(قوله ولرب عقم) العقم أن لا تلد المرأة (أمعضه) أوجعه وأغضبه وأمعض من ذلك وامتعض غضب وشق عليه وأوجعه (ادعى) نسب لنفسه ما شاء وفلان مدع وفعله الدعوى (آمنت) صدقت ما ادعاه (لبى) من تلبية الحاج اذا صاح لبيك لبيك (أحرمت) صرت محرما (أورى) أظهر له النار من الزند (أضرمت) أوقدت (بيد) غير (الانوق) ذكر الرخم ولا بيض له فكأنه طلب امر الا يكون أبدا ومثله طلب الابلق العقوق والابلق الذكر والعقوق من الخيل التي امتلا بطنها من حملها يقال للانثى قد أعقت وهي معق وعقوق فكأنه طلب امرا لا يكون أبدا لأنه لا يكون الابلق عقوقا ويقال ان رجلا سأل معاوية أن يزوجه امه هندا فقال أمرها اليها وقد أبت أن تتزوج قال فولني مكان كذا وكذا فقال معاوية متمثلا

طلب الابلق العقوق فلما * لم ينله أراد بيض الانوق

والانوق طائر أبيض في شواهق الجبال فبيضها في حرز لا يطمع فيه فعناه طلب ما لا يكون وأما طلب الطيران من النوق فثل الاول وهو لا يمكن (قوله أعنتك) أي أتعبك وكلفك ما يشق عليك من عنت البعير يعنت عنتا اذا احدث في رجله كسر بعد الجبر فلم يمكنه التصرف الا بمشقة قال أبو عبيد رحمه الله أعنته أضر به والعنت الضرر قال وأعنته ايضا أهلكه وقال أحمد بن عبيد

أعنته شدّد عليه والعنت التشديد * ابن عزيز عنت هلاك وأصله المشقة والصعوبة ومنه قولهم أكمة عنوت اذا كانت صعبة المسالك وقوله تعالى لأعنتكم أى لأهلككم ويجوز أن يكون المعنى لشدّد عليكم وتعبدكم بما يصعب أداؤه عليكم كما فعل بمن قبلكم (امتحن) ابتلى (صفر) خلا (منى) بلى (الامحال) الجدب والفقر (يسومنى) يكلفنى (أتلمظ بالسؤال) أى أكثر الكلام به والتلمظ تتبع ما بقى فى الفم من الطعام باللسان بعد الاكل (سحب) جمع سحابة (النوال) العطاء قال ابن الانبارى رحمه الله النول والنوال المنفعة والحظ ونلت الرجل اذا نفعته وانلته حظا ونالنى فلان نفعنى وقولهم ما كان نولك أن تفعل كذا أى ما كان لك منفعة فى هذا الفعل ونولك منصوب خبر كان وأن اسم كان أو بالعكس (يفيض) يسيل ويكثر (شربه) ماؤه وأراد به ماله (غاض) جف (انهاض) انكسر (أشرب) روى وسقى (الحرص) كثرة الطمع والطلب للدنيا و (الشره) الحرص الكثير (متخمة) مفسدة و (المسئلة) سؤال ما فى أيدى الناس (ملائمة) لؤم (فلق) شق من بين شفتيه (نحت) نجر أراد انشاء قصائده و (القوافى) من قنوت الشئ اذا تتبعته وسميت بذلك لاتباع بعضها بعضا (القل) القلة (المتراقى) المرتفع (لبدتيه) شعر متلبد على كفله وبين كتفيه (ناب) نزل (فاقة) فقر (أغمض) أى استره واغفل عنه و (المحيا) الوجه (خولك) ملكك (الناظر) سواد العين فيريد انه اذا وقع فى عينيه قذى وهو السقط على شدة اذاية احتمله الحر الكريم وصبر عليه وأخفاه من ناظريه تجلدا أى أخفى أذى بعض العينين عن بعض وهذا غاية فى المبالغة (ديباجه) ثوبه والديباج ثوب رفيع (ديباجتيه) خديه وقيل ديباجة الخد حسن بشرته و (أخلق) الشئ وأخلقه غيره لازم ومتعد يقول اذا افتقرت وبلى ثوبك فلا تبذل وجهك لاحد ولا تهنه بالسؤال وهذا من قول حبيب

ذل السؤال شجا فى حلق معترض * من دونه شرق من خلفه جرض
ما ماء كفك ان جادت وان بخلت * من ماء وجهى اذا أفنيته عوض

(وقال فى ابن الزيات)

أعطى ونطفة وجهى فى قرارتها * يصونها الوجنات الغضة القشب

يقول لم يخلق وجهى سؤال فوجهى غض جديد والنطفة ماء الوجه الذى نهى الحريرى عن اراقته حين قال

ولا ترق ماء المحيا ولو * خولك المسؤل ما فى يديه

قال الصولى كان حبيب رحمه الله لا يجيب هاجيا ترفعا عنه فانحدر الى البصرة والاهواز يمدح من بهما فكتب اليه عبد الصمد بن المعذل

أنت بين اثنتين تبرز للنا * س بكلتيهما بوجه مذال
لست تنفك طالبا لوصال * من حبيب أو طالبا لنوال
اى ماء لحر وجهك يبقى * بين ذل الهوى وذل السؤال

فلما قرأ الشعر قال قد شغل هذا ما يليه ولا أرب لنا فيه (وحكى) الاصبهانى قال جمع مجلس أبا تمام وعبد الصمد وكان عبد الصمد سريع القول وفى أبى تمام بطء فأخذ عبد الصمد

وامتحن طاعتك قال انه مذ صفر من المال ومنى بالامحال يسومنى أن أتلمظ بالسؤال واستمطر سحب النوال ليفيض شربه الذى غاض ويجبر من حاله ما انهاض وقد كان حين اخذنى بالدرس وعلمنى ادب النفس اشربه قلبى ان الحرص متعبة والطمع متعبة والشره متخمة والمسئلة ملائمة ثم أنشدنى من فلق فيه ونحت قوافيه

ارض بأدنى العيش واشكر عليه
شكر من القل كثير لديه
وجانب الحرص الذى لم يزل
يحط قدر المتراقى اليه
وحام عن عرضك واستبقه
كما يحامى الليث عن لبدتيه
واصبر على ما ناب من فاقة
صبر أولى العزم وأغمض عليه
ولا ترق ماء المحيا ولو
خولك المسؤل ما فى يديه
فالحر من ان قذيت عينه
أخفى قذى جفنيه عن ناظريه
ومن اذا أخلق ديباجه
لم ير أن يخلق ديباجتيه

قرطاسا وكتب أنت بين اثنتين الابيات ورمى بها الى أبى تمام فأخذه وخلا به طويلا وجاء وقد كتب فيه

أنى تنظم قول الزور والفند * وأنت أنزر من لاشئ فى العدد
أسرجت قلبك من بغض على حرق * كأنها حركات الروح فى الجسد

فقال له عبد الصمد يا ماص بظر أمه أخبرنى عن لاشئ فى العدد كيف يكون وعن قولك أسرجت قلبك أعيبة أو خرج فأسرجه عليك لعنة الله فانقطع أبو تمام انقطاعا ما رىء مثله وحكاية الصولى أولى بالصحة من هذه وليس عبد الصمد من رجال ابى تمام ولا له من التصرف فى أنواع الشعر ما لابى تمام وصنع البديع وقف عليه ولو صحت الحكاية فلا يحكم بالندرة لكن يحكم بالجملة واستعمال ديوان حبيب فى مجالس العلماء شاهد على فضله على أن ما جمعنا لعبد الصمد فى هذا الكتاب غاية فى بابه فلنرجع الى ما قيل فى ذل السؤال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سال وعنده ما يغديه أو يعشيه فانما يستكثر من جمر جهنم وقال الحسن بن على رضى الله عنهما حسبك من السؤال أنه يضعف لسان المتكلم ويكسر قلب الشجاع البطل ويوقف الحر الكريم موقف العبد الذليل ويذهب بنضرة اللون ويمحو الحسب ويحبب الموت ويمقت الحياة * الاصمعى رحمه الله سمعت اعرابيا يقول المسئلة طريق المذلة تسلب الشريف عزه والحسيب حسبه وقال معاوية لعبد الله بن الزبير انشدنى ثلاثة ابيات غريبة فقال انشدكها بثلاثين الفا تدفعها الى فقال حتى تنشد فأسمع فانشده ابيات الافوه الازدى

قال فعبس الشيخ واكفهر واندرأ على ابنه وهر وقال له صه يا عقق

بلوت الناس قرنا بعد قرن * فلم ار غير ختل اوقتال
ولم ار فى الخطوب اشد ضرا * وآذى من معاداة الرجال
وذقت مرارة الاشياء طرا * فما شئ امر من السؤال

ثم قال له قد اسمعتك وانت الحكم فحكم له وامر له بثلاثين الفا وينظر الى ما نسبه ابن المعذل لحبيب من اضافة ذل الهوى لذل السؤال ما اضافه له على بن الجهم من ذل الاعتذار وقال يعتذر للمتوكل

ان ذل السؤال والاعتذار * خطة صعبة على الاحرار
ليس من باطل يردده المر * ء ولكن سوابق الاقدار
فارض للسائل الخضوع وللقا * رف ذنبا بذلة الاعتذار
ان تجافيت منعما كنت اولى * من تجافى عن الذنوب الكبار
او تعاقب فانت اعرف بالله وليس العقاب منك بعار

وقال ايضا

هى النفس ما حملتها تتحمل * وللدهر ايام تجور وتعدل
وعاقبة الصبر الجميل جميلة * واكمل اخلاق الرجال التفضل
ولا عار ان زالت عن المرء نعمة * ولكن عارا ان يزول التجمل
وما المال الا حسرة ان تركته * وغنم اذا قدمته متعجل

(قوله اكفهر) اشتد عبوسه ووجه مكفهر منقبض كالح لا يرى فيه أثر بشر ولا فرح (اندرأ) اندفع (على ابنه) بالشتم (هر) كشر وجهه وعبسه (صه) اسكت (يا عقق) يا كثير العقوق ويقال عق

اباه

أباه يعقه عقوقا فهو عاق و يعدل الى عقق للمبالغة كعامر وعمر وعق أباه لم يطعه وقطع رحمه ولما قتل حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم ورضى الله عن عمه مر به أبو سفيان فطعنه بالرمح فى شدقه وقال ذق عقق أى ذق جزاء فعلك يا عقق والعق القطع والشق وقال عليه الصلاة والسلام ثلاثة لا يدخلون الجنة العاق لوالديه والديوث ورجلة النساء (قوله الشجا) الاختناق بالطعام و (الشرق) بالماء والطعام والشراب بهما قوام العيش فاذا عرض فيهما ذلك فقد عرضت مشقة وأذية فى موضع الالتذاذ وكذلك الولد العاق وهو أذية فى موضع راحة وما أحسن قول القائل

قرابة السوء داء سوء * فاحمل أذاهم تعش حميدا
فمن تكن قرحة بفيه * يصبر على مصه الصديدا

(البضاع) النكاح والجماع (ظئرك) مرضعتك (تحككت) لصقت بها وحلقت حواليها (استنت) جرت متتابعة فى سنن وهو الطريق والمذهب ومنه فلان يستن أى يجرى على أى أمر شاء لا يزجره عنه زاجر وقيل استنت أى سمنت من قولهم سن الراعى ابله اذا أحسن رعيها فأسمنها فكأنه حسنها وصقلها (القرعى) التى يصيبها القرع فى رأسها والقرعى جمع قريع مثل مرضى ومريض وهذه أمثال تضرب لمن يتشبه بغيره ولا يقوى قوته (فرط) سبق (حدته) ساقته (المقة) المحبة (تلافيه) تداركه بالعطف عليه (رنا) نظر (عاطف) راحم (ملاطف) أى رفيق به أى حسن كلامه وأنسه و (خفض الجناح) يكنى به عن لين الجانب (ويك) عجبا لك (زجر) نهى (الضراعة) التذلل وضرع ضراعة فهو ضارع وتضرع تذلل وتخشع (البضاعة) التجارة (المحظورات) الممنوعات وأراد بالاستثناء ما أحل الله من المحرمات لاهل الضرائر ويروى سوغوا فى المحظورات أى رخصوا لهم فيها (هبك) احسبك (التأويل) التفسير (ولم يبلغك ما قيل) يعنى فى اباحة السؤال للمضطر وهو قول الناس الضرورات تبيح المحظورات ويصدقه قوله تعالى فمن اضطر فى مخمصة الآية وقال عليه الصلاة والسلام انما المسئلة كدوح يكدح بها أحدكم وجهه الا مسئلة من ذى سلطان أو فى أمر لا بد منه (عارضه) قابله بنقيض ما قاله (حاباه) اختصه بهذه الوصية أى جعل هذا الشعر وصية لمن سمعه ويقال حابى فلان فلانا اذا مال اليه واتصل به أخذ من حبى السحاب وهو السحاب الذى يدنو بعضه من بعض وقيل حباه خصه بالميل أخذه من الحبوة وهى العطية يحبوها الرجل صاحبه ويخصه بها قال اليزيدى ثلاثة ان لم تظلمهم ظلموك ابنك وزوجك وخادمك (مسغبة) جوع (حفها) حلقها يريد أن الارض ذات الخصب تقصد لما فيها من الارزاق والارض المعطلة من النبات وهى الجدبة يفرعنها وكذلك الغنى يكرم لماله والفقير يهجر ويهان * ومما جاء فى فضل المال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمجاشعى ان كان لك مال فلك حسب وان كان لك خلق فلك مروأة وان كان لك دين فلك كرم وقال حكيم لابنه يا بنى أوصيك عليك بطلب المال فلو لم يكن الا أنه عز فى قلبك وذل فى قلب عدوك وقال آخر لابنه يا بنى أوصيك باثنتين لن تزال بخير ما تمسكت بهما درهمك لمعاشك ودينك لمعادك وكان سعد بن عبادة يقول اللهم ارزقنى حمدا ومجدا فانه لا مجد الا بفعال ولا فعال الا بمال وقالوا المال آلة للمكارم وعون على الزمان ومتألف للاخوان ومن فقده قلت الرغبة اليه والرهبة منه

يا من هو الشجا والشرق
ويك أتعلم أمك البضاع
وظئرك الارضاع لقد
تحككت العقرب بالافعى
واستنت الفصال حتى
القرعى ثم كأنه ندم على ما فرط
من فيه وحدته المقة
على تلافيه فرنا اليه بعين
عاطف وخفض له جناح
ملاطف وقال له ويك يا بنى
ان من أمر بالقناعة وزجر
عن الضراعة هم أرباب
البضاعة وأولو المكسبة
بالصناعة فأما ذوو الضرورات
فقد استثنى بهم فى المحظورات
وهبك جهلت هذا التأويل
ولم يبلغك ما قيل ألست
الذى عارض أباه فيما قال
وما حاباه

لا تقعدن على ضر ومسغبة
لكى يقال عزيز النفس مصطبر
وانظر بعينك هل أرض معطلة
من النبات كأرض حفها الشجر

(ذكر فضل المال)

قوله فلو لم يكن الا أنه الخ جواب لو محذوف أى لكفاك أو نحوه اه

قال سفيان الثوري المال سلاح المؤمن في هذا الزمان وكان لأحيحة بن الجلاح بالزوراء ثلثمائة ناضح فدخل بستانا له فمر بتمرة فلقطها فليم على ذلك فقال تمرة الى تمرة تمرات وجمل الى جمل ذود ثم أنشد يقول

انى مقيم على الزوراء أعمرها * ان الحبيب الى الاخوان ذو المال
استغن أومت ولا يغررك ذو نسب * من ابن عم ومن عم ومن خال
كل النداء اذا ناديت يخذلني * الا النداء اذا ناديت يا مالى

(وقال عروة بن الورد)

ذريني للغنى أسعى فانى * رأيت الناس شرهم الفقير
وأدناهم وأهونهم عليهم * وان أمسى له حسب وخير
يباعده القريب وتزدريه * حليلته ويقهره الصغير
ويلقى ذو الغنى وله جلال * يكاد فؤاد لاقيه يطير
قليل ذنبه والذنب جم * ولكن للغنى رب غفور

ومن أمثال بغداد المال المال وماسواه محال (قوله الاغبياء) الجهال وأراد بهم الذين يأمرون بالبخل (ظمئت) عطشت و (الركاب) الابل (والجناب) الجانب والناحية (يهمى) يسيل و (الرى) الشبع من الماء والصوب وقع الماء و (الظفر) الفوز بالحاجة يقول فارق أرضك واغترب في طلب المال واسأل الكرماء يعطوك وقال الشاعر

سأعمل نص العيس يوما ليكفنى * غنى المال يوما أو غنى الحدثان
فللموت خير من حياة يرى بها * على المرء بالاقلال وسم هوان
اذا قال لم يسمع لحسن مقاله * وان لم يقل قالوا عديم بيان
كأن الغنى في أهله يجعل الفتى * بغير لسان ناطقا بلسان

وأشار بقوله (قد ردموسى قبل والخضر) الى قوله تعالى حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما وفي نسب الخضر اختلاف منهم من جعله من قابيل بن آدم ومنهم من يجعل بينه وبين سام بن نوح خمسة آباء ويجعله من ذرية سام وقال عليه الصلاة والسلام انما سمى خضرا لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز خضرة والفروة الارض البيضاء وقصته مع موسى مشهورة وقيل ان موسى صاحبه غير موسى بن عمران وقال موسى للخضر حين فارقه عظنى فقال لايراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك فكما تذهب بأمل صادق فتخيب قد تذهب بأمل كاذب فتصيب وتذهب للحقير وتدرك الجليل وقد ذهب موسى ليقتبس نارا فكلمه ربه وقد تقدم هذا قال ابن عبد ربه مما جبل عليه الحر الكريم أن لا يقنع من شرف الدنيا والآخرة بشيء مما انبسط له من أمر الدنيا بل يكون أمله فيما هو أسنى درجة وأرفع مرتبة ولذلك قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وهو عامل بالمدينة لرعين الراجز ان لى نفسا تواقة فاذا بلغك انى صرت الى أشرف من منزلتى فأتنى فلما صار خليفة أتاه فقال أنا أعلمتك أن لى نفسا تواقة وان نفسي تاقت الى أشرف الدنيا منزلة فلما بلغتها وجدتها تتوق الى أشرف الآخرة منزلة ومن الشاهد ان موسى عليه السلام لما كلمه ربه تكليما سأله النظر اليه اذ كان ذلك لو وصل اليه أشرف من المنزلة التي

فعد عما تشير الاغبياء به
فاى فضل لعود ماله ثمر
وارحل ركابك عن ربع ظمئت به
الى الجناب الذي يهمى به المطر
واستنزل الرى من در السحاب فان
بلت يداك به فليهنك الظفر
وان رددت فما فى الرد منقصة
عليك قد رد موسى قبل والخضر

قال فلما أن رأى القاضى *تنافى قول الفتى وفعله

نالها فالحر الكريم لا يقنع بمنزلة الارجا أشرف منها قال ومن قولنا فى هذا المعنى

لا يكتفى أبدا من نيل منزلة * حتى ينال التى من دونها العطب
سعى له أمل من دونه أجل * ان كفه رهب يدعو به رغب
كذاك ماسال موسى ربه أرنى * أنظر اليك وفى تسآله عجب
يبغى التزيد فيما نال من كرم * وهو النجى لديه الوحى والكتب

وقال حبيب

ذريني وأهوال الزمان أفاسها * فاهواله العظمى تليها رغائبه

(قوله تحليه) تزينه وقوله (أتميما مرة وقيسيا أخرى) مثل يضرب لمن يتناقض فيما يقول تقديره أتنسب مرة لتميم وتنسب مرة لقيس وتميم وقيس قبيلتان عظيمتان وبينهما أبدا مــكافحات ومقاتل وتميم هذا ابن مرة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر وقيس ابن الياس قال أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا الدرداء اذا فاخرت ففاخر بقريش واذا كاثرت فكاثر بتميم واذا حاربت فحارب بقيس الا ان وجهها كنانة ولسانها أسد وفرسانها قيس ألا ان لله فرسانا فى سمائه وهم الملائكة وفرسانا فى الارض وهم قيس وان آخر من يقاتل على الاسلام حين لا يبقى الا ذكره ومن القرآن الا رسمه رجل من قيس قلت يا رسول الله من أى قيس قال من سليم وفى البديعية

ان حالى مع الزما * ن كحالى مع النسب * أنا أضحى مع النبيط وأمسى مع العرب
نسبى فى يد الزما * ن اذا ساقه انقلب

وقال زفر بن الحرث لعمرو بن حطان أزيديا مرة وأوزاعيا أخرى وقال عمرو بن حطان

فاعذر أخاك ابن زنباع فان له * فى النائبات خطوبا ذات ألوان
يوما يمان اذا لاقيت ذا يمن * وان لقيت معديا فعدنانى

وقال آخر

أفى الولائم أولادا لواحدة * وفى العيادة أولادا لعلات

(قوله يتلون) أى يتغير ويتنوع و(الغول) ساحرة الجن وهو يتصور فى صور شتى وأخذه من قول كعب بن زهير

فما تدوم على حال تكون به * كما تلون فى أثوابها الغول

وتزعم العرب انه اذا انفرد رجل فى الصحراء ظهرت له فى خلقة انسان ولا يزال يتبعها حتى يضل الطريق فتدنو منه وتمثل فى صور مختلفة فتهلكه روعا واذا أرادت أن تضل الناس أوقدت نارا فيبصرها السارى فيقصدها فتفعل ذلك وتر وعه فان كان الذى يأتيها شجاعا مقداما تحامل وتبعها فاذا رأت ذلك لم تضره وجلس يصطلى بنارها وهى معه وقال تابط شرا

وأدهم قد جبت جلبابه * كما اجتابت الكاعب الخيعلا
الى ضوء نار تنورتها * فبت لها مدبرا مقبلا *
فاصبحت والغول لى جارة * فيا جارتا أنت ما أهولا *
فمن يك عن جارتى سائلا * فان لها باللوى منزلا *

وتحليه بما ليس من أهله
نظر اليه بعين غضبى وقال
أتميما مرة وقيسيا أخرى
أف لمن ينقض ما يقول
ويتلون كما تتلون الغول

(قال) أبو عمرو رحمه الله بات تأبط شرا ليلة ذات ظلمة ورعد وبرق بواد يقال له رحى بطان فلقيه الغول وهو سبع من سباع الجن فما زال يقاتلها حتى قتلها فقال

الا من مبلغ فتيان فهم * بما لاقيت عند رحى بطان
فانى قد رأيت الغول تهوى * بسهب كالصحيفة صحصحان
فشدت شدة نحوى فاهوى * لها كفى بمصقول يمان
لها عينان فى رأس قبيح * كرأس الهر مشقوق اللسان
وساقا مخدج وسوار كاب * وثوب من عباة أو شنان

قالوا وخلقتها خلقة انسان ورجلاها رجلا حمار فاذا صاح بها الرجل رجلى حمار نهقت نهيقا لا تخطئ السبسب والطريق وفرت منه وانظر فى التاسعة والاربعين ذكر القطرب وفيه شئ مستظرف (قوله فتاحا) أى حاكما وافتح بيننا اى احكم بيننا والفتاح الناصر والفتح النصر والحاكم ينصر المظلوم (أسيت) حزنت (صدئ ذهنى) أى تغطى بالغفلة من الصدا وهو ما يعلوه من الدرن و(صديت) غير مهموز أصدى صدى واراد مذ افتقرت علانى الوسخ وصحبنى النسيان (الفتح) الكثير الفتح الواسع الذى لا يغلق فى وجه قاصده (السرح) الكثير الذى يسرح صاحبه فى أنواع الجود والسرح السهل السريع وناقة سروح مسرعة فى سيرها (يتبرع) يتفضل بجوده متطوعا وتبرع تطوع (اللهى) العطايا (ها) معناها خذ وتناول وذكر أبو محمد هذه اللفظة فى الدرة فقال ويقولون لمن تناول شيأ هابقصر الالف فيلحنون فيها لان الالف ممدودة كما جاء فى الحديث الذهب بالذهب ربا الا هاء وهاء ويجوز فيه فتح الهمزة وكسرها مع المد ولا تقصر الا اذا اتصلت بها كاف الخطاب فيقال هاك كما روى أن عليا رضى الله عنه آب الى فاطمة رضى الله عنها من بعض مواطن الحروب وسيفه يقطر دما فقال * افاطم هاك السيف غير مذمم * وعند النحويين أن المد فيها بدل من كاف الخطاب لان أصل وضعها ان تقترن كاف الخطاب بها فساقها ابو محمد هنا مقصورة بغير كاف ووقع فيما زعم انه لحن فان قيل لعلها لما وقعت فى فقرة موقوف عليها يحتمل فيها ذلك فنقول انه قد أردفها على فقرة قبلها مقصورة باجماع وهى اللهى فسواها معها على ان أهل اللغة حكوا فى اللفظة اربع لغات ها مقصورة كما فى المقامة وهاء ساكن الهمزة وهاء بالمد مع فتح الهمزة وكسرها وسمع رجل ابا العتاهية ينشد

فانظر بطرفك حيث شئت * فلن ترى الا بخيلا

فقال قد بخلت الناس كلهم فقال كذبنى انت بواحد منهم سخى (قوله مه) اكفف (الخواطئ) السهام تخطئ الغرض وهذا مثل يضرب لمن يكثر الخطا و يأتى احيانا بالصواب (خالب) خادع (شمت) البرق نظرت سحابه أين يمطر (أعظم) جعله عظيما (والحريق) ما تحرقه النار من الحشيش والعيدان وناره ضعيفة لا تدوم و(السمك) كبش الماء فلا يستوى الاعلى نار قوية فربما شوى سمكته ما دام لهب النار موجودا فاذا سكن اللهب لم يتمكن من شيها لعدم الجمر فى الحريق فيريد انه حرض القاضى بالشعر على الكرم حين اهتز للكرام وغضب من تبخيلهم فهزه بهذا الشعر ليجود عليه قبل ان يسكن فربما يبدو له ان لا يجود (أرسخ) اثبت (رضوى) جبل بالمدينة سهل مشتق من الرضوان كان الذى يصعده راض عنه لقلة المشقة فى صعوده (اخو جدوى) صاحب

فقال الغلام والذى جعلك مفتاحا للحق وفتاحا بين الخلق لقد أنسيت مذ أسيت وصدئ ذهنى مذ صديت. على أنه أين الباب الفتح والعطاء السرح وهل بقى من يتبرع باللهى واذا استطعم يقول ها فقال له القاضى مه فمع الخواطئ سهم صائب وما كل برق خالب فميز البروق اذا شمت ولا تشهد الا بما علمت فلما تبين للشيخ أن القاضى قد غضب للكرام وأعظم تبخيل جميع الانام علم أنه سينصر كلمته ويظهر أكرومته فما كذب أن نصب شبكته وشوى فى الحريق سمكته وأنشأ يقول

يا أيها القاضى الذى علمه
وحلمه أرسخ من رضوى
قد ادعى هذا على جهله
ان ليس فى الدنيا أخو جدوى

وما دري أنك من معشر
عطاؤهم كالمنّ والسلوى
فجدبما يثنيه مستخزيا
مما افترى من كذب الدعوى
وأنثني جذلان أثني بما
أوليت من جدوى ومن عدوى
قال فهش القاضي لقوله
وأجزل له من طوله ثم لفت
وجهه الى الغلام وقد
نصل له أسهم الملام وقال له
أرأيت بطل زعمك وخطأ
وهمك فلا تعجل بعدها بنيم
ولا تنحت عودا قبل عجم
واياك وتأبيك عن مطاوعة
أبيك فانك ان عدت تعقه
حاق بك مني ما تستحقه
فسقط الفتى في يده ولاذ

عطية وكرم (المن والسلوى) طعام كان ينزل على بني اسرائيل وقيل المن الترنجبين والسلوى السماني وهو طائر (يثنيه) يردّه (مستخزيا) صاغرا خاضعا ويروى مستخديا والخدية الاستحياء أو يكون بمعنى مهانا والخزى الهوان (افترى) كذب واستبعد (أنثني جذلان) ارجع فرحا (أوليت) أعطيت (جدوى) اعانة أي ارجع بالجدوى وباعانتك لي عليه حتى يتوب من عقوقه (هش) فرح (أجزل) أكثر (طوله) افضاله وهباته و (لفت) ردّ (نصل) جعل له نصالا وأنصلها نزع نصالها والنصل حديدة السهم (بطل زعمك) أي بطلان قولك (وهمك) ظنك (تنحت) تنجر (عجم) اختبار اي حتى تعلم هل هو قوي أو ضعيف يقول لا تعتب أحدا حتى تجربه (قوله واياك وتأبيك عن مطاوعة أبيك) أي احذر ان تمتنع عن مطاوعة والدك فانك ومالك لابيك * جابر رضي الله عنه جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان أبي أخذ مالي فقال له اذهب فأتني به فأوحى الى النبي صلى الله عليه وسلم أن نسأل الشيخ عن شئ في نفسه قاله في شأن ابنه فلما جاء الشيخ قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما بال ابنك يشكوك أتريد أن تأخذ ماله فقال سله يا رسول الله هل أنفقته الا على نفسي او على احدى عماته أو خالاته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم دعني من هذا أخبرني عن شئ قلته في نفسك ما سمعته أذناك فقال يا رسول الله ما زال الله يزيدنا بك يقينا لقد قلت في نفسي شيأ ما سمعته أذناي ثم أنشد يقول

غذوتك مولودا وعلتك يافعا * تعل بما أجني عليك وتنهل
اذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت * لسقمك الا ساهرا أتململ
كأني أنا المطروق دونك بالذي * طرقت به دوني فعيناي تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وانها * لتعلم ان الموت وقت مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التي * اليها مدى ما كنت فيك أؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة * كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك اذ لم ترع حق أبوتي * فعلت كما الجار المجاور يفعل

قال فحينئذ أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بتلابيب ابنه فقال أنت ومالك لابيك (قوله حاق) أي نزل تقول حاق به المكروه والشؤم يحيق حيقا نزل به * ابن عرفة وجب عليه وألزمه قال الازهري رحمه الله الحيق ما يحيط بالانسان من سوء عمله ومكروه فعله وقوله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله أي لا ترجع عاقبة مكرهم الا عليهم (سقط في يده) يقال ذلك للنادم المتحير ويقال سقط في يده وأسقط في يده اذا ندم على فعله وتحسر عليه واليد هنا الندم وقوله سقط الفتى في يده قال جماعة من أهل اللغة صوابه سقط في يده من غير تسمية الفاعل لان الفعل مسند الى المجرور وقال الازهري رحمه الله انما حسن سقط في يده بضم السين غير مسمى فاعله الصلة وهي في يده ومثله قول امرئ القيس * دع عنك نهبا صيح في حجراته * أي صاح المنتهب في نواحيه وكذلك المراد سقط الندم في يده وقال أبو القاسم الزجاجي سقط في أيديهم نظم لم يسمع قبل القرآن ولا عرفته العرب فيوجد في اشعارها وخفي على الاسلاميين قال أبو نواس
* ونشوة سقطت منها في يدي * وأخطأ في استعمالها الآن فعلت لا يبنى الا مما يتعدى لا يقال رغبت ولا غضبت انما يقال رغب في وغضب علي (لاذ) لجأ وتستر ولاذ فلان بفلان تستر به ودار

سماحه أزرى بمن قبله
وعدله أتعب من بعده
(قال الراوى) فخرت بين تعريف الشيخ وتنكيره الى أن احرورف لمسيره فناجيت النفس باتباعه ولوالى رباعه لعلى أظهر على أسراره وأعرف شجرة ناره فنبذت العلق وانطلقت حيث انطلق ولم يزل يخطو وأعتقب ويبعد وأقترب الى أن تراءى الشخصان وحق التعارف على الخلصان فأبدى حينئذ الاهتشاش ورفع الارتعاش وقال من كاذب أخاه فلا عاش فعرفت عندذلك انه السروجى بلا محالة ولا حؤل حالة فأسرعت اليه لاصافحه وأستعرف سانحه وبارحه فقال دونك ابن أخيك البر وتركنى ومر فلم يعد الفتى ان افتر ثم فر كأنه فعدت وقد استبنت عينهما ولكن أين هما

حوله وبعضهم يقول الاذو الاولى هى الغالبة واللواذ مصدر لاوذ ولذا أثبت الواو ولو كان مصدر لاذ لقلت لياذا كقمت قياما (بحقو) بخصر وجمعه أحقاء وحقاء * وحفد يحفد أسرع (ضامه) أذله (ضاره) ضره (أزرى) قصر وتقدم معنى البيت فى الرسالة السادسة والعشرين (احرورف) مال وانحرف (ناجيت) حدثت (رباعه) دياره (شجرة ناره) يريد أصل جبلته (أعتقب) أمشى خلفه وأتبع عقبه (تراءى) ظهر و (خلصان) الرجل صديقه الذى خلصت له مودته (الاهتشاش) الطرب والبشر (الارتعاش) الرعدة يريد ان داءه كذب لا حقيقة له (محالة) حيلة (حؤل) تغير (أصافحه) أعانقه وأسلم عليه (أستعرف سانحه وبارحه) أى أطلب منه أن يعرفنى بخيره وشره والسانح من الطير والوحش ما مر على ناحية يمينك والبارح ما مر على ناحية يسارك وقيل السانح ما أولاك ميامنه والبارح ما أولاك مياسره وأكثر العرب تتبرك بالسانح وتتشاءم بالبارح وبعضهم يتبرك بالبارح ويتشاءم بالسانح والسانح الذى يمر عليك عن ميامنك الى مياسرك فيمكن للطاعن طعنه وللرامى رميه فالذى يتيمن به يرى انه رزق حاصل والذى يتشاءم به يرى انه عاطب وهالك والبارح بالضد فالاول يرى انه فائت ورامية خاسر فيتشاءم به والثانى يرى انه سالم غير عاطب فيتيمن به والذين يتيمنون بالبارح ويتشاءمون بالسانح أهل نجد والذين يضادونهم أهل العالية (قوله دونك) أى خذه واقصده (البر) والبار الكثير الاكرام بأبويه (افتر) ضحك (استبنت) عرفت (عينهما) شخصهما وجعله آخر المقامة براً له لموافقته له فى الحيل وجرت العادة بان الاب اذا كان نجيبا فالابن بالضد ولهذا قال الشاعر

اذا أطلع الدهر حرا نجيبا * فكن فى ابنه سيئ الاعتقاد
فلست ترى من نجيب نجيبا * وهل تترك النار الا الرماد

(شرح المقامة الثامنة والثلاثين وهى المروية)

(المقامة الثامنة والثلاثون المروية)

(حكى الحرث بن همام) قال حبب الى مذ سعت قدمى ونفث قلمى أن اتخذ الادب شرعة والاقتباس منه نجعة فكنت انقب عن أخباره وخزنة اسراره فاذا ألفيت منهم بغية الملتمس وجذوة المقتبس شددت يدى بغرزه واستنزلت منه زكاة كنزه على أنى لم ألق كالسروجى فى غزارة

(قوله نفث) أى كتب والنفث ما تلقيه من فيك من البصاق الغليظ فشبه ما يلقيه القلم من المداد بالنفث هذا ظاهر اللفظ وانما أراد فى المعنى بالقلم ذكره ونفثه منيه فكنى عن البلوغ بذلك فهو يريد وقت الحلم وهو الوقت الذى يقوى فيه على المشى فى الاسفار والتصرف كذا فسره لنا بعض حذاق أشياخنا وفسره الفنجديهى على ظاهره فقال معنى مذ سعت قدمى ونفث قلمى مذ قدرت على المشى والكتابة والنظم والنثر (شرعة) طريقة وشريعة وعادة ومعناه أصرف همتى الى علم اللغة والعربية * قال الشافعى رضى الله عنه من تعلم القرآن عظمت قيمته ومن نظر فى الفقه نبل مقداره ومن تعلم اللغة رق طبعه ومن تعلم الحساب جزل رأيه ومن كتب الحديث قويت حجته ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه (الاقتباس) الاكتساب وهو افتعال من القبس (نجعة) طلب المرعى أى جعلت طلب الادب لى غذاء ورزقا (أنقب) أبحث (أحباره) علمائه (ألفيت) وجدت (بغية) حاجة (الملتمس) الطالب للشئ باللمس (جذوة) جمرة عظيمة (والمقتبس) الطالب للنار و (الغرز) للرحل كالركاب للسرج ومعنى شددت بغرزه أى تمسكت بركابه وبالغت فى خدمته روى ابن عباس رضى الله عنهما قال قال النبى صلى الله عليه وسلم من أخذ بركاب رجل لا يرجوه ولا يخافه غفر له (غزارة) كثرة

و (السحب) جمع سحابة كنى بها عن كثرة العلم (الهناء) القطران و (النقب) جمع نقبة وهو أوّل ما يبدو من الجرب وهو مثل لمن وضع الشئ فى موضعه أراد أنه ماهر أى حاذق يعطى كل طالب ما يستحقه ويشفيه من سؤاله لانّ الجهل فى القلب بمنزلة الداء فهذا يوقع بيانه بموضع الجهل فيبرأ صاحب ذلك من دائه ووضع الهناء مواضع النقب عجز بيت لدريد بن الصمة وكان خرج فرأى الخنساء الشاعرة تهنأ ذودا لها ثم نضت ثيابها واغتسلت وهو يراها ولا تراه فقال

حيوا تماضر واربعوا صحبى * وقفوا فان وقوفكم حسبى
ما ان رأيت ولا سمعت به * كاليوم طالى اينق جرب
متبذلا تبدو محاسنه * يضع الهناء مواضع النقب

وتماضر اسم الخنساء (قوله أسير من المثل) أى انه لا يستقر ببلد و (النقل) يريد انتقاله فى المنازل فلا يقيم بمنزلة سوى ليلة وينتقل فى الثانية الى أخرى فاراد أن أبا زيد لا يستقر ببلد الا ما يستقر القمر بمنزلة وهى ليلة واحدة بل هو أسرع من القمر فى ذلك وانما خص القمر به لانه أسرع الكواكب نقلة من برج الى برج اذ لا يمكث فى البرج الا يومين أو ثلاثا والبرج منزلتان وثلث والشمس تمكث فى البرج ثلاثين يوما وعطارد يمكث فيه سبعة عشر يوما والمشترى اثنى عشر شهرا وزحل ثلاثين شهرا والمريخ شهرا ونصفا والزهرة ستة وعشرين يوما والرأس والذنب ثمانية عشر شهرا ذلك تقدير العزيز العليم (قوله واستعذب السفر الذى هو قطعة من العذاب) هو حديث صحيح رواه مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم نومه وطعامه وشرابه فاذا قضى أحدكم نهمته من وجهته فليعجل الرجوع الى أهله النهمة بلوغ الهمة والشهوة والحاجة ورجل منهوم بكذا مولع به (قوله تطوّحت) يقال تطوّح فى البلاد ذهب به ههنا وههنا فاراد بقوله تطوّحت أى رميت بنفسى اليها (مرو) بلدة بخراسان جليلة لها قرى ومحلات وتسمى أمّ خراسان وهى دار خلافة المأمون ومنها خرج أبو مسلم صاحب الدعوة ينسب اليها الثوب مروى والرجل مروزى وهو من شاذ النسب ومن مرو الى مرو خمس مراحل وعلى مرو نهر فوهته بالساميان وهو جبل عظيم الارتفاع تسيل منه أنهار تخترق بلاد خراسان منها وادى خوارزم مسيرته أربعون يوما ووادى القندهار مسافته شهر ونهر سجستان مسافته شهر ونهر مرو مسافته شهر ونهر هراة مسافته عشرون يوما ونهر بلخ مسافته اثنا عشر يوما وبلخ هى متوسطة خراسان منها الى فرغانة ثلاثون مرحلة مغربا والى سجستان مما يلى القبلة كذلك والى كابول وقندهار كذلك والى خوارزم كذلك وأهل مرو أطبع الناس على البخل ثم أهل خراسان قال ثمامة ما رأيت الديك يأكل فى بلد قط الا وهو يدعو الدجاجة الى الحب ويلفظ الحب اليها الا بمرو فانى رأيته يأكل وحده فعلمت أن لؤمهم كثير جدّا وهو فيهم طبع ورأيت بها طفلا صغيرا بيده بيضة فقلت له أعطنيها فقال لى ليست تسعها فى يدك فعلمت أنّ المنع طبع مركب فيهم (لاغرو) لا عجب (زجر الطير) التفاؤل بها وفسر الشافعى رضى الله عنه قول النبى صلى الله عليه وسلم أقروا الطير على مكناتها الا انّ الرجل كان فى الجاهلية اذا أراد الحاجة أتى الطائر فى وكره فنفره فان أخذ ذات اليمين مضى لحاجته وان أخذ ذات الشمال رجع فنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال لا عدوى ولا طيرة ويعجبنى الفأل قيل وما الفأل قال

السحب ووضع الهناء
مواضع النقب الا أنه
كان أسير من المثل وأسرع
من القمر فى النقل وكنت
لهوى ملاقاته واستحسان
مقاماته أرغب فى الاغتراب
واستعذب السفر الذى هو
قطعة من العذاب فلما
تطوّحت الى مرو ولا غرو
بشرنى بملقاه زجر الطير
والفأل الذى هو بريد الخير

كلمة طيبة و زجر الطير التيامن بها والتشاؤم وكان عند العرب قوة زائدة وادراك فينظر الزاجر منهم للطائر ولما يفعل فيستقرى من ذلك ما يتيامن به و يتشاءم منه مثل ما يحكى عن أمية بن أبى الصلت انه كان يشرب مع اخوان له فى قصر غيلان بالطائف اذ سقط غراب على شرف القصر فنعب نعبة فقال له أمية بفيك الكثكث وهو التراب فقال له اخوانه ما يقول قال يقول اذا شربت الكأس الذى فى يدك مت ثم نعب نعبة فقال أمية نحو ذلك فقالوا له وما يقول قال زعم أن علامة ذلك أن يقع على هذه المزبلة تحت القصر فيستثير عظما فيشجى به فيموت فبينما هم يتكلمون اذ وقع الغراب على هذه المزبلة ليلتقط فاستثار عظما فاراد أن يبتلعه فشجى به فمات فانكسر أمية ووقع الكأس من يده وتغير لونه فجعلوا يعبرونه عليه و يقولون ما أكثر ما سمعنا بمثل هذا وكان باطلا فألحوا عليه حتى شرب الكأس فمال فى شق فأغمى عليه ثم أفاق وقال لا برى فأعتذر ولا قوى فأنتصر ثم زهقت نفسه * وحكى المدائنى قال خرج كثير من الحجاز يريد مصر اليز ورعزة فلما اقترب منها رأى غرابا على شجرة ينتف ريشه فتطير من ذلك فلقيه رجل من بنى لهب فقال يا أخا الحجاز مالك كاسف اللون فذكر له ما رأى فقال انك تطلب حاجة لا تدركها فقدم مصر والناس منصرفون من جنازة عزة فقال

رأيت غرابا ساقطا فوق بانة * ينتف أعلى ريشه و يطايره
فقلت ولو أنى أشاء زجرته * بنفسى للهبى فهل أنت زاجره
فقال غراب لاغتراب من النوى * وفى البان بين من حبيب تجاوره
فما أعيف اللهبى لا در دره * وأزجره للطير لا طار طائره

وممن زجر لنفسه بشر ذو الرمة فقال

رأيت غرابا ساقطا فوق قضبة * من القضب لم ينبت لها ورق خضر
فقلت غراب لاغتراب وقضبة * لقضب النوى تلك العيافة والزجر

وممن زجر بخير أبو حية حين قال

وقال صحابى هدهد فوق بانة * هدى و بيان بالنجاح يلوح
وقالوا دم دامت مواثيق بيننا * فدام لنا حلو الصفاء صريح
وقالوا حمامات فحم لقاؤها * وطلح فزيرت والمطى طلوح

* ومن ملح الزجر زجر أبى نواس وذلك انه استخفى عنه أصحابه وكان لا يفارقهم و وجهوا رسولا اليه فرمى له ظهر قرطاس من وراء الباب غير مكتوب وخرموه بزيز وختموه بقار وأمروا الرسول أن يرمى اليه الكتاب من وراء الباب فاستعلم موضعهم وتعرف حالهم وكتب اليهم

زجرت كتابكم لما أتانى * بزسوانح الطير الجوارى
نظرت اليه مخزوما بزيز * على ظهر و مختوما بقار
فعفت الظهر أهيف قرطقما * يحار الطرف منه باحورار
وكان الزيز ذا شد ومصيب * وقار الختم من قار العقار
فطرت اليكم يا أهل ودى * بقلب من هواكم مستطار
فكيف ترونى وترون زجرى * ألسنت من الفلاسفة الكبار

وما أحسن قول ابن قاضي ميلة وجمع الوصفين

ولما التقينا محرمين وسيرنا * بلبيك يطوى والركائب تعسف
فقلت لستربيها آبلغاها بأنني * بها مستهام قالتا نتلطف
تفاءلت في أن يطوطارق الهوى * بأن عن لى منها البنان المطرف
وأما دماء الهدى فهو تواصل * يدوم ورأى في الهوى يتألف
وفي عرفات ما يخبر انني * بعارفة من نيل وصلك أسعف
وتقبيل ركن البيت اقبال دولة * لنا وزمان بالمودة يعطف
وأبلغتها ما قلته فتنهدت * وقالت أحاديث العيافة زخرف
لئن كنت ترجو في منى الفوز بالمنى * فبالخيف من أعراضنا تتخوف
وقد أنذر الاحرام أن وصالنا * حرام وانا عن مرادك نصرف
فهذا وقذفي بالحصا لك منذر * بان النوى لى عن ديارك يقذف
فبادر نفارى لسلة النفرانه * سريع وقل من بالعيافة أعرف

(قوله أنشده) أى أطلبه و (المحافل) الجموع و (القوافل) الرفاق الرواجع (عثيرا) غبارا (اليأس) قطع الرجاء (انزوى) انقبض (التأميل) الترجي وهو مصدر أمل الخير أى ترجاه (انقمع) انكف (السرو) السيادة (مملاق) فقير (ملاق) متلطف في كلامه (عذقت) علقت وشددت به وعذق شاته يعذقها اذا ربط في صوفها خرقة تخالف لونها (الدرجات) المنازل الشريفة * وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقان يحبهما الله وهما السخاء والسماحة وخلقان يبغضهما الله وهما البخل وسوء الخلق واذا أراد الله بعبد خيرا استعمله على قضاء حوائج الناس * وقال خالد بن صفوان لا تسأل الحوائج ثلاثة لا تسألها كذوبا فيقرب بعيدا ويبعد قريبا ولا أحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك ولا رجلا له الى صاحبك حاجة فانه يصير حاجتك بطانة لحاجته (واتاه) وافقه وطاوعه (أدى) أعطى (زكاة النعم) الابل والشاء أى أعطى الصنائع والمعروف (الحرم) جمع حرمة أراد بذلك أهل الصيانة والعفاف * الفنجديهي الحرم أقوام محترمون والحرم الثاني الاهل والقرابة ومن يحرم على الانسان نكاحه أو تركه لضياعه (عميد) سيد (مصرك) بلدك والمصر الحد ويكتب أهل نجد اشترى فلان من فلان الدار بمصورها أى بحدودها * قطرب هو مأخوذ من مصرت الناقة أمصرها مصرا اذا حلبتها وجعلت ضرعها بين اصبعين فخرج من اللبن شيء قليل فيسمى مصرا لان الناس يجيؤن اليه ثم يثبتون أول فاول وقيل المصر العلامة (العماد) ما يقوم عليه الخباء شبهه في قيامه بالامور بالعماد (تزجى) تساق (الركائب) الابل (حرمك) بلدك وموضعك الذي تحميه (الرغائب) العطايا (ساحتك) فناء دارك (راحتك) كفك * ونذكر من الاحاديث ما يوافق هذا الفصل الذي قدمنا تفسيره قال النبي صلى الله عليه وسلم من عظمت نعمة الله عليه عظمت مؤنة الناس اليه فان لم يقم بتلك المؤنة عرض النعمة للزوال * عمرو بن العاص والله لرجل ذكرني ينام على شقه مرة وعلى الاخرى أخرى يراني موضعا لحاجته لهو أوجب على حقا اذا سألها مني أن أقضيها له * وقف العتابي بباب المأمون فجاء يحيى بن أكثم فقال له ان رأيت أن تعلم أمير المؤمنين بموضعي قال لست بحاجب

فلم أزل أنشده في المحافل وعند تلقي القوافل فلا أجد عنه مخبرا ولا أرى له أثرا ولا عثيرا حتى غلب اليأس الطمع وانزوى التأميل وانقمع فاني لذات يوم بحضرة والي مرو وكان ممن جمع الفضل والسرو اذ طلع أبو زيد في خلق مملاق وخلق ملاق فحيا تحية المحتاج اذا لقي رب التاج ثم قال له اعلم وقيت الذم وكفيت الهم أن من عذقت به الاعمال أعلقت به الآمال ومن رفعت له الدرجات رفعت اليه الحاجات وأن السعيد من اذا قدر وواتاه القدر أدى زكاة النعم كما يؤدي زكاة النعم والتزم لاهل الحرم ما يلتزم للاهل والحرم وقد أصبحت بحمد الله عميد مصرك وعماد عصرك تزجى الركائب الى حرمك وترجى الرغائب من كرمك وتنزل المطالب بساحتك وتستنزل الراحة من راحتك وكان فضل الله عليك عظيما

قال لقد علمت ولكنك ذو فضل وذو الفضل معوان قال سلكت بى غير طريقى قال ان الله تعالى ألحقك بجاه ونعمة فهما مقيمان عليك بالزيادة ان شكرت وبالتغير ان كفرت وأنا اليوم لك خير منك لنفسك أدعوك الى ما فيه زيادة نعمتك وأنت تأبى ذلك ولكل شئ زكاة وزكاة الجاه بذله للمستعين وأما قوله تزجى الركائب الى حرمك فهو كثير فى الشعر ونذكر منه شيأ يبين حالة القصد لهذا الاسم قال الحسن يمدح الامين

أقول والعيس تعرورى الفلاة بنا * صعر الازمة من مشى ووخدان
يا ناق لا تسأمى أو تبلغى ملكا * تقبيل راحته والركن سيان
محمد خير من يمشى على قدم * ممن برا الله من انس ومن جان
محمد بين املاك تفضله * ولادتان من المنصور ثنتان
تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها * خلقا وخلقا كما قد الشراكان
سيان لا فرق فى المعقول بينهما * معناهما واحد والعدة اثنان

وقال حبيب

الى أحمد الممدوح أمت بنا السرى * نواعب فى عرض الفلا ورواسم
الى سالم الاخلاق من كل عائب * وليس له مال من الجود سالم
جدير بأن لا يصبح المال عنده * جديرا بأن يبقى وفى الارض غارم

وقال آخر

سأجهد عزمى والمطايا فاننى * أرى العفو لا يمتاح الا من الجهد
سرين بنا زهو التجد وانما * يظل ويمسى النجح فى كنف الوجد
قواصد بالسير الحثيث الى أبى الـ * ـمغيث فما تنفك ترقل أو تخدى
الى مشرق الاخلاق للجود ما حوى * ويحوى وما يخفى من الامر أو يبدى
فتى لم يزل تقضى به طاعة الندى * الى العيشة الغراء والسودد الرغد

وقال فيها معتذرا

أتانى مع الركبان ظن ظننته * لففت له رأسا حياء من الوجد
ومن زمن البستنيه كأنه * اذا ذكرت أيامه زمن الورد
أسربل هجر القول من لو هجرته * اذا لهجانى منه معروفه عندى
كريم متى أمدحه أمدحه والورى * معى ومتى ما لمته لمته وحدى

وقال أبو الطيب

فلم تلق ابن ابراهيم عيسى * وفيها قوت يوم للقراد
فلما جئته أعلى محلى * وأجلسنى على السبع الشداد
تهلل قبل تسليمى عليه * وألقى ماله قبل الوساد
كأن الهام فى الهيجا عيون * وقد طبعت سيوفك من رقاد
وقد صغت الاسنة من هموم * فلم يخطرن الا فى فؤادى

وقال أبو الهندى سألناه الجزيل فما تأبى * وأعطى فوق منيتنا وزادا

وأحسن ثم أحسن ثم عدنا * فاحسن ثم عدت له فعادا
مرارا ماقصدت اليه الا * تبسم ضاحكا وثنى الوسادا

وقال أبو الطيب ولما قلت للابل امتطينا * الى ابن أبي سليمان الخطوبا
مطايا لاتزل بمن عليها * ولا يبغى لها أحد ركوبا
وترتع دون نبت الارض فينا * فما فارقتها الا جديبا
اذا نكبت كنائنها استبنا * بانصلنا لانصلها ندوبا
نصيب لبعضها أفواق بعض * فلولا الكسر لاتصلت قضيبا
ألست ابن الاولى سعدوا وجادوا * ولم يلدوا امرأ الا نجيبا
ونالوا مااشتهوا بالحزم هونا * وصاد الوحش نملهم دبيبا
وما ريح الرياض لها ولكن * كساها دفنهم في الترب طيبا

ومن المدح قول السرى في أبي الحصين القاضي
لقد أضحت خلال أبي حصين * حصونا في الملمات الصعاب
كساني ذيل نائله وآوى * غرائب منطقي بعد اغتراب
فكنت كروضة سقيت سحابا * فأثنت بالنسيم على السحاب

وقال بديع الزمان وشاعر الاوان
ياسيد الامرا فخرا فمالك * الا ائتمالك مولى واشتهالك أبا
وكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا * لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لولم يخن والشمس لونطقت * والليث لولم يصل والبحر لوعذبا

هذه الجملة كافية وكأنها تفسير ماأجمل من ذكر ممدوحه (قوله ترب) افتقر فلم يبق له مايقعد عليه غير التراب و (الاتراب) الاستغناء وأترب صار له من المال بكثرة التراب و (الاعشاب) اصابة العشب وأراد به المال (محلة) منزل يحل فيه (نازحة) بعيدة (رازحة) كالة من الهزال ورزح رزوحا كل من العمل * ابن الانبارى رزح فلان ضعف وذهب مافي يده وأصله من رزحت ابل فلان وكلابه اذا ضعفت ولزقت بالارض وقيل هو من المرزح وهو المطمئن من الارض فكأن الرازح قد لزمه وضعف عن الارتقاء الى العلو (آمل) أرجو (جاهك) عزك (والوسائل) جمع وسيلة وهو الشفيع فجعل تأميله أفضل وسيلة (نائل) عطاء و (النائل) المعطى ونلت له بالعطاء أنول وأنلت أنيل ورجل نال ورجلان نالان ورجال أنوال ونلته أنوله نولا أعطيته قال الاعشى
ينول العشيرة ماعنده * ويغفر ماقال جهالها
(تلوى عذارك) تعرض بوجهك (ازدارك) بمعنى زارك واستعمل قصدك (راحك) جمع راحة وهي باطن الكف (امتاحك) استسقاك وأراد طلب معروفك قال الراجز
أفلح ساق بيديك امتاحا * وقرعينا ورجا الفلاحا
(قوله امتار) استجلب منك الرزق (سماحك) جودك (مجد) كرم وصار ماجدا أى شريفا ومجد يمجد مجدا فهو ماجد ومجد مجادة فهو مجيد وقيل المجد تكرم الآباء خاصة وقيل الاخذ من الشرف والسودد مايكفي وقيل كرم الفعل (جد) بخل (حشد) جمع المال (اللبيب) العاقل

واحسانه اليك عما ثم انى شيخ ترب بعد الاتراب وعدم الاعشاب حين شاب قصدتك من محلة نازحه وحالة رازحه آمل من بحرك دفعه ومن جاهك رفعه والتأميل افضل وسائل السائل ونائل النائل فأوجب لى مايجب عليك وأحسن كما احسن الله اليك واياك ان تلوى عذارك عن ازدارك وأم دارك او تقبض راحك عمن امتاحك وامتار سماحك فوالله ماجد من جد ولا رشد من حشد بل اللبيب

(وجد) استغنى (جاد) تكرم (عاد) فعلها مرة بعد أخرى وقد تقدم منظوما (لم يهب) لم يخف (أن يهب) أن يعطي وهذا كله قصد فيه التجنيس فجاء منه بكل بديع (قوله نطفته ثمد) أى ماؤه قليل * الازهرى النطفة تقال للماء القليل والكثير ورأيت اعرابيا شرب من ركية غزيرة الماء فقال والله انها النطفة باردة والثمد الماء القليل الذى لا مدد له (قريحته) ذهنه (أطرق) أى أمال رأسه للفكرة (فى استيراء زنده) فى استخراج ناره وأراد طلب ما عنده من العلم (والاستشفاف) الاستقصاء فى النظر والتأمل فيما يبصر واستشف الثوب جعله طاقا واحدا أو رفعه فى ظل حتى ينظر أكثيف هو أم رقيق واستشفه رأى ما وراءه والاستشفاف النظر الى كل شئ صقيل (الفرند) جوهر السيف وأراد أن الوالى أعجب بكلامه فأراد أن يعلم هل كان فى حفظه لغيره أو ارتجله لنفسه (صمته) سكتته (ارجاء) تاخير (توغر) توقد (مقتضبا) مرتجلا (قوله أبيت اللعن) تحية ملوك الجاهلية قال ابن الانبارى رحمه الله فى تفسيرها قولان أحدهما أبيت أن تاتى من الاشياء ما تستحق اللعن عليه فاللعن منصوب والآخر وهو أردأ القولين أن تكون الالف بمعنى يا وبيت من البيوت مضاف الى اللعن لان بعضهم يخفض اللعن وتقديره يا بيت اللعن سمة للملك نقل من الوجه الاول لكثرة الاستعمال ألا ترى أنها تعطى معنى النداء فى البيت وتقديره يا ملك أو يا أمير ويتضمن معناه الدعاء أى جعلك الله ممن يكره اللعن ولذا وقع اعتراضا بين اللفظين الاول طالب للثانى كما قال ابن محلم

ان الثمانين وبلغتها * قد أحوجت سمعى الى ترجمان

(سبروتا) فقيرا محتاجا والسبروت الفقير الذى لا ثياب له (ذا السن) أى فصيحا (سكيتا) عييا كثير السكوت (انفح بعرفك) أى ارم بمعروفك (وافاك) أتاك (مختبطا) سائلا لمعروفك (انعش بغوثك) اى ارفع بعطيتك والغوث الاغاثة وهى المبادرة بالنصرة لمن جاء يستغيثك والانعاش أن ترى رجلا قد أهوى للسقوط فترفعه أو افتقر فتجبره (منكوتا) ملقى على رأسه ونكت الرجل فهو منكوت اذا ضرب فأسقط على رأسه (قوله أشاد) أى رفع (صيتا) ذكرا حسنا وقال النبى صلى الله عليه وسلم اذا أردتم أن تعلموا ما للعبد عند الله فانظروا ما يتبعه من حسن الثناء * وقيل لبعض الحكماء ما أحمد الاشياء قال أن يبقى للانسان أحدوثة حسنة * اكثم بن صيفى انما أنتم خبر فطيبوا أخباركم أخذه حبيب فقال

وما ابن آدم الا ذكر صالحة * أو ذكر سيئة يسرى بها الكلم

أما سمعت بدهر باد أمته * جاءت بأخبارها من بعدها أمم

* الاحنف ما ادخرت الآباء للابناء ولا أبقت الموتى للاحياء شيأ أفضل من اصطناع المعروف عند ذوى الاحساب وقيل لمعاوية أى الناس أحب اليك قال من كانت له عندى يد صالحة قيل فان لم تكن قال فمن كانت لى عنده يد صالحة * قال بزرجمهر اذا أقبلت عليك الدنيا فانفق منها فانها لا تفنى واذا أدبرت عنك فأنفق منها فانها لا تبقى أخذ هذا المعنى الشاعر فقال

لا تبخلن بدنيا وهى مقبلة * فليس ينقصها التبذير والسرف

فان تولت فأحرى أن تجود بها * فالحمد منها اذا ما أدبرت خلف

وقال آخر اذا جادت الدنيا عليك فجد بها * على الناس طرا قبل ان تتفلت

من اذا وجد جاد وان بدأ بعائدة عاد والكريم من اذا استوهب الذهب لم يهب أن يهب ثم أمسك يرقب أكل غرسه ويرصد مطيبة نفسه وأحب الوالى أن يعلم هل نطفته ثمد ام لقريحته مدد فأطرق يروى فى استيراء زنده واستشفاف فرنده والتبس على أبى زيد سر صمته وارجاء صلته فتوغر غضبا وأنشد مقتضبا

لا تحقرن أبيت اللعن ذا أدب
لأن بدا خلق السربال سبروتا
ولا تضع لاخى التأميل حرمته
أكان ذا السن أم كان سكيتا
وانفح بعرفك من وافاك مختبطا
وانعش بغوثك من ألفيت منكوتا
فخير مال الفتى مال أشاد له
ذكرا تناقله الركبان أو صيتا
وما على المشترى حمدا بموهبة
غبن ولو كان ما اعطاه ياقوتا

فلا الجود يفنيها اذا هي أقبلت * ولا الشح يبقيها اذا هي ولت

*وكان سعيد بن العاص يقول على المنبر من رزقه الله رزقا حسنا فلينفق منه سرا وجهرا حتى يكون أسعد الناس به فانما يترك ما يترك لاحد رجلين اما المصلح فلا يقل عنده شئ واما المفسد فلا يبقى له شئ أخذه الشاعر فقال

اسعد بمالك في الحياة فانما * يبقى خلافك مصلح أو مفسد

فاذا جمعت لمفسد لم تغنه * وأخو الصلاح قليله يتزيد

(قوله لولا المروأة) المروأة هي الافعال الشريفة التي يجب أن يقال للرجل بها امرء مثل الرجولة للافعال التي يستحق الرجل أن يقال له بها رجل وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا دين الا بمروأة وقال عمر رضي الله عنه المروأة مروأتان ظاهرة وباطنة فالظاهرة الرياش والباطنة العفاف *قدم وفد على معاوية رضي الله عنه فقال لهم ما تعدون المروأة قالوا العفاف واصلاح المعيشة قال اسمع يا يزيد *وقال النبي صلى الله عليه وسلم تجاوزوا لذوي المروآت عثراتهم فوالله ان أحدهم ليعثر وان يده بيد الله *عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انا معشر قريش نعد الحلم والجود سوددا ونعد العفاف واصلاح المال مروأة* أنوشروان المروأة أن لا تعمل عملا في السر تستحي منه في العلانية *غيره المروأة اسم جامع للمحاسن كلها وقالوا المروأة العفة والحرفة (قوله اشرأب) تشوق والتشوف أن تسمع بالشئ وتتطلع ان تراه وتمد أن تنظر اليه يقول لولا الافعال الجميلة كان عذر الفطن الحاذق يضيق عليه اذا سئل وقيل له قد جاوز ما لك قوتك وفضل عن مؤنتك فلم تجهد في طلب المال وترغب في الزيادة منه قال فالمروأة توسع عليه عذره فيقول ذو المروأة انما اكتسبه لأنفقه في البر وبين هذا بقوله (تثني نحو الغنى ليتا) والليت صفحة العنق فيقول انما تثني عنقه وأمالها حبا في السماح وقد سبقه الى هذا التهامي بقوله

ولولا العطايا أنها سنة له * لما قال للدنيا اذا عثرت لعا

فان باشر الدنيا فللجود نالها * وان هجر الدنيا فعنها ترفعا

فزاد بقوله وان هجر الدنيا معنى حسنا وقالوا نعم العون على المروأة المال وقال الاحنف بن قيس

فلو مد سروي بمال كثير * لجدت وكنت له باذلا

فان المروأة لا تستطاع * اذا لم يكن مالها فاضلا

وقال آخر

لولا شماتة أعداء ذوي حسد * أو أن أنال بنفع من يرجيني

لما خطبت الى الدنيا مطالبها * ولا بذلت لها عرضي ولا ديني

(قوله تنشق) أي شم (نشر) رائحة (أزرى) عاب (مفتوتا) مدقوقا يقول لشكر المعروف عند أهل الجود أعطر من ريح المسك اذا فت فانتشرت رائحته *وقال ابراهيم الشيباني كنت أرى رجلا من وجوه أهل الكوفة لا يجف لبده ولا يستريح قلبه في طلب حوائج الناس وادخال المرافق على الضعيف فقلت له أخبرني عن الحال التي هونت عليك هذا التعب في القيام بحوائج الناس ما هي قال قد والله سمعت تغريد الاطيار بالاسحار في فروع الاشجار وسمعت خفوق أوتار العيدان وترجيع أصوات القيان فما طربت من صوت قط طربي من ثناء حسن بلسان حسن على رجل قد أحسن وما سمعت أحسن من شكر حر لرجل حر ومن شفاعة محتسب لطالب شاكر فقلت له

لولا المروة ضاق العذر عن فطن
اذا اشرأب الى ما جاوز القوتا
لكنه لا تناء المجد جد ومن
حب السماح تثني نحو الغنى ليتا
وما تنشق نشر الشكر ذو كرم
الا وازرى بنشر المسك مفتوتا

لله أبوك لقد حشيت كرمافلذة السمع هنا بمنزلة الشم فى البيت (خيل) حسب والضب والحوت قد تقدّما فى الثامنة عشر (قوله الجامد الكف) هو البخيل وهو ضد السمح (ممقوتا) مبغوضا (علل) اعذار (يوسعنه ذما) أى يكثرن ذمه و (التبكيت) الهوان والتوبيخ (جد) تكرم (نشب) مال (مجتدى جدواك) طالب عطاياك (مبهوتا) متحيرا يريد أنه يعجب من كثرة ما تعطيه فيتحير وما يدرى كيف يشكرك * ومن مدح الكرم وذم البخل قالوا ولم يكن فى الكرم الا أنه من صفات الله عز وجل وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الجود ومكارم الاخلاق ويذم سفسافها وقال لقوم من العرب من سيدكم فقالوا فلان على بخل فيه فقال عليه الصلاة والسلام واى داء أدوأ من البخل وقال تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وقال المأمون لمحمد بن عباد انت متلاف فقال منع الجود سوء ظن بالمعبود يقول الله عز وجل وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين وقال كسرى عليكم بأهل السخاء والشجاعة فانهم اهل حسن الظن

(مدح الكرم وذم البخل)

بالله ولو أن اهل البخل لم يدخل عليهم من ضر بخلهم ومذمة الناس لهم واطباق القلوب على بغضهم الاسوء ظنهم بربهم فى الخلف لكان عظيما أخذه محمود الوراق فقال

من ظن بالله خيرا جاد مبتدئا * والبخل من سوء ظن المرء بالله

وخوّف بخيل سخيا الاملاق والفقر فرد عليه السخى يقول الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا وقال الحسن والحسين لعبد الله بن جعفر انك قد أسرفت فى بذل المال فقال بأبى أنتما وأمى ان الله عوّدنى أن يتفضل علىّ وعوّدته أن أتفضل على عبيده فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عنى عادته (قوله وخذ نصيبك منه قبل رائعة) الرائعة الشيبة لانها تروع الانسان أى تفزعه وتعلمه انها تأتيه بالكبر والهرم و (العود المنحوت) أراد به الجسم البالس لان الهرم يذهب نعمة الجسم وأصل المنحوت المنحور وأراد بقوله خذ نصيبك قوله عليه الصلاة والسلام يقول ابن آدم مالى مالى وماله من ماله الا ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو أعطى فأمضى * وقال الشاعر فى الرائعة

أهلا برائعة للشيب واحدة * تنهى الشباب وتنهانا عن الغزل

(وقال أبو الطيب المتنبى)

راعتك رائعة المشيب بعارضى * ولو أنها الاولى لراع الاسحم

لو كان يمكننى سفرت عن الصبا * فالشيب من قبل الاوان يكتم

وفى رواية ابن جنى رائعة البياض وقال هى أول شعرة تطلع من الشيب وأنشد ابن الاعرابى أهلا برائعة للشيب وأنشد غيره برائعة بيضاء أى بشعرة تطلع من المشيب بيضاء تروع الناظر وهذا أصوب من الوجه الآخر وقال كثير

كذب العواذل بل أردن خيانتى * وبدت روائع لمتى وقتوم

(وقال الالبيرى) بصرت بشيبة وخطت بليلى * فقلت لها تأهبى الرحيل

ولا يهن القليل عليك منها * فما الشيب ويحك من قليل

فكم قد أبصرت عيناك مزنا * أصابك طلها قبل النزول

فلا تحقر بنور الشيب واعلم * بان القطر يبعث بالسيول

والحمد والبخل لم يقض اجتماعهما
حتى لقد خيل ذا ضبا وذا حوتا
والسمح فى الناس محبوب خلائقه
والجامد الكف ما ينفك ممقوتا
وللشحيح على امواله علل
يوسعنه ابدا ذما وتبكيتا
فجد بما جمعت كفاك من نشب
حتى يرى مجتدى جدواك مبهوتا
وخذ نصيبك منه قبل رائعة
من الزمان تريك العود منحوتا

(وقال أبو بكر البلوى)

نكبت فى شعرى وشعرى وما * نفسى فى صبرى عنكو به
اذا دنت بيضاء مكروهة * منى نأت سوداء محبوبه

(وقال كشاجم فأحسن)

نظرت الى المراة فروعتنى * طلائع شيبتين لدى المتاب
فاما شيبة ففزعت منها * الى المقراض من حب التصابى
وأما شيبة فصفحت عنها * لتشهد بالبراءة من خضابى
فيا لك من مشيب قد تبدّى * أقمت به الدليل على شبابى

(وقال البحترى)

وأبت تركى الغديات والآ * صال حتى قضين بالمقراض
شعرات أقصهن ويرجعـ * ـن رجوع السهام فى الاغراض

(وقال ابن المعتز)

ألست ترى شيبا برأسى شاملا * ونت حيلتى عنه وضاق به ذرعى
كأن المقاريض التى يعتورنه * مناقير طير تنتقى سنبل الزرع

(وقال رجل من الازد)

ولقد أقول لشيبة أبصرتها * فى مفرقى فنحتها اعراضى
عنى اليك فلست منتهيا القد * عممت منك مفارقى ببياض
هل لى سوى عشرين عاما قد مضت * مع ستة فى اثرهن مواضى
* ولقلما أرتاع منك وانى * فيما هويت وان وزعت لماضى
فعليك ما اسطعت الظهور بلمتى * وعلىّ أن ألقاك بالمقراض

(وقال أبو نواس)

واذا عددت السن كم هى لم أجد * للشيب عذرا ان يلم براسى

(وقال أبو دلف)

فى كل يوم أرى بيضاء قد طلعت * كأنما نبتت فى ناظر البصر
لئن قرضتك بالمقراض عن بصرى * لما قرضتك عن همى وعن فكرى

(وقال كشاجم)

أخى قم فعاونى على شيبة بغت * فانى منها فى عذاب وفى حرب
اذا ما مضى المنقاش يأتى بها أتت * وقد أخذت من دونها اجارة الجنب
كجان على السلطان يجزى بذنبه * تعلق بالجيران من شدة الرعب

(ولابى الفضل الدارمى)

شيبة نغصت على شبابى * فتعمدت نتفها غيروانى
قلت ماذا كذا العمر التصابى * لشبابى أجل عند الحسان
فأجابت جرى من الرسم للسلـ * ـطان أخذ البراء مثل الجانى

فالدهر انكد من ان تستمر به
حال تكرهت تلك الحال ام
شيتا
فقال له الوالى تالله لقد
احسنت فأى ولد الرجل انت
فنظر اليه عن عرض وأنشد
وهو مغض
لا تسال المرء من ابوه ورز
خلاله ثم صله أو فاصرم
فما يشين السلاف حين حلا
مذاقها كونها ابنة الحصرم
قال فقربه الوالى لبيانه الفاتن

فان ازددت فى الجفاء فلا تنـ * ـكر قدومى عليك مع اخوانى

وهذا مثل قول الآخر

* وزائرة للشيب لاحت بعارضى * فبادرتها بالقطف خوفا من الحتف
فقالت على ضعفى استطلت ووحدتى * رويدك حتى يلحق الجيش من خلفى
* فلم يك الا عن قريب فأقبلت * وعمت جميع الرأس رغما على أنفى
* فوا أسفا لو كان يغنى تأسفى * على زمن ولى ونحن على حرف

(وقال الرمانى)

وثلاث شيبات طلعن بمفرقى * فظننت أن نزولهن رحيلى
طلعت ثلاث فى طلوع ثلاثة * واش ووجه مراقب وعذول
فعزلننى عن صبوتى فلئن ذللـ * ـت لقد سمعت بذلة المعزول

وفى معنى قول أبى نواس واذا عددت السن كم هى قال المعرى

عجبت هند من تسرع شيبى * قلت هذا عقبى فطام السرور
عوضتنى يد السفاسف من مسـ * ـك عذارى ريشا من الكافور
كان لى فى انتظار شيبى حساب * غالطتنى فيه صروف الدهور

وقال ابن الملح الشبلى

طلع المشيب بلتى فتعجبوا * من كنه وتعجبوا من مهلته
ماشبت من كبر ولكن من يبت * دنفا ومشتاقا يشب من ليلته

وقال أبو عثمان الخالدى

فديتك ماشبت من كبرة * وهذى سنى وهذا الحساب
ولكن هجرت حل المشيب * ولو قد وصلت لحل الشباب

وهذا القدر كاف (قوله فالدهر أنكد) البيت يقول ان كنت غنيا أو فقيرا فتلك حال لا تدوم كرهت حالك أو رضيتها وقوله (أى ولد الرجل أنت) هذا الكلام انما يقع فى باب النفى قال يعقوب تقول العرب لا أدرى أى ولد الرجل هو يعنون بالرجل آدم وولده الناس فكأنه قال ما أدرى أى الناس هو (عرض) جانب (مغض) مغمض عينيه يريد انه لم يعجبه سؤاله فلم يقبل عليه بنظره ولا بانشاده (ورز) بالراء قبل الزاى معناه اختبر واطلب قال ابن الانبارى رزت ما عنده أى طلبته وأردته قال الزبيدى الروز قريب من التحقيق والروز أن تأخذ الصنجة بيدك فترفعها لتختبر ثقلها قال الشاعر

وان الله رازحلوم قيس * فلما ذاق خفتها قلاها

وقال الاعشى فمشى ولم يخش الانيـ * ـس فرازها وخلابها

(اصرم) اقطع الصحبة (السلاف) الخمر الخالصة (الحصرم) الحامض لان عود العنب حامض ويتولد عنه شئ لذيذ وتقدم معنى البيتين وأما وجود الاشياء مع اضدادها مثل الحلاوة مع ما أصله مر فله نظائر قال حبيب * والنار قد تنتضى من ناضر السلم *

وقال المتنبى فان الماء يخرج من جماد * وان النار تخرج من زناد

وقد يجرى أيضا خلاف العادة فى الاشياء فقد يتشابه الشيآن من جهة ويتباعدان من أخرى

(قال المعرى)

قد يبعد الشئ من شئ يشابهه * ان السماء نظير الماء فى الزرق

قال المتنبى وقد سبقه اليه

وقد يتقارب الوصفان جدا * وموصوفاهما متباعدان

وما أحسن قول ابن صادرة

* يامن يعذبنى لما تملكنى * ماذا تريد بتعذيبى واضرارى *

تروق حسنا وفيك الموت أجمعه * كالصقل فى السيف أو كالنور فى النار

وقال ابن عبدون استاذ بلنسية

* يامن محياه جنات مفتحة * وهجره لى ذنب غير مغفور *

لقد تناقضت فى خلق وفى خلق * تناقض النار بالتدخين والنور

حتى احله مقعد الخاتن ثم
فرض له من سيوب نيله
ما ادنى بطول ذيله وقصر ليله

(قوله مقعد الخاتن) كناية عن القرب كما أن منجر الكلاب كناية عن البعد (سيوب) عطايا وأصلها الكنوز والمعادن (نيله) ماله الموهوب وفى العين أنلت المعروف ونلته ونولته واسم ماتهب النوال والنيل (آذن) أعلم (طول ذيله) كثرة ماله (قصر ليله) يريد قلة همه لان المهموم لاينام فيطول ليله ووصف الليل بالطول والقصر وله باب مشهور فى كتب الادب تركنا ذكره لشهرته وكثرته وعلته راجعة لما ذكر من أن ليل السرور قصير وليل الهم طويل *وحدث اسحق الموصلى قال دخلت على الرشيد وهو مستلق على قفاه وهو يقول أحسن والله فتى قريش وظريفها وشاعرها قلت فيم ذلك يا أمير المؤمنين قال فى قوله

لا أسأل الله تغيير المافعلت * نامت وقد أسهرت عينى عيناها

فالليل أطول شئ حين أفقدها * والليل أقصر شئ حين ألقاها

ثم قال أفتعرفه قلت بصوت ضعيف لا قال بحقى عليك قلت نعم هو الوليد بن يزيد فقال استر ما سمعته منى وانه ليستحق أكثر مما وصفته به ولبعضهم وأجاد

* ان الليالى للانام مطية * تطوى وتنشر بينها الاعمار

فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

وأنشد الفنجديهى للمطرانى

أخو الهوى يستطيل الليل من سهر * والليل فى طوله جار على قدر

ليل الهوى سنة فى الهجر مدته * لكنه سنة فى الوصل من قصر

وأنشد السلامى رحمه الله

ليلى وليلى سواء فى اختلافهما * قد صيرانى جميعا فى الهوى مثلا

يجود بالطول ليلى كلما بخلت * بالطول ليلى وان جادت به بخلا

وقال ابن أبى دياكل

يطول اليوم لا ألقاك فيه * وحول نلتقى فيه قصير

وتبعه بشار فقال وأحسن

لا أظلم الليل ولا أدّعى * أن نجوم الليل ليست تغور

ليلى كما شاءت فان لم تزر * طال وان زارت فليلى قصير

تصرف الليل على حكمها * فهو على ما صرفته يدور

وزاد ابن العريف الزاهد على هذا المعنى فقال وأحسن

لست أدرى أطال ليلى أم لا * كيف يدرى بذاك من يتقلى

لو تفرغت لاستطالة ليلى * ولرعى النجوم كنت مخلا

ان للعاشقين عن قصر الليل وعن طوله من الهم شغلا

(قوله ردن) أى كم (جذلان) مسرور (حاذيا حذوه) أى متبعا له جاعلا قدمى موضع قدمه فيتسع فيه فيقال حذوت حذوه أى فعلت مثل فعله وأصله فى حذو النعل بالنعل وقد تقدم (قافيا) متبعا (فصل) زال وخرج (غابه) موضعه والغاب الشجر الملتف يتخذ الاسد فيه بيتا (مليت) أطيل لك ومتعت به من الملاوة وهو الحين (أوليت) أعطيت (أسفر) أضاء ومثله (تلالا) الا أن معناه أبلغ وأصل تلالا ابيض فأشبه بياض اللؤلؤ وصفاءه يريد أنه انبسط وجهه وحسنت خلقته لما دعاله (والى) كرر (خطر اختيالا) جر أثوابه اعجابا بنفسه (سما قدره) ارتفعت منزلته (طيب الاصول) شرف الجدود (الفضول) الحمق والدخول فيما لا يعنى (والقيول) من دون الملك واحدهم قيل وأراد بهم الاجداد الاشراف وطابق بين الحماقة والفضول وبين طيب الاصول والقيول وسلخه من قول المتنبى

ما بقومى شرفت بل شرفوا بى * وبنفسى ارتفعت لا بجدودى

أشار الى نسبه من ملوك كندة وقال آخر

أيها الفاخر جهلا بالحسب * انما الناس لام ولاب

انما الفخر بعقل راجح * وبأخلاق حسان وأدب

ذاك من قد فاخر الناس به * فاق من فاخر منهم وغلب

وقال الحكيم بن قنبر

لا خير فيمن له أصل بلا أدب * حتى يكون على ما بابه حدبا *

كم من حسيب أخى عىّ وطمطمة * فدم لدى القوم معروف اذا انتسبا

فى بيت مكرمة آباؤه نجب * كانوا الرؤس فأضحى بعدهم ذنبا

وقد تقدمت نظائره (قوله تعسا) أى هلاكا (جدب) عاب وفى الحديث جدب عمر السمر أى عابه

وقال ذو الرمة

اذا نازعتك القول مية أو بدا * لك الوجه منها أو نضا الدرع سالبه

فيا لك من خد أسيل ومنطق * رخيم ومن خلق تعلل جادبه *

(قوله دأب) أى دام عليه (أودعنى) ضمنى وجعله فى قلبى (اللهب) جمر النار ومما يتعلق بما قدمناه من الشعر قول حنظلة

أرى الاعياد تتركنى وتمضى * وأوشك انها تبقى وأمضى

علامة ذاك شيب قد علانى * وضعفى عند ابرامى ونقضى

فنهض عنه بردن ملآن
وقلب جذلان وتبعته حاذيا
حذوه وقافيا خطوه حتى
اذا خرج من بابه وفصل عن
غابه قلت له هنئت بما أوتيت
ومليت بما أوليت فاسفر
وجهه وتلالا ووالى شكرا
لله تعالى ثم خطر اختيالا
وانشد ارتجالا
من يكن نال بالحماقة حظا
أو سما قدره لطيب الاصول
فبفضلى انتفعت لا بفضولى
وبقولى ارتفعت لا بقيولى
ثم قال تعسا لمن جدب
الادب وطوبى لمن جد فيه
ودأب ثم ودعنى وذهب
وأودعنى اللهب

وما

وما كذب الذى قد قال قبلى * اذا ما مرّ يوم مرّ بعضى
أرى الايام قد ختمت كتابى * وأحسبها ستتبعه بنقض

وعلى قوله * اذا ما مر يوم مر بعضى * قال بعض بنى حمدان

المرء رقت له تناه * مقدر طوله وعرضه
فكلما مرّ منه يوم * فانما مر منه بعضه

وحظة مطبوع الشعر وهو القائل فى أبى بكر بن دريد

فقدت بابن دريد كل فائدة * لما غدا ثالث الاحجار والترب
وكنت أبكى لفقد الجود مجتهدا * فصرت أبكى لفقد الجود والادب

أين هذا من قول الفرزدق يرثى سائسا أنشده أبو محمد فى الدرة

ليبك أبا الحلساء بغل وبغلة * ومخلاة سوء قد أضيع شعيرها
ومجرفة مطروحة ومحسة * ومقرعة صفراء بال سيورها

أخذه من قول زيد الخيل يرثى عبد اله

امّا تعاورتك الرماح فلا * أبكيك الا للدلو والمرس

(فصل فى مدح الادب)

وقد قدّمنا فصلا فى التشاؤم بالادب فى قوله فقد دعا الى شؤمه وأثنى عليه هنا بقوله تعسا لمن جدب الادب وطوبى لمن جدّ فيه ودأب ونذكر هنا فصلا مقنعا فى مدحه حسبما شرطنا من الجرى معه على اغراضه قال العلاء بن أيوب كان يقال مثل الاديب ذى القريحة مثل دائرة تدار من خارجها فهى فى كل دارة تدار تتسع وتزداد عظما ومثل الاديب غير ذى القريحة مثل دائرة تدار من داخلها فهى عن قليل تبلغ الى باطنها * أوصى بعض الحكماء بنيه فقال لهم الادب أكرم الجواهر طبيعة وأنفسها قيمة يرفع الاحساب الوضيعة ويفيد الرغائب الجليلة ويغنى من غير عشيرة ويكثر الانصار من غير رزية فالبسوه حلة وتزينوا به حلية يؤنسكم فى الوحشة ويجمع القلوب المختلفة وقال شبيب بن شبة اطلبوا الادب فانه مادّة للعقل * دليل على المروأة صاحب فى الغربة مؤنس فى الوحشة حلية فى المجلس وقال الخليل من لم يكتسب بالادب مالا اكتسب به جمالا وأنشد الاصمعى رحمه الله

ان يك للعقل مولود فلست أرى * ذا العقل مستوحشا من حادث الادب
انى رأيتهما كالماء مختلطا * بالترب تظهر عنه زهرة العشب

وقال عبد الملك لبنيه عليكم بالادب فانكم اذا احتجتم اليه كان لكم مالا وان استغنيتم عنه كان لكم جمالا * ابن المقنع اذا أكرمك الناس لمال أو لدنيا فلا يعجبنك فان تلك كرامة تزول بزوالهما ولكن ليعجبنك اذا أكرموك لدين أو أدب وقال ابن عباس رضى الله عنهما كفاك من علم الدين أن تعرف ما لا يسع جهله ومن علم الادب ان تروى الشاهد والمثل وقال بزرجمهر ما ورّثت الآباء الابناء خيرا من الادب لان به يكسبون المال وبالجهل يتلفونه وقال حسن الخلق خير قرين والادب خير ميراث والتقوى خير زاد وقالوا ثلاث لا غربة معهن مجانبة الريب وحسن الادب وكف الاذى وقال بزرجمهر من كثر أدبه كثر شرفه وان كان قبل وضيعا وبعد صيته وان كان خاملا وساد وان كان غريبا وكثرت الحاجة اليه وان كان فقيرا وقال عمر رضى الله

عنه من أفضل ما أعطيته العرب الابيات يقدمها الرجل بين يدى حاجته فيستعطف بها الكريم ويستنزل بها اللئيم وقالوا الادب أدبان أدب الغريزة وهو الاصل وأدب الرواية وهو الفرع ولا يتفرع الشئ الاعن أصله ولا ينمو الاصل الا باتصال المادة وقال حبيب فأحسن

ومنا السيف الازبرة ان تركته * على الخلقة الاولى لما كان يقطع

وقال آخر ماوهب الله لامرئ هبة * أفضل من عقله ومن أدبه

هما كمال الفتى فان فقدا * ففقده للحياة أحسن به

وقالوا اذا كان الرجل ظاهر الادب طاهر المنبت تأدب بأدبه وصلح بصلاحه أهله وولده وقال الشاعر رأيت صلاح المرء يصلح أهله * ويعديهم عند الفساد اذا افسد

يعظم فى الدنيا لاجل صلاحه * ويحفظ بعد الموت فى الاهل والولد

(شرح المقامة التاسعة والثلاثين وهى العمانية)

(المقامة التاسعة والثلاثون العمانية)

(حدث الحرث بن همام) قال لهجت مذ اخضر ازارى وبقل عذارى

(لهجت) أى اشتد حبى وأصله فى الفصيل اذا رضع أمه يقال لهج بضرع أمه اذا لزمه ليرضعه (اخضر ازارى) كنى به عن الشباب وكانت العرب اذا بلغ منها الغلام الحلم وأشعر لبس الازار ليستر عورته (بقل عذارى) اخضر شاربى وبدا الشعر فى وجهى أخضر مثل البقل ونذكر هنا شيأ مما قيل فى العذار قال أبو نواس

من أين للرشا الاغن الاحور * فى الخد مثل عذاره المتحير

قمر كان بعارضيه كليهما * مسكا تساقط فوق ورد أحمر

وقال أيضا قد كان بدر السماء حسنا * فالناس فى حبه سواء

فزاده ربه عذارا * تم به الحسن والبهاء

لا تعجبوا ربنا قدير * يزيد فى الخلق ما يشاء

(وقال ابن رشيق)

همت عذاره بتقبيله * فاستل من عينيه سيفين

فذلك المحمر من خده * دم جرى بين الفريقين

وقال غيره قمر كان قوامه * من قد غصن مسترق

وكانما قلم الزمرذ فى عوارضه مشق

(ولابى الفضل الدارمى)

ياذا الذى خط الجمال بوجهه * خطين هاجا لوعة وبلابلا

ماصح عندى أن لحظك صارم * حتى رأيت بعارضيك حمائلا

وقال أيضا قلت للمليق على الخدين من ورد خمارا

أسبل الصدغ على خديك من مسك عذارا

ام أعان الليل حتى * غلب الليل النهارا

قال ميدان جرى الحسن علبه فاستدارا

ركضت فيه عيون * فأثارته غبارا

(قوله اجوب) أى أقطع (البرارى) الصحارى (المهارى) ابل كرام (أنجد) اطلع والنجد المرتفع (والغور) ضده وقد أنجد وغار (أسلك) أدخل وامشى (فليت) قطعت (المعالم) المواضع المعلودة (والمجاهل) ضدها (بلوت) جربت (المناهل) مواضع المياه (السنابك) اطراف الحوافر (المناسم) جمع منسم وهو مقدم خف البعير (أنضيت) أهزلت (السوابق) الخيل (الرواسم) الابل السريعة ورسمت الناقة فهى راسمة اذا أثرت فى الارض من شدة وطئها قال أبو عبيد رحمه الله اذا ارتفع السير عن العنق قليلا فهو التزيد فاذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل ثم الرسيم (الاصحار) الدخول للصحراء يريد مللت من سفر البر (سنح) ظهر وعرض (أرب) حاجة (صحار) سوق عمان وهى مدينة كبيرة على ساحل البحر مساحتها فرسخ فى فرسخ وبلاد عمان ثلاثون فرسخا ماولى البحر سهول ورمال وما تباعد عنه حزون وجبال وهى مدن منها مدينة عمان وهى حصينة على الساحل ومن الجانب الآخر مياه تجرى الى المدينة وفيها دكاكين التجار مفروشة بالنحاس مكان الآجر وهى كثيرة النخل والبساتين وضروب الفواكه والحنطة والشعير والارز وقصب السكر وفى الامثال من تعذر عليه الرزق فعليه بعمان وفى أحوازها مغاص اللؤلؤ وعمان من أحواز اليمن سميت بعمان بن سبا * الفنجديهى صحار اسم بلدة بكورة عمان وهى قصبتها مما يلى الجبل (التيار) البحر (الفلك) السفينة (السيار) الكثير المشى والفلك يكون واحدا وجمعا ويذكر ويؤنث (أساودى) أمتاعى لانها تسود الارض بظلها وهى جمع أسودة واسودة جمع سواد وسواد الامير ثقله * أبو عبيد كل شخص سواد من متاع أو انسان أو غيره و (الخاذر) الخائف (ناذر) حالف وأراد به الذى ينذر بخيران سلمه الله تعالى من هول البحر (عاذل وعاذر) يريد أنه يعذل نفسه عن التغرير بدخول البحر ومقاساة أهواله ويعذرها لكثرة المتاجر (شرعنا فى القلعة) أخذنا فى قلع المراسى ورفع القلع وهى الشرع (قوله أغسى) أى أظلم (هاتفا) أى صائحا (القويم) المستقيم (المزجى) المسوق المسير قال الله تعالى ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر أى يسيرها وأزجاه اذا ساقه (أقبسنا) أعطنا (أرشدنا) دلنا قال الازهرى رحمه الله (ابن سبيل) هو المسافر الذى انقطع به وهو يريد الرجوع الى بلده ولا يجد ما يتبلغ به فله سهم فى الصدقات (زبيل) قفة من جلود وألغز به بعضهم فقال

وذى أذنين لا يقتات قوتا * وجوف للحوائج واحتمال
يكلف شغل أهل البيت طرا * وتحمل فيه أقوات العيال
تسر اليه فى الاسواق سرا * فلا يفشيه الا فى الرحال

(ظله غير ثقيل) أى هو خفيف الروح وقد تقدم معنى استثقال ظله فى الثانية والعشرين ويريد بظله شخصه كما يسمى الشخص سوادا لانه يسود الارض بظله قال زياد بن عبد الله قيل للشافعى رضى الله عنه هل تمرض الروح قال نعم من ظل الثقلاء قال فمررت به يوما وهو بين ثقيلين فقلت كيف الروح قال فى النزع وقال الهيثم بن عدى النظر الى الثقيل حمى الروح (مقيل) موضع جلوس فى القائلة (الجنوح) الميل (الماعون) المعروف والماعون اسم للمطر وأنشد أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه

يمج صبيره الماعون مجا * اذا نسم من الهيف اعتراه

بان أجوب البرارى على ظهور المهارى انجد طورا وأسلك تارة غورا حتى فليت المعالم والمجاهل وبلوت المنازل والمناهل وأدميت السنابك والمناسم وأنضيت السوابق والرواسم فلما مللت الاصحار وقد سنح لى أرب بصحار ملت الى اجتياز التيار واختيار الفلك السيار فنقلت اليه أساودى واستصحبت زادى ومزاودى ثم ركبت فيه ركوب خاذر ناذر عاذل لنفسه عاذر. فلما شرعنا فى القلعة ورفعنا الشرع للسرعة سمعنا من شاطئ المرسى حين دجا الليل وأغسى هاتفا يقول يا أهل ذا الفلك القويم المزجى فى البحر العظيم بتقدير العزيز العليم هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم فقلنا له أقبسنا نارك أيها الدليل وأرشدنا كما يرشد الخليل الخليل. فقال أتستصحبون ابن سبيل زاده فى زبيل وظله غير ثقيل وما يبغى سوى مقيل * فأجمعنا على الجنوح اليه وأن لا نبخل بالماعون عليه فلما استوى على الفلك قال أعوذ بمالك الملك

(ذكر مدينة عمان)

من مسالك الهلك ثم قال
انا روينا فى الاخبار المنقولة
عن الاحبار أنّ الله تعالى
ما اخذ على الجهال أن يتعلموا
حتى أخذ على العلماء أن
يعلموا وان معى لعوذة عن
الانبياء ماخوذة وعندى
لكم نصيحة براهينها صحيحة
وما وسعنى الكتمان ولا من
خيمى الحرمان فتدبروا
القول وتفهموا واعملوا بما
تعلمون وعلموا ثم صاح صيحة
المباهى وقال أتدرون ماهى
هى والله حرز السفر عند
مسيرهم فى البحر والجنة
من الغم اذا جاش موج اليم
وبها استعصم نوح من
الطوفان ونجا ومن معه
من الحيوان على ماصدعت
به آى القرآن ثم قرأ بعد
أساطير تلاها وزخارف
جلاها وقال اركبوا فيها
بسم الله مجراها ومرساها
ثم تنفس تنفس المغرمين
أو عباد الله المكرمين وقال
أما أنا فقد قمت فيكم مقام
المبلغين ونصحت لكم نصح
المبالغين وسلكت بكم
محجة الراشدين فاشهد
اللهمّ وأنت خير الشاهدين
(قال الحرث بن همام)
فأعجبنا بيانه البادى الطلاوة
وعجت له أصواتنا بالتلاوة
وآنس قلبى من جرسه
بمعرفة عين شمسه فقلت له بالذى سخر البحر اللجى الست السير وجى فقال لى بلى وهل يخفى ابن جلا

والماعون الزكاة قال الراعى

قوم على الاسلام لما يمنعوا * ماعونهم ويضيعوا التهليلا

(مسالك) طرق * ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمان لامتى من الغرق اذا ركبوا فى السفن أن يقولوا بسم الله الملك وماقدروا الله حق قدره الآية بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم (وقوله ان الله تعالى ما أخذ على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا) قيل معنى أخذ أوجب وأراد قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا يكتمونه * أبو هريرة رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ما آتى الله تعالى عالما علما الا أخذ عليه الميثاق أن لا يكتمه قال الحسن بن عمر رأيت الزهرى بعد أن ترك الحديث فألفيته على بابه فقلت اما أن تحدثنى واما أن أحدثك قال حدثنى فقلت حدثنى الحكم بن عيينة عن يحيى بن الجزار قال سمعت على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول ما أخذ الله على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء ان يعلموا قال فحدثنى بأربعين حديثا (قوله عوذة) أى ما يتعوذ به الانسان من الحرز وشبهه (براهينها) حججها (خيمى) طبعى (الحرمان) منع الفوائد (المباهى) المفاخر الكثير الاعجاب (السفر) المسافرون (الجنة) الستر (جاش) تحرك وهاج (اليمّ) البحر (استعصم) امتنع (الطوفان) الماء العامّ (صدعت) نطقت (آى) جمع آية وتقدمت (الاساطير) هى الاباطيل (زخارف) أشياء مزينة (المغرمين) المعذبين والمغرم المولع بالحب وغيره (الراشدين) الهادين للطريق (الطلاوة) الحسن والقبول (عجت) ارتفعت (آنس) أحس وأدرك (جرسه) صوته الخفى (عين شمسه) حقيقة نفسه ومعرفته (اللجى) العظيم اللجة وهى معظم الماء * ونذكر هنا بعض ماحدث من طوفان نوح عليه السلام ذكر أهل الاخبار ان نوحا عليه السلام أوّل نبى بعث وأن قومه كانوا أهل أوثان يعبدونها من دون الله فبعث لهم نوح فدعاهم الى الله فكانوا يبطشون به ويستخفون به وهو يقول اللهمّ اغفر لقومى فانهم لا يعلمون فلما كثر استخفافهم به قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فأوحى الله اليه أن اصنع الفلك فانهم مغرقون فأقبل على قطع الخشب وضرب الحديد وتهيئة العود بالقار وغيره فصنعه من خشب الساج وجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله فى السماء ثلاثين ذراعا وكان قومه فى خلال صنعة السفينة يأتونه أفواجا يستخفون عقله ويعدون فعله من جنونه ويقولون له عملت سفينة فى البر فيقول لهم سوف تعلمون فلما اطمأنوا فى الفلك فار التنور من الهند وقال الشعبى رحمه الله من الكوفة وفتحت أبواب السماء بماء منهمر وتفجرت الارض عيونا فكان بين ارسال الماء وارتفاعه أربعون يوما فلما بلغ الماء اليهم أووا الى الجبال فكانت الجبال تستقبلهم بالحجارة وتغرقهم فى الماء فماتوا غرقى وارتفع الفلك وجعل يجرى فى موج كالجبال ودار الارض كلها فى ستة أشهر وعشر ليال ويقال انهم ركبوها العشر ليال مضين من رجب ونزلوا يوم عاشوراء من المحرّم فلذلك صام الناس يوم عاشوراء وأتت السفينة الحرم فدارت به أسبوعا ولم يبق شئ من الخلائق ولا من الشجر الا هلك الا نوح ومن معه والاعوج ابن عنق فيما يزعم أهل الكتاب وانتهت آخرا الى الجودى وهو جبل بالحصنين من أرض الموصل فنزلت عليه (قوله ابن جلا) أى المشهور المعروف يقال للرجل اذا كان عالى الشرف واضح

الامر لا يخفى مكانه هو ابن جلا أى هو الذى جلا الامور بنفسه وأوضحها قال سحيم بن وائل

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفونى

وكان صاحب غارات يطلع فيها من ثنية الجبل على قومه قال ثعلب العمامة تلبس فى الحرب وتوضع فى السلم قال ابن الاعرابى يقال للسيد ابن جلا قال سيبويه رحمه الله جلا فعل ماض كانه يعنى الذى جلا أى أوضح وكشف (قوله أحمدت) أى وجدته محمودا (سفرت) كشفت وأزلت الهم (سفر) عرفنا بنفسه ويقال سفرت عن نفسى كما سفر أى عرفته شخصى كما عرفنى هو شخصه ونفسه (رهو) ساكن ويقال فعل ذلك رهوا أى ساكنا من غير تشدد قال تعالى واترك البحر رهوا والرهو عند العرب الساكن يقال جاءت الريح رهوا أى ساكنة ويجوز أن يكون رهوا من نعت موسى عليه السلام أى اتركه على هينتك أو يكون من نعت البحر أى دعه يا موسى ساكنا واقفا ماؤه واعبره (الجو) ناحية السماء (صحو) نقى من السحاب (المثرى) الغنى و(العقيان) الذهب ينبت نباتا (عصفت) الريح اشتدت (الجنوب) الريح القبلية (عسفت) جاءت من كل جانب والعسف ركوب الامر على جهالة و(الخبوب) بخاء معجمة جمع خب وهى الرواية الصحيحة عن ابن جهور وغيره وهو هيج البحر واضطراب الماء وهو الذى صححه الفنجديهى كان أبا عمرو القسطلى شاهد هذه الحالة من هول البحر فوصفه بقوله

اليك شحنا الفلك تهوى كانها * وقد ذعرت من مغرب الشمس غربان

على لجج خضر اذا هبت الصبا * ترامى بنا فيها ثبير وثهلان

مواثل يرعى فى ذراها مواثل * كما عبدت فى الجاهلية أوثان

تقاتل موج البحر واليم والدجى * تموج بنا فيها عيون وآذان

الا هل الى الدنيا معاد وهل لنا * سوى البحر قبر أو سوى الماء أكفان

وقال آخر

وسماء فى الثرى مخضلة * لا ذو ردية ما فيها صفا

غصت الارض فلم تترك لنا * من فضاء الارض الا طرفا

فكان الارض فيها عائم * غاب الا هامة أو كتفا

وكأن الموج فيها عسكر * لبسوا الأما وغالوا جحفا

خافق راجفة أحشاؤه * كحشا المهجور يهفو أسفا

(قوله نسى السفر ما كان) أى نسوا ما كان من طيب العيش بصفو الصحو (قوله الحدث الثائر) أى الامر الطارئ (لنريح) أى لنريح أنفسنا من تعب الهول والخوف وأراح الرجل استراح وأراح غيره وأراح الريح وأروحها واستروحها وجدها (ريث) قدر والريث اللبث والبطء (توانى) توافق (اعتياص) التواء وتصعب (نفد) فنى (استثارة) استخراج يقول هل لك فى ادراك الحظ بالخروج من السفينة الى البرية (نهدنا) تقدمنا (المريرة) قوة النفس (نركض) بفتح أولها وأصل الركض تحريك القوائم ومنه اركض برجلك ولهذا قيل للجنين اذا اضطرب فى بطن أمه قد ارتكض ومن مشكل أبيات المعانى

قد سبق الحلبة وهو راكض * فكيف لا يسبق وهو رابض

فأحمدت حينئذ السفر وسفرت عن نفسى اذ سفر ولم نزل نسير والبحر رهو والجو صحو والعيش صفو والزمان لهو وأنا أجد للقيانه وجد المثرى بعقيانه وأفرح بمناجاته فرح الغريق بنجاته الى أن عصفت الجنوب وعسفت الخبوب ونسى السفر ما كان وجاءهم الموت من كل مكان فلجأنا لهذا الحدث الثائر الى احدى الجزائر لنريح ونستريح ريثما توانى الريح فتمادى اعتياص المسير حتى نفد الزاد غير اليسير فقال لى أبو زيد انه لن يحرز جنى العود بالقعود فهل لك فى استثارة السعود بالصعود فقلت له انى لاتبع لك من ظلك وأطوع من نعلك فنهدنا الى الجزيرة على ضعف من المريرة لنركض

المرادأن أمه سبقت الجيادوهى حامل به فأضاف السبق اليه لاتصاله بها وأراد بالركض تحريكه قوائمه فى مقره والركض يستعمل فى الخيل وغـيرها فيقال ركض البعير برجله والطائر بجناحه (قوله امتراء) أى استخراج (الميرة) جلب الرزق ومار الرجل على أهله ميرا جلب لهـم القوت (نجوس خلالها) نطوف فى طرقها قال الليث وابن سـيده الجوس والجوسان التردّد فى خلال الدور والبيوت وقال الاصمعى والازهرى وأبو عبيدة جاسوا الموضع وطوؤه وفلان يجوس بنى فلان أى يطؤهم يطلب فيهم وقال الطبرى والنقاش والزجاج والثعالبى فجاسوا خلال الديار أى طافوا بين بيوتهم يقتلونهم ويطلبونهم ذاهبين وجائين والخلل الفرجة بين الشيئين والجمع خلال (نتفيأ) نستظل وتفيأ به استظل به وتفيأ تقلب (أفضينا) وصلنا (مشـيد) مرتفع البناء والشيد الجص (زمرة) جماعة (ناسمناهم) قربنا منهم وناسمه سارّه وشامه وناسمت الرجل قربت نسمتك من نسمته وتحدثت معه سرا (أرشـية) حبالا (الارتقاء) الصعود (المسك) الجلد يريد أنه شديد التوجع وهذا كما تقول لقيت فلانا فى ثوب نمر أو فى جلد أسد أى لقيته بأذى الشر قال الشاعر

فطورا ترانا فى مسوك جيادنا * وطورا ترانا فى مسوك الثعالب

قال البكرى الخيل توصف بالاقدام والثعالب بالروغان فيريد أنهم مقـدمون على أعدائهم يوما ورائغون عنهم يوما وقال الاسـتاذ أى أسروا فكتفوا بجلود خيلهم المعقورة وفى جلود الثعالب كناية عن خبث الاسير (فاهوا) نطقوا (سوداء) كلمة رديئة (نار الحباحب) ما تطاير من الشرر فى الهواء بتصادم حجرين أو بضرب حافر فى حجر وتلك نار لا منفعة فيها وقيـل الحباحب رجل بخيل كان يوقد نارا ضعيفة لئلا يقصد فان أحس بانسان أطفأها لئلا يقتبس أحد من ناره وقيـل نار الحباحب نار سراجه والبخله كان اذا جاء أحد يوقد منه أطفأها وقال عبـد الصمد بن المعدل فى أخيه

ليت لى منك يا أخى * جارة من محارب
نارها كل شتوة * مثل نار الحباحب

يريد جارة القطامى التى يقول فيها

الى حيزبون توقد النار بعدما * تلفعت الظلماء من كل جانب
فلما تنازعنا الحـديث سألتها * عن الحى قالت معشر من محارب
ألا انما نيران قومى اذا شتوا * لطارق ليل مثـل نار الحباحب

وقيل الحباحب ذباب يطير بالليل له شعاع كالسراج (قوله خبرهم) الخبر بضم الخاء مصدر خبرت أخبر اذا امتحنت و(السـباسب) والبسابس الارض المسـتوية واحدها سبسب وبسبس (شاهت الوجوه) قبحت الوجوه وفى الحديث أخذ عليه الصلاة والسلام قبضة من تراب يوم بدر فحثاها فى وجوه المشركين وقال شاهت الوجوه ويقال شاه وجه الرجل يشوه شوها وشوهة قبح ووجه مشوّه أى مقبح ورجـل أشوه وامرأة شوهاء و(اللكع) اللئيم وقد لكع لكعا فهو ألكع ولكع ولكيـع اذا لؤم وحمق وامرأة لكاع ولكيعة (قوله علته كبرة) أى أسن وكبر (وعرته عبرة) أى غشيته دمعة و(الخادم) الخصى موصوف بطول العمر وسرعة العـبرة قال الهيثم بن عدى وفى الخصى عشر خصال لا تجتمع فى غـيره التهمة والنميمة والشره وسرعة الدمعة وطول العمر وكبر القدم والتبرى من الصلع والاجارة فى الصغر والقيادة فى الكبر والاسترخاء فى المقعدة

فى امتراء الميرة وكلأنا الاعملال
قتيلا ولا يهتدى فيها سبيلا
فاقبلنا نجوس خـلالها
ونتفيأ ظـلالها حـتى
أفضينا الى قصر مشيد له
باب من حـديد ودونه زمرة
من عبـيد فناسمناهـم
لنتخذهم سلما الى الارتقاء
وأرشية للاستقاء فألفينا
كلا منهم فى مسـك كسير
وكرب أسـير فقلنا أيتهـا
الغلمة ماهذى الغمة فلم
يجيبوا النداء ولا فاهوا
ببيضاء ولا سوداء فلما رأينا
نارهـم نار الحباحب
وخبرهم كسراب السباسب
قلنا شاهت الوجوه وقبح
اللكع ومن يرجوه فابتدر
خادم قد علته كبرة وعرته عبرة

وسعة الجر (لاتوسعون سبا) أى لاتكثروا شتمنا (عتبا) لوما وموجدة وعتبت عليه أعتب عتبا وعتابا وأعتبه أرضاه والعتبى الرضا واستعتبته طلبت اليه أن يعتب وقال النابغة

* وان تك ذا عتبى فمثلك يعتب * وقال حبيب

سرت تحمل العتبى الى العتب والرضا * الى السخط والعذر الجميل الى الحقد

(الخناق) الحبل يخنق به كالعقال للجمل يعقل به (نفس) روّح وحل عن المخنوق و (البث) الحزن (انفث) تكلم وأصله ابصق (عرافا) كثير المعرفة والعراف العالم بالشئ وأصله الكاهن (قطب هذه البقعة) أى رئيس هذه الارض وقطب القوم سيدهم الذى يلجؤن اليه (وشاه هذه الرقعة) ملك هذه الجزيرة وأراد بالرقعة سفرة الشطرنج وشاهها ملك جيشها الذى يتصرف فى بيوتها كيف شاء وقد أحسن من قال فيها

أرض مربعة حمراء من أدم * ما بين خلين موصوفين بالكرم
تذاكرا الحرب فاحتالا لها شبها * من غير أن يسعيا فيها لسفك دم
هذا يغير على هذا وذاك على * هذا يغير وعين الحرب لم تنم
فانظر الى فطن جاشت بمعرفة * فى عسكرين بلا طبل ولا علم

(قوله كمد) أى حزن (المغارس والمفارش) النساء كأن النطف تغرس فيهن فيكثر الولد منها (النفائس) الكرائم (عقيلة) خيرة والعقيلة درّة البحر وبه سميت المرأة لكرمها وشرفها وكل كريمة من النساء والابل والخيل فهى عقيلة (الرقلة) النخلة الطويلة (الفسيلة) نخيلة تكبر فى أصل النخل أراد أن المرأة حملت بولد (نذرت النذور) أى وعدت بفعل خير ان سلم الحمل (أحصيت) عددت وعلم ما بقى منها (حان النتاج) قرب وقت الولادة (صيغ) صنع (الطوق) الثوب يلبسه المولود بغير جيب ولما سبق الى جذيمة ابن أخته عمرو كان له طوق يلبسه فى الصغر فقال له البسه فلم يسعه فقال شب عمرو عن الطوق فذهبت مثلا قال ابن القبطرية فى الحكم بن حزم وكافه ذلك ابن سراج

رأى صاحبى عمرا فكاف وصفه * وحملنى من ذاك ما ليس فى الطوق
فقلت له عمرو كعمرو فقال لى * صدقت ولكن شب هذا عن الطوق

(عسر) صعب (مخاض) تحرك الولد عند الولادة وقيل وجع الولادة (القرار) السكون (الغرار) النوم القليل وهو من غر الطائر فرخه يغره اذا أطعمه شيأ بعد شئ وأخذه من قول الشاعر

لا أذوق النوم الا غرارا * مثل حسو الطير ماء الثماد

(ولا يطعم النوم) أى لا يذوقه ويقال طعمه وتطعمه ذاقه وفى المثل تطعم تطعم أى ذق تشته (أجهش) أى تهيأ للبكاء والاجهاش تغير الوجه عند ارادة البكاء (أعول) رفع صوته بالبكاء (الاسترجاع) قد تقدم (الطلق) وجع الولادة سمى طلقا على التفاؤل للمرأة بالانطلاق بالولد (سمعها) ذكرها الجميل (تبادرت) تسابقت * وجمع غلام غلمة وغلمان (البلوى) البلاء (كلا ولا) اى كاللفظ بها وهى كناية عن قلة اللبث وسرعة الامر ويضرب بلا المثل فيقال أخف من لا على اللسان وأقل من لا فى اللفظ وقال جرير

يكون نزول القوم فيها كلا ولا * عشاشا ولا يدنون رجلا الى رجل

عشاشا اى قليلا ويقال لقيه على عشاش اى على عجلة وقال الكميت

وقال ياقوم لا توسعونا سبا ولا توجعونا عتبا فانا لفى حزن شامل وشغل عن الحديث شاغل فقال له أبو زيد نفس خناق البث وانفث ان قدرت على النفث فانك ستجد منى عرافا كافيا ووصافا شافيا فقال له اعلم أن رب هذا القصر هو قطب هذه البقعة وشاه هذه الرقعة الا أنه لم يخل من كمد لخلوه من ولد ولم يزل يستكرم المغارس ويتخير المفارش النفائس الى أن بشر بحمل عقيلة وآذنت رقلته بفسيلة فنذرت له النذور وأحصيت الايام والشهور ولما حان النتاج وصيغ الطوق والتاج عسر مخاض الوضع حتى خيف على الاصل والفرع فما فينا من يعرف قرارا ولا يطعم النوم الا غرارا ثم أجهش بالبكاء وأعول وردد الاسترجاع وطول فقال له أبو زيد اسكن يا هذا واستبشر وأبشر بالفرج وبشر فعندى عزيمة الطلق التى انتشر سمعها فى الخلق فتبادرت الغلمة الى مولاهم متباشرين بانكشاف بلواهم فلم يكن الا كلا ولا

حتى برز من هلم بنا اليه فلما دخلنا عليه ومثلنا بين يديه قال لابى زيد ليهنك منالك ان صدق مقالك
ولم يفل فالك فاستحضر
قلما مبريا وزبدا بحريا
وزعفرانا قد ديف فى ماء
ورد نظيف فما ان رجع
النفس حتى أحضر ما التمس
فسجد أبو زيد وعفر وسبح
واستغفر وأبعد الحاضرين
ونفر ثم أخذ القلم واسحنفر
وكتب على الزبد بالمزعفر
أيهذا الجنين انى نصيح
لك والنصح من شروط الدين
أنت مستعصم بكن كنين
وقرار من السكون مكين
ماترى فيه ما يروعك من إلـ
ـف مداج ولا عدو مبين
فمتى ما برزت منه تحولـ * ـت
الى منزل الاذى والهون
وتراءى لك الشقاء الذى تلـ
ـقى فتبكى له بدمع هتون
فاستدم عيشك الرغيد وحاذر
أن تبيع المحقوق بالمظنون
واحترس من مخادع لك يرقيـ
ـك ليلقيك فى العذاب المهين
ولعمرى لقد نصحت ولكن
كم نصيح مشبه بظنين
ثم انه طمس المكتوب على
غفلة وتفل عليه مائة تفلة
وشد الزبد فى خرقة حرير
بعد ما ضمخها بعبير وأمر
بتعليقها على فخذ الماخض
وأن لا تعلق بها يد حائض
فلم يكن الا كفواق شارب
أو فواق حالب حتى اندلق
شخص الولد لخصيصى
الزبد بقدرة الواحد الصمد فامتلأ القصر

كلا وكذا تغميضهم ثم هجتم * لدى حين أن كانوا الى النوم أفقرا
يقول كان نومهم فى القلة والسرعة كقول القائل لا وذا وقال الحسن رحمه الله
ياعاقد القلب منى * هلا تذكرت حلا * تركت منى قليلا * من القليل أقلا
يكاد لا يتجزى * أقل فى اللفظ من لا
وفى أبيات البديع وأروع أهداه لى الليل والفلا * وخمس تمس الارض لكن كلا ولا
جعل قوائم فرسه وهى الخمس تمس الارض فى المشى كلا ولا على اللسان (قوله برز) أى خرج (هلم) دعا وقال انا هلم (مثلنا) وقفنا ومثل بين يديه انتصب قائما (منالك) عطاؤك (ولم يفل فالك) يخطئ رأيك وفال رأيه فيولة ضعف وأخطأ و(الزبد) حجر معروف وهو شديد البياض دقيق الثقب جدا يوجد عائما على وجه الماء يصرف فى الاكحال وقالت الحكماء من خصائص الزبد البحرى انه اذا علق على امرأة ماخض سهل عليها الولادة ويكون فى بحر اليمن (ديف) خلط (التمس) طلب (عفر) جعل وجهه على الارض والعفر التراب (اسحنفر) جد وشمر للكتابة ويقال اسحنفر فى الامر اذا تحفز فيه وقالت جارية من العرب
يا أمتا أبصرنى راكب * مسحنفر فى مسرب لاحب
مازلت أحثو الترب فى وجهه * عمدا وأحمى حوزة الغائب
فأجابتها أمها * الحصن أولى لو تأبيته * من حثيك الترب على الراكب
مسرب طريق لاحب بين الغائب زوجها الحصن العفة تأبيته تعمدته وقصدته (المزعفر) المداد من الزعفران (الجنين) الولد فى بطن أمه (النصيح) ضد الغش قال الخطابى النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح وقيل أصلها من نصح الرجل ثوبه أى خاطه والنصاح الخيط شبهوا فعل الناصح بالخيط الذى يلائم الخلل والفتوق والتوبة النصوح كأنها ترقع ما خرقته المعصية (مستعصم) مستمسك ممتنع واستعصم فى ذكر يوسف امتنع وتأبى (كن) موضع يكن (كنين) ساتر والكنين المستور و(القرار) المكان المطمئن الذى يستقر فيه الماء وأراد به الرحم (يروعك) يفزعك (الف) صاحب (مداج) يظهر الحب ويضمر خلافه وداجاه ساتره بالعداوة (برزت) خرجت (الاذى) الضرر (الهون) الهوان (تراءى) تظاهر (هتون) كثير السيلان وهتنت السماء صبت (الرغيد) الواسع (المحقوق) الذى لا يشك فيه (المظنون) المشكوك فيه فهو يشير على الصبى أن يقيم فى بطن أمه ولا يخرج للدنيا (ظنين) متهم (طمس) غطى وطمست الدار اذا غطى التراب آثارها ومحاها و(التفل) نفخ يخرج معه بصاق متفرق وأوله البزق ثم التفل ثم النفث ثم النفخ (ضمخها) لطخها (عبير) اخلاط من الطيب (الماخض) الحامل (ولا تعلق بها يد حائض) تمويه بان مكتوبه من القرآن والحائض لا تمسه (الذواق) مس الطعام أو الشراب بلسانك (الفواق) ما بين الحلبتين من الوقت لان الناقة تحلب ثم تترك ساعة يرضعها فصيلها لتدر ثم تحلب (اندلق) خرج بسرعة وكل شئ يدر خارجا بسرعة فقد اندلق واندلق السيف من غمده اذا سقط من غير أن يسل (خصيصى الزبد) اى خاصيته التى ينفرد بها عن الاحجار واختصصت بالشئ انفردت به وجاء فى خصيصى القوم مقصورا اى خاصتهم وخصصته بالشئ خصوصا وخصوصية وخصيصى * ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما ولد فى

اهل

أهل بيت غلام الأصبح فيهم عزلم يكن وقال صلى الله عليه وسلم من ولد له مولود فاذن فى أذنه اليمنى وأقام فى اليسرى دفعت عنه أم الصبيان (حبورا) سرورا (واستطير) داخله السرور (عميده) سيده (طمريه) ثوبيه * وذكر ابن قتيبة بسند متصل بابن عباس رضى الله عنهما أنه قال مر عيسى ابن مريم عليه السلام على بقرة قد اعترض ولدها فى بطنها فقالت يا كلمة الله ادع الله أن يخلصنى فقال يا خالق النفس من النفس ويا مخرج النفس من النفس ويا مخلص النفس من النفس خلصها فألقت ما فى بطنها فاذا عسرت على المرأة ولادتها فيكتب على مكيال ثم تعطاه المرأة * وذكر القنجديهى بسند متصل بأبى هريرة رضى الله عنه قال بينا عيسى ويحيى عليهما السلام فى البرية اذ رأيا وحشية ماخضا فقال عيسى ليحيى قل تلك الكلمات حنة ولدت مريم مريم ولدت عيسى الارض تدعوك يا ولد اخرج يا ولد اخرج قال حماد بن زيد فما يكون فى الحى امرأة ماخض فيقال هذا عندها الا ولدت حتى الشاة التى يتعسر وضعها فيقال هذا عندها فلا تبرح حتى تضع * يونس بن عبيد الله اللهم أنت عدتى عند شدتى وأنت صاحبى عند كربى وأنت ولى نعمتى من قالها عند النفساء اذا عسر عليها ولدها أو على بهيمة أذن الله تعالى فى خروجه * وذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال اذا عسر على المرأة ولادتها فليكتب لها بسم الله لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون قال سفيان يكتب هذا فى جام وتسقاه وذكر عن أبى الزناد قال كنت مئنثا فقيل لى استغفر الله اذا جامعت ففعلت فوضع لى بضعة عشر ذكرا (قوله خيل) أى شبه و (أويس) القرنى بشر به النبى صلى الله عليه وسلم وهو من التابعين وفى صحيح مسلم ان أهل الكوفة وفدوا على عمر رضى الله عنه وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس فقال عمر رضى الله عنه هل ههنا أحد من قرن فجاء ذلك الرجل فقال عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس لا يدع باليمن غير أم له وقد كان فيه بياض فدعا الله فأذهبه الله عنه الا موضع الدينار أو الدرهم فمن لقيه منكم فليستغفر لكم وفيه عن أسيد بن جابر قال كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا أتاه امداد أهل اليمن سأل أفيكم أويس بن عامر حتى أتى على أويس فقال أنت أويس بن عامر قال نعم قال من مراد ثم من قرن قال نعم قال فكان بك برص فبرئت منه الا موضع الدرهم قال نعم قال ألك والدة قال نعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتى اليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن وكان به بياض فبرئ منه الا موضع الدرهم له والدة هو بها بار لو أقسم على الله لابره فان استطعت أن يستغفر لك فافعل فاستغفر لى فاستغفر له فقال عمر رضى الله عنه أين تريد فقال الكوفة قال ألا أكتب لك الى عاملها قال أكون فى غبر الناس أحب الى قال فلما كان فى العام القابل حج رجل من أشرافهم فوافى عمر رضى الله عنه فسأله عن أويس فقال تركته رث البيت قليل المتاع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتى عليكم أويس بن عامر مع امداد اهل اليمن من مراد ثم من قرن وكان به برص فبرئ منه الا موضع درهم له والدة هو بها بار لو أقسم على الله لابره فان استطعت أن يستغفر لك فافعل فأتى أويسا فقال استغفر لى فقال

حبورا واستطير عميده وعبده سرورا وأحاطت الجماعة بابى زيد تثنى عليه وتقبل يديه وتتبرك بمساس طمريه حتى خيل الى أنه القرنى اويس

(ذكر أويس القرنى رضى الله تعالى عنه)

أنت أحدث عهدا بسفر صالح قال نعم قال له لقيت عمر قال نعم فاستغفر له ففطن له الناس فانطلق على وجهه قال أسيد وكسوته بردة فكان كلما رآه انسان قال من أين لاويس هذه البردة وفي كتاب الاحياء انه لما ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال أيها الناس من كان من أهل العراق فليقم فقاموا فقال اجلسوا الا من كان من اهل الكوفة فجلسوا ثم قال اجلسوا الا من كان من مراد فجلسوا ثم قال اجلسوا الا من كان من قرن فجلسوا الا رجلا واحدا فقال له عمر رضى الله عنه قرني أنت قال نعم قال أتعرف أويسا قال نعم وما تسأل عن ذلك يا امير المؤمنين والله ما فينا أحمق ولا أجن ولا احوج منه فبكى عمر رضى الله عنه ثم قال ما قلت الا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فى شفاعته مثل ربيعة ومضر ولما كان عند أهله كالمجنون بنوا له بيتا على باب دارهم فكان تأتى عليهم السنة لا يرون وجهه كان يخرج أول الاذان ويأتى بعد العشاء الآخرة وكان طعامه أن يلقط النوى فكلما أصاب حشفة خبأها لافطاره فان أصاب منه ما يقوته باع النوى وتصدق به والا اشترى منه ما يقوته وكان لباسه قطع الاكسية من المزابل يلفق بعضها الى بعض ثم يلبسها واذا مر بالصبيان رجموه يظنون أنه مجنون ولهذا اعظم النبى صلى الله عليه وسلم حرمته فقال انى لاجد نفس الرحمة من قبل اليمن اشارة اليه وأما (دبيس) فهو الامير سيف الدولة بن مزيد الاسدى وقيل دبيس بن صدقة بن مزيد وذكر أبو الحسن على بن الحسين بن أبى طالب الباخرزى الامير أبا الاعز دبيس بن على فقال خدمته ببغداد وعبرت اليه أخت يده الجواد يعنى دجلة وهى زاخرة الامداد فاذا باحة للطارقين مباحة وراحة فى كفها للعفاة راحة وقباب التفت بها غاب القنا واشترك مع أسودها الناس فى فرائس الغنى قال الفنجديهى سمعت بعض أهل الفضل يقول ببغداد لما سمع الامير دبيس ان الرئيس أبا محمد الحريرى ذكره فى مقاماته وأورد فيها بعض صفاته نفذ اليه من الخلع السنية والجوائز الهنية ومزية العطية ما عجز عنه الوصف وكل عنه الطرف واقتضاه علو همته وسمو قدرته ثم عصى دبيس على الامام المسترشد بالله أمير المؤمنين ابى منصور الفضل بن المستظهر بالله وسعى فى اراقة دمه وجمع العساكر وحشد وقصد بغداد فى عسكر عظيم وعاث فى أطرافها وأفسد فى أكنافها فخرج المسترشد بالله أمير المؤمنين من دار الخلافة واجتمعت اليه الاجناد وظهر اليه وحمل عليه فهزم دبيس وعسكره وانتهى الى الحلة المزيدية فانتهبها وذلك فى المحرم فى سنة سبع عشرة وخمسمائة وانهزم دبيس فى خواص من أصحابه وغلمانه خوفا من الخليفة ومر نحو الشام ثم قتل الامير دبيس بن صدقة بن مزيد فى سنة ثلاثين أو فى سنة تسع وعشرين قتله السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه لامور أنكرها وأسباب امتعض لها نسبت اليه (قوله انثال) أى انصب (جوائز) عطايا (وصائل) متصلات غير منقطعة والوصائل ثياب حمر مخططة تصنع باليمن يلبسها النساء قال الشاعر

* لها حبك كأنها من وصائل * (قيض) قدر وساق (ينتابه) أى يقصده ويأتيه مرة بعد أخرى (الدخل) العطايا التى تدخل اليه من قبل الامير وغيره ورجل كثير الدخل اذا كثر دخول الرزق عليه و (السخل) الولد ومما يستحسن فى التهنئة بمولود قول الحلوانى

نجم تولد من شمس ومن قمر * وأين من أبويه الشمس والقمر

(ذكر الامير دبيس)

أو الاسدى دبيس ثم انثال عليه من جوائز المجازات ووصائل الصلات ما قيض له الغنى وبيض وجه المنى ولم يزل ينتابه الدخل منذ نتج السخل الى أن أعطى الحجر الامان

شمس العفاف ومجد البدر بينهما * تولد النور الا أنه بشر

أخذه من قول ابن الرومى

شمس وبدر ولدا كوكبا * أقسمت بالله لقد أنجبا

وجاء الرمادى يهنئ الفقيه ابن العطار بمولود فقال

يهنيك مازادت الايام فى عددك * من فلذة برزت بالسعد من كبدك

كأنما الدهر دهر كان مكتئبا * من انفرادك حتى زاد فى عددك

لا خلفتك الليالى تحت ظل ردى * حتى ترى ولدا قد شب من ولدك

(قوله تسنى الاتمام) أى تيسر اتمام المشى والاقلاع (اكتنى) اقتنع (النحلة) العطية (أوعز) ووعز تقدم يعقوب لا يقال وعز بالتخفيف (حزانته) جماعته وعياله الذين يتحزنون لنكبته ولفقده ويحزن هو لضيعتهم (أنحيت) ملت عليه وقصدته به (التعنيف) اللوم والاخذ باللسان (المألف) البلدة وموضع الالفة (الاليف) الصاحب (اليك عنى) تباعد عنى (تصبونّ) تميلنّ وصبوت اليه ملت بالمحبة (تضام) تذل (تمتهن) تحتقر وقال محمد بن بشر فى هذا المعنى

انما أزرى بقدرى أننى * لست من بابة أهل البلد

ليس منهم غير ذى مقلية * لذوى الالباب أو ذى حسد

يتحامون لقائى مثل ما * يتحامون لقاء الاسد

مطلعى أثقل فى أعينهم * وعلى أنفسهم من أحد

لو رأونى وسط بحر لم يكن * أحد يأخذ منهم بيدى

(وقال البحترى)

أشرّق أم أغرب ياسعيد * وأنقص من زماعى أم أزيد

عدتنى عن نصيبين العوادى * فبختى أبلد فيها بليد

وأخلفنى الزمان على رجال * وجوههم وأيديهم حديد

لهم حلل حسن فهن بيض * واخلاق سمجن فهن سود

وممن نبا به بلده القاضى أبو محمد عبد الوهاب خرج من بغداد يريد مصر فشيعه أكابرها ومن أصحاب محابرها جملة موفورة فقال لهم والله لو وجدت بين أظهركم رغيفين كل يوم ما عدلت ببلدكم بلوغ أمنية والخبز عندهم يومئذ ثلثمائة رطل بدينار وقال

سلام على بغداد منى تحية * وحق لها منى السلام المضاعف

لعمرك ما فارقتها قاليا لها * وانى بشطى جانبيها لعارف

ولكنها ضاقت علىّ برحبها * ولم تكن الاقدار ممن يساعف

فكانت كخل كنت أهوى دنوه * وتأبى به أخلاقه فيخالف

وقال ايضا بغداد دار لاهل المال واسعة * وللمفاليس دار الضنك والضيق

قد صرت أمشى مهانا فى أزقتها * كأننى مصحف فى كف زنديق

(قوله الوهاد والقنن) الانخفاض والارتفاع والقنة أعلى الجبل والوهدة القعدة من الارض تجرى اليها مياه جهاتها (حضنا) جانبا حصينا مانعا (أربأ) اى ارتفع (يغشاك) يغطيك (الدرن)

وتسنى الاتمام الى عمان فاكتنى أبو زيد بالنحلة وتأهب للرحلة فلم يسمح الوالى بحركته بعد تجربة بركته بل أوعز بضمه الى حزانته وأن تطلق يده فى خزانته (قال الحرث بن همام) فلما رأيته قد مال الى حيث يكتسب المال أنحيت عليه بالتعنيف وهجنت له مفارقة المألف والاليف فقال اليك عنى واسمع منى

لا تصبونّ الى وطن * فيه تضام وتمتهن

وارحل عن الدار التى * تعلى الوهاد على القنن

واهرب الى كن يقى * ولو انه حضنا حضن

وارباً بنفسك أن تقيـ * ـم بحيث يغشاك الدرن

وجب البلاد فأيها * أرضاك فاختره وطن

ودع التذكر للمعا * هد والحنين الى السكن   واعلم بان الحر فى * أوطانه يلقى الغبن   كالدر فى الاصداف يسـ
*تزرى ويبخس فى الثمن   ثم قال حسبك ما استمعت وحبذا أنت لو اتبعت فأوضحت له معاذيرى وقلت له لكن عذيرى فعذر واعتذر وزود حتى لم يذر ثم شيعنى تشييع الاقارب الى أن ركبت فى القارب فودعته وانا أشكو الفراق وأذمه وأود لو كان هلك الحنين وأمه

(المقامة الاربعون التبريزية)

(أخبر الحرث بن همام) قال أزمعت التبريز من تبريز حين نبت بالذليل والعزيز وخلت من المجير والمجيز فبينا أنا فى اعداد الاهبة وارتياد الصحبة ألفيت بها أبا زيد السروجى ملتفا بكساء ومحتفا بنساء فسألته عن خطبه والى أين يسرب مع سربه فأومأ الى امرأة منهن باهرة السفور ظاهرة النفور وقال تزوجت هذه لتؤنسنى فى الغربة وترحض عنى قشف العزبة فلقيت منها عرق القربة تمطلنى بحقى وتكلفنى فوق طوقى فانا منها نضو وجى وحلف شجو وشجى وها نحن قد تساعينا الى الحاكم ليضرب على يد الظالم فان انتظم بيننا الوفاق والا فالطلاق والانطلاق قال فلت الى أن أخبر لمن الغلب وكيف يكون المنقلب فجعلت شغلى دبر أذنى وصحبتهما وان كنت لا أغنى فلما حضر القاضى وكان ممن يرى فضل الامساك ويضن بنفاثة السواك   وهذا

الوسخ (المعاهد) منازل سكناه (الحنين) الشوق (السكن) الاهل (الاصداف) محال الجوهر (يستزرى) يستحقر (يبخس) ينقص ومعنى هذه الابيات يقول ارحل عن بلد يعلو فيه قدر أصاغر الناس قدر أكابرهم ولا تقم فيه على الهوان وارفع قدر نفسك من أن تقيم بموضع توسخك فيه الاهانة فان المرء حيث يضع نفسه وطف بالبلاد واختر وطنا ما أرضاك فان الحر يضيع فى وطنه ولا يعرف قدره * الاصمعى سمعت بعض العرب يقول الفقر فى الوطن غربة والغنى فى الغربة وطن ونظر أبو الحرث الى برذون يستقى عليه فقال المرء حيث يضع نفسه لو هملج هذا لم يبل بما ترون * الزبير رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان العباد عباد الله والبلاد بلاد الله فحيثما وجدت خيرا فأقم واحمد الله وقال هلال بن العلاء الرقى

لا تجزعن وان نأت * أرض تنال بها المحبه
وطن الغريب يساره * والفقر فى الاوطان غربه

وقال آخر
أشد من فاقة الزمان * مقام حر على الهوان
فاسترزق الله واستعنه * فانه خير مستعان
فان نبا منزل بحر * فمن مكان الى مكان

وقال آخر
شرق وغرب تجد من غادر بدلا * فالارض من تربة والناس من رجل

وقال آخر
من ضاق عنك فأرض الله واسعة * عن وجه كل مضيق وجه منفرج
خير المذاهب فى الحاجات أنجحها * وأضيق الامر أدناه من الفرج

(حسبك) يكفيك (أوضحت) بينت (معاذيرى) أعذارى و(العذير) العذر يقال عذيرك من كذا بمعنى هلم معذرتك منه وقيل العذير بمعنى عاذر فعيل بمعنى فاعل أى هلم لمن يعذرك منه * ثعلب العذير مصدر بمعنى النكير ومعنى عذيرى منه أى من يعذرنى منه وعذر قبل العذر والله أعلم

(شرح المقامة الاربعين وهى التبريزية)

(أزمعت) عزمت والزماع العزم و(التبريز) الخروج الى البراز وهى الارض الفضاء بلا شجر (تبريز) قرية من كور أذربيجان من عمل خراسان بينها وبين المراغة عشرون فرسخا (نبت) قلعت وارتفعت (المجير) الذى يجيرك من الناس ويكفيك شرهم و(المجيز) الواهب الجائزة وهى الصلة (ارتياد) طلب (محتفا) محلقا (خطبه) أمره (يسرب) يذهب و(سربه) جماعة نسائه (أومأ) أشار (باهرة) ظاهرة و(السفور) كشف النقاب عن الوجه (ترحض) تغسل ورحض الثوب يرحضه غسله (قشف) تغير ورجل متقشف لا يتعهد الغسل والنظافة والقشف سوء العيش * ومطله حقه كناية عن جماعه لها والمطل فى الاصل المد يقال مطل القين الحديد يمطله مطلا اذا مده وطوله فمعنى (تمطلنى) تطول على و(الطوق) الطاقة (نضو وجى) هزيل من الحفاء وأراد به شرها وما يلقاه منها (حلف شجو) صاحب حزن و(الشجا) الاختناق بالعظم وهو هنا صعب (ليضرب على يده) ليكفه ويمنعه (لا أغنى) اى لا أنفع (الامساك) الشح (يضن) يبخل و(النفاثة) ما تطرحه من فيك من السواك بعد الانتفاع به

وهذا وان كان غاية فى البخل منتزع من قول الشاعر

لقد بخلت حتى لو أنى سألتها * قذى العين من ضاحى التراب لضنت

وقال آخر فى معناه .

يبخل بالماء ولو أنه * منغمس فى وسط النيل

شحا فلا تطمع فى خيره * ولو توسلت بجبريل

وقال آخر ما كنت أحسب أن الخبز فاكهة * حتى نزلت على أوفى بن منصور

يا حابس الروث فى أعقاب بغلته * خوفا على الحب من لقط العصافير

وهذا الباب مستوفى فى الرابعة والاربعين ومما يستظرف من لفظ السوالك قول بعض الظرفاء

قد هجرت السوالك من أجل انى * ان ذكرت السوالك قلت سواكا

وأحب الاراك من أجل أنى * ان ذكرت الاراك قلت أراكا

(جثا) برك (أيد) قوّى (مطيتى) زوجتى (أبية) صعبة ممتنعة على قائدها (الشراد) النفور (أحنى) أعطف وارحم (جنانها) قلبها (النشوز) عصيان الزوج ومخالفته والنشوز أصله الارتفاع و(ويح) معناها التوبيخ والتقبيح وتستعمل أيضا للترحم (وقوله ويوجب الضرب) من قوله تعالى واللاتى تخافون نشوزهنّ فعظوهنّ واهجروهنّ فى المضاجع واضربوهنّ فنشوزهنّ عصيانهنّ * الازهرى النشوز كراهة كل واحد من الزوجين صاحبه ونشزت تنشز فهى ناشز * ابن عمر رضى الله عنهما قال النبىّ صلى الله عليه وسلم لا تسكنوا النساء الغرف فيشرفن ولا تعلموهن الكتابة واستعينوا عليهن بالضرب * ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علقوا السوط حيث يراه أهل البيت ووصى بعض أهله فقال أنفق على أهلك من طولك ولا ترفع عصاك عنهم وأخفهم فى الله فمعنى لا ترفع عصاك أى لا تترك تأديبهم فى الله تعالى (قوله ويأخذ الجار بالجار) العرب تسمى فرج المرأة بالجار ودبرها جار الجار وأخذه الحريرى من قول أعرابى جاء لامرأته وقد اغتلم واشتدت شهوته فانعظ فلما قرب منها وهجم عليها قالت له انى حائض قال لها فأين الهنة الاخرى ثم حمل عليها وهى تدافعه وتسبه وهو ماض فى شغله ينشدها

كلا ورب البيت ذى الاستار * لاهتكن حلق الحتار * قد يؤخذ الجار بذنب الجار *

قال الخليل الحتار ما استدار من طوق الجفن وكذلك حتار الظفر والدبر ومما يبين هذا المعنى قول الشاعر .

جارك قد يجنى عليك وقد * تعدى الصحاح مبارك الجرب

ولرب مأخوذ بذنب قرينه * ونجا المقارف صاحب الذنب

(أتبذر) أتزرع والبذر الحبوب تزرع (السباخ) الارض ذات الملح والرشح وهى لا تنبت شيأ لملوحتها وقلة جفافها وأراد أتزرع نطفتك فى موضع لا يقبل الولد (تستفرخ) تلتمس عمل الفرخ (اعزب) غب (طوق الحمامة) جعل لها طوقا والحمام عند العرب ذوات الاطواق نحو الفواخت والوراشين والقمارى ودخلت الهاء على أنه واحد للجنس لا للتأنيث * الليث تقول العرب حمامة ذكر وحمامة أنثى والجميع الحمام * الشافعى كل ما عبّ وهدر فهو حمام يدخل فيه القمارى

جثا أبو زيد بين يديه وقال أيد الله القاضى وأحسن اليه ان مطيتى هذه أبية القياد كثيرة الشراد مع انى أطوع لها من بنانها وأحنى عليها من جنانها فقال لها القاضى ويحك أما علمت ان النشوز يغضب الرب ويوجب الضرب فقالت انه ممن يدور خلف الدار ويأخذ الجار بالجار فقال له القاضى تبا لك أتبذر فى السباخ وتستفرخ حيث لا افراخ اعزب عنى لا نعم عوفك ولا أمن خوفك فقال أبو زيد انها ومرسل الرياح لا كذب من سجاح فقالت بل هو ومن طوق الحمامة وجنح النعامة لا كذب من أبى ثمامة

والوراشين سواء كانت مطوّقة أوغير مطوقة آلفة أووحشية وهذا القول كأنه الاكثر لان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر بأخذ الحمام التى تستفرخ فى البيوت وليست ذوات أطواق
وكان يسميها حماما وكان فى منزله حمام أحمر اسمه وردان وقد قدّمنا فصلا فى الحمام فى الصدر

(تزويج مسيلمة لسجاح)

(مخرق) الرجل أوهم أنه على حق وصواب وهو على خلافه * وأوردهنا فى شرح تزويج مسيلمة
لسجاح ما بين سخف نبوّتهما وان كان الحريرى قد أشار الى ذلك فى هذه المقامة كان مسيلمة بن
حبيب الحنفى ثم أحد بنى الديل قد تسمى بالرحمن فى الجاهلية وكان من المعمرين * ذكر وثيمة بن
موسى ان مسيلمة تسمى بالرحمن قبل أن يولد عبد الله أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت قريش تقول انما يعلم محمدا رجل يقال له الرحمن فنزلت وهم
يكفرون بالرحمن وكانت بنو تميم قد تخاذلت فى أمر الردة بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم

حين مخرق باليمامه

واختلفوا فى ذلك اختلافا شديدا فبينما هم على ذلك اذ فاجأتهم سجاح بنت الحرث مقبلة من
الجزيرة تقود بنى ربيعة فأتاهم أمر كان أعظم مما هم فيه من الاختلاف وكانت سجاح تميمية
وبنو أبيها فى تغلب وادعت النبوة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الجزيرة فاجتمعت عليها
بنو تميم ورساء تغلب فادعت انها أنزل عليها يا أيها المؤمنون المتقون لنا نصف الارض ولقريش
نصفها ولكن قريشا قوم يبغون فاجتمعت تميم كلها تنصرها فكان فيهم الاحنف وحارثة بن بدر
ووجوه بنى تميم وكان مؤذنها شبيب بن ربعى الرياحى فقالت اعدوا الركاب واستعدوا للنهاب ثم
اغدوا على الرباب فليس من دونهم حجاب فصمدت اليهم فقتلت فيهم قتلا كثيرا ثم قالت
لاجنادها اقصدوا اليمامة فقيل لها ان شوكة أهل اليمامة قوية شديدة وقد غلظ أمر مسيلمة
فقالت يا معاشر تميم اقصدوا اليمامة فاضربوا فيها كل هامة وأضرموا انارا ملهامة حتى تتركوها
سوداء كالحمامة وان الله تعالى لم يجعل هذا الامر فى ربيعة تعنى نبوة مسيلمة وانما جعلها فى مضر
واقصدوا هذا الجمع فاذا قصدتموه عكرتم على قريش فسارت فى قومها وهم عدد لا يحصى وبلغ
مسيلمة الخبر فضاق به ذرعا وتحصن فى حجر حصن اليمامة وأحاطت به جيوشها فأرسل فى وجوه
قومه وقال ما ترون قالوا انسلم هذا الامر لها فان لم نفعل فهو البوار فقال لهم بدها انه سننظر ثم
بعث اليها وقال ان الله قد أنزل عليك وحيا وعلىّ فهلمى نجتمع فنتدارس ما أنزل الله فمن عرف
الحق تبعه واجتمعنا فأكلنا العرب أكلا بقومى وقومك فانعمت له فأمر بضرب قبة من أدم
فضربت وأمر بالعود المندلى فبخرت به وقال اكثروا من الطيب فان المرأة اذا شمت رائحته
ذكرت الباه وأتته الى القبة وقالت هات ما أنزل عليك ربك فقال ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى
أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى من بين ذكر وأنثى وأمات وأحيا الى ربكم يكون
المنتهى قالت وماذا قال ألم تر أن الله خلقنا أفواجا وجعل لنا النساء أزواجا فنولج فيهن قعسا
ايلاجا ونخرجه منهن اذا شئنا اخراجا قالت فبأى شىء أمر ربك قال

ألا هي الى المخدع * فقد هيي لك المضجع
فان شئت ففى البيت * وان شئت ففى المخدع
وان شئت سلقناك * وان شئت على أربع
وان شئت بثلثيه * وان شئت به اجمع

قالت

قالت بل به أجمع قال كذلك أوحى الى فواقعها فلما قام عنها قالت ان مثلى لا ينكح هكذا فيكون وسمة على قومى ولكنى مسيلمة لك النبوة فاخطبنى الى أوليائى يزوجوك ثم أقود معك تميما فخرج وخرجت معه واجتمع الحيان حنيفة وتيم فقالت سجاح انه قرأ على ما أنزل عليه فوجدته حقا فتبعته ثم خطبها فزوجوه منها وقال الاغلب العجلى فى ذلك

قد لقيت سجاح من بعد العمى * ملوحا فى العين مشدود القوى

كأن عرق أيره اذا ابدا * حبل عجوز ضفرت سبعا قوى

مازال عنها بالحديث والمنى * والخلق السفساف يردى فى الردى

قال ألا أدخله قالت بلى * فشام فيها مثل محراب العصا

تقول لما غاب فيها واستوى * لمثل هذا كنت أحسبك الحسى

واليمامة بلد الزرقاء وسيأتى ذكرها فى الحسين فعلى نحو ماذكرنا من أمر سجاح ذكرها أكثر أهل الاخبار وقال الفنجديهى سجاح بنت الحرث بن سويد بن عقفان من بنى يربوع كنيتها أم صادر ادعت النبوة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الجزيرة فى بنى تغلب فاستجاب لها وتبعها قوم من تميم وظهر أمرها حتى هابتها العرب وصالحتها العجوز فى بلادهم حيث شاءت فسمعت بمسيلمة فى اليمامة فقالت لقومها عليكم باليمامة دفوا اليها دفيف الجماعة فانها غزوة صرامة لا تلحقكم بعدها الامة وبلغ مسيلمة خبرها فهابها وخاف ان هو شغل بها غلبه ثمامة بن اثال وشرحبيل على حجر اليمامة اذ هما من قبل أبى بكر رضى الله عنه فأرسل اليها يستامنها على نفسه فأمنته فجاءها فى أربعين من بنى حنيفة فقال لها نصف الارض لى والنصف الذى كان لقريش صار لك فقالت لا يرد النصف الا من حنف فاحمل النصف فصالحها على أن يحمل اليها نصف غلاة اليمامة من تلك السنة وعلى أن يسلفها من غلاة السنة المقبلة فقبلت منه وقدم لها شغل تلك السنة ورجعت الى الجزيرة فلم تزل فى بنى تغلب حتى نقلهم معاوية عام انفراده بالملك الى الكوفة فانتقلت معهم وحسن اسلامها * وأظن أن الحريرى صور تخاصم زوجة أبى زيد معه على تخاصم أبى الاسود الدؤلى مع زوجته عند معاوية * حدث أهل الاخبار قالوا كان أبو الاسود كبيرا عند معاوية وكان معاوية يجالسه ويدنيه ويسأله فيجيبه فيما يعلم فبينما هو ذات يوم عند معاوية وقد قدم المدينة اذ دخلت عليه امرأة برزة فقالت اصلح الله أمير المؤمنين وامتع به ان الله جعلك خليفة فى البلاد ورقيبا على العباد يستسقى بك المطر ويستنبت بك الشجر ويؤمن بك الخائف ويردع بك الحائف أنت الخليفة المصطفى والامير المرتضى فنسأل الله لك النعمة فى غير تغيير والبركة من غير تقتير فقد ألجأنى اليك يا أمير المؤمنين أمر ضاق بى عنه المخرج من أمر كرهت عاره لما أردت اظهاره فليكشف عنى أمير المؤمنين ولينصفنى من الخصم وليكن ذلك على يديه فانى أعوذ بك وبحقويك من العار الوبيل والامر الجليل الذى يشتد على الحرائر ذوات البيوت الاخاير فقال لها معاوية من هذا الذى أشعرك شناره قالت أمر طلاق جائر من بعل غادر لا تأخذه من الله مخافة ولا يجد باحد رافة قال ومن بعلك قالت هو أبو الاسود فالتفت معاوية اليه فقال أحق ما تقول هذه المرأة فقال انما تقول من الحق بعضا وليس أحد يطيق عليها نقضا أما ما ذكرت من أمر طلاقها فحق وسأخبرك عن ذلك

(تخاصم أبى الاسود الدؤلى مع زوجته)

بصدق أنا والله ما طلقتها لريبة ظهرت ولا من هفوة حضرت ولكن كرهت شمائلها فقطعت حبائلها قال فأي شمائلها كرهت قال انك تهيجها علي بجواب عتيد ولسان شديد قال لابد من جوابها قال هي يا أمير المؤمنين كثيرة الصخب دائمة الضرب مهينة للاهل ومؤذية للبعل ان ذكر خيرا دفنته وان ذكر شرا أذاعته تخبر بالباطل وتطيع الهازل لا تنكل عن عتب ولا يزال زوجها معها في تعب فقالت أما والله لولا حضور أمير المؤمنين ومن حضر من المسلمين لرددت عليك بوادر كلامك بنوادر تردع كل سهامك فقال معاوية عزمت عليك لما أجبته فقالت هو والله يا أمير المؤمنين سؤل جهول ملحاح بخيل ان قال فشر قائل وان سكت فقدم غائل ليث حين يأمن ثعلب حين يخاف شحيح حين يستضاف ان اقتس الجود عنده انقمع لما يعلم من لؤم آبائه وقصر رشائه ضيفه جائع وجاره ضائع لا يحمي ذمارا ولا يضرم نارا ولا يرعى جوارا أهون الناس عليه من أكرمه وأكرمهم عليه من أهانه فقال معاوية ما رأيت أعجب منها انصرفي رواحا فلما كان العشي جاءت فلما رآها أبو الاسود قال اللهم اكفني شرها فقالت كفاك الله شري وأرجو أن لا يعيذك من شر نفسك قال ناوليني هذا الصبي حتى أحمله قالت ما جعلك الله بأحق من يحمل ابني فوثب فانتزعه منها فقال معاوية مهلا يا أبا الاسود قال يا أمير المؤمنين حملته قبل أن تحمله ووضعته قبل أن تضعه وأنا أقوم عليه في أدبه وانظر في أوده وأمنحه علمي وألهمه حلمي حتى يكمل عقله ويستحكم فتله قالت كلا أصلحك الله حمله خفا وحملته ثقلا ووضعه شهوة ووضعته كرها حجري فناؤه وبطني وعاؤه وثديي سقاؤه أكلؤه اذا نام وأحفظه اذا قام فقال معاوية ما رأيت أعجب من هذه المرأة فقال أبو الاسود يا أمير المؤمنين انها تقول من الشعر أبياتا فتجيدها قال فتكلف أنت لها أبياتا لعلك أن تقهرها بالشعر فقال أبو الاسود

مرحبا بالتي تجور علينا * ثم أهلا بحامل محمول
أغلقت بابها علي وقالت * ان خير النساء ذوات البعول
شغلت قلبها علي فراغا * هل سمعتم بفارغ مشغول

فقالت

ليس من قال بالصواب وبالحق كمن حاد عن منار السبيل
كان حجري فناءه حين يضحى * ثم ثديي سقاؤه بالاصيل
لست أبغي بواحدي يا ابن حرب * بدلا ما رأيته والجليل

(فقال معاوية رضي الله عنه)

ليس من قد غذاه طفلا صغيرا * وسقاه من ثديه بالجدول
هي أولى به وأقرب رحما * من أبيه وفي قضاء الرسول

ثم دفعه معاوية اليها (قوله زفر) أي تنفس بغيظ والزفر والزفير رد النفس في جوفه حتى تنتفخ عروقه قال ابن عرفة الزفير من الصدر والشهيق من الحلق (الشواظ) النار بغير دخان و(زفيره) صوت اتقاده (استشاط) اشتد غيظه وانتشر في جسده (يا جفاز) ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قذف امرأته جلد يوم القيامة مائة جلدة بسياط من نار و(الغصة) ما يختنق به و(البعل) الزوج وأراد انها مؤذية يشرق بها زوجها وجارها كما يشرق صاحب الغصة (تعمدين) تقصدين (الخلوة) الانفراد و(الحفلة) الاجتماع (بنيت عليك) أي تزوجتك وكانت

فزفر أبو زيد زفير الشواظ
واستشاط استشاطة المغتاظ
وقال لها ويلك يا ذفار يا جفار
يا غصة البعل والجار
أتعمدين في الخلوة لتعذيبي
وتبدين في الحفلة تكذيبي
وقد علمت اني حين بنيت
عليك

العرب اذا تزوّج الرجل بنى على أهله قبة فيسمى دخول الزوج بناءً لذلك (رنوت) نظرت (الفيتك) وجدتك (قدة) شركة تقدّ من جلد غير مدبوغ و (الليفة) واحدة ليف النخل وهي التي تكون بين الجرائد (هيضة) هي التخمة تؤل الى القيء والاسهال و (قشرة) الشيء ما علا عليه (ودجلة) نهر العراق وعليه بغداد والبصرة وواسط على جرفها ويجري على وجه الارض أربعمائة فرسخ ولم يحمل الحريري مبالغة السعة على هذه وانما أراد دجلة العوراء وهي التي انتشر ماؤها في البطاح حتى صارت سعتها هنالك ثلاثين فرسخا في مثلها وقال ابن سكرة يهجو امرأة بالسعة

لا تعذليني على ما كان من ملل * من ذا رآك ولا يصبو الى الملل
ان كنت أبصرت أشنى منك في بصري * فلا بلغت الذي أهواه من أملي
البحر أنت وأرى ليس من سمك * وليس بيني وبين البحر من عمل

قال هشام بن عبد الملك للابرش الكلبي زوّجني امرأة من كلب فزوّجه فقال له ذات يوم يهزل معه تزوّجنا الى كلب فوجدنا في نسائهم سعة فقال الابرش يا أمير المؤمنين ان نساء كلب خلقن لرجال كلب وسمع رجل من كندة رجلا يقول وجدنا في نساء كندة سعة فقال ان نساء كندة مكاحل فقدت مراودها قيل لامرأة تطلق كثيرا ما بالك تطلقين أبدا قالت يريدون الضيق ضيق الله عليهم (قوله فسترت عوارك) ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من مسلم اطلع على عورة مسلم فأذاعها عليه شماتة وعدوانا الا كان حقا على الله أن يفضحه عاجلا أو آجلا ومن سترها عليه كان حقا على الله ان يدخله في ستره وحجابه يوم تبلى السرائر وتخرج الخبآت (حبتك) اي خصتك و (شيرين) هي بنت ابرويز بن هرمز وكانت آية في الجمال وغاية في الحسن والكمال فاقت نساء زمانها اصابة وظرفا وبهرتهن ملاحة ولطفا وخلفت في العراق آثارا منها قصر شيرين ولها قصة منظومة مشهورة بالعجمية و (زبيدة) هي بنت جعفر بن عبد الله بن أبي جعفر المنصور زوجها هارون الرشيد وجدّها المنصور وعمها المهدي وابنها الامين فكانت الخلافة قدا كتنفتها وليس في بني هاشم عباسية ولدت خليفة الاهي ولدت في حياة المنصور فسميت أمة العزيز وكان المنصور يرقصها ويقول يا زبيدة أنت زبيدة فغلب ذلك على اسمها وكانت أموالها لا تحصى وأنفقت في سبيل الله وفي الحج وفي بناء المساجد والقناطر ما لم ينفقه أحد قبلها فمن ذلك ما أنفقت في حفرها للعين المعروفة بعين المشاش بالحجاز فانها حفرتها ومهدت الطريق لها في كل رفع وخفض حتى أجرتها من مسافة اثني عشر ميلا فأحصى ما أنفقت فيها فوجد ألف ألف وسبعمائة ألف دينار دون ما كان في وقت الشغل بها في البذل وماعمّ أهل الفاقة ولها في طريق مكة من العراق آثار كثيرة في مصانع حفرتها وبرك أحدثتها تنزل وفود الحج عليها فلا تجد ماء الا فيها فيشربون ويسقون ابلهم ويتزوّدون وهم في الكثرة اعداد لا يحصيهم الا خالقهم والكل داعون لزبيدة الى زماننا هذا وأما آثارها الملوكية فانها أول من اتخذت الآلات من الذهب والفضة المكللة بالجوهر وبلغ ثوب وشي اتخذ للباسها خمسين ألف دينار وهي أول من اتخذ القباب من الفضة والآبنوس وكلاليبها من الذهب ملبسة بالوشي والديباج وأنواع الحرير الملوّن وهي أول من اتخذ الخفاف المرصعة بالجوهر وشماع العنبر ولما

ورنوت اليك ألفيتك أقبح من قردة وأيبس من قدة وأخشن من ليفة وأنتن من جيفة وأثقل من هيضة وأقذر من حيضة وأبرز من قشرة وأبرد من قرة وأحمق من رجلة وأوسع من دجلة فسترت عوارك ولم أبد عارك على انه لو حبتك شيرين بجمالها وزبيدة بمالها وبوران بفرشها

(ترجمة زبيدة)

أفضى الامر الى ابنها الامين رفع منازل الخدم ككوثر وغيره فلما رأت حبه فيهم اتخذت له الجوارى المقدودات الحسان الوجوه وعممت رؤسهن وجعلت لهن الطرر والاصداغ والاقفية وألبستهن الاقبية والقراطق والمناطق فبانت قدودهن وبرزت خصورهن وبعثت بهن اليه فاستحسنهن وأبرزهن للناس فسموهن الغلاميات وأخبارها كثيرة وعند ما قتل الامين دخل عليها بعض خدمها فقال لها ما يجلسك وقد قتل أمير المؤمنين فقالت ويلك وما أصنع قال تخرجين وتأخذين بدمه كما خرجت عائشة تطلب بدم عثمان فقالت اخسأ لا أم لك ما للنساء وطلب الدماء ثم أمرت بثيابها فسوّدت ودعت بدواة فكتبت الى المأمون

أخير امام قام من خير عنصر * وأفضل راق فوق أعواد منبر
ووارث علم الاوّلين وفخرهم * الى الملك المأمون من أم جعفر
كتبت وعيني تستهل دموعها * اليك ابن عمي من جفوني ومحجري
أصبت بأدنى الناس منك قرابة * ومن زال عن عيني فقل تصبري
أتى طاهر لا طهر الله طاهرا * فما طاهر في فعله بمطهر
فأبرزني مكشوفة الوجه حاسرا * وأنهب أموالي وحرّق أدوري
يعز على هرون ما قد لقيته * وما نالني من ناقص الخلق أعور
تذكر أمير المؤمنين قرابتي * فديتك من ذي قربة متذكر
فان كان ما أبدى لامر أمرته * صبرت لامر من قدير مقدّر
وان كان ما قد كان منه تعديا * على أمير المؤمنين فغير

فلما قرأها المأمون بكى بكاء شديدا ثم قال انى لاقول كما قال على أمير المؤمنين حين بلغه قتل عثمان رضى الله عنهما والله ما أمرت ولا رضيت اللهم خلل قلب طاهر حزنا قال ابراهيم الجوني رأيتها في المنام فقلت لها ما فعل الله بك فقالت غفر لى فقلت بما أنفقت في طريق مكة فقالت أما النفقات فرجعت أجورها الى أربابها وغفر لى بنيتى * وأما بوران فهى خديجة بنت الحسن بن الحسن بن سهل تزوجها المأمون على يد اسحق الموصلي وفي هذا التزويج قصة الزنبيل وهى طويلة ظريفة نذكرها على جهة الاختصار حدث اسحق الموصلي قال بينا أنا ذات يوم عند المأمون وقد خلا وجهه وطابت نفسه فقال يا اسحق هذا يوم خلوة وطيب فقلت طيب الله عيش أمير المؤمنين وأدام سروره وفرحه فأخذ بيدى وأدخلني في مجالس غير التى كنا فيها فأخذنا من لذتنا وشرابنا حتى غربت الشمس فقال قد عزمت على دخلة الى دار الحرم فلا ترم حتى آتيك فنهض وبقيت الى عامة الليل وكان المأمون أشغف خلق الله بالنساء وأشدهم ميلا اليهن فقلت في نفسى هو في لذة وأنا في غير شىء وتذكرت صبية اشتريتها وكنت عزمت على افتضاضها فنهضت الى الباب فقال الحاجب أين تريد فقلت الانصراف قال فان طلبك قلت هو من لذة السرور في شغل عن طلبي فقيل لى ان علمانك استبطؤك وانصرفوا فجئ بدابة فركبتها ومشيت فأحسست بالبول فعمدت الى زقاق لابول فبلت وقت لا تمسح بالحيطان اذا أنا بشىء معلق من تلك الدور فنهضت فاذا زنبيل كبير بأربع آذان ملبس ديباجا فقلت ان لهذا سببا وبقيت أتروى في أمره ثم قلت والله لاجلسن فيه كائنا ما كان فجلست فلما أحس بى الذين يرقبونه جذبوه الى رأس الحائط فاذا أربع

(ترجمة بوران وقصة الزنبيل)

جوار يقلن لى انزل بالرحب والسعة فمشت بين يدىّ جارية بشمعة حتى نزلت الى دار نظيفة الى مجالس مفروشة لم أر مثلها الا فى دار ملك فجلست فما شعرت الا بعد ساعة حتى أزيلت ستور كانت فى ناحية الدار واذا بوصائف يتماشين فى أيديهن الشمع وبعضهن بمجامر يحرق فيها العود وبينهن جارية تتهادى كأنها البدر الطالع فنهضت قائما فقالت مرحبا بك من زائر وجلست ثم استطردت الى سؤالى أبدع استطراد فقلت انصرفت من عند بعض اخوانى وغرّنى الوقت وحركنى البول فعدلت الى هذا الزقاق فوجدت زنبيلا معلقا فحملنى النبيذ أن جلست فيه فان كان خطأ فالنبيذ أكسبنيه قالت لاضير أرجو أن تحمد عاقبة أمرك قالت فما صناعتك قلت بزاز من بغداد قالت فهل رويت من الاشعار شيأ قلت شيأ ضعيفا قالت فذاكرنا قلت ان للداخل حشمة ولكن تبدئين قالت صدقت فأنشدتنى لجماعة من القدماء والمحدثين من أجود أقاويلهم وأنا مستمع لا أدرى مم أعجب أمن حسنها أم من أدبها أم من حسن روايتها وجودة ضبطها للغريب أم من اقتدارها على النحو ومعرفة أوزان الشعر ثم قالت أذهب ما كان عندك من الحصر قلت اى والله قالت فان رأيت أن تنشدنا فأنشدتها لجماعة من القدماء ما فيه مقنع فاستحسنت ذلك ثم قالت والله ما ظننت أن يوجد فى أبناء السوقة هذا ثم أمرت بالطعام فأحضر وقالت المما لحة أول الرضاع فدونك وجعلت تقطع وتضع بين يدى وفى المجلس من صنوف الرياحين وغرائب النوا كه مالا يكون الا عند سلطان ودعت بالشراب فشربت قدحا ثم سكبت لى قدحا فشربت ثم قالت هذا أوان المذاكرة بالاخبار وأيام الناس فاندفعت فقلت بلغنى انه كان كذا وكان رجل يقال له كذا حتى أتيت على غدة أخبار حسان فسرّت بذلك وقالت كثر تعجبى ان يكون أحد من التجار يحفظ مثل هذا وانما هذه أحاديث ملوك فقلت كان لى جار ينادم الملوك فاذا تعطل حضرت معه فربما حدث بما سمعت فأخذتها عنه فقالت لعمرى لقد أحسنت الحفظ وما هذا الا قريحة جيدة وأخذنا فى المذاكرة اذا سكت ابتدأت هى واذا سكتت ابتدأت أنا حتى قطعنا عامة الليل وبخور العود يعبق وأنا فى حالة لو توهمها المأمون لطار فرحا فقالت انك من الرجال وضىء الوجه بارع الادب وما بقى عليك الا شىء واحد قلت وما هو فقالت لو كنت تترنم ببعض الاشعار فقلت والله لقديما كلفت به ولم أرزقه فأعرضت عنه وفى قلبى منه حزازة وكنت أحب ان أسمع فى مجلسى هذا منه شيأ لتكمل ليلتى قالت كأنك عرّضت بنا قلت والله ما هو تعريض قد بدأت بالفضل وأنت جديرة باستتمامه فأحضر عود بأمرها فغنت بصوت ما سمعت كحسنه مع حسن أدائه وجودة الضرب فقلت والله لقد أكمل الله فيك خلال الفضل وحباك بالكمال الراجح والعقل الوافر والاخلاق الرضية والافعال السنية قالت هل تعرف هذا الصوت ومن غنى فيه قلت لا والله قالت الشعر لفلان وكان سببه كذا والغناء لاسحق قلت واسحق هذا جعلت فداك فى هذا الحال قالت بخ بخ اسحق بارع هذا الشأن قلت سبحان الله لقد أعطى هذا ما لم يعطه أحد قالت فكيف لو سمعت هذا الصوت منه فلم نزل كذلك حتى اذا انشق الفجر أقبلت عجوز كأنها داية لها قالت أى بنية ان الوقت قد حضر فنهضت عند قولها فقالت مصاحبا لتستر ما كان فيه فان المجالس بالامانات فقلت جعلت فداك أفأحتاج الى وصية فى ذلك وودعتها وجارية بين يدىّ الى باب الدار ففتح لى وخرجت الى دارى فصليت الصبح ونمت فأتانى رسول

المأمون فسرت اليه فلما رآنى قال يا اسحق تشاغلنا عنك فما كان حالك قلت اشتريت صبية وكنت معلق القلب بها فضيت لها وشربت معها ونمت فقال يتم بأمثل هذا فهل لك فيما كافيه أمس فقلت وما يمنع من ذلك فنهضت الى مجلس أمس فلما كان العشاء قال لاترم فانى أجيئك ونهض فتأملت ما كنت فيه البارحة فاذا هو شئ لا يصبر عنه الا جاهل فخرجت فقال الغلمان الله الله فانه انكر علينا تخليتك فوعدتهم ان آتى قبل ان يجئ وان خروجى لعذر وفى الحين أرجع فنهضت الى الزنبيل فجلست فيه فرفع بى الى موضع البارحة فاذا هى قد طلعت فقالت لقد عاودت فقلت ولا أظن الا انى قد ثقلت فقالت مادح نفسه يقرئك السلام قلت فهفوة فنى بالفضل قالت قد فعلنا ولا تعد فاخذنا فى مثل الليلة السالفة من المذاكرة والمناشدة وغريب الغناء منها الى الفجر فانصرفت الى منزلى وصليت ونمت فأنبهنى رسول المأمون فلما رآنى قال أبيت الا مكافأة لنا فقلت والله يا أمير المؤمنين ماذهبت الى ذلك ولكن ظننت ان أمير المؤمنين قد تشاغل عنى بلذته وأغفل أمرى وجاء الشيطان فذكرنى أمر تلك الملعونة فبادرت قال فما كان منك قلت قضيت الحاجة منها قال فقد انقضى ما كان بقلبك منها وواحدة بواحدة والبادى أظلم قلت بل أنا أظلم واليك المعذرة قال لا تثريب عليك فهل لنا فى مثل حالنا أمس قلت اى والله فقمنا الى موضعنا الى الوقت فقال يا اسحق ماعزمك قلت لا عذر لى قال فعزمت عليك لتجلس حتى أجئ فانى عازم على الصبوح وقد نغصت علىّ منذ يومين قلت فالليلة ان شاء الله فما هو الا أن غاب وجالت وساوسى فلما تذكرت ما كنت فيه البارحة هان علىّ ما يلحقنى من سخطه فوثبت مبادرا فوثب الىّ جند الدار وحبست فقلت الله الله انى معلق البال ببعض ما فى منزلى فقالوا اما الى تركك من سبيل فلم أزل أرغب هذا وأقبل يد هذا ووهبت خاتمى لهذا وردائى لهذا وخرجت أعدو حاسرا حتى وافيت الزنبيل فقعدت فيه فرفعت الى موضعى وأقبلت فقالت صديقنا قلت اى والله قالت أجعلتها دار مقام فقلت جعلت فداك حق الضيافة ثلاث فان رجعت فأنتم فى حل من دمى قالت والله لقد أتيت بحجة ثم جلسنا فى مثل تلك الحال فلما قرب الوقت علمت ان المأمون لابد أن يسألنى ولا يقنع منى الا بشرح القصة فقلت لها أراك ممن يعجب بالغناء ولى ابن عم أحسن منى وجها وأظرف قدا وأكثر أدبا وأنا حسنة من حسناته وهو أعرف خلق الله بغناء اسحق الموصلى قالت طفيلى وتقترح قلت لها أنت المحكمة قالت ان كان ابن عمك على ما تصف فما نكره معرفته ثم جاء الوقت فنهضت فلم أصل الى دارى الا ورسل المأمون قد هجموا علىّ وحملونى حملا عنيفا فوجدته على كرسى وهو مغتاظ فقال يا اسحق أخروجا عن الطاعة قلت لا والله قال فما قصتك وما هذا الانحراف فأصدقنى قلت فى خلوة فأومأ الى من بين يديه فتنحوا فحدثته الحديث وقلت له قد وعدتها فى أمرك قال قد أحسنت ولولا ذلك لنكلت بك فقلت قد سلم الله فأخذنا فى لذتنا فى ذلك اليوم وهو لا يسمع منى غير حديثها فلم يتم النهار الا والمأمون معلق القلب فلما جاء الوقت سرنا وأنا أوصيه وأقول تجنب ان تظهرنى بحضرتها ودعنى من نخوة الملك وكن لى تبعا وهو يقول نعم ويلك وان قالت غن كيف اصنع قلت أنا أدفعها عنك ثم سرنا الى زنبيلين فقعدنا فيهما فرفعنا الى الموضع فاقبلت فسلمت فما تمالك اذ رآها ان بهت فى حسنها وقالت لى والله ما أنصفت ابن عمك اذ لم ترفع منزلته وكان قد قعد دونى فقالت ارتفع فديتك أنت جديد وهذا قد

صار من أهل البيت فنهض الى صدر البيت وأقبلت تذاكره وتناشده وتمازحه وهو يظهر عليها فى كل فن ثم أحضر النبيذ فشربنا وهى مقبلة عليه ومسرورة به وهوا كثر وأخذت العود فغنت صوتا وقالت وابن عمك هذا من التجار قلت نعم قالت انكما لغريبان فلما شرب المامون ثلاثة أرطال داخله الفرح والطرب ثم رأيته ينظر الىّ نظر الاسد الى فريسته فصاح يا اسحق فنهضت وقلت لبيك يا امير المؤمنين قال غن هذا الصوت فلما علمت انه الخليفة نهضت الى كلة مضروبة فدخلتها فلما فرغت من الصوت قال انظر من رب هذه الدار فسألت عجوزا فقالت هو الحسن بن سهل فقال علىّ به فغابت العجوز ساعة واذا الحسن قد حضر فقال له ألك ابنة قال نعم بوران قال فزوّجتها قال لا والله قال فانى أخطبها اليك قال هى أمتك وأمرها اليك قال قد تزوجتها على نقد ثلاثين ألفا تحملها اليك صبيحة يومنا فاذا قبضت المال فاحملها الينا قال نعم ثم خرجنا فقال يا اسحق لا يقف على ما وقفت عليه أحد فسترت الحديث الى أن مات المأمون فما اجتمع لأحد ما اجتمع لى فى تلك الأربعة الأيام مجالسة المأمون بالنهار ومجالسة بوران بالليل ووالله ما رأيت أحدا من الرجال فى ملوكهم مثل المأمون ولا شاهدت امرأة تقارب بوران فهما وعقلا وما أظن أحدا وقف من العلوم على ما وقفت عليه *وفى المسعودى انحدر المأمون الى فم الصلح فى شعبان سنة تسع ومائتين وأملك بخديجة بنت الحسن بن سهل ونثر الحسن فى ذلك الاملاك مالم ينثره قط ملك فى جاهلية ولا اسلام نثر على الهاشميين والقواد والكتاب بنادق مسك فيها رقاع بأسماء ضياع وجوار وأسماء ديار ودواب وغير ذلك فاذا وقعت البندقة بيد الرجل فتحها فيجدها على قدر سعده ثم ينثر بعد ذلك الدنانير والدراهم ونوافج المسك على عامة الناس وأنفق على المأمون وعلى جميع قوّاده فلما أراد المأمون الانصراف الى مدينة السلام قال له يا أبا محمد سل حوائجك قال نعم يا أمير المؤمنين أسألك أن تحفظ علىّ مكانى من قبلك فأمر المأمون أن يحمل له خراج فارس والاهواز لسنة *وذكر الحريرى فى الدرة ان المأمون لما بنى على بوران فرش له حصير منسوج بالذهب مامسه أحد وعليه در منثور فوجه الحسن الى المأمون ان هذا نثار يجب أن يلتقط فقال المأمون لمن حوله من بنات الخلفاء شرّفن أبا محمد فمدّت كل واحدة منهن يدها فأخذت درة وبقى باقى الدر يلوح على الحصير المذهب فقال قاتل الله أبا نواس لقد شبه بشئ ما رآه قط فأحسن فى وصف الخمرة والحباب الذى فوقها فقال

كأن صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء در على أرض من الذهب

فكيف لو رأى هذا معاينة ويقال ان الحسن بن سهل نثر فى ذلك العرس على المأمون ألف حبة جوهر وأشعل بين يديه شمعة عنبر وزنها مائة رطل فأمر له المأمون بمائة ألف الف درهم واقطعه مدينة فم الصلح وهى قريبة من واسط وكان العرس بها *وذكر المبرد أن الملاحين الذين تصرفوا فى هذا العرس نيفوا على السبعين ألفا وكانت جراية السلطان عليهم ولما بنى المأمون على بوران وأراد غشيانها حاضت فقالت أتى أمر الله فلا تستعجلوه فنام فى فراش آخر فلما أصبح دخل عليه أفاضل ندمائه يهنؤنه ويدعون له فأنشدهم بديها

فارس فى الحرب منغمس * عارف بالطعن فى الظلم
رام أن يدمى فريسته * فاتقته من دم بدم

وأكثر الشعراء في ذلك الاملاك واستظرف منها قول ابن أبي حازم الباهلي

بارك الله للحسن * ولبوران في الختن

يا ابن هرون قد ظفر * ت ولكن ببنت من

فلما وصلت الى المأمون قال لا والله ما ندري أخيرا أراد أم شرا ويشبه هذا ان رجلا أتى رجلا خياطا بثوب ليقطع له منه قميصا فقال والله لأفصلنه لك تفصيلا لا يدري أقميص هو أم قباء ففعل ذلك فقال له صاحب الثوب وأنا والله لأدعون لك دعاء لا يدري ألك هو أم عليك وكان الخياط يسمى بشرا وكان أعور فقال

خاط لي بشر قباء * ليت عينيه سواء

وأتت المأمون بجهاز لم يسمع بمثله قط كان فيه الفرش منسوجة بالذهب وقال ابراهيم بن العباس الصولي يهنئ الحسن بصهارة المأمون

هنتك أكرومة جللت نعمتها * أعلت وليك واجتثت أعاديكا

ما كان يحبابها الا الامام ولا * كانت اذا قرنت بالخلق تعدوكا

وبلقيس بعرشها

وماتت بوران في سنة احدى وسبعين ومائتين وقد بلغت ثمانين سنة* وثم بوران أخرى وهي بنت كسرى وأمها مريم بنت قيصر ملكت سنة ونصفا وليست المعنية في المقامة (وأما بلقيس) فهي ابنة شراحيل بن أبي سرح بن الحرث بن قيس بن صيفي بن سبا وكان سبب مراسلة سليمان اليها انه فقد الهدهد وبه يعرف قرب الماء من بعده فنزل سليمان عليه السلام بمفازة فدعا بالهدهد فلم يوجد فقال وهو غاضب مالي لا أرى الهدهد الآيات وكان الهدهد قد مر بعرش بلقيس وبساتينها فلما رجع تلقته الطير فقالوا توعدك رسول الله بنتف ريشك أو بذبحك فينقطع نسلك فقال وما استثنى قالوا بلى قال أو ليأتيني بسلطان مبين أي بعذر مبين فأتى سليمان فقال ما غيبك عني قال أحطت بما لم تحط به حتى بلغ فانظر ماذا يرجعون قال سننظر أصدقت الآيات فوجهه بالكتاب فوافقها في قصرها فسد عليها الكتاب ضوء طاق فالتفتت فألقى اليها الكتاب فأخذته وغطته بثوب ونادت في قومها فقالت يا أيها الملأ الآيات فقالوا لها نحن أولو قوة الآيات ثم قالت ان قبل الهدية فهو ملك من ملوك الدنيا وأنا أعز منه وان لم يقبلها فهو نبي من عند الله فلما رجع بالهدية قال سليمان أتمدونن بمال الى وهم صاغرون فلما رجع اليها رسلها بالخبر خرجت فزعة في قومها قال ابن عباس رضي الله عنهما ومعها ألف قيل وأهل اليمن يسمون القائد القيل مع كل قيل عشرة آلاف وكان سليمان مهيبا لا يبدؤه أحد بشئ حتى يسأل عنه فخرج فرأى رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس قال وقد نزلت منا بهذا المكان ثم قال أيكم يأتيني بعرشها فأتاه به الذي عنده علم من الكتاب قبل ما قطع كلامه وصرف بصره فرآه مستقرا عنده فقال هذا من فضل ربي ثم جاءت بلقيس وقعدت الى سليمان فقيل لها أهكذا عرشك فنظرت اليه وقالت كأنه هو ثم قالت تركته في قصري والجنود محيطة به فكيف جيء به وكانت شعراء الساقين فقالت الجن ان نكحها سليمان فولدت له غلاما ما نفك من العبودية أبدا فهلم نبني له بنيانا فيرى شعرها فيه فلا يتزوجها فبنوا له صرحا أخضر من قوارير كأنه الماء وجعلوا في باطن طرائقه كل شئ من الدواب والسمك وغيره وألقى لسليمان كرسي في أقصاه فلما رأى منه ما رأى قعد عليه ودعا بها فلما رأت صور

(ذكر بلقيس وعرشها)

السمك

السمك فيه حسبته لجة وكشفت عن ساقيها فأبصر شعرها سليمان فصرف بصره عنها وقال انه صرح ممرد من قوارير فقالت رب انى ظلمت نفسى الآية فقال سليمان للجن ما يذهب الشعر فقالوا له النورة فاستنكحها سليمان عليه السلام وذكر ابن اسحق أنها لما أسلمت قال لها سليمان اختارى رجلا من قومك أزوجكه فقالت ومثلى ينكح وقد كان لى من الملك والسلطان ما كان فقال لها ما ينبغى أن تحرّمى ما أحل الله لك فزوّجها ذا تبع ملك همدان وملكه اليمن وردها معه فلم يزل ملك اليمن حتى مات سليمان وكانت بلقيس من بيت المملكة قيل انه ولدها أربعون ملكا واختلف فى أمها فقيل انسية وقيل جنية (وأما عرشها) وهو سريرها فقيل كان طوله ثمانين ذراعا وعرضه كذلك وكان عرشها صفائح من ذهب وفضة قد ركبت فيه فصوص الياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر والدر واللؤلؤ وكان له قائمتان من ياقوت وقائمتان من زبرجد والملك لله وحده الذى سخر لسليمان هذا الملك العظيم ومن أحضر له هذا العرش العظيم قبل رجع الطرف

والزباء بملكها ورابعة بنسكها

* وذكر الحريرى فى الدرة أن صواب لفظ بلقيس أن تكسر باؤه لان كل أعجمى يعرب فقياسه أن يلحق بامثلة كلام العرب قال وعلى ذلك بلقيس وقرأت فى أخبار سيف الدولة أن الخالديين مدحاه فبعث اليهما وصيفا ووصيفة مع كل واحد منهما بدرة وتخت من ثياب مصر والشأم فكتبا اليه

لم يغد شكرك فى الخلائق مطلقا * الا ومالك فى النوال حبيس
خولتنا شمسا وبدرا أشرقت * بهما لدينا الظلمة الحندس
رشأ أتانا وهو حسنا يوسف * وغزالة هى بهجة بلقيس
هذا ولم تقنع بذاك وهذه * حتى بعثت المال وهو نفيس
أتت الوصيفة وهى تحمل بدرة * وأتى على ظهر الوصيف الكيس
وكسوتنا مما أجادت حوكه * مصر وزادت حسنه تنيس
فغدا لنا من جودك المأكول وال‍ * ‍مشروب والمنكوح والملبوس

فلما قرأها سيف الدولة قال احسنا الا فى لفظ المنكوح اذ ليست مما يخاطب بها الملوك وهذا من بديع نقده المليح وشواهد ذكائه الصريح (وأما الزباء) فقد تقدّم ملكها فى الرابعة والعشرين (وأما رابعة) فهى بنت اسمعيل العدوية وكانت قد بلغت من النسك والفضل والزهد منزلة

(مناقب رابعة العدوية)

شريفة وكانت منورة البصيرة مطهرة السريرة حظيت بالمكاشفات الربانية وكان سفيان الثورى يذهب اليها ويسألها عن مسائل دينية ويعتمد عليها وخطبها عبد الواحد بن زيد فقالت له بعد أن حجبته أياما ثم أذنت له يا شهوان أى شئ رأيته فىّ من آية الشهوة الا خطبت شهوانية مثلك وقال أبو سليمان الدارانى بت ليلة عند رابعة العدوية فقامت الى محراب لها وقمت الى ناحية من البيت فلم تزل قائمة الى السحر فقلت ما جزاء من قوانا على قيام هذه الليلة قالت جزاؤه أن نصوم له غدا * وزارها أصحابها فذكروا الدنيا وأقبلوا على ذمها فقالت اسكتوا عن ذمها فلولا موضعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها ألا من أحب شيئا أكثر من ذكره واحتاجت رابعة الى شئ فقيل لها لو بعثت الى فلان قريب لها فقالت والله لا أطلب الدنيا ممن يملكها فكيف ممن لا يملكها وحدّث جعفر بن سليمان قال أخذ بيدى سفيان الثورى فقال لى سر بى الى المؤدّبة التى لا أجدنى أستريح اذا فارقتها يعنى رابعة قال فلما دخلت عليها رفع سفيان يديه وقال اللهم انى

أسألك السلامة فبكت رابعة فقال لها ما يبكيك فقالت أنت عرضتني للبكاء فقال لها وكيف ذلك فقالت أما علمت أن السلامة من الدنيا ترك ما فيها فكيف وأنت متلطخ بها وقال سفيان الثورى لرابعة رحمة الله عليهما ما حقيقة ايمانك قالت ما عبدته خوف النار ولا رجاء الجنة فأكون كالاجير السوء بل عبدته حباله وشوقا اليه وقالت فى معنى ذلك

أحبك حبين حب الهوى * وحبا لانك أهل لذاك
فاما الذى هو حب الهوى * فشغلى بذكرك عمن سواك
وأما الذى أنت أهل له * فكشفك لى الحجب حتى أراك
فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى * ولكن لك الحمد فى ذا وذاك

وقيل لها كيف حبك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت شغلنى حب الخالق عن حب المخلوقين ودخل سفيان عليها وهى قائمة تصلى فلم تعرج عليه ودخل جعفر وكان يخدمها فقال لسفيان أى شئ دار بينك وبينها قال ما كلمتنى فقال لها ياسبحان الله الشيخ جاء اليك فما كلمتيه فقالت ان العبد اذا كان مقبلا على الله عز وجل كان الله مقبلا عليه وقد كنت مقبلة على الله عز وجل ولست أشك فى اقباله على فأيما أحب اليك أن اكون مقبلة على الله ويكون مقبلا على أو أقبل على هذا ثم قالت الله أكبر وقال لها رجل انى أحبك فى الله فقالت فلا تعص الذى أحببتنى له وأنشدت

أتضمن يافتى ترك المعاصى * وأرهنه الكفالة بالخلاص
أطاع الله قوم فاستراحوا * ولم يتجرعوا غصص المعاصى

وخندف بفخرها

(* ذكر خندف) *

(وأما خندف) فهى ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وهى امرأة الياس بن مضر ولدت منه عمرا وهو مدركة وعامرا وهو طابخة وعميرا وهو قمعة فندت لهما ابل فخرجوا فى طلبها فأدركها عمرو فسمى مدركة واقتنص عامر أرنبا فطبخها فسمى طابخة وانقمع عمير فى بيته فسمى قمعة فلما أبطؤا عليها خرجت فى اثرهم فقالت مازلت أخندف فى اثركم فلقبت خندف والخندفة الهرولة وهى ام عرب الحجاز وجميع ولد الياس من خندف ولخندف ينسبون وجميع ولد مضر من الياس وخندف فمن مدركة كنانة واسد ابنا خزيمة ومن طابخة ضبة بن طابخة ومزينة والرباب وهم عدى وتيم بن مر بن أد بن طابخة وثور وعكل بن مدركة وقريش وهو فى كنانة * ومنها سيد ولد آدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما فى كنانة من الشجعان المشاهير فى الجاهلية ومن طابخة تميم وهى أكبر قبيلة فى العرب واشجعها وهى عدد لا يحصى وعز لا يدرك وقال المنذر بن ماء السماء ذات يوم وعنده وفود قبائل العرب ودعا ببردين فقال ليلبس هذين البردين أكرم العرب وأشرفهم حسبا وأعزهم قبيلة فأحجم الناس فقام الاحمر بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم فلبس احدهما وارتدى الآخر فقال له المنذر ما حجتك فيما ادعيت قال الشرف من نزار فى مضر ثم فى تميم ثم فى سعد ثم فى بهدلة قال هذا انت فى اصلك فكيف انت فى عشيرتك قال انا ابو عشرة وعم عشرة وخال عشرة قال هذا انت فى عشيرتك فكيف انت فى نفسك فقال شاهد العين شاهدى ثم قام فوضع قدمه فى الارض وقال من ازالها فله مائة من الابل فلم يقم اليه احد وفى ذلك يقول الفرزدق

فا

فبا ثم في سعد ولا آل مالك * غلام اذا ما قيل لم يتبهدل
لهم وهب النعمان بردى محرّق * بمجد معدّ والعديد المحصل

فلخندف هذا الفخر في الجاهلية ثم النبوّة ثم الملك الى يوم القيامة وفيها يقول الراجز * وخندف هامة هذا العالم *(واما الخنساء) فهي تماضر بنت عمرو بن الشريد من سراة قبائل سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها بني سليم ولسليم في الاسلام سابقة حسنة حضر منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحرب حنين ألف رجل وذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستنشد الخنساء و يعجبه شعرها فكانت تنشده وهو يقول هيه يا خنساء ونظرتها عائشة رضي الله عنها وعليها صدار من شعر فقالت يا خنساء أتلبسين الصدار وقد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لم اعلم بنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان للصدار سبب كان زوجي رجلا متلافا فأملق وأراد ان يسافر فقلت له أقم حتى آتي اخي صخرا فأتيته فشاطرني ماله فأتلفه زوجي فعدت اليه فعاد بمثل ذلك فاتلفه زوجي فعدت اليه في الثالثة والرابعة فقالت له زوجته ان هذا المال متلف فامنحها شرار مالك فقال *(ذكر الخنساء)*

والله لا أمنحها شرارها * وهي حصان قد كفتني عارها
ولو هلكت خرّقت خمارها * واتخذت من شعرها صدارها

فلما هلك اتخذت هذا الصدار وقيل لجرير من اشعر الناس قال انا لولا هذه الفاعلة يعني الخنساء قيل له فبم فضلتك قال بقولها

ان الزمان وما تفنى عجائبه * أبقى لنا ذنبا واستؤصل الراس
أبقى لنا كل مجهول وفجعنا * بالحالمين فهم هام وأرماس
ان الجديدين في طول اختلافهما * لا يفسدان ولكن يفسد الناس

فأجمع علماء الشعر انه لم تكن قط امرأة قبلها ولا بعدها اشعر منها وكان النابغة الذبياني يجلس لشعراء العرب بعكاظ على كرسيّ ينشدونه فيفضل من يرى تفضيله فانشدته في بعض المواسم فأعجب بشعرها وقال لها والله لولا ان هذا الاعمى انشدني قبلك يعني الاعشى لفضلتك على شعراء هذا الموسم وكان بشار يقول لم تقل امرأة شعرا الا ظهر الضعف فيه فقيل له أوكذلك الخنساء فقال تلك كان لها اربع خصى ومن جيد ما رثت به صخرا قولها والخنساء بشعرها في صخرها

ألا يا صخر ان أبكيت عيني * لقد أضحكتني دهرا طويلا
بكيتك في نساء معولات * وكنت أحق من أبدى العويلا
دفعت بك الجليل وأنت حيّ * فمن ذا يدفع الخطب الجليلا
اذا قبح البكاء على قتيل * رأيت بكاءك الحسن الجميلا

ومنه

يؤرقني التذكر حين أمسي * ويردعني عن الاحزان نكسي
على صخر وأيّ فتى كصخر * ليوم كريهة وطعان حلس
ولم أر مثله رزأ لجن * ولم أر مثله رزأ لانس
يذكرني طلوع الشمس صخرا * وأبكيه لكل غروب شمس

ولولا كثرة الباكين حولى * على اخوانهم لقتلت نفسى
وما يكون مثل أخى ولكن * أعزى النفس عنه بالتاسى

ومنه أيضا
أبعد ابن عمرو من آل الشريـ * ـد حلت به الارض أثقالها
لعمر أبيه لنعم الفتى * اذا النفس أعجبها مالها
فان تك مرة أودت به * فقد كان يكثر تقتالها
نحر الشوامخ من فقده * وزلزلت الارض زلزالها

ومنه أيضا
أعينى جودا ولا تجمدا * ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الجرىء الجميل * ألا تبكيان الفتى السيدا
طويل النجاد رفيع العما * دساد عشيرته أمردا

ومنه أيضا
تعرقنى الدهر نهشا وحزا * وأوجعنى الدهر قرعا وغمزا
وأفنى رجالى فبادوا معا * فأصبحت من بينهم مستفزا
كأن لم يكونوا حمى يتقى * اذا الناس اذ ذاك من عز بزا
وكانوا سراة بنى مالك * وفخر العشيرة مجدا وعزا
جززنا نواصى فرسانها * وكانوا يظنون ان لا تجزا
ومن ظن ممن يلاقى الحرو * ب أن لا يصاب فقد ظن عجزا

ومنه أيضا
يا صخر وارد ماء قد تبادره * أهل المياه وما فى ورده عار
مشى السبنتى الى هيجاء معضلة * له سلاحان انياب وأظفار
وما عجول على بو تحن له * لها حنينان اعلان واسرار
ترتع ما غفلت حتى اذا ادكرت * فانما هى اقبال وادبار
يوما بأوجع منى حين فارقنى * صخر فللدهر احلاء وامرار
وان صخرا لوالينا وسيدنا * وان صخرا اذا نشتو لنحار
وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم فى رأسه نار

وحدث المفضل قال كنت جالسا يوما على باب منزلى أحتاج الى درهم واحد وعلى دين عشرة آلاف درهم اذ جاءنى رسول المهدى فقال أجب أمير المؤمنين فقلت فى نفسى وما بعثته الى لعل ساعيا سعى بى عنده ثم دخلت منزلى ولبست ثيابى وسرت اليه فلما مثلت بين يديه أومأ الى بالجلوس فلما سكن جاشى قال لى يا مفضل ما أفخر بيت قالته العرب فارتج على ساعة ثم قلت يا أمير المؤمنين قول الخنساء فاستوى جالسا وكان متكئا فقال أى فقلت قولها

* وان صخرا لتأتم الهداة به * البيت فقال قد قلت له فأبى على وأومأ الى اسحق بن بزيع قلت الصواب مع أمير المؤمنين ثم قال يا مفضل حدثنى فحدثته حتى انتصف النهار قال أنشدنى فأنشدته قول الحسن بن مطير الاسدى

وقد تغدر الدنيا فيضحى غنيها * فقيرا ويثرى بعد بؤس فقيرها
وكم قد رأينا من تغير عيشة * وأجرى صفاء بعد كدر غديرها
فلا تقرب الامر الحرام فانه * حلاوته تفنى ويبقى مريرها

وكان

وكان المهدى رقيقا فبكى وقال يا مفضل كيف حالك فقلت كيف يكون حال من عليه عشرة آلاف درهم وليس معه منها درهم واحد قال يا اسحق أعطه عشرة آلاف درهم قضاء لدينه وعشرة آلاف درهم يستعين بها على حاله وعشرة آلاف درهم يصلح بها من شانه ورأى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الخنساء تطوف بالبيت محلوقة الرأس تبكى وتلطم خدها وقد علقت نعل صخر فى خمارها فوعظها فقالت انى رزئت فارسا لم يرزأ أحد مثله فقال ان فى الناس من هو أعظم مرزأة منك وان الاسلام قد غطى ما كان قبله وانه لا يحل لك لطم وجهك ولا كشف رأسك فكفت عن ذلك وقالت

هريقى من دموعك واستفيقى * وصبرا ان أطقت ولن تطيقى
وقولى ان خير بنى سليم * وأكرمهم بصحراء العقيق
ألا هل ترجعن لنا الليالى * وأيام لنا بلوى الشقيق
واذ فينا معاوية بن عمرو * على أدماء كالجمل الفنيق
فنبكيه فقد أودى حميدا * أمين الرأى محمود الصديق
فلا والله لا تسلوك نفسى * لفاحشة أتيت ولا عقوق
ولكنى رأيت الصبر خيرا * من النعلين والرأس الحليق

وأما أبو العباس المبرد فقال وقالت الخنساء ترثى أخاها معاوية بن عمرو وكان أخاها لابيها وكان أحبهما اليها واستحق ذلك لامور منها انه كان موصوفا بالحلم مشهورا بالجود معروفا بالتقدم والشجاعة محظوظا فى العشيرة ثم أنشد الابيات المتقدمة وكان صخر أجمل رجل فى العرب وكان سبب قتله انه جمع جمعا وأغار على بنى أسد بن خزيمة فنذروا به والتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فارفض أصحاب صخر عنه فطعنه ربيعة بن ثور الاسدى فأدخل جوفه حلقا من الدرع فاستعل منها وسار الى أهله فاندمل عليه الجرح وتأمنه مثل اليد فأضناه ذلك حولا فسمع سائلا يقول لامرأته كيف صخر اليوم فقالت لاحى فيرجى ولا ميت فينعى ولقد لقينا منه الامرين وامرأته بديلة الاسدية وكان سباها من بنى أسد واتخذها لنفسه فلما سمع قولها علم أنها برمت منه ورأى تحزن أمه عليه فقال

أرى أم صخر لا تجف دموعها * وملت سليمى مضجعى ومكانى
وما كنت أخشى أن أكون جنازة * عليك ومن يغتر بالحدثان
أهم بامر الحزم لو أستطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان
لعمرى قد نبهت من كان نائما * وأسمعت من كانت له أذنان
فأى امرئ ساوى بام حليلة * فلا عاش الا فى شقا وهوان

ثم عزم على قطع ذلك الموضع فلما قطعه يئس من نفسه فقال

أجارتنا ان الخطوب قريب * على الناس كل المخطئين تصيب
أجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

فلما مات دفن فى أرض بنى سليم بقرب عسيب وحضرت الخنساء القادسية مع بنيها وهم أربعة رجال فقالت لهم من أول الليل يا بنى انكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين والله الذى لا اله الا هو

انكم لبنو رجل واحد كما انكم بنو امرأة واحدة ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم وقد تعلمون ما أعدّ الله تعالى للمؤمنين من الثواب الجزيل فى حرب الكافرين واعلموا ان الدار الآخرة خير من الدار الفانية يقول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون فاذا أصبحتم غدا ان شاء الله سالمين فاغدوا لقتال عدوّكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها وجللت نارا على أوراقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رسيسها تظفروا بالغنم والكرامة فى دار الخلد والمقامة فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم فتقدّموا واحدا بعد واحد ينشدون أراجيز يذكرون فيها وصية العجوز لهم حتى قتلوا عن آخرهم فبلغها الخبر فقالت الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر الرحمة * وكان عمر بن الخطاب يعطيها أرزاق بنيها الاربعة وكان لكل منهم مائتا درهم حتى قبض رضى الله تعالى عنه (قوله قعيدة رحلى) أى امرأة بيتى وناقة (طروقة) بلغت أن يطرقها الفحل و(انفت) استنكفت وكرهت (تذمرت) غضبت وتذمر الرجل اذا رأى ما يكرهه فغضب وتهدد والذمر اللوم والحض وذمر قائد الجيش أصحابه يذمرهم اذا لامهم وأسمعهم ما يكرهون ليجدّوا فى القتال (تنمرت) تغيرت وتشبهت بالنمر ولا يوجد النمر الا مستنكرا غضبانا ونمر الرجل وتنمر تنكر وتغير (حسرت عن ساعدها) شمرت عن ذراعها (أطيش) أخف والطيش خفة العقل (والطامر) البرغوث يقال له طامر بن طامر * قال الاصمعى كنت بالبادية فرأيت أعرابيا قد بسط كساءه ليفليه فى الشمس فوقفت أنظر اليه فجعل يأخذ البراغيث ويدع القمل فقلت له لم تأخذ بعضا وتدع بعضا فقال أبدأ بالفرسان ثم أعكر على الرجالة * سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يسب برغوثا فقال لا تسبه فانه نبه نبيا من الانبياء لصلاة الفجر * أبو الدرداء رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اذاك البراغيث فخذ قدحا من ماء واقرأ عليه سبع مرات ومالنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا الى قوله المتوكلون فان كنتم مؤمنين فكفوا شركم واذاكم عنا ثم ترش الماء حول فراشك فانك تبيت الليلة آمنا من شرها (شنارك) عيبك وعارك (تفرى) تقطع وفرى يستعمل فى القطع على جهة الاصلاح وقد جاء هنا فى الافساد ومنه قول الشاعر

فرى نائبات الدهر بينى وبينها * وصرف الليالى مثل مافرى الجلد

ابن سيده فرى الشئ يفريه فريا وفرّاه تفرية كلاهما شقه وأفسده وأفراه أصلحه والمتقنون من أهل اللغة يقولون فرى شق للافساد وأفرى للاصلاح وقيل افراه أفسده وفراه قطعه للاصلاح قال الاصمعى رحمه الله أفرى الجلد مزقه وأفسده يفريه افراء وفرى المزادة يفريها فريا خرزها و(القلامة) ما يقص من الظفر وبها يتعلق وسخه فهى مع حقارتها مستقذرة

(ذكر أبى دلامة)

*وأما (أبو دلامة) فاسمه زند بالنون ابن الجون وهو كوفى أسود مولى لبنى أسد أدرك آخر أيام بنى أمية ونبغ فى أيام بنى العباس ومدح السفاح والمنصور والمهدى وكان صاحب نوادر وملح وكان خليعا فاسد الدين ردئ المذهب وقد تقدم له شئ من ذلك فى الصلاة والحج ونذكر له ههنا شيأ فى الصيام ونضيف له فنونا من سائر ملحه * وأما بغلته فكانت جامعة لعيوب الدواب كلها وكانت أشوه الدواب خلقة فى منظر العين وأسوأها خلقا فى مخبرها فكان اذا ركبها تبعه

لأنفت أن تكونى
قعيدة رحلى وطروقة فحلى
قال فتذمرت المرأة وتنمرت
وحسرت عن ساعدها
وشمرت وقالت له يا ألأم
من مادر وأشأم من قاشر
وأجبن من صافر وأطيش
من طامر أترمينى بشنارك
وتفرى عرضى بشفارك
وأنت تعلم أنك أحقر من
قلامة وأعيب من بغلة
أبى دلامة

الصبيان يتضاحكون به وكان يقصد ركوبها فى مواكب الخلفاء والكبراء ليضحكهم بشماسها حتى نظم فيها قصيدته المشهورة وهى

أبعد الخيل أركبها كراما * وبعد الفره من حضر البغال
رزقت بغيلة فيها وكال * وليته لم يكن غير الوكال
رأيت عيوبها كثرت وليست * وان أكثرت ثم من المقال
لحصى منطق وكلام غيرى * عشير خصالها شر الخصال
فأهون عيبها أنى اذا ما * نزلت وقلت إمشى لا تبالى
تقوم فما تبت هنالك شبرا * وترمحنى وتأخذ فى قتالى
وانى ان ركبت اذيت نفسى * بضرب باليمين وبالشمال
وبالرجلين أركضها جميعا * فبالك فى الشقاء وفى الكلال
أتانى خائب يستام منى * عريق فى الخسارة والضلال
وقال تبيعها قلت ارتبطها * بحكمك ان بيعى غير غال
فاقبل ضاحكا نحوى سرورا * وقال أراك سهلا ذا جمال
هلم الى يخلوبى خداعا * وما يدرى الشقى بمن يخالى
فقلت بأربعين فقال أحسن * الى فان مثلك ذو سجال
فاترك خمسة منها لعلمى * بما فيه يصير من الخبال
فلما ابتاعها منى وبتت * له فى البيع غير المستقال
أخذت بثوبه أبرأت مما * أعد عليه من سوء الخلال
برأت اليك من مشيى يديها * ومن جرد ومن بلل المخالى
ومن فتق بها فى البطن ضخم * ومن عقالها ومن انفتال
ومن قطع اللسان ومن بياض * بعينيها ومن قرض الحبال
ومن عض الغلام ومن خراط * اذا ماهم صحبك بارتحال
وأقطى من فريخ الذرمشيا * بها عرن وداء من سلال
وتكسر سرجها أبدا شماسا * وتقمص للاكاف على اغتيال
ويدبر ظهرها من مس كف * وتهزم فى الجمام وفى الجلال
تظل لركبة منها وقيذا * يخاف عليك من ورم الطحال
ومشغار تقدم كل سرج * تصير دفتيه على القذال
وتحفى لو تسير على الحشايا * ولو تمشى على دمث الرمال
اذا استعجلتها عثرت وبالت * وقامت ساعة عند المبال
وتضرط أربعين اذا وقفنا * على أهل المجالس للسؤال
فتقطع منطقى وتحول بينى * وبين حديثهم فيما توالى
وتذعر للدجاجة اذتراها * وتنفر للصغير وللخيال
فأما الاعتلاف فادن منها * من الاتبان أمثال الجبال

وأما القت فأت بالف وقت * باعظم حمل احمال الجمال
فلست بعالف منها ثلاثا * وعندك منه عود للخلال
وان عطشت فأوردها دجيلا * اذا أوردت أونهرى بلال
فذالك ريها سقيت حميا * وان مد الفترات فللنهال
وكانت قارحا أيام كسرى * وتذكر تبعا عند الفصال
وقد دبرت ونعمان صبي * وقبل فصاله تلك الليالى
وتذكر اذ نشا بهرام جور * وعامله على خرج الجوالى
وقد مرت بقرن بعد قرن * وآخر عهدها لهلاك مالى
فابدلني بها يارب طرفا * يزين جمال مشيته جمالى

وأنشدها المهدى فقال لقد أقلت من بلاء عظيم فقال والله يا أمير المؤمنين لقد مكثت شهرا أتوقع صاحبها أن يردها فقال المهدى لصاحب دوابه خيره بين مركبين فى الاصطبل فقال ان كان الاختيار الى فقد وقعت فى شر من البغلة ولكن مره يختر لى ففعل وفى القصيدة ألفاظ من الغريب أبينها فنها يقال واكات الدابة وكالا أساءت السير ورمحت ترمح ضربت برجليها والمشش داء فى قوائمها والجرد استرخاء العصب والعقال أن تنقبض القوائم ولا تنبعث والخراط الجماح والعرن حكة وشقاق فى القوائم وقد عرن عرنا وقمص يقمص ويقمص قمصا وقماصا رفع يديه معا وطرحهما معا وعجن بيديه وقطا يقطو قارب الخطو وكان لابى دلامة برذون أعجف محطم هرم فدخل على المهدى يوما وبين يديه سلمة الوصيف فقال يا أمير المؤمنين انى جلبت لبابك مهرا ليس لاحد مثله واحببت أن اهديه لك فان احببت ان تشرفنى بقبوله فامر بادخاله فخرج وادخل برذونه فقال له المهدى اى شىء هذا ويلك الم تزعم انه مهر فقال له ابو دلامة اوليس هذا سلمة الوصيف قائما بين يديك تسميه الوصيف وله ثمانون سنة فان كان سلمة وصيفا فهذا مهر فجعل المهدى يضحك وسلمة يشتمه فقال له المهدى ويلك ان لهذه اخوات والله ليفضحكن بك فى المحافل فقال والله يا امير المؤمنين لافضحنه فليس فى مواليك احد الا وقد وصلنى غيره فما شربت الماء له قط فحكم عليه المهدى ان يشترى نفسه بثلاثة آلاف درهم فقال له سلمة على أن لا تعاود فقال ابو دلامة افعل فحملها اليه ومما ينتظم بهذا النمط ان محمد بن عبيد الله بن خاقان حمل ابا العيناء على فرس فكتب الى ابيه اعلم الامير اعزه الله ان ابا محمد اراد ان يبرنى فعقنى وان يركبنى فارجلنى امر لى بدابة تقف للنبرة وتعثر بالبعرة كالقضيب اليابس عجفاء وكالمهجور البائس دنفاء قد اذكر الرواة عروة العذرى والمجنون العامرى مباعد اعلاه لاسفله حباقه مقرون بسعاله فلو أمسك لترجيت ولو افرد لتعزيت ولكنه يجمعها فى الطريق المعمور والمجلس المشهور كأنه خطيب مرشد اوشاعر منشد يضحك من فعله النسوان ويتناعى من اجله الصبيان فمن صائح يصيح داوه بالطباشير ومن قائل يقول نق له الشعير قد حفظ الاخبار وروى الاشعار ولحق العلماء فى الامصار فلو اعين بنطق لروى بحق وصدق عن جابر الجعفى وعامر الشعبى ولم أوت من امر الامير أعزه الله وانما أتيت من كاتبه الاعور الذى اذا اختار لنفسه اصاب واكثر واذا اختار لغيره اخبث وانزر فان رأى الامير ان يبدلنى ويريحنى بمركوب يضحكنى كما اضحك منى يعو

بحسنه وفراهته ماسطره العيب بقبحه ودناءته ولست اذكر سرجه ولجامه لان الامير اكرم من ان يسلب مايهديه و ينقص مايمضيه فوجه اليه ببرذون بسرجه ولجامه ثم اجتمع بابنه محمد عنده فقال له عبد الله شكوت دابة محمد وقد أخبرني انه يشتريه الا ّن منك بمائة دينار وهذا ثمنه لا يؤخر عنك فقال أعز الله الوزير لولم اكذب مستزيدا لم أذهب مستفيدا واني واياه لكما قالت امرأة العزيز انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين (وقال ابن رشيق في بغل)

أوصيك بالبغل شرا * فانه ابن الحمار

لا يصلح البغل الا * للكد والاسفار

كالعبد ان لم تهنه * جنى على الاحرار

مااعتاض بغلا بطرف * الا أخو ادبار *

وله أيضا فيه

فاوصيكمو بالبغل شرا فانه * من العير في سوء الطباع قريب

وكيف يجيء البغل يوما بحاجة * تسر وفيه للحمار نصيب

وله من قصيدة

أو بغلة سفواء تعرض للفتى * فتخال تحت السرج أم غزال

سألت الى الام النجابة من أب * وزهت على الاعمام والاخوال

وكأنها قد أفرغت في قالب * لأنها خلقت على تمثال *

وله من قصيدة ايضا

كأني بعض نجوم السماء * تصعد في الجو ثم انحدر

على رسلة من هبات الملو * ك سفواء ململمة كالحجر

تعاون في جدل أعضائها * بنو أحذر وبنات الاغر

ولمحمد بن بشر الخارجي في بغلة

نزعت عن الخيل العتاق نجارها * منها وعتق سوالف ولبان

ولها من الاعيار عند مسيرها * قحة وطول صبارة ومران

رجعنا الى أخبار أبي دلامة * يحكى أن المهدي أو المنصور انشده ما أعجبه فكساه طيلسانا وأمر له بمال وعاهده أن لا يشرب الخمر فحلف له وخرج الى بني داود بن علي فضحكوا به وقص عليهم خبره فسقوه حتى أسكروه وأخرجوه فأعلم المهدي الخبر فأرسل فيه وأمر الرسول بسجنه وتخريق ساجه وأن لا يمكن من قرطاس ولا مداد ففعل به الرسول ذلك فاتبه في جوف الليل فنادى جاريته فقال له السجان طعنة في كبدك فقال له ويلك من أنت وأين أنا فقال له سل نفسك أين كنت عشاء أمس فاستحلفه من أنت فقال أنا السجان بعث بك أمير المؤمنين وأنت سكران فأمرني أن أحبسك مع الدجاج فقال أحب أن تسرج لي سراجا وتأتيني بدواة وقرطاس ولك عندي صلة فقال له أما السراج فنعم وأما القرطاس والدواة فقد أمرت أن لا أمكنك منهما فلما أتاه بالسراج وجد ساجه مخرقا ملطخا بزبال الدجاج ورأى نفسه جالسا بينها فقال له ادع لي ابي دلامة فدعاه فأمره أن يجيد حلاقة رأسه وأن يأتيه بفحمة ففعل فكتب على

رأس ابنه

أمن صهباء صافية المزاج * كأن شعاعها لهب السراج
تهش لها القلوب وتشتهيها * اذا برزت ترقرق فى الزجاج
أقاد الى السجون بغير جرم * كأنى بعض عمال الخراج
ولو معهم حبست لكان خيرا * ولكنى حبست مع الدجاج
أمير المؤمنين فدتك نفسى * ففيم حبستنى وخرقت ساجى
على أنى وان لاقيت شرا * لخيرك بعد ذاك الشر راجى

ثم قال يا أمير المؤمنين هذه أمانة فاذا قرأتها فزق الرقعة ثم أمر دلامة أن يدخل على أمير المؤمنين ويقرئه ما فى رأسه فاتى الباب وصاح دعوة المظلوم فعلم أمير المؤمنين بمكانه فأمر باد خاله فكشف رأسه وقال ان ظلامتى مكتوبة فى رأسى فأدنى منه حتى قرأها فاشتد ضحكه وعجب من حيلته وأمر باخراجه وقال ما كان أحوج هذه الرقعة ان تمزق ثم وصله بصلة ونهاه أن يوجد سكران * وخرج المهدى يتصيد ومعه على بن سليمان فسنح له قطيع من الظباء فارسلت الكلاب وأجريت الخيل فرمى المهدى سهما فصرع ظبيا ورمى على بن سليمان سهما فصرع كلبا فقال أبو دلامة

قد رمى المهدى ظبيا * شق بالسهم فؤاده
وعلى بن سليما * ن رمى كلبا فصاده
فهنيأ لهما كل امرئ يأكل زاده

فضحك المهدى حتى كاد يسقط ومن ملحه أنه دخل على المهدى وعنده وجوه بنى هاشم فقال أنا أعطى الله عهدا لئن لم تهج واحدا ممن فى البيت لاقطعن لسانك فنظر الى القوم فكلما نظر الى واحد غمزه بان عليه رضاه قال فعلمت أنى وقعت وانها عزمة من عزماته لا بد منها فلم أر أدعى الى السلامة من هجاء نفسى فقلت

الا أبلغ لديك أبا دلامه * فليس من الكرام ولا كرامه
اذا لبس العمامة قلت قرد * وخنزيرا يكون بلا عمامه
جمعت دمامة وجمعت لؤما * كذاك اللؤم تتبعه الدمامه
فان تك قد أصبت نعيم دنيا * فلا تفرح فقد دنت القيامه

فضحكوا ولم يبق أحد الا أجازه وخرجت له صبية فأخذها على كتفه فبالت عليه فرمى بها وقال

بلت على لا حييت ثوبى * فبال عليك شيطان رجيم
فما ولدتك مريم أم عيسى * ولا رباك لقمان الحكيم
ولكن قد تضمك أم سوء * الى لباتها وأب لئيم *

ولما خرجت الخيزران الى الحج تلقاها فصاح الله الله فى أمرى فسألته عن أمره فقال انى شيخ كبير وأجرك فى عظيم تهبين لى جارية تؤنسنى وترفق بى وتريحنى من عجوز عندى قد أكلت رفدى وأطالت كدى وقد عزف جلدها جلدى وتمنيت بعدها وتشوقت فقدها فوعدته بها فلما جاءت من الحج دخل على أم عبيدة حاضنة موسى وهرون فدفع اليها رقعة فدفعتها الى الخيزران

وفيها أبلغي سيدتي ان * شئت يا أم عبيده
أنها ارشدها الله وان كانت رشيده
وعدتني قبل أن تخرج للحج وليده
انني شيخ كبير * ليس في بيتي قعيده
غير عجفاء عجوز * ساقها مثل القديده
وجهها أقبح من حو * ت طري في عصيده
ماحياتي مع أنثى * مثل عرسي بحميده

فضحكت واستعادت حوتا في عصيدة وهي تضحك ثم قالت للجارية خذي ما عندك في قصري وامشي اليه فلما بلغها الرسول منزله لم يجده فدفعها الى امرأته ودخل دلامة وأمه تبكي فسألها فأخبرته وقالت ان أردت يوما من الدهر فاليوم قال لها قولي ما شئت أفعله قالت تدخل اليها وتعلمها أنك مالكها فتطؤها فتحرم عليه والا شغلته بخفافي وجفالي ففعل وجاء أبو دلامة فسألها عنها فقالت هي في ذلك البيت فدخل يمد يده اليها وذهب ليقبلها فرأت شيخا محطما قبيح الوجه فقالت تنح والا لطمتك لطمة دققت بها انفك فقال وبهذا أوصتك سيدتك فقالت انها بعثتني الى فتى من صفته كذا وكذا وقد نال حاجته مني آنفا فعلم أنه دهاه من دلامة وأمه فخرج ولطمه ولببه وحلف أن لا يفارقه الا الى المهدي فمضى على تلك الحالة حتى دخل الى المهدي فقال له ما بالك ويحك فقال له عمل بي هذا ابن الخبيثة مالم يعمله أحد بأبيه ولا يرضيني الا أن تقتله وأخبره الخبر فضحك المهدي حتى استلقى وأبو دلامة يقول يعجبك فعله فتضحك منه فقال علي بالسيف والنطع فقال دلامة اسمع حجتي يا أمير المؤمنين كما سمعت حجته فقال هات فقال هذا الشيخ أصفق الناس وجها وهو ينيك أمي منذ أربعين سنة فما غضبت ونكت جاريته مرة واحدة فغضب فضحك المهدي أشد من ضحكه الاول فقال دعها له وأنا أعطيك خيرا منها فقال على أن تخبأها بين السماء والارض والا ناكها كما ناك هذه وحلف لدلامة ان عاد ليقتلنه *وجاء دلامة لابيه في محفل وجلس بين يديه وقال للجماعة ان شيخي كما ترون قد كبر سنه ورق جلده ودق عظمه وبنا الى حياته حاجة وأنا لا أزال أشير عليه بشيء يمسك رمقه ويبقي قوته فيخالفني وأرغب اليكم أن تسألوه قضاء حاجة فيها اصلاح جسمه فقالوا حبا وكرامة فأخذوا أبا دلامة بألسنتهم فقال قولوا له الخبيث فليقل ما يريد فستعلمون أنه لم يات الا ببلية فقال انما يقتله كثرة النيك ولا يدفعه عنه الا الخصاء فتعاونوني عليه حتى أخصيه فضحكوا منه كثيرا وقالوا لابيه قد سمعت فما عندك فقال قد عرفتكم انه لم يأت بخير وقد جعلت أمه حكما بيني وبينه فقوموا اليها فدخلوا عليها وقصوا القصة عليها فأقبلت على الجماعة وقالت ان ابني أبقاه الله قد نصح أباه وبره وأنا الى بقاء أبيه أحوج منه اليه الا ان هذا الامر لم تقع فيه تجربة عندنا ولا جرت به عادة وهو قد ادعى معرفة ذلك فليبدأ بنفسه فليخصها فاذا عوفي ورأينا ذلك قد أبقى عليه أثرا محمودا استعمله أبوه على علم فجعل القوم يضحكون ويعجبون من اتفاقهم في الخبث وأمره المهدي أن يلزم المسجد في رمضان وقال له ان تأخرت فلشرب الخمر ولئن علمت ذلك لاقتلنك فشق عليه ذلك وتشفع اليه بكل انسان فلم يشفعه فأدخل الى ريطة رقعة وكان المهدي لا يخالفها وفيها

أبلغا ريطة أني * كنت عبدا لابيها
* فمضى يرحمه الله وأوصى بي اليها
جاء شهر الصوم يمشي * مشية لا أشتهيها
قائدا لي ليلة القدر * كأني أشتهيها
تنطح القبلة شهرا * جبهتي لا تأتليها
فاطلبي لي فرجا منـ * ـها وأجرى لك فيها

فضحكت وقالت يصبر حتى تمضي ليلة القدر فقال اذا مضت ليلة القدر في الشهر وكتب اليها

خافي الهك في نفس قد احتضرت * قامت قيامتها بين المصلينا
ما ليلة القدر من همي فأطلبها * انى أخاف المنايا قبل عشرينا
لا بارك الله في خير أؤمله * في ليلة بعد ما قمنا ثلاثينا
يا ليلة القدر قد كسرت أرجلنا * يا ليلة القدر حقا ما تمنينا

فلما قرأتها ضحكت ودخلت الى المهدي فشفعها فيه وأخباره كثيرة وعلى قوله جاء شهر الصوم قال أبو القاسم الثعالبي أنشدنيه الفقيه أبو الحسين بن زرقون

أشهر الصوم ما مثلـ * ـك عند الله من شهر
على انك حرمت * علينا لذة السكر
وقرع الكأس بالكأس * ورشف الثغر بالثغر
واني والذي شر * ف أوقاتك بالذكر
وما أمسي يصلي فيـ * ـك من شفع ومن وتر
لمسرور بأن تفنى * على أنك من عمري

وأفضح من حبقة في حلقة

وقال ابن المعتز

تجلى عشاء هلال الصيام * بنحس على الكأس والبربط
وكم من فتى راح بين القيا * ن نشوان ذا فرح مفرط
وكان نشيطا فلما رآ * ه هم بهم ولم ينشط
فأعرض عنه كما أعرضت * فتاة عن الجانب الاشمط

وقال ابن رشيق

لاح لي حاجب الهلال عشاء * فتمنيت أنني من سحاب
قلت اهلا وليس اهلا لما قلـ * ـت ولكن أسمعتها أصحابي
مظهرا حبه وعندي بغض * لعدو الكؤس والاكواب

(الحبقة) الضرطة و(الحلقة) جماعة الناس وربما تؤدي فضيحتها امام القوم أن يموت صاحبها غما وقد وجد ذلك وحبق أعرابي في جماعة فاستحيا فأشار نحو استه وقال انها خلف نطقت خلفا وذكر الحريري أن مطيع بن اياس ويحيى بن زياد وحمادا الراوية كانوا يشربون ذات يوم ومعهم نديم لهم فبرزت منه فلتة فخجل وغاب عنهم أياما فكتب اليه مطيع

أمن قلوص غدت لم يودها أحد * الا تذكرها بالرمل أوطانا

خان العقال لها فانبت اذ نفرت * وانما الذنب فيه للذي خانا
أظهرت منك لنا هجرا ومعتبة * وغبت عنا ثلاثا لست تغشانا
هون عليك فما في الناس ذو ابل * الاوأينقه يشردن أحيانا

دخل أبو الفضل بديع الزمان على الصاحب بن عباد ففرح به وأجلسه معه على سريره فحبق البديع حبقة منكرة ثم أراد أن ينفي عن نفسه التهمة فقال يا مولانا هذا صرير التخت فقال له بل صفير التحت فخرج البديع خجلا وانقطع عن الوصول اليه فكتب اليه الصاحب

قل للصفيري لاتذهب على خجل * من ضرطة أشبهت نايا على عود
فانها الريح لاتستطيع تدفعها * اذ لست أنت سليمان بن داود

واحبرمن بقة في حقة وهبك الحسن في وعظه ولفظه

تزوج اعرابي امرأة فلما دخل عليها عابثها فضرطت فخرجت غضبى الى أهلها وقالت والله لا أرجع اليه أو يفعل مافعلت فقال لها عودي لا أفعل فعادت فعابثها فضرطت أخرى فقال

طالبتني دينا قديما فلم * أقضك حتى زدت في قرضك
فلا تلوميني على مطله * ان كان ذا دأبك لم أقضك

قيل لاعرابي ماتقول في الضرطة فقال لا بأس بها ور بما سببت الضرطة وأنا راكع في الصلاة

قدم أبو علقمة الازدي على الفضل بن عبد الرحمن الهاشمي بالبصرة فقال الفضل لجلسائه اذا جلسنا على المائدة وأبو علقمة معنا فليضرط أحدكم ثم الآخر ثم الآخر وليكن بين كل ضرطتين فرجة فلما وضعت المائدة فعلوا ذلك فأخذ أبو علقمة المائدة وقام بها فقيل له الى أين يا أبا علقمة قال الى الكنيف فمن أراد منكم أن يخرأ كان قريبا وجلس ثقيل الى بشار فضرط بشار ضرطة منكرة فظن الرجل أنها فلتة فمشى في حديثه فضرط بشار ثانية وثالثة فقال له ماهذا يا أبا معاذ قال رأيت أو سمعت قال بل سمعت قال كل ماسمعت ريح لا تصدق حتى ترى

(قوله حقة) أي وعاء الطيب ويقال له حق والجمع حقاق وتبدل عامتنا من قافه كافا والروائح العطرة مضرة بهذه الهوام المنتنة وقد قال المتنبي

بذي الغباوة من انشادها ضرر * كما تضر رياح الورد بالجعل

(ترجمة الحسن البصري)

(قوله هبك) اي احسبك (وأما الحسن) فهو أبو سعيد بن أبي الحسن البصري وهو من التابعين ولد بالمدينة لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأمه اسمها خيرة وكانت مولاة لام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فكانت تعطيه ثديها اذا اشتغلت أمه فدر ثديها له باللبن فاظهر الله تعالى بركة ذلك اللبن عليه وأبوه مولى لامرأة من الانصار وقيل ان أبويه كانا مملوكين لرجل من بني النجار فتزوج امرأة في بني سلمة من الانصار فساقهما اليها من مهرها فاعتقتهما وكان احسن الناس لفظا وابلغهم وعظا وكان زاهدا عالما مقدما في العلم والدين على نظرائه من التابعين وكان الحجاج له معظما ومتعجبا من فصاحته ولم ينفك من مجلس وعظ اوتدريس علم الى أن مات رحمه الله تعالى . وقال أبو عمرو بن العلاء مارأيت قط أوعظ ولا أفصح من الحسن البصري وقال أبو أيوب السجستاني ماسمع أحد كلام الحسن البصري الاثقل عليه كلام الرجال قال حميد قال لي الشعبي ونحن بمكة أحب أن اختلي بالحسن فقلت ذلك للحسن فقال اذا شاء فجاء الشعبي فقلت له ادخل عليه فانه في البيت وحده فقال أحب أن تدخل معي

فدخلنا فاذا الحسن قبالة القبلة يقول يا ابن آدم لم تكن فكونت وسألت فأعطيت وسئلت فمنعت فبئس ما صنعت ثم يذهب فيرجع بعد ذلك حتى أعادها مرارا فقال لى الشعبى يا هذا انصرف فان الشيخ فى غير ما نحن فيه ولما دخل على الحجاج فقال له ما تقول فى علىّ وعثمان قال أقول فيهما كما قال من هو خير منى بين يدى من هو شر منك قال ومن ذلك قال موسى وفرعون حيث قال له فرعون فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربى فى كتاب* الشعبى قال قدمنا على الحجاج فى البصرة فى جماعة من قراء الشام والعراق فى يوم صائف شديد الحر وهو فى آخر ثلاثة أبيات فدخلنا الاول فاذا فيه الثلج والماء قد أرسل فيه وفى الثانى أكثر وفى الثالث أكثر والحجاج قاعد على سريره وعنبسة بن سعيد الى جانبه فجلسنا على الكراسى ودخل الحسن آخر من دخل فقال له الحجاج مرحبا بأبى سعيد اخلع قميصك فجعل الحسن يعالج زر القميص فأبطأ به فطاطأ له الحجاج رأسه تلطفا به حتى حله وجاءت جارية بدهن فوضعته على رأس الحسن وحده فقال له الحجاج يا أبا سعيد مالى أراك منهوك الجسم لعل ذلك من قلة نفقة وسوء ولاية ألا نأمر لك بنفقة توسع بها على نفسك وخادم لطيف فقال انى من الله تعالى لفى سعة ونعمة وانى منه لفى عافية ولكن الكبر والحر فأقبل الحجاج على عنبسة وقال لا والله بل العلم بالله والزهد فيما نحن فيه فلم يسمعها الحسن وسمعتها أنا لقربى من عنبسة وجعل الحجاج يسأله حتى ذكر على بن أبى طالب رضى الله عنه فنال منه ونلنا منه مرضاة له وفرقا من شره والحسن عاض على ابهامه فقال له مالى أراك ساكتا فقال وما عسى ان أقول فقال أخبرنا برأيك فى أبى تراب قال انى سمعت الله عز وجل يقول وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم فعلىّ ممن هدى الله ومن أهل الايمان وابن عم نبىّ الله صلى الله عليه وسلم وختنه على بنته أحب الناس اليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله عز وجل لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس يحظرها عليه ولا يحول بينه وبينها فتغير وجه الحجاج وقام مغضبا عن سريره ودخل بيتا خلفه وخرجنا وأخذت بيد الحسن فقلت يا أبا سعيد أغضبت الامير وأوغرت صدره فقال اليك عنى يا عامر ألست شيطانا من الشياطين اذ توافقه فى رأيه ألا صدقت اذ سئلت أو سكت فسلمت فقلت قلتها والله وأنا أعلم ما فيها قال الحسن فذلك أعظم فى الحجة عليك وأشد فى التبعة ثم خرجت الى الحسن التحف والطرف وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفانا فكان أهلا لما أتى اليه وكنا أهلا لما أتى الينا فما رأيت مثل الحسن بين العلماء الا مثل الفرس العربى فيما بين المقارف وما شهدنا بعد مشهدا الا برز علينا بفضله وقال لله وقلنا موافقة للولاة وكان يقول جددوا هذه الانفس فانها سريعة الدثور واقرعوها فانها طامحة وانكم ان لم تقرعوها تنزع بكم الى شر غاية وقال لمطرف بن عبد الله بن الشخير عظ أصحابك فقال له انى اخاف ان أقول ما لا افعل فقال له يرحمك الله وأينا يقول ما يفعل يود الشيطان أنه ظفر بهذه منكم فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر ونظر الى الناس فى مصلى البصرة يضحكون ويلعبون فى يوم عيد فقال ان الله تعالى جعل الصوم مضمارا لعبيده ليستبقوا الى طاعته ولعمرى لو كشف الغطاء لشغل محسن باحسانه ومسىء باساءته عن تجديد ثوب أو ترجيل شعر ومات فى سنة عشرة ومائة وله تسعون سنة

وتقدم

وتقدم موت ابن سيرين بمائة يوم ومات في رجب ليلة الجمعة وقال عبد الواحد بن زيد رأيت ليلة مات الحسن في النوم أبواب السماء كأنها مفتحة وكأن الملائكة صفوف فقلت ان هذا لامر عظيم فقال لي قائل ألا ان الحسن البصري قدم على الله وهو عنه راض وسمع بعض أصحابه في منامه ليلة مات كان منادياً ينادي في السماء ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين واصطفى الحسن البصري على أهل زمانه (والشعبي) اسمه عامر بن عبد الله بن شراحيل بن عبيد بن ذي كبار الشعبي من شعب همدان وكنيته أبو عمرو ومنسوب الى شعبان بن عمرو وهو من حمير فمن كان منهم باليمن فهو حميري ويقال له شعباني ومن كان بالعراق فهو همداني ويقال له شعبي وولد لست سنين من خلافة عمر رضي الله عنه سمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن والحسين وجماعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وهو كوفي وبه يضرب المثل في الحفظ فيقال احفظ من الشعبي وقال الزهري العلماء أربعة سعيد بن المسيب بالمدينة وعامر الشعبي بالكوفة والحسن البصري بالبصرة ومكحول بالشام وقال ابن شبرمة سمعت الشعبي يقول ما كتبت سوداء في بيضاء الى يومي هذا ولا حدثني رجل قط بحديث الاحفظته ولا أحببت أن يعيده علي وقال الشعبي لاصحابه ما أروي شيأ أقل من الشعر ولو شئت لانشدتكم شهراً لا أعيد وكان الشعبي فقيهاً عالماً حافظاً أديباً وقال لولا ماز وحمت في الرحم ما قامت لأحد معي قائمة وكتب عبد الملك الى الحجاج أن ابعث الي رجلاً يصلح للدين والدنيا أتخذه سميراً وجليساً فبعث اليه بالشعبي فلما دخل عليه وجده مغتما فقال ما بال أمير المؤمنين قال ذكرت قول زهير

(ترجمة الشعبي)

والشعبي في علمه وحفظه

كأني وقد جاوزت تسعين حجة * خلعت بها عني عذار لجامي

رمتني بنات الدهر من حيث لاأرى * فكيف بمن يرمى وليس برام

فلو أنني أرمى بنبل رميتها * ولكنني أرمى بغير سهام

على الراحتين تارة وعلى العصا * أنوء ثلاثا بعدهن قيامي

فقال له الشعبي ليس كذلك ولكن كما قال لبيد بن ربيعة

كأني وقد جاوزت سبعين حجة * خلعت بها عن منكبي ردائيا

فلما بلغ سبعاً وسبعين قال

باتت لتبكي الي الموت مجهشة * وقد حملتك سبعاً بعد سبعينا

فان تراخت ثلاثاً تبلغي أملا * وفي الثلاث وفاء للثمانينا

فلما بلغ التسعين قال

ولقد سئمت من الحياة وطولها * وسؤال هذي الناس كيف لبيد

وغنيت سبتاً قبل مجرى داحس * لو كان للنفس اللجوج خلود

فلما بلغ عشرين ومائة قال

أليس ورائي ان تراخت منيتي * لزوم العصا تحنى عليها الاصابع

أخبر أخبار القرون التي مضت * أنوء كأني كلما قمت راكع

فلما بلغ ثلاثين ومائة حضرته الوفاة فقال

تمنى ابنتاى أن يعيش أبوهما * وهل أنا الا من ربيعة أو مضر
فقوما فقولا بالذى أنا أهله * ولا تخمشا خدا ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذى لا صديقه * أضاع ولا خان الخليل ولا غدر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

قال الشعبى فلقد رأيت السرور فى وجه عبد الملك طمعا أن يعيشها وقال الحريرى فى الدرة حدثنى أحد شيوخى أن ليلى الاخيلية كانت تتكلم بلغة بهراء فتكسر حرف المضارعة فتقول أنت تعلم فاستأذنت يوما على عبد الملك بن مروان و بحضرته الشعبى فقال أتاذن لى يا أمير المؤمنين فى الغض منها فقال افعل فلما استقر بها المجلس قال لها الشعبى يا ليلى ما بال قومك لا يكتنون فقالت و يحك أما نكتنى بكسر النون فقال لا والله ولو فعلت لاغتسلت فخجلت عند ذلك واستغرق عبد الملك فى الضحك * الاصمعى وجه عبد الملك الشعبى الى ملك الروم فى بعض الامور فاستكبر الشعبى فقال له من أهل بيت الملك أنت قال لا فلما أراد الرجوع الى عبد الملك حمله رقعة لطيفة وقال له اذا بلغت صاحبك جميع ما يحتاج الى معرفته من ناحيتنا فادفع اليه هذه الرقعة فلما رجع الى عبد الملك ذكر له ما احتاج الى ذكره ونهض فلما خرج ذكر الرقعة فرجع فقال يا أمير المومنين انه حملنى اليك رقعة أنسيتها فدفعها اليه ونهض فقرأها عبد الملك وأمر برده فقال أعلمت ما فى الرقعة قال لا قال فيها عجبت من العرب كيف ملكت غير هذا افتدرى لم كتب الى بهذا قال لا قال حسدنى عليك فاراد أن يغرينى بقتلك فقال الشعبى لو رآك يا أمير المؤمنين ما استكبرنى فبلغ ذلك ملك الروم فذكر عبد الملك وقال لله أبوه والله ما أردت الا ذلك وكان الشعبى خرج مع عبد الرحمن بن الاشعث على الحجاج فلما هزم عبد الرحمن أتى به موثقا مع الاسرى وكان حكم الحجاج فيهم من أقر أنه كافر أبقاه ومن أقر أنه مسلم قتله قال فلما جئت باب القصر لقينى يزيد بن مسلم كاتبه فقال انا لله يا شعبى لما بين دفتيك من العلم وليس بيوم شفاعة فقلت له وما المخرج فقال بؤ للامير بالشرك والنفاق وبالحرى أن تنجو فلما دخلت على الحجاج قال لى وأنت يا شعبى ممن خرج علينا قلت أصلح الله الأمير أحزن بنا المنزل وأجدب بنا الجناب واستحلسنا الخوف وضاق المسالك وخطبتنا فتنة لم نكن فيها بررة أولياء ولا فجرة اقوياء قال لله أبوك لقد صدقت والله ما بررتم بخروجكم علينا ولا قويتم خلوا سبيله وكلم ابن هبيرة فى قوم حبسهم فقال ان كنت حبستهم بباطل فالحق يطلقهم وان كنت حبستهم بحق فالعفو يسعهم ودخل عليه رجل من النوكى وهو جالس مع امرأة فقال أيكما الشعبى فقال له هذا فقال ما تقول أصلحك الله فى رجل شتمنى فى أول يوم من رمضان هل يؤجر فقال له الشعبى أما ان كان قال لك يا أحمق فارجو له الاجر وسأله آخر فقال ما تقول رجل أدخل اصبعه فى أنفه فى الصلاة فخرج عليها دم أترى له أن يحتجم فقال الحمد لله الذى نقلنا من الفقه الى الحجامة وسأله آخر كيف كانت تسمى امرأة ابليس قال ذلك نكاح لم نشهده ودخل الحمام فرأى داود الاودى بلا مئزر فغمض عينيه فقال له داود متى عميت يا أبا عمرو فقال مذ هتك الله سترك ومات فى سنة أربع ومائة وهو ابن اثنتين وثمانين سنة (والخليل) رحمه الله هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد البصرى الفراهيدى ينسب الى فراهيد بن مالك بن فهم بن عبد الله بن مالك بن نصر الازدى و يقال اليحمدى واليحمد بطن

والخليل فى عروضه ونحوه

(ترجمة الخليل)

من الازد وكان الخليل من أزهد الناس وأعلاهم نفسا وأشدّهم تعففا ولقد كان الملوك يقصدونه ويتعرفون اليه لينال منهم فلم يكن يفعل وكان يعيش من بستان له خلفه عليه والده وكان يغزو سنة ويحج أخرى حتى جاءه الموت * محمد بن حميد قال تزوجت الى جيران الخليل فنزلت عليهم فكنت اسمع قرآن الخليل طول الليل فقالوا لى ماعرفنا من هذا الرجل الاماترى وانه ليغيب عنا فى غزو وحج فنتوحش اليه وقالوا لايجوز الصراط بعد الانبياء والصحابة أدق ذهنا من الخليل وكانت تلك الفضيلة فيه ببركة اسم ابيه لانه اوّل من تسمى باحمد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم * ابو عاصم دخلت عليه قبل وفاته بايام فقال والله مافعلت قط فعلا اخاف على نفسى منه وكان لى فضل فكر صرفته الى جهة وددت أنى كنت صرفته الى غيرها وماعلمت أنى كذبت متعمدا قط وأرجو أن يغفر الله لى التاول واجتمع أدباء من كل أفق فجعل أهل كل بلد يرفعون علماءهم ويقدمونهم حتى جرى ذكر الخليل فلم يبق أحد الا قال الخليل أذكى العرب وهو مفتاح العلوم ومصرفها * النضر مارأى الراؤن مثل الخليل ولارأى الخليل مثل نفسه وكان شعث الرأس شاحب اللون قشف الهيئة متخرق الثياب متقلع القدمين مغمورا فى الناس لايعرف * محمد بن الفضل كان بالبصرة رجل يعطى دواء لظلمة البصر فينتفع به الناس فمات فأضر ذلك بمن كان يستعمله فذكر للخليل فقال أله نسخة فقالوا لم نجدها قال فهل كان له آنية يعمله فيها قالوا نعم اناء يجمع فيه أخلاطا قال فجيؤنى به فجعل يتشممه ويخرج نوعا نوعا حتى أخرج خمسة عشر نوعا ثم سأل عن جمعها ومقاديرها فعرّفه من كان يعالج مثله فعمله وأعطاه الناس فانتفعوا به مثل تلك المنفعة ثم وجدت النسخة فى كتب الرجل فاذا فيها ستة عشر خلطا فلم يغفل الا عن خلط واحد وكتب اليه ملك اليونان كتابا باليونانية فخلا به شهرا حتى فهمه فقيل له فى ذلك قال قلت لابد أن يفتتح الكتاب باسم الله تعالى وماأشبهه فبنيت أول الحروف على ذلك حتى انقاس لى * النضر بن شميل جاء رجل من حلقة يونس فسأل الخليل عن شئ فأطرق يفكر فقالوا له ماهذا مما يحتاج الى فكر يفكر فيه فقال لهم فما الجواب عندكم قالوا كذا قال فانه يزيدكم فى الجواب كذا قالوا نقول كذا قال يقول كذا فانقطعوا فقال ما أجبت بجواب قط الا وأنا أعرف آخر ماعلىّ فيه وكان يخرج من منزله فلم يشعر الا وهو فى الصحراء ولم يردها لشغله بالفكر وقال النضر سمعت الخليل يقول الايام ثلاثة فمعهود وهو أمس ومشهود وهو اليوم وموعود وهو غد وقال الخليل اذا نسخ الكتاب ثلاث نسخ ولم يعارض به تحول بالفارسية ورأى مع رجل دفترا وفيه خط دقيق فقال لصاحبه أيست ياهذا من طول عمرك وقال ان لم تعلم الناس ثوابا فعلمهم لتدرس بتعليمهم علمك ولاتجزع من تفرع السؤال فانه ينبهك على علم مالم تعلم وقال أكثر من العلم لتفهم واختر قليلا منه لتحفظ وكان يقول اذا خرجت من منزلى لقيت أحد ثلاثة اما رجلا أعلم بشئ منى فذلك يوم فائدة أو مثلى فذلك يوم مذاكرة أو دونى فذلك يوم ثواب وقال من الناس من يدرى ويدرى أنه يدرى فذلك عالم فاتبعوه ومنهم من لايدرى ولايدرى أنه لايدرى فذلك جاهل فاحذروه ومنهم من يدرى ولايدرى أنه يدرى فذلك ضال فأرشدوه وكان يقول اذا أردت أن تعلم خطأ معلمك من صوابه فجالس غيره وقال أنا أول من سمى الاوعية ظروفا لانه جعل ظرفا للادب والنظافة وقال أدركت بعض ماأنا فيه باطراح الحشمة بينى وبين المعلمين

ومن رق وجهه في طلب العلم رق علمه وقال اذا أخطأ بحضرتك من تعلم أنه يانف بارشادك فلا ترد عليه خطأه فانك اذا نبهته على خطئه أسرعت افادته واكتسبت عداوته وقال اجعل ما تكتب بيت مال وما في صدرك للنفقة وقال العلوم أقفال والسؤالات مفاتيحها وقال الناس في سجن مالم يتمازحوا وقال الرجل بلا صديق كاليمين بلا شمال وقيل له ان استفساد الصديق أهون من استصلاح العدو فقال نعم كما أن تخريق الثوب أهون من نسجه وقيل له ما الجود فقال بذل المجهود قيل له فما الزهد قال أن لا تطلب المفقود حتى تفقد الموجود وقال الدنيا أمد والآخرة أبد وقال حسب امرئ من الشر ان يرى في نفسه فساد الا يصلحه ومن علم بفساد نفسه علم بصلاحها وأقبح التحول أن يتحول المرء من ذنب الى غير توبة ولا اقلاع عنه وقال الدنيا اضداد متجاورة وأشباه متباينة وأقارب متباعدة وأباعد متقاربة وقال ثلاثة أشياء أنا أحبها النفسي ولمن أحب رشده أحب أن أكون بيني وبين ربي من افضل عباده واكون بيني وبين الخليقة من أوسطهم واكون بيني وبين نفسي من شرهم وقال عبد الله بن داود لو كتب شئ بالذهب لكتب هذا ونظر في فقه لابي حنيفه فقيل له كيف ترى فقال أرى جدا وطريق جد ونحن في هزل وطريق هزل وقال عبد الله بن داود لقد نال الناس بالخليل وعلمه الرغائب وانه لبين اخصاص البصرة يزهد فيما يرغب فيه وقال ثلاث ينسين المصائب مر الليالي والمرأة الحسناء ومحادثة الرجال * النضر سمعت الخليل يقول التواني اضاعة والحزم بضاعة والانصاف راحة واللجاج وقاحة وكان له غلام كثير الخلاف عليه فقال له يوما قم فقال لا أقوم فقال اقعد فقال لا أقعد قال فاي شئ تصنع قال لا أصنع شيأ ويشبه هذا قول الشاعر في امرأته

سكت فقالت لم سكت عن الحق * وقلت فقالت ما دعاك الى النطق

فأومأت هل من حالة بين ذا وذا * فقالت وذا الايماء أيضا من الحمق

فلم ارلي اذ حلت الغرب راحة * من الشر الا في الهروب الى الشرق

فلما اتيت الشرق ألفيت بابه * وقد قعدت لي منه في ضيق الطرق

وانما اكثرنا من اخباره لانها آداب وحكم من اقتدى بها اهتدى وما تركناه من اخباره اكثر وذكر النحو والعروض مؤخر الى الخمسين ان شاء الله تعالى ولتقدمه في العلم ضربت الشعراء به المثل فمن ذلك قول ابي تمام يهجو عياش بن لهيعة

ولو نشر الخليل له لعفت * بلادته على فطن الخليل

فما ادري عماك عن رشادي * دهاني ام عماك عن الجميل

وقال آخر

يامن يزيد تمقتا * وتباغضا في كل لحظه

والله لو كنت الخليل * لما رويناعنك لفظه

(وانشد المبرد)

لم تدر ما علم الخليل فتقتدي * ببيان ذاك ولا حدود المنطق

(وقال المعرى)

اذا قيل نسك فالخليل بن آزر * وان قيل فهم فالخليل اخو الفهم

ابن مزاحم الشاعر كان الخليل صديقا لي فدخلت عليه يوما فقال اجز

*رايت غنى الانسان نفسا زكية *فقلت* مطهرة من كل رجس وباطل *

فقال * ففي عاجل الدنيا مديح و رفعة *فقلت* وخير عظيم عاجل بعد آجل *

فقال والله جئت بما في نفسي ثم قال

كأنك كنت قد خامرت قلبي * فجئت بما شفيت به الغليلا

رايت براعة الايجاز اشفى * فصار كثير غيرك لي قليلا

وله العلم يذكي عقولا حين يصحبها * وقد يزيدهما طول التجاريب

وذو التأدب في الجهال مغترب * يرى ويسمع الوان التعاجيب

وكان صديق سليمان بن حبيب وانشده الشعراء فتشاغل عنهم سليمان فذكروا ذلك للخليل فكتب اليه

لاتقبلن الشعر ثم تعقه * وتنام والشعراء غير نيام

واعلم بأنهم اذا لم ينصفوا * حكموا لانفسهم على الحكام

وجناية الجاني عليهم تنقضي * وكلومهم تبقى على الايام

(ذكر جريرا الشاعر)

وجريرا في غزله وهجوه وقسا في فصاحته وخطابته

وأما (جرير) فهو ابن عطية بن الخطفى شاعر من فحول العرب واتفقت العلماء على أن أشعر الاسلاميين جرير والفرزدق والاخطل وأكثرهم على تفضيله عليهما وساذكر لك شيأ من غزله وهجوه تستدل به على منزلة شرفه في الشعر ورأت أمه وهي حامل به كأنها ولدت حبلا من شعر أسود فلما سقط جعل ينزو فيقع في عنق هذا فيخنقه حتى فعل ذلك برجال كثيرة فانتبهت فازعة فأولت الرؤيا فقيل لها تلدين غلاما شاعرا ذا شر وشدة وشكيمة وبلاء على الناس فلما ولدته سمته جريرا باسم الحبل الذي رأته فهاجاه ثمانون شاعرا فغلبهم وقال جرير ما عشقت ولو عشقت لنسبت نسيبا تسمعه العجوز فتبكي على مافاتها من شبابها قالوا وأرق ماجاء في النسيب قوله

ان العيون التي في طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لاحراك له * وهن أضعف خلق الله أركانا

أتبعتهم مقلة انسانها غرق * هل ماترى تاركا للعين انسانا

ومثل هذا أوجب على الحريري أن يذكر جريرا بالغزل والا فقد أخذ عليه في ذكر جرير بالغزل وانما الذي اشتهر في زمانه بالغزل مثل عمر بن أبي ربيعة وكثير عزة وجميل وقيس بن ذريح وأمثال هؤلاء وانما اشتهر جرير بالمدح والهجو ولانطباعه قد جاء في شعره من الغزل الرقيق كثير وان كان تكلفا اذ لم يعشق قال الجاحظ كان الفرزدق مشتهرا بالنساء ومع ذلك فليس له بيت واحد في النسيب وجرير عفيف لم يعشق امرأة قط ومع ذلك فهو أغزل الناس شعرا وسئل الفرزدق عنه فتنفس حتى كادت حيازيمه تنشق ثم قال قاتله الله فما أحسن ناحيته وأشرد قافيته والله لو تركوه لابكى الشابة على أحبابها والعجوز على شبابها ولكنهم هزوه فوجدوه عند الهراش نابحا وعند الجراء قارحا ولقد قال بيتا لان أكون قلته أحب الي مما طلعت عليه الشمس وهو

اذا غضبت على بنو تميم * حسبت الناس كلهم غضابا

وقال مسعود بن بشر قلت لابن مناذر من أشعر الناس قال من اذا شئت جد واذا شئت لعب واذا شئت أطمعك لعبه واذا رمته بعد عليك واذا جد فيما قصد له آيسك من نفسه قلت مثل من

قال مثل جرير اذ يقول حين لعب

ان الذين غدوا بلبك غادروا * وشلا بعينك لايزال معينا

غيضن من عبراتهن وقلن لى * ماذا لقيت من الهوى ولقينا

ثم قال حين جد ان الذى حرم المكارم تغلبا * جعل الخلافة والنبوة فينا

مضر أبى وأبو الملوك فهل لكم * ياخزر تغلب من أب كأبينا

هذا ابن عمى فى دمشق خليفة * لوشئت ساقكم الى قطينا

فلما بلغ عبد الملك هذا قال مازاد ابن المراغة أن جعلنى شرطيا له أما انه لو قال لوشاء ساقكم لسقتهم اليه كما قال ونزل الفرزدق حين قدم على الاخوص فقال ماتشتهى قال شواء وطلاء وغناء قال ذلك لك ومضى به الى قينة فغنته

ألا حى الديار بسعد انى * أحب لحب فاطمة الديارا

اذا ماحل أهلك ياسليمى * بدارة صلصل شحطوا مزارا

أراد الظاعنون ليحزنونى * فهاجوا صدع قلبى فاستطارا

فقال ماأرق اشعاركم ياأهل الحجاز قال أوتدرى لمن هذا قال لا والله قال هو لجرير يهجوك قال ويل ابن المراغة ما كان أحوجه مع عفافه الى صلابة شعرى وأحوجنى مع فسوقى الى رقة شعره وفى الفرزدق منها

وكنت اذا نزلت بدار قوم * رحلت بخزية وتركت عارا

وقال جرير لقد طال كتمانى امامة حبها * فهذا أوان الحب تبدو شواكله

وانى وان لام العواذل مولع * بحب الغضا من حب من لايزايله

ولما استقر الحب ألقت بى العصا * ومات الهوى لما أصيبت مقاتله

وقلن تزوج لايكن لك حاجة * وقلبك لاتشغل وهن شواغله

وقال أيضا ياأخت ناجية السلام عليكم * قبل الرحيل وقبل لوم العذل

لوكنت أعلم أن آخر عهدكم * يوم الفراق فعلت مالم يفعل

وقال أيضا بنفسى من تجنبه عزيز * على ومن زيارته لمام

ومن أمسى وأصبح لاأراه * ويطرقنى اذا هجع النيام

أتذكر اذ تودعنا سليمى * بفرع بشامة سقى البشام

وقال أيضا لاتكثرن اذا جعلت تلومنى * لايذهبن بفعلك الاكثار

كانوا الخليط هم الخليط فزايلوا * ولقد تبدل بالديار ديار

لايلبث القرناء أن يتفرقوا * ليل يكر عليهم ونهار

(ومن هجوه فى الراعى)

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وعندما قال هذا البيت وثب قائما حتى أصاب السقف رأسه وقال أخزيته والله وغضضته وقدمت أخويه عليه والله لايفلح بعدها وكان كما قال ماأفلح بعدها هو ولا نمير وقال فى جندل ابن الراعى أجندل ماتقول بنو نمير * اذا ما الاير فى است أبيك غابا

وأنشد القصيدة والفرزدق واقف فلما بلغ الى قوله * ترى برصا بأجمع اسكتيه * وضع الفرزدق يده على فيه وغطى عنفقته فقال * كعنفقة الفرزدق حين شابا * فانصرف الفرزدق وهو يقول اللهم اخزه ولقد علمت حين بدأ البيت أن لا يقول غيرها ولكن طمعت أن لا تأتيه وقال فى ابن لجا

تعرضت تيم لى عمدا لاشتمها * كما تعرض لاست الخارئ الحجر

ياتيم تيم عدى لا أبا لكم * لا يلقينكم فى سوءة عمر

ه(وقال يذكر أمه)*

تقول والعبد مسكين يدحرها * رفقا فداك أنت الناكح الذكر

وبينا جرير ينشد فى زوجته

لولا الحياء لعادنى استعبار * ولزرت قبرك والحبيب يزار

كانت اذا هجر الضجيع فراشها * كتم الحديث وعفت الاسرار

لا يلبث القرناء أن يتصدعوا * ليل يكر عليهم ونهار

اذ طلع الاخوص فقطع انشاده ورفع صوته يقول

عوى الشعراء بعضهم لبعض * على فقد أصابهم انتقام

اذا أرسلت صاعقة عليهم * رأوا أخرى تحرق فاستداموا

فمصطلم المسامع أو خصى * وآخر عظم هامته حطام

ثم عاذ فقيل لم فعلت هذا قال انى نهيت الاخوص أن يعين الفرزدق وانى والله يا بنى عمرو بن عوف ما تعوذت من شاعر قط ولولا حقكم ما تعوذت منه * الاصمعى حدثنى أبى قال رأى رجل جريرا فى المنام فقال ما فعل الله بك قال غفر لى قال بماذا قال بتكبيرة كبرت الله فى الحجر وهو ماء بالبادية قال فما فعل أخوك الفرزدق قال هيهات أهلكه قذف المحصنات قال الاصمعى لم يدعه فى الحياة ولا فى الممات وتوفى سنة أربع عشرة ومائة وأما (قس بن ساعدة الايادى) فيضرب به المثل فى الفصاحة والخطابة فيقال أبلغ من قس وهو أسقف نجران وهو من حكماء العرب وكان مؤمنا بالله ومبشرا برسوله وهو أول من خطب متوكئا على عصا وأول من كتب من فلان الى فلان وفيه يقول الاعشى *(خبر قس بن ساعدة)*

وأفصح من قس وأجرى من الذى * بذى الغين من خفان أصبح خادرا

ولما قدم وفد بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألهم عن رجل كان فيهم نازلا يقال له قس ابن ساعدة الايادى قالوا هلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيته بعكاظ يخطب على جمل له أورق وهو يقول أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت ليل موضوع وسقف مرفوع ونجوم تغور وبحر يمور أما بعد فان فى السماء لخبرا وان فى الارض لعبرا ما لى أرى الناس يموتون ولا يرجعون أرضوا بالاقامة فأقاموا أم تركوا كما هم فناموا أقسم بالله قس قسما حقا فما حنث ولا أثم ان لله دينا هو أرضى من ديننا هذا الذى نحن عليه ثم قال أبياتا ما أحفظها فقال رجل من الانصار أنا شاهد يا رسول الله بأبى أنت وامى قال فأنشدنا قال سمعته يقول

فى الذاهبين الاولين * ن من القرون لنا بصائر

لما رأيت مواردا * للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها * تمضى الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضى ولا * يبقى من الباقين غابر
أيقنت انى لا محا * لة حيث صار القوم صائر

وقال صاحب الاغانى فيه هو قس بن ساعدة بن عمرو بن عدى بن مالك بن ارعان بن النمر بن واثلة بن الطمثان بن عبد مناة بن يقدم بن افصى بن دعمى بن اياد وكان يفد على قيصر زائرا فيكرمه و يعظمه فقال له قيصر ما أفضل العلم قال معرفة الرجل بنفسه قال فما أفضل العقل قال وقوف المرء عند علمه قال فما أفضل الادب قال استبقاء الرجل ماء وجهه قال فما افضل المروءة قال قلة رغبة المرء فى اخلاف وعده قال فما افضل المال قال ماقضى به الحق * ابن عباس رضى الله عنهما وفد الجارود بن عبد الله فى وفد عبد القيس وكان سيدا فى قومه معظما فى عشيرته فآمن وآمن قومه فسر النبى صلى الله عليه وسلم بهم ثم قال يا جارود هل فى جماعة عبد القيس من يعرف لنا قسا قال كلنا نعرفه يارسول الله وأنا كنت من بينهم أقفو أثره وأطلع خبره كان قس سبطا من اسباط العرب صحيح النسب فصيحا ذا شيبة حسنة عمر سبعمائة سنة يتقفر القفار ولا تكنه دار ولا يقره قرار يتحسى فى تقفره بعض الطعام ويأنس بالوحوش والهوام يلبس المسوح و يتبع السياح على منهاج المسيح لا يغير الرهبانية مقر بالوحدانية تضرب بحكمته الامثال وتكشف به الاهوال وتتبعه الابدال أدرك رأس الحواريين سمعان فهو أول من تأله من العرب وأعبد من تعبد فى الحقب وأيقن بالبعث والحساب وحذر سوء المنقلب والمآب ووعظ بذكر الموت وأمر بالعمل قبل الفوت الحسن الالفاظ الخاطب بسوق عكاظ العارف بشرق وغرب ويابس ورطب وأجاج وعذب كأنى أنظر اليه والعرب بين يديه يقسم بالرب الذى هو له ليبلغن الكتاب أجله وليوفين كل عامل عمله ثم أنشأ يقول

هاج للقلب من هواه ادكار * وليال خلالهن نهار
ونجوم يحثها قمر الليـ * ـل وشمس فى كل يوم تدار
ضوءها يطمس العيون وارعا * د شديد فى الخافقين مثار
وغلام وأشمط ورضيع * كلهم فى التراب يوما يزار
وقصور مشيدة حوت الخيـ * ـر واخرى خوت فهن قفار
وكثير مما تقصر عنه * حدسة الناظر الذى لا يحار
والذى قد ذكرت دل على الله نفوسا لها هدى واعتبار

فقال النبى صلى الله عليه وسلم على رسلك يا جارود فلست أنساه بسوق عكاظ على جمل له أورق وهو يتكلم بكلام مونق ما أظن أحفظه فهل فيكم يا معشر المهاجرين والانصار من يحفظ لنا منه شيأ فوثب أبو بكر قائما وقال يارسول الله أنا أحفظه وكنت حاضرا بعكاظ حين خطب فأطنب ورهب ورغب وحذر وأنذر وقال فى خطبته أيها الناس اسمعوا وعوا واذا وعيتم فانتفعوا انه من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت مطر ونبات وارزاق وأقوات وآباء وأمهات وأحياء واموات وجمع وشتات وآيات بعد آيات ان فى السماء لخبرا وان فى الارض لعبرا ليل داج

وسماء ذات ابراج وارض ذات رتاج وبحار ذات امواج مالى ارى الناس يذهبون فلا يرجعون ارضوا بالمقام فأقاموا ام تركوا هناك فناموا اقسم قس بالله قسما حقا لا آثما فيه ولا حانثا ان لله دينا هو احب اليه من دينكم الذى انتم عليه ونبيا قد حان حينه واظلكم اوانه وادرككم ابانه فطوبى لمن آمن به فهداه وويل لمن خالفه وعصاه ثم قال تبا لارباب الغفلة من الامم الخالية والقرون الماضية يامعشر اياد اين الآباء والاجداد واين المريض والعواد واين الفراعنة الشداد اين من بنى وشيد وزخرف ونجد وغره المال والولد أين من بغى وطغى وجمع فأوعى وقال أنا ربكم الاعلى ألم يكونوا أكثر منكم أموالا وأطول منكم آجالا طحنهم الثرى بكلكله ومزقهم بتطاوله فتلك عظامهم بالية وبيوتهم خاوية عمرتها الذئاب العاوية كلا بل هو المعبود ليس بوالد ولا مولود ثم أنشأ يقول في الذاهبين الاولين * الابيات المتقدمة قال ثم جلس أبو بكر رضى الله عنه وقام رجل ذو هامة عظيمة وقامة جسيمة فقال ياسيد المرسلين وصفوة رب العالمين لقد رأيت من قس عجبا أشرف بى جملى على واد وشجر من شجر عاد مورقة مونقة وقد تهدل اغصانها قال فدنوت منه فاذا بقس فى ظل شجرة بيده قضيب من اراك ينكت به الارض وهو يترنم ويقول

يا ناعى الموت والملحود فى جدث * عليهم من بقايا خزهم خرق

دعهم فان لهم يوما يصاح بهم * فهم اذا انتبهوا من نومهم فرق

حتى يعودوا بحال غير حالهم * خلقا جديدا كما من قبلها خلقوا

منهم عراة ومنهم فى ثيابهم * منها الجديد ومنها المنهج الخلق

قال فدنوت منه وسلمت عليه فرد على السلام واذا بعين خوارة فى ارض خوارة ومسجد بين قبرين واسدين عظيمين يلوذان به ويتمسحان بأثوابه فأراد احدهما يسبق الى الماء وتبعه الآخر يطلب الماء فضربه قس بالقضيب وقال ارجع ثكلتك امك حتى يشرب الذى ورد قبلك فرجع ثم ورد بعده فقلت له ماهذان القبران قال هذان قبرا اخوين لى كانا يعبدان الله معى فى هذا المكان لا يشركان بالله شيأ فأدركهما الموت فقبرتهما وها انا بين قبريهما حتى الحق بهما ثم نظر الى السماء فتغرغرت عيناه بالدموع وانكب عليهما وجعل يقول

خليلى هبا طالما قد رقدتما * اجدكما لاتقضيان كراكما

ألم تعلما انى بسمعان مفرد * ومالى فيها من خليل سواكما

مقيم على قبريكما لست بارحا * طول الليالى او يجيب صداكما

أبكيكما طول الحياة وما الذى * يرد على ذى عولة ان بكاكما

كأنكما والموت أقرب غاية * بروحى فى قبريكما قد اتاكما

امن طول نوم لاتجيبان داعيا * كأن الذى يسقى العقار سقاكما

فلو جعلت نفس لنفس وقاية * لجدت بنفسى ان تكون فداكما

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا انى لارجو أن يبعثه الله أمة وحده وأما (عبد الحميد) فهو ابن يحيى بن سعيد كاتب مروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية وكتب أيضا للمنصور وقيل انه قتل مع مروان وكان رأسا فى الكتابة ومقدما فى الفصاحة والخطابة بليغا مرسلا

وعبد الحميد فى بلاغته وكتابته وأبا عمرو فى قراءته واعرابه

(ترجمة عبد الحميد)

وقال فيه ابن عبد ربه كتب عبد الحميد بن يحيى لعبد الملك بن مروان وكتب لسليمان بن عبد الملك وليزيد بن عبد الملك ثم لم يزل كاتبا للخلفاء بنى أمية حتى انقضت دولتهم وعبد الحميد أول من فتق أكمام البلاغة وسهل طرقها وفك رقاب الشعر وقال له مروان حين أيقن بزوال ملكه قد احتجت أن تصير مع عدوى وتظهر الغدر بى فان اعجابهم بآدابك يدعوهم الى حسن الظن بك فان استطعت أن تنفعنى فى حياتى والا لم تعجز عن حفظ حرمتى بعد وفاتى فقال له عبد الحميد ان الذى أشرت به على أنفع الامرين لك وأقبحهما لى وما عندى الا الصبر حتى يفتح الله لى ولك أو أقتل معك ثم قال

أسر وفاء ثم أظهر غدرة * فمن لى بعذر يوسع الناس ظاهره

وعبد الحميد هو صاحب الرسائل والبلاغات وهو أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات فى فصول الكتب واستعملت بعده وهو القائل البلاغة تقرير المعنى فى الافهام من أقرب وجوه الكلام ولم يزل الشعراء ومهرة الكتبة يضربون ببلاغته وكتابته الامثال فى كتبهم وأشعارهم فى القديم والحديث كفضل الصاحب وقرنائه مع طبع سمح ولفظ عذب وصلة نثر بنظم فان شاء قال أنا الوليد وان شاء قال أنا عبيد وان شاء قال أنا عبد الحميد وان شاء قال أنا سعيد وقيل بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد وأما (أبو عمرو) فهو ابن العلاء ابن عمار بن عبد الله بن الحصين بن الحرث بن جلهم بن خزاعى بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم واسمه وكنيته واحد فى الاشهر * الفخد يهى اختلف فى اسمه على تسعة عشر قولا فقيل اسمه محمد او حميد أو حماد او عثمان أو سفيان أو غير ذلك وأصحها زبان واختلف فى مولده فقيل ولد سنة خمس وستين بمكة فى أيام عبد الملك بن مروان وقيل ولد سنة سبعين * أبو عبيدة كان أبو عمرو اسمر طويلا ضرب اليدين حاد النظر ما رأيت مثله قبله ولا بعده فى فهمه ولا علمه وكان صاحب غريب ونحو وعلم وهو أحد الائمة فى القراءة وعنه أخذ يونس والاصمعى وأبو عبيدة وفيه يقول الفرزدق

(ترجمة أبى عمرو بن العلاء)

مازلت أغلق أبوابا وأفتحها * حتى أتيت أبا عمرو بن عمار

وقال ابن مجاهد كان أبو عمرو مقدما فى عصره عالما بالقراءة ووجوهها قدوة فى العلم باللغة امام الناس فى العربية وكان مع ذلك متمسكا بالآثار ولا يكاد يخالف فى اختياره ما جاء عن الائمة قبله متواضعا فى علمه وقال أبو عبيدة كان أبو عمرو أعلم الناس بالقرآن والعربية وأيام العرب وأنسابها وشعرها وكانت دفاتره ملء بيت فلما تنسك أحرقها وجعل على نفسه أن يختم القرآن فى كل ثلاث ليال فلما أسن اختلط بالناس واحتاجوا اليه فعول على حفظه فاملى من حفظه كتب الناس ووقع عليه الاجماع روى الاصمعى عن أبى عمرو قال كنت اسمر مع مسلم بن قتيبة الباهلى وكان يعجبه الروى على السين فانشدته ليلة ستين قصيدة على السين لستين شاعرا اسمهم عمرو * الاصمعى كان لابى عمرو كل يوم من غلة داره فلسان فلس يشترى به كوزا وفلس يشترى به ريحانا يشرب فى الكوز يومه ويشم الريحان يومه فاذا أمسى تصدق بالكوز وأمر الجارية أن تجفف الريحان وتدقه فى الاشنان * الاصمعى قال أبو عمرو كنت فى ضيعتى فاشتد على الحر فكنت أدور فى سدر فيها نصف النهار فسمعت قائلا يقول

وان

وان امرأ دنياه أكبر همه * لمستمسك منها بحبل غرور

فقلت انسى أم جنى فما أجابنى فنقشته فى خاتمى فكان نقش خاتمه * الاصمعى كنت واقفا بالمربد واذا أنا بأبى عمرو فلما بصر بى مال الى فقال ما وقوفك هنا يا أصمعى قلت انى أحب المربد وأكثر الجلوس فيه فقال الزمه فانه يشد النظر ويجلو البصر ويجمع بين ربيعة ومضر ثم أردت الانصراف فقال الى أين يا أصمعى فقلت الى صديق لى فقال اما الفائدة أو لعائدة أو لمائدة والا فلا ثم قال لى مالى أراك بلا عمامة قلت لا عمامة لى فنزع عمامته عن رأسه فدفعها الى فكبر ذلك على فقال لى ان لى بدلها احدى عشرة عمامة ثم قال لى الزم العمامة فانها تشد اللامة وتحفظ الهامة وتزيد فى القامة ثم استخرج من كمه كيسا فدفعه الى ثم قال يا أصمعى لا زلتم بخير ما دمتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فاذا تركتم ذلك سلط الله عليكم أقواما غلاظا فظاظا خبرتكم على قدر معرفتكم وأما قراءته واعرابه المذكوران فى المقامة فان شجاع بن نصر قال قلت لابى عمرو كيف طلبت قراءة القرآن قال لم أزل أطلب ان أقرأه كما قرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما أنزل عليه فقلت له وكيف ذلك قال هرب أبى من الحجاج وأنا شاب فقدمنا مكة فلقيت بها عدة من التابعين ممن قرأ على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل مجاهد وسعيد ابن جبير وعطاء وغيرهم فقرأت عليهم القرآن وأخذت العربية عن العرب الذين سبقونا باللحن فهذه التى أخذت بها قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشدد يدك بها وقال خرج أبى هاربا من الحجاج الى اليمن فانا لنسير فى الصحراء باليمن اذ لحقنا لاحق ينشد

ربما تجزع النفوس من الامـ * ـر له فرجة كحل العقال

فقال له أبى ما الخبر فقال مات الحجاج فانا بقوله فرجة بفتح الفاء أشد سرورا منى بموت الحجاج فقال أبى اصرف ركابنا الى البصرة * الفنجديهى رأيت فى بعض الفوائد ان الحجاج قال لابى عمرو ما وجه قراءتك الا من اغترف غرفة بفتح الغين فقال أبلغنى ريقى فقال قد أبلعتك الفرات وقال قاتل الله ابن أم الحجاج لئن لم تأتنى بالجواب الى خمسة عشر يوما لاقتلنك شر قتلة ووكل به موكلين فخرج أبو عمرو يطوف فى أحياء العرب فلم يجد له حجة الى يوم وعده فجره الموكلون به ليرجعوه الى الحجاج فسمع راعيا ينشد ربما تجزع النفوس البيت فقال له أبو عمرو وكيف تنشد هذا البيت له فرجة أو فرجة فقال فرجة وفرجة وكذلك كل ما جاء على فعلة فلنا فيه ثلاث لغات فقال له أبو عمرو فما سبب انشادك هذا البيت فى هذا الوقت فقال انا كنا خائفين من الحجاج وقد بلغنا نعيه قال والله لا أدرى بأيهما كنت أشد فرحا بوجدانى الجواب والحجة لقولى واختيارى أم بموت الحجاج * سفيان بن عيينة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت له يا رسول الله قد اختلفت على القرا آت فبقراءة من تأمرنى أن أقرأ قال بقراءة أبى عمرو بن العلاء وقال أبو العباس بن سريج من أراد أن يتظرف فعليه بمذهب الشافعى وقراءة أبى عمرو بن العلاء وشعر بن المعتز فقيل له قد عرفنا مذهب الشافعى وقراءة أبى عمرو بن العلاء فأنشدنا من شعر ابن المعتز ما يوجب الظرف فأنشد

كنت صباحى قرير عين * فصرت أمسى صريع بين
بعين نفسى أصبت نفسى * فالله بينى وبين عينى

وكان يقول انما نحن فيمن مضى كبقل فى أصول نخل طوال وقال أبو عمرو ناظرت عمرو بن عبيد فى الوعيد فقال ان الله تعالى لا يوعد نابشئ فيخلفه فقلت له يا أبا عثمان ليس للعلم باللغة ان خلف الوعيد عند العرب ليس بخلف وأنشد

واني وان أوعدته أو وعدته * ليكذب ايعادي و يصدق موعدي

وقال أبو عمرو كنت رأسا والحسن حى وتوفى بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة وهو ابن ست وثمانين سنة وعلى قبره مكتوب هذا أبو عمرو بن العلاء مولى بنى حنيفة وانما قيل هذا لان أمه كانت من بنى حنيفة * أبو عبيدة دخل أبو عمرو على سليمان بن عبد الملك فسأله عن شئ فصدقه فيه فلم يعجبه ما قال فخرج أبو عمرو وهو يقول

أنفت من الذل عند الملوك * وان أكرموني وان قربوا
اذا ما صدقت لهم خفتهم * ويرضون مني بأن يكذبوا

وقال أبو بكر بن مجاهد رأيت أبا عمرو فى المنام فقلت ما فعل الله بك فقال لى دعني مما فعل الله بى من أقام ببغداد على السنة والجماعة ومات نقل من جنة الى جنة وأما (ابن قريب) فهو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن على بن اصمع والى أصمع هذا ينسب وأصمع فخذ من بنى قتيبة بن معن بن أعصر بن سعيد بن قيس بن عيلان و بنو معن هم بنو باهلة وباهلة امرأة من همدان تزوجت معنا فنسب ولده اليها والاصمع فى اللغة الضامر اللغة الذى ليس بمنتفخ ومنه الصومعة لضمرها وتدقيق رأسها ومثله قولهم جاء بثريدة مصمعة اذا رققها وأخذ رأسها وسهم متصمع متلطخ بالدم فضمرت قذذه وكان الاصمعى حافظا عالما فطنا عارفا باشعار العرب واخبارها كثير التطوف بالبوادى لاقتباس علومها وتلقى أخبارها فهو صاحب غرائب الاشعار وعجائب الاخبار وقدوة الفضلاء وقبلة الادباء قد استولى على الغايات فى حفظ اللغات وضبط العلوم الادبيات صاحب دين متين وعقل رصين وكان خاصا بالرشيد آخذا لصلاته كثيرا وقد تقدم فى هذا الكتاب من الحكايات المسندة الى الاصمعى ما يدل على تبحره وحفظه ومن حكاياته عن اعرابه على ما أشار له الحريرى هنا حدث الاصمعى رحمه الله قال اعرابى حسن التدبير مع الكفاف أكفى من الكثير مع الاسراف الاصمعى سمعت اعرابيا يقول من كساه الحياء ثوبه أخفى على الناس عيبه الاصمعى قال اعرابى من اقتصد فى الغنى والفقر فقد استعد لنائبات الدهر قال وقال اعرابى عداوة الحكيم أقل عليك ضررا من مودة الجاهل منهم قال وقال اعرابى أعجز الناس من قصر فى طلب الاخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم وقال تزوج اعرابى الى بعض الحاضرة فلما كان ليلة دخوله بها اذا هى أدماء مجدورة فخرج من البيت وهو ينشد ويقول

زوجتني أدماء مجدورة * كأنها من خشب البيت
قبيحة الوجه لها منظر * يفر منه ملك الموت

قال وجرى بين اعرابى وبين امرأته كلام بالمربد فشتمته فقال لها اسكتى فوالله ما شعرك بوارد وما فوك ببارد ولا ثديك بناهد ولا بطنك بوالد ولا الخير فيك بزائد ولا الشر فيك بواحد وما نالك بحامد ولا بعد موتك بواجد ونذكر بعد ذلك حكايته المشهورة مع الرشيد

ووزرائه

وابن قريب فى روايته عن اعرابه

(ذكر مناقب الاصمعى رحمه الله تعالى)

و زرائه ونحتمل طولها لما احتوت عليه من غرائب الآداب وكان مجلس مذاكرة بين افراد
فاظهر كل رجل منهم أفضل ما يذكر * حدث الاصمعي قال استدعاني الرشيد في بعض الليالي وقد
تصرمت قطعة من الليل فراعني رسله ولم أفق أن مثلت بين يديه واذا في المجلس يحيى بن خالد
و جعفر والفضل فلما لحظني الرشيد استدناني فدنوت منه فتبين ما بي من الوجل فقال لي
ليفرخ روعك فما أردناك الا لما يراد له مثلك فمكثت هنيهة الى أن ثابت الي نفسي بعد أن كادت
تطير شعاعا فقال اني نازعت هؤلاء القوم في أشعر بيت قالته العرب في التشبيه ولم يقع اجماعنا
على بيت فأردناك لفصل هذه القضية واجتناء ثمرة الخطار فيها فقلت يا أمير المؤمنين ان التعيين
على بيت واحد في نوع واحد قد وسعت العرب فيه وجعلته معلما لافكارها ومسترا لخواطرها
لبعيد أن يقع النص عليه ولكن أحسن الناس تشبيها امرؤ القيس في قوله

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالي

وفي قوله كأن عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب

وفي قوله ولو عن نثا غيره جاءني * وجرح اللسان كجرح اليد

وفي قوله سموت اليها بعدما نام أهلها * سمو حباب الماء حالا على حال

فالتفت الى يحيى وقال هذه واحدة قد نص على امرئ القيس انه أبدعهم تشبيها قال يحيى هي
لك يا أمير المؤمنين ثم قال لي الرشيد فما أبدع تشبيهاته عندك قلت قوله يصف فرسا

كأن تشوفه بالضحى * تشوف أزرق ذي مخلب

اذا اقرعته حلال له * تقول سلبت ولم تسلب

فقال هذا حسن وأحسن منه قوله

فرحنا بكاس الماء يجنب وسطنا * تصوب فيه العين طورا وترتقي

فقال جعفر يا أمير المؤمنين ماهذا التحكم قال الرشيد وكيف قال يذكر أمير المؤمنين ماوقع
اختياره عليه ونذكر ما اخترناه ويكون الحكم واقعا بعد فقال الرشيد أمرضت فاستحسنها
يقال امرض الرجل اذا قارب الصواب ثم قال الرشيد بل تبدأ يا يحيى فقال يحيى أحسن الناس
تشبيها النابغة في قوله

نظرت اليك بحاجة لم تقضها * نظر السقيم الى وجوه العوّد

وفي قوله فانك كالليل الذي هو مدركي * وان خلت أن المنتأى منك أوسع

(وفي قوله)

من وحش وجرة موشي أكارعه * طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد

فقال الاصمعي أما تشبيهه مرض الطرف فحسن الا أنه هجنه بذكر العلة وتشبيه المرأة بالعليل
وأحسن منه قول عدي بن الرقاع العاملي

وكأنها بين النساء أعارها * عينيه أحور من جآذر جاسم

وسنان أقصده النعاس فرنقت * في عينه سنة وليس بنائم

وأما تشبيه الادراك بالليل فقد تساوى الليل والنهار فيما يدركانه وانما كان سبيله أن يأتي بما
ليس له قسيم حتى يأتي بمعنى ينفرد به ولو قال قائل ان قول النمري في هذا أحسن لوجد مساغا الى

ذلك حيث يقول

فلو كنت بالعنقاء أو بسنامها * لخلتك الا أن تصد تراني

وأما قوله * طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد * فالطرماح أحق بهذا المعنى لانه أخذه فجوده وزاد عليه وان كان النابغة اخترعه وقول الطرماح

يبدو وتضمره البلاد كأنه * سيف على شرف يسل ويغمد

فقد جمع في هذا البيت استعارة لطيفة بقوله وتضمره البلاد وتشبيه اثنين بقوله يبدو وتضمر ويسل ويغمد وجمع حسن التقسيم وصحة المقابلة قال الاصمعي فاستبشر الرشيد وبرقت أسارير وجهه حتى خلت برقا ومض منها وقال ليحيى فضلتك ورب الكعبة فامتقع يحيى فكأن الرماد ذر على وجهه قال الفضل لا تعجل يا أمير المؤمنين حتى أمر ما قلته بسمعه فقال قل قال أحسن الناس تشبيها طرفة في قوله

ووجه كأن الشمس ألقت رداءها * عليه نقي اللون لم يتخدد

وفي قوله يشق حباب الماء حيزومها بها * كما قسم الترب المقابل باليد

قال فقلت هذا احسن وغيره أحسن منه قد شركه في هذا المعنى جماعة من الشعراء وبعد فطرفة صاحب واحدة لا يقطع بقوله مع التجوز وانما يعد من أصحاب الواحدة قال ومن أصحاب الواحدة قلت الحرث بن حلزة في قوله

آذنتنا ببينها أسماء * رب ثاو يمل منه الثواء

والاسعر الجعفي في قوله

هل دان قلبك من سلمى فاشتفى * ولقد عنيت بحبها فيما مضى

(والافوه الاودي في قوله)

ان ترى رأسي فيه نزع * وشواتي حلة فيها دوار

وعلقمة في قوله

طحابك قلب في الحسان طروب

(وسويد بن أبي كاهل في قوله)

بسطت رابعة الحبل لنا * فوصلنا الحبل منها فاتسع

(وعمرو بن كلثوم في قوله)

ألا هبي بصحنك فاصبحينا * ولا تبقي خمور الاندرينا

(وعمرو بن معديكرب في قوله)

أمن ريحانة الداعي السميع * يؤرقني وأصحابي هجوع

فاستخف الرشيد الاريحية وقال ادنه فانك بحيش وحدك وزدفي عيني نبلا فقال جعفر لبثا قليلا يدرك الهيجا حمل يعرض بأنه قد يجوز أن يدرك ما يحاوله فقال له الرشيد فاتتك والله السوابق وجئت سكيتا اذ وانك أربع قال ورأيت الحبة في وجهه فقال جعفر على شريطة حالك قال أتراه يسع غيرك ويضيق عنك فقال جعفر لست أنص على شاعر واحد انه أحسن الناس في بيت تشبيها ولكن قول امرئ القيس

كأن غلامى اذ علا حال متنه * على ظهر باز فى السماء محلق
(وقول عدى بن الرقاع)
يتعاوران من الغبار ملاءة * غبراء محكمة هما نسجاها
تطوى اذا وردا مكانا خاشنا * واذا السنابك اسهلت نشراها
(وقول النابغة)
بأنك شمس والملوك كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

قال الاصمعى قلت هذا احسن كله بارع وغيره أحسن منه وانما يجب أن يقع التعيين على ما اخترعه قائله فلم يتعرض له او تعرض له شاعر فوقع دونه فاما قول امرئ القيس *على ظهر باز فى السماء محلق* فمن قول أبى دواد
اذا شاءوا اكبه ضمه * كما ضم بازى السماء الجناحا
وأما قول عدى *يتعاوران من الغبار ملاءة* فمن قول الخنساء
جارى أباه فأقبلا وهما * يتعاوران ملاءة الحضر
وأول من نطق به جاهلى من بنى عقيل قال
ألا يا ديار الحى بالبردان * عفت حجج بعدى لهن ثمانى
فلم يبق منها غير نؤى مهدم * وغير اثاف كالركى دفان
وآثار هاب أورق اللون سافرت * به الريح والامطار كل مكان
قفار مريرات يحاربها القطا * ويضحى بها الجانان يعتركان
يثيران من نسج الغبار عليهما * قميصين أسمالا ويرتديان
وشارك عديا أبو النجم وأورده فى أحسن لفظ قال يصف عيرا وأتانا وما أثاراه من الغبار بعدوهما
ألقى بجنب القاع من حبالها * سرباله وانشام فى سربالها
وأما قول النابغة * بأنك شمس والملوك كواكب* فقد تقدمه فيه شاعر قديم من شعراء كندة يمدح عمرو بن هند وهو أحق به من النابغة اذ كان أبا عذرته فقال
كادت تميد الارض بالناس اذ رأوا * لعمرو بن هند غضبة وهو عاتب
هو الشمس وافت يوم سعد فأفضلت * على كل ضوء والملوك كواكب
قال فكأنى والله القمت جعفرا حجرا فاهتز الرشيد فوق سريره وكاد يطير عجبا وطربا وقال والله لله درك يا أصمعى اسمع الآن ما كان وقع عليه اختيارى فقال لبقل أمير المؤمنين أحسن الله توفيقه فقال عنت على ثلاثة أشعار أقسم بالله انى أملك السبق بأحدها فقال يحيى خفض على هينتك فابى الله الا أن يكون لك الفضل ثم قال الرشيد أتعرف يا أصمعى تشبيها أنخر وأعظم فى أحقر مشبه وأصغره فى أحسن معرض من قول عنترة الذى لم يسبقه اليه سابق ولا نازعه منازع ولا طمع فى مجاراته طامع حين شبه ذباب الروض العازب فى قوله
وخلا الذباب بها فليس ببارح * غردا كفعل الشارب المترنم
هزجا يحك ذراعه بذراعه * فعل المكب على الزناد الاجذم

ثم قال يا أصمعي هذا من التشبيهات العقم التي لا تنتج شبهت بالريح العقيم التي لا تنتج ثمرة ولا تلقح شجرة فقلت كذلك هو يا أمير المؤمنين وبجدك آليت ما سمعت قط أحدا يصف شعرا بأحسن من هذه الصفة ولا استطاع بلوغ هذه الغاية فقال مهلا لا تعجل أتعرف أحسن من قول الحطيئة يصف لغام ناقته أو تعلم أحدا قبله أو بعده شبه تشبيهه حيث يقول

ترى بين لحييها اذا ما ترغمت * لغاما كنسج العنكبوت الممدد

فقلت والله ما علمت أحدا تقدمه الى هذا التشبيه أو أشار اليه بعده ولا قبله قال أتعرف بيتا أبدع وأوقع من تشبيه الشماخ لنعامة سقط ريشها وبقي أثره في قوله

كأنما منثني أقماع ما مرطت * من العفاء بليتيها الثآليل

فقلت لا والله يا أمير المؤمنين فالتفت الى يحيى فقال أوجب فقال وجب فقال أأزيدك فقال وأي خير لم يزدني منه أمير المؤمنين قال وقول النابغة الجعدي

رمى ضرع ناب فاستهل بطعنة * كحاشية البرد اليماني المسهم

ثم التفت الى الفضل فقال أوجب قال وجب قال أأزيدك قال ذلك لأمير المؤمنين قال قول الاعرابي

به ضرب أنداد العطايا كأنه * ملاعب ولدان تخط وتمضغ

ثم التفت الى جعفر فقال أوجب قال وجب قال أأزيدك قال لأمير المؤمنين علو الرأي قال قول عدي بن الرقاع

تزجي أغن كأن ابرة روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها

فقلت يا أمير المؤمنين هذا بيت حسد عديا عليه جرير قال وكيف ذلك قلت زعم أبو عمرو بن العلاء أن جريرا قال لما ابتدأ عدي ينشد *عرف الديار توهما فاعتادها فقلت في نفسي ركب والله مركبا صعبا سيبدع فيه فما زال يتخلص من حسن الى حسن الى ان قال تزجي أغن كأن ابرة روقه *فرحمته وظننت أن مادته تقصر به فلما قال *قلم أصاب من الدواة مدادها* حالت الرحمة حسدا فقال لله أبوك يا أصمعي ثم أطرق ورفع رأسه وقال أتراك تعينني في انحطاطك في هواي فقلت كلا يا أمير المؤمنين انك لتجل عن ذلك قال انظر خمسا قلت قد نظرت قال فالسبق لمن قلت لأمير المؤمنين قال فقد أسهمت لك في العشر والعشر كثير ثم رمى بطرفه الى يحيى وقال المال الساعة وأولى لك فما كان ساعة حتى حضرت البدر بيني وبينه ورأيت ضوء الصبح قد غلب على ضوء الشمع فأشار الى خادم على رأسه كم هي فقال ثلاثة آلاف ألف درهم فقال دونك احمل ثلاثين ألفا الى منزلك ونهض عن مجلسه وأمر الخدم بمعاونتي على حمله فكانت أسعد ليلة ابتسم فيها الصباح عن أحد بالغنى فهذه الحكاية تدلك على تبحره في علوم العربية وسعة حفظه تبع ابن الرمادي عنترة في قوله وخلا الذباب بقوله

وكأس كريق الالف شعشعها به * وعيشي من هذا الشراب المشعشع
اذا ما شربنا كأسنا صب فضلها * على روضنا للمسمع المتخلع

وقال ابن الرومي

وأذكى نسيم الروض ريعان ظله * وغنى مغنى الطير فيه فرجعا
وكانت أهازيج الذباب هناكم * على شدوات الطير صوتا موقعا

وكان أبوه قريب بخلافه كان نذلا خسيسا وكان عطاء الملك أتى بجماعة من البصرة الى قريب فوجدوه ملتفا بكساء نائما للشمس فوكزه برجله وصاح به قم يا قريب ويلك قال ألقيت أحدا من أهل العلم قط أو من أهل اللغة أو الفقهاء أو من المحدثين قال لا والله قال لمن حضر اشهدوا على ما سمعتم لا يقول لكم غدا الاصمعي أو بعد غد أنشدني والدي أو حدثني ففضحه * ومن حكاياته عن أبيه قال الاصمعي حدثني أبي قال أتي عبد الملك بن مروان برجل مع بعض من خرج عليه فقال اضربوا عنقه فقال يا أمير المؤمنين ماهذا جزائي منك قال وما جزاؤك قال والله ما خرجت مع فلان الا بالتطير لك وذلك انى رجل مشؤم ما كنت مع رجل قط الا غلب وهزم وقد بان لك صحة ما ادعيت به وكنت عليك خيرا لك من مائة ألف معك فضحك منه وخلى سبيله وكان للاصمعي ابن طريف فقيل له يوما أين أبوك فقال في بيته يكذب على الاعراب ومرض الاصمعي فعاده أبو ربيعة وكان يحب أهل الادب فقال له أقرضني خمسة آلاف درهم ففعل وقال أتشتهي غير هذا فقال نعم فصا حسنا وسيفا قاطعا وبرذونا حسنا وسرجا محلى فبعث بذلك اليه وكان اسحق الموصلي يعظمه ويقرأ عليه فدخل الاصمعي يوما على الفضل بن يحيى واسحق ينشده في صفة فرس

كأنه في الجل وهو سام * مشتمل جاء من الحمام
يسور بين السرج واللجام * سور القطامي الى الحمام

فقال الاصمعي هات بقيتها فقال له اسحق ألم تقل لي مابقي منها شيء فقال مابقي الا عيونها ثم أنشد بعد ذلك ثلاثين بيتا فغضب اسحق وعرف الفضل قلة شكره لعارفيه وبخله بما عنده وأخذ يصف فضل أبي عبيدة ونزاهته وبذله لما عنده واشتماله على علوم العرب فأنفذ اليه الفضل مالا جليلا وأقدمه من البصرة وسعى بالاصمعي عند الرشيد حتى حط منزلته وقال اسحق يهجوه

أليس من العجائب ان قردا * أصيمع باهليا يستطيل
ويزعم انه قد كان يفتي * أبا عمرو ويسأله الخليل
اذا ما قال قال أبى عجبنا * لما يأتي به ولما يقول *
وجالُه عطاء الملك عارا * تزول الراسيات ولا يزول
فقل لابي ربيعة اذ عصاني * وحاد به عن القصد السبيل
لقد ضاعت بردوك فاحتسبها * وضاع الفص والسيف الصقيل
فأما الخمسة الآلاف فاعلم * بانك غبها لا تستقيل

والاصمعي لا يقدح هذا القدر في جانبه لان بعض محاسنه يغطي على كل مساويه وكان منشؤه بالبصرة وبها توفي سنة تسع عشرة ومائتين وبلغ ثمانيا وثمانين سنة (قوله محرابي) ومابعده في معناه يعني فرجها و(الامام) ومابعده يعني به ذكره وسمي محراب المسجد محرابا لانه يباعد من ليس من أهله أن يقرب به اذ هو أرفع ما في المسجد وفلان حرب لفلان أي مباعد له و(القراب) وعاء من جلد يجعل فيه السيف مع غمده والقراب وعاء الزاد و(اللدد) شدة الخصومة (الجدد)

أتطنى ارضاك اما ما لمحرابي وحساما لقرابي لا والله ولا بوابا لبابي ولا عصا لجرابي فقال لهما القاضي أراكما شنا وطبقة وحدأة وبندقة فاترك ايها الرجل اللدد واسلك في سبيلك الجدد واما انت فكفي عن سبابه.

الارض الصلبة والمعنى فى قوله اسلك فى سبرك الجدد جامعها فى الفرج لاغبروفى المثل من سلك الجددأمن العثار (قرى) اسكنى (البيت) كناية عن فرجها (من بابه) يريدأن لا يأخذ الجار بالجار وقولها (الااذا كسانى) قال النبى صلى الله عليه وسلم اعروا النساء يلزمن الحجال و(الشراع) قلع السفينة وأراد برفعه كشف ثيابها ورفع رجليها حين يطؤها وقال أبو نواس فى معناه

ترفق قليلا قد أوجعتنى * وألحقت قرطى بخلخاليه

والقرط فى الاذن والخلخال فى الرجل فانظر متى يجتمعان وقال ابن الرومى فى ذلك

يا أحمد بن سعيد لو بصرت بها * اذا الاكف لساقيها اخلاخيل

وقال البحترى

لم تخط باب الدهليز خارجة * الا وخلخالها هامع الشنف

وقال ابن الرومى

لو ان رجلى عروس هابداها * ماأخطأتها رجة تغشاها
قد خلقت مرفوعة رجلاها * كأنما يستغفران الله

وله أيضا

شيخ لنا يكنى أبا حفصل * أقرن مثل الأيل الأنول
تبيت فى منزله نسوة * يلبسن ثوب الليل كالمنزل
يعملن فيه عملا صالحا * يرفعه الله الى أسفل
يستغفر الناس بأيديهم * وهن يستغفرن بالارجل

قال الاصمعى قلت لامة ظريفة يا جارية هل فى يديك عمل قالت لا ولكن فى رجلى و (المحرجات الثلاث) هى الطلاق والعتق والمشى الى مكة وقيل هى الطلاق الثلاث ومحرجات فيها حرج اى اثم وضيق * وحدث ابو حاتم عن الاصمعى عن عيسى بن عمر قال اشتكى رجل امرأته فقال له شيخ من بنى نصر كان أسن منه الا تكشفها بالمحرجات يعنى الطلاق قال قاتلك الله فأأغرك وعلى الطلاق ثلاثا حدثنا أبو بكر محمد بن أسد الديلى قال سمعت أبا فتان الدراع يقول الطلاق الثلاث البت لازم لى لقد سمعت أبا عبيدة معمر بن المثنى يقول الطلاق الثلاث البت لازم لى لقد سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول الطلاق الثلاث البت لازم لى ان كانت العرب قالت احكم من هذه الابيات

كن للمكاره بالعزاء مقنعا * فلعل يوما لاترى ما تكره
فلربما استتر الفتى فتنافست * فيه العيون وانه لمموه
* ولربما خزن الكريم لسانه * حذر الجواب وانه لمفوه
ولربما ابتسم الكريم من الاذى * وفؤاده من حره يتأوه

(قوله اطماره الرثاث) أى ثيابه الخلقة (الالمعى) المتوقد الحاضر الذهن * ابن الاعرابى الالمعى الذى اذا لمع له أول الامر عرف آخره فيكتفى بظنه دون تعيينه و(اللوذعى) الفطن الذكى الظريف الحديد الفؤاد (قطبه) عبسه (مجن) ترس و(قلبه) كناية عن ابداء الشر بعد الخبر وقد تقدم (التسافه) الاخفاش والشتم (الجرم) الذنب (المقاذعة) المشاتمة بما فحش (الثغرة) الحفيرة فى أصل العنق (خبكما) خداعكما وغشكما (أندّدن) أسمع الناس بما ينالكما عندى من

وقرى اذا اتى البيت من بابه فقالت المرأة والله ما أستحيى عنه لسانى الااذا كسانى ولا ارفع له شراعى دون اشباعى خلف ابو زيد بالمحرجات الثلاث انه لايملك سوى اطماره الرثاث فنظر القاضى فى قصصهما نظر الالمعى وافكر فكرة اللوذعى ثم اقبل عليهما بوجه قد قطبه ومجن قد قلبه وقال ألم يكفكما التسافه فى مجلس الحكم والاقدام على هذا الجرم حتى تراقيتما من فحش المقاذعة الى خبث المخادعة وايم الله لقد اخطأت استكما الحفرة ولم يصب سهمكما الثغرة فان امير المؤمنين اعزالله ببقائه الدين نصبنى لاقضى بين الخصماء لا لاقضى دين الغرماء ووحق نعمته التى احلتنى هذا المحل وملكتنى العقد والحل لئن لم توضحالى جلية خطبكما وخبيئة خبكما لاندّدن بكما

المكروه ونددبه شتمه وأسمعه القبيح (الامصار) البلاد (عبرة) موعظة (أولى الابصار) أهل العقول (أطرق) أمال رأسه ساكتا (الشجاع) الحية (سماع سماع) أى اسمع منى (كفء البدر) أى نظيره والكفء النظير والمثل (ديرها) فرجها (قسى) ذكرى وأصل الدير للنصارى والقس والقسيس عالمهم وعابدهم (عدت) جارت وخرجت عن طريقها (والسقيا) الشرب وهى هنا مصدر بمعنى السقى و (التحسى) شرب الحسوة وأراد بالمضغ والتحسى أكل الخبز واللحم وحسو مرقه وقيل المضغ فى الرخاء والحسو فى الشدة كاستعمالهم فيها حسو السخينة وغيرها و (عز) قل (التأسى) الاقتداء بالغير وقد تأسى تأسيا اذا اقتدى بفعل غيره وتصبر وهذا باب غلبت عليه الخنساء بقولها

ولولا كثرة الباكين حولى * على اخوانهم لقتلت نفسى
وما يكون مثل أخى ولكن * أعزى النفس عنه بالتأسى

فزاد عليه ابن العباس الرومى فى المعنى وبنه حتى استحقه حيث قال

رأيت الدهر يجرح ثم يأسو * يؤسى أو يعوض أو ينسى
أبت نفسى الهلاع لرزء شئ * كفى رزأ النفسى رزء نفسى
أتجزع وحشة لفراق الف * وقد بوأتها لحلول رمسى

فذهب فى هذه الابيات كل مذهب ثم أراد أن يظهر ما عنده من فضل المنة وحسن التصرف فقال

ياشبابى وأين منى شبابى * آذنتنى أيامه بانقضاب
ومعز عن الشباب مؤس * بمشيب اللذات والاصحاب
قلت لما انتحى يعدد أساه * بمصاب شبابه بمصاب
ليس تأسو كلوم غيرى كلومى * مابه مابه وما بى مابى

وكرر هذا المعنى فاحسن ماشاء وذهب فيه مذاهب أخرى فقال

خليلى قد عللتمانى بالمنى * وأنعمتما لو اننى أتعلل
أللناس ايثارى والافا الاسى * وعيشكما الاضلال مضلل
وما راحة المرزوء فى رزء غيره * أيحمل عنه بعض مايتحمل
كلا حاملى أوفى الرزية مثقل * وليس معينا مثقل الدهر مثقل
وضرب من الظلم الخفى مكانه * تعزيك بالمرزى حين تامل

ولابن رشيق

رأيت التعزى مما يهيج * على المرء ساكن أوصابه
وما نال ذو اسوة سلوة * ولكن أتى الحزن من بابه
تفكر فى مثل أرزائه * فذكره مابه مابه

وقال ابن رشيق أخذته من قول عمر بن أبى ربيعة

وذو الشوق القديم وان تعزى * مشوق حين يلقى العاشقينا

وأخذه عمر من قول متمم بن نويرة

وقالوا أتبكى كل قبر رأيته * لقبر ثوى بين اللوى والدكادك

فى الامصار ولاجعلنكما
عبرة لاولى الابصار فأطرق
ابوزيد اطراق الشجاع ثم
قال له سماع سماع
انا السروجى وهذى عرسى
وليس كفء البدر غير الشمس
وما تنافى انسها وانسى
ولا تنائى ديرها عن قسى
ولا عدت سقياى ارض غرسى
لكننا منذ ليال خمس
نصبح فى ثوب الطوى ونمسى
لانعرف المضغ ولا التحسى

حتى كأننا لخفوت النفس * اشباح موتى نشروا من رمس فحين عز الصبر والتاسى * وشفنا الضر الاليم المس
قمنا السعد الجد اولنحس * هذا المقام لاجتلاب فلس والفقر يلجى الحر حين يرسى * الى التحلى فى لباس اللبس
فهذه حالى وهذا درسى * فانظر الى يومى وسل عن امسى وامر بجبرى ان تشأ او حبسى * ففى يديك صحتى ونكسى

فقال له القاضى ليثب انسك ولتطب نفسك فقد حق لك ان تغفر خطيئتك وتوفر عطيتك فثارت الزوجة عند ذلك واستطالت واشارت الى الحاضرين وقالت

يا اهل تبريز لكم حاكم
اوفى على الحكام تبريزا
مافيه من عيب سوى انه
يوم الندى قسمته ضيزى
قصدته والشيخ نبغى جنى
عود له مازال مهزوزا
فسرح الشيخ وقد نال من
جدواه تخصيصا وتمييزا
وردنى اخيب من شائم
برقا خفى فى شهر تموزا
كأنه لم يدر انى التى
لقنت ذا الشيخ الاراجيزا
وأننى ان شئت غادرته
أضحوكة فى أهل تبريزا

قال فلما رأى القاضى اجتراء جنانهما وانصلات لسانهما علم انه قد منى منهما بالداء العياء والداهية الدهياء وانه متى منح احد الزوجين وصرف الآخر صفر اليدين كان كمن قضى الدين بالدين اوصلى المغرب ركعتين فطلسم وطرسم واخرنطم وبرطم وهمهم وغمغم ثم التفت يمنة وشامة وتملل كآبة وندامة واخذ يذم القضاء ومتاعبه ويعدد شوائبه ونوائبه ويفند طالبه وخاطبه ثم تنفس كما يتنفس الحريب وانتحب حتى كاد يفضحه النحيب وقال ان هذا الشئ عجيب أأرشق فى موقف بسهمين االزم فى قضية بغرمين االطيق ان ارضى الخصمين ومن اين ومن اين ثم عطف الى حاجبه المنفذ لما ربه وقال ما هذا يوم حكم وقضاء وفصل وامضاء هذا يوم الاعتمام هذا يوم الاغترام هذا يوم البحران هذا يوم الخسران

فقلت لهم ان الاسى يبعث البكا * دعونى فهذا كله قبر مالك

(خفوت) ضعف النفس من شدة الجوع وخفت خفوتا ضعف وسكن ومات و(الاشباح) الاشخاص وأصل الشبح الشخص تبصره على بعد فلا تعرف ماهو ويقع الشبح على كل شخص مرئى (نشروا) أحيوا (رمس) قبر و(المس) لصوق جارحة بأخرى (الجد) الحظ والنصيب (يرسى) يثبت ويقيم (التحلى) البروز والظهور (اللبس) التخليط (درسى) ثوبى الخلق (الجبر) أن تغنى الرجل من فقر أو تصلح عظمه من كسر وجبره الله سد مفاقره (والنكس) بضم النون عود المرض بعد القوة ونكس نكسا (ليثب) أى ليرجع (توفر) تكثر (ثارت) ظهرت وأفشت سرها و(استطالت) جرحت بلسانها وأعلت كلامها (أوفى) أشرف عليهم وزاد (تبريزا) ظهورا وسبقا (ضيزى) غير مستويه فيها بخس ونقصان وقد ضاز الحاكم اذا جار وضازه يضيزه ضيزا اذا نقصه ومنعه حقه ويحكى أن مزيدا المدنى ويكنى أبا اسحق صلى يوما فلما فرغ من صلاته قالت امرأته اللهم اشركنى فى دعائه فقال مزيد اللهم اصلبنى فقالت امرأته اما على هذا فلا فقال يا ضراطة تلك اذا قسمة ضيزى (قوله والشيخ) منصوب على المفعول معه (نبغى) نطلب (الندى) الكرم و(جنى العود) ما يجنى من ثمره وأرادت كرم القاضى مازال مهزوزا أى مازال القاصدون يهزون عوده فيتساقط عليهم جناه فعنى (مازال مهزوزا) انه مطلوب منه العطايا (جدواه) عطاياه (تخصيصا) ترفيعا (تمييزا) تعيينا وقد تخصص الرجل تشبه بالخواص وتعين تشبه بالاعيان (شائم) ناظر للبرق (خفى) لمع (تموز) يوليه بالسريانية وهو أشد الشهور حرا (لقنت) فهمت وحفظت (غادرته) تركته (اضحوكة) يضحك به من رآه (اجتراء) اقدام وتشجيع (جنانهما) قلبهما يريد انهما لم يهاباه (انصلات لسانهما) خروجه بالكلام وطلاقته بالشر وانصلت السيف تسلل من غمده وخرج (منى) بلى (الداء العياء) الذى يعى الطبيب (والداهية) كل أمر فظيع لا يطاق (الدهياء) مبالغة وتأكيد لمعنى الداهية أى الداهية الشديدة (منح) اعطاء (صفر) فارغ * ومن قضى الدين بالدين فكأنه ما قضاه وأنشدوا

اذا كنت تقضى الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن كان غرما على غرم

(تملل) توجع وتقلب (كآبة) حزن وهم (شوائب) ما يكره ويختلط به (نوائبه) نوازله (يفند) يخطئ (الحريب) المحزون المسلوب ماله وقد حربه اذا سلبه فعيل بمعنى مفعول (انتحب) بكى (يفضحه) يشهره (أرشق) أرمى والرشق جملة السهام ترمى مجتمعة وقال لبيد

فرميت القوم رشقا صائبا * ليس بالطيش ولا بالمفتعل

واذا وقعت السهام مجتمعة عند الغرض سميت رشقا (القضية) القضاء والحكومة (المغرم) والغرامة واحد (مآربه) حوائجه (البحران) كاليوم السابع من المرض والبحران عند

هذا يوم عصيب هذا يوم نصاب فيه ولا نصيب فارحني من هذين المهذارين واقطع لسانهما بدينارين ثم فرق الاصحاب واغلق الباب واشعر انه يوم مذموم وان القاضي* فيه مهموم لئلا يحضرني خصوم (قال) فأمن الحاجب على دعائه وتباكى لبكائه ثم نقد ابا زيد وعرسه المثقالين وقال أشهد انكما لاحيل الثقلين لكن احترما مجالس الحكام واجتنبا فيها فحش الكلام فما كل قاض قاضي تبريز ولا كل وقت تسمع الاراجيز فقالا له مثلك من حجب وشكرك قد وجب ونهضا وقد حظيا بدينارين وأصليا قلب القاضي نارين (تفسير ما أودع هذه المقامة من الالفاظ اللغوية والامثال العربية) قوله (لقيت منها عرق القربة) هذا مثل يضرب لمن يلقى شدة من الامر الذي يزاوله كما ان حامل القربة يلقى جهدا حتى يعرق (وقوله جعلته دبر أذني) يعني طرحته وهو كقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم (وقوله أكذب من سجاح) يعني التي تنبأت في عهد مسيلمة الكذاب وسارت اليه لتناظره وتختبره ثم آمنت به ووهبت نفسها له وهذا الاسم مبني على الكسر مثل حذام وقطام لكونه من الاسماء المعدولة واشتقاقه من السجاحة وهي السهولة ومنه قولهم ملكت فأسجح (وقولها أكذب من أبي ثمامة) ٢٦٥ هذه كنية مسيلمة الكذاب وكان تنبأ باليمامة ومخرق بها الى ان سار اليه خالد بن الوليد رضي الله عنه فقتله (وقوله لا نعم عوفك) العوف الحال والعوف أيضا الذكر ويدعى للباني على أهله فيقال له نعم عوفك (وقوله يا دفار يا فجار) هذان الاسمان معدولان عن دافرة وفاجرة والدفر النتن وبه سميت الدنيا أم دفر وكل ما سمي بصفة غالبة ثم عدل بها الى فعال بني على الكسر عند النداء كقوله يا لكاع يا خباث يا دفار يا فجار ولا يجوز استعمال ذلك في غير النداء الا في ضرورة الشعر كقول الحطيئة

أطوف ما أطوف ثم آوي * الى بيت قعيدته لكاع

واما قوله (احمق من رجلة) فهي ضرب من الحمض تنبت في مجاري السيل فيجترفها واما قولها (الأم من مادر) فهو رجل من بني هلال بن عامر كان اتخذ حوضا لسقي ابله فلما رويت سلح فيه ومدره بسلحه لئلا ينتفع به من بعده (واما قولها اشأم من قاشر) فانه فحل كان في بعض قبائل سعد بن زيد مناة بن تميم ما طرق ابلا الا ماتت وقيل المراد به العام المجدب وسمي قاشرا لقشره ما على وجه الارض من النبات (وأما قولها اجبن من صافر) فقد اختلف في تفسيره فقال بعضهم عني به كل ما يصفر من الطير وخص بالجبن لكثرة ما يتقيه من جوارح الجو ومصايد الارض وقيل انه طائر بعينه اذا جنه الليل تعلق ببعض الاغصان ولم يزل يصفر طول ليلته خوفا على نفسه من ان ينام فيؤخذ وقيل انه الذي يصفر بالمرأة لريبة وهو يجبن وقت صفيره مخافة ان يظهر على امره وقيل ان المراد به في المثل المصفور به وهو الذي ينذر بالصفير ليهرب فعلى هذا القول فاعل هنا بمعنى مفعول كقوله تعالى من ماء دافق اى مدفوق وكقولهم راحلة بمعنى مرحولة وهو كثير في كلامهم وقد جاء مفعول بمعنى فاعل كقوله تعالى حجابا مستورا أي ساترا وكقوله تعالى انه كان وعده مأتيا (واما قولها اطيش من طامر) فالمراد به البرغوث ويسمى طامر بن طامر لكثرة وثوبه (واما قول القاضي ارا كما شنا وطبقة وحدأة وبندقة)

الاطباء مدافعة عظيمة تقع بين الطبيعة والعلة وبحر الرجل بحرا اذا اجتهد في العدو طالبا أو مطلوبا فانقطع وضعف ورجل بحر مسلول ذاهب اللحم (عصيب) شديد (المهذارين) الكثيرين الكلام بلا فائدة (اقطع لسانهما) أي صلهما حتى ينقطع بالدينارين كلامهما وهذا اللفظ الذي هو قطع اللسان بالصلة قد نطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أعطى المؤلفة قلوبهم من نفل حنين مائة مائة وأعطى العباس بن مرداس أباعر فسخطها وقال

اتجعل نهبي ونهب العبيـ * ـد بين عيينة والاقرع

وما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس في مجمع

وما أنا دون امرئ منهما * ومن يخفض اليوم لم يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عني لسانه فاعطي حتى رضي وقد جاء في النوادر في حكاية ليلى الاخيلية حين قال الحجاج يا غلام اذهب الى فلان فقل له يقطع لسانها فأمر باحضار الحجام فقالت ثكلتك أمك انما أمرك أن تقطع لساني بالصلة وهي لفظة مستعملة عند من له أمر ونهي (قوله أمن) قال آمين ومعناه الرغبة في الاجابة (تباكى) استعمل البكاء (الثقلين) الانس والجن والواحد ثقل وثقل كمثل ومثل وأصله ما يحمل من الشيء الثقيل فقيل لهما ثقلان لانهما كالثقل على الارض (والفحش) في القول كالفاحشة في الفعل (نهضا) تقدما (شكرك قد وجب) يقال وجب البيع والحق معناه وقع ومنه قوله تعالى فاذا وجبت جنوبها أي وقعت على الارض وسقطت ووجب الحائط سقط ووجب قلبه فزع وخفق (حظيا) سعدا (أصليا) أوقدا وأصقابه

فانه اراد به ان كلا منكما كفء اصاحبه ومقاوم له ولكل من المثلين تفسير مختلف فيه شنّ وطبقة فان العلماء مختلفون فى معنى قولهم وافق شنّ طبقة فقال الاكثرون انهما قبيلتان فشن هو ابن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار وطبقة حى من اياد وكانت طبقة لا تطاق فأوقعت بها شن فانتصفت منها وقال بعضهم كان شن رجلا من دهاة العرب وكان ألزم نفسه ان لا يتزوج الا بامرأة تلائمه فكان يجوب البلاد فى ارتياد طلبته فصاحبه رجل فى بعض أسفاره فلما أخذ منهما السير قال له شن أتحملنى أم أحملك فقال له الرجل يا جاهل وهل يحمل الراكب الراكب فأمسك وسارا حتى أتيا على زرع فقال له شن أترى هذا الزرع أكل أم لا فقال له يا جاهل أما تراه فى سنبله فأمسك الى ان استقبلتهما جنازة فقال له شن أترى صاحبها حيا أم لا فقال له ما رأيت أجهل منك اتراهم حملوا الى القبر حيا ثم انهما وصلا الى قرية الرجل فصار به الى منزله وكانت له بنت تسمى طبقة فأخذ يطرفها بحديث رفيقه فقالت له ما نطق الا بالصواب ولا استفهمك الا عما يستفهم عن مثله ذوو الالباب أما قوله أتحملنى ام أحملك فانه أراد أتحدثنى ام احدثك حتى نقطع الطريق بالحديث وأما قوله اترى هذا الزرع أكل أم لا فانه أراد هل استسلف أربابه ثمنه أم لا وأما استفهامه عن حياة صاحب الجنازة فانه اراد به اخلف عقبا يحيا ذكره به أم لا فلما خرج الى الرجل حدثه بتأويل ابنته كلامه فخطبها اليه فزوجه اياها فلما سار بها الى قومه وخبروا ما فيها من الدهاء والفطنة قالوا وافق شن طبقة فسار مثلا وحكى ان الاصمعى سئل عن تفسير هذا المثل فقال أظن الشن وعاء من أدم كان قد استشن فلما اتخذله غطاء وافقه ضرب فيه هذا المثل وأما (حدأة وبندقة) فانه يقال فى المثل المضروب لمن يفزع بعدوه أو يبلى بنظيره حدأ حدأ وراءك بندقة وكان الاصل حدأة باثبات الهاء فرخم فى النداء وقد اختلف فى المراد بهما فقيل الحدأة هو الطائر المعروف وبندقة الرامى وقيل انهما قبيلتان من سعد العشيرة فأغارت حدأة وكانت تنزل بالكوفة على بندقة وكانت تنزل باليمن فنالت منهم ثم كرت بندقة على حدأة فأنحت عليهم وروى بعضهم هذا المثل حدا حدا غير مهموز على مثال عصا وقفا وزعم أنه اسم القبيلة وأما قوله (أخطأت استك الحفرة) كانه مثل يضرب لمن يخطئ فى مقصده ويضع الشئ فى غير موضعه وأما قوله (طلسم وطرسم) فمعنى طلسم كره وجهه ومعنى طرسم أطرق وقوله (اخرنطم وبرطم) اى غضب وقطب وجهه وقيل معنى اخرنطم غضب مع تكبر ومعنى برطم غضب مع تعبس وأما قوله (همهم وغمغم) أى لم يبين الكلام

(المقامة الحادية والاربعون التنيسية) (حدث الحرث بن همام) قال أطعت دواعى التصابى فى غلواء شبابى فلم أزل زيرا للغيد وأذنا للاغاريد الى ان وافى النذير وولى العيش النضير

(شرح المقامة الحادية والاربعين وهى التنيسية)

(أطعت دواعى التصابى) يقال أطعت كذا وطعت له أى انقدت والمطيع المنقاد والتصابى التظاهر بالصبا والتشاغل به ودواعيه ما يدعوه اليه و(غلواء الشباب) أوله وسرعته أراد ملت الى اللهو واللعب فى أول شبابى فلما أتى الشيب أحببت الرجوع الى الخير (زيرا) كثير الزيارة و(الغيد) جمع غيداء وهى اللينة العنق والمفاصل من النعمة (أذنا للاغاريد) اى كثير الاستماع للغناء وفلان أذن اذا كان يستمع من كل قائل ويقبل منه (وافى) أتى و(النذير) الشيب لانه منذر الانسان بتمام العمر اى يعلمه (ولى) رجع وزال (النضير) الناعم يريد زمن الشباب* ونؤخر ذكر الشيب فانه يؤدى الى تغيير شرح المقامة ونتكلم هنا على ذهاب الشباب قال أبو عمرو بن العلاء ما بكت العرب شيأ ما بكت الشباب وما بلغت به ما يستحقه* الاصمعى من أحسن ألفاظ الشعر المراثى والبكاء على الشباب قال ابن عباس رضى الله عنهما الدنيا العافية والشباب الصحة ومن ألفاظ أهل العصر الشباب باكورة الحياء وروائح الجنة فى الشباب أطيب العيش أوائله كما ان أطيب الثمار بواكرها قال الصولى قد أكثر فى ذكر الشباب القدماء وأهل الاسلام وأجمع الحذاق بالشعر وتمييز الكلام وألفاظه انه لم يقل فيه أحسن من قول منصور النمرى ووقع الاجماع عليه بفاضر تأخره وهو

ما تنقضى عبرة منى ولا جزع * اذا ذكرت شبابا ليس يرتجع
بان الشباب وفاتتنى مسرته * صروف دهر وأيام لها خدع
ما كنت أوفى شبابى كنه عزته * حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع
ان كنت لم تطعمى ثكل الشباب ولم * تشجى بغصته فالعذر لا يقع

أبكي شبابا سلبناه وكان ولا * توفى بقيمته الدنيا ولا تسع
ماواجه الشيب من عين وان رمقت * الا لها نبوة عنه ومرتدع

وقال أبو نواس كان الشباب مطية الجهل * ومحسن الضحكات والهزل
كان الجمال اذا ارتديت به * وخرجت أخطر صيت النعل
كان البليغ اذا نطقت به * وأصاخت الآذان للمملى
كان المشفع فى مآربه * عند الحسان ومدرك النبل
والباعثى والناس قد رقدوا * حتى أكون خليفة البعل

وقال جحظة واها لايام الشبا * ب وما لبسن من الزخارف
وزوالهن بما عرفت من المناكر والمعارف
أيام ذكرك فى دوا * وين الصبا صدر الصحائف

وقال ابن أبى حارثة
ولى الشباب فخلى العين تنهمل * فقد الشباب بفقد الروح متصل
لا تكذبن فما الدنيا بأجمعها * من الشباب بيوم واحد بدل

وقال آخر شيآن لو بكت الدماء عليهما * عيناى حتى تؤذنا بذهاب
لم أبلغ المعشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب

أعرابى ياطيب أيام الشباب وعصره * لو يستعار جديده فيعار
ما كان أقصر ليله ونهاره * وكذاك أيام السرور قصار

(وقال ابن عبد ربه)
قالوا شبابك قد مضت أيامه * بالعيش قلت وقد مضت أيامى
لله أية نعمة كان الصبا * لو أنها وصلت بطول دوام
حسر الشباب قناعه عن رأسه * وصحا العواذل بعد طول ملام
فكأن ذاك العيش ظل غمامة * وكأن ذاك اللهو طول منام

وقال أيضا صبائى كيف صرت الى نفاد * وبدلت البياض من السواد
فما أبقى الحوادث منك الا * كما أبقت من القمر الدآدى
فراقك عرف الاحزان قلبى * وفرق بين عينى والرقاد
زمان كان فيه الرشد غيا * وكان الغى فيه من الرشاد
يقتلنى بدل من قتول * ويسعدنى بوصل من سعاد
وأجنبه فيعطينى قيادا * ويجنبنى فأعطيه قيادى

قال الفرزدق ان الملامة مثل ما بكرت بها * من تحت ليلتها عليك نوار
قالت وكيف يميل مثلك للصبا * وعليك من سمة الحليم عذار
والشيب ينهض فى الشباب كأنه * ليل يصيح بجانبيه نهار
ان الشباب لرابح من باعه * والشيب ليس لبائعه تجار

قال اسحق الموصلى قال لى المعتصم لقد فضحك الشيب فى عارضيك فقلت نعم ياسيدى وبكيت

ثم قلت
تولى شبابك الاقليلا * وحل المشيب فصبرا جميلا
كفى حزنا بفراق الصبا * وأن أصبح الشيب منه بديلا
فلما رأى الغانيات المشيب * اغضين دونى طرفا كحيلا
ساندب عهدا انقضاء الصبا * وأبكى الشباب بكاء طويلا

وغنيتها فبكى المعتصم وقال لو قدرت على رد شبابك لفعلت ولو بشطر ملكى فلم يكن لكلامه عندى جواب الا ان قبلت البساط بين يديه وأبكى بيت ورد فى فقد الشباب قول أبى الغصن الاسدى

أتأمل رجعة الدنيا سفاها * وقد صار الشباب الى ذهاب
فليت الباكيات بكل أرض * جمعن لنا فنحن على الشباب

وقال سلامة بن جندل وهو جاهلى

أودى الشباب حميدا ذو التعاجيب * أودى وذلك شأو غير مطلوب
ولى حثيثا وهذا الشيب يطلبه * لو كان يدركه ركض اليعاقيب
أودى الشباب الذى مجد عواقبه * فيه نلذ ولا لذات للشيب

وقال سلامة أيضا

يا خد أمسى سواد الرأس خالطه * شيب القذال اختلاط الصفو بالكدر
يا خد أمست لبانات الصبا ذهبت * فلست منها على عين ولا أثر
كان الشباب لحاجات وكن له * فقد فرغت الى حاجاتى الأخر

وأنشد أبو العيناء
ما فى يدى من الصبا * الا الصبابة والاسف
جاء الشباب فما أقا * م ولا ألم ولا وقف
كان الشباب كزائر * مل الزيارة وانصرف

والباب لا يحصى كثرة (قوله قرمت) لكذا أى اشتدت شهوتى اليه وأصله شدة الشهوة الى اللحم و(الرشد) والرشد واحد (فرطت) ضيعت وفرط فى الشىء قدم فيه التقصير والعجز وهو من قولهم فرط الفارط فى طلب الماء أى تقدم القوم اليه وقرئ يا حسرتنا على ما فرطنا فيها بتخفيف الراء ومثله يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله ومعنى القراءتين التقصير فى جنب الله اى فى حقه وقيل فى أمر الله وقيل فى طاعته ابن الاعرابى فى قرب الله الفراء الجنب القرب والجنب معظم الشىء وأكثره ومنه هذا قليل فى جنب مودتك الزجاج اى على ما فرطت فى الطريق الذى هو طريق الله الذى دعانى اليه و(كسع الهنات) اى طرد القبائح والقاذورات والهنات كناية عن الفواحش والافعال القبيحة ماخوذ من الهن وهو الفرج وكسعها دفعها وازالتها والكسع أن تضرب بيدك على دبر الشىء وكسعتهم بالسيف اذا اتبعت أدبارهم فكأنه أزال القبائح عن نفسه ثم اتبعها بالدفع والضرب حتى نفاها بحسناته والكسع أيضا أن تضرب الشىء بصدر قدمك وقد كسعته الاصمعى الكسع سرعة المر وكسعته بكذا جعلته تابعا له (تلافى) تدارك (الهفوات) السقطات والزلات وقد هفا الرجل اذا فعل المنكر وما يكره (الفوات) الموت (مغاداة) مباكرة وقد غاداه أتاه بالغدو و(الغادات) النواعم من النساء الواحدة غادة و(التقاة) الخائفون الواحد تقى وقوله تعالى الا أن تتقوا منهم تقاة يجوز أن يكون الاتقياء ويجوز أن

فقرمت الى رشد الانتباه وندمت على ما فرطت فى جنب الله ثم أخذت فى كسع الهنات بالحسنات وتلافى الهفوات قبل الفوات فلت عن مغاداة الغادات الى ملاقاة التقات

يكون مصدرا وهو أجود القولين تقيته واتقيته تقى وتقية وتقاء وتقاة أى حذرته والاسم التقوى (مقاناة) مخالطة وملازمة وهى مفاعلة من القينة وهى الجارية المغنية والجمع قينات (مداناة) مقاربة (ديانات) هى من الدين أراد بها الطاعة (آليت) حلفت (نزع) زال وكف (الغى) الضلال (فاء) رجع (منشره) انتشاره فى الصبا واللهو (ألفيت) وجدت (خليع الرسن) مسيب فى المعاصى لا يكفه عن اتيانها عقل ولا دين وخلعت رسن الدابة تركتها ترعى حيث شاءت سائبة ومثله خالع العذار وخلع عذاره أصله فى الدابة اذا خلع عذارها فسيبت فان انفلت رسنها الذى تمسكها به ففرت قيل جرت رسنها وفلان يجر رسنه وبابه فى الاستعارة أنه مسيب فى الشهوات مجاهر بها (مديد الوسن) طويل النوم اى فارغ البال من ذكر أو صلاة بالليل أو قراءة (أنأيت) أبعدت (عره) جربه وداؤه يريد أنه حلف أن لا يصاحب الا من كف عن الصبا واللهو والنساء ومتى وجد أهل اللهو والغزل فر عنهم وتركهم وقال الالبيرى فأحسن

من حاد عن نهج الهدى * فأضل قصد سبيله
فتوق خلته فقد يشين المرء دين خليله

وله أيضا

الا حبر بمنتزح النواحى * أطير اليه مقصوص الجناح
وأسأله وألطفه عساه * سيأسو ما بدينى من جراح
ويجلو ما دجى من ليل جهلى * بنور هدى كمنبلج الصباح
فأبصق فى محيا أم دفر * وأهجرها وأدفعها براحى
وأصحو من حمياها وأسلو * عفافا عن جآذرها الملاح
وأصرف همتى بالكل عنها * الى دار السعادة والنجاح

(تنيس) بلدة كبيرة وهى فى جزيرة قد أحدقت بها بحيرة يتصل بها النيل فتعذب عند زيادته ستة أشهر وتملح ستة أشهر ويتصل بها خليج دمياط وخليجها ينقسم على شرقيها وغربيها ويلتقيان فى البحيرة فيسيرون بسفنهم من دمياط الى تنيس دخولهم لها وخروجهم بريح واحدة محكمة وأهل تنيس ذوو يسار وأكثرهم حاكة وثياب الشروب التى تصنع بها وبدمياط لا يصنع مثلها فى الدنيا وليس فى الدنيا طراز كتان يبلغ الثوب منها دون أن يعين بذهب مائة دينار غير طراز تنيس ودمياط ويكتفى ثوبها بقصارة يوم واحد فى البحيرة فيبيض قال اليعقوبى مدينة تنيس يحيط بها البحر الاعظم الملح ولها بحيرة يأتى ماؤها من النيل وهى مدينة قديمة بها تعمل الثياب الرفيعة الصفاق والرقاق والعصب والبرود والوشى وبها مرسى المراكب الواردة من الشام والمغرب (قوله ملتحمة) أى منضمة ملتصقة (ذا حلقة) يريد واعظا قد حلقه الناس و(النظارة) الناظرون اليه (جاش) تنفس (مكين) شديد (مبين) مفصح (أى مسكين) ترحم عليه لكثرة مسكنته وتعجب منه (ركن) سكن ولجأ (ركين) شديد قوى يركن اليه ورجل ركين أى وقور بين الركانة والركين الثابت (مكين) عزيز له مكانة أى منزلة رفيعة (ذبح من حبها بغير سكين) اشارة لعذابه فيها ومحنته لان السكين تذبح المذبوح من ساعته ومن يذبح بحجر أو عود أو غير ذلك فهو فى تعذيب * أبو موسى قال النبى صلى الله عليه وسلم من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال سفيان بن عيينة ويلكم يا علماء السوء

وعن مقاناة القينات الى مداناة أهل الديانات وآليت أن لا أصحب الا من نزع عن الغى وفاء منشره الى الطى وان ألفيت من هو خليع الرسن مديد الوسن أنأيت دارى عن داره وفررت عن عره وعاره فلما ألقتنى الغربة بتنيس وأحلتنى مسجدها الانيس رأيت به ذا حلقة ملتحمة ونظارة مزدحمة وهو يقول بجاش مكين ولسان مبين مسكين ابن آدم وأى مسكين ركن من الدنيا الى غير ركين واستعصم منها بغير مكين وذبح من حبها بغير سكين

(ذكر بلدة تنيس ومافيها من الوشى النفيس)

لاتكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب فيمر ويمسك النخالة فكذلك أنتم تخرجون الحكمة من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم ويحكم ان الذى يخوض النهر لابدّ أن يصيب ثوبه الماء وان جهد أن لا يصيبه كذلك من يحب الدنيا لاينجو من الخطايا (يكلف) أى يولع بها ويشتدّ حبه فيها (غباوته) جهله (يكلب) يشتدّ حرصه وكاب على الشئ ألح فى طلبه وأصله من الكلب وهو السعر فى الكلاب (يعتدّ) يستعدّ (مرج) خلط وقيل أرسلهما وخلاهما كما تسرح الدابة فى مرعاها و(القمرين) الشمس والقمر غلب لفظ القمر لخفته بالتذكير وان كانت الشمس أنور وهى أصل لنور القمر ولهذا قال المتنبى

وما التأنيث لاسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال

أراد أن الشمس أنور وأضوأ فما يضرّها تأنيث اسمها وما ينفع الهلال تذكير اسمه وهو ناقص عنها فلخفة لفظ القمر غلب كما قالوا العمران لابى بكر وعمر وأبو بكر أفضل من عمر باتفاق من أهل السنة فغلب لفظ عمر لخفته بافراده وقلة حروفه * ومما يحسن موقعه مع قوله ونور القمرين أن اعرابيا أضل الطريق فبات جزعا وأيقن بالهلاك فلما طلع القمر اهتدى ووجد الطريق فرفع اليه رأسه ليشكره فقال له والله ما أدري ما أقول لك ولا ما أقول فيك أأقول رفعك الله فالله قد رفعك أم أقول نورك الله فالله قد نورك أم أقول حسنك الله فالله قد حسنك ولكن ما بقى الا الدعاء ان ينسئ الله فى أجلك وأن يجعلنى من السوء فداءك * وضلت ناقة لاعرابى فى ليلة مظلمة فأكثر فى طلبها فلم يجدها فلما طلع القمر وانبسط نوره وجدها الى جانبه ببعض الاودية وقد كان اجتاز بموضعها مرارا فلم يرها لشدة الظلام فرفع رأسه الى القمر وقال

ماذا اقول وقولى فيك ذو خطر * وقد كفيتنى التفصيل والجملا
ان قلت لازلت مرفوعا فأنت كذا * أو قلت زانك ربى فهو قد فعلا

ومما قيل فى ذمه عربد بعض المجان على القمر فقال والله انك لتفتت الكتان وتغير الالوان وتصفر الاسنان وتحتر الابدان وتسدّد الآذان وتفضح السكران وتظهر الكتمان وتفلق الصبيان وتبيض الارجوان وتلحس الزعفران وتهزل الحيتان وتمحق الادمغة بالنقصان وقال ابن المعتز يذمه

ياسارق الانوار من شمس الضحى * يامثكلى طيب الكرى ومنغصى
أما ضياء الشمس فيك فناقص * وأرى حرارة نارها لم تنقص
لم يظفر التشبيه فيك بطائل * متسلخ لونا كلون الابرص

(قوله البحرين) أى الذهب والفضة وقيل الحجر الاسود ومقام ابراهيم عليه السلام (نادم) صاحب والنديم الصاحب على الخمر (المكافات) المجازاة (المآل) المرجع (ذات اللهب) صاحبة النار يعنى جهنم (يقتحم) يترامى فيها وهذا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لآخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها كما تقتحم الفراش والجنادب (الخزن) الجمع (البدع) الحدث لم يكن ثم كان وقد ابتدعت الشئ أحدثته وسبقت الناس الى فعله (وخط) اختلاط وقد وخط الشيب الشعر اذا خالطه وفشا فيه (وتؤذن) تعلم (شمسك بالمغيب) نفسك بالذهاب (تنيب) ترجع وتتوب (تهذب) تخلص من العيب و(المعيب) الكثير العيب (يرشد)

يكلف بها الغباوته ويكلب عليها الشقاوته ويعتد فيها لمفاخرته ولا يتزوّد منها لآخرته أقسم بمن مرج البحرين ونور القمرين ورفع قدر الحجرين لو عقل ابن آدم لما نادم ولو فكر فيما قدم لبكى الدم ولو ذكر المكافات لاستدرك مافات ولو نظر فى المآل لحسن قبيح الاعمال ياعجبا كل العجب لمن يقتحم ذات اللهب * فى اكتناز الذهب وخزن النشب لذوى النسب ثم من البدع العجيب أن يعظك وخط المشيب وتؤذن شمسك بالمغيب ولست ترى أن تنيب وتهذب المعيب ثم اندفع ينشد انشاد من يرشد

يهدى ويدل الطريق * ونذكر هنا شيأ مما قيل فى الدنيا موافقة للحريرى ثم نعود الى ذكر الشيب
ومن خطبة قطرى بن الفجاءة فى ذم الدنيا ألستم فى مساكن من كان أطول منكم أعمارا وأعدّ
عديدا وأوضح آثارا وأكثر جنودا. وأعدّ عتادا وأطول عمادا تعبدوا للدنيا أىّ تعبد
وآثروها أىّ ايثار وظعنوا عنها بالكره والصغار فهل بلغكم أن الدنيا أسمحت لهم نفسا وأغنت
عنهم بحيلة بل أرهقتهم بالحوادث وضعضعتهم بالنوائب ودهمتهم بالمصائب أرأيتم تنكرها
بمن دان لها وآثرها وأخلد اليها يقول الله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الى قوله وباطل
ما كانوا يعملون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى هريرة رضى الله عنه الأريك الدنيا
جمعاء بما فيها قال قلت بلى فاخذ بيدى وأتى واديا من أودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس الناس
وعذرات وخرق فقال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص حرصكم وتأمل أملكم ثم هى اليوم
عظام ثم غدا رماد وهذه العذرات ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها فقذفوها فى
بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها والريح تصفقها وهذه عظام دوابهم التى كانوا بها
ينتجعون اطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك فما برحنا حتى اشتدّ بكاؤنا * مرّ أبو عثمان
الدباغ برجل على كنيف فقال له الى هذا انتهت دنيا القوم وقال الشاعر

ولقد سألت الدار عن أخبارهم * فتبسمت عجبا ولم تبدى
حتى مررت على الكنيف فقال لى * اموالهم ونوالهم عندى

ويروى ان عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام مرّ بجمجمة فضربها برجله وقال تكلمى
باذن الله فقالت يا روح الله أنا ملك زمن كذا فبينما أنا جالس فى ملكى على تاجى وحولى حشمى
وجنودى على سريرى اذ بدا الى ملك الموت وظهر فزال عنى كل عضو من موضعه ثم خرجت اليه
نفسى ولبعض الزهاد

دنيا تخادعنى كأنى لست أعرف حالها
مدّت الىّ يمينها * فقطعتها وشمالها
منع الاله حرامها * وأنا اجتنبت حلالها
ورأيتها محتاجة * فوهبت جلتها لها

ولبعضهم
هب الدنيا تساق اليك عفوا * أليس مصير ذلك الى انتقال
وما دنياك الا مثل فىء * أظلك ثم آذن بالزوال

أبو العتاهية
يا من ترفع بالدنيا وزينتها * ليس الترفع رفع الطين بالطين
اذا أردت شريف القوم كلهم * فانظر الى ملك فى زى مسكين
أرى أناسا بأدنى الدين قد قنعوا * ولا أراهم رضوا فى العيش بالدون
فاستغن بالله عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

(وقال التهامى)

حكم المنية فى البرية جارى * ماهذه الدنيا بدار قرار
بينا يرى الانسان فيها مخبرا * حتى يرى خبرا من الاخبار
طبعت على كدر وأنت تريدها * صفوا من الاقذار والاكدار

ومكلف الايام ضد طباعها * متطلب فى الماء جذوة نار

وقال أبو حاتم انما بينى وبين الملوك يوم واحد أما أمس فلا يجدون لذته وأنا واياهم فى غد على وجل وانما هو اليوم فما عسى أن يكون اليوم أخذه أبو العتاهية فقال

حتى متى نحن فى الايام نحسبها * وانما نحن فيها بين يومين
يوم تولى ويوم نحن نامله * لعله أجلب الايام للحين

ولحاتم هل الدهر الا اليوم أو أمس أو غد * كذا الدهر فيما بيننا يتردد
ترد علينا ليلة بعد يومها * فلا عمرنا يبقى ولا الدهر ينفد

وللفقيه الباجى

اذا كنت أعلم علما يقينا * بأن جميع حياتى كساعه
فلم لا أكون ضنينا بها * وأجعلها فى صلاح وطاعه

وله أيضا تبلغ من الدنيا بأيسر زاد * فانك عنها راحل لمعاد
وغض عن الدنيا وزخرف أهلها * جفونك واكحلها بطيب سهاد
وجاهد عن اللذات نفسك جاهدا * فان جهاد النفس خير جهاد
وماهى الادار لهو وفتنة * وان قصارى أهلها لنفاد

وقال آخر وما أهل الحياة لنا بأهل * ولا دار الفناء لنا بدار
وما أموالنا الا عوار * سيأخذها المعير من المعار

ولابى العتاهية

قطعت منك حبائل الآمال * وحططت عن ظهر المطى رحالى
ووجدت برد اليأس بين جوانحى * فأرحت من حطى ومن ترحالى
فالآن يا دنيا عرفتك فاذهبى * يا دار كل تنقل وزوال
والآن صار لى الزمان مؤدبا * فغدا وراح على بالامثال
يا أيها البطل الذى هو من غد * فى قبره متفرق الاوصال
حيل ابن آدم فى الامور كثيرة * والموت يقطع حيلة المحتال

وللقاضى أبى حفص بن عمران

أيها المغتر بالزمن * فى هواه خالع الرسن
حبك الدنيا وزينتها * فتنة عمتك بالفتن
ظلت والحالات شاهدة * عاكفا منها على وثن
فاهجرنها ان زينتها * زينة شانت ولم تزن
خدعتك انها قبحت * باطنا فى ظاهر حسن
واسل عن حرص وعن طمع * أملا يردى وعن وعن
واستقدم ماتسربه * قبل طول البث والحزن
فكأن أخراك ما برحت * وكأن دنياك لم تكن

ياويح من أنذره شيبه
فهو على غى الصبا منكمش

(قوله ياويح من أنذره شيبه) ويح كلمة ترحم (أنذره) أبلغه وحذره (غى) ضلال (منكمش)

مسرع اليه ملازم له وقد نكش الرجل وانكمش فى أمره استمر ومضى فيه مسرعا * ومن قولهم فى الشيب فى هذا المعنى * ما قال اكثم بن صيفى الشيب عنوان الموت وقال العتابى الشيب نذير الموت وقال النمر هو عنوان الكبر قيس بن عاصم هو خطام المنية محمود الوراق الشيب أحد الميتتين المعتز بن سلمان الشيب موت الشعر وموت الشعر علة لموت البشر اعرابى كنت أنكر البيضاء فصرت أنكر السوداء فيا خير مبدول ويا شر بدل أخذه حبيب فقال

شاب رأسى وما رأيت مشيب الر أس الا من فضل شيب الفؤاد
وكذاك الرؤس من كل بؤس * ونعيم طلائع الاجساد
طال انكارى البياض وان عمرت شيأ أنكرت لون السواد
زارنى شخصه بطلعة ضيم * عمرت مجلسى من العوّاد

قيل للنبى صلى الله عليه وسلم عجل عليك الشيب يا رسول الله فقال شيبتنى هود وأخواتها وقيل لعبد الملك عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين فقال شيبنى ارتقاء المنابر وتوقع اللحن وقيل لشاعر عجل عليك الشيب فقال كيف لا وأنا أعصر قلبى فى عمل لا يرجى ثوابه ولا يؤمن عقابه وقال محمود الوراق رحمه الله

بكيت لقرب الاجل * وبعد فوات الأمل
ووافد شيب طرا * بعقب شباب رحل
شباب كأن لم يكن * وشيب كأن لم يزل

(وقال حبيب)

غدا الشيب مختطا بفودى خطة * طريق الردى منها الى النفس مهيع
هو الزور يجفى والمعاشر يجتوى * وذو الالف يقلى والجديد يرقع
له منظر فى العين أبيض ناصع * ولكنه فى القلب أسود أسفع
ونحن نرجيه على السخط والرضا * وأنف الفتى من وجهه وهو أجدع

(وقال ابن عبد ربه)

شباب المرء تنفده الليالى * وان كانت تصير الى نفاد
فاسوده يعود الى بياض * وأبيضه يعود الى سواد

أخذ هذا من قول المستوغر بن ربيعة حين دخل على معاوية وهو ابن ثلثمائة سنة فقال كيف تجدك يا مستوغر قال أجدنى قد لان منى ما كنت أحب أن يشتد وابيض منى ما كنت أحب أن يسود (وقال ابن عبد ربه)

أطلال لهوك قد أقوت مغانيها * لم يبق من رسمها الا أثافيها
هذى المفارق قد قامت شواهدها * على فنائك والدنيا تزكيها
للموت سفتجة فيها معنونة * لم يبق للموت الا أن يسحيها

(قوله يعشو) أى ينظر ببصر ضعيف (يمتطى) يركب (يعتده) يحسبه (المفترش) المضطجع على الفراش يريد أنه يركب اللهو فيلتذ به ويجده وطيأ (يهب) يخف (اللب) العقل (دهش) تحير

(ماقيل فى الشيب)

يعشوا الى نار الهوى بعدما
أصبح من ضعف القوى يرتعش
ويمتطى اللهو ويعتده
أوطأ ما يفترش المفترش
لم يهب الشيب الذى ما رأى
نجومه ذو اللب الا دهش

ولا انتهى عما نهاه النهى
عنه ولا بالى بعرض خدش
فذاك ان مات فسحقا له
وان يعش عد كان لم يعش
لاخير فى محيا امرى نشره
كنشر ميت بعد عشر نبش
وحبذا من عرضه طيب
يروق حسنا مثل برد رقش
فقل لمن قد شاكه ذنبه
هلكت يا مسكين أو تنتقش
فأخلص التوبة تطمس بها
من الخطايا السود ما قد نقش
وعاشر الناس بخلق رضا
ودار من طاش ومن لم يطش

(النهى) جمع نهية وهى العقل ينهى عن القبيح وينتهى به الى حسن الرأى فى الامور ويقال نهاه عن ذلك نهاه أى عقله وأنشد أبو طاهر السلفى قال أنشدنى القاضى أبو محمد بن الحسن بن نصر بن مرهف النهاوندى قال أنشدنى الاديب المدنى لنفسه فى نفسه

لى على الناس فضل نظم ونثر * من أباه هجوته و أباه
واذا ما أتى صفعت قفاه * وقفا من أعانه وقفاه
رحم الله من أراد محالا * فنهاه عن المحال نهاه

(قوله خدش) اى ذم وسب وأصل الخدش الاثر فى الجلد ثم اتسع فيه فجعل للعرض (سحقا) بعدا و(النشر) الريح طيبة كانت أو خبيثة (نبش) أخرج وكل مدفون أخرجته فقد نبشته وأخذ هذا البيت من قول ابن المعتز

تحدثت عن آثاره فكأنما * نبشت عليه بعد ثالثة الدفن

وله

أثنى عليك بمثل ريحك ميتا * فى عقب يوم تزف لك الاعواد

وأخذ هذا وهذا من قول عمر بن عبد العزيز لو رأيتنى بعد ثالثة وتقدم فى الحادية عشرة (يروق) يعجب (برد) ثوب (رقش) رقم وزين تقول رقشت يد المرأة بالحناء والحائط بالاصباغ والقرطاس بالمداد وشبه هذا (شاكه ذنبه) يقال شاكه يشوكه اذا ادخل فيه شوكة قال الشاعر

لا تنقشن برجل غيرك شوكة * تقى برجلك رجل من قد شاكها

فشاكها ادخل فيها الشوك وشاكته الشوكة دخلت فيه وشكته انا اذا ادخلت الشوكة فى جسمه فان اصابك الشوك قلت شاكنى الشوك يشوكنى شوكا وانتقشت حقى من فلان اذا استخرجته ولم تترك منه شيأ وقال صلى الله عليه وسلم وان شيك فلا انتقش فشيك اصابه الشوك ومعناه اذا وقع فى شر فلا تخلص منه (تنتقش) تخرج الشوكة وتبحث عليها وأو بمعنى الا والمناقشة البحث والاستقصاء ومنه مناقشة الحساب وبذلك سمى المنقاش وقال ابن الرومى

اذا رمت بالمنقاش نتف اشاهبى * اتيح لها من بينهن الاباهم
يراوغ منقاشى نجوم مسايحى * وهن بعينى طالعات نواجم

(تطمس) تمحو و(نقش) كتب والنقش يستعمل فى مثل الخشب والحائط والصخر والنقش الفتح والتأثير فى نفس المنقوش وقال الالبيرى فى معنى هذا البيت

من ليس يسعى فى الخلاص لنفسه * كانت سعايته عليها لا لها
ان الذنوب بتوبة تمحى كما * يمحو سجود السهو غفلة من سها

(قوله عاشر) اى صاحب (دار) عامله بما يحب وامش على غرضه (طاش) خف عقله ورجل طياش غير مقتصد فى قوله وهو من طاش السهم اذا لم يصب ووقع على غير قصد ومثله قول اعرابى لبنيه عاشروا الناس معاشرة اذا غبتم حنوا اليكم وان متم بكوا عليكم وهذا من قول الشاعر

وأكرم كريما ان اتاك لحاجة * لعاقبة ان العصاة تروح

وقال الاضبط بن قريع

ورش جناح الحران حصة * زمانه لا كان من لم يرش
وأنجد الموتور ظلما فان * عجزت عن انجاده فاستجش
وانعش اذا ناداك ذو كبوة
عسالك في الحشر به تنتعش
وهاك كأس النصح فاشرب وجد
بفضلة الكأس على من عطش

قال فلما فرغ من مبكاته وقضى انشاد أبياته نهض صبى قد شدن وأعرى البدن وقال ياذوى الحصاة والانصات الى الوصاة قد وعيتم الانشاد وفقهتم الارشاد فمن نوى منكم أن يقبل ويصلح المستقبل فليبن ببرى عن نيته ولا يعدل عنى بعطيته فوالذى يعلم الاسرار ويغفر الاصرار ان سرى لكما ترون وان وجهى ليستوجب الصون فأعينونى رزقتم العون قال فأخذ الشيخ فيما يعطف عليه القلوب ويسنى له المطلوب حتى أنبط حفره واعشوشب قفره فلما أن ترع الكيس انصلت عيس ويحمد تنيس ولم يحل للشيخ المقام بعد ما انصاع الغلام فاسترفع الايدى بالدعاء ثم نحا نحو الانكفاء (قال الراوى) فارتحت الى أن أعجمه وأحل مترجمه فتبعته وهو يشتد فى سمته ولا يفتق رتق صمته فلما أمن المفاجى وأمكن التناجى لفت جيده الى وسلم تسليم البشاشة على ثم قال أراقك ذكاء ذاك الشويدن فقلت أى والمؤمن المهيمن

لا تهين الفقير علك أن * تركع يوما والدهر قد رفعه

(رش الجناح) اكسه الريش والمعنى أصلح حال الحر اذا افتقر (حصه) نتفه (أنجد) قو وأعن و(الموتور) المظلوم الذى قتل له أخ أو ولد أو نسيب (استجش) اجمع جيشا والمعنى اذا لم تقدر على اعانة مظلوم فتوسط لمن يعينه (انعش) ارفع (كبوة) سقطة وعثرة (تنتعش) ترتفع وتقوم من عثرتك (هاك) خذ والمعنى خذ كأس النصيحة فاشربها فاذا رويت فاسق غيرك ولا يقال كاس الا اذا كان فيها شراب (قوله قضى) أى أتم (نهض) قام وتقدم (شدن) اشتد وقوى وأصله فى الظبى والصبى تقول شدن الظبى اذا اشتد وترعرع وكذلك الصبى قال عمر بن أبى ربيعة

اذ تستبيك بمصقول عوارضه * ومقلتى جؤذر لم يعد ان شدنا

أراد انه ترعرع للمشى والرعى (أعرى البدن) تركه عريانا (ذوى الحصاة) أهل العقول و(الانصات) السكوت وحسن الاستماع و(الوصاة) بمعنى الوصية كالتقاة بمعنى التقية وأصلها وقية قلبت الواو تاء والياء ألفا والواو اذا انضمت فى أول الكلمة كنت بالخيار ان شئت تركتها وان شئت قلبتها ولهذا تركت فى الوصاة وقيل الوصاة بفتح الواو فى الوصية وبضمها جمع واص كراع ورعاة (وعيتم) حفظتم (فقهتم) فهمتم (الارشاد) الهداية أى قد فهمتم ما دللتم عليه من الخير فافعلوا (نوى) قصد وأضمر وهو من النية وأراد بالمستقبل ما يستقبله من أفعاله (فليبن) فليفصح ويبين (ببرى) باكرامى (عن نيته) عن قصده وصدق باطنه (يعدل) يمل (الاصرار) الاقامة على الذنب (سرى لكما ترون) أى هو ظاهر لكم غير مستتر (الصون) الحوطة (فيما يعطف عليه القلوب) يريد أنه أخذ فى كلام تحن به للصبى قلوب الناس (يسنى) يسهل وييسر (انبط) أخرج الماء (القفر) ما لا نبات فيه (اعشوشب) تغطى بالعشب يريد أنه استغنى بعد الفقر وضرب بانبط واعشوشب المثل (ترع) امتلأ و(الكيس) وعاء الدراهم (انصلت) تسلل وخرج بسهولة (عيس) يتمايل ويتبختر (انصاع) ذهب مسرعا وانفتل راجعا (استرفع) طلب رفعها (نحا نحو الانكفاء) أى قصد قصد الانصراف (قوله ارتحت) أى اشتهيت وطربت (أعجمه) أخبره (مترجمه) ملتبسه (يشتد) يجرى (سمته) طريقه (يفتق رتق) يشق غلق (صمته) مبهم أمره والفتق الخرق والرتق الاغلاق وهو ضده وذلك أن يضم المتخرق بعضه الى بعض (التناجى) التحادث (لفت جيده) عطف عنقه (البشاشة) الخفة وابداء السرور (أراقك) أعجبك (ذكاء) حذق والذكاء توقد الذهن (الشويدن) تصغير شادن وأراد ابنه (والمؤمن المهيمن) هو الله تعالى والايمان التصديق وقال أبو بكر بن العربى البارى تعالى مؤمن بتصديقه لنفسه بقوله وذلك حقيقته قال الله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو أو بتصديقه لرسله باظهار المعجزة أو لاوليائه باظهار الكرامة وهما مجازان والمهيمن الرقيب الحافظ الكسائى المهيمن الشهيد أبو عبيدة الرقيب وقد هيمن هيمنة ابن الانبارى القائم على خلقه قال الشاعر

ألا ان خير الناس بعد نبيهم * مهيمنه التاليه فى العرف والنكر

أى القائم على الناس بعده وأصله مؤيمن فأبدلوا من الهمزة هاء كما قالوا أرقت وهرقت وفى مثل مدح هذا الغلام بالذكاء قال الفضل بن جعفر

فان خالفته السن فالعقل بالغ * به رتبة الكهل المرشح للمجد
فقد كان يحيى أوتى الحكم قبله * صبيا وعيسى كلم الناس فى المهد

(وقال البحترى)

لا تنظرن الى العباس من صغر * فى السن وانظر الى المجد الذى شادا
ان النجوم نجوم الجو أحقرها * فى العين أكثرها فى الجو اصعادا

(ذكر نوادر الولدان)

ولما ذكر لهذا الصبى من فصاحة اللسان وبراعة البيان ما ذكر وجب علينا أن نذكر من نوادر الولدان فصلا كافيا يؤنس بما ذكر لئلا نخل بما شرطناه فقد تروى للولدان نوادر ربما عجزت عنها الكهول ذو البصائر * حكى الخطابى انه قدم على عمر بن عبد العزيز وفد فيهم شاب فتحوس للكلام فقال عمر كبروا كبروا أى ليتكلم الكبراء منكم فقال الغلام يا أمير المؤمنين لو كان بالسن لكان فى المسلمين من هو أسن منك قال عمر صدقت تكلم * فتحوس فتهيأ للكلام وفى رواية قدم وفد الحجاز على عمر فقدموا غلاما منهم للكلام فقال عمر مهلا ليتكلم من هو أسن منك فقال الغلام مهلا يا أمير المؤمنين انما المرء بأصغريه قلبه ولسانه فاذا منح الله العبد لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد أجاد له الحلية قال تكلم قال نحن وفود الشكر لا وفود المرزئة لم تقدمنا اليك رغبة ولا رهبة لانا أمنا فى زمانك ما خفنا وأدركنا ما طلبنا * ودخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قبضت ضياعهم وهو غلام صغير فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين محمد بن عبد الملك سليل نعمتك وابن دولتك وغصن من أغصان دوحتك أفتاذن لى فى الكلام قال نعم فحمد الله تعالى وصلى على نبيه ثم قال أمتعنا الله بحياطة ديننا ودنيانا ورعاية أقصانا وأدنانا ببقائك يا أمير المؤمنين ونسأله أن يزيد فى عمرك من أعمارنا وفى أثرك من آثارنا ويقيك الأذى بأسماعنا وأبصارنا هذا مقام العائذ بظلك الهارب الى كنفك وفضلك الفقير الى رحمتك وعدلك ثم سأل حوائجه فقضاها * وقحطت البادية أيام هشام بن عبد الملك فوفد عليه رؤس القبائل فجلس لهم وفيهم صبى ابن أربع عشرة سنة يسمى درواس بن حبيب فى رأسه ذؤابة وعليه بردة يمانية فاستصغره هشام وقال لحاجبه ما يشاء أحد أن يصل الينا الا وصل حتى الصبيان فقال درواس يا أمير المؤمنين ان دخولى لم يخل بك ولا انتقصك ولكنه شرفنى وان هؤلاء قدموا الامر فهابوك دونه وان الكلام نشر والسكوت طى لا يعرف الا بنشره فأعجبه كلامه وقال انشر لا أم لك فقال انا أصابتنا سنون ثلاثة فسنة أكلت اللحم وسنة أذابت الشحم وسنة أنقت العظم وفى أيديكم فضول أموال فان كانت لله عز وجل ففرقوها على عباده وان كانت لهم فلا تحتبسوها عنهم وان كانت لكم فتصدقوا بها عليهم فان الله يجزى المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين وان الوالى من الرعية كالروح من الجسد لا حياة له الا به فقال هشام ما ترك الغلام فى واحدة من الثلاث عذرا وأمر بمائة ألف دينار ففرقت فى أهل البادية وامر له بمائة ألف درهم فقال ارددها فى جائزة العرب فمالى حاجة فى خاصة نفسى دون عامة المسلمين * أحمد بن يحيى حدثنى السدرى أن نميرا غزت حنيفة فغنمت وتبعتهم حنيفة فهزموهم وردوا غنائمهم فلقيت غلاما منهم فقلت كيف صنع قومك فقال تبعوهم والله وقد احقبوا كل جمالية خيفانة فما زالوا يخصفون اخفاف المطى بحوافر الخيل حتى لحقوهم بعد ثالثة فجعلوا المران أرشية الموت فاستقوا

بها ارواحهم وهذا كلام فصيح كثير الاستعارة احقبوا اردفوا مواضع الحقيبة والجبالة المرأة الجميلة وخصف خرز وتشبيه المران وهى الارماح بالارشية وهى الحبال حسن * وجلس خالد القسرى يوما للشعراء على الفرات فأنشدوه وأخذوا الجوائز وانصرفوا ولم يبق الا غلام فقال خالد يا غلام أشاعر أنت قال لا ولكنى متعلم وقد قلت شيأ قال هات فأنشأ يقول

ألا هل ترى موج الفرات كانه * جبال سرور قد أتينك عوما
وماذاك من عاداته غير أنه * رأى شيمة من جاره فتعلما

وكان بقى على البساط فضلة مال فقال له خالد اطو البساط بما عليه فأخذه الغلام بما عليه ورأى بعض الملوك غلاما يسوق حمارا وهو يعنف عليه فقال ارفق يا غلام فقال أيها الملك فى الرفق مضرة عليه قال وما مضرته قال يطول طريقه ويشتد جوعه وفى العنف عليه احسان اليه يخف حمله ويطول أكله فأعجب به وقال قد أمرت لك بألف درهم قال رزق مقدور وواهب مأجور قال وقد أمرت باثبات اسمك فى حشمى قال كفيت مؤنة ورزقت بها معونة قال لولا صغرك لاستوزرتك قال لم يعدم الفضل من رزق العقل قال أفتصلح لذلك قال انما يكون الحمد أو الذم بعد التجربة ولا يعرف الانسان نفسه حتى يبلوها فاستوزره فوجده ذا رأى صائب * دخل الفرزدق وهو غلام يافع على سعيد بن العاص وقد أنشد أشعارا والحطيئة حاضر فأنشده

ترى الغر الجحاجح من قريش * اذا ما الامر فى الحدثان آلا
قياما ينظرون الى سعيد * كانهم يرون به الهلالا

فقال الحطيئة هذا والله الشعر لا ما تعلل به نفسك هذا اليوم يا غلام أدركت من قبلك وسبقت من بعدك وان طال عمرك لتبرزن ثم قال له هل انجدت أمك يا غلام قال لا بل انجد أبى فوجده لقنا حاضر الجواب فأعجبه وكان للفرزدق نديم يسمى زيادا الاقطع فأتى بابه فخرجت له بنية له صغيرة اسمها مكية فقال لها يا ابنة من أنت قالت ابنة الفرزدق قال فما بالك حبشية قالت فما بال يدك مقطوعة قال قطعت فى حرب الحرورية قالت بل قطعت فى اللصوصية فقال عليك وعلى أبيك لعنة الله ثم أخبر الفرزدق بالخبر فقال أشهد انها ابنتى حقا ثم قال

سام اذا ما كنت ذا جبه * بدارمى أمه صفيه * صمصمح مثل أبى مكيه

وقرع باب عدى بن الرقاع جماعة من الشعراء فخرجت اليهم بنية له صغيرة فقالت ما تريدون من أبى فقالوا جئنا لنهاجيه فقالت

تجمعتم من كل أوب ووجهة * على واحد لا زلتم قرن واحد

فأفحمتهم ورجعوا بأخزى حالة وقال معاوية لعمرو بن سعيد وهو صغير الى من أوصى بك ابوك فقال ان أبى أوصى الىّ ولم يوص بى أخذه بعضهم فقال

وكنت النجيب لدى ناجلى * فأوصى الىّ ولم يوص بى

(قال) يحيى بن يزيد استنشدت غلاما فأنشدنى أرجوزة فقلت لمن هذه فقال لى فزجرته فأنشأ يقول

انى وان كنت صغير السنّ * وكان فى العين نبوّ عنى
فان شيطانى أمير الجنّ * يذهب بى فى القول كل فنّ

الاصمعي رحمه الله قال وقف علي غلام يحيى ضربة ما ظننته يجمع بين كلمتين فقلت له ما اسمك
قال حريقيص فقلت له ما كفى أهلك أن سموك حرقوصا حتى صغروا اسمك فقال ان السقط
ليحرق الحرجة فعجبت من جوابه فقلت أتنشد شيأ من أشعار قومك قال نعم
أنشد لمرارنا سكنوا شبيثا والاحص فاصبحت * نزلت منازلهم بنو ذبيان
واذا يقال أتيتم لم يبرحوا * حتى تقيم الخيل سوق طعان
واذا فلان مات عن أكرومة * رفعوا معاوز فقده لفلان
قال فكادت الارض تسوخ لحسن انشاده وجودة الشعر فحدثت الرشيد الحديث فقال وددت يا أصمعي لو رأيت هذا الغلام فكنت أبلغه أعلى المراتب فهذا الغلام سمي بحقير مصغر وهو في معناه جليل معظم * وينظر الى هذا من باب الضد ما حدث أبو العباس عن الرياشي عن الاصمعي قال مر بنا اعرابي وهو ينشد ابنا له فقلت له صفه فقال دنيري فقلنا لم نره فلم نلبث ان جاء يحمل على عنقه فقلنا له لو سألت عن هذا الارشد لك ما زال هذا اليوم بين ايدينا * الاصمعي قيل لابي النخش أما كان لك ابن فقال النخش قيل وما كان النخش قال اشدق خرطمانيا اذا تكلم سال لعابه كأنما ينظر من فلسين وكأن ترقوته بوان أو خالفة وكأن مشاش منكبيه كركرة جمل فقأ الله عيني هاتين ان كنت رأيت أحسن منه قبله أو بعده وأنشد
نعم ضجيع الفتى اذا برد الليل سحيرا وقرقف الصرد
زينها الله في الفؤاد كما * زين في عين والد الولد
وقال أبو النخش كانت لي ابنة تجلس معي على المائدة فتبرز كفا كأنها طلعة في ذراع كأنه جمارة فلا تقع عينها على أكلة نفيسة الا خصتني بها فزوجتها وصار يجلس معي على المائدة ابن لي فيبرز كفا كأنها الكرنافة في ذراع كأنها سباطة فلا تقع عيني على أكلة نفيسة الا سبقت يده اليها قيل النخش الذي يتخشش في القوم يدخل معهم وهم يأبون وأراد بمثل الفلسين عور عينيه وقيل حفرتهما خرطمانيا طويل الانف وسيلان اللعاب يدل على قوة النفس البوان عمود في مقدم البيت والكرنافة طرف الكرب العريض المتصل بالنخلة كأنها كتف * اليزيدي أول ما ظهر من نجابة المأمون وسداده أني كنت أؤدبه فوجهت اليه يوما ليخرج فأبطأ فقلت لسعيد الجوهري وهو في حجره ان هذا الفتى قد اشتغل بالبطالة فقال سعيد قومه بالادب فلما خرج ضربته ثلاث درر فانه ليبكي اذا بجعفر بن يحيى قد استأذن عليه فوثب الى فراشه مسرعا وهو يمسح عينيه فجلس ثم قال ليدخل فدخل فقمت من المجلس وخشيت ان يشكوني الى جعفر فألقى منه ما أكره فأقبل عليه بوجه طلق وحادثه وضاحكه فلما هم بالحركة قال يا غلام دابته ورجعت فقال ما حملك ان قمت عنا فقلت خفت ان تشكوني اليه فيوبخني فقال انا لله يا أبا محمد ما كنت أطلع الرشيد على هذا فكيف أطلع جعفرا على أني احتاج الى أدب يغفر الله لك فكنت اهابه بعد ذلك وشكى الى معلم عبد الرحمن بن حسان بصبيان فضربهم حتى انتهى الى عبد الرحمن فهدده فقال
الله يعلم أني كنت معتزلا * في دار حسان أصطاد اليعاسيبا
فتركه وبلغ حسان فضمه اليه وقال أنت والله ابني حقا فداك أبي وأمي ودخل عليه يوما يبكي من

لسعة زنبور فقال له ما يبكيك فقال لسعني طائر كأنه ملتف في بردي حبرة فقال قلت والله يا بني الشعر * وجاءت سكينة بنت الحسين أمها الزباب وهي تبكي فقالت مالك فقالت مرت بي طويرة فلسعتني بابيرة ويروى مرت بي دبيرة تصغير دبرة وهي النحلة (قوله اللجي) البحر (شواظ) لهب النار و(الكهانة) بالكسر حرفة الكاهن وبالفتح فعل الكاهن وهو المصدر والكاهن المخبر بالغيب و(افتر) تبسم (متضاحك) مستعمل الضحك (مماحك) لجوج أي مشي غير غاضب (احفظها عني) أي حصلها وعها و(علي) أي اكتمها واسترها وقامت الواو مقام تكرير الفعل (اصرف) أزل ونح (صرف الراح) خالص الخمر (الاسى) الحزن (تكتئب) تهتم وتحزن (قدك) حسبك (اتئب) ارتجع وكف وقيل معناه استحي يقال منه وأب واتأب أي خزي واستحيا والابة والمؤبة الخزي والحياء والانقباض وأوأبه واستاء به رده بخزي وعار والتاء فيها مبدلة من واو فاصل اتأب اوتأب فأبدلت الواو تاء وأدغمت في التاء بعدها وهي من وأب الحافر يئب وأبا اذا انضم وحافر وأب أي خفيف والتؤبة مأخوذة من اتأب وقال حبيب .

قدك اتئب أربيت في الغلوا * كم تعذلون وأنتم سجوي

فهذا يبين لك موقعها في المقامة وعلى قوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت برجال ليلة أسري بي تقرض شفاههم وألسنتهم بمقاريض من نار فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الخطباء من أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم * أبو أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم يجرون قصبهم في نار جهنم فيقال لهم من أنتم فيقولون نحن الذين كنا نأمر بالبر وننسى أنفسنا قال أبو العتاهية في منصور بن عمار وكأنه يخاطب واعظ المقامة

يا واعظ الناس قد أصبحت متهما * اذ عبت منهم أمورا كنت تأتيها
كالملبس الثوب من عري وعورته * للناس بادية ما ان يواريها
وأعظم الاثم بعد الشرك نعلمه * في كل نفس عماها عن مساويها
عرفانها بعيوب الناس تبصرها * منهم ولا تبصر العيب الذي فيها

(ومن لزوميات المعري)

رويدك قد خدعت وأنت كهل * بصاحب حيلة يعظ النساء
يحرم فيكم الصهباء صبحا * ويشربها على عمد مساء
يقول لكم غدوت بلا كساء * وفي لذاتها رهن الكساء
اذا فعل الفتى ما عنه ينهى * فمن جهتين لا جهة أساء

ونذكر هنا من الابيات الخمريات ما يأتي على معنى البيتين اللذين أنشد قال الحسن

ما مثل هذا اليوم في حسنه * عطل من لهو ولا ضيعا
هل لك ان تغدو على قهوة * تسرع في المرء اذا اسرعا
ما وجد الناس ولا جربوا * للهم شيأ مثلها مدفعا

وله ايضا

جلبت لاصحابي بهادرة الصبا * بصفراء من ماء الكروم شمول
اذا ما اتت دون اللهاة من الفتى * دعا همه من صدره برحيل

قال انه فتى السروجي ومخرج الدر من اللجي فقلت أشهد انك لشجرة ثمرته وشواظ شررته فصدق كهانتي واستحسن ابانتي ثم قال هل لك في ابتدار البيت لتتنازع كاس الكميت فقلت له ويحك اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم فافتر افترار متضاحك ومر غير مماحك ثم بدا له ان تراجع الي وقال احفظها عني وعلي
اصرف بصرف الراح عنك الاسى
وروح القلب ولا تكتئب
وقل لمن لامك فيما به
تدفع عنك الهم قدك اتئب
ثم قال اما انا فسانطلق الى

حيث اصطبح واغتبق واذا كنت لا تصحب ولا تلائم من يطرب فلست لي برفيق ولا طريق فقال لي بطريق خل سبيلي ونكب ولا تنقر عني ولا تنقب ثم ولى مدبرا ولم يعقب (قال الحرث بن همام) فالتهبت وجدا عند انطلاقه ووددت لو لم الاقه

المقامة الثانية والاربعون النجرانية

(حكى الحرث بن همام) قال

وله

دع ذا فديتك واشرب بها معتقة * صفراء تعبق بين الماء والزبد

من كف مختصر الزنار معتدل * كغصن بان تثنى غير ذي أود

لو كان لومك نصحا كنت اقبله * لكن لومك محمول على الحسد

(وقال الصابي)

كوكب الاصباح لاحا * طالعا والديك صاحا

فاسقنيها قهوة تأ * سو من الهم جراحا

ذات نشر كنسيم الروض غب القطر فاحا

يا غلامي ما ارى فيك ولا فيها جناحا

(وله من أبيات يصف فيها مجلس شراب)

كأن الكؤس بايدي السقاه * سيوف لهابالدماء احمرار

كأن تسكبها بالزجاج * حريق لها من حباب شرار

فلما برزن الى الهم فيه * ولي بالسرور عليه اقتدار

جرى الضرب مختلفا بيننا * فمات وعشت وقد نيل ثار

(وقال ابو بكر البلوى)

ومدام كست الكا * س من النور وشاحا

ظهرت في جنح ليل * فكأن الفجر لاحا

لم يكن وقت صباح * فحسبناه صباحا

(وقال ابو بكر الخالدي)

ماء عذرنا في تركنا الاعنابا * سقط الندى وصفا الهواء وطابا

فأدم لذاذة عيشنا بمدامة * زادت على هرم الزمان شبابا

سفرت وغاب حبابها من لحظها * فعلا محاسنها فصار نقابا

(ولابن المعتز)

ونار قدحناها سراعا بسحرة * متى ما يرق ماء عليها توقد

يجول حباب الماء في جنباتها * كما جال دمع فوق خد مورد

(قوله أصطبح) أي اشرب صبوحا وهو شرب الغدو (وأغتبق) أشرب غبوقا وهو شرب العشي (تلائم) توافق (نكب) تنح عن طريقي واجعله لجهة منكبك (تنقر وتنقب) تبحث وتفتش وقد نقرت عن الامر اذا طلبت علم باطنه ونقبت عنه اذا بحثت عليه بظنك حتى تستخرج سره وفلان نقاب أي فطن ذكي يحدث بالغائب والتنقيب في البلاد تطلع أحوال أهلها وتجريب أمورهم (ولى) أدبر وترك طريقه الذي كان يستقبله (يعقب) ينظر (والوجد) الحزن (والتهبت) اشتعلت (وددت) تمنيت ومما قيل في ترك الوداع

صدني عن حلاوة التشييع * اجتنابي مرارة التوديع

لا يفي أنس ذا بوحشة هذا * فرأيت الصواب ترك الجميع

(ترامت)

(ترامت بى) رمتنى هذه الى هذه وهذه الى هذه و (المرامى) المواضع التى ترميه (والمسارى) مواضع السرى وهو سير الليل وهو جمع مرمى ومسرى ويكون المرمى والمسرى مصدرين و (النوى) الغربة والبعد عن الاهل أراد أن البلاد والجهات ترميه بلدة الى بلدة وجهة الى جهة فهو أبدا فى الجولان و (ابن كل تربة) أى ينسب لكل بلدة لكثرة ما يظهر فيها (ناديا) مجلسا (الاقتباس) الاكتساب (المسلى) المذهب للهمّ وتسليت عن الهم نسيته و (الاشجان) الاحزان وقد تقدم شرح هذه المعانى وتكرر (الشنشنه) الطبيعة (أعلق) الصق و (بنو عذرة) قبيلة معروفة من قبائل العرب وهم أولاد عذرة بن سعد بن هذيم بن زيد بن ليث بن سويد بن أسلم بن الحاف بن قضاعة * الفنجديهى عذرة قبيلة من العرب يستلذون مرارة العشق مثل الضرب جبلت المحبة فى طينتهم وجنيت المودّة من لينتهم وصار الهوى وصفهم الذى لا ينفك ورهائن قلوبهم من حرارات الشوق لا تفك استأرهم العشق أسرا واستأصلهم الحب قهرا وقسرا فمنهم من يموت من أوام غرامه ومنهم من يموت بهيام سقامه ومن مشاهيرهم جميل بن عبد الله بن معمر العذرى صاحب بثينة بنت عبد الله العذرية وعروة بن حزام صاحب عفراء بنت مالك العذريين وقال سعيد بن عتبة الهمدانى قلت لاعرابى ممن أنت قال من قوم اذا عشقوا ماتوا قلت عذرى قال عذرى ورب الكعبة قلت ومم ذاك قال فى نسائنا صباحة وفى فتياننا عفة وسئل اعرابى منهم فقيل له ما حد الحب عندكم فقال أعين تلاحظ وألسن تلافظ وعدات تقضى واشارات تدل على السخط والرضا قيل له فالمباضعة قال ذلك طلب الولد الحب اذا نكح فسد * سفيان بن زياد قلت لامرأة من عذرة ورأيت بها هوى غالبا حتى خفت عليها الموت ما بال العشق يقتلكم معاشر عذرة من بين أحياء العرب قالت فينا جمال وتعفف فالجمال يحملنا على العفاف به والعفاف يورثنا رقة القلب والعشق يفنى آجالنا وانا نرى محاجر لا ترونها * أبو عمرو بن العلاء حدثنى رجل من تميم قال خرجت فى طلب ضالة لى فبينا أنا ادور فى أرض بنى عذرة أنشدها اذا بيت منعزل عن البيوت وفى كسره شاب مغمى عليه وعند رأسه عجوز بها بقية جمال ساهية تنظر اليه فسلمت عليها فردت السلام فسألتها عن ضالتى فلم تعلم بها فقلت من هذا الفتى فقالت ابنى فهل لك فى أجر لا مؤنة فيه فقلت والله انى احب الاجر وان رزئت فقالت ان ابنى هذا يهوى ابنة عم له علقها وهما صغيران فلما كبرت خطبها غيره فأخذه شبه الجنون فخطبها الى ابيها فمنعه وزوّجها غيره فنحل جسمه واصفرّ لونه وذهب عقله فلما كان مذ خمس زفت الى زوجها فهو كما ترى مغمى عليه لا يأكل ولا يشرب فلو نزلت اليه فوعظته قال فنزلت اليه فلم ادع موعظة الا وعظته بها حتى قلت له انهن الغوانى صاحبات يوسف الناقضات العهد وقد قال فيهن كثير

هل وصل عزة الا وصل غانية * فى وصل غانية من وصلها خلف

قال فرفع رأسه محمرّة عيناه كالمغضب وهو يقول لست ككثير ان كثيرا رجل مائق وأنا وامق ولكنى كاخى تميم حيث يقول

ألا لا يضرّ الحب من كان صابرا * ولكنّ ما اجتاب الفؤاد يضير

ألا قاتل الله الهوى كيف قادنى * كما قيد مغلول اليدين أسير

فقلت له فانه قد جاء عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال من أصيب منكم بمصيبة فليذكر مصابه بى

(ذكر بنى عذرة)

ترامت بى مرامى النوى ومسارى الهوى الى ان صرت ابن كل تربة واخا كل غربة الا انى لم أكن أقطع واديا ولا اشهد ناديا الا لاقتباس الادب المسلى عن الاشجان المغلى قيمة الانسان حتى عرفت لى هذه الشنشنة وتناقلتها عنى الالسنة وصارت اعلق بى من الهوى ببنى عذرة

فأنشأ يقول ألا ما للمليحة لم تعدني * أبخل بالمليحة أم صدود
مرضت فعادني أهلي جميعا * فمالك لم ترى فيمن يعود
فقدتك بينهم فبكيت شوقا * وفقد الالف يا أملي شديد
وما استبطأت غيرك فاعلميه * وحولي من ذوي رحمي عديد
ولو كنت المريض لكنت أسعى * اليك وما يهددني الوعيد

ثم شهق شهقة وخفت خفتة فداخلني أمر ما داخلني مثله قط والعجوز تبكي فلما رأت ما حل بي قالت يا فتى لا ترع مات والله ولدي بأجله واستراح من تباريحه وغصصه فهل لك في استكمال الصنيعة قلت قولي ما أحببت قالت تأتي البيوت فتنعاه اليهم ليعاونوني على رمسه فاني وحيدة فركبت فرسي وأتيت البيوت رافعا صوتي بنعيه فلم ألبث أن خرجت لي جارية أجمل ما رأيت من النساء ناشرة شعرها حديثة عهد بعرس تقول بفيك الحجر المصمت من تنعي قلت أنعي فلانا قالت أو قد مات قلت اي والله قد مات قالت فهل سمعت له قولا قالت اللهم شعرا قالت وما هو فأنشدتها أبياته فاستعبرت وأنشأت تقول

عداني ان أزورك يا مرادي * معاشر كلهم واش حسود
أشاعوا ما علمت من الدواهي * وعابونا وما فيهم رشيد
فاما اذ ثويت اليوم لحدا * وكل الناس دورهم لحود
فلا طابت لي الدنيا فراقا * ولا لهم ولا أثرى العديد

ثم شهقت شهقة فوقعت مغشيا عليها وخرجت النساء من البيوت فاضطربت ساعة وماتت فوالله ما برحت حتى دفنتهما جميعا * هشام بن عروة أذن معاوية للناس يوما فكان فيمن دخل عليه فتى من بني عذرة فقام بين السماطين وأنشأ يقول

أتيتك لما ضاق في الارض مسلكي * وأنكرت مما قد أصبت به عقلي
ففرج كلاك الله عني فانني * لقيت الذي لم يلقه أحد قبلي
وخذلي هداك الله حقي من الذي * رماني بسهم كان أهونه قتلي
وكنت أرجي عدله اذ أتيته * فأكثر ترداد مع الحبس والكبل
فطلقتها من جهد ما قد أصابني * فهل ذا أمير المؤمنين من العدل

فقال له معاوية ادن بارك الله عليك ما خطبك قال أطال الله بقاء أمير المؤمنين اني رجل من بني عذرة تزوجت ابنة عم لي وكانت لي صرمة من الابل وشويهات فأنفقت ذلك عليها فلما أصابتني نائبات الزمان وحادثات الدهر رغب عني أبوها وكانت جارية منها الحياء والكرم فكرهت مخالفة أبيها فأتيت عاملك عبد الرحمن ابن أم الحكم فذكرت ذلك له وبلغه جمالها فأعطى أباها عشرة آلاف درهم وتزوجها وأخذني فحبسني وضيق علي فلما أصابني مس الحديد وألم العذاب طلقتها وقد أتيتك يا أمير المؤمنين وأنت غياث المحروب ومعيد المسلوب فهل من فرج ثم بكى وهو يقول في القلب مني نار * والنار فيها شرار
وفي فؤادي جمر * والجمر فيه احرار
والجسم مني نحيل * واللون فيه اصفرار

والعين

والعين تبكي بشجو * فدمعها مدرار
والحب داء عسير * فيه الطبيب يحار
حملت منه عظيما * فما عليه اصطبار
فليس ليلي ليلا * ولا نهاري نهار

فرق معاوية له وكتب الى ابن أم الحكم كتابا غليظا وفي آخره

ركبت أمرا عظيما لست أعرفه * استغفر الله من جور امرئ زاني
قد كنت تشبه صوفيا له كتب * من الفرائض أو آيات فرقان
حتى أتاني الفتى العذري منتحبا * يشكو الي بحق غير بهتان
أعطي الاله عهودا لا أخيس بها * أولا فبرئت من ديني وايماني
ان أنت راجعتني فيما كتبت به * لاجعلنك لحما بين عقبان
طلق سعاد وفارقها بمجتمع * واشهد على ذلك نصرا وابن ظبيان
فما سمعت كما حدثت من عجب * ولا فعالك حقا فعل انسان

فلما ورد الكتاب على ابن أم الحكم تنفس الصعداء وقال وددت لو أن أمير المؤمنين خلى بيني وبينها سنة ثم عرض علي السيف وجعل يؤامر نفسه في طلاقها فلم يقدر فلما أزعجه الوفد طلقها ثم قال يا سعاد اخرجي فخرجت شكلة غنجة ذات هيئة وجمال فلما رآها الوفد قالوا ما تصلح هذه الا لامير المومنين لا للاعرابي وكتب الجواب

لا تحنثن أمير المومنين وفي * بعهدك اليوم في رفق واحسان
فما ركبت حراما حين أعجبني * فكيف سميت باسم الخائن الزاني
فسوف تأتيك شمس لا خفاء بها * أبهى البرية من انس ومن جان
حوراء يقصر عنها الوصف اذ وصفت * أقول ذلك في سر واعلان

فلما وردت على معاوية قال ان كانت أعطيت حسن النغمة مع هذه الصفة فهي أكمل البرية فاستنطقها فاذا هي أحسن الناس كلاما وأكملهم شكلا ودلا فقال يا اعرابي هل من سلو عنها بأفضل الرغبة قال نعم اذا فرقت بين رأسي وجسدي ثم أنشأ يقول

لا تجعلني والامثال تضرب بي * كالمستجير من الرمضاء بالنار
اردد سعاد على حيران مكتئب * يمسي ويصبح في هم وتذكار
قد شفه قلق ما مثله قلق * وأسعر القلب منه أي اسعار
والله والله لا أنسى محبتها * حتى أغيب في رمس وأحجار
كيف السلو وقد هام الفؤاد بها * وأصبح القلب عنها غير صبار

فغضب معاوية غضبا شديدا ثم قال لها اختاري من شئت أنا أو ابن أم الحكم أو الاعرابي فأنشأت تقول

هذا وان أصبح في أطمار * أو كان في بعض من اليسار
أكبر عندي من أبي وجاري * وصاحب الدرهم والدينار
* أخشى اذا غدرت حر النار *

فقال له معاوية خذها لا بارك الله لك فيها فأخذها وأنشأ يقول

خلوا عن الطريق للاعرابي * ألم ترقوا ويحكم لما بي

فضحك معاوية وأمر له بعشرة آلاف درهم وأدخلت لبعض قصوره حتى انقضت عدتها من ابن أم الحكم ثم دفعها للاعرابي * وقال بعضهم كنت سائرا في بلاد عذرة فولجت بعض أوديتهم واذا شاب حسن الوجه بيده زمام ناقة عليها هودج مسجف به جارية ومن وراء الناقة خمس قلائص وقد رفع عقيرته ينشد ويقول

تِه كيف شئت وسر على مهل * كل الجمال عليك يا جمل

على أنك لاترى كللا * مادام فوقك هذه الكلل

فسلمت عليه فردّ وسألته وسألني وتناشدنا واتصل الانس بيننا وسرنا غير قليل فرأى قانصا في أحبولته ظبي فلما رآه يضطرب في الاحبولة أجهش بالبكاء وأنشأ يقول

وذكرني من لاأبوح بحبه * محاجر ظبي في حبالة قانص

فقلت وجفن العين يجري بعبرة * ولحظي الى عينيه لحظة شاخص

الا أيهذا القانص الظبي خله * وخذ عوضا منه جياد قلائص

خف الله لاتحبسه ان شبيهه * حياتي قد أرعدت منه فرائصي

فقال القانص الله ان فعلت قال الله فأرسل الظبي واستاق القلائص * وحدث رجل من بني عذرة قال كان فينا فتى ظريف غزل كثيرا ما يتحدث الى النساء فهوي جارية من الحي فراسلها فأظهرت له جفوة فوقع مضني مدنفا وظهر أمره وتبين دنفه ولم يزل النساء من أهلها وأهله يكلمنها فيه حتى أجابت فسارت اليه عائدة ومسلمة فلما نظر اليها تحدرت عيناه بالدموع وأنشأ يقول

أريتك ان مرت عليك جنازتي * تروح بها أيد طوال وتسرع

أما تتبعين النعش حتى تسلمي * على رمس ميت بالحفيرة يودع

فبكت رحمة وقالت والله ما ظننت ان الامر بلغ بك هذا فوالله لا ساعدنك ولا داومن على وصالك فهملت عيناه بالدموع وأنشأ يقول

دنت وظلال الموت بيني وبينها * ومنت بوصل حيث لا ينفع الوصل

ثم شهق شهقة فخرجت نفسه قال فوقعت عليه تلثمه ثم رجعت عنه مغشيا عليها فما مكثت بعده الا أياما حتى ماتت * قال حماد الراوية انصرفت من جنازة لبعض السكك فاذا بصبي من عذرة ظريف حسن الوجه صغير السن موصوف بقول الشعر فوقفنا فسلمنا فقام اعظاما لنا فقلت أنشدنا شيأ فكأنه استحيا فقلت له لا بد فأنشدنا

هل من الحب مجير * من ملاح يعتدونا

قد شكونا بخضوع * غذل قوم يعذلونا

في جوى نلقاه ممن * لا يبالي مالقينا

وبكينا بدموع * اغرقت منا الجفونا

قال حماد فكدت ارقص طربا وقلت فداؤك عمك وجلسنا اليه تعجبا من رقته وجماله وفصاحته فأنشدنا

ولقد ارسلت دمعي شاهدا * ثم صيرت اليها المشتكى

فتولت ثم قالت شغلي * كل من شاء تبكي فبكي

قال حماد قلت له فديتك تحب هذه الجارية قال يا عم والحب عيب ان كان عيبا تركته ثم قال يا عم اذا قرأت أو بلغني أحاديث قومي مثل عروة وجميل أفلا أشتهي أن أكون واحدا منهم فانصرفنا عنه متعجبين (قوله والشجاعة بآل أبي صفرة) أبو صفرة هو ظالم بن سراقة بن كندي ابن عمرو بن عدي ويتصل بعمرو مزيقيا ثم بازد دبا وازد دبا ما بين عمان والبحرين وكانوا أسلموا ثم ارتدوا في خلافة أبي بكر فبعث اليهم أبو بكر عكرمة بن أبي جهل فقاتلهم وسبي ذراريهم وبعث بهم الى أبي بكر وأبو صفرة غلام فحبسهم أبو بكر فلما توفي أطلقهم عمر فنزل أبو صفرة البصرة فشرف بها وروى بعضهم أن أبا صفرة طلب من عمر أن يوليه عملا فسأله عن اسمه فقال ظالم بن سراق فقال تظلم أنت ويسرق أبوك ولم يوله عملا تطيرا باسمه والمهلبية تزعم أن أبا صفرة قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وعليه حلة صفراء يسحبها خلفه ذراعين وله طول ومنظر وفصاحة فأعجب النبي صلى الله عليه وسلم ما رأى من جماله وخلقه فقال له من أنت قال أنا قاطع ابن سارق بن ظالم بن عمرو بن شهاب بن مرة بن الهلقام بن الجلندي بن المستكبر بن الجلندي الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنت أبو صفرة ودع عنك ظالما وسارقا فقال أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسوله حقا ان لي لثمانية عشر ذكرا ورزقت بآخرهم بنتا سميتها صفرة * وأما أولاد أبي صفرة فكانوا كلهم شجعانا أبطالا حماة منهم أبو سعيد المهلب وذكروا أن أبا صفرة وفد على عمر رضي الله عنه ومعه عشرة من ولده والمهلب أصغرهم فتوسمهم عمر ثم قال هذا سيد ولدك المهلب والمهلب هو صاحب حروب الازارقة وولاه عبد الملك خراسان بعد الازارقة سنة تسع وسبعين ومات سنة ثلاث وثمانين واستخلف يزيد ابنه عليها فأقره عبد الملك عليها سنتين او ثلاثا وغزا يزيد جرجان في خلافة سليمان بن عبد الملك سنة سبع وتسعين في ثلاثين ألف مقاتل فقاتلهم أشهرا ثم صالحهم على ان يعطوا خمسمائة ألف درهم كل عام يؤدونها اليه ثم غزا سنة ثمان وتسعين طبرستان فصالحهم على سبعمائة ألف درهم وأربعمائة وقر زعفران وأربعمائة رجل مع كل رجل برنس وطيلسان وخاتم فضة وسرقة حرير وكسوة فقبل ذلك وانصرف عنهم ثم غدر أهل جرجان بمن خلف عليهم من المسلمين فقتلوهم فلما فرغ من طبرستان سار اليهم فقاتلهم شهرا ثم نزلوا على حكمه فقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم وصلبهم فرسخين وقاد منهم اثني عشر ألفا الى وادي جرجان فقتلهم وأجرى الماء في الوادي على الدم وعليه أرحاء بدمائهم تطحن واختبز وأكل وكان قد حلف على ذلك * الاصمعي قبض الحجاج على يزيد وأخذه بسوء العذاب فسأله أن يخفف عنه العذاب على أن يعطيه كل يوم مائة ألف درهم فكان دأبه أنه اذا أداها تركه والا عذبه الى الليل فجمع يوما مائة ألف درهم يشتري بها عذابه فدخل عليه الاخطل فأنشده

أبا خالد بادت خراسان بعدكم * وقال ذوو الحاجات أين يزيد
فما سقي المروان بعدك قطرة * ولا اخضر بالمروين بعدك عود
وما لسرير بعد ملكك بهجة * ولا لجواد بعد جودك جود

فاعطاه المائة الالف فبلغ ذلك الحجاج فدعا به وقال يا مرزي أكل هذا الكرم وأنت بهذه الحالة

(ذكر آل ابي صفرة)

والشجاعة بآل ابي صفرة

قد وهبت لك عذاب اليوم ومابعده * ابن عبد الحكم أخبرنا الشافعي قال طعن يزيد بن المهلب زجلا من الخوارج فصرعه فوثب الخارجي بالسيف وهو يقول

وانا لقوم لا نعوّد خيلنا * اذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا

وتنكر يوم الروع الوان خيلنا * من الدم حتى تحسب الورد أشقرا

وليس بمعروف لنا أن نردّها * صحاحا ولا مستنكر أن تعقرا

قال يزيد فكرهت أن أقتل مثله فانصرفت عنه وقتل يزيد يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من صفر سنة اثنتين ومائة وهو ابن سبع وأربعين سنة وقيل للمهلب بم نلت ما نلت قال بطاعة الحزم وعصيان الهوى وقيل لابي اسحق الهمداني لم رويت عن المهلب قال لاني لم أر أميرا أبين منه تقية ولا اشجع منه ولا أبعد مما يكره ولا اقرب مما يحب ومر المهلب بقوم فعظموه وسوّدوه فقال رجل الهذا الاعور تسوّدون والله لو خرج الى السوق ما زادت قيمته على ألفي درهم فسمعه المهلب فقال لبعض من معه اتعرف الرجل قال نعم فلما انتهى الى مجلسه ارسل اليه بألفي درهم فقال له لو زدتنا في القيمة لزدناك في العطية فخجل الرجل وعرف منزلته وللمهلب وبنيه واخوته في حروب الازارقة مشاهد ما شوهدت قط في جاهلية ولا اسلام وقتل المهلب واولاده واخوته ومن معه من الازارقة في ليلة واحدة اربعة آلاف وثمانمائة وانهزم بقيتهم مع قطري فنفاهم الى اقاصي البلاد حتى قتل قطري ومن معه وسئل المهلب عن ابنيه ايهما اشجع ايزيد ام حبيب فقال ان الولد بما سبق راي ابيه فيه وقطري قد مارسهما فسلوه عنهما فلما كان من الغد واصطفوا للقتال صاح رجل يا ابا نعامة فقال افرجوا له ثم قال قد سمعت فقل فقال انا سألنا الامير عن ابنيه يزيد وحبيب أيهما اشجع فقال سلوا أبا نعامة فقال على الخبير سقطت امّا صاحب الكرّ والفرّ والاقدام والاحجام وصحة التدبير ومبارزة الكميّ المدجج فالحرون يزيد واما اذا التقت غياطيل الليل وخفتت الاصوات الا الغماغم وقرع الحديد بالحديد فالخيار حبيب الغيطلة التباس الظلام وخفتت سكنت والغمغمة اصوات الابطال في القتال * وسأل الحجاج كعب بن معدان الاشعري حين وفد عليه بالفتح فقال له أخبرني عن بني المهلب فقال المغيرة فارسهم وسيدهم وكفى بيزيد فارسا شجاعا وجوادهم وسخيهم قبيصة وما يستحي الشجاع أن يفر من مدرك وعبد الملك سم ناقع وحبيب موت ذعاف ومحمد ليث غاب وكفاك بالمفضل نجدة فقال كيف كانوا في البأس قال حماة السرج نهارا فاذا أليلوا ففرسان البيات قال فأيهم كان أنجد قال كانوا كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفها وحين وفد المهلب على الحجاج أجلسه الى جانبه وأظهر اكرامه وقال يا أهل العراق أنتم عبيد المهلب ثم قال له أنت والله كما قال لقيط الايادي

وقلدوا أمركم لله دركم * رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

لا مترفا ان رخا في الامر ساعده * ولا اذا عض مكروه به خشعا

مازال يحلب هذا الدهر أشطره * يكون متبعا طورا ومتبعا

حتى استمرت على شزر مرائره * مستحكم الرأي لا قحما ولا ضرعا

فقام رجل وقال أصلح الله الامير والله لكأني اسمع الساعة قطريا يقول المهلب كما قال لقيط

الايادى وأنشد الابيات فامتلأ الحجاج سرورا وقال له الحجاج اذكر لى الذين ابلوا وصف لى بلاءهم فقدم بنيه وقال والله لو تقدمهم أحد فى البلاء لقدمته عليهم ولولا أن أظلمهم لاخرتهم فقال له الحجاج ثم انهم لسيوف من سيوف الله تعالى فى الارض * وقال يوما عبد الملك للشعراء تشبهوننى مرة بالاسد الابخر والجبل الأوعر والبحر الاجاج وبالصقر والباز ألا قلتم كما قال كعب الاشعرى فى المهلب وبنيه

براك الله حين براك بحرا * وفجر منك أنهارا غزارا
بنوك السابقون الى المعالى * اذا ما أعظم الناس الفخارا
كأنهم نجوم حول بدر * دجوجى تكمل واستدارا
ملوك ينزلون بكل ثغر * اذا ما الهام يوم الروع طارا
رزان فى الامور ترى عليهم * من الشيخ الشمايل والنجارا
نجوم يهتدى بهم اذا ما * أخو الغمرات فى الظلماء حارا

وفى ديوان الحماسة

آل المهلب قوم خوّلوا شرفا * ما ناله عربى لا ولا كادا
لو قيل للمجد حد عنهم وخلهم * بما احتكمت من الدنيا لما حادا
ان المكارم أرواح يكون لها * آل المهلب دون الناس أجسادا

ولبعضهم

اذا كان المهلب من ورائى * هد البلى وقرّله فؤادى
ولم أخش الدنية من أناس * ولو صالوا بقوة قوم عاد

وتوفى المهلب بفنجديه بصحراء راغول سنة ثلاث وثمانين فبعد أربعمائة وثلاثين من وفاته رأى بعض علماء فنجديه فى المنام كأن المهلب يقول الله الله الحقنى قبل ان يأخذنى رودهر وهو نهر عظيم يعبر عليه بالسفن وانقلنى الى بعض مقابر المسلمين وأنا مدفون على شاطئ هذا النهر الكبير فى الموضع الفلانى وقد حفر الماء تحت قبرى وقرب أن يأخذنى فلما أصبح الرجل أخذ جماعة من أصحابه معهم المساحى والفوس فمضوا الى ذلك الموضع وحفروا حتى وصلوا الى قالبه فكشفوا التراب عنه فكانت عظامه ما بليت بعد فدفنوه بمقبرة مدونة قال الفنجديهى وهى محلتنا وسمعت معنى هذه الحكاية من والدى رحمه الله (قوله بنجران) بلد من كور نجد مما يلى بلاد اليمن سميت بنجران بن زيد بن سبا (اصطفيت) اخترت (الخلان) الاصحاب (تخذت) بمعنى اتخذت (أنديتها) مجالسها ومجتمع أهلها (معتمرى) موضع زيارتى واعتمرت الموضع قصدته وزرته (موسم) عيد (فكاهتى) ممازحتى (سمرى) حديثى بالليل (أتعهدها) اتفقدها و(صباح مساء) اسمان مركبان جعلا كخمسة عشر وأراد بزورها فى الصباح والمساء (ناد محشود) مجلس مجموع الاهل ومثله (المحفل المشهود) (جثم) برك (هم) شيخ هرم قد أذهب الكبر قوته ولحمه وتقول هممت الشحم أذبته ومنه قولهم هذا الامر لا يهمنى بفتح الياء وكسر الهاء أى لا يذيبنى ومن قال بضم الياء فمعناه لا يقلقنى (هدم) ثوب خلق كأنه هدمه البلى (ملق) متلطف فى كلامه (ذلق) حديد (النوافل) العطايا (بين الصبح لذى عينين) مثل ويريد أن الليل يتساوى فى ظلمته الاعمى والصحيح فاذا ظهر ضوء الصبح أبصر الاشياء من له بصر وقيل معنى بين الصبح أى تبين

فلما ألقيت الجران بنجران
واصطفيت بها الخلان
والجيران تخذت أنديتها
معتمرى وموسم فكاهتى
وسمرى فكنت أتعهدها
صباح مساء وأظهر فيها
على ما سروساء فبينما أنا
فى ناد محشود ومحفل
مشهود اذ جثم لدينا هم
عليه هدم فحيا تحية ملق
بلسان ذلق ثم قال يا بدور
المحافل وبحور النوافل
قد بين الصبح لذى عينين وناب

العيان مناب عدلين فاذا ترون فما ترون أتحسبون العون أم تناون اذ تدعون فقالوا تالله لقد غظت ورمت أن تنبط فغضت فناشدهم الله عما ذا صدهم حتى استوجب ردهم فقالوا كنا نتناضل بالالغاز كما يتناضل يوم البراز فما تمالك ان شعث من المنضول وألحق هذا الفضل بنمط الفضول فلسنته لسن القوم ووخزوه بأسنة اللوم وأخذ هو يتنصل من هفوته ويتندم على فوهته وهم مضبون على مؤاخذته وملبون داعى منابذته الى ان قال لهم يا قوم ان الاحتمال من كرم الطبع فعدوا عن اللذع والقذع ثم هلم الى أن نلغز ونحكم المبرز فسكن عند ذلك توقدهم وانحلت عقدهم ورضوا بما شرط عليهم ولهم واقترحوا أن يكون أولهم فأمسك ريثما يعقد شسع أو تشد نسع ثم قال اسمعوا وقيتم الطيش وطيب لكم العيش وأنشد ملغزا فى مروحة الخيش

وجارية فى سيرها مشمعلة ولكن على اثر المسير قفولها
لها سائق من جنسها يستحثها على أنه فى الاحتثاث رسيلها
ترى فى أوان القيظ تنطف بالندى
ويبدو اذا ولى المصيف نحولها

و (العيان) المشاهدة وعاينته شاهدته أى أنتم ممن لا يخفى عليكم حالى يريد أن المعاينة تغنى عن الشهود العدول (فماذا ترون) فما رأيكم وهى من رؤية القلب (فيما ترون) أى فيما تنظرون وتبصرون وهو من رؤية البصر وقال الفنجديهى فى شرحه فما ترون أى فما تظنون فيما ترون أى فيما تبصرون (تناون) تبعدون (غظت) من الغيظ أى لقد حركت غيظا (رمت أن تنبط) أردت ان تخرج ماء (غضت) غيبته وجففته والغيض نقيض الفيض وغاض الماء ذهب فى الارض (ناشدهم) حلفهم (صدهم) صرفهم وازالهم (تناضل) نترامى (البراز) القتال و (الالغاز) جمع لغز وهو الكلام المعمى والغز اذا عمى كلامه فلم يفهم ما يقصده وأصله من اللغز وهو الجحر الملوى (ما تمالك) ما أبطأ ولا ملك نفسه (شعث) غير ويروى شعب (من المنضول) أى نقصه وفرقه والمنضول المرمى أى قبح فعلهم ومراماتهم * الفنجديهى شعث الدهر ماله أى أخذه والمنضول المغلوب فى النضال والمعنى فما صبر عن تشعيث هم المغلوب ونصره وتخليصه عما أرتج عليه من اللغز ويقال شعث منه أى عابه وتنقصه وكأنه عاب المنضول كيف ارتج عليه شئ سهل وهذا تفسير حسن الا أن مساق كلام الحريرى أدل على التفسير الاول (نمط) نوع (لسنه) أخذه بلسانه (لسن القوم) فصحاؤهم (وخزوه) طعنوه (يتنصل) يتبرأ ويعتذر (هفوته) سقطته (فوهته) كلمته التى فاه بها أى نطق (مضبون) مقيمون ملتزمون وأضب على الشئ لازمه (مؤاخذته) انشاب الشر معه ويؤاخذ الرجلان أخذ كل واحد منهما صاحبه بضرب أو شتم (ملبون) مجيبون (منابذته) متاركته ومهاجرته وقد نبذت الشئ اذا رميته من يدك (الاحتمال) الصبر على الجفاء (عدوا) انصرفوا وتنحوا (اللذع) احراق القلب باللوم والعتب (والقذع) السب (نلغز) نعمى الكلام ونلبسه على السامع (المبرز) الغالب السابق (ريث) أى بطء (شسع) شراكة النعل * أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان ينقطع شسع أحدكم الا من ذنب عليه فليستغفر الله وليرجع فانها مصيبة عرضت عليه (والنسع) شراكة مضفورة على هيئة النعال يشد بها الرحل وغيره (وقيتم) كفيتم (الطيش) خفة العقل (طيب) طول الكم (الخيش) ثياب خشنة من الكتان وهذه المروحة تستعمل ببلاد العراق تكون شبه الشراع للسفينة وتعلق من سقف البيت ويشد فيها حبل ويدار بها مشيها وتبل بالماء وترش بماء الورد فاذا أراد الرجل فى القائلة أو الليل أن ينام جذبها بحبلها فتذهب بطول البيت وتجئ فيهب على الرجل منها نسيم طيب الريح بارد فيذهب عنه أذى الحر ويستطيب به النوم وهى فوقه ذاهبة وجائية ولذلك سماها جارية و (مشمعلة) سريعة الذهاب (قفولها) رجوعها و (السائق) الشريط الذى يسوقها اذا جذبت به (يستحثها) يستعجلها و (من جنسها) أى هو من كتان مثلها أو من قنب و (الاحتثاث) التعجيل (رسيلها) أى مرسلها ويرسل معها الزاوية البيت ويرجع معها والرسيل الفرس يرسل مع آخر فى السباق (أوان القيظ) وقت الصيف (تنطف) تقطر ونطف الماء سال وقطر و (الندى) الرش الضعيف و (نحولها) يبسها (ولى) أدبر واذا ولى الحر لم يحتج اليها فلا ترش ولا تستعمل فتيبس وللسرى الموصلى فيها

ومبثوثة فى كل غرب ومشرق * لها أمهات بالعراق بواطن
يحرك أنفاس الرياح حراكها * كأن نسيم الروض فيهن كامن

وله

وله أيضا وخيش كما انجرت ذيول غلائل * مصندلة يختال فيها الكواعب
وقد أطلعت فيها الشمائل واثنت * مقيدة عن جانبيها الجوانب

ومما يكتب على مروحة الكف

أنا في الكف لطيفه * مسكني قصر الخليفه
أنا لا أصلح الا * لظريف أو ظريفه
أو وصيف حسن القد * شبيه بالوصيفه

وفيها أيضا انى أجلب الريا * ح ولى يدفع الخجل
وحباب اذا الحبيب * ثنى الرأس للقبل

(قوله هاكم) أى خذوا (مراكز العقل) مواضعه ومحالة كأن العقل ركزفيهم و (الحابول) حبل يصعد به على النخل يعمل من ليفها وهو حبل يعقد حلقة و يدخل فيها الرجل ويدرّجه على النخلة شيأ شيأ عند طلوعه حتى يصير بأعلاها وحبل النخل ليس فيه شئ من الملاسة ولا في النخلة ذلك فلذلك بها استمساك ولذلك جعله معانقا لها لانه استدار بها وقيل له حابول لانه لا يستعمل الا للصعود على النخيل فرقا بينه وبين الحبل المستعمل لكل شئ ولما كان يصنع من ليف النخل جعل النخلة أمه (برهة) زمانا و (الجانى) الذى يجنى الثمر وألغز به وأوهم أنه الذى يجنى جناية (يلحى) يلام ويسب (قوله العلم) أى الرقم فى الثوب فأراد أنها خفية فى اللغز فعلمها الذى تعرف به تخفى و (المعتكرة) الشديدة السواد و (مأموم) برأسه آمة أى شجة يريد الشق برأسه و (الامام) أمير المؤمنين وجعله معروفا بالقلم لان القلم يبدى أسرار الملك واخباره فى كتبه وقيل الامام الكتاب من قوله تعالى يوم ندعو كل أناس بامامهم أى بكتابهم وقيل بنبيهم ولا يمتنع أن يريد بالمأموم المتبع وامامه الذهن الذى يملى عليه أو يد الكاتب به وقيل سماه مأموما لانه يؤم القرطاس أى يقصده و يتبعه والامام كتاب الله سبحانه وتعالى لانه يتبع و يؤتم به و يقتدى بما فيه (باهت) افتخرت و (الكرام) الكتبة لقوله تعالى بأيدى سفرة كرام بررة ولا مرتبة أشرف من مرتبتهم بعد الامرة ولذلك قال الصابى

وقد علم السلطان أنى لسانه * وكاتبه الكافى السديد الموفق
أوازره فيما عرا وأمده * برأى يريه الشمس والليل أغسق
فمنا اى عيناه ولفظى لفظه * وعينى له عين بها الدهر يرمق

(طيشان صاد) اى جولان عاطش وطاش خف (يعروه) يقصده و (الاوام) العطش يريد أن القلم اذا ارتوى بالمداد أسرع فى الكتابة واذا جف توقف وامسك (يرقن) يحبن ونظر المأمون الى جارية تكتب فقال

وزادت لدينا حظوة حين أطرقت * وفى اصبعيها أسمر اللون أهيف
اصم سميع ساكن متحرك * ينال بجسمات العلا وهو أعجف

وقال العلوى

اذا ما التقينا وانتضينا صوارما * يكاد يصم السامعين صريرها
تساقط فى القرطاس منها بدائع * كمثل اللآلى نظمها ونثيرها

ثم قال وهاكم يا أولى الفضل
ومراكز العقل وأنشد
ملغزا فى حابول النخل
ومنتسب الى أم
تنشا أصله منها
يعانقها وقد كانت
نفته برهة عنها
به يتوصل الجانى
ولا يلحى ولا ينهى
ثم قال ودونكم الخفية العلم
المعتكرة الظلم وأنشد
ملغزا فى القلم
ومأموم به عرف الامام
كما باهت بصحبته الكرام
له اذ يرتوى طيشان صاد
ويسكن حين يعروه الاوام
ويذرى حين يستسعى دموعا
يرقن كما يروق الابتسام

(قوله الواضحة) أى البينة (الفاضحة) أى المبدية العيب ما قيل قبلها من اللغز و (الميل) المرود و (الاختين) العينين (ليس عليه سبيل) مع أنّ الجمع بين الاختين لا يجوز (يغش) يدخل لها (مال) عدل وزال عنها و (البعل) الزوج (تعهدا) تفقدا (برّا) اكراما يريد ان الابصار عند الكبر يضعف نظرها فتحتاج الى الكحل وقيل عـبر بالمشيب عن مرة العين وهو فسادها من ترك الكحل (أولى الالباب) أى أهل العقول (معيار) مقياس يعبر به وتقول عايرت المكايل اذا قست بعضها ببعض وساويت بينها و (الدولاب) الناعورة و (الجافى) الثقيل يريد ان الدولاب جاف فى نفسه وخلقته وليس بجاف لسرعة حركته ودورانه و (موصول) ليس من عود واحد (وصول) يعنى للرياض بمائه ولهذه المنفعة صنع (قوله ليس بالجافى) يعنى اذا فارق الماء عاد اليه لا يجفوه والجفاء يكون فى الخلقة والخلق يقال رجل جافى الخلقة أى غليظ وجافى الخلق اذا كان كز اغليظ العشرة وجفا الشئ يجفو جفاء لم يلزم مكانه وجفا جنبه عن الفراش لم يطمئن ويجفوه ضدّ يصله جفوة مرة واحدة وجفاء مصدر عام ورجل وصول كثير الوصل وقال الرصافى فى هذا المعنى فاحسن

وذى حنين يكاد شوقا * يختلس الانفس اختلاسا
اذا غدا للرياض جارا * قال له المحل لامساسا
يبتسم الروض حين يبكى * باعين ما رأين باسا
من كل جفن يسل سيفا * صارله غمده رياسه

(ولابى الفضل بن الاعلم فى قواديس الساقية)

ونسك كعبتهم حفرة * من فارق الحفرة يبكيها
حتى اذا ما أنفدوا دمعهم * خروا على رؤسهم فيها

(وقال أعرابى فى ساقية)

باتت تحنّ وما بها وجدى * وأحنّ مشتاقا الى نجد
فدموعها تحيا الرياض بها * ودموع عينى أحرقت خدّى

(قوله غريق بارز) يريدان بعضه يغرق فى الماء وبعضه يبرز منه وهو معنى (راسب طافى) لانك تقول رسب الشئ فى الماء اذا هبط فى قعره وسفل فيه وطفا اذا ارتفع على وجه الماء (يسح) يصب (مهضوم ويهضم) ينقص (متلاف) مبذر للمال يريد كثرة أخذه للماء واراقته له (حدته) سرعة جريه لانه ان نشب بأحد فى جريه أهلكه و (قلبه صافى) لانه ليس من الحيوان فيعتقد شرا ان أحرج ولابن سعد الخير البلنسى فى دولاب

لله دولاب يفيض بسلسل * فى روضة قد أينعت أفنانا
قد طارحته بها الحمائم شجوها * فيجيبها ويراجع الالحانا
وكأنه دنف يدور بمعهد * يبكى ويسأل فيه عمن بانا
ضاقت مجارى دمعه عن جفنه * فتفتحت أضلاعه أجفانا

(ولبعض أصحابنا)

وقدّة الحسن فى محاسنها * للعين قيد وللعجاشرك

ثم قال وعليكم بالواضحة
الدليل الفاضحة ماقيل
وانشد ملغزا فى الميل
وما ناكح اختين جهرا وخفية
وليس عليه فى النكاح سبيل
متى يغش هذى يغش فى
الحال هذه
وان مال بعل لم تجده يميل
يزيدهما عند المشيب تعهدا
وبرا وهذا فى البعول قليل
ثم قال وهذه يا أولى الالباب
معيار الآداب وانشد
ملغزا فى الدولاب
وجاف وهو موصول
وصول ليس بالجافى
غريق بارز فاعجب
له من راسب طافى
يسح دموع مهضوم
ويهضم هضم متلاف
وتخشى منه حدّته
ولكن قلبه صافى

تبكى فتبدى حنين ذى نسك * بعد التصابى ومابها نسك
اذا بكت فى الرياض من طرب * بدا بوجه الازاهر الضحك
كأن ما انهل من مدامعها * رجوم شهب يقلها فلك

(قوله رشق) أى رمى ماخوذ من رشق السهام يقال رشقت رشقا أى رميت والرشق بالكسر اسم للسهام وهو اسم للهدف الذى يرمونه (نسق) تابع واحدا بعد واحد وكل شئ تبع بعضه بعضا على السواء فهو نسق (ضم الذيل) التشمير* الفنجديهى ضم الذيل كناية عن الاكتفاء بهذه الاحاجى الخمس والسكوت عن طلب الزيادة* ويريد بالازدياد من الكيل أن يزيدهم من حسن الاحاجى (واستفزتهم) استدعتهم واستخفتهم* الزجاج فى قوله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك أى استدعه لتستخف به الى اجابتك واستفزه ختله حتى ألقاه فى مهلكة (اشربوا) سقوا ودوخلوا وخولطوا وكل لون خالط لونا آخر فقد أشربه و(البلادة) التحير فى الامر والبليد المتحير الذى لايدرى أين يتوجه * الاصمعى البليد الذى يضرب باحدى بلدتيه على الاخرى من الغم عند المصيبة والبلدة هى الراحة يقال تبلد الرجل اذا تحير وضرب باحدى يديه على الاخرى يريد أن البلادة مشت فيهم وأشربتهم (قوله المزملة) أى الملففة وقد زملت اذا لففت وهى آنية يبرد فيها الماء شبه الخابية تستعمل بارض العراق ويوضع عليها الفائف ثياب خشنة وتغشى بجلد أو ثوب مزين حسن لنظر العين ومن تحته تلك الاغشية الخشنة التى لها السر والحكم فى تبريد الماء (ومسرورة) أى محمولة على سرير وهم يجعلون تحتها مرفعا من عود أو حديد ترتفع به عن الارض فهو سريرها وكذلك رأيت خوابى الماء بسجلماسة كلها على أسرة عود وقيل مسرورة مغموسة مغطاة وسرير الكمأة ماغطاها من التراب و(الغم) ضد السرور (جنينها) ولدها أراد به الماء و(حال) تغير (عهدها) التقاؤها وقربها (غنم) غنيمة (أنيق) معجب (يزدرى) يحتقر وأراد (بالحكم) معنى تبريد الماء وأراد أن مابدا منها للناظر فهو غشاء حين يعجب من رآه وهو قد بطن بلفائف غلاظ مستحقرة ولها معنى تبريد الماء وقال السرى الموصلى فى المزملة

وحافظة ماء الحياة لفتية * حياتهم أن تستلذ المشارب
تسربلها أخفى اللباس وانما * تلبق بها أفواهه والسباسب
على جسد مثل الزبرجد لم يزل * يشاكله فى لونه ويناسب
اذا استودعت حر اللجين سبائكا * تصوب فى أحشائها وهو ذائب

فهذه القطعة وقطعة المقامة تدل على تفسيرنا وبه كان يفسر شيخنا ابن جهور رحمه الله حدثنا بذلك شيخنا أبو بكر بن أزهر عنه وأما الفنجديهى ففسر المزملة تفسيرا غير مرضى وذلك أنه قال المزملة موضع يغطى ويحشى تبنا ويوضع فى وسط التبن وعاء فى القيظ يبقى الماء باردا ويترك ثقبة فى وسط الموضع لدخول الجرة فيها ولهذا قال مسرورة أى مقطوعة السرة وهو من سر الصبى اذا قطعت القابلة سرته (كشر) كشف (أنيابه) أضراسه (الصفر) يريد أنه لايتعهدها بالسواك فلذلك اصفرت وتلك الصفرة تسمى القلح وقد قال فى السادسة والعشرين بحسن ملحه وقبح قلحه (مرهوب) مخوف (الشبا) الحد (نام) زائد والظفر اذا ترك بغير تقليم طال (وما يرعى) يريد أن نمو الخلق وزيادته انما هو بما يتغذى به من الاكل والشرب وهذا يكبر ويزيد من غير

قال فلما رشق بالخمس التى نسق قال ياقوم تدبروا هذه الخمس واعتقدوا عليها الخمس ثم رأيكم وضم الذيل أو الازدياد من هذا الكيل قال فاستفزت القوم شهوة الزيادة على ما أشربوا من البلادة فقالوا والله ان وقوفنا دون حدك ليفحمنا عن استبراء زندك واستشفاف فرندك فان أعمت عشرا فمن عندك فاهتز اهتزاز من فلج سهمه وانخزل خصمه ثم افتتح النطق بالبسملة وأنشد ملغزا فى المزملة

ومسرورة مغمومة طول دهرها
وماهى تدرى ما السرور ولا الغم
تقرب أحيانا لاجل جنينها
وكم ولد لولاه طلقت الام
وتبعد أحيانا وما حال عهدها
وابعاد من لم يستحل عهده ظلم
اذا قصر الليل استلذ وصالها
وان طال فالاعراض عن وصلها غنم
لها ملبس باد أنيق مبطن
بما يزدرى لكن لما يزدرى الحكم

ثم كشر عن أنيابه الصفر وأنشد ملغزا فى الظفر

ومرهوب الشبا نام
وما يرعى ولا يشرب

غذاء و (العشر) فى الظاهر عشر ذى الحجة و (النحر) يوم النحر أى يوم العيد فاراد ان هذا المرهوب الشبا انما يظهر فى العشر خاصة فاذا جاء يوم العيد وطول السنة بعده لم يظهر وانما يعنى بالعشر الاصابع والنحر العنق أى ان الاظفار خلقت فى الاصابع لا فى العنق أو يريد أن الظفر يرى فى الاصابع العشر لا فى عشر النحر من ذى الحجة (قوله تخازر) أى نظر بمؤخر عينيه مستقلا لذلك وهو نظر المحتقر لمن ينظر المنكر عليه و (العفريت) الشيطان المؤذى وهو الرئيس من الجن و (الكبريت) معروف فارسى معرب وطاقاته قضبانه التى تجعل شيأ على شئ وهو الوقود الذى يشعل به المصباح (تقصى) تبعد (جدا) أى كثيرا ويريد بالرأسين طرفى قضيب الوقيد اللذين ينغمسان فى الكبريت وجعلهما ضدين لان هذا فى طرف وهذا فى طرف فقد تباعدا وضد الشئ بعيد عنه وجعلهما مشتبهين لان شكل الطرفين وهما الرأسان شكل واحد و (خضبا) غمسا فى الكبريت (وتلغى) تهجر وتترك وقال ابن رشيق

ان كنت تنكر ما منك ابتليت به * فان برء سقامى عز مطلبه

أشير بعود من الكبريت تخوفنى * وانظر الى زفرانى كيف تلهبه

(قوله تخمط) أى تكبر وتهيأ للقول وأصل التخمط للقرم وهو فحل الابل وتخمط تهيأ للهدير وأخذ فى الصياح والهجوم على الابل و (حلب الكرم) أراد الخمر لانها تحلب من العنب والحلب اللبن المحلوب يقول الخمر اذا فسدت صارت خلا فحل استعمالها فقد صار غيها وهو فسادها رشدا أى صلاحا وقال أبو بكر بن القنطرية فى خمر له فسدت فصارت خلا

أباحسن انى فجعت بصاحب * أنيس يسلى الهم عند احتلاله

غدت بنت بسطام بن قيس بدنها * وأمست كجسم الشنفرى بعد خاله

قوله غدت بنت بسطام بن قيس أى صهباء لان بسطام بن قيس يكنى أبا الصهباء وقوله وامست كجسم الشنفرى أى خلا لانه يريد قول الشنفرى * ان جسمى من بعد خالى لخل أى محتل وقال آخر فى ذلك

حسبتها بنت بسطام لها أرج * ثم اقتضضت ختاما من أبى سلمه

عرض بأبى سلمة الخلال ومن التعريض المركب على هذا المعنى قول الشاعر

وبت مداما تسر التريفا * فأصبحت تجرع خلا ثقيفا

وصرت مجازا جديب المحل * وقد كنت للطالب الخصب ريفا

وقال آخر

يا عقارا صار خلا * وسلاذا للبعوض

سر فالى فيك حظ * كان ذا قبل الحوض

ما أبالى بعد أكل الز بد من طرح المخيض

(قوله راق أوصافا) أى حسنت أوصافه وحسنها أن توصف بالرقة والصفاء والحمرة والقدم وقوة الفعل يقول فاذا كانت أوصافه معجبة أوقد الشر حيثما حضر فاذا فسدت أوصافه صلح (زكى العرق) كريم الاصل والزكاء النماء والزيادة أى كثير الفضل والخير وأراد انها شجرة مباركة يكون منها العنب والزبيب والرب ولكنها تلد ولد سوء وهو الخمر وأخذ هذا المعنى من قول الشاعر فان فخرت بآباء لهم شرف * قلنا صدقت ولكن بئس ما ولدوا

يرى فى العشر دون النحر
فاسمع وصفه واعجب
ثم تخازر تخازر العفريت
وأنشد ملغزا فى طاقة
الكبريت
ومحقورة تدنى وتقصى
وما منها اذا فكرت بد
لها رأسان مشتبهان جدا
وكل منهما للآخر ضد
تعذب ان هما خضبا وتلغى
اذا عدما الخضاب ولا تعد
ثم تخمط تخمط القرم وأنشد
ملغزا فى حلب الكرم
وما شئ اذا فسدا
تحول غيه رشدا
وان هو راق أوصافا
أثار الشر حيث بدا
زكى العرق والده
ولكن بئس ما ولدا

او

أو يريد لذة العنب (قوله اعتضد) جعلها تحت عضده (التسيار) السير و(الطيار) ميزان معروف عندهم يرجحه أيسر شيء فلخفته سمي الطيار وقيل الطيار ميزان الدراهم المعروف عندهم بالقارسطون * الفخديهي الطيار لسان الميزان (طيشة) خفة (شقه) نصفه وجانبه فيريد بالظاهر وذي حمق وخفة أصابه خدر وفالج فيبس جنبه فمال على الجانب الصحيح ومع ذلك لا يرى أبدا الا في مكان مرتفع عاليا كما يفعل الملك * والحجارة والذهب عنده سواء (والنضار) الذهب ثم قال واذا نظرت اليه نظر كيس حاذق رأيت في وصفه عجبا حين كان الناس يتراضون بحكمه مع معرفتهم بأنه ناقص الخلقة لا يعدل في حكمه انما هو ميال مع أحد الخصمين و (العلية) اليد التي يمسك عليها الميزان وقال أبو نواس يلغز

واسم عليه جنى للصبا * وضمه للوصف دوار
فضحت عنه سر كتمانه * وكان من شأني اظهار
يحذف أول مبتدا الاسم * ثم يكون الوصف اضمار
فذاك عل في لعل وفي * قولك في حارث ياحار
فهو بحذف ذا وترخيم ذا * أح لمن تلذعه النار

الاسم راحة يحذف أول حرف وآخر حرف ويبقى أح وهو قول من لذعته النار وقال آخر

ويلي من الحب وويلاه * ملك قلبي وتناساه
من ثالث العشر بعض اسمه * ورابع العشر أولاه
وقوله عند سؤالي له * ما في اسمه والحافظ الله

الاسم رعبلان وأنشد ابن اسحق النحوي

حلف الحبيب على ألا سميته * فكنيته وأطعت خوف تغاضبه
ظبي اذا مازارني حل اسمه * قلبي وذلك من عجيب عجائبه
ويكون ان رخمته وجزمته * وقلبته ماتشتهي من صاحبه
ويكون بعد الجزم ان فكرت في التصحيف مقلوبا أشد معايبه

الاسم فرجة وأشد معايبه فرج وهو ما يشتهي من صاحبه اذا حذفت الهاء وقال ابن شرف

ما آكل يعطي على أكله * اعطاء اقلال واكثار
لقمته قيمتها وجدها * من غير خلف ألف دينار

هو فرج المرأة وله في المرآة

مايقول الشيخ في شي * تراه ويراكا
ثم لا تلقاه الا * حين لا يلقى سواكا

وله أيضا في الابرة

ضئيلة الجسم لها * فعل متين السبب
حافرها في رأسها * وعينها في الذنب

(ولغيره في الميزان)

وقاض قد قضى في الارض عدل * له كف وليس له بنان

ثم اعتضد عصا التسيار
وأنشد ملغزا في الطيار
وذي طيشة شقه مائل
وما عابه بهما عاقل
يرى أبدا فوق علية
كما يعتلي الملك العادل
تساوى لديه الحصا والنضار
ومايستوي الحق والباطل
وأعجب أوصافه ان نظرت
كما ينظر الكيس الفاضل
تراضي الخصوم به حاكما
وقد عرفوا أنه مائل

رأيت الناس قد قبلوا قضاه * ولا نطق لديه ولا بيان

(وقال العلوى الاصبهانى يلغز فى النسر الواقع)

وركب ثلاث كالاثافى تعاوروا * دجا الليل حتى أومضت سنة الفجر
اذا اجتمعوا سميتهم باسم واحد * وان فرقوا لم يعرفوا آخر الدهر

(وأنشد الحاتمى فى الخفاش وهو طائر الليل)

أرى علماء الناس لا يعرفوننى * وقد ذهبوا للعلم فى كل مذهب
بجلدة انسان وصورة طائر * وأظفار يربوع وأنياب ثعلب

(وأنشد فى الطائر وظله)

عجبت لطائر فى الجو طارا * وكانا واحدا فاثنين صارا
فهذا طائر فى الجو يهوى * وذا مستأنس لزم القرارا

(وأنشدوا فى مصراع الباب)

عجبت لمحرومين من كل لذة * يبيتان طول الليل يعتنقان
اذا أمسيا كانا على الناس مرصدا * وعند طلوع الشمس يفترقان

وأنشدوا * قامت أحبابه الله ميتا * ليخبر قوما أنذروا ببيان
وعجفاء قد قامت لتنذر قومها * وأهل قراها رهبة الحدثان

قال فظلت الافكار تهيم فى أودية الاوهام وتجول جولان المستهام الى أن طال الامد وحصحص الكمد فلما رآهم يزندون ولا يسناون ويقضون النهار بالمنى

الميت الاول بقرة بنى اسرائيل والميت الثانى الذى ضرب ببعضها والعجفاء نملة سليمان عليه السلام والالغاز أكثر من أن يأتى عليها الحصر (قوله تهيم) أى تتحير والهائم الذى يركب رأسه ويمشى على غير هداية (الاوهام) جمع وهم وهو ما تتوهمه وتتصوره فى نظر مسئلة مشكلة اما خطأ واما صوابا وأراد أن أفكارهم كانت تتحير فى نظر ألغازه ولا تهتدى (تجول) تتصرف (المستهام) العاشق الذى ذهب به الحب كل مذهب (حصحص) تبين (الكمد) الحزن والهم (يزندون ولا يسناون) يقدحون الزند ولا يظهر لهم ضوء أى تضرب أذهانهم الالغاز فترجع بلا فهم (ويقضون) يقطعون يومهم بامانى لا محصول لها قال على بن أبى طالب رضى الله عنه اياك والمنى فانها بضائع النوكى وتثبط عن الآخرة والاولى وأشرف الغنى ترك المنى *على بن عبيدة الريحانى الامانى حبايل الجهل وقال غيره الامانى تخدعك وعند الحقائق تدعك * وفى ضده أفلاطون التمنى حلم المستيقظ وسلوة المحروم * غيره الامل رفيق مؤنس ان لم يبلغك فقد ألهاك قيل لاعرابى ما امتع لذات الدنيا قال ممازحة الحبيب ومحادثة الصديق وأمانى تقطع بها أيامك وأنشد الثعالبى

ولا تكن عبد المنى فانها * رؤس أموال المفاليس

(وقال مسلم بن الوليد)

وأكثر أفعال الغوانى اساءة * وأكثر ما تلقى الامانى كواذبا

(وأنشد أبو تمام فى ضده)

منى ان تكن حقا تكن أحسن المنى * والا فقد عشنا بها زمنا رغدا
أمانى من ليلى حسانا كأنما * سقتنى بها ليلى على ظما بردا

*(ابن

قال ياقوم الام تنظرون وحتام تنظرون ألم يان لكم استخراج الخبء أو استسلام الغبي فقالوا له

تالله لقد أعوصت ونصبت
الشرك فقنصت فتحكم
كيف شئت وحز الغنم
والصيت ففرض عن كل
سمي فرضا واستخلصه منهم
نضا ثم فتح الاقفال ووسم
الاغفال وحاول الاجفال
فاعتاق به مدره القوم وقال
له لالبسة بعد اليوم فاستنسب
قبل الانطلاق وهبها متعة
الطلاق فاطرق حتى قلنا
مريب ثم أنشد والدمع
مجيب .

سروج مطلع شمسي
وربع لهوي وانسي
لكن حرمت نعيمي
بها ولذة نفسي .
واعتضت عنها اغترابا
أمر يومي وأمسي
مالي مقر بارض
ولا قرار لعنسي
يوما بنجد ويوما
بالشأم أضحي وأمسي
أزجي الزمان بقوت
منغص مستخس
ولا أبيت وعندي
فلس ومن لي بفلس
ومن يعش مثل عيشي
باع الحياة ببخس

ثم انه اختبن خلاصة النض
وندر ضاربا في الارض
فناشدناه أن يعود واسنينا
له الوعود فلا وأبيك ما رجع
ولا الترغيب له نجع

(المقامة الثالثة والاربعون البكرية)

(حكى الحرث بن همام) قال هفا بي البين المطوح

(ابن المعتز يصف ساقيا)

فيظل يناجيني بقلب طرفه * باطيب من نجوى الاماني وألطفا

(غيره)

عللني بموعد * وامطني ماحييت به
ودعني أفوز منك * بنجوى تطلبه
فعسى يعثر الزما * ن بحظي فينتبه

(قوله تنظرون) أي تؤخرون (يأن) يحن ويقرب (الخبء) أي المخبوء المستور يريد ما خبأ لهم في الشعر من اللغز (استسلام) انقياد (الغبي) أي الجاهل بالشئ (أعوصت) أتيت بعويص وهو الصعب (الشرك) آلة يصاد بها (قنصت) صدت (الغنم) الغنيمة والجائزة (الصيت) الذكر الحسن ينشر في الناس ويشيع (فرض) قسط وأوجب وألزم (والفرض) العطية (واستخلصه) جعله خالصا (نضا) حاضرا (فتح الاقفال) أي حل الفاظ الالغاز والباسها وكأنها لتعميتها كان عليها أقفالا حلها بتفسيره و(الاغفال) جمع غفل وهو الشئ المهمل ليس له علامة يعرف بها (وسمها) جعل لها علامة (حاول الاجفال) أراد الفرار وأجفل القوم انهزموا و(مدره القوم) لسانهم وفصيحهم المتكلم عنهم وأصل المدره المدفاع وقد درهته اذا دفعته (لبسة) شبهة وقد التبس الامر اذا أشكل و(متعة الطلاق) أن يهب الرجل لامرأته شيأ من ماله اذا طلقها يسليها بذلك عن فراقه لها وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال أكثر المتعة خادم وأقلها ثلاثون درهما وقيل أكثرها خادم وأوسطها ثوب وأقلها ماله ثمن (وهبها) احسبها يقول احسب انتسابك لنا متعة وتسلية لفراقك عنا (أطرق) أمال رأسه وسكت (مريب) صاحب ريبة (والدمع مجيب) يريد ان انشاده دعا دمعه فأجابه وقد قال أبو الطيب

* أجاب دمعي وما الداعي سوى طلل * يريد انه لما وقف على الطلل وهو أثر دار احبابه هيجه لهم فبكى فالطلل لما دعاه للتذكر أجابه دمعه (قوله مطلع شمسي) يريد ان سروج هي بلده التي نشأ فيها (ربع) منزل (اعتضت) استبدلت (أمر) جعله مرا (مقر) اقامة (قرار) سكون واقامة (عنسي) ناقتي الوثيقة (نجد) ما ارتفع من الارض وأنجد أتى نجدا و(الشأم) أخذ من اليد الشؤمى (أزجي) أسوق (منغص) مكدر ويقال نغص علينا فلان أي قطع علينا ما كنا نحب الاستكثار منه وكل من قطع شيأ يحب الازدياد منه فهو منغص (مستخس) مستهجن (بخس) نقصان (اختبن) جعله في خبنته وهو طرف ثوبه والخبنة كالحجزة للازار و(الخلاصة) ما خلص له منه وصفا (وندر) سبق *وذهب يضرب في الارض اذا سار فيها وأصل ندر خرج وطار ومثل النواة اذا طارت من تحت المرضخ وشبهها (فناشدناه) حلفناه (يعود) يرجع (أسنينا) عظمنا وجعلناها سنية أي رفيعة و(الوعود) جمع وعد وهو ما وعدوه به من المال (الترغيب) التطميع وقد رغبته في الشئ اذا زينته له وطمعته فيه و(نجع) نفع وقد نجع عليه الطعام اذا أصلح عليه جسمه

(شرح المقامة الثالثة والاربعين وهي البكرية)

(هفا) أي طار وخف (المطوح) المبعد المشفي على الهلاك وقد طوحت الشئ اذا رميت به

وألقيته القاء منكرا (المبرح) الشاق المتعب وقد برح الامر اذا عظم واشتد (يضل) يتحير ويتلف (الخريت) الدليل وقيل هو من خرت الابرة كانه من حسن دلالته يهتدى على مثال خرت الابرة وهو ثقبها (تفرق) تفزع (المصاليت) الشجعان الماضون فى الحروب واحدهم مصلات قال الفراء المتصلت المسرع من كل شئ وجمعه مصالت ومصاليت (أحيد) أخاف وأميل عنه (المزؤد) المفزع وزئد الرجل فزع (نسأت) ضربت بالمنسأة وهى العصا (نضوى) بعيرى (المجهود) المتعب (قدحين) سهمين وكان الرجل فى الجاهلية يمسك ثلاثة اقداح على أحدها مكتوب أمرنى ربى وعلى الثانى نهانى ربى والثالث غفل لاشئ عليه وهو المنيح فاذا أراد سفرا أو أمرا ضرب بها فان خرج له أمرنى ربى مضى آمنا وان خرج له نهانى ربى ترك ذلك الامر وان خرج له غفل أعاد الضرب وقيل كان يمسك قدحين مكتوب على أحدهما افعل وعلى الثانى لا تفعل فان خرج افعل مضى وان خرج لا تفعل ترك وقيل كان لا يمضى حتى يخرج له افعل ثلاث مرات ولا يترك المضى حتى يخرج له لا تفعل ثلاث مرات فان خرج له مرة افعل ومرة لا تفعل ولم يخلص له أحدهما فان مضى فى ذلك الامر مضى وهو يرجو ويخاف وهذا هو الذى أراد الحريرى لانه كان بين الرجاء والخوف ولما قتل حجر أبو امرئ القيس أخذ امرؤ القيس أزلامه وهى القداح وأتى ذا الخلصة وهو صنم لدوس وخثعم وبجيلة فاستقسم عندها بالازلام فخرج له القدح الذى يكره فأخذ الازلام وكسرها وضرب بها وجه صنمها وقال

لو كنت ياذا الخلصة الموتورا * مثلى وكان شيخك المقبورا * لم تنه عن قتل العداة زورا

وحكى الفنجديهى قال الضارب بقدحين يعنى به قول الناس اما الغنم واما الغرم واما الملك واما الهلك قال الشاعر

ضربت بها البيت ضرب القدا * ح اما الهذا واما الذا

والقدح السهم قبل أن يراش ويركب نصله وحكى ابن ظفر أن الازلام سبعة قداح مكتوب على أحدها نعم وعلى الآخر لا وعلى قدح منكم وعلى قدح من غيركم وعلى قدح ملصق وعلى قدح العقل وعلى قدح فضل العقل وكانت بيد سادن الاصنام فيأتيه ذو الحاجة بدراهم فيسال الصنم أن يوضح له ما سأل عنه ثم يضرب بالقداح فان أتى سائل عن تزويج أو سفر أو شبه ذلك مما يستشار فى مثله ضرب له بالقدحين اللذين عليهما نعم ولا فان خرج نعم مضى على فعله وان خرج لا ترك ذلك فان انتسب رجل الى قبيلة ضرب له بالاقداح الثلاثة التى فيها منكم من غيركم ملصق فان خرج منكم أضافوا نسبه الى أنفسهم وان خرج من غيركم كان حليفا وان خرج ملصق لم يكن له حلف ولا نسب فان أتى سائل عن قتيل أو جناية ضرب بالقدحين اللذين عليهما العقل فان خرج على قوم العقل برئ منه الآخرون وان عقلوا ففضل شئ فان اختلفوا فيه ضرب بالقدح الذى عليه فضل العقل فان خرج عليه أداه ومعنى الاستقسام بها الرضا بالقسمة بينهم من الامر والنهى والبراءة والوجوب وسهام الميسر عشرة ثلاثة يتكثر بها الأنصباء لها وسبعة لها أنصباء فأولها الفذ وفيه فرضة واحدة وله نصيب واحد والثانى التوأم وفيه فرضتان وله نصيبان ثم الرقيب وفيه ثلاث فرض وله ثلاثة أنصباء ثم الحلس بأربع والنافس بخمس والمسبل بست والمعلى وهو أعلاها بسبع فرض وعلى عدد الفرض هى الانصباء وقال ابن ليال فجمعها فى بيت

والسير المبرح . الى أرض يضل بها الخريت وتفرق فيها المصاليت فوجدت ما يجد الحائر الوحيد ورأيت ما كنت منه أحيد الا أنى شجعت قلبى المزؤد ونسأت نضوى المجهود وسرت سير الضارب بقدحين

فذو توأم والرقيب ونافس * والحلس ثمت مسبل ثم المعل

واسم الثلاثة التى يتكثر بها الفسيح والمنيح والوغد فاذا أرادوا الضرب بها طلبوا أول رجل يلقونه فشدوا عينيه و يسمونه الحرضة وأقاموا له الرقيب وضرب فكلما خرج له قدح دفعه الى الرقيب والرقيب هو الامين على الضرب بالقداح قال الشاعر

لها خلف أذنابها أزمل * مكان الرقيب من الياسر

وكان أهل اليسار والجود من الجاهلية عند شدة الزمان ينحرون الجزور و يقسمونها و يضربون عليها بالقداح فمن قمر جعل نصيبه لاهل الميسر والقمار يكنى عنه بالميسر وأصل الميسر موضع تنحر به الجزور والياسر الجازر وتقسم الجزور عشرة أجزاء العضدان فى الكتفين جزآن وهما ابنا ملاط والعجز والزور جزآن والكاهل واللحاء عليهما الجنب بنصفين جزآن والوركان عليهما الذراعان جزآن والفخذان وعليهما العنق مقسوما جزآن وبقى جنب وهم يستثنونه وقد لا يستثنونه فيرد منه على جزء الكاهل ضلعان وعلى سائرها ضلع ضلع فان فضلت قطعة او عظم سمى الزيم قال الشاعر

وكنت كعظم الزيم لم يدر جازر * على أى أدنى مقسم اللحم يجعل

وقال الاصمعى فى الميسر انه شئ كانت الجاهلية تفعله فليس عندنا منه حقيقة (قوله المستسلم للحين) أى المنقاد للهلاك (الوخد) نوع من السير وهو أن ترجم الارض بقوائمها لسرعة سيرها و (الذميل) سير لين (تجب) تسقط للمغيب (ارتعت) فزعت (لاظلال) لقرب ودنو (اقتحام) دخول الشئ على غرر و (حام) هو ابن نوح وقد تقدم فى الحادية والعشرين وأراد بجيش حام ظلام الليل لان حاما أبو السودان (أكفت) أقبضه وأشمره (أرتبط) أربط بعيرى (أعتمد) أقصد (أختبط) أمشى على غير هداية وأراد أنه لا يدرى ما يفعل أينزل و يبيت أم يسير فى الليل على غرر و (العزم والحزم) اجتماع رأى الرجل على ما يريد أن يفعله فلا يتردد فيه (أمتخض) أحرك وأحلب وأراد أنه أخذ يحدث نفسه ويدبر رأيه هل يسرى أو يقعد (تراءى) أى ظهر (مستذر) مستعل والذروة أعلى الشئ أراد أنه ظهر له شبح جمل أى شخصه فى أعلى جبل (قعدة) بعير يقعد عليه عند الركوب (مريح) مستريح قد نزل يريح نفسه وبعيره (مشيح) مجد (والقعدة) المركوب و (العيرانة) الناقة الصلبة تشبه بالعير وهو حمار الوحش و (ازدمل) التف (بجاده) بكسائه (هب) انتبه (ازدهر) انفتح وأضاء (سراجاه) عيناه (فاجاه) أتاه على غفلة (المريب) الذى أتى ريبة (أخوك أم الذيب) مثل كانه خاطب نفسه فقال أأخوك هو الذى رأيت أتى لمؤانستك أم ذئب لاذايتك وتضمن الكلام ان الاستفهام وقع بالذى رآه فكانه قال له ياهذا أأخ انت أم صاحب فاركن اليك أم عدو فاحذرك فأجابه بأن قال له (بل خابط ليل) أى ماش فيه على جهالة (ضل المسلك) أخطأ الطريق (أضئ لى) اكشف لى عن حالك (أقدح لك) أكشف لك عن حالى وهذا أيضا مثل وفى هذا التباس لانه اذا أضاء له أى اعطاه ضوءه أو أظهره له فأى حاجة له فى القدح وهو الضرب بالزند ليخرج ناره وانما معناه أن رجلا كان طلب لا خضوا مثل فتيل بوقده فتخيل من صاحبه أنه لا يعطيه فقال له أضئ لى أى أعطنى ضوأ فليس عليك فيه تكلف فانك ان أتيتنى فى مثلها فلم تجد لى ضوأ قدحت لك زندى وتكلفت لك ذلك ثم استعمل فيمن

المستسلم للحين ولم أزل بين وخد وذميل واجازة ميل بعد ميل الى ان كادت الشمس تجب والضياء يحتجب فارتعت لاظلال الظلام واقتحام جيش حام ولم أدر أأكفت الذيل وأرتبط أم أعتمد الليل واختبط وبينا انا أقلب العزم وأمتخض الحزم تراءى لى شبح جمل مستذر بجبل فترجيته قعدة مريح وقصدته قصد مشيح فاذا الظن كهانة والقعدة عيرانة والمريح قد ازدمل بجاده فاكتحل برقاده فجلست عند راسه حتى هب من نعاسه فلما ازدهر سراجاه وأحس بمن فاجاه نفر كما ينفر المريب وقال اخوك ام الذيب فقلت بل خابط ليل ضل المسلك فأضئ لى أقدح لك فقال

يطلعك على أمره فتطلعه من أمرك على ماهو أفسد مما أطلعك عليه فعناه أطلعني على ظاهر أمرك أطلعك على باطن أمري ويروى أكدح لك قال أبو زيد اذا طلب الرجل الى الرجل حاجة فلم يعرف وجهها قال أضئ لي أكدح لك أي بين لي فأكدح لك أي أسعى لك وكدح لمعيشته سعى واكتسب وأضئ أسرج * الفخديهي أضئ لي أكدح لك مثل يضرب في المساواة بالافعال والمعنى كن لي أكن لك واسع لي أسع لك والمراد به كن لي أكثر مما أكون لك لان الاضاءة أكثر نفعا من القدح ويقال معناه تول الامر الهين أتول الامر الصعب (ليسر) ليزل وليذهب سرى عرق الشجرة يسري دب تحت الارض وسرى يسري سار (رب أخ لك لم تلده أمك) معناه قد وجدت مني صديقا يقوم لك مقام شقيقك وأصل المثل ان لقمان بن عاد رأى امرأته قد خلا بها رجل وهي تلاعبه ويلاعبها ومعها صبي صغير يبكي وهما قد أقبلا على شأنهما لا يكترثان به فسألها عن الرجل فقالت هو أخي فقال رب أخ لك لم تلده أمك يكذبها في قصدها أي هو أخوك بالمحبة والصداقة لا بالولادة وقال في الدرة حكى ابن نصر الكاتب ان أبا العباس ابن ياسر دخل عليه رجل نصراني ومعه فتى من أهل ملته حسن الوجه فقال له من هذا الفتى فقال له بعض اخواني فانشد أبو العباس

دعتني أخاها أم عمرو ولم أكن * أخاها ولم أرضع لها بلبان

دعتني أخاها بعد ما كان بيننا * من الامر ما لا يصنع الاخوان

وقالوا في هذا المعنى رب بعيد أقرب من قريب وقالوا القريب من قرب نفعه وقال أبو تمام

ولقد سبرت الناس ثم خبرتهم * وبلوت ما وصفوا من الاسباب

فاذا القرابة لا تقرب قاطعا * واذ المودة أقرب الانساب

(وقال ابن ميادة)

* واني لزوار لمن لا يزورني * اذا لم يكن في وده بمريب

تقرب لي دار الحبيب وان نأت * وما دار من أبغضته بقريب

فلا تطلبن القرب والبعد بعدها * الى غير نيات وغير قلوب

وقال آخر

أخو ثقة يسر ببعض شأني * وان لم تدنه مني قرابه

أحب الي من ألفي قريب * بنات قلوبهم لي مسترابه

(وقال ابن هرمة)*

هش اذا وقف الوفود ببابه * سهل الحجاب مؤدب الخدام

فاذا رأيت صديقه وشقيقه * لم تدر أيهما أخو الارحام

(انسرى) زال وذهب وسروت الثوب عني اذا جردته (اشفاق) خوفي (سرى الوسن) اقبل النوم (آماق) آخر عيني والموق طرف العين من جهة الانف (قوله عند الصباح يحمد القوم السرى) مثل ومعناه اذا سرى القوم بالليل قطعوا أرضا كثيرة والارض تطوى بالليل لمن يمشيها فاذا أصبح حمدوا اسيرهم وهذا المثل بيت من رجز وقع في شعر الشماخ وذلك انه سافر في قوم من بني ثعلبة فمشوا حتى اذا كانوا قريبا من تيماء قال الشماخ لابن أخيه انزل فاحد بنا فنزل فحدا بهم

ليسر عنك همك فرب أخ لك لم تلده أمك فانسرى عند ذلك اشفاقي وسرى الوسن الى آماقي فقال عند الصباح يحمد القوم السرى فهل ترى كما أرى

ثم

ثم نزل القوم للعداء واحدا بعد واحد فوقعت أراجيزهم فى ديوان الشماخ فنسبت اليه وأوّل الرجز

طاف خيال من سلمى فاعترى * بنجد أو تيماء أو وادى القرى

فمنع النوم ومنى بالمنى

وفى آخره

عند الصباح يحمد القوم السرى * وتنجلى عنهم غيابات الكرى

قال المفضل الضبى أوّل من قال ذلك خالد بن الوليد لما بعث اليه أبو بكر رضى الله عنه وهو باليمامة أن ينزل الى العراق فأراد سلوك المفازة فقال له رافع الطائى قد سلكتها فى الجاهلية وهى خمس للابل الواردة وما أظنك تقدر عليها الا أن تحمل من الماء فاشترى مائة شارف فعطشها ثم سقاها الماء حتى اذا مضى يومان وخاف العطش على الناس والخيل وخشى ان يذهب ما فى بطون الابل نحرها واستخرج ما فى بطونها فسقى الناس والخيل ومضى فلما كان فى الليلة الرابعة قال رافع انظروا هل ترون سدرا عظيما فان رأيتموها والا فهو الهلاك فنظر الناس فرأوها فأخبروه فكبر وكبر الناس ثم هجموا على الماء فقال خالد

لله در رافع أنى اهتدى * فوّز من قراقر الى سوى

خمسا اذا سار بها الخيس بكى * ما سارها من قبله انس سرى

عند الصباح يحمد القوم السرى

و يقال فوّز اذا ركب المفازة وقراقر اسم قرية من اليمن والخيس الجبان الضعيف وقيل الثقيل قال أبو عبيدة والخمس ان تشرب الابل يوم وردها وتصدر يومها فتظل بعد ذلك اليوم من الماء ثلاثة أيام سوى يوم الصدر وترد اليوم الرابع فذلك الخمس (قوله حذائك) اى نعلك (صدع) كشف واظهر (وبخبخ) قال بخ بخ وهى كلمة تقال عند الاعجاب (مجدّين) مجتهدين (مدلجين) ماشين بالليل (نعانى) نقاسى (الكرى) النوم (رايته) اراد ضوأه (أسفر) اضاء (الفاضح) من اسماء الصبح سمى بذلك لانه يفضح الاشياء أى لا يظهرها (واضح) بين يريد أن الصبح كشف ما ستره الليل فاستبان كل شئ (توسمت) نظرت الفنجديهى واضح نجم والنجم الذى يرى بعد الصبح مضيأ فى كثير من الاوقات وهو الزهرة * ابن سيده الواضح الكواكب الخمس اذا اجتمعت مع الكواكب المضيئة من كواكب المنازل والخنس الراجعة والمتأخرة والمنقبضة (رحلتى) ارتحالى (والسمير) محادثك بالليل (مطلب الناشد) اى حاجة الطالب التى تلفت له فجعل يطلبها (معلم الراشد) دليل الهادى والمعلم الجبل يعلم به الطريق (فتهادينا تحية المحبين) اى أهديته سلام محب وأهدى لى مثل ذلك (تباثثنا) تكاشفنا اى كشفت له سرى وكشف لى سره (تناثثنا) تفاشينا أى أفشيت له خبرى وأفشى لى خبره والبث أصله التفريق والنث بالنون أصله نشر الحديث وافشاؤه الفنجديهى تناثثنا تذاكرنا والنث الذكر ونثوت الحديث أنثوه اذا أذعته وأفشيته ابن الاعرابى النثا فى الحسن والقبيح من الكلام وقيل النث نشر الحديث الذى كتمه أولى من نشره وفى معنى هذا اللقاء قال المعرى

ولو لم ألق غيرك فى اغترابى * لكان لقاؤك الحظ الجزيلا

فقلت انى لك لأطوع من حذائك وأوفق من غذائك فصدع بعجبتى وبخبخ بصحبتى ثم احتملنا مجدّين وارتحلنا مدلجين ولم نزل نعانى السرى ونعاصى الكرى الى أن بلغ الليل غايته ورفع الفجر رايته فلما أسفر الفاضح ولم يبق الا واضح توسمت رفيق رحلتى وسمير ليلتى فاذا هو أبو زيد مطلب الناشد ومعلم الراشد فتهادينا تحية المحبين اذا التقيا بعد البين ثم تباثثنا الاسرار وتناثثنا الاخبار

وبعيري ينحط من الكلال وراحلته ٣٠٠ تزف زفيف الرال فاعجبني اشتداد أسرها وامتداد صبرها فاخذت أستشف جوهرها

وأسأله من أين تخبرها فقال ان لهذه الناقة خبرا احلو المذاقة مليح السياقة فان احببت استماعه فأنخ وان لم تشا فلا تصخ فأنخت لقوله نضوي واهدفت السمع لما يروي فقال اعلم انى استعرضتها بحضرموت وكابدت في تحصيلها الموت ومازلت أجوب عليها البلدان وأطس باخفافها الظران الى ان وجدتها عبر أسفار وعدة فرار لا يلحقها العناء ولا تواهقها وجناء ولا تدري ما الهناء فارصدتها للخير والشر وأحللتها محل البر السر فاتفق ان ندت مذ مدة ومالي سواها قعدة فاستشعرت الاسف واستشرفت التلف ونسيت كل رزء سلف ومكثت ثلاثا لا أستطيع انبعاثا ولا أطعم النوم الا احتثاثا ثم أخذت في استقراء المسالك وتفقد المسارح والمبارك وأنا لا أستنشي منها ريحا ولا استغشي بأسا مريحا وكلما ادكرت مضاءها في السير وانبراءها لمباراة الطير لاعني الادكار واستهوتني الافكار فبينما أنا في حواء بعض الاحياء اذ سمعت من شخص متبعد وصوت متجرد من ضلت له مطية حضرمية وطية

ستحمل ناجيات العيس مني * صديقا عن وداد لن يحولا
يؤمل فيك اسعاف الليالي * وينتظر العواقب أن يديلا

(ينحط) يزفر ويتنفس من شدة التعب والنحط خروج النفس بصوت وهو صوت يعتري المهموم والمتعوب من صدره بتوجع وقد نحط ينحط نحطا ونحيطا والنحيط يعتري الدابة اذا كان اوزيد في حملها فتسمع لها زفيرا بصوت فذلك هو النحيط وقد نحط القصار اذا ضرب بالثوب على الحجر وتنفس ليكون أروح له (تزف) تسرع والزفيف مشي في سكون متتابع (والرأل) فرخ النعامة والجمع الرئال (أسرها) قوتها وشدة خلقها (امتداد) طول (استشف) انظر (جوهرها) خلقها وجوهر كل شيء ما وضعت عليه جبلته (أنخ) حط بعيرك وانزل (تصخ) تستمع (نضوي) بعيري المهزول (أهدفت) جعلته غرضا يقع فيه كلامه (والسمع) الاذن والهدف الغرض ترمى عليه (استعرضتها) طلبت أن تعرض على للبيع (حضرموت) كورة من كور اليمن فيها مدائن وتعمل بها النعال الحضرمية وهي غاية في الجودة (كابدت) قاسيت (أجوب) أقطع (أطس) أكسر والوطس الوطء الشديد المؤثر (الظران) واحدها ظرر بظاء منقوطة وراءين وهي الحجارة العريضة وقيل المحددة (عبر اسفار) أي قوية على السفر كأنها تعبر بها المراحل اى تقطع وأصله عبرت في النهر اذا جزته من جهة الى جهة أخرى (فرار) أى قد استعدت للفرار والهرب (العناء) التعب (تراهقها) تدانيها وتقاربها وقد أرهقت الرجل اذا دانيته وذلك أن يذهب امامك فتتبعه فاذا قربت منه قلت رهقته فاذا أدركته قلت أرهقته ورواية ابن جهور تواهقها بالواو ومعناها تواظب على المشي معها والمواهقة المعارضة في السير (وجناء) ناقة قوية غليظة والوجين ما صلب من الارض وقيل الوجناء العظيمة الوجنات (والهناء) القطران أى ليس بها داء فتحتاج اليه فهي لا تعرفه (أرصدتها) أعددتها (البر) الذى يبرك ويكرمك و(السر) ما يسرك (ندت) فرت وشردت (استشعرت) لبست (الاسف) الحزن (استشرفت التلف) عاينت الهلاك ونظرته واستشرفت فلانا اذا رفعت رأسك لتنظر اليه ويدك على حاجبك (والرزء) فقد الشيء (سلف) مضى (مكثت) أقمت (انبعاثا) نهوضا وخروجا الى السفر (حثاثا) قليلا والحثاث أن يصيبك النوم ثم يزول عنك في الحال ويوصف به فيقال يوم حثاث أي قليل والطعم الذوق (استقراء) تتبع و(المسالك) الطرق (المسارح) المراعي وحيث تسرح الابل (والمبارك) مراقد الابل حول الماء* استنشاء الريح شمها مهموز وغير مهموز (استغشى) ثوبه تغطى به (اليأس) قطع الرجاء (مريحا) يدخل على صاحبه الراحة (ادكرت) تذكرت (مضاءها) نفاذها واسراعها (انبراءها) نهوضها وقد انبرى لك فلان اذا عرض لك (مباراة) معارضة (لاعني) أحرقني واللوعة حرقة القلب من شدة الوجد (استهوتني) هوت بي في كل طريق (الافكار) تذكر الهموم (قوله حواء) بيوت مجمعة مائتان أو نحوها (الاحياء) القبائل (متجرد) ماض ظاهر وقيل ضعيف لبعده (ضلت) تلفت وضاعت (مطية) يعني بها النعل في المعنى وناقة في اللفظ وقد تقدمت أشعار اللغز بهما (وطية) لا تحرك الراكب وهي الذلول وفراش وطيء وثير لا يؤذي جنب النائم عليه* وعلى من ضلت له مطية (٣) في حديث عتبة ابن غزوان عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا ضل أحدكم شيئا وأراد غوثا وهو بأرض ليس بها أحد

(٣) قوله وعلى من ضلت له مطية في حديث الخ كذا بالاصل الذى بايدينا ولعل فيه سقطا والاصل وعلى من ضلت له مطية ان يقول ما في حديث الخ أو نحو ذلك اه مصححه

فليقل

جلدها قد وسم وعرّها قد حسم وزمامها قد ضفر وظهرها كان قد كسر ثم جبر تزين الماشية وتعين الناشية وتقطع المسافة النائية وتظل أبدا لك مدانية لايعتورها الونى ولايعترضها الوجى ولاتحوج الى العصا ولا تعصى فمن عصى قال أبو زيد فجذبنى الصوت الى الصائت وبشرنى بدرك الفائت فلما أفضيت اليه وسلمت عليه قلت له سلم المطية وتسلم العطية فقال وما مطيتك غفرت خطيئتك قلت له ناقة جثتها كالهضبة وذروتها كالقبة وحلبها ملء العلبة وكنت أعطيت بها عشرين اذ حللت بيرين فاستزدت الذى أعطى ودريت انه أخطا قال فأعرض عنى حين سمع صفتى وقال لست بصاحب لقطتى فأخذت بتلابيبه وأصررت على تكذيبه وهممت بتمزيق جلابيبه وهو يقول ياهذا ما مطيتى بطلبك فاكفف عنى من غربك وعدّ عن سبك والا فقاضنى الى حكم هذا الحى البرىء من الغى فان أوجبها لك فتسلم وان زواها عنك فلا تتكلم فلم أر دواء قصتى ولا مساغ غصتى الا ان آتى الحكم ولو لكم فانخرطنا الى شيخ ركين النصبة أنيق العصبة يؤنس منه سكون الطائر وأن ليس بالجائر فاندرأت أتظلم وأتألم وصاحبى مرم لايترمرم حتى اذا نثلت كنانتى

فليقل ياعباد الله المسلمين أعينونى ياعباد الله المسلمين أعينونى فان لله عبادا لاتراهـم وقد جرب ذلك (وسم) خرز أى جعل الخرز فيها كالعلامة (عرّها) جربها (حسم) استأصل بالقطع يريد أن آثار الجرب التى كانت فى الجلد الذى صنعت منه هذه النعل قد قطعت وأزيلت (وزمامها) شركها (كسر ثم جبر) يريد ان ظهرها يبس فتكسر فوصل بجلد اخر فصح و (الماشية) الرجل التى تمشى فيها وكذلك (الناشية) ويقال نشأ الرجل اذا نهض لحاجته وتنشأ أيضا وسهل الناشئة لاجل الماشية وأصلها الهمز الفنجديهى تعين الناشية أى تعين على السير فى ناشئة الليل قال ابن عرفة كل ساعة قامها قائم من الليل ناشئة الازهرى ناشئة الليل قيام الليل مصدر جاء على فاعلة بمعنى النشء كالعافية والخاتمة بمعنى العفو والختم وقيل الناشئة والنشيئة أن تنام من أوّل الليل ثم تقوم وقيل الناشـئة أوّل النهار وأوّل الليل وأكثر المفسرين على ان ناشئة الليل أوّله عاصم يهمزه والباقون لايهمزون (جذبنى) ساقنى بعنف (الصائت) صاحب الصوت الذى سمع وقد أصات اذا رفع صوته (درك الفائت) لحوق التالف (أفضيت) وصلت (تسلم) خذ (جثتها) جسدها والجثة شخص القائم والقاعد والراكب (والهضبة) الصخرة العظيمة وقيل الجبل المنبسط الاملس (ذروتها) أعلى ظهرها والعلبة اناء من جلود (يبرين) أرض فيها رمل (أضرب) نحى وجهه (واللقطة) ماتجده قد سقط من غيرك فتلتقطه وعامة أهل اللغة على فتح قافها مثل أبى عبيدة ويعقوب والمفضل وثعلب وابن قتيبة وغيرهم وحكى ابن خالويه ان تسكينها لغة تميم وفتحها لغة أهل الحجاز فهما لغتان قال النبى صلى الله عليه وسلم من التقط لقطـة فليشهد ذا عدل ثم لايكتم ولايغيب فان جاء صاحبها فهو أحق بها والا فهو مال الله يؤتيه من يشاء (تلابيبه) أطواق ثوبه والتلبيب الجيب وأخذت بتلبيب فلان اذا جمعت ثوبه الذى حوالى صدره وقبضت على نحره والجلباب الملحفة والرداء (أصررت) أقمت (تمزيق جلابيبه) تخريق ثيابه (بطلبك) بماتطلب والطلب اسم ماتطلب ابن دريد فلانة طلب فلان اذا كان يطلبها ويهواها (عدّ) كف واصرف (سبك) شتمك (قاضنى) حاكمنى (الحى) القبيلة (الغى) الضلال والفساد (زواها) نحاها (قوله مساغ غصتى) أى بلع ما أختنق به وساغ الطعام والشراب فى الحلق سهل نزوله فيه (لكمه) يالكمه ضربه بجمع كفه (انخرطنا) سرنا مسرعين (ركين النصبة) وقور الهيئة وفلان ركين بين الركانة أى ثقيل المجلس ثابت قوى الازهرى يقال للرجل اذا كان وقورا ساكنا انه لركين وقد ركن ركانة الجوهرى يقال جبـل ركين أى له أركان عالية فيحتمل على هذا المعنى أن يكون ركين النصبة عالى الانتصاب حسن القامة والنصبة الفعلة من الانتصاب وأراد بها هيئة انتصابه فى جلوسه وحالته (أنيق) معجب (العصبة) هيئة العمامة على رأسه تقول عصبت رأسى بالعمامة اذا شددته بها والعصـبة هيئة التعمم يقول ان هذا الشيخ الحاكم رزين فى جلوسه حسن التعمم والهيئة (يؤنس) يبصر (سكون الطائر) كناية عن الوقار والحلم وانما ذكر الطائر لانه لاينزل الا على ساكن واذا نزل عليه سكن هو فاذا كان عند الرجل هوج وطيش قيل طارت عصافيره فاذا كان القوم أهل وقار قيل كأن على رؤسهم الطير (اندرأت) اندفعت (أتظلم) أتشكى الظلم (أتألم) أتوجع (مرم) ساكت (لايترمرم) لايجيب ولايتحرك وتكلم فما ترمرم أى ما أجاب وأصل ترمرم تحرك (نثلت كنانتى) أخرجت مافيها من السهام وأراد أتممت كلامى

(وقضيت) أتممت و(القصص) ذكر الخبر (لباتى) حاجتى (أبرز) اظهر (رزينة) ثقيلة (محذوّة) جعل عليها الحذاء وهو الجلد الذى تنعل به (بمسالك) طرق و(الحزن) ماغلظ من الارض (عرّفت) صحت بها ليعرفها صاحبها (ماافتراه) ماجاء به من الادعاء والكذب (قذاله) عنقه والقذال مابين نقرة القفا الى الاذن وجمعه قذل يقول فان كانت هذه النعل تساوى عشرين وهاهو يبصر أن هذا باطل فقد صارت دعواه باطلة اللهمّ الا أن يدّ عنقه ويأتى ببيان انها تساوى عشرين الى هذا التفسير رأيت أكثر من لقيت يذهب وهو ضعيف ولا يكون لمدّ قذاله معنى ولا لما بعده والتفسير الحسن الذى فيه جلاء للمعنى ما كان يفسره به شيخى أبو بكر بن أزهر عن ابن جهور وذلك انه كان يفسر أعطى بمعنى صفع وضرب وكذلك كتب عليه فى طرة كتابه ان أعطى بمعنى ضرب لغة أهل الشرق وقد حدثت أناعنهم ان الرجل اذا كلم الآخر بما لا يرضيه ثم انصرف عنه صاح الآخر فى أثره أعطه بمعنى اصفعه فهى لفظة متعارفة بينهم لهذا المعنى وبيان موقعها هنا انه لما ادعى السروجى انه أعطى بناقته عشرين فوصفها بما يصح معناه فى حقها من أنها تساوى عشرين ثم قال ان المعرف أبرز نعلا رزينة الوزن أى ثقيلة فى الميزان محذوة لمسالك الحزن أى قد جعل عليها حذاء أى رقع من الجلد طرفت بها ليسلك بها الحزن أى ليمشى بها فى أرض ذات حجارة فلا تؤثر فيها تلك الاطراف وبتلك الاطراف صارت ثقيلة فى الوزن فلما أبرز هذه النعل التى هذه صفتها رفعها بيده الى الحاكم قائلا له هذه النعل التى عرفت واياها وصفت فان كانت هذه النعل التى أعطى بها عشرين أى صفع بها عشرين فقلب الاعطاء للنعل بمعنى يوافقها اذ عدّ عشرين دينارا فى ثمنها بعيد ثم بينه بقوله وها هو من المبصرين والضرب الجافى فى العنق تدمع له العينان واذا أفرط فيه عمى له المصفوع فيقول المعرف هذه النعل لو صفع بها انسان صفعة واحدة لعمى وهذا يقول انه صفع بها عشرين وهو سالم البصر فقد كذب فى ادعائه أنه صفع بها عشرين وكبرت فريته اللهمّ الا أن يمدّ قفاه فيرينا فيها أثر الصفع وأثره احمراره وتجبره فتبين بذلك الاثر صدق قوله فهكذا تفسير هذا الموضع ومعناه وابن جهور الذى شافه الحريرى بمشكلات كتابه كان أضبط لها ممن يتحكم فيها بنظرة فيكون تخليص المعنى ان المعرف يقول هذه النعل يدّعى هذا انه أعطى بها عشرين وأنتم ترونه سالم البصر ومحال أن يصفع بها انسان لخشنها وثقلها عشرين صفعة الا ويعمى فقد صارت دعواه كاذبة الا أن يمدّ لنا عنقه فنرى فيها أثر الصفع والرزء فنصدقه فى دعواه وفى رواية غير ابن جهور بعد المبصرين فقال كذب دعواه وهو داخل فى قول المعرف الاوّل فلا يحتاج الى ادعائه ولو جاء هنا بثم مكان الفاء لكان أبين فكان بمعنى قوله قال ثم يمشى فى كلامه ثم ينسق عليه بقال الكلام ثان وانما وضع الفاء موضع ثم لان جواب الشرط الذى هو فان كان مضمن فى قوله وها هو من المبصرين فانه يتضمن قوله وها هو من المبصرين معنى فقد كذب وليس فيه لفظ الجواب فجاءت الفاء كأنها جواب لفظى ووقعت قال موطئة لقال الاولى ألا ترى أن فى رواية ابن جهور مكان فقال فقد والكلام بها متصل حسن قال أبو الرقعمق يصف العمى من الصفع

ولقد بتنا على زمن * ورؤس القوم تستلب
وكؤس الصفع دائرة * وبها اللذات والطرب

وقضيت من القصص لباتى
أبرز نعلا رزينة الوزن
محذوة لمسالك الحزن وقال
هذه التى عرّفت واياها
وصفت فان كانت هى التى
أعطى بها عشرين وهاهو
من المبصرين فقد كذب
فى دعواه وكبر ماافتراه
اللهمّ الا ان يمدّ قذاله ويبين
مصداق ماقاله فقال الحكم

وكأن الصفع بينهم * شعل النيران تلتهب
والعمى منهم وان شغلوا * عنه باللذات مقترب

وله

ان الذين تصافعوا * بالقرع فى زمن القشور
اسفوا علىّ لانهم * حضروا ولم أك فى الحضور
لو كنت ثم لقيل هل * من آخذ بيد الضرير
يا للرجال تصافعوا * والصفع مفتاح السرور
لا تغفلوه فانه * يستلّ احقاد الصدور

وقال يصف أثر الصفع فى قفاه

ففىّ ما شئت من حمق ومن هوس * قليله لكثير الحمق اكسير
كم رام ادراكه قوم فأعجزهم * وكيف يدرك ما فيه قناطير
لا عيب فىّ سوى انى اذا طربوا * وقد حضرت يرى فى الرأس تعجير
والاخدعان فما زالا يرى لهما * لكثرة المزح توريم وتخمير

فنى هذه الاشعار تتبين لك تلك الاغراض التى قدمنا ذكرها وتنتظم فى سلكها حكاية ابن المغازلى

(حكاية ابن المغازلى)

وكان رجلا يتكلم ببغداد على الطرق بأخبار ونوادر منوّعة وكان نهاية فى الحذق لا يستطيع من سمعه أن لا يضحك قال وقفت يوما على باب الخاصة أضحك الناس وأتنادر فحضر خلق بعض خدام المعتضد فأخذت فى نوادر الخدم فأعجب بذلك فانصرف ثم عاد فأخذ بيدى وقال دخلت فوقفت بين يدى سيدى فتذكرت حكايتك فضحكت فأنكر علىّ وقال مالك ويلك فقلت على الباب رجل يعرف بابن المغازلى يتكلم بحكايات ونوادر تضحك الثكول فأمر باحضارك ولى نصف جائزتك فطمعت فى الجائزة وقلت يا سيدى أنا ضعيف وعلىّ عيلة فلو أخذت سدسها أو ربعها فأبى وأدخلنى فسلمت فرد السلام وهو ينظر فى كتاب فنظر فى أكثره وأنا واقف ثم أطبقه ورفع رأسه الىّ وقال أنت ابن المغازلى قلت نعم يا مولاى قال بلغنى انك تحكى وتضحك بنوادر عجيبة فقلت يا أمير المؤمنين الحاجة تفتق الحيلة أجمع للناس حكايات أتقرّب بها الى قلوبهم فالتمس برهم فقال هات ما عندك فان أضحكتنى أجزتك بخمسمائة درهم وان أنا لم أضحك فمالى عليك فقلت للحين ما معى الا قفاى فاسأل ما أحببت قال أنصفت ان لم تضحكنى أصفعك بذلك الجراب عشر صفعات فقلت فى نفسى ملك لا يصفع الا بشئ لين خفيف والتفت فاذا بجراب من أدم معلق فى زاوية البيت فقلت ما أخطأ ظنى عسى فيه ريح ان أضحكته ربحت وأخذت الجائزة والا فعشر صفعات بجراب منفوخ شئ هين ثم أخذت فى النوادر والحكايات والنعاشة والعبارة فلم أدع حكاية اعرابى ولا نحوى ولا مخنث ولا قاض ولا نبطى ولا سندى ولا زنجى ولا خادم ولا تركى ولا شاطر ولا عيار ولا نادرة ولا حكاية الا وأحضرتها حتى نفد كل ما عندى وتصدع رأسى وفترت وبردت ولم يبق ورائى خادم ولا غلام الا وقد ماتوا من الضحك وهو مقطب لا يتبسم فقلت قد نفد ما عندى و والله ما رأيت مثلك قط فقال لى هيه ما عندك فقلت ما بقى لى سوى نادرة واحدة قال هاتها قلت وعدتنى أن تجعل جائزتى عشر صفعات وأسالك أن تضعفها لى وتضيف اليها عشر صفعات أخرى فأراد أن يضحك ثم تماسك وقال نفعل يا غلام خذ بيده ثم مددت قفاى

اللهم غفرا وجعل يقلب النعل بطنا وظهرا ثم قال أما هذه النعل فنعلى وأما مطيتك ففى رحلى فانهض لتسلم ناقتك
وافعل الخير بحسب طاقتك فقمت وقلت أقسم بالبيت العتيق ذى الحرم والطائفين العاكفين فى الحرم
انك نعم من اليه يحتكم
وخير قاض فى الاعاريب حكم
فاسلم ودم دوم النعام والنعم
فأجاب من غير روية ولا عقد
نية وقال
جزيت عن شكرك خيرا يا ابن عم
اذ لست أستوجب شكرا يلتزم
شر الانام من اذا استقضى ظلم
ثم من استرعى فلم يرع الحرم
فذان والكلب سواء فى القيم
ثم انه نفذ بين يدى من سلم
الناقة الى ولم يمتن على
فرحت نجيح الارب أجر
ذيل الطرب وأقول يا للعجب
(قال الحرث بن همام) فقلت
له تالله لقد أطرفت وهرفت
بما عرفت فناشدتك الله هل
ألفيت أسحر منك بلاغة
وأحسن للفظ صياغة
فقال اللهم نعم فاستمع وانعم
كنت عزمت حين أتهمت
على أن أتخذ ظعينة لتكون
لى معينة فحين تعين الخطب
الملب وكاد الامر يستتب
أفكرت فكر المحترز من
الوهم المتأمل كيف مسقط
السهم وبت ليلتى أناجى
القلب المعذب وأقلب العزم
المذبذب الى أن أجمعت على
أن أسحر وأشاور أول من
أبصر فلما قوضت الظلمة
أطنابها وولت الشهب
أذنابها غدوت غدو المتعرف
واستكرت استكار المتعيف
فانبرى لى يافع فى وجهه شافع

فصفعت بالجراب صفعة فكأنما سقطت على قفاى قطعة من جبل واذا هو مملوء حصا مدورا فصفعت عشرا فكادت أن تنفصل رقبتى وطنت أذناى وانقدح الشعاع من عينى فصحت ياسيدى نصيحة فرفع الصفع بعد أن عزم على العشرين فقال قل نصيحتك فقلت ياسيدى انه ليس فى الديانة أحسن من الامانة وأقبح من الخيانة وقد ضمنت للخادم الذى أدخلنى نصف الجائزة على قلها وكثرها وأمير المؤمنين بفضله وكرمه قد أضعفها وقد استوفيت نصفى وبقى نصفه فضحك حتى استلقى واستنزه ما كان سمع فتحامل له فما زال يضرب بيديه الارض ويفحص برجليه ويمسك بمراق بطنه حتى اذا سكن قال على به فأتى به وأمر بصفعه وكان طويلا فقال وايش جنايتى فقلت له هذه جائزتى وأنت شريكى فيها وقد استوفيت نصيبى منها وبقى نصيبك فلما أخذه الصفع وطرق قفاه الوقع أقبلت ألومه وأقول له قلت لك انى ضعيف معيل وشكوت اليك الحاجة والمسكنة وأقول لك خذ ربعها أو سدسها وأنت تقول لا آخذ الا نصفها ولو علمت أن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه جائزته الصفع وهبتها لك كلها فعاد الى الضحك من عتابى للخادم فلما استوفى نصيبه أخرج صرة فيها خمسمائة درهم وقال هذه كنت أعددتها لك فلم يدعك فضولك حتى أحضرت شريكا لك فقلت وأين الامانة فقسمها بيننا وانصرفت (قوله اللهم غفرا) أى اغفر غفرا والغفر الستر والتغطية (انهض) تقدم (لتسلم) لتقبض (العتيق) القديم (الحرم) جمع حرمة و(العاكفين) المقيمين فيه للعبادة والعكوف الاقامة و(الحرم) حرم مكة (اسلم) دعاء معناه سلمك الله و(النعام) طير معروف (الاعاريب) الاعراب وهم سكان البادية (والنعم) جمع نعمة والدوم والدوام واحد (روية) أى فكرة (عقد نية) أى تدبير (استرعى) جعل راعيا أى حكما على الناس (يرعى) يحفظ (فذان) أى فهذان (القيم) جمع قيمة (يمتن) يعتد هامنة وامتن فلان عليك اذا فعل معك معروفا فمتى أنكر عليك شيأ ذكرك معروفه وجبهك به وقالت الحكماء أحى المعروف باماتة ذكره وعظمه بالتصغير له (أطرفت) أتيت بطرفة يريد بأمر عجيب غريب (هرفت بما عرفت) أى تكلمت بشئ غريب والهرف الاطناب فى المدح ومن كلام العرب لا تهرف بما لا تعرف (ناشدتك) حلفتك (صياغة) صنعة وسبك (أتهمت) أتيت تهامة وهى ما انخفض من أرض العرب (ظعينة) زوجة (الخطب) النكاح و(تعين) تحقق (يستتب) يتم (الوهم) الغلط (المتأمل) الناظر (المذبذب) المضطرب الذى لا يعتمد على رأى (أزمعت) عزمت (أسحر) أخرج فى السحر (قوضت) هدمت و(الاطناب) حبال الخباء وتقويضها ازالتها. (الشهب) النجوم وجعل لها أذنابا مجازا وأراد أن الفجر اذا طلع وانتشر غابت النجوم فكأنها قد ولت أذنابها وقال التهامى فى ذلك

فظلت أعثر فى ثوب الدجى ولها * والجو روض وزهر الشهب كالزهر
وللمجرة فوق الارض معترك * كأنها حبب يعلو على نهر
وللثريا ركود فوق أرحلنا * كأنها قطعة من فروة النمر
كأن أنجمها والصبح يغمضها * قسرا عيون غفت من شدة السهر

(المتعرف) المكتسب لانه يعرف ما جهل (المتعيف) الزاجر من عاف الشئ اذا كرهه (يافع) فتى شاب وقد أيفع اذا شب (فى وجهه شافع) أى هو حسن الوجه يشفع له حسن وجهه اذا أذنب

أو أخطأ وفي وجهه شافع صـدر بيت للحكم بن قنبر وقال يحيى بن علي المنجم كنت يوما بين يدي المعتضد وهو مقطب فأقبل بدر مولاه فلما رآه من بعيد ضحك وقال يا يحيى من الذي يقول في وجهه شافع فقلت يقوله ابن قنبر المازني البصري فقال لله دره فانشد هذا الشعر فانشدته

ويلي على من أطار النوم فامتنعا * وزاد قلبي على أوجاعه وجعا
كأنما الشمس في اعطافه لمعت * حسنا أو البدر من أزراره طلعا
مستقبل بالذي يهوى وان كثرت * منه الذنوب ومعذور بما صنعا
في وجهه شافع يمحو اساءته * من القلوب وجيه حيثما شفعا

* أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم حسن الوجه مال وقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا الخير عند حسان الوجوه وقال الشاعر

أنت شرط النبي اذ قال يوما * اطلبوا الخير من حسان الوجوه

وقال صلى الله عليه وسلم من آتاه الله وجها حسنا واسما حسنا وجعله في موضع غير شائن فهو من صفوة الله من خلقه * ابن عمر رضي الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم ثلاثة تجلو البصر النظر الى الخضرة والنظر الى الماء الجاري والنظر الى الوجه الحسن نظمها الشاعر فقال

ثلاثة يذهبن للمرء الحزن * الماء والخضرة والوجه الحسن

(قوله تيمنت) تبركت (البهيج) الحسن (استقدحت) طلبت وأصلها في قدح النار (تبغيها) تطلبها (عوانا) ثيبا (تعانى) تعالج وتراضى (العرا) جمع عروة (الدرة) الجوهرة (المخزونة) التي جعلت في الخزانة لرفعتها يريد ان البكر تحجب وتصان (البيضة المكنونة) أراد بيضة النعام ويشبه بها النساء لبياضها والصفرة التي تضرب فيها وقد تقدمت هذه الصفة في العاشرة وقال امرؤ القيس

كبكر مقاناة البياض بصفرة * غذاها نمير الماء غير المحلل

وقال ذو الرمة * كأنها فضة قد مسها ذهب * والمكنونة المصونة والنعامة تكن بيضتها بريشها ولا تبديها للشمس والريح لئلا تتغير وقال الله تعالى كأنهن بيض مكنون (الباكورة) أول ما يباكر من الثمر (والسلافة) الخمر (المدخورة) المحجوبة في آنيتها (الانف) التي لم تدخل ولا رعيت (والطوق) ثوب رفيع (ثمن) كثر ثمنه (اللامس) الذي يلمس الشئ بيده ويدنسه وأراد به الذي يلاعبها ويعضها ابن عباس اللمس والملامسة والمماس كناية عن الجماع وفلانة لا ترد يد اللامس أي لا تمنع مجامعتها من أرادها (استغشاها) جامعها وغشيان النساء مجامعتهن و (اللابس) الذي لابسها واختلط بها يريد نكحها (مارسها) عالجها وعاناها (عابث) مفسد وأراد من يعبث بها عند الجماع (وكسها) نقصها ووضع منها والوكس الخسارة في البيع (طامس) ناكح والطامس المفتض للبكر (الغبي) الذي لا يعرف تصرفات الكلام و (الدمية) صورة الرخام (واللعبة) ما يلعب به وتقول لمن اللعبة أي لمن الغلب في لعب الشطرنج وشبه علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المرأة لعبة زوجها فان استطاع أحدكم أن يحسن لعبته فليفعل و (المداعبة) الممازحة و (المغازلة) تقول غازلتني المرأة اذا تماجنت عليك في كلامها وأشارت لك بعينها وغمزتك بحاجبها حتى اذا طمعت فيها صدت عنك (والملحة) الصورة المستملحة

فتيمنت بمنظره البهيج
واستقدحت رأيه في التزويج
فقال أو تبغيها عوانا ام بكرا
تعانى فقلت اختر لي ما ترى
فقد ألقيت اليك العرا
فقال الي التبيين وعليك
التعيين فاسمع انا أفديك
بعدد قن اعاديك أما البكر
فالدرة المخزونه والبيضة
المكنونه والباكورة الجنيه
والسلافة المدخورة الهنيه
والروضة الانف والطوق
الذي ثمن وشرف لم يدنسها
لامس ولا استغشاها
لابس ولا مارسها عابث
ولا وكسها طامث ولها
الوجه الحيي والطرف
الخفي واللسان العيي
والقلب النقي ثم هي الدمية
اللاعبه واللعبة المداعبه
والغزالة المغازلة والملحة
الكاملة

والوشاح الطاهر القشيب والضجيع الذى يشب ولايشيب واما الثيب فالمطية المذلله واللهنة المعجلة والبغية المسهله والطبة المعلله والقرينة المتحببه والحليلة المتقربه والصناع المدبره والفطنة المختبره ثم انها عجالة الراكب وأنشوطة الخاطب وقعدة العاجز ونهزة المبارز عريكتها لينه وعقلتها هينه ودخلتها متبينة وخدمتها مزينه وأقسم لقد صدقت فى النعتين وجلوت المهاتين فبايتهما هام قلبك وعلى أيتهما قام زبك (قال أبو زيد) فرأيته جندلة يتقيها المراجم وتدمى منها المحاجم الا انى قلت له كنت سمعت أن البكر أشد حبا وأقل خبا فقال لعمرى قد قيل هذا ولكن كم قول آذى ويحك أما هى المهرة الابية العنان والمطية البطية الاذعان والزندة المتعسرة الاقتداح والقلعة المستصعبة الافتتاح ثم ان مؤنتها كثيره ومعونتها يسيره وعشرتها صلفه ودالتها مكلفه ويدها خرقاء وفتنتها صماء وعريكتها خشناء وليلتها ليلاء وفى رياضتها عناء وعلى خمرتها غشاء وطالما أخزت المنازل وفركت المغازل وأحنقت الهازل وأضرعت الفنيق البازل ثم انها التى تقول أنا ألبس وأجلس فأطلب من يطلق ويحبس فقلت له فما ترى فى الثيب يا أبا الطيب فقال ويحك أترغب فى فضالة المآكل وثمالة المناهل واللباس المستبذل والوعاء المستعمل والذواقة المتطرفة والخراجة المتصرفة والوقاح حياء

كالدمى وكالصورة التى تلعب بها البنات والشطار وهى اللعبة وجاء بملحة أى بكلمة طيبة مليحة (والوشاح) الحزام و (القشيب) الجديد جعلها كالوشاح عند عناقها وجماعها (والضجيع) المراقد (يشب) يردك شابا (يشيب) يكسبك الشيب (اللهنة) ما يعجل للضيف قبل القرى (والطبة) الحاذقة بمصالحها (المعللة) التى تعطيك ما تريد منها مرة بعد مرة وهى بكسر اللام والمعللة التى تعلل مرتشفها بالريق قال امرؤ القيس * ولا تمنعينا من جناك المعلل * ابن الاعرابى المعلل المعين بالبر بعد البر ومن نصب اللام فمعناه المطيب مرة بعد مرة والتعليل سقى بعد سقى و (القرينة) الصاحبة (والحليلة) الزوجة (والصناع) الحاذقة بالصنعة و (عجالة الراكب) ما يعجل له من الطعام والشراب مثل التمر والسويق وما لا يتعب بمعالجته وكانت العرب لكرمها يمر عليها الرجل وهو راكب فتعرض عليه النزول للقرى فيمتنع لأعذار له فيمسك حتى يخرج له من البيوت أيسر ما يوجد يأكله وهو راكب فجعل الثيب لسهولتها كالعجالة التى لا يتكلف لها وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه البكر كالبرة تطحنها وتعجنها وتخبزها وتأكلها والثيب عجالة الراكب تمر وسويق و (الانشوطة) عقدة تحل بسهولة (نهزة) فرصة وغنيمة سهلة (عريكتها) طبيعتها ورجل لين العريكة اذا كان سهلا سلس القياد وأصل العريكة سنام البعير وكانوا يعمدون للبعير اذا كان فيه شماس وامتناع فيقطعون فى حدبته وهى مرتفعة يصعب الركوب عليها فاذا قطع فيها سكن البعير ولان وتوطأ موضع الركوب منه فيقال قد لانت عريكته وقال الشاعر

من اللواتى اذا أودت عريكتها * يبقى لها بعدها أل ومجهود

قوله أودت أى زالت وذهبت فهذا يدل على ما ذكرنا (عقلتها) حبستها يريد أن ما يعقلها به صاحبها شىء هين والعقلة مثل العقدة ولفلان عقلة يعقل بها الناس فيغلبهم ويصرعهم (دخلتها) باطن أمرها وفلان عفيف الدخلة وخبيثها أى الباطنة والسريرة (متبينة) مكتشفة ظاهرة أى سرها ظاهر (المهاتين) البكر والثيب والبقرة الوحشية هى المهاة (هام) تحير من شدة الحب (قوله المراجم) أى الذى ترجمه ويرجمك (خبا) مكرا وخديعة ورجل خب غاش فاجر (الابية العنان) الممتنعة القياد (الاذعان) الخضوع والذلة (الزندة) ما تزند منه النار (المتعسرة الاقتداح) التى يعسر اخراج النار منها (القلعة) الحصن والمكان المرتفع (عشرتها) صحبتها (صلفة) مجاوزة حد الطوق واصل الصلف الاعراض عن الشىء كأنه اذا استقبلك أبديت له صليفك وهو صفحة عنقك (ودالتها) انبساطها يريد انبساطها اذا أرادت أن تدل عليك تتكلف ذلك (خرقاء) لا تحسن العمل (صماء) شديدة كأنها لا تسمع النهى والعذل (وفتنتها) شرها (خشناء) خشنة صعبة (ليلاء) شديدة السواد طويلة (خمرتها) لبستها الخمار (غشاء) غطاء وستر (فضالة) بقية وكذلك (ثمالة المنهل) موضع الماء والنهل الشرب الاول (والذواقة المتطرفة) أى التى تذوق طرف الشىء وتتركه أو تذوق بطرف لسانها ثم تمصقه وتطرفت الناقة رعت باطراف المرعى فيريد انها لا تبقى على زوج واحد انما هى تذوق كل زوج وتجرب لذة مباشرتهم وقال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم انى قد طلقت زوجتى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات (الخراجة) الكثيرة الخروج (المتصرفة) الجوالة (الوقاح) الصلبة الوجه التى ليس عندها

حياء (المتسلطة) المستطيلة اللسان (والمحتكرة) التى تسرق رزق زوجها ثم تحتكره أى تدخره وترفعه فاذا احتاج زوجها اشترائه أخذت منه ثمن ما عندها محتكرا (كنت وصرت) تخاطب به زوجها أى كنت فى نعمة مع الزوج الاوّل وأنا معك على شقاء (بغى علىّ) أى اجتمع علىّ بالظلم والبغى الظلم (وشتان) بعد (اليوم وأمس) الزوج الحاضر معها والزوج المفقود وهو الذى أراد بالقمر والشمس ويقال شتان زيد وعمرو ترفعهما بشتان وتفتح نونها لالتقاء الساكنين تشبيها بالادوات ويقال شتان ما زيد وعمرو فتجعل ما صلة أو تنصبها على التميز على حد نعم رجلا زيد والتقدير شتان شبها زيد وعمرو وبرفعها بشتان بمعنى بعد شبها زيد وعمرو ويجوز كسر نون شتان على انها تثنية شت وهو التفرق وجمعه أشتان ويقال شتان ما بين زيد وعمرو فترفع ما بشتان على انها بمعنى الذى وبين صلتها ولا يجوز كسر نون شتان لانها اسم واحد ومعنى هيهات بعد (الحنانة) صاحبة الولد الذى من غير الزوج الذى هى معه فتى رأت ولدها حنت لوالده و (البروك) التى تتزوّج ولها ولد كبير ويسمى ولدها الحوبند (والطماحة الهلوك) هى التى فارقها زوجها فتطمح له أبدا وتتهالك فى محبته وقيل الطماحة التى تطمح الى كل شهوة والهلوك الفاجرة و (الغل) الشرك التى يغل بها الاسير أى يربطها فى عنقه ويديه و (القمل) الذى كثرت فيه القمل ويضرب بالغل القمل المثل للمرأة السيئة الخلق (لا يندمل) لا يبرأ * أبو موسى رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث يدعون الله فلا يستجيب لهم رجل كانت عنده امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ورجل أعطى ماله سفيها وقد قال الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم ورجل كان له على رجل دين فلم يشهد عليه المقدمى قال بعض الحكماء أربعة أشياء يمنعن النوم والقرار المرأة السوء والولد الجاهل والعشير المخالف والعبد اللئيم قال الاصمعى قال لى زائدة البندار قيل لى بالشأم هل لك أن ترى العجب فذهبت فاذا سبعة فى شق جدّ وستة من ولده وولد ولده واذا الجد السابع أشب من الابن السابع فسألت عنه فقيل كان للجد امرأة موافقة وللابن السابع امرأة سليطة وقال صلى الله عليه وسلم أربعة لا يشبعن من أربعة عين من نظر وأرض من مطر وأنثى من ذكر وعالم من علم قال الاصمعى تزوّج رجل من عذرة امرأة من بلىّ حمقاء فغاب عنها غيبة ثم قدم عليها فلما جمعهما المضجع أنشأت تقول

مامسنى بعدك من انسىّ * غير غلام واحد جعدىّ
ورجل أحمق من بلىّ * ورجلين من بنى عدىّ
وتسعة كانوا مع المطىّ * وسبعة كانوا على الطوىّ
وخمسة وافوا مع العشىّ * من بين جدّىّ الى مكىّ
ومن تهامى الى نجدىّ

فقام اليها بالسوط فضربها فاجتمع لذلك من حوله يلومونه فقال والله لولا ماقلت لضربتها العدّت علىّ أهل عرفات ومنى وقيل ليحيى المدينى ما الجرح الذى لا يندمل قال حاجة الكريم الى اللئيم (قوله أترهب) أى أترك التزويج والترهب ترك النساء (انتهرنى) زجرنى وأخذنى بلسانه (زلة) سقطة (استبان) ظهر (الافّ) وسخ الاذنين و (الوهن) الضعف والخسران (ولأولئك) اشارة للرهبان (السكن) الزوجة يسكن اليها (ترب) تصلح (تلبى) تجيب (تغض طرفك)

المتسلطة والمحتكرة
المتسخطة ثم كلتها كنت
وصرت وطالما بغى علىّ
فنصرت وشتان بين اليوم
وأمس وأين القمر من
الشمس وان كانت
الحنانة البروك والطماحة
الهلوك فهى الغل القمل
والجرح الذى لا يندمل
فقلت له فهل ترى أن
أترهب وأسلك هذا المذهب
فانتهرنى انتهار المؤدّب
عند زلة المتأدب ثم قال
ويلك أتقتدى بالرهبان
والحق قد استبان أفّ لك
ولوهن رائك وتبالك
ولاولئك أترالئ ما سمعت بأن
لا رهبانية فى الاسلام أوما
حدثت بما نكح نبيك عليه
أزكى السلام ثم أما تعلم
أن السكن الصالحة ترب
بيتك وتلبى صوتك
وتغض طرفك وتطيب
عرفك

أى تحصنك وتمنعك من نظر النساء (عرفك) ريحك الطيب (وقرة العين) ما يتمنى وتقر به العين (ريحانة) شجرة طيبة الريح وريحانة من صفة المرأة وقال على رضى الله عنه فى وصيته لابنه محمد بن الحنفية لاتملكن المرأة من الامر ما يتجاوز نفسها فان المرأة ريحانة وليست بقهرمانة وان ذلك أدوم لحالها وأرضى لبالها وما أحسن ما قال ابن اللبانة يرثى أخت المرتضى صاحب ميورقة وماتت بعد أخيها

ابنت العلا جددت منعى على منعى * مضى المرتضى أصلا واتبعته فرعا
جرى الموت جرى الريح فى منبتيكما * فاذوى الريحانا وكسره نبعا

(تعلة) أى تتعلل وتنتفع بما عندها من القيام بمؤنتك (ومتعة) ما يتمتع به ويتلذذ (المتأهلين) المتزوجين الذين لهم أهل (شرعة) طريقة (المحصنين) المتزوجين (نزا) وثب وارتفع (العنظب) ذكر الجراد * ونذكر ههنا فصلا يليق بهذا الموضع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعطاف بن وداعة الهلالى يا عطاف ألك امرأة قال لا قال فأنت اذا من اخوان الشياطين ان كنت من رهبان النصارى فالحق بهم وان كنت منا فسنتنا النكاح أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ركعتان من المتأهل خير من اثنتين وثمانين ركعة من العزب وقال صلى الله عليه وسلم تزوجوا الولود الودود من النساء فانى مكاثر بكم الأمم وقال صلى الله عليه وسلم النساء ثلاث صنف كالرحى تحمل وتضع وصنف كالعروهوا الجرب وصنف ودود ولود تعين زوجها على ايمانه فهى خير له من الكنز ابن عمر رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا أتى على أمتى مائة وثلاثون سنة فقد حلت لهم العزبة والترهب فى رؤس الجبال. وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة وقال خالد بن صفوان لرجل أتزوجت قال لا قال فتزوج ثم قال بعد ساعة لاتتزوج فقال لم قال انك ان تزوجت واحدة فتطهر ان طهرت وتحيض ان حاضت وتغضب ان غضبت فان تزوجت باثنتين تقع بين ضرتين فان تزوجت ثلاثا تقع بين أثاف وان تزوجت بأربع يغلسنك ويهرمنك قال أفتحرم ما أحل الله لك قال لا ولكن كوزان وخماران وعباءة وقرصان وقال رجل أردت النكاح فقلت لأستشيرن أول من يطلع على فاعمل برأيه فأول من طلع على هبنقة القيسى الاحمق وتحته قصبة فقلت له انى لاستشيرك فى النكاح فقال البكر لك والثيب عليك وذات الولد لاتقربها واحذر جوادى لاينفحك وقال رجل لولده يا بنى لاتتخذها حنانة ولا أنانة ولا منانة ولا عشبة الدار ولا كية القفا فالحنانة التى لها ولد من غيره فهى تحن اليه والانانة التى مات زوجها فهى اذا رأت الثانى أنت للاول وقالت يرحم الله فلانا والمنانة التى لها مال فهى تمن به على زوجها متى احتاج اليه وعشبة الدار خضراء الدمن وقد تقدمت وكية القفا التى اذا انصرف ابنها أو زوجها من بين القوم قال رجل قد كان بينى وبين أم هذا أو زوجته شئ وسئل أعرابى عن النساء وكان ذا تجربة لهن فقال أفضلهن أطولهن اذا قامت اكظمهن اذا قعدت واصدقهن اذا قالت التى اذا غضبت حلمت واذا ضحكت تبسمت واذا صنعت شيأ جودت التى تلزم بيتها ولا تعصى زوجها العزيزة فى قومها الذليلة فى نفسها الودود الولود وكل أمرها محمود نظر خالد بن صفوان الى جماعة فى مسجد البصرة فقال ما هذه الجماعة قالوا على امرأة تدل على النساء فأتاها فقال لها أبغى امرأة قالت فصفها

وبها ترى قرة عينك وريحانة أنفك وفرحة قلبك وخلد ذكرك وتعلة يومك وغدك فكيف رغبت عن سنة المرسلين ومتعة المتأهلين وشرعة المحصنين ومجلبة المال والبنين والله لقد ساءنى فيك ما سمعت من فيك ثم أعرض اعراض المغضب ونزا نزوان العنظب فقلت له قاتلك الله أتنطلق متجترا وتدعى متحيرا فقال أظنك تدعى الحيرة

قال

قال أريدها بكرا كثيب أوثيبا كبكر خلوة من قريب ضخمة من بعيد كانت فى نعمة وأصابتها حاجة ففيها أدب النعمة وذلة الحاجة اذا اجتمعنا كنّا أهل دنيا واذا افترقنا كنّا أهل آخرة قالت قد أصبتها لك قال فأين هى قالت فى الرفيق الاعلى من الجنة فاعمل لها وقال خالد لابى العباس السفاح وكانت عنده أمّ سلمة بنت يعقوب بن سلمة المخزومى وكان تزوّجها قبل الخلافة وحلف ان لا يتزوج عليها ولا يتسرى يا أمير المؤمنين انى تفكرت فى أمرك مع سعة ملكك وقد ملكتك امرأة واحدة ان مرضت مرضت لمرضها وان غابت غبت وحرمت نفسك التلذذ بالجوارى ومعرفة حالاتهن فان منهن الطويلة الغيداء والغضة البيضاء والعتيقة الادماء والرقيقة السمراء والبربرية العجزاء يفتن بمحادثتهن وناتك عن بنات الاحرار والنظر اليهنّ ولو رأيت الطويلة البيضاء والسمراء العيناء والبيضاء العجزاء والمولدة من البصريات والكوفيات ذوات الالسن العذبة والقدود المهفهفة والاوساط المخصرة والاصداغ المزرنقة والعيون المكحلة والثدى المحققة وحسن زينتهن وزينهن وشكلهن لرأيت شكلا حسنا* فقال له ويحك يا خالد ما سلك مسامعى والله كلام أحسن مما سمعت منك فانصرف وبقى أبو العباس متفكرا فدخلت عليه أم سلمة فرأته مغموما فقالت له انى لانكرك يا أمير المؤمنين هل أتاك خبر فارتعت له قال لا قالت فما قصتك فزوى وجهه عنها فلم تزل به حتى أخبرها قالت فما قلت لابن الفاعلة قال سبحان الله ينصحنى وتشتمينه فخرجت مغضبة وأرسلت اليه جماعة من العبيد وبأيديهم مقامع من حديد وأمرتهم أن لا يتركوا من خالد عضوا صحيحا قال خالد فانصرفت مسرورا لما رأيت من اعجابه بما ألقيت عليه ولم أشك ان صلتى ستأتينى فانى لقاعد على باب دارى واذا بالعبيد قد أقبلوا نحوى فلم أشك فى الجائزة فسألوا عنى فقلت أنا خالد فاهوى أحدهم الىّ بهراوة فوثبت الى منزلى وعلمت أنى أتيت من أم سلمة وطلبنى أبو العباس طلبا شديدا وأنا مستخف فهجم علىّ فى الثالث فقالوا أجب أمير المؤمنين فأيقنت بالموت فدخلت عليه وليس فى وجهى دم فسلمت وجلست واذا خلف ظهرى ستر خلفه حركة فقال لى يا خالد أين كنت منذ ثلاثة أيام قلت عليلا قال انك وصفت لى من أخبار النساء والجوارى ما لم يخرق مسامعى قط شئ أحسن منه فأعده علىّ قلت نعم أعلمتك يا أمير المؤمنين ان العرب اشتقت اسم الضرتين من الضر وان أحدهم لم يكن عنده أكثر من واحدة الا كان فى جهد قال ويحك لم يكن هذا فى الحديث قلت بلى والله وأعلمتك ان الثلاث من النساء كأثافى القدر يغلى عليهنّ قال أبو العباس برئت من قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت سمعت هذا منك فى حديثك قلت وأخبرتك ان الاربع شؤم مجتمع لصاحبهن يشيبنه ويهرمنه ويقصمنه قال والله ما سمعت هذا منك قط قلت بلى والله يا أمير المؤمنين قال ويحك وتكذبنى قلت وتريد أن تقتلنى قال مر فى حديثك قلت وأخبرتك أنّ ابكار النساء رجال ولكن لا خصى لهنّ قال وسمعت الضحك من وراء الستر قلت واخبرتك ان بنى مخزوم ريحانة قريش وعندك ريحانة من الرياحين وأنت تطمح الى غيرها من الاماء فقيل لى من وراء الستر صدقت والله يا عماه وبررت وبهذا حدّثته ولكنه غير وبدل فقال لى أبو العباس مالك قاتلك الله وأخزاك وفعل وفعل فتركته وخرجت فما شعرت الا برسل أم سلمة ومعهم عشرة آلاف درهم وتخت وبرذون وغلام فقبضتها وفى هذا الحديث المليح تعلق بما ذكر الحريرى من مدح النساء وذمهن

وخالد بن صفوان لفصاحته أقدر الناس على مدح الشئ وذمه وقد تقدم في الثالثة هذا الفن وقال أبو العباس السفاح لخالد وعنده اخواله الحارثيون كيف علمك باخوالي يا خالد قال يا أمير المؤمنين هم هامة الشرف وعرنين الكرم وغرس الجود وفيهم خصال ليست لغيرهم انهم لاصونهم أما وأحسنهم أمما وأكرمهم شيما وأطيبهم طعما وأوفاهم ذمما وأبعدهم همما الجمرة في الحرب والوفد عند الجدب وهم الرأس في كل خطب وغيرهم بمنزلة العجب فقال لقد وصفت يا ابن صفوان فأحسنت فزاد اخواله في الفخر فغضب أبو العباس لاعمامه فقال افخر يا خالد فقال أعلى اخوال أمير المؤمنين قال فأين أنت من اعمامه قال كيف أفاخر قوما هم بين ناسج برد وسائس قرد ودابغ جلد دل عليهم هدهد وغرقتهم فارة وملكتهم امرأة *ودخل خالد على أبي الجهم العدوي وهو يريد ركوب حمار فقال خالد أما علمت أن العير عار وان الحمار شنار منكر الصوت قبيح الفوت مترلخ في المحل مرتطم في الوحل ليس بركوبة فحل ولا مطية رحل راكبه مقرف ومسايره مشرف فاستوحش العدوي من ركوبه فركب فرسا وركب خالد الحمار فقال ويحك يا خالد أتنهى عن شئ وتأتي مثله قال أصلحك الله عير من بنات الكداد أصحم السربال مدمج الاوصال محملج القوائم يحمل الرحلة ويبلغ العقبة ويمنعني من ان أكون جبارا عنيدا أو ملكا شديدا فقد ضللت اذا وما أنا من المهتدين ذلك لك وهذا لي فتبسم العدوي * ثم نرجع الى جملة مقاطيع من أوصاف النساء تبين بها أوصافهن قال العديل بن الفرخ

لعب النسيم بهن في أظلاله * حتى لبسن زمان عيش غافل
يأخذن زينتهن أحسن ما ترى * واذا عطلن فهن غير عواطل
واذا أرين خدودهن أرينها * حدق المهى وأخذن سهم القاتل
ورمينني لا يستترن بجنة * الا الصبا وعرفن أين مقاتلي

(وقال العباس بن طرخان)

تقسمن قلبا كان مجتمع الشمل * وفرقنه بين المسالك والسبل
زرعن الهوى في القلب ثم سقينه * صبابات ماء الشوق بالأعين النجل
رمين فلما ان أصبن مقاتلي * تولين وانضمت جراحي على النبل

(وقال البحتري)

لما مشين بذي الاراك تشابهت * اعطاف قضبان به وقدود
في حلتي حبر وروض فالتقى * وشيان وشي ربا ووشي برود
وسفرن فامتلأت عيون راقها * وردان ورد جنى وورد خدود
ومتى يساعدنا الوصال ودهرنا * يومان يوم منى ويوم صدود

(وقال التهامي)

ماتت لفقد الظاعنين ديارهم * فكأنهم كانوا لها أرواحا
لا عيب فيهم غير شح نسائهم * ومن السماحة أن يكن شحاحا
طرقته في أترابها فجلت له * وسنا من الغر الصباح صباحا

قوله خدودهن كذا بالاصل ولعل المناسب عيونهن اه مصححه

أبرزن من تلك العيون أسنة * وهززن من تلك القدود رماحا

(وأنشد الاصمعى)

خزاعية الاطراف مرية الحشى * نزارية العينين طيبة الفم

لها حكم لقمان وصورة يوسف * ونغمة داود وعفة مريم

(وقال الاسعد بن نبيط)

غلامية جاءت وقد جعل الدجى * لخاتم فيها فص غالية خطا

فقلت أحاجيها بما فى جفونها * ومابال الشفاه اللعس من حسنها المعطى

محبرة العينين من غير سكرة * متى شربت الحاظ عينيك اسفنطا

أرى صفرة المسواك من حمرة اللمى * وشاربك المخضر بالمسك قد خطا

عسى قدح قبلته فاخاله * على الشفة اللمياء قد جاء مخطا

فتصور فى البيتين قبل هذا أحسن مقابلة وتصور فى البيتين من آخر هذه القطعة ثلاث تشبيهات شبهت بشىء واحد يتضمنها جميعا وقال ابن شرف

قامت تجر ذيول العصب والحبر * ضعيفة الخطو والميثاق والنظر

تخطو وفتولى الحضا من حليها نبذا * وتخلط العنبر الوردى بالعفر

تلفتت عن طلا وسنان وابتسمت * عن واضح مثل نور الروضة العطر

ما للذ العين نوم بعد ما ذكرت * ليلا سمرناه بين الضال والسمر

تساقط الطل من فوق النحور به * تساقط الدر فى اللبات والثغر

(وقال الرمادى)

شطت نواهم بشمس فى هوادجهم * لولا تلألؤها فى ليلهن عشوا

شكت محاسنها عينى وقد عذرت * لانها بضمير القلب تنخمش

شعر ووجه تبارى فى افتخارهما * لحسن هذا وذاك الروم والحبش

شككت فى سقمى منها أفى فرشى * اذا تاملت الا الطيف والفرش

(ولبعض أصحابنا)

سائل سقاة الحى عن نجدية * وردا الحجيج بها سقاية زمزم

صفراء كالدينار على تريبها * بالزعفران وخدها بالعندم

لبست برود السابرى فانضلت * من ذيلها ولبست جلد الارقم

ياليت شعرى وهى أنسك ناسك * لم تستحل دم المحب المسلم

نبئت أن الطاعنين بها سعوا * للاجر فانقلبوا باكبر المأثم

سفكوا دماء الراتعين الى منى * بجفونها ونجوا بسافكة الدم

وهذا القدر فى هذا الموضع كاف وقد تضمن هذا الديوان مقطعات بديعة فى أوصاف النساء

(قوله تجلد عميرة) يقال لهذا الفعل الخضخضة والتدليك والاستمناء والاعتمار واعتمر الرجل جمع يديه وضمهما لذلك والالطاف للنساء مثل الخضخضة للرجال يقال منه ألطفت المرأة وقال القتيبى بيتا ما سمعناه على وجه الدهر

تجلد عميرة وتستغنى عن المهيرة فقلت له قبح الله ظنك

(ما جاء فى الاستمناء)

اذا مررت بواد لا أنيس به * فاضرب عميرة لا عار ولا حرج

آخر بيدي ورجلي لا عدمت كليهما * أصبحت أغنى من يروح ويغتدي

أمشي على هذي وأنكح هذه * فطيتي رجلي وجاريتي يدي

آخر تسألني عن عتدي وعندي * فانني بالنة آل مرثد * راحلتي رجلاي وامراتي يدي *

(وقال اعرابي)

ان تبخلي بالمركب المحلوق * فان عندي راحتي وريقي

ودلكات لسن للتمزيق * اشهى من التصبيح والتغبيق

(وقال الخزامي)

خطبت الى ساعدي راحتي * وما كنت من شر خطابها

وما ان تكلفت من مهرها * سوى ريقة أتجرى بها

فان شئت أوتى بها ثيبا * وبكرا اذا شئت أوتى بها

ونزهت نفسي عن الغانيات * وعن ذكر سلمى وأترابها

(وقال الحسن)

اذا أنت أنكحت الكريمة كفؤها * فأنكح حسيبا راحة لابن ساعدي

وقل بالرفا مانلت من وصل حرة * لها ساحة حفت بخمس ولائد

(وقال ابن الرقعمق)

ومن بلائي أبو عمير * معرض بي الى المنون

منتصبا ماينام وقتا * وليس يهدا من الزنين

من يك ذا زوجة فاني * لشقوتي زوجتي يميني

عميرة قد جلدت حتى * خشيت والله تجلدوني

فراقبوا الله في يميني * وخلصوها وزوجوني

(وقال آخر يشتكي غلظ يده)

لو أنها الدنة قضيت من وطري * لكنه خشن أربى على السفن

أشكو الى الله نعظا قد منيت به * وما ألاقي من الاملاق والحزن

(آخر) ومغتاب اذا نجا * يظن سواه قد جرحا

ومن لم يدر لم يألم * فعاد عليه ما اجترحا

كناكح كفه ينوى * فتاة كان قد لمحا

وما نكح الفتى أحدا * ولكن نفسه نكحا

فنكاح الكف هو جلد العميرة * قال ابن أبي الازهر مررت على بردعة الموسوس وقد أدخل يده في جيبه وهو يخضخض فضربته برجلي فانكشف فاذا هو منعظ فقلت ماهذا فقال أما ترى تلك وأشار بيده الى جارية جميلة في علية متطلعة فقال اني دعوتها الى نفسي فلما لم تجبني أجبتها فقلت قبحك الله وولت عنه فلم يلبث أن لحق بي وقال قضيت الحاجة على رغم أنفك ثم أنشدني

أأنكرت ماعاينت من كف دالك * وهل ينكر التدليك في قول مالك

لقد أمن الدلال من أن تنالهم * حدود الزنا فى واضحات المسالك
وانى قد سكنت عزمة علتى * بحسن عيون والثدى العواتك

كذب على مالك مالك والشافعى وعامة العلماء يحرمون الاستمناء وحجتهم قوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فانهم غير ملومين * الفنجديهى وقد جاء فى تحريم الخضخضة حديث مشهور وسنده الى أنس بن مالك رضى الله عنه قال سبعة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولا يجمعهم مع العالمين ويدخلهم النار مع الداخلين الا أن يتوبوا فمن تاب تاب الله عليه الناكح يده والفاعل والمفعول به ومدمن الخمر والضارب أبويه حتى يستغيثا والمؤذى جيرانه حتى يلعنوه والناكح حليلة جاره وانما رويت الرخصة فى ذلك عن عمرو بن دينار وروى عن ابن عباس أنه سئل عن الخضخضة فقال نكاح الامة خير منها وهى خير من الزنا * الازهرى أبو عمير ذكر الرجل * الفنجديهى سمعت الحافظ أبا العلاء يقول الخضخضة على مذهب الامام أحمد بن حنبل جائزة لمن استولت عليه الشهوة حتى خاف على نفسه اتيان الفواحش * أبو الفرج محمد بن أبى جعفر الطائى بهمذان قال أنشدنا الامام أبو المظفر المعاوى لنفسه وكان من أورع الفضلاء وأزهدهم

خليلى لا بغداد تدنو فتنقضى * همومى ولا الرى البغيضة تبعد
فليس من الانصاف والعدل أنكم * تنيكون ربات الجمال ونجلد
وترضون بالحرمان للفيشة التى * على غضب باتت تقوم وتقعد
فلا تحسبوا جلدى عميرة وصمة * على فقد أفتى بها الشيخ أحمد
ولو وسعتها راحتى لاحتملتها * فما حيلتى اذ ضاق ذرعا بها اليد

وذكر بيتين آخرين قال وأنشدنى امام أهل اللغة أبو المعالى اسمعيل بن الحسن البديع لبعضهم

انما همى كسيره * نشفت ماء قديره
وخبيره فى ذكيره * بلغتى منها سكيرة
وغلام أو فتاة * قد كفى جلد عميره
من رأى عيشى هذا * عاش لا يؤثر غيره

(قال وأنشدنى البديع أيضا لبعضهم)

ياسيدى نحن فى زمان * أبدلنا الله منه غيره
فكل ذى خسة وذل * متع بالطيبات أيره
وكل ذى فطنة وكيس * يجلد فى بيته عميره

(قوله أشب قرنك) يدعى بذلك للصبى أن يكبر وتطول قامته كما تقول للصبى فى ضد ذلك لا كبرك الله ويقال شب الصبى يشب بكسر الشين شبابا بفتح الشين وكسرها اذا طال ونما جسمه والصبى شاب وأشبه الله وأشب الله قرنه أى جعله شابا أسود الذؤابة والقرن الضفيرة وهى الذؤابة وقيل القرن جانب الرأس (المراح) كالرواح و (الخزيان) المهان والمستحيى وخزى يخزى خزيا أهين وخزاية استحياء فهو خزيان أى مستحى وقوم خزايا (وتبت من مشاورة الصبيان) قال عمر رضى الله عنه خصلتان من علامة الجهل مشاورة النساء والصبيان واستكتام السر النساء

ولا أشب قرنك ثم رحت عنه مراح الخزيان وتبت من مشاورة الصبيان (قال الحرث بن همام) فقلت له أقسم عن أبت

والصبيان (الايك) شجر (الجدل منك والدك) أى انما كان هذا الخصام بينك وبين نفسك ولم يكن ثم صبى تحاوره أى ان حديثك مصنوع لا أصل له * ومن مستعمل الاخبار المصنوعة ما يحكى ان حبيب بن أوس قال لقينا اعرابى وقد خرجت فى أيام الواثق الى سر من رأى فقلت له ممن قال من بنى عامر قلت كيف علمك بعسكر أمير المؤمنين قال قتل أرضا عالمها قلت ما تقول فى أمير المؤمنين قال وثق بالله فكفاه أشجى العاصية وقصم العادية وعدل فى الرعية قلت فما تقول فى أحمد بن أبى دواد قال هضبة لا ترام وجبل لا يضام تشحذ له المدى وتنصب له الحبائل حتى اذا قيل قد وثب وثبة الذئب وختل ختلة الضب قلت فمحمد بن عبد الملك قال وسع الدانى شره ووصل البعيد ضره له فى كل يوم صريع لا يرى فيه أثر ناب ولا ذرب مخلب قلت فما تقول فى الفضل بن مروان قال ذلك رجل أنشر بعد ما أقبر فعليه حياة الاحياء وخفة الموتى قلت فابن الخصيب قال أكل أكلة نهم وذرق ذرقة بشم قلت فأخوه ابراهيم قال أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون قلت فأحمد بن ابراهيم قال لله دره أى رجل هو اتخذ الصبر دثارا والحق شعارا وان هون عليه يهم قلت فسليمان بن وهب قال ذلك رجل السلطان وبهاء الديوان قلت فأخوه الحسن قال عود نضير غرس فى منابت الكرم حتى اذا اهتزلهم حصدوه قلت فابراهيم بن نجاح قال ذلك رجل أوثقه كرمه وأسلمه حسبه وله دعاء لا يسلمه ورب لا يخذله وخليفة لا يظلمه قلت فنجاح بن سلمة قال لله دره أى طالب وتر ومدرك ثأر يلتهب كأنه شعلة نار له من الخليفة فى الانام جلسة تزيل نعما وتحل نقما قلت يا أعرابى أين منزلك قال اللهم غفرا اذا اشتمل الظلام التحف الليل حيثما أدركنى الرقاد رقدت ولا أخلق وجهى بمسئلتهم أما سمعت هذا الطائى يقول

وما أبالى وخير القول أصدقه * حقنت لى ماء وجهى أو حقنت دمى

فقلت له أنا قائل هذا الشعر قال أئنك لأنت الطائى قلت نعم قال لله أبوك أنت الذى تقول

ماجود كفك ان جادت وان بخلت * من ماء وجهى اذا أخلقته عوض

قلت نعم قال أنت أشعر أهل زمانك ونمى خبره الى ابن أبى دواد وأوصله الى الواثق فأعطاه ألف دينار وأخذ له من أهل الدولة ما غنى به عقبه بعده وهذا الخبر خرج عن أبى تمام فان كان صادقا وما أراه فقد أحسن الاعرابى الوصف وان كان صنعه فقد قصر اذ منزلته أكبر من هذا (قوله أغرب) أى أكثر الضحك حتى دمعت عيناه (المنهمك) المبالغ الطرب (العق العسل ولا تسل) معناه ان طاب لك الكلام فاحفظه ولا تسل عن صدقه ولا باطله كما اذا وجدت العسل حلوا فلا يلزمك السؤال عن نحله وقد قال فيما مضى * ولا تسأل الشهد عن نحله * فهذا هو ذلك (أسهب) أبالغ وأكثر (ذى النشب) صاحب المال (يغضى) يتغافل (المتجهل) الذى يحسبنى جاهلا (الممهل) المؤخر وقد أمهله أى أخره (صه) معناه اسكت (القرص) الخبز وتسمى الخبزة قرصة لان الخابز يقرصها من العجين أى يقطعها (والكامخ) شئ يصنع من اللبن الحامض وهو أنواع * وقد قدم لاعرابى كامخ فقال ما هذا قالوا كامخ فقال قد علمت فايكم كمخ به يقال كمخ البعير اذا أخرج ثلطه رقيقا وقدم لاعرابيين كامخ فذاقه أحدهما فلم يستطبه فقال هذا خرء وذاقه الآخر فاستطابه فقال يوشك أن يكون خرء الامير وقدم لاعرابى كامخ فلم يستطبه قال ما هذا

الايك ان الجدل منك والدك فأغرب فى الضحك وطرب طربة المنهمك ثم قال العق العسل ولا تسل فاخذت أسهب فى مدح الادب وأفضل ربه على ذى النشب وهو ينظر الى نظر المتجهل ويغضى عنى اغضاء الممهل فلما أفرطت فى العصبية للعصبة الادبية قال لى صه

قالوا كامخ قال ومن أى شئ صنع هذا قالوا من الحنطة واللبن قال أبو ان كريمان وما أنجبا وقدم لاعرابى كامخ فلم يستطبعه وأكل منه شيأ وخرج ودخل المسجد والامام فى الصلاة يقرأ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير فقال الاعرابى والكامخ لا تنساه أصلحك الله وقيل هو طعام يؤتدم به وقيل هو البقل فى الطعام مثل الكبر والزيتون والمرى والعناب اذا غلب طخاء الشحم على المعدة أخذ الرجل منه شيأ فانجلى عن معدته وتنشط للاكل وقال اعرابى يصف ابطيه بالنتن

كأن ابطىّ وقد طال المدى * نفحة خرء من كواميخ القرى

* الاصمعى قدم علينا أبو طيبة الاعرابى بعدما خرج الى البادية وتفقه فقلنا له ماقولك فى البيض قال حرام فقلنا ولم قال لقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر والدجاج عندى من ذوى الاظفار قلنا فما قولك فى الكامخ قال حرام قلنا ولم قال لقوله تعالى خلق الانسان من صلصال كالفخار والكامخ يتخذ من الفخار فأظن بينه وبين الجلد نسبا (قوله وافقه) معناه افهم (راسخ) ثابت (المكثرين) الاغنياء (طود سودده) ارتفاع سيادته والطود الجبل (شامخ) أى ثابت مرتفع وقال النبى صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان من لم يكن معه فيه أصفر وأبيض لم يتمن العيش يعنى الذهب والفضة وقال مهيار الديلمى

تشرف بحظ فان الحظوظ * حلى كل ذى نسب يفضل
وما الحظ فى أدب مفصح * ومن دونه نسب مجهل
يؤم الفتى رتبة وهو حيث * يجعله ماله يجعل

(وقال ابن قاضى ميلة)

اسعد بجدك لا تكون أديبا * أو ان يرى فيك الورى تهذيبا
ان كنت مستويا ففعلك كله * عوج وان أخطأت كنت مصيبا
كالنقش ليس يصح معنى ختمه * حتى يكون بناؤه مقلوبا

(قوله لهجتى) أى منطقى وقيل هى جرس الكلام وقيل هى طرف اللسان وفلان فصيح اللهجة وهى لغته التى جبل عليها فاعتادها ونشأ عليها (استنارة) ظهور نورها (نألو) نقصر (جهدا) طاقة واجتهادا (نستفيق جهدا) نستريح من المشقة (أدّانا) أوصلنا و(القرية) فى كلامهم الموضع الذى يجتمع الناس فيه وقريت الماء فى الحوض جمعته فيه و(عزب) بعد (للارتياد) لطلب مايؤكل (منفض) فارغ وأنفض فى زاده فنفض مزوده من الفتات (المحط) المنزل الذى تحط فيه الاحمال (والمناخ) مثله فى المعنى و(المختط) المعلم عليه بخط وكل موضع أردت حمايته ومنعه خططت عليه بخط فمن رآه علم أنه محمى فاجتنبه (الحنث) الاثم أى لم يبلغ حد التكليف وهو الحلم فيكتب عليه اثم (على عاتقه ضغث) أى على عنقه حزمة حشيش والعاتق مابين المنكب والعنق والضغث قبضة من اخلاط النبات أو من قضبان مختلفة (المفهم) المخبر المبين (أيباع ههنا الرطب بالخطب) الرطب والبلح نوعان من التمر (والسمر) السهر بالليل على الحديث (هيهات) أى بعد * ابن عباس رضى الله عنهما ماباع الدقيق برّ ولا فاجر الا اصفر لونه وقسا قلبه ونزعت الرحمة من قلبه (الفرائد) جواهر الكلام (أين يذهب بك) أين تتلف وتضل ولذلك دعاله

واسمع منى وافقه
يقولون ان جمال الفتى
وزينته أدب راسخ
وما ان يزين سوى المكثرين
ومن طود سودده شامخ
فأما الفقير فخير له
من الادب القرص والكامخ
وأى جمال له أن يقال
أديب يعلم أو ناسخ
ثم قال سيضح لك صدق لهجتى واستنارة حجتى وسرنا لا نألو جهدا ولا نستفيق جهدا حتى أدّانا السير الى قرية عزب عنها الخير فدخلناها للارتياد وكلانا منفض من الزاد فما ان بلغنا المحط والمناخ المختط أو لقينا غلام لم يبلغ الحنث وعلى عاتقه ضغث فحياه أبو زيد تحية المسلم وسأله وقفة المفهم فقال وعمّ تسأل وفقك الله قال أيباع ههنا الرطب بالخطب قال لا والله قال ولا البلح بالملح قال كلا والله قال ولا الثمر بالسمر قال هيهات والله قال ولا العصائد بالقصائد قال اسكت عافاك الله قال ولا الثرائد بالفرائد قال اين يذهب بك

فقال (أرشدك الله) أى هداك الطريق (عدّ) كف واصرف (لمح) نظر (الشوط) الطلق والجرى الى الغاية * الاخفش الشوط أن تاتى الى موضع تريده ثم ترجع وان رجعت اليه مرة أخرى فذلك شوط آخر ومن الجر الى الجر شوط وجرى الفرس شوطا اذا بلغ مجراه ثم عاد (بطين) متسع ومعناه علم ان كلام الشيخ كثير ورجل بطين عظيم البطن وكيس بطين أى ملآن وأخذه من قول كعب بن زهير

وزحزحن بين أداني الغضى * وبين عنيزة شوطا بطينا

(شويطين) أى دويهية لا تقاوم وتصغيره بمعنى التعظيم (حسبك) يكفيك (فنك) نوعك وطريقك (استبنت أنك) أى تحققت انك داهية (صبرة) أى جملة بغير كيل وكدس القمح وما يكال يسمى صبرة (اكتف) اقنع (خبرة) اختبار (النثر) ضد النظم مثل الترسل والخطب (والنثارة) ماتناثر من الشئ اى تفتت تقول نثرت الشئ أى رميت به مفترقا واسم مايتساقط منه النثارة و (القصص) أخبار المتقدمين (والقصاصة) ماتساقط من الشعر اذا قص (والغسالة) الماء الذى قد غسل به بقية الطعام أو غير ذلك ويروى بفضالة مكان غسالة والفضالة من الزرع اذا غربل تبقى فى الغربال فتدرس بعد ذلك ويخرج مافيها من الزرع وأنشد الفنجديهى فى هذه المعانى

عرضت على الخباز نحو المبرد * وكتبا حسانا للخليل بن أحمد
ورؤيا ابن سيرين وخط مهلهل * وتجويد عمرو وبعد فقه محمد
وأنشدته شعر الكميت وجرول * وغنيته لحن الغريض ومعبد
فما نفعتنى دون أن قلت ها كها * مدورة صفرا تطن على اليد

وقال أخبرنى أبو المحاسن بن أبى العلاء بن محمد الاديب قال أنشدنيه لنفسه أبو يوسف بن محمد يعقوب الاديب (قوله ولا حكم لقمان بلقمة) فى لقمان سبعة أقوال قال قتادة خيره الله بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة فقذفها عليه جبريل وهو نائم فأصبح ينطق بالحكمة فسئل عن ذلك فقال لو أرسل الله الىّ النبوة عزمة لرجوت الفوز بها ولكنه خيرنى فخفت ان أضعف عن النبوة وقيل كان من النوبة قصيرا أفطس الانف وقيل كان حبشيا * سعيد ابن المسيب كان أسود من سودان مصر ذا مشفر حكمته حكمة الانبياء وقيل كان خياطا وقيل راعيا فرآه رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال ألست عبد بنى فلان كنت ترعى بالامس قال بلى قال فما بلغ بك ما أرى قال وما يعجبك من أمرى قال وطء الناس بساطك وغشيهم بابك ورضاهم بقولك قال يا ابن أخى ان صنعت ما أقول لك كنت كذلك قال وما أصنع قال غض بصرى وكف لسانى وعفة طعمى وحفظ فرجى وقيامى بعهدى ووفائى بوعدى وتكرمة ضيفى وحفظ جارى وترك ما لا يعنينى فذلك الذى صيرنى كما ترى ويروى انه قال قدر الله واداء الامانة وصدق الحديث وترك ما لا يعنينى * أنس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يجلس مجالس الملوك قال الله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة وقال الامام أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعالبى المفسر اتفق العلماء على ان لقمان كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه تفرد بانه نبى * ابن عمر رضى الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حقا أقول لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا صمصامة كثير التفكر حسن اليقين أحب الله

أرشدك الله قال ولا الدقيق بالمعنى الدقيق قال عدّ عن هذا أصلحك الله واستحلى أبو زيد تراجع السؤال والجواب والتكايل من هذا الجراب ولمح الغلام أن الشوط بطين والشيخ شويطين فقال له حسبك ياشيخ قد عرفت فنك واستبنت أنك فخذ الجواب صبرة واكتف به خبرة أما بهذا المكان فلا يشترى الشعر بشعيرة ولا النثر بنثارة ولا القصص بقصاصة ولا الرسالة بغسالة ولا حكم لقمان بلقمة

(خبر لقمان عليه السلام)

فأحبه ومنّ الله عليه بالحكمة * وهب بن منبه كان لقمان ابن اخت داود عليه السلام وقيل ابن
خالته وكان فى زمنه وكان داود يقول له طوبى لك أوتيت الحكمة وصرفت عنك البلوى وأوتى
داود الخلافة وبلى بالبلية وكان داود يغشاه و يقول انظروا الى رجل أوتى الحكمة ووقى الفتنة
* عبد الوارث أوتى لقمان الحكمة فى قائلة قالها فقيل وهل لك أن تكون خليفة فتعمل بالحق
فقال ان تخترلى فسمعا وطاعة وان تخيرنى اختار العافية فقيل وما عليك أن تكون خليفة فتعمل
بالحق قال فان اعمل بالحق فبالحرى ان انجو وان اخطئ الحق أخطئ طريق الجنة وانه من يبع
الآخرة بالدنيا يخسرهما جميعا وأن أعيش حقيرا ذليلا أحب الى من أن أعيش قويا عزيزا فشكر
الله تعالى مقالته فغطه فى الحكمة غطة فأصبح وهو أحكم الناس وقيل كان عبدا نجارا فقال له
سيده اذبح شاة وأتنى بأطيب مضغتين فأتاه بالقلب واللسان ثم أمره بمثل ذلك وأن يخرج
أخبث مضغتين فاخرج القلب واللسان فقال له ما هذا فقال ليس شئ أطيب منهما اذا طابا ولا
أخبث منهما اذا خبثا * وأما حكمته فقد ذكر الله تعالى منها فى كتابه ما علم وذكر مالك فى موطئه
منها كلاما كثيرا وذكر منها فصلا فى كتاب الجامع من الموطا ومن حكمته يا بنى ان الناس
قد تطاول عليهم ما يوعدون وهم الى الآخرة سراعا يذهبون وانك قد استدبرت الدنيا
منذ كنت واستقبلت الآخرة وان دارا تسير اليها أقرب من دار تخرج منها يا بنى ليس غنى
كصحة ولا نعيم كطيب نفس يا بنى لا تجالس الفجار ولا تماشهم اتق ان ينزل عليهم عذاب
من السماء فيصيبك معهم وجالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله تعالى يحيى القلوب الميتة
بالعلم كما يحيى الارض بوابل المطر * أبو اسحق الثعالبى باسناده عن عكرمة قال كان لقمان
من أهون مماليك سيده عليه فبعثه مولاه مع عبيد له الى بستانه يأتونه بشئ من ثمره فجاؤه وما معهم
شئ وقد أكلوا الثمر وأحالوا على لقمان فقال لقمان لمولاه ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها
فاسقنى واياهم ماء حميما ثم أرسلنا لنعدو ففعل فجعلوا يتقيؤن تلك الفاكهة ولقمان يتقيأ ماء
فعرف مولاه صدقه وكذبهم قال وأول ما عرف من حكمته انه كان مع مولاه فدخل مولاه المبرز
فأطال فيه الجلوس فناداه لقمان ان طول الجلوس مع الحاجة ليجع منه الكبد و يورث الباسور
و يصعد الحرارة الى الرأس فاجلس هوينى قال فخرج وكتب حكمته على باب الحش قال
وسكر مولاه يوما فخاطر قوما أن يشرب ماء بحيرة فلما أفاق عرف ما وقع فيه فدعا لقمان فقال له
لمثل هذا كنت اختبأتك فقال لمولاه أخرج أباريقك ثم اجمعهم فلما اجتمعوا قال على أى شئ
خاطرتموه قالوا على ان يشرب ماء هذه البحيرة قال فان لها موادّ فاحبسوا عنها موادّها قالوا وكيف
نستطيع ذلك قال لقمان وكيف يستطيع هو أن يشربها ولها موادّ وأراد مولاه بيعه فقال
يا مولاى ان لى عليك حقا فلا تبعنى الا ممن أحب قال لك ذلك فكان الرجل اذا جاء يستامه
قال لاى شئ تريدنى فقال أحدهم تحفظ على بابى قال اشترنى فلما جنه الليل أغلق الباب وقام
يصلى فى الدهليز وكان لبنات الرجل أخلاء فجاؤا فضربوا الباب فقلن يا لقمان افتح الباب فقال
يا بنى انتن وأمى ليس لهذا اشترانى أبوكن فضربنه ضربا كدن ان يأتين منه على نفسه فلما اصبح
لم يخبر أباهن فلما كانت الليلة الثانية عاودنه بمثل ذلك فلما أصبح لم يخبر أباهن فلما كانت الليلة
الثالثة عاودنه بمثل ذلك فلما أصبح لم يخبر أباهن فأقبل بعضهن على بعض فقلن ما جعل الله

قوله صمصامة كذا بالاصل
والذى فى تفسير الخطيب
عبدا كثير التفكر حسن
الظن كثير الصمت احب
الله الخ اه مصححه

هذا العبد الاسود أولى بهذا الخير منا قال فنسكن نسكا لم يكن فى بنى اسرائيل افضل منهن عبد الله
ابن دينار قال قدم لقمان من سفر فاستقبله غلام له فى الطريق فقال له لقمان ما فعل ابى قال مات
قال الحمد لله ملكت أمرى قال ما فعلت أمى قال ماتت قال الحمد لله ذهب همى قال ما فعلت
امرأتى قال ماتت قال الحمد لله جدّد فراشى قال ما فعلت ابنتى قال ماتت قال الحمد لله سترت
عورتى قال ما فعل ابنى قال مات قال انا لله وانا اليه راجعون انقطع ظهرى وقيل له ما أقبح
وجهك قال أتعيب على هذا النقش أم على النقاش وقال النبى صلى الله عليه وسلم سادة السودان
أربعة لقمان والنجاشى وبلال ومهجع وثم لقمان آخر وهو لقمان بن عاد وهو تذكره العرب فى
أخبارها وكان أيضا حكيما وكانت له أخت محمقة فقالت لامرأته هذه ليلة طهورى فهى لى ليلتك
طمعا فى أن تعلق من أخيها بنجيب ففعلت فولدت لقيم بن لقمان وفيه يقول النمر بن تولب

لقيم بن لقمان من أخته * فكان ابن أخت له وابنما

وقال المسيب يذكره

أنت الرئيس اذا هم نزلوا * وتواجهوا كالاسد والنمر
ولأنت ابين حين تنطق من * لقمان لما عىّ بالفكر

وقالت بنت عثمان بن وثيمة ترثى اباها

الواهب المائة التلا * د لنا ويكفينا العظيمه
والدافع الخصم الالدّ اذا تفوضح فى الخصومه
بلسان لقمان بن عا * د وفصل خطبته الحكيمه
الجمتهم بعد التجا * ذب والتدافع فى الحكومه

(قوله الملاحم) مواضع الحروب التى تلتحم فيها الجموع وتختلط عند القتال وتسمى اخبار الوقائع والحروب ملاحم و (جيلك) اهل عصرك (الاوان) الحين والعصر (يميح) يعطى معروفا ويحتمل أن يريد يسقيك ماء والمائح النازل فى قعر البئر يخرج ماءها وقد ماح الماء اذا استقاه (صيغ) صنع (يجيز) يعطى الجائزة (يغيث) يتكرم ويجود وهو من الغيث (يمير) يعطى الميرة والميرة الطعام المجلوب و (الربع) المنزل (الجديب) الذى لم يمطر (ديمة) مطر دائم (دانته) قاربته (يعضده) يقويه (نشب) مال (نصب) تعب (حزبه) أهله و (الحصب) هو الحطب الملقى فى النار وكل ما تطعمه النار فهو حصب وهو من حصبته بالحصباء أى رميته بها (انسدر) جرى وانصب فى جريه وانسدر البازى اذا انحط (يعدو) يسرع (يحدو) يتابع الجرى وكل شئ اتبعته فقد حدوته (بار) هلك ومنه بار الطعام اذا كسد وفى الحديث نعوذ بالله من بور الايم أى من كسادها وقال الله تعالى يرجون تجارة لن تبور أى لن تكسد وقال تعالى وكنتم قوما بورا أى هالكين قال الفراء البور يكون للمذكر والمؤنث والاثنين والجمع بلفظ واحد أبو عبيدة رحمه الله هو جمع بائر كعائذ وعوذ ويدل على صحة قول الفراء قول ابن الزبعرى

يا رسول المليك ان لسانى * راتق ما فتقت اذ أنا بور

(بؤت) رجعت (البصيرة) اليقين والاعتماد الصحيح (المصاع) مراجعة الكلام والمصاع فى الاصل القتال والدفاع وكل ما عانيته بشدّة وجد فقد ماصعته (القصاع) فى الاصل صحاف

ولا اخبار الملاحم بلحمة
وأماجيل هذا الاوان فما
منهم من يميح اذا صيغ له
المديح ولا من يجيز اذا أنشد
له الاراجيز ولا من يغيث
اذا أطربه الحديث ولا من
يمير ولو أنه أمير وعندهم
أن مثل الاديب كالربع
الجديب ان لم تجد الربع
ديمة لم تكن له قيمة ولا دانته
بهيمة وكذا الادب ان لم
يعضده نشب فدرسه نصب
وحزبه حصب ثم انسدر
يعدو وولى يحدو فقال لى
أبو زيد أعلمت أن الادب
قد بار وولت أنصاره الادبار
فبؤت له بحسن البصيرة
وسلمت بحكم الضرورة فقال
دعنا الآن من المصاع
وخض فى حديث القصاع

الطعام (الاسجاع) الكلام المقفور (الرمق) بقية النفس و (الحرق) جمع حرقة واراد بطفء الحرق تسكين الم الجوع (ما لبث) ما أقام ولا استقر (رفض) ترك (الصدق) قول الحق و (الصداقة) المحبة (مكثت مليا) أقمت زمانا (أترقبه) انتظر مجيئه (اتعقبه) أمشي في أثره وأطلبه و (ضيع اللبن في الصيف) مثل يضرب لكل من ضيع أمره ثم تعرض لاستدراكه بعد فوته قاله عمرو بن عدس التميمي وكان تزوج دختنوس بنت لقيط بن زرارة وكان شيخا مسنا ذا مال كثير فأبغضته بسبب كبره وسألته طلاقها فطلقها وتزوجها عمير بن معبد بن زرارة وكان شابا معدما فبينما هو معها جالس اذ مرت بهما ابل عمرو بن عمرو بن عدس كالليل لكثرتها فقالت لها عمير ابعثي الى عمرو يعطك لبنا أو حلوبة فأرسلت اليه رسولا بذلك فقال لرسولها قل لها الصيف ضيعت اللبن فلما بلغها ذلك ضربت على كتف ابن عمها وقالت هذا ومذقه خير يريد أنه طلقها في الصيف فضاع لبنها في ذلك الوقت وقال في الدرة خص الصيف بالذكر لانها كانت سألته الطلاق فيه فكأنها يومئذ ضيعت اللبن والله تعالى أعلم

(شرح المقامة الرابعة والاربعين وتعرف بالشتوية)

(داجية وفاحمة) شديدة السواد و (اللمم) جمع لمة وهي جمة الشعر التي ألمت بالمنكب أي قاربته وجعل لليلة لمة مجازا وهو يريد شدة سوادها (تضرم) توقد (علم) جبل (جوها) ناحية سمائها (مقرور) باردو أراد أن ما يجيء من جوها من الريح والهواء بارد جدا (مزرور) مشدود بالازرار وهي اطواق الثياب وهذا يكون في طوق الصغير يشق في صدر الثوب عوضا عن الجيب ويترك من الطوق طرفان على ذلك الشق فاذا لبس الثوب شد الطرفين فيقال عند ذلك قد زررت الثوب يريد أن السحاب قد تكاثف في تلك الليلة فلا تبصر العين فيها الشدة ظلامها لان الثوب اذا شددت ازراره لم يجد رأس الانسان من أين يخرج فلما جعل لليلة ثوبا من الظلام والسحاب جعله مربوطا مشدودا مغموما مستورا (غيمها) سحابها (مركوم) أي متراكب بعضه على بعض (أنص عنسي) أي أجهد ناقتي وأتعبها والنص رفع السير وقالت أم سلمة لعائشة رضي الله عنهما ما كنت قائلة لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عارضك ببعض الفلوات ناصة قلوصا من منهل الى آخر ومنه نص الحديث الى فلان أي رفعه الى شخص و (ارقالي) سرعتي (يعدو) يسرع (الجزى) عدو شديد (قوله سارى) أي آت بالليل و (الخابط) الماشي على غير علم بالطريق (هداه) من الهداية و (أهداه) من الهدية (رحيب الباع) كثير البر واسع العطاء واسع البر والرحب المتسع (مرحب) يقول مرحبا بك و (الطارق) الآتي بالليل (الممتار) طالب الميرة وهي الطعام يجلب من بلد الى بلد (جعد الكف) هو البخيل أي يرحب بالضيف كما يرحب البخيل بالدينار اذا وقع في كفه * نظر أعرابي الى درهم في يد رجل وأدام النظر اليه فقال له الرجل لو كان لك ما كنت صانعا قال كنت أنظر اليه نظرة ثم تكون آخر عهده باليد وكان بعض البخلاء اذا وقع الدرهم في يده يخاطبه ويقول له أنت عقلي وديني وصلاتي وصيامي وجامع شملي وقرة عيني وأنسي وقوتي وعدتي وعمادي ثم يقول له

أهلا وسهلا بك من زائر * كنت الى وجهك مشتاقا

واعلم ان الاسجاع لا تشبع من جاع فالتدبير فيما يمسك الرمق ويطفئ الحرق فقلت الامر اليك والزمام بيديك فقال أرى ان ترهن سيفك لتشبع جوفك وضيفك فناولنيه واقم لانقلب اليك بما تلتقم فأحسنت به الظن وقلدته السيف والرهن فما لبث ان ركب الناقة ورفض الصدق والصداقة فمكثت مليا اترقبه ثم نهضت اتعقبه فكنت كمن ضيع اللبن في الصيف ولم القه ولا السيف

(المقامة الرابعة والاربعون الشتوية)

(حكى الحرث بن همام) قال عشوت في ليلة داجية الظلم فاحمة اللمم الى نار تضرم على علم وتخبر عن كرم وكانت ليلة جوها مقرور وجيبها مزرور ونجمها مغموم وغيمها مركوم وانا فيها اصرد من عين الحرباء والعنز الجرباء فلم أزل انص عنسي واقول طوبى لك ولنفسي الى ان تبصر الموقد آلي وتبين ارقالي فانحدر يعدو الجزى وينشد مرتجزا حييت من خابط ليل ساري هداه بل اهداه ضوء النار الى رحيب الباع رحب الدار مرحب بالطارق الممتار ترحاب جعد الكف بالدينار

ثم يقول يانور عيني وحبيب قلبي قد صرت الى من يصونك و يعرف قدرك و يعظم حقك و يرعى قيمتك و يشفق عليك وكيف لاتكون كذلك وأنت تعظم الاقدار وتعمر الديار وتفتض بك الابكار وتسمو على الاشراف وترفع الذكر وتعلى القدر وتؤنس من الوحشة ثم يطرحه في الكيس ويقول

بنفسي محجوب عن العين شخصه * ومن ليس يخلو من لساني ولا قلبي
ومن ذكره حظي من الناس كلهم * وأول حظي منه في البعد والقرب

(مزور) منقبض (معتام) مؤخر مبطئ و(القرى) طعام الضيف معناه أنه لا يؤخر طعامه و يقال اعتم بابله اذا أخر حلبها ومنه العتمة لتأخر وقتها (مثغار) كثير التأخر (اقشعرت) انقبضت من شدة البرد (ترب) جمع تربة وهي وجه الارض و (الاقطار) البلاد والنواحي (ضنت الانواء) بخلت النجوم وكانوا يستمطرون بها (بؤس) شدة (الضاري) المعتاد أي الذي عادته أن لا يكون فيه غير بؤس (جم) كثير واذا كثر الرماد كان عن كثرة النار وكثرة مايطبخ عليها (مرهف) قاطع (اقتداح) ضرب بالزند (وار) بعير سمين وورى المخ اكتنز فهو وار وورى الزند فهو وار أي مبد للنار (محيا) وجه (صافحني) واجهني وقابلني (براحة) بكف (أريحي) كريم يهتز للكرم (اقتادني) ساقني (ولائده) خدمه (تمور) تسير وتختلف (بالطعام موائده) جمع مائدة * أبو عبيد سميت مائدة لانها ميد بها صاحبها أي أعطيها وتفضل عليه بها والعرب تقول مادني فلان يميدني اذا أحسن الي فكان المائدة تميد من حواليها مما أحضر عليها قال رؤبة

* الى أمير المؤمنين الممتاد * أي المستعطي غيره سميت مائدة لانها تميد بما عليها أي تحرك وماد الغصن يميد مال قال الله تعالى وجعلنا في الارض رواسي أن تميد الجرمي يقال مائدة وميدة وأنشد

وميدة كثيرة الالوان * تصنع للاخوان والجيران

وذكر القولين أبو محمد في درة الغواص وزاد أنه لا يقال لها مائدة الا أن يحضر عليها طعام والا فهي خوان واستدل بان الحواريين لما اقترحوا على عيسى عليه السلام أن ينزل عليهم مائدة قالوا نريد أن نأكل منها قال وحكى الاصمعي قال غدوت ذات يوم الى زيارة صديق لي فلقيني أبو عمرو ابن العلاء فقال لي الى أين يا أصمعي فقلت الى صديق لي فقال ان كان لفائدة او لعائدة أو لمائدة والا فلا وهذا باب يتسع كثيرا وسأسوق جملة تأتي على أكثره وهذه الحالة التي وصف من ايقاد النار هي التي كان يفعل حاتم وكان اذا اشتد البرد وكلب الشتاء أمر غلامه فأوقد نارا في يفاع من الارض لينظر اليها من أضل الطريق ليلا فيهتدي اليها وقال في ذلك

أوقد فان الليل ليل قر * والريح ياموقد ريح صر
عل يرى نارك من يمر * ان جلبت ضيفا فأنت حر

ولابن هرمة في هذا اشعار مستحسنة منها

اغشى الطريق بقبتي ورواقها * وأحل في قلل الربا وأقيم
ان امرأ جعل الطريق لبيته * طنبا وأنكر حقه للئيم

(وقال مهيار)

ضربوا بمدرجة الطريق قبابهم * يتقارعون على قرى الضيفان
ويكاد موقدها يجود بنفسه * حب القرى حطبا على النيران

ليس بمزور عن الزوار
ولا بمعتام القرى مثغار
اذا اقشعرت ترب الاقطار
وضنت الانواء بالامطار
فهو على بؤس الزمان الضاري
جم الرماد مرهف الشفار
لم يخل في ليل ولا نهار
من نحر وار واقتداح واري
ثم تلقاني بمحيا وصافحني
براحة اريحي واقتادني الى
بيت عشاره تخور وأعشاره
تفوور ولائده تمور وموائده
تدور وبا كساره أضياف
قد جلبهم جالبي

(ولابن هرمة أيضا)

ومستنبح تستكشط الريح ثوبه * ليسقط عنه وهو بالرمل معصم
عوى فى سواد الليل بعد اغتساقه * لينبح كلب أوليفزع نوّم
فجاوبه مستسمع الصوت للقرى * له عند اتيان المبين مطعم
يكاد اذا ما أبصر الضيف مقبلا * يكلمه من حبه وهو أعجم

(وقال بعض المحدثين)

ويدل ضيفى فى الظلام على القرى * اشراق نارى أونباح كلابى
حتى اذا واجهنه ولقينه * حيينه بصائص الاذناب
وتكاد من عرفان ما عوّدنه * من ذاك أن يفصحن بالترحاب

(ولابن هرمة فى ذلك أيضا)

كيف احتيالى لبسط الضيف من حصر * عند الطعام فقد ضاقت به حيلى
أخاف ترداد قولى كل فأقطعه * والسكت ينزله منى على البخل

(وقال حاتم)

سلى الطارق المعتاريا أم مالك * اذا ما اعترانى بين قدرى ومجزرى
أيسفر وجهى انه أوّل القرى * وأبذل معروفى له دون منكرى

(وقال أيضا)

أما والذى لا يعرف السر غيره * ويحيي العظام البيض وهى رميم
لقد كنت أختار القرى طاوى الحشى * محافظة من ان يقال لئيم
وانى لأستحيي يمينى وبينها * وبين فمى داجى الظلام بهيم

(وقال أيضا)

أكف يدى من أن تنال التماسها * أكف صحابى حين حاجاتنا معا
أبيت هضيم الكشح مضطرم الحشى * من الجوع اخشى الذم أن أتضلعا
وانى لاستحيي رفيقى أن يرى * مكان يدى من جانب الزاد أقرعا
وانك ان أعطيت بطنك سؤله * وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

(وقال ابو زياد الاعرابى)

له نار تشب على يفاع * اذا النيران ألبست القناعا
فلم يك أكثر الفتيان مالا * ولكن كان أرحبهم ذراعا

آخر لعل عارا اذا ضيف تأوبنى * ما كان عندى اذا أعطيت مجهودى
جهد المقل اذا أعطاك نائله * ومكثر فى الغنى سيان فى الجود

آخر تركت ضأنى تودّ الذئب راعيها * وانها لا ترانى آخر الابد
الذئب يطرقها فى الدهر واحدة * وكل يوم ترانى مدية بيدى

آخر وسع بمذق ماء اللحم تقسمه * وأكثر الشوب ان لم يكثر اللبن
وسع به وتلفت نحو حاضره * ان الكريم الذى لم يخله الفطن

(وقال الغنوى)

لحافى لحاف الضيف والبيت بيته * ولم يلهنى عنه غزال مقنع
أحدثه ان الحديث من القرى * وتكلأ عينى عينه حين يهجع

وقال آخر

* وانا المشاؤن بين رحالنا * الى الضيف منا الاحف ومنيم
فذو الحلم منا جاهل دون ضيفه * وذو الجهل منا عن أذاه حليم

آخر
ساقدح من قدرى نصيبا لجارتى * وان كان مافيها كفافا على أهلى
اذا أنت لم تشرك رفيقك فى الذى * يكون قليلا لم تشاركه فى الفضل

(ولبعض أصحابنا)

وسار تجلى أنجم الليل زينة * ويلبس من ظلمائها ثوب ثاكل
رفعت له نارى فآنس ضوأها * كما آنس الظمآن برد المناهل
أتانا فحيانا فكان جوابه * صليل شفار السيف فى ساق بازل
وما انا من سؤاله ممن الفتى * وتلك سجايا كل أطلس باخل
فذلك الذى أودى بما اكتسبت يدى * وان عاد وفرى عدت غير مواكل

وهذا باب يطول ذكره وقال آخر فى ضد ماقلناه

(ماقيل فى البخل)

أرانى من بنى حكم غريبا * على قتراز ورولا أزار
أناس يأكلون اللحم دونى * ويأتينى المعاذر والقتار

القتر والقطر الجانب وقال آخر

مات فى عرس سليما * ن من الجوع جماعه
مات أقوام وقوم * حملوا فيه القناعه
لم يكن يوجد فيه الخبز الا بشفاعه

آخر
ولم تنسنى الايام لا أنس جوعنا * بدار بنى بدر وطول التلدد
ظللنا كأنا بينهم أهل مأتم * على ميت مستودع بطن ملحد
يحدث بعض بعضنا عن مصابه * ويأمر بعض بعضنا بالتجلد

وفى هذا طرف من قول الآخر

اذا ما عرا كم حادث فتحدثوا * فان حديث القوم ينسى المصائبا

وأهل الحزن يستعملون الحديث اشتغالا عن المصيبة وقال بشار

أبناء عمرو لنى خفض وفى دعة * وفى عطاء لعمرى غير ممنوع
وضيف عمرو وعمرو ساهران معا * عمرو لبطنته والضيف للجوع

آخر
ما كنت أحسب أن الخبز فاكهة * حتى نزلت على قوم بميسان
قوم اذا حل ضيف بين أظهرهم * لم ينزلوه ودلوه على الخان

آخر
والناس فى فطر سوى شهرهم * ودهر أضيافك شهر الصيام

آخر
كتبت له صيفا فظن بأننى * كتبت له ضيفا فقام الى السيف

فقلت له خبرا فطن بأنني * ذكرت له خبزا فمات من الخوف

وان ابن هرمة ألأم الناس مع ادعائه في شعره الكرم قال رجل أتيناه في جماعة من قريش أحببنا أن يتنزه عندنا ومشينا بزاد كثير فخرج علينا وقال ما جاء بكم قلنا شعرك حيث قلت ان امرأجعل الطريق البيتين وقولك أيضا

واذا تنوررا كما مستنبح * نبحت فدلته على كلابي

وعوين يستعجلنه فلقينه * يضربنه بشراسف الاذناب

وسمعناك تقول

كم ناقة قد وجأت منحرها * بمستهل الشؤبوب أوجمل

لاأمتع العوذ بالفصال ولا * أبتاع الاقريبة الاجل

فنظر الينا وقال ما على وجه الارض عصبة أسخف عقولا منكم أما سمعتم قول الله عزوجل وأنهم يقولون مالا يفعلون في الشعراء والله اني لأقول مالا أفعل وأنتم تريدون أن أفعل ما أقول والله لا أغضب ربي في رضا كم فضحكنا منه وأخرجناه معنا يتنزه حتى فني الزاد * أتى الحطيئة رجل وهو في غنمه وقال يا صاحب الغنم سلام عليك فرفع الحطيئة العصا وقال انها عجراء من سلم فقال الرجل اني ضيف فقال للضيفان أعددتها فأعاد السلام فقال ان شئت قمت بها اليك * ومر به ابن حمامة وهو جالس بفناء بيته فقال السلام عليكم فقال قد قلت مالا ينكر وقال خرجت من أهلي بغير زاد قال ما ضمنت لاهلك قراك قال أفتأذن لي ان آتي ظل بيتك قال دونك الجبل يفيء عليك قال أنا ابن حمامة قال انصرف وكن ابن أي طائر شئت يروى هذا عن أبي الاسود الدؤلي * ونزل الغضبان بن القبعثري خارج كرمان وهي قرية كثيرة الرمضاء فضرب قبته فورد عليه اعرابي من بكر فقال السلام عليك قال السلام عليك كثير وهي كلمة مقولة قال الاعرابي ما اسمك قال آخذ قال أوتعطي قال ما أحب أن يكون لي اسمان قال ومن أين جئت قال من الذلول قال وأين تريد قال أرضا أمشي في مناكبها قال ومن عرض اليوم قال آل فرعون على النار قال فمن بشر قال الصابرون قال فمن غلب قال حزب الله قال أفتقرض قال انما تقرض الفأرة قال أفتسمع قال انما تسمع القينة قال أتنشد قال انما تنشد الضالة قال أفتقول قال انما يقول الامير قال أفتسجع قال انما تسجع الحمامة قال أفتنطق قال كتاب الله ينطق قال انك لمنكر قال اني لمعروف قال ذلك أريد قال وما ارادتك قال الدخول عليك قال وراءك أوسع قال قد أضرتني الشمس قال الساعة يأتيك الفيء قال الرمضاء أحرقت قدمي قال بل عليهما تبردا قال قد أوجعني الحر قال ليس لي عليه سلطان قال اني لا أريد طعامك ولا شرابك قال أتعرض بهما والله لا تذوقهما عندي قال سبحان الله قال قبل كونك قال ما أرى عندك قال هراوة ارزن أدق بها رأسك فتركه وانصرف * الاصمعي عزلت اعرابية أباها في اتلاف ماله فقالت يا أبت حبس المال أنفع للعيال من بذل الوجه للسؤال وقد أتلفت التلاد وبقيت ترقب ما بأيدي العباد ومن لم يحفظ ما ينفعه يوشك أن يقع فيما يضره أخذه ابن المعتز فقال

يارب جود جر فقر امرئ * فقام للناس مقام الذليل

فاشدد عرا مالك واستبقه * فالبخل خير من سؤال البخيل

(وقال بعض البخلاء)

أعددت للأضياف كلبا ضاريا * عندي وفضل هراوة من أرزن

ومعاذرا كذبا ووجها باسرا * وتشكيا عض الزمان الالزن

الالزن المضيق * محمد بن الجهم وددت أن عشرة من الفقهاء وعشرة من الشعراء وعشرة من الخطباء وعشرة من الادباء تواطؤا على ذمى حتى ينتشر ذلك عنهم فى الآفاق فلا يمتد الى أمل آمل ولا يبسط نحوى رجاء راج وكان يقول من وهب فى عمله فهو مخدوع ومن وهب بعد العزل فهو أحمق ومن وهب فى جوائز سلطانه أو عمل لم يتعب فيه فهو مخذول ومن وهب من كسبه وما استفاد بحيلته فهو المطبوع على قلبه المختوم على سمعه وبصره وقال منع الجميع أرضى للجميع وهذا كقول الاصمعى لو قسمت فى الناس ألف ألف لكان أكثر للائمى من لو أخذتها منهم قالوا ولم يرد البخل ولكن اذا تعذر عليه أن يعم فلا يخص وقال آخر قول لا يدفع البلا وقول نعم يزيل النعم * دعبل كنا يوما عند سهل بن هرون واطلنا الحديث حتى أضر به الجوع فدعا بغدائه فاذا بصحفة فيها مرق ولحم ديك قد هرم لا تحز فيه سكين ولا يؤثر فيه ضرس فأخذ قطعة من خبز فقلع بها جميع المرق وفقد الرأس فبقى مطرقا ساعة ثم رفع رأسه الى الغلام وقال أين الرأس قال رميت به قال ولم قال لم أظنك تأكله قال ولم ظننت ذلك فوالله انى لامقت من يرمى برجله فضلا عن رأسه والرأس رئيس وفيه الحواس الخمس ومنه يصيح الديك وفيه عيناه اللتان يضرب بهما المثل فيقال شراب مثل عين الديك ودماغه عجيب لوجع الكلية فان كان بلغ من جهلك أنى لا آكله فان عندنا من يأكله انظر أين هو قال والله لا أدرى أين رميت به قال لكنى والله أدرى رميت به فى بطنك ولسهل هذا رسالة مدح فيها البخل وفضله على السخاء ليرى فى ذلك بلاغته وأهداها الى الحسن بن سهل فى وزارته للمأمون فوقع عليها لقد مدحت ما ذمه الله وحسنت ما قبح وما يقوم صلاح لفظك بفساد معناك وقد جعلنا ثوابك عليها قبول ما فضلت فيها وتأدب فيها بادبك ولم يعطه شيأ وقيل ان الذى أهدى اليه كتابا ألفه مدح فيه البخل وذم الجود فوقع عليه بما تقدم قال دعبل

صدق أليته ان قال مجتهدا * لا والرغيف فذاك البر من قسمه

فان هممت به فافتك بخبزته * فان موقعها من لحمه ودمه

قد كان يعجبنى لو أن غيرته * على جرادقه كانت على حرمه

أبو نواس فى البؤبؤ الزنديق

لقيت فى آل زياد فتى * يلقب البؤبؤ حلو ظريف

ينزل للضيف بنياته * صيانة منه لعرض الرغيف

وان فى النيك لمستمتعا * عند اعتياض الخبز للمستضيف

آخر

أما الرغيف لدى الخوا * ن فمن حمامات الحرم

* ما ان يحس ولا يمس ولا يذاق ولا يشم

فتراه أخضر يابسا * بالى النقوش من الهرم

آخر أبو نوح دخلت عليه يوما * فغدانى برائحة الطعام
وقدم بيننا لحما سمينا * أكلناه على طبق الكلام
فلما أن رفعت يدى سقانى * كؤسا خمرها ريح المدام
فكان كمن سقى الظمآن آلا * وكنت كمن تغدى فى المنام

(وقال فى أبى نوح أيضا)

لأبى نوح رغيف * أبدا فى جردابه * فهى تحميه مدى الدهر بكم ووقايه
وله كاتب صدق * خط فيه بعنايه * فسيكفيكهم الله الى آخر الآيه

آخر استبق ودّ أبى المقا * تل حين تأكل من طعامه
سيان كسر رغيفه * أو كسر عظم من عظامه
فارفق بكسر رغيفه * ان كنت ترغب فى كلامه
وتراه من خوف النزو * ل به يروّع فى منامه

آخر خان عهدى عمرو وما خنت عهده * وجفانى وما تغيرت بعده
ليس لى مذ جنيت ذنب اليه * غير أنى يوما تغديت عنده

آخر أبو جعفر رجل عالم * بما يصلح المعدة الفاسده
تخوّف تخمة أضيافه * فعوّدهم أكلة واحده

أبو نواس فتى لرغيفه قرط وشنف * ولؤلؤتان من خرز وشذر
ودون رغيفه قلع الثنايا * وحرب مثل وقعة يوم بدر
وان كسر الرغيف بكى عليه * بكا الخنساء اذ فجعت بصخر

آخر رغيف أبى على حل خوفا * من الاضياف منزلة السماك
اذا كسروا رغيف أبى على * بكى بكى بكاء فهو باك

آخر ان هذا الفتى يصون رغيفا * ما اليه لناظر من سبيل
* هو فى قفتين من ادم الطا * ئف فى سلتين فى منديل
فى جراب فى جوف تابوت موسى * والمفاتيح عند ميكائيل

ابن بسام * أتانا بخبز له يابس * كمثل الدراهم فى خلقته
اذا ما تنفست عند الخوان * تطاير فى البيت من خفته

(وقال عباس الخياط)

رغيفه النجم لمن رامه * يرى ولا يطمع فى لمسه
كأنه فى جوف مرآته * يبدو ولا يطمع فى جسه
وفلسه الأمس الذى قد مضى * بل أمسه أوجد من فلسه

آخر رغيف فى الجبال عليه قفل * وخزان وأبواب منيعه
* رأى فى بيته يوما رغيفا * فقال لضيفه هذا وديعه

اعتل أبو هفان فى منزل ابن أبى طاهر فابطؤا عليه بالغداء فقال

أنا فى منزل خل * مشفق بى ورفيق

رجل أعمر من منـزله * ظهر الطريق
ليس لى أكل سوى لحـمى وشرب غير ريق

وللخطة يهجو رجلا

لاتعذلونى ان هجرت طعامه * خوفا على نفسى من المأكول
فتى أكلت قتلته من بخله * ومتى قتلت قتلت بالمقتول

وله أيضا يذم بخيلا

تبرم اذجئته للسلام * وأبدى لى الكره لمادخلت
فقلت له لايرعك الدخول * فوالله ماجئت الا أكلت

اين هذا من قول أبى العباس الصولى

لنا ابل كوم يضيق بها الفضا * وتفترعنها أرضها وسماؤها
فمن دونها ان تستباح دماؤنا * ومن دوننا أن تستذم دماؤها
حمى وقرى فالموت دون مرامها * وأهون خطب فى الحقوق بناؤها

وقوله لاتلومى فان همك ان أثـرى وهمى مكارم الاخلاق
كيف يسطيع حفظ ماجمعت كفاه من ذاق لذة الانفاق

وقوله تلج الضيوف بيوتهم وترى لها * عن جاريتهم ازورارمناكب
وتراهم بسيوفهم وشفارهم * مستشرفين لراغب أوراهب
حامين أوقارين حيث لقيتهم * نهب العفاة ونهزة للراغب

وجلس هرون بن محمد بن الزيات فى مجلس عبد الله بن سليمان فجعل هرون ينشد من شعر أبيه محاسنه فقال له ابن برد الخباز ان كان لابيك مثل قول ابراهيم

أسد ضار اذا ما هجته * وأب بر اذا ما قدرا *
يعرف الابعد ان أثرى ولا * يعرف الادنى اذا ما افتقرا

أومثل قوله تلج الضيوف البيتين فاذكره وفاخر به والا فأقلل من الفخار والتطاول بما لا طائل فيه فخجل هرون وابراهيم هذا أشعر الكتاب بلاخلاف وذكر الحريرى القدور وممن وصفها فأحسن الفرزدق حين قال

وقدعلم الجيران أن قدورنا * ضوامن للارزاق والريح زفزف
تفرغ فى شيزى كأن جفانها * حياض الملامنها ملاء ونصف
ترى حولهن المعتفين كأنهم * على صنم فى الجاهلية عكف

(وقال أمية بن أبى الصلت)

وكأنها بفنائه * للضيف مترعة زواخر
وكأنهن بما شحن وماجبن به ضرائر
زبد وقرقرة كقر * قرة الفحول اذا تخاطر

وقال النابغة فى مثله

له بفناء البيت سوداء فخمة * تلقم أعضاء الجزور العراعر

بقيــة قدر من قدور توارثت * لآل جلاح كابرا بعــد كابر
يظل الاماء يبتدرن قديحها * كما ابتــدرت سعد مياه قراقر

قديحها مرقها لانه يقدح أي يؤخذ بالمقدحة وهي المغرفة

وقال آخر وسوداء لاتكسي الرقاع نبيلة * لها عند قرات العشيات أزمل
اذا ما قرينا ها قراها تضمنت * قرى من عرانا او تزيد فتفضل

وقال مسكين الدارمي

كأن قــدور قومي كل يوم * قباب الترك ملبسة الجلال
بايديهم مغارف من حديد * أشــبهها مقــيرة الدوالي

الدالية الخطارة وفي ضد ذلك لابي نواس

رأيت قدور الناس تبلى على الصلا * وقدر الرقاشــيين بيضاء كالبدر
يضيق بحيزوم البعوضة صدرها * ويخرج ما فيهــا على طرف الظفر
اذا ما تنــادوا للرحيــل سعى بها * أمامهم الحولي من ولد الذر *

وقال الفرزدق

لو أن قدرا بكت من طول ما جهشت * على الحفوف بكت قدر ابن عمار
* ما مسها دسم مذ فض معدنها * ولا رأت بعــد نار القين من نار

وتسمى النار فاكهة الشتاء لما يجتني من تسخينها وقد أحسن ابن صارة في وصفها حيث قال

هات التي للايك أصل ولادها * ولها جبين الشمس في الاشماس
يتقشع اليــاقوت من لباتهــا * بوساوس تشفي من الوسواس
أنس الوحيد وصبح عين المجتلي * ولباس من أمسى بغــير لباس
حمراء ترفل في الســواد كأنها * ضربت بعرق من بني العباس

وقال آخر

لابنة الزند في الكوانين جمر * كالدراري في الليــلة الظلماء
خبروني عنها ولا تكذبوني * ألديها صناعة الكــيمياء
سبكت فحمها ســبائك تبر * رصعتها بالفضــة البيضاء
كلما ولول النســيم عليهــا * رقصت في غــلالة حمــراء
سفرت عن جبينها فأرتنا * حاجب الشمس طالعا في العشاء
لو ترانا من حولها قات شرب * يتعاطون أكؤس الصهباء

وقال الفقيه الاديب ابن لبال رحمه الله

فحم ذكت في حشاه نار * فقلت مسك وجلنــار
أو خد من قد هويت لما * أطل من فوقه العذار

وقال البحتري يصف كانونا

وذي أربع لا يطيق النهوض * ولا يألف السير فيمن سرى
تحمــله ســبجا أســودا * فيقلبــــه ذهبــا أحمــرا

(قوله قلبوا في قالبي) أي هم أمثالي لان قالب الشيء كل ما يجعل فيه ليجيء مثله وقلبوا اجعلوا في القالب (يمرحون) ينشطون ويطربون (ذوى الفتاء) أهل الفتوة والفتاء الحداثة والشباب يقال منه فتو يفتأ فتاء ويقال أيضا بكر فتي بين الفتاء وفتى من الناس بين الفتوة والفتى والفتية الشاب والشابة (الاصطلاء) التسخن بالنار (الثمل) السكران و(الطلاء) الخمر وأصل الطلاء الرب الثخين الاسود فسميت الخمر الصافية طلاء بضد صفتها كما سمي اللديغ سليما والاسود أبا البيضاء والذئب أبا جعدة وجعدة اسم الشاة (سرى الحصر) أي زال السكوت والحصر انقطاع الكلام وهو العي وحصر يحصر عي والحصر أيضا ضيق الصدر (انسرى الخصر) ذهب البرد والخصر البارد وخصر الرجل اذا آذاه البرد وآلمه في أطرافه (والروضات نورا) أي هي فاعمة بكثرة الطعام وأنواع الالوان (شحن) ملئن (الولائم) الاعراس (حين) سنعن (العائب) الذي يعيب الطعام (واللائم) الذي يقف على رؤس أضيافه فيقول سأكتم استعملوا وازدادوا فلان فيخجل أضيافه لذلك فلا يتمكنون من الطعام (رفضنا) تركنا (البطنة) الامتلاء من الطعام والذي قيل في البطنة البطنة تذهب الفطنة فقال تركنا هذا المعنى وخالفناه ورأينا أن البطنة وهي امتلاء البطن من الطعام والامعان فيه أي المبالغة في الأكل يقوى الفطنة ولولاها الا أنه يذهبها و(الفطنة) الذكاء وحدة الذهن * معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما أحل الله حلالا أبغض اليه من بطن ملئ طعاما فقصروا من الطعام تملؤا من الحكمة * المقدام بن معديكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه * عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا أيها الناس اياكم والبطنة فانها مكسلة عن الصلاة مفسدة للجسد مورثة للسقم وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه اياكم والبطنة فانها مفسدة للقلب * الاصمعي قال أعرابي اذا كنت بطينا فعد نفسك زمنا وقال الحرث بن كلدة أربعة أشياء يهرمن البدن الغشيان على البطنة ودخول الحمام على الامتلاء وأكل القديد ومجامعة العجوز وقال الاصمعي كنت عند هرون الرشيد فقدمت اليه فالوذجة فقال يا أصمعي حدثني بحديث مزرد أخي الشماخ قلت ان مزردا كان رجلا جسيما وكانت أمه تؤثر عيالها بالزاد وكان يحفظه ذلك منها فذهبت يوما في بعض حقوق أهلها وخلفته في بيتها فدخل خيمتها فأخذ صاعين من دقيق وصاعا من عجوة وصاعا من سمن فضرب بعضه ببعض وأكله ثم أنشأ يقول

ولما مضت أمي تزور عيالها * أغرت على العك الذي كان يمنع
خلطت بصاعي حنطة صاع عجوة * الى صاع سمن فوقها يتربع
ودليت أمثال الاثافي كأنها * رؤس لعاد قطعت لا تجمع
وقلت لبطني أبشر اليوم انه * حمى آمن مما يغير ويفزع
فان كان مصفورا فهذا دواؤه * وان كنت غرثانا فذا اليوم تشبع

فاستضحك منه حتى أمسك بطنه واستلقى على ظهره ثم قدم يده بمال وقال خذ فهذا يوم تشبع يا أصمعي (قوله الحطم) أي الذي يحطم ويكسر ورجل محطم وحطمة اذا كان قليل الرحمة للماشية وفي المثل شر الرعاء الحطمة وقال الراجز * قد لفها الليل بسواق حطم * فعنى اكتلنا

وقلبوا في قالبي وهم يجتنون فاكهة الشتاء ويمرحون مرح ذوى الفتاء فأخذت ما أخذهم في الاصطلاء ووجدت بهم وجد الثمل بالطلاء ولما ان سرى الحصر وانسرى الخصر أتيناهم أنه كالهالات دورا والروضات نورا وقد شحن بأطعمة الولائم وحين من العائب واللائم فرفضنا ما قيل في البطنة ورأينا الامعان فيها من الفطنة حتى اذا اكتلنا بصاع الحطم

واشفينا على خطر التخم ثم تعاورنا مشوش الغمر ثم تبوّأنا مقاعد السمر وأخذ كل واحد منا يشول بلسانه وينشر مافي صوانه
ماعدا شيخا مشتعلا فوداه مخلولقا برداه فانه ربض حجرة وأوسعنا هجرة فغاظنا تجنبه الملتبس موجبه المعذورفيه
مؤنبه الا أنا ألنا له القول وخشينا في المسئلة العول وكلما رمنا أن يفيض كما افضنا أو يفيض فيما أفضنا أعرض اعراض
العلية عن الارذلين وتلا ان هذا الا أساطير الاولين ثم كأن الحمية هاجته والنفس الأبية ناجته فدلف وازدلف
وخلع الصلف وبذل ان يتلافى ماسلف ثم استرعى سمع السامر واندفع كالسيل الهامر وقال
عندي أعاجيب أرويها بلا كذب
عن العيان فكنوني أبا العجب
رأيت يا قوم أقواما غذاؤهم
بول العجوز وما أعنى ابنة العنب
*(بول العجوز لبن البقرة والعجوز أيضا من أسماء الخمر)
ومسنتين من الاعراب قوتهم
أن يشتوا خرقة تغني من السغب
(الخرقة القطعة من الجراد)
وقادرين متى ماساء صنعهم
أوقصروا فيه قالوا الذنب للحطب
(القادر الطابخ في القدر والقدير المطبوخ فيها)
وكاتبين وما خطت أناملهم
حرفا ولا قرؤا ماخط في الكتب
(الكاتبون الخرازون يقال كتب السقاء والمزادة اذا خرزهما وكتب البغلة أو الناقة اذا جمع بين شفريها وخاطهما قال الشاعر
لاتأمنن فزاريا خلوت به
على قلوصك واكتبها باسيار
وتابعين عقابا في مسيرهم
على تكميهم في البيض واليلب
(العقاب الراية وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم تسمى العقاب) ومنتدين ذوي نبل بدت لهم*
نبيلة فانثنوا منها الى الهرب *(النبيلة الجيفة ومنه تنبل البعير اذا مات وأروح يعني نتن)* وعصبة لم ترالبيت العتيق وقد*
حجت جثيا بلا شك على الركب *(معنى حجت جثيا أي غلبت بالحجة* مجادلين جاثين على الركب وجثي جمع جاث)*
ونسوة بعدما أدلجن من حلب * صبحن كاظمة من غير ما تعب *(كاظمة في هذا الموضع من كظم الغيظ)*
ومدلجين سروا من أرض كاظمة* فأصبحوا حين لاح الصبح في حلب*(في حلب أي أصبحوا يحلبون اللبن)* ويافع لم يلامس قط غانية
*شاهدته وله نسل من العقب *(النسل ههنا العدو وقال تعالى وهم من كل حدب ينسلون والعقب مؤخر القدم)*

بصاع الحطم أي اكلنا أكل أكول لايشفق على نفسه من السقم (وأشفينا) أشرفنا (خطر) غرر (التخم) جمع تخمة بفتح الخاء وهو أن يثقل الطعام على المعدة ويتغير والعامة تسكن الخاء وقد يجيء ذلك في الشعر قال اعرابي

واذا المعدة جاشت * فارمها بالمنجنيق
بثلاث من نبيذ * ليس بالحلو الرقيق
تهضم التخمة هضما * حين تجري في العروق

و(تعاورنا) الشيء تداولناه وأخذه بعضنا من بعض وأزلناه من موضع الى موضع وعور العين زوالها و(الغمر) ريح اللحم وزهمه (تبوّأنا) أخذنا ونزلنا (السمر) الحديث يسمر عليه (يشول بلسانه) أي يضرب به في كل كلام وشال رفع و(الصوان) وعاء يصان فيه الشيء (فوداه) ناحيتا رأسه والفود مابين طرف الجبهة والاذن (مخلولقا) كثير البلا (برداه) ثوباه (ربض) جلس وفي المثل فلان يربض حجرة ويرتق وسطا يضرب مثلا لمن يساعدك مادمت في خير فربض حجرة أي جلس في ناحية وبرك (أوسعنا) كثرانا (الهجرة) المباعدة والمقاطعة يريد أنه اعتزلهم وجلس ناحية ولم يكلمهم بكلمة (تجنبه) تباعده يقال تجنبتك وتجانبتك أي تباعدت عنك والجار الجنب البعيد ومازاره الا عن جنابة أي عن بعد (الملتبس موجبه) أي الذي التبس علينا ما أوجبه (مؤنبه) لائمه (العول) الزيادة (رمنا) طلبنا (يفيض كما افضنا) يتكلم كما تكلمنا والفيض زيادة الماء (ويفيض فيما أفضنا) اي يأخذ معنا في النوع الذي أخذنا فيه (أعرض) لوى وجهه (العلية) الاشراف (الارذلين) الادنياء (أساطير) تآليف وكتب (الحمية) عزة النفس (هاجته) حركته (الأبية) العزيزة (ناجته) حدثته (دلف) مشى الينا (وازدلف) تقرب (خلع) أزال (الصلف) مجاوزة قدر الظرف حتى يفضي به ذلك الى أن تأخذه بابا مافيخالفك ولايعبأ بك (يتلافى) يتدارك (سلف) مضى (استرعى) دعاهم للاستماع يقال ارعني سمعك أي اسمع مني (الهامر) الكثير الانصباب (العيان) أي المشاهدة بالعين (مسنتين) أصابتهم السنة أي اشتد عليهم (يشتوا) يتخذوا شواء (السغب) الجوع (تكميهم) تسترهم (البيض) مايجعل في الرؤس في الحرب (منتدين) مجتمعين (انثنوا) رجعوا (النبيلة) الحاذقة في فعلها (عصبة) جماعة (أدلجن) سرن بالليل ومثله سروا (لاح) ظهر (يافعا) شابا (يلامس) يلاعب ويمسها بيده (غانية) امرأة جميلة غنيت بحسنها عن الزينة (صبحن كاظمة) أي سقين الصبوح كاظمة غيظها

وشاءباغيرمخف للمشيب بدا * فى البدووهوفتى السن لم يشب (الشائب ههنا مازج اللبن المشيب اللبن الممزوج و يقال فيه مشيب ومشوب)* ومرضعا بلبان لم يغفه * رأيته فى شجار بين السبب * (الشجار المحفة مالم تكن مظللة فان ظلت فهو الهودج والسبب ههنا الحبل ومنه قوله تعالى فليمدد بسبب الى السماء* وزارعاذرة حتى اذا حصدت * صارت غبيراء يهواها أخو الطرب *(الغبيراء المسكر المتخذ من الذرة و يسمى أيضا السكركة وفى الحديث اياكم والغبيراء فانها خمر العالم)* وراكبا وهو مغلول على فرس * قد غل أيضا وما ينفك عن خبب *(المغلول ههنا العطشان وغل أى عطش)* وذا يد طلق يقتاد راحلة * مستعجلا وهو مأسور أخو كرب *(المأسور الذى يجد الاسر وهو احتباس البول)* وجالسا ماشيا تهوى مطيته * به ومافى الذى أوردت من ريب *(الجالس الآتى نجدا والماشى الذى كثرت ماشيته وعليه فسر بعضهم قوله تعالى ان امشوا كأنه دعاء لهم بكثرة الماشية والنماء والبركة) وحائكا اجذم الكفين ذا خرس * فان عجبتم فكم فى الخلق من عجب *(الحائك ههنا الذى اذا مشى حرك ٣٣٠ منكبيه وفحج بين ركبتيه)* وذا شطاط كصدر الرمح قامته * صادقته بنى يشكو من الحدب (الحدب ما ارتفع من الارض) وساعيا فى مسرات الانام يرى افراحهم مأثما كالظلم والكذب *(لافراحهم اثقالهم بالدين ومنه قوله عليه السلام لا يترك فى الاسلام مفرح اى مثقل من الدين أو يقضى عنه دينه)* ومغرما بمناجاة الرجال له وماله فى حديث الخلق من أرب *(الخلق ههنا الكذب ومنه قوله تعالى ان هذا الا خلق الاولين)* وذا ذمام وفت بالعهد ذمته ولا ذمام له فى مذهب العرب *(الذمام الثانى جمع ذمة وهى البئر القليلة الماء وعنى بالمذهب المسلك أى ماله آبار قليلة الماء فى البدو)* بين

وذا قوى ما استبانت قط لينته * ولينه مستبين غير محتجب *(اللين نخل الدقل ومنه قوله تعالى ما قطعتم من لينة)* وساجدا فوق نخل غير مكترث * بما أتى بل يراه أفضل القرب *(النخل الحصير المتخذ من خال النخل)* وعاذرا مؤلما من ظل يعذره * مع التلطف والمعذور فى صخب *(العاذر الخاتن والمعذور المختون)* و بلدة ما بها ماء اغترف * والماء يجرى عليها جرى منسرب *(البلدة الفرجة بين الحاجبين وتسمى أيضا البلجة)* وقرية دون أفحوص القطا شحنت * بديلم عيشهم من خلسة السلب *(القرية بيت النمل والديلم النمل الكثير وخلسة السلب لحاء الشجر)* وكوكبا يتوارى عند رؤيته الانسان حتى يرى فى أمنع الحجب *(الكوكب النكتة البيضاء التى تحدث فى العين والانسان ههنا انسان العين)* وروثة قومت مالاله خطر * ونفس صاحبها المال لم تطب *(الروثة مقدم الانف)* وصحفة من نضار خالص شريت * بعد المكاس بقيراط من الذهب (النضار ههنا شجر النبع ومنه قول بعض التابعين لا بأس أن يشرب فى قدح النضار عنى به هذا)*

وصحبه سقاه صبوحا وكظم غيظه تجرعه وهو قادر على الايقاع بعدوه ولم يمضه وكظم خصمه أجابه بالمسكت فافحمه وأصل الكظم للبعير وهو ان يرد جرته فى حلقه ولا يجترها (كاظمة) موضع على سيف البحر أى على ساحله على مرحلتين من البصرة وفيه ركايا كثيرة وماؤها مشروب (اللبان) لبن الآدميات (يفه) ينطق (يهواها) يحبها (أخو الطرب) صاحبه المولع به (ينفك) يزول (خبب) نوع من السير (طلق) سارح (كرب) هم (تهوى) تسقط وتسرع (ريب) شكوك (أجذم) مقطوع (خرس) بكم (شطط) طول (مغرما) شديد الحب (مناجاة) محادثة (أرب) حاجة (مكترث) منكسر من الهم (القرب) جمع قربة وهى ما يتقرب به الى الله تعالى من أعمال البر (عاذر) قابل العذر (مؤلما) موجعا (التلطف) الرفق واللين (الصخب) الصياح وتفسير ظاهر البيت أن تقول رأيت عاذرا يوجع الذى يعتذر له مع تلطف العاذر للمعتذر وتليينه القول له والمعتذر فى صياح من شدة ضرر العاذر له فتتقابل هذه الاضداد فاذا فسرت بتفسير الحريرى صح المعنى و(منسرب) داخل فى السرب وهو الحفير فى الارض (قرية) مدينة و(أفحوص القطا) مرقدها وهى تفحصه برجليها توسعه (شحنت) ملئت و(الديلم) أمة من العجم (خلسة) سرقة و(السلب) المال المسلوب (يتوارى) يتغطى وقال الحسن بن هانئ فى صفة الكوكب الذى هو النكتة على انسان العين

أعور المقلة من غير عوج * لو عداه عور العين انسمج
تحسب النكتة فى ناظره * درة بيضاء فى فص سبج

(قوله خطر) أى حظ كثير والخطير الرفيع القدر (نضار) ذهب أحمر (المكاس) المماكسة

وستحيشا بخشخاش ليدفع ما * أظله من أعاديه فلم يخب *(الخشخاش الجماعة عليهم دروع وأسلحة)*
وطالما مر بي كلب وفي فمه * ثور ولكنه ثور بلا ذنب *(الثور القطعة من الاقط وهو نوع من الجبن)* وكم رأى ناظري فيلا على جمل *
وقد تورك فوق الرحل والقتب *(الفيل الرجل الفائل الرأي)* وكم لقيت بعرض البيد مشتكيا * وما اشتكى قط في جد ولا لعب
(المشتكي المتخذ شكوة وهي القربة الصغيرة) وكنت أبصرت كرازا الراعية * بالدو ينظر من عينين كالشهب *(الكراز
كبش يحمل عليه الراعي أداته)* وكم رأت مقلتي عينين ماؤهما * ٣٣١ يجري من الغرب والعينان في حلب (الغرب

مجرى الدمع والعينان المقلتان)*
وصادعا بالقنا من غير أن علقت
كفاه يوما برمح لا ولم يثب
(القنا ارتفاع الانف وتحدب وسطه وصدع به أي كشفه)
وكم نزلت بأرض لا نخيل بها
و بعد يوم رأيت البسر في القلب
(البسر جمع بسرة وهو الماء الحديث العهد بالمطر والقلب جمع قليب)
وكم رأيت باقطار الفلا طبقا
يطير في الجو منصبا الى صبب
(الطبق القطعة من الجراد)
وكم مشايخ في الدنيا رأيتهم
مخلدين ومن يحبو من العطب
(المخلد الذي أبطأ شيبه)
وكم بدا الي وحش يشتكي سغبا
بمنطق ذلق أمضى من القضب
(الوحش الرجل الجائع)
وكم دعاني مستنج فادني
وما أخل ولا أخللت بالادب
(المستنجي الجالس على نجوة وهو المكان المرتفع)
وكم أنخت قلوصي تحت جنبذة

بين المتبايعين وهو أن يطلب صاحب السلعة من المشتري سوما فلا يزال المشتري يراجعه و ينقص له مما طلب شيأ شيأ حتى يتفقا على ما يتراضيان عليه و (المستحيش) الجامع للجيش و (الخشخاش) نبت معروف وقال ابن وكيع يصفه

وخشخاش كأنما منه نفري * قميص زبرجد عن جسم در
كاقداح من البلور صيغت * وأغشية من الديباج خضر

(أظله) قرب منه وكأنه أغشاه ظله و (القتب) خشب الرحل والرحل برذعة البعير (بعرض البيد) بجانب القفار (كراز) اناء و (الدو) الصحراء و (الغرب) الدلو العظيمة (في حلب) في سيلان وجري (البسر) التمر الذي لم يطب (القليب) البئر والجمع القلب (اقطار الفلا) نواحي القفار (والصبب) الانحدار (العطب) الهلاك (السغب) الجوع (ذلق) حاد (أمضى) أقطع (القضب) السيوف (أخل) نقص (المستنجي) الجالس لقضاء حاجة الانسان (أنخت) أبركت (قلوصي) ناقتي الفتية (تظل) تستر (سر) أدخل عليه السرور وقد بين هو أنه المقطوع السرة وقال في الدرة فيما يكنى في المعاريض المقاول الذي ضربت قلته أي أعلاه * والمركوب الذي ضربت ركبته * والمذكور الذي قطع ذكره * والمسرور الذي قطعت سرته قال ومن الاحاجي بأبيات المعاني

نسرهم وان هم أقبلوا * وان أدبروا فهم من نسب

أي نطعنهم اذا أقبلوا في السرة واذا أدبروا في السبة وهو الاست وأنشد أيضا

ذكرت أبا عمرو فمات مكانه * فواعجبا هل يهلك المرء من ذكر
وزرت عليا بعده فرأيته * ففارق دنياه ومات على صبر

ذكرته قطعت ذكره ورأيته قطعت رئته (مستهل) سائل (القطر) مصدر قطر اذا سقط ولا يقال استهل حتى يكون مع انصبابه صوت (واهي) ضعيف (العصب) حبال الجسد (الازار) هو المئزر الذي يجعل عوضا من السراويل (حثيث) مسرع أراد به ذكر الانسان في حال نكاحه المرأة انه مضطرب سريع السير والدفع فيقول ان المرأة التي كانت تبل الذكر عند الجماع لو هلكت لبقي جافا وأراد باللبد موضع اللبد وهو الظهر * الفنجديهي يقول كم من امرأة لو ماتت لترك زوجها كثرة الحركة في طلب المعاش مرضاة لها وجفوف العرق قد يكون من السكون والتفسير الاول أبين وهذا الثاني يحتمل ما وصفه بالسرعة والاضطراب وهو صفة فرس جعل له لبدا فألغز بذلك وقال اعرابي ماتت امرأته

*تظل ما شئت من عجم ومن عرب (الجنبذة القبة والعرب جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها من قوله تعالى عربا أترابا)
وكم نظرت الى من سر ساعته * ودمعه مستهل القطر كالسحب (سر أي قطع سره ويسمى ما يبقى بعد القطع السرة)
وكم رأيت قيصا ضر صاحبه * حتى انثنى واهي الاعضاء والعصب (القميص الدابة الكثيرة القماص وهو الوثوب والنفز)
وكم ازار لوان الدهر أتلفه * لجف لبد حثيث السير مضطرب (الازار المرأة ومنه قول الشاعر فدى لك من أخي ثقة ازاري)

وكنت فريستي وغلاف بضعي * فأمسى البضع ليس له غلاف

ومن اللغز فيه قول الآخر

وصاحب معجب في طول صحبته * لا ينفع الدهر الا وهو محموم
تأتيك في نافض الحمى منافعه * وان أفاق يرى في وجهه اللوم

وقال الاقيشر وكان عنينا فغالط في شعره بالضد

ولقد عدوت بمشرف يافوخه * عسر المكرة ماؤه يتدفق
أرن يسيل من النشاط لعابه * ويكاد جلد إهابه يتمزق
حتى علوت به مشق ثنية * طورا يغور بها وطورا يغرق

(قوله أفانين) أي ضروب وأنواع والأفانين الأساليب وهي أجناس الكلام وطرقه * الازهري أفانين جمع أفنان وأفنان جمع فنن وهو الغصن والخصلة من الشعر وقيل الافنون الفن وهو ضرب من الشجر والحبال والجمع أفانين (ملح) ما يتكلم به من حلو الكلام وألغازه (تلهى) تشغل (نخب) مختارة (لحن القول) معناه ومذهبه واللحن التورية وهي أن تظهر خلاف ما تضمر (الطلع) أول ما يخرج من الثمر (والرطب) الطيب منه (شدهتم) تحيرتم (طفقنا) أخذنا (نخبط) نتكلم بالزائد والناقص (تأويل) تفسير (معاريضه) ما عرض به ولم يتمه (الخلي) الذي لا هم له و(الشجي) الحزين وياء الخلي مشددة وياء الشجي مخففة وقد شددت ياء الشجي في الشعر اتباعا لياء الخلي وقالوا اني لآتيه بالغدايا والعشايا فحملوا الغدايا على العشايا وحكى ثعلب في غير الفصيح عن الاصمعي تثقيل الياء فيهما ومن جعل شجي فعل كحذر خفف ومن جعله فعيل مثل غني شدد وفعل بغير ياء أقيس والتشديد في المثل أحسن للازدواج (تعسر) صعب (النتاج) ما ينتج لهم من المعاني (استحكم) توثق (الارتتاج) الانغلاق وأرتج على القارئ وارتتج اذا لم يقدر على القراءة كأنه أطبق عليه و(يرتشي) يأخذ الرشوة وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لعن الله الراشي والمرتشي والرائش فقيل وما الرائش قال الذي يمشي بينهما (ألقينا اليه المقادة) أي انقدنا له * ورزأت الرجل أرزؤه اذا أصبت منه خيرا ورزأته ماله نقصته (والزبال) بالكسر ما تحمله النملة بفيها و(الاريحية) الاهتزاز للجود (ساء) حزن و(الرغم) الذلة والهوان (شنشنة) طبيعة (حاتمية) منسوبة الى حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج أحد بني ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيئ يكنى أبا سفانة وأبا عدي فارس شاعر جاهلي أحد الاجواد الذين يضرب بهم المثل بل هو أشهرهم وهم كعب بن مامة وهرم بن سنان وحاتم وكان اذا قاتل غلب واذا غنم نهب واذا سئل وهب واذا قامر سبق واذا أسر أطلق واذا أثرى أنفق ويقال انه لا يعرف ميت قرى أضيافه الا هو وذلك أن ركبا من العرب نزلوا بموضع قبره وقد نفد زادهم وفيهم رجل يكنى أبا خيبري فجعل يقول أبا سفانة أما تقري أضيافك أبا سفانة ان اضيافك جياع بعيدها فلما نام ثار من نومه وهو يقول وا راحلتاه عقرت والله ناقتي فقال له أصحابه وكيف قال رأيت أبا سفانة قد انشق عنه قبره فاستوى قائما ينشدني

أبا خيبري لأنت امرؤ * ظلوم العشيرة لوامها
وماذا تريد الى رمة * بدوية صخب هامها

هذا وكم من أفانين معجبة
عندي ومن ملح تلهي ومن
نخب
فان فطنتم للحن القول بان
لكم
صدق ودلكم طلعي على رطبي
وان شدهتم فان العار فيه على
من لا يميز بين العود والخشب
(قال الحرث بن همام)
فطفقنا نخبط في تقليب
قريضه وتأويل معاريضه
وهو يلهو بنا لهو الخلي
بالشجي ويقول ليس بعشك
فادرجي الى أن تعسر النتاج
واستحكم الارتتاج فالقينا
اليه المقادة وخطبنا منه
الافادة فوقفنا بين الطمع
والياس وقال الايناس
قبل الابساس فعلمنا أنه ممن
يرغب في الشكم ويرتشي
في الحكم وساء أبا مثوانا أن
نعترض للغرم أو نخيب بالرغم
فأحضر صاحب المنزل ناقة
عيدية وحلة سعدية وقال
له خذهما حلالا ولا ترزأ
أضيافي زبالا فقال أشهد
أنها شنشنة أخزمية وأريحية
حاتمية ثم قابلنا بوجه

(ذكر حاتم الطائي)

أبتغي أذاها واسعارها * ودونك طي وأنعامها

ثم عمد الى سيفي فانتضاه من غمده وعقر ناقتي وقال دونكم فما أيقظني الا رغاؤها واذا بالناقة ترغو ما تنبعث فقالوا قد والله قراك حاتم فنحروها وأكلوا وتزودوا واقتسموا متاع أبي خيبري واستمر والوجهتهم فلما صاروا في الظهيرة وضح لهم راكب يجنب بعيرا يؤم سمتهم حتى التقوا فقال لهم أفيكم أبو خيبري قالوا نعم فقال فان عدي بن حاتم رأى أباه البارحة وهو يقول ان أبا خيبري وأصحابه استقروني فقريتهم ناقته فعوضه منها وزده بكرا يحمل عليه متاعه وهذه الناقة وهذا البكر فارتحل أبو خيبري الناقة وتخفف هو وأصحابه من أزوادهم على البكر ومضوا بأتم قرى وأدرك عدي ابنه النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه وكان يحدث أصحابه بهذا الحديث بعد اسلامه وقال الشاعر في عدي

أبوك أبو سفانة الخير لم يزل * لدن شب حتى مات في الخير راغبا

قرى قبره الاضياف اذ نزلوا به * ولم يقر قبر قبله الدهر راكبا

وكانت سفانة بنته من أجود نساء العرب وكان أبوها يعطيها الصرمة من ابله فتهبها وتعطيها الناس فقال لها أبوها يا بنية ان الغويين اذا اجتمعا في المال أتلفاه فاما ان أعطي وتمسكي واما أن أمسك وتعطي أنت فانه لا يبقى على هذا شيء فقالت والله لا أمسك أبدا قال وأنا لا أمسك أبدا قالت فلا نتجاور فقاسمها ماله وتباينا وحكي ان أمه كانت من أسخى الناس وأقراهم للضيف وكانت لا تحبس شيأ تملكه وهي عتبة بنت عفيف بن عمرو بن عبد القيس فلما رأى اخوتها اتلافها حجروا عليها ومنعوها مالها حتى اذا ظنوا انها قد وجدت ألم ذلك أعطوها صرمة من ابلها فجاءتها امرأة من هوازن تسألها فقالت دونك الصرمة فخذيها فوالله لقد عضني من الجوع ما لا أمنع بعده سائلا أبدا ثم أنشأت تقول

لعمري لقدما عضني الجوع عضة * فآليت أن لا أمنع الدهر جائعا

فقولا لهذا اللائم اليوم أعفني * فان أنت لم تفعل فعض الاصابعا

فماذا عسيتم أن تقولوا لاختكم * سوى عذلكم أو عذل من كان مانعا

وهل ما ترون اليوم الا طبيعة * وكيف بتركي يا ابن أم الطبائعا

فقد اكتنفه الجود من أمه وأبيه وقالت امرأته النوار أصابتنا سنة اقشعرت لها الارض واغبر أفق السماء وضنت المراضع عن أولادها فما تبض بقطرة فأيقنا بالهلاك فوالله اني لفي ليلة صبيرة بعيدة الطرفين اذ تضاغى صبيتنا جوعا عبد الله وعدي وسفانة فقام الى الصبيين وقمت الى الصبية فوالله ما سكتوا الا بعد هدأة من الليل وأقبل يعللني بالحديث فعرفت ما يريد فتناومت فلما تغورت النجوم اذا شيء قد رفع كسر البيت فقال من هذا فقالت جارتك فلانة أتتك من عند صبية يتعاوون من الجوع عواء الذئاب فما وجدت معولا الا عليك أبا عدي فقال أعجليهم فقد أشبعك الله واياهم فأقبلت تحمل اثنين وتمشي الى جانبها أربعة كأنها نعامة حولها رئالها فقام الى فرسه فوجأ لبتها بمدية فخرت ثم كشط الجلد ودفع المدية الى المرأة وقال شانك فاجتمعنا على اللحم نشوي ونأكل ثم جعل يأتيهم بيتا بيتا ويقول هبوا أيها القوم عليكم بالنار فاجتمعوا والتف في ثوبه ناحية ينظر الينا والله ان ذاق منها مزعة وانه لاحوج اليها منا فأصبحنا

قوله صبيرة أي شديدة البرد اهـ مصححه

وماعلى الارض منها الاعظم وحافر فأنشأ يقول

مهلا نوار أقلى اللوم والعذلا * ولا تقولى لشئ فات مافعلا
ولا تقولى لشئ كنت مهلكه * مهلا وان كنت معطى العنس والجملا
يرى البخيل سبيل المال واحدة * ان الجواد يرى فى ماله سبلا

ولم يكن يمسك شيأ ماعدا فرسه وسلاحه فانه كان لا يجود به وذكر الحريرى أنّ عقيلا تمثل بقول حاتم * شنشنة أعرفها من اخزم * وكان عقيل بن علفة المرى غيورا نفورا وكانت الخلفاء تصاهره فخطب اليه عبد الملك ابنته لبعض ولده فقال أما ان كان ولا بدّ فجنبنى هجناء ولدك وخرج يمتار ومعه ابنه وابنته الجرباء فنزلوا بالشأم بدير سعد فلما ارتحلوا قال عقيل

قضت وطرا من دير سعد وربما * على غرض ناطحنه بالجماجم

ثم قال لابنه أجز يا عملس فقال

فأصبحن بالمرماة يحملن فتية * نشاوى من الادلاج ميل العمائم

ثم قال لابنته الجرباء أجيزى فقالت

كأنّ الكرى أسقاهم صرخدية * عقارا تمشت فى المطا والقوائم

فقال لها وما يدريك مانعت الخمر ثم سل السيف فاستغاثت بأخيها فاختبل فخذيه بسهم فبرك ومضوا وتركوه حتى بلغوا المياه الدانية اليهم فقالوا لاهل المياه انا أسقطنا جزورا فأدركوها فوجدوا عقيلا باركا وهو يقول * انّ بنىّ ضرجونى بالدم * الابيات (قوله بشره) أى طلاقته (يشف) يتلألأ ويرق حتى يكاد يصف ماوراءه من السرور (نضرته) نعمته ورونقه (ترف) تندى (استحوذ) غلب واستولى (افزعوا) الجؤا (لتشربوا نشاطا) أى يمشى النشاط فى أجسادكم حتى ترووا به (تبعثوا) تنتبهوا (نشاطا) جمع نشيط ككريم وكرام ونشط ينشط فهو نشيط اذا كان طيب النفس للعمل (تعوا) تحفظوا (المتعسر) الصعب (كراه) نومه (وسنت) خالطها الوسن وهو النوم (أغفت) نامت (قوله خدّى) أى أسرعى (تتهمى وتنجدى) تقصدى تهامة ونجدا (ايه) معناه زيدى فى سيرك (اجهدى) اتعبى (افرى) اقطعى (أديم) جلد (فدفد) أرض صلبة وقيل مستوية وقيل فلاة وأراد بالاديم وجه الارض * ونشح ينشح نشحا شرب قليلا قليلا (تحطى) تنزلى (العمد) والعمود مايقوم عليه الخباء (وقوله يخاطب ناقته

انك ان أحللتنى فى بلدى * حللت منى بمحل الولد)

قد جاء فى كلامهم نظيره وضدّه وكلاهما فى بابه حسن * قال الشماخ فى ضدّه من مجازاة الناقة على احسانها بالسوء

اذا بلغتنى وحملت رحلى * عرابة فاشرقى بدم الوتين

(وناقضه الآخر فقال)

أقول لناقتى اذ بلغتنى * لقد أصبحت منى باليمين
فلم أجعلك للقربان طعما * ولا قلت اشرقى بدم الوتين

(وتبعه ذو الرمة فقال)

أقول لها اذ شمر الليل واستوت * بها البيد واستنت عليها الحزاور

بشره يشف ونضرته ترف وقال ياقوم ان الليل قد اجلوّذ والنعاس قد استحوذ فافزعوا الى المراقد واغتنموا راحة الراقد لتشربوا نشاطا وتبعثوا نشاطا فتعوا ماأفسر ويتسهل لكم المتعسر فاستصوب كل ماراه وتوسد وسادة كراه فلما وسنت الاجفان وأغفت الضيفان وثب الى الناقة فرحلها ثم ارتحلها ورحلها وقال مخاطبا لها

سروجَ ياناق فسيرى وخدى
وأدلجى وأوّبى وأسئدى
حتى تطأ خفاك مرعاها الندى
فتنعمى حينئذ وتسعدى
وتامنى أن تتهمى وتنجدى
ايه فدتك النوق جدّى واجهدى
وافرى اديم فدفد ففدفد
واقتنعى بالنشح عند المورد
ولا تحطى دون ذاك المقصد
فقد حلفت حلفة المجتهد
بحرمة البيت الرفيع العمد
انك ان أحللتنى فى بلدى
حللت منى بمحل الولد

قال فعلمت انه السروجى الذى اذا باع

انباع واذا املأ الصاع انصاع ولما انبلج صباح اليوم وهبّ النوّام من النوم أعلمتهم أن الشيخ حين أغشاهم السبات طلقهم البتات وركب الناقة وفات فأخذهم ماقدم وماحدث ونسوا ماطاب منه بما خبث ثم انشعبنا فى كل مشعب وذهبنا تحت كل كوكب (قال الشيخ الرئيس) أبو محمد القاسم بن على رضى الله عنه قد فسرت سرّ كل لغز تحته ولم أبعد على من يقرؤه كشفه وقد بقيت ألفاظ اشتملت عليها هذه المقامة ربما التبس تفسيرها على بعض من تقع اليه فأحببت ايضاحها له ليكفى حيرة الشبهة وكلفة الفكرة ووصمة البحث والمسئلة وبالله تعالى الاستعانة والقوة (قوله عشوت الى نار) يعنى تنوّرتها فقصدتها فان لم تقصدها قلت عشوت عنها كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن أى يعرض (وقوله وأنا أصرد من عين الحرباء والعنز الجرباء) هذان مثلان يضربان لمن يبلغ منه البرد وذلك لان الحرباء تدور أبدا مع الشمس وتستقبلها بعينها ولذلك شبه ابن الرومى الرقيب بالحرباء فى قوله * ما بالها قد حسنت ورقيبها * أبدا قبيح قبح الرقباء ما ذاك الا انها شمس الضحى * أبدا يكون رقيبها الحرباء والعنز الجرباء لا تدفأ فى الشتاء لقلة شعرها وذكر بعضهم أن العنز الجرباء تصحيف المثل الاول (وقوله من خروار) يعنى الجمل المكتنز شحما الكثير مخا (وقوله عشاره تخور وأعشاره تفور) العشار النوق ٢٣٥ الحوامل والاعشار البرمة العظيمة كانها شعبت لعظمها يقال برمة أعشار وجفنة أكسار وثوب أسمال وبرد أخلاق وحبل أرمام ووصف الجماعة منها كوصف الواحد (وقوله فاكهة الشتاء) كنى بها عن النار ومنه قول بعض المحدثين

النار فاكهة الشتاء فمن يرد * أكل الفواكه شاتيا فليصطل

ان الفواكه فى الشتاء شهية * والنار للمقرور أفضل مأكل

(وقوله موائد كالهالات) يعنى دارات القمر ودارة الشمس تسمى الطفاوة (وقوله مشوش الغمر) يعنى المنديل يقال مش يده بالمنديل أى مسحها ومنه قول امرئ القيس

(نمش بأعراف الجياد أكفنا * اذا نحن قمنا عن شواء مضهب

(وقوله مشتهبا فوداه) أى صارا من الشيب فى لون الاشهب ومنه قول امرئ القيس أيضا * قالت الخنساء لما جئتها * شاب بعدى رأس هذا واشتهب (وقوله ربض حجرة) يعنى ناحية ويقال فى المثل لمن يشارك فى الرخاء ويجانب عند البلاء يرتع وسطا ويربض حجرة (وقوله فاسترعى سمع السامر) يعنى السمار لان السامر اسم للجمع كالحاضر اسم للحى النازلين على الماء وكالباقر اسم لجماعة البقر وقال بعض أهل اللغة هو اسم للبقر مع رعاتها واشتقاق السامر من السمر وهو ظل القمر مأخوذ من السمرة فلما كان غالب أحوال السمار أنهم يتحدثون فى ظل القمر اشتق لهم اسم منه والى هذا يرجع قولهم لا أكلمه القمر والسمر (وقوله ليس بعشك فادرجى) هذا مثل يضرب لمن يتعاطى مالا ينبغى له والعش ما يكون فى شجرة فاذا كان فى حائط أو كهف جبل فهو وكر (وقوله الا ينأس قبل الابساس) هذا مثل أيضا ومعناه

اذا ابن أبى موسى بلالا بلغته * فقام بفاس بين رجليك جازر

وتوجيه الحسن فى هذا المذهب على شنعة ظاهره أنه لا يبالى بفقدها الان الممدوح يحمله ويعطيه فهو فى غنى عنها ومن يعيب هذا يقول مجازاة الحسن بالسوء قبيح وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرأة التى قالت وقد نجت على ناقته نذرت ان نجانى الله عليها ان أنحرها بئس ما جازيتها ولا نذر لك فى مال غيرك والمذهب الاحمد فى ذلك قول عبد الله بن رواحة رضى الله عنه حين خرج فى جيش موتة يخاطب ناقته

اذا بلغتنى وحملت رحلى * مسيرة أربع بعد الحساء

فشأنك فانعمى وخلاك ذم * ولا أرجع الى أهلى ورائى

ولهذا أتبعه الحريرى فى شعره وقال الحسن

واذا المطىّ بنا بلغن محمدا * فظهورهنّ على الرحال حرام

قربننا من خير من وطئ الثرى * فلها علينا حرمة وذمام

وقال داود بن أسلم يمدح قثم بن العباس رضى الله عنهما

نجوت من حل ومن رحلة * يا ناق ان بلغتنى من قثم

انك ان بلغتنيه غدا * عاش لنا الخير ومات العدم

(قوله انباع) أى جرى ومدّ باعه ومعناه هرب منه فى سيره * يقال صعت الشئ فانصاع أى فرقته فتفرق ومعناه اذا ملأ كيسه من عطاء قوم راح عنهم (انبلج) أضاء (هب) انتبه (أغشاهم) غطاهم (السبات) النوم الخفى كالغشية * ثعلب السبات ابتداء النوم فى الرأس حتى يبلغ القلب وسبت الرجل فهو مسبوت نعس و (البتات) القطع البائن (فات) أى فرّ فلا يلحق

أنه ينبغي أن يؤنس الانسان ثم يكلف وأصله ان حالب الناقة يؤنسها حين يروم حلبها ثم يبس بها للحلب والابساس أن تقول لها بس بس لتسكن وتدرّ وتسمى الناقة التي تدرّ على الابساس البسوس (وقوله يرغب في الشكم) الشكم ما أعطيته على سبيل المجازاة فان أعطيته مبتدئا فهو الشكد (وقوله ساء أبا مثوانا) يعني المضيف الذي اووا اليه وثووا عنده (وقوله ناقة عيدية) قيل انها منسوبة الى فحل منجب اسمه عيد وقيل هي منسوبة الى فخذ من مهرة اسمه عيد بن مهرة وكانت مهرة وعيد تتخذان نجائب الابل فنسبت اليهما (وقوله حلة سعيدية) هي منسوبة الى سعيد بن العاص وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كساه وهو غلام حلة فنسب جنسها اليه (وقوله لاترزأ أضيافي زبالا) اى لاترزأهم شيأ وان قل والاصل في الزبال ما تحمله النملة بفيها (وقوله شنشنة أخزمية) اشار به الى المثل الذي ضربه جد حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن اخزم الطائي حين نشأ حاتم وتقيل أخلاق جده أخزم في الجود فقال شنشنة أعرفها من أخزم وتمثل عقيل بن علفة به حين قال * ان بنيّ ضرّجوني بالدم * من يلق آساد الرجال يكلم * شنشنة اعرفها من أخزم * ومن ادعى ان المثل له فقد سها فيه (وقوله اجلوّذ) اى اسرع في الذهاب ومثله اخروّط (وقوله وثب الى الناقة فرحلها) ٣٣٦ يعني شد عليها الرحل وبه سميت الراحلة لانها فاعلة بمعنى مفعولة كقوله تعالى في عيشة راضية اى مرضية وكقوله تعالى من ماء دافق اى مدفوق والراحلة تقع على الناقة والجمل ودخول الهاء فيها للمبالغة مثل داهية وراوية (وقوله ارتحلها) اى ركبها وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد فركبه الحسن فأبطأ في سجوده فلما قضى صلاته قال ان ابني ارتحلني فكرهت ان أعجله (وقوله ورحلها) اى أزعجها وأشخصها وأجدّ بها في الرحيل ومنه الخبر تخرج عند اقتراب الساعة نار من قعر عدن ترحل الناس (وقوله فأدلجى وأوّبي وأسئدي) الادلاج ان تسير الليل كله والاسم منه الدلجة بفتح الدال والادّلاج بالتشديد أن تسير من آخره والاسم منه الدلجة بضم الدال وقيل فتحها وضمها بمعنى واحد والتأويب سير النهار وحده والاسآد أن تسير ليلا ونهارا والنشح ان تشرب دون الري (وقوله فأخذهم ماقدم وماحدث) يقال ذلك لمن تستولى الهموم عليه وتتلاعب به وتضم الدال من حدث في هذا الموضع وحده ليوافق لفظها لفظ قدم فان افردت حدث عن قدم وجب فتح الدال من حدث ومثله قولهم هنأني ومرأني بحذف الالف من أمرأني اذا ذكر مع هنأني فان افردته وجب ان تقول أمرأني الشئ (وقوله ذهبنا تحت كل كوكب) هذا المثل يضرب لمن يختلف في السفر طرقهم وتتباين سبلهم *(المقامة الخامسة والاربعون الرملية)* (حكى الحرث بن همام) قال كنت أخذت عن أولى التجاريب ان السفر مرآة الاعاجيب فلم أزل أجوب كل تنوفة وأقتحم كل مخوفة حتى اجتليت كل أطروفة فمن احسن مالمحته واغرب ما استملحته ان حضرت قاضي الرملة وكان من ارباب الدولة والصولة وقد ترافع اليه بال في بال وذات جمال في اسمال فهمّ الشيخ بالكلام وتبيان المرام فمنعته الفتاة من الافصاح وخسأته عن النباح

*وذكر الحريري في درّة الغواص ان قولهم حدث أمر بضم الدال قياسا على أخذه ماقدم وما حدث خطأ وانما ضمت الدال من حدث حين قرن بقدم للمحافظة على الموازنة فاذا أفردت لفظة حدث زال موجب الضم ووجب الرد الى الاصل قال وأنشدني بعض أدباء خراسان لابي الفتح البستي

جزعت من أمر فظيع قد حدث * أبو تميم وهو شيخ لا حدث
* قد حبس الاصلع في بيت الحدث *

لم نتعرض في شرح هذه المقامة لما ثبت في كتاب المقامات من شرح منشيها بل نعقب ما أهمله وكان الاولى اثبات ما شرح بنصه اذ هو وفق لغرضه

(شرح المقامة الخامسة والاربعين وهي الرملية)

(أولى التجاريب) أى أصحابها وأهلها (أجوب) أقطع (تنوفة) قفرة (اقتحم) أدخل (اجتليت) رأيت (أطروفة) عجيبة (لمحته) نظرته (استملحته) وجدته مليحا (الصولة) الاستطالة وقد صال اذا استطال وهدّد (ترافع) أى تداعى للحكومة ورفع كل واحد صاحبه (بال) شيخ كبير (في بال) في ثوب خلق و(أسمال) ثياب خلقة واحدها سمل وسمل الثوب وأسمل ويقال أيضا ثوب اسمال فيوصف بالجمع كما يقال رمح أقصاد وبرمة أعشار (تبيان المرام) تبيين مراده واظهار حجته (الافصاح) التبيين (خسأته) أبعدته وطردته (النباح) الكلام هنا وخسأ ونبح أصلهما

فى الكلب ويقال خسأت الكلب خسأ طردته وأبعدته وخسأ الكلب بنفسه اى انخسأ يتعدى
ولا يتعدى قال تعالى اخسؤا فيها اى تباعدوا تباعد سخط (نضت) جردت (الوشاح) الحزام وهو
المنطقة * الفنجديهى الوشاح شبه قلادة تنسج من ادم عريضة وترصع بالجواهر وغيرها
(السليطة) المستطيلة بلسانها (الوقاح) التى ليس فى وجهها حياء فهى تقول ماشاءت (الرملة)
قرية بالشأم وقسم الشأم خمسة أقسام فخمس منه فلسطين ومدينته العظمى الرملة والرملة
أربعة آلاف ضيعة ومن مدن فلسطين ايلياء مدينة بيت المقدس بينها وبين الرملة ثمانية عشر
ميلا وقال ابن ظفر عشرون فرسخا (التمرة والجمرة) الخير والشر والنفع والضر ويضرب بهما
المثل فى هذا المعنى ومن قضى له القاضى بشئ فكأنه قد أعطاه و (البيت) عنت به فرجها (يحجج)
يقصد اليه بالجماع وقولها (سوى مرة) تريد أول مرة وطئها وافترعها ولم يعد لها بعد تلك المرة
* وتعنى بالنسك افتراعها وما هنالك من الدم * وعنت برمى الجمرة اتيانه لها وجمع الجمر جمار وهى
الحجارة الصغار عند العرب وجمر الرجل تجميرا رمى جمار مكة قال عمر بن أبى ربيعة

فلم أر كالتجمير منظر ناظر * ولا كليالى الحج أفلتن ذا هوى

ثم نضت عنها فضلة الوشاح
وانشدت بلسان السليطة
الوقاح
يا قاضى الرملة يا ذا الذى
فى يده التمرة والجمره
الملك اشكو جور بعلى الذى
لم يحجج البيت سوى مرة
وليته لما قضى نسكه

ومنه الحديث واذا استجمرت فأوتر معناه تمسحت بالحجارة (أبو يوسف) هو يعقوب بن ابراهيم
ابن حسين بن سعد بن حبيب الانصارى وأبو يوسف كوفى صاحب أبا حنيفة فغلب عليه حتى قالوا
أبو يوسف أبو حنيفة أى يسد مسده ويغنى عنه وروى عن أبى حنيفة والمطرف والمغيرة وهشام
ابن عروة والشيبانى وكان صدوقا من أهل الدين والعلم وكان قاضى القضاة ببغداد لثلاثة خلفاء
المهدى والهادى والرشيد وكانت أم جعفر قد استفتته فى مسئلة فأفتاها بما أوجبه العلم عنده
فوافق بذلك مرادها فأهدت له حقا من فضة فيه طيب وجام فضة فيه دنانير فقال له بعض من
حضره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهديت له هدية فجلساؤه شركاؤه فيها فقال
أبو يوسف تأولت الخبر على ظاهره والاستحسان قد منع من امضائه فان ذلك اذ كان هدايا الناس
التمر واللبن لا فى هذا الوقت والهدايا ذهب وورق وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قال أبو جعفر
الطحاوى ولد أبو يوسف سنة ثلاث عشرة ومائة * حماد رأيت أبا حنيفة يوما وعن يمينه أبو يوسف

(ذكر أبى يوسف صاحب
ابى حنيفة)

وعن يساره زفر وهما يتجادلان فى مسئلة فلا يقول أبو يوسف قولا الا أفسده عليه زفر ولا يقول
زفر قولا الا أفسده عليه أبو يوسف الى وقت الظهر فلما أذن المؤذن رفع أبو حنيفة يده فضرب بها
فخذ زفر وقال لا تطمع فى رياسة فى بلد فيها أبو يوسف فقضى لابى يوسف * على بن حرملة التيمى
قال أبو يوسف كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقل رث الحال فجاء أبى يوما وأنا عند
أبى حنيفة فانصرفت معه فقال يا بنى لا تمدن رجلك مع أبى حنيفة فان خبز أبى حنيفة مستو
وأنت محتاج الى المعاش فقصرت عن كثير من الطلب وآثرت طاعة والدى فتفقدنى أبو حنيفة
وسال عنى فجعلت أتعهد مجلسه فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخرى عنه قال لى ما يشغلك عنا
قلت الشغل بالمعاش وطاعة والدى فلما انصرف الناس دفع الى صرة وقال استمتع بهذه واذا فيها
مائة درهم وقال لى الزم الجماعة فاذا نفدت فاعلمنى فلزمت الحلقة فلما مضت مدة يسيرة دفع الى
مائة أخرى ثم كان يتعهدنى كذلك وما أعلمته بنفادها قط وكأنه كان يخبر بنفادها حتى استغنيت
وتمولت * على ابن الجعد حدثنى أبو يوسف قال توفى أبى ابراهيم وخلفنى صغيرا فى حجر أمى

فأسلمتني الى قصار أخدمه فكنت أدع القصار وأمر على حلقة أبي حنيفة فأجلس واستمع فتجيء أمي فتأخذ بيدي وتذهب بي الى القصار وكان أبو حنيفة يعنى بي لما كان يرى من حرصي على التعلم فلما طال ذلك على أمي وكثر عليها هربي قالت لابي حنيفة ما لهذا الصبي فساد غيرك هذا صبي يتيم لا شيء له وانما أطعمه من مغزلي وآمل أن يكتسب دانقا يعود به على نفسه فقال لها أبو حنيفة مري يا رعناء ها هو ذا يتعلم أكل الفالوذج بدهن الفستق فانصرفت عنه وهي تقول أنت شيخ قد خرفت وذهب عقلك قال ثم لزمته ونفعني الله تعالى بالعلم ورفعني حتى تقلدت القضاء فكنت أجالس الرشيد وآكل معه على مائدته فلما كان في بعض الايام قدم اليه فالوذجة فقال لي كل يا يعقوب فليس في كل يوم يعمل لنا مثلها فقلت وما هذه يا أمير المؤمنين فقال هذه فالوذجة بدهن فستق فضحكت فقال لي مم تضحك فقلت خيرا أبقى الله أمير المؤمنين فقال لتخبرني وألح علي فحدثته بالقصة من أولها الى آخرها فعجب من ذلك وقال لعمري ان العلم لينفع ويرفع دينا ودنيا وترحم على أبي حنيفة وقال انه كان ينظر بعين عقله ما لا ينظره غيره بعين رأسه وأبو يوسف أول من دعي بقاضي القضاة في الاسلام

* اسحق الموصلي حدثني بشر بن الوليد وسألته من أين جاء فقال كنت عند أبي يوسف القاضي وكنت في حديث ظريف فقلت حدثني به فقال قال لي أبو يوسف كنت البارحة قد أويت الى فراشي فاذا داق يدق الباب بشدة فأخذت علي ازاري وخرجت فاذا هو ابن أعين يقول أجب أمير المؤمنين فقلت يا أبا حارثة لي بك حرمة وهذا وقت كما ترى ولست آمن ان يكون أمير المؤمنين دعاني لمكروه فان أمكنك أن تدع الامر الى غد فلعله أن يحدث له رأي فقال ما لي الى ذلك من سبيل قلت كيف كان السبب قال خرج الي مسرور الخادم فأمرني ان آتي بك أمير المؤمنين فقلت أتأذن لي أن أصب علي ماء وأتحنط فان كان أمر كنت قد أحكمت شأني وان رزق الله العافية فلن يضر فدخلت ففعلت ذلك وتطيبت ثم خرجنا الى دار الرشيد ومسرور واقف فقلت يا أبا هاشم خدمتي وحرمتي وهذا وقت ضيق أفتدري لم طلبني قال لا قلت فمن عنده قال عيسى بن جعفر وحده ثم قال مر فاذا صرت في الصحن فحرك رجليك فانه في الرواق ففعلت فقال من هذا قلت يعقوب قال ادخل فدخلت فسلمت فرد علي السلام وقال أظننا روعناك قلت اي والله ومن خلفي قال اجلس فلما سكن روعي قال يا يعقوب هل تدري لم دعوتك قلت لا قال لاشهدك على هذا ان عنده جارية فسألته أن يهبها أو يبيعها الي فأبى ووالله لئن لم يفعل لاقتلنه فالتفت الى عيسى وقلت وما بلغ قدر الجارية أتمنعها أمير المؤمنين وتنزل نفسك هذه المنزلة فقال لي عجلت القول قبل أن تعرف ما عندي ان علي يمينا بالطلاق والعتاق وصدقة ما أملك أن لا أبيعها الاحد ولا أهبها فالتفت الي الرشيد فقال لي هل لك في ذلك مخرج فقلت نعم قال وما هو قلت يهب لك نصفها ويبيعك نصفها فيكون لم يبع ولم يهب قال عيسى ويجوز ذلك قلت نعم قال فأشهدك أني قد وهبت له نصفها وبعت منه نصفها بمائة ألف دينار وأتي بالجارية فقال خذها يا أمير المؤمنين بارك الله لك فيها قال يا يعقوب وبقيت واحدة قلت يا أمير المؤمنين وما هي قال هي مملوكة ولا بد أن تستبرأ ووالله ان نفسي لتخرج ان لم أبت معها فقلت يا أمير المؤمنين تعتقها وتتزوجها فان الحرة لا تستبرأ قال فاني قد أعتقتها فدعا بمسرور وحسن وخطبت وحمدت الله ثم زوجت على عشرين ألف دينار ودفع المال اليها ثم قال يا يعقوب

انصرف ثم قال يامسرور احمل الى أبى يوسف مائتى ألف درهم وعشرين تختا ثيابا فحمل معى ذلك قال بشر فالتفت الى يعقوب فقال هل رأيت بأسا فيما فعلت قلت لا قال فخذ منها العشر فشكرته وذهبت لاقوم واذا بعجوز دخلت فقالت يا أبا يوسف بنتك تقرئك السلام وتقول والله ماوصلنى من أمير المؤمنين فى ليلتى هذه الا المهر الذى قد عرفت وقد جعلت اليك النصف منه وخلفت الباقى لما أحتاج اليه فقال رديه فوالله لاقبلته أخرجتها من الرق وزوجتها من أمير المؤمنين وترضينى بهذا فلم نزل نتلطف اليه أنا وعمومتى أن يقبلها فقبلها وأمر لى بألف دينار * وأما صلة الحج بالعمرة التى ذكر الحريرى فان أبا يوسف فى ذلك مخالف لمالك رضى الله عنهما فى ان القران فى الحج أفضل من الافراد وهو مذهب على بن أبى طالب رضى الله عنه (وقوله خف ظهرا) أى حط عن ظهره بعض الذنوب والذى أرادت انه لم يأتها ولا جامعها غير مرة واحدة فخفف بها ظهره وبعض شهوته وليته فعل ذلك مرتين فورت بظاهر كلامها عن هذا المعنى * وجاءت امرأة الى المغيرة بن شعبة بزوجها تستعديه عليه وتذكر انه عنين فقال الرجل

الله يعلم يامغيرة أننى * قد دستها دوس الحصان المرسل
وأخذتها أخذ المعنف شاته * عجلان يذبحها لقوم نزل

فقال له المغيرة انى لارى ذلك فى شمائلك وخاصمت الدهناء بنت مسحل أحد بنى مالك بن سعد بن زيد مناة العجاج وكان من بنى عمها الى والى اليمامة فكان أبوها يعينها على ذلك فقال له اهل اليمامة ألا تستحى تطلب العسب لابنتك فقال انى احب ان يكون لها ولد فان افرطتهم اجرت وان بقوا دعوا الله لها فدخلت على الوالى فقالت انى منه بجمع فقال لعلك تغارين الشيخ فقالت انى لارخى له بادى وأقيم صلبى فقال العجاج انى لآخذها العقيلى والشغربية فقال قد أجلتك سنة وانما أراد ستره فقال العجاج

اظنت الدهنا وظن مسحل * ان الامير بالقضاء يعجل
عن كسلاتى والحصان يكسل * عن السفاد وهو طرف هيكل

فقالت هى

والله لولا خشية الامير * وخشية الشرطى والمثير
لجلت من شيخ بنى الفقير * كجولان صعبة عسير

فأخذها وضمها اليه يقبلها فقالت

تالله لا تخدعنى بالضم * اليك والتقبيل بعد الشم
الا بهزاز يسلى همى * ينزع عنى فتخى فى كمى

فذهب بها الى اهلها فطلقها فى تلك الليلة سرا ولو استقبلها العجاج بما وصف ابن الرومى حيث يقول

الا يا هند هل لك فى ممد * غليظ تفرحين به متين
يشد به حشا الغلام نيك * من الفتيان منقطع القرين
فمن يره يول يقول انى * بدا من فرجها ثلثا جنين

لرضيته ولم تحاكمه (قوله الفة) صحبة (اخلع) ازيل و (ابو مرة) كنية ابليس لعنه الله وكنى بذلك لما تقدم ان ابغض الاسماء الى الله تعالى مرة وحرب تقول اما صاحبنى صحبة يرضينى فيها بكثرة الجماع والا ازلت عنى الحياء وخرجت ازنى وافسق فى طاعة ابليس ولو عالجها بما كان يعالج به

وخف ظهرا اذ قضى الجمره
كان على رأى ابى يوسف
فى صلة الحجة بالعمره
هذا على انى مذ ضمنى
اليه لم اعص له امره
فرواما الفة حلوة
ترضى واما فرقة مره
من قبل ان اخلع ثوب الحيا
فى طاعة الشيخ ابى مره

رجل زوجته وكان اذا وقع بينهما شر اشخى عليها بالجماع فكانت تقول لعنك الله كلما وقع بيننا شر جئتني بشفيع لا اقدر على رده فلو جاءها بهذا الشفيع لما رفعته الى الوالى * محمد بن يحيى بن حبان عاتبت جدتى جدى فى قلة الباه فقال لها انا وانت على قضاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه قالت وما قضاء عمر قال قال ان الرجل اذا اتى امرأته فى كل طهر مرة فقد أدى حقها قالت فكل الناس تركوا قضاء عمر وأقمت انا وانت عليه وقال اعرابى كبر وعجز

عجبت من ايرى كيف يصنع * ادفعه باصبعى فيرجع * يقوم بعد الشد ثم يركع

دخل عيسى بن موسى على جارية له فعجز فقال

النفس تطمع والاسباب عاجزة * والنفس تهلك بين العجز والطمع

*خلا ثمامة بن اشرس بجارية له فعجز فقال ويحك ما أوسع حرك فقالت

انت الفداء لمن قد كان يملؤه * ويشتكى الضيق منه حين يلقاه

*وكان عروة بن أشيم اوفر الناس ايرا واشدهم نكاحا وكان اذا أنعظ يستلقى على قفاه فيأتى الفصيل الجرب فيحتك بايره يظنه الجذل وهو عود فى العطن ينصب لتحتك به الابل الجربى ويزعمون انه اصاب ايره جنب عروس زفت اليه فقالت له أتهددنى بالركبة وهو القائل

الا ربما انعظت حتى اخاله * سينقد للانعاظ أو يتمزق

فأعمله حتى اذا قلت قد ونى * ابى وتمطى جامحا يتمطق

واقبل رجل على على رضى الله عنه فقال ان لى امرأة كلما غشيتها تقول قتلتنى قتلتنى فقال اقتلها وعلى اثمها *وقع اعشى همدان اسيرا عند الديلم ثم ان ابنة العلج الذى اسره عشقته فمكنته ليلة من نفسها فأصبح وقد واقعها ثمان مرات فقالت له يا معشر المسلمين أهكذا تفعلون بنسائكم قال هكذا نفعل كلنا فقالت بهذا العمل نصرتم أفرأيت ان خلصتك تصطفينى فعاهدها فحلت قيوده بالليل وأخذت به فى طرق تعرفها حتى تخلص فقال اسير شاعر فيه

فمن كان يفديه من الاسر ماله * فهمدان تفديها الغداة ايورها

كان عبد الله بن عمر من انزه الناس نفسا وابعدهم عن المزاح وذكر الفاحشة فجاءه ابن ابى عتيق يوما وكان صاحب مزاح وفكاهة وفى يده رقعة فيها

ذهب الاله بما تعيش به * وقمرت مالك اى ما قمر

انفقت مالك غير مكترث * فى كل زانية وفى الخمر

وكانت هجته بهما امرأته عاتكة بنت عبد الرحمن المخزومى فقال يا أبا عبد الرحمن انظر هذه الرقعة وأشر على برأيك فيها فلما قرأها عبد الله استرجع فقال ما ترى فيمن هجانى بهذا الشعر قال ارى ان تعفو وتصفح فقال يا أبا عبد الرحمن لئن لقيت صاحبه لانيكنه نيكا جيدا فأخذ ابن عمر من قوله وأرعد وأزبد وقال مالك غضب الله عليك فقال ما هو الا ما قلت لك وافترقا فلما كان بعد ايام لقيه ابن عمر فأعرض عنه فصاح يا أبا عبد الرحمن انى لقيت صاحب البيتين فنكته والله نيكا شافيا وأقسم على ذلك فصعق ابن عمر فلما رأى ابن ابى عتيق ما حل به دنا منه وقال له فى اذنه انها والله امرأتى فقام ابن عمر وقد سرى عنه وهو يضحك فقبله بين عينيه وقال أحسنت زده من هذا الادب فلن يهجوك بعدها ابدا (قوله عزتك) اى نسبتك (توعدتك) هددتك (عزك) شانك وعابك

فقال له القاضى قد سمعت ما عزتك اليه وتوعدتك عليه فجانب ما عزتك

وحاذران تفرك وتعرك فجثا الشيخ على ثفناته وفجر ينبوع نفثاته وقال اسمع عداك الذم قول امرئ * يوضح فيما رابها عذره
والله ما أعرضت عنها قلى * ولا هوى قلبي قضى نذره وانما الدهر عدا صرفه فابتزنا الدرة والدره فمنزلي قفر كما جيدها
عطل من الجزعة والشذره
وكنت من قبل ارى في الهوى
ودينه رأي بني عذره
فمذ نبا الدهر هجرت الدمى
هجران عف آخذ حذره
وملت عن حرثي لا رغبة
عنه ولكن اتقي بذره
فلا تلم من هذه حاله
واعطف عليه واحتمل هذره
قال فالتظت المرأة من مقاله
وانتضت الحجج لجداله وقالت
له ويلك يا مرقعان يا من هو
لا طعام ولا طعان اتضيق
بالولد ذرعا ولكل اكولة
مرعى لقد ضل فهمك
واخطأ سهمك وسفهت
نفسك وشقيت بك عرسك
فقال لها القاضي أما أنت
فلو جادلت الخنساء لانثنت
عنك خرساء واما هو فان
كان صدق في زعمه ودعوى
عدمه فله في همّ قبقبه
ما يشغله عن ذبذبه فأطرقت
تنظر ازورارا ولا ترجع
حوارا حتى قلنا قد راجعها
الخفر أو حاق بها الظفر
فقال لها الشيخ تعسا لك ان
زخرفت أو كتمت ما عرفت
فقالت ويحك وهل بعد
المنافرة كتم أو بقي لنا
على سر ختم وما فينا الا
من صدق وهتك صونه اذ
نطق فليتنا لاقينا البكم
ولم نلق الحكم ثم التفعت بوشاحها وتباكت لافتضاحها وجعل القاضي يعجب من خطبهما ويعجب ويلوم لهما الدهر ويؤنب
ثم احضر من الورق ألفين وقال أرضيا بهما الاجوفين وعاصيا النازغ

ولطخك بشر وساءك وعرّ فلان قومه بشر لطخهم به (حاذر) خف (تفرك) تبغض وفركت المرأة
زوجها أبغضته (وتعرك) تدلك دلكا شديدا مثل دلك الاديم وعركت القوم في الحرب قاتلتهم
(جثا) يجثو جثوا وجثيا جلس على ركبتيه (الثفنات) ما ولي الارض من اعضاء البعير وغلظ
اذا برك على الركبتين والكركرة (ينبوع) ماؤها النابع (نفثاته) كلماته (عداك) تجاوزك
(يوضح) يبين (رابها) شككها وأدخل عليها الريبة (أعرضت) صددت (قلى) بغض (هوى)
حب (النذر) ان ينذر الانسان على نفسه شيأ يفعله وقضى نحبه استوفى غرضه (عدا) ظلم
(صرفه) تصرفه بالانكاد (ابتزنا) سلبنا (الدرّة) اللؤلؤة (والدرة) اللبن ومال العرب الابل
وعيشهم من لبنها فلهذا جنس بالدرّة مع الدرة (جيدها) عنقها (عطل) خال (الجزعة)
خرز يماني وهي التي فيها بياض وسواد (والشذر) قطع من ذهب يفصل بها بين الجواهر وقيل
الجزع خرز ملون والشذر خرز أخضر وقيل الشذرة القطعة من الذهب تلتقط من المعدن من
غير اذابة الحجارة (بني عذرة) قبيلة يغلب على قلوبهم حب النساء فكل من أفرط في حبهن قيل له
عذري فنسب اليهم وسئل اعرابي فقيل له من اين أنت فقال من قبيلة اذا أحبوا ماتوا فسمعته
جارية فقالت عذري ورب الكعبة (قوله نبا) أي ارتفع و زال خيره (الدمى) النساء المشبهات في
بياضهن وصفائهن بصور الرخام وكان العاشق من العرب اذا غلب عليه العشق والهجر ذهب
الى الامصار فاشترى صورة من رخام على صورة محبوبته فاذا ركب بعيره أجلس الصورة بين
يديه يحدثها ويستريح اليها فسموا النساء دمى تشبيها بصور الرخام (عف) عفيف (البذر)
ما يزرع في الارض من الحبوب وحرثه نكاحه وأراد بالبذر ما يزرعه فيها من النطفة (هذره)
هذيانه وكلامه الفارغ (التظت) حقدت والتهبت غيظا و(انتضت) جردت (جداله) خصامه
(مرقعان) كثير الرقاعة والرقاعة كالحماقة كأن عقله تخرق فرقع * وضقت بالشيء ذرعا اذا لم
تقدر عليه (ضل) تحير (عرسك) زوجك (جادلت) خاصمت (انثنت) رجعت (خرساء) بكماء
(زعمه) ما ادعاه (قوله قبقبه) القبقب البطن والقبقبة الصوت الذي يدور فيه فسمي به
(والذبذب) الذكر وأصل الذبذبة الاهتزاز والاضطراب فسمي الذبذب لحركته ونظر عمر بن
الخطاب رضي الله عنه الى شاب فقال يا شاب ان وقيت شر ثلاث وقيت شر الشباب لقلقك
وذبذبك وقبقبك * الاصمعي اللقلق اللسان والقبقب البطن والذبذب الذكر (قوله أطرقت) اى
سكنت مميلة الى الارض رأسها حياء (ازورارا) ميلانا (والحوار) مراجعة الكلام (الخفر)
الحياء (حاق) لحق و(الظفر) هنا غلبة حجتها وظفرها به (تعسا) هلاكا (زخرفت) هنا زينت
الباطل (المنافرة) المحاكمة (ختم) ربط اى قد أظهرنا جميع أسرارنا (هتك) خرق (صونه) صيانته
(لاقينا البكم) اى أصابنا البكم وخلقنا خرسا فلم نبد ما أبديناه من القبائح والبكم الخرس مع عمى
وقال ثعلب البكم أن يولد الانسان لا ينطق ولا يسمع ولا يبصر وبكم بكما وبكامة و (الحكم)
الحاكم (التفعت) التفت والوشاح الثوب وقد توشحت بثوبها جعلته موضع وشاحها
(لافتضاحها) لاشتهارها بالقبائح (خطبهما) أمرهما (يعجب) يجعل غيره يعجب منه (يؤنب)
يوبخ ويلوم (الورق) الدراهم (الاجوفين) البطن والفرج (النازغ) الماشي بالشر المفسد

بين الالفين فشكراه على
حسن السراح وانطلقا
وهما كالماء والراح
وطفق القاضي بعد
مسرحهما وتنائي شخصهما
يثني على أدبهما ويقول
هل من عارف بهما فقال له
عين اعوانه وخالصة
خلصانه أما الشيخ فالسروجي
المشهود بفضله وأما المرأة
فقعيدة رحله وأما تحاكمهما
فكيدة من فعله واحبولة
من حبائل ختله فأحفظ
القاضي ما سمع وتلهف
كيف خدع ثم قال للواشي
بهما قم فردهما ثم
اقصدهما وصدهما فنهض
ينفض مذرويه ثم عاد
يضرب أصدريه فقال له
القاضي أظهرنا على ما نبثت
ولا تخف عنا ما استخبثت
فقال مازلت أستقري
الطرق واستفتح الغلق الى
أن أدركتهما مصحرين وقد
زما مطي البين فرغبتهما
في العلل وكفلت لهما بنيل
الامل فأشرب قلب الشيخ
أن ييأس وقال الفرار
بقراب أكيس وقالت
هي بل العود أحمد

ونزغ الشيطان بينهم ينزغ نزغا أغوى وأفسد و(الالفين) الصاحبين (السراح) الانصراف و(الراح) الخمر وهي سريعة الامتزاج مع الماء فيضرب بهما المثل في امتزاج نفوس المتحابين وقد جاء من ذلك في الشعر ما يستحسن قال ابن أبي فنن أحسن ما قيل فيه قول العباس بن الاحنف

لا أنس ما أنس عيناها معطفة * على فؤادي ويسراها على راسي
وقولها ليته ثوب على جسدي * وليتني كنت سربالا لعباس
وليته كان لي خمرا وكنت له * من ماء مزن فكنا الدهر في كاس

قال الحاتمي وأحسن دعبل كل الاحسان في قوله

الله يعلم والايام دائرة * والمرء ما بين ايحاش وايناس
اني أحبك حبا لو تضمنه * سلمى سميك ذلك الشاهق الراسي
حبا تلبس بالاحشاء وامتزجا * تمازج الماء بالصهباء في الكاس

وقال البحتري فأحسن

تهتز مثل اهتزاز الغصن حركه * مرور غيث من الوسمي سحاح
اني وجدتك من قلبي بمنزلة * هي المصافاة بين الماء والراح

(قوله طفق) أي جعل (مسرحهما) انصرافهما (تنائي شخصهما) بعد شخصهما و(عين الاعوان) مقدمهم و(الخلصان) الاحباب و(خالصة) خيار فكأنه خيار خيارهم (قعيدة رحله) زوجته وصاحبة بيته (مكيدة) مكر (أحبولة) شبكة (ختله) خداعه (أحفظ) أغضب (تلهف) تندم فصاح باللهفي (ردهما) اطلبهما (مذرويه) أطراف أليتيه (والاصدران) عرقان في الصدغين وقيل هما المنكبان وقيل العطفان ويقال أتى فلان ينفض مذرويه اذا جاء غاضبا يتهدد ويضرب أصدريه اذا جاء فارغا بلا حاجة فاذا اقضى حاجته قيل جاء ثانيا من عنانه وقال الحسن البصري ورأى الناس يوم عيد يضحكون فقال تلقى أحدهم أبيض بضاحك في الباطل ملخا ينفض مذرويه ويضرب أصدريه يقول هاأنا ذا فاعرفوني قد عرفناك مقتك الله ومقتك الصالحون يلخ يلج وقيل يتثنى ويتكسر (استخبثت) أصبته خبيثا (أستقري) أتتبع (الغلق) جمع غلقة وهي المغالق التي تسد بها الطرق وغيرها وباب غلق أي مغلق (مصحرين) ذاهبين في الصحراء (زما) شدا و(البين) الفراق و(العلل) هنا العطاء (كفلت) ضمنت (نيل الامل) درك الحاجة (أشرب) دوخل وألقي في نفسه و(الفرار بقراب أكيس) مثل وقراب الشيء ما يقاربه وأراد الهروب باليسير والقريب أكيس من الرجوع الى الطمع ويروى الفرار بقراب بكسر القاف وهو مصدر بمعنى المقاربة والمثل لجابر بن عمرو المازني وكان سائرا في طريق ومعه أوفى ابن مطر وشهاب بن قيس فتراءى آثار رجلين معهما فرسان وبعيران وكان قائفا فقال أرى آثار رجلين شديد كلبهما عزيز سلبهما والفرار بقراب أكيس ثم مضى هاربا والمعنى فرارنا ونحن بقرب السلامة خير لنا من أن نتورط في المكروه و(العود أحمد) أي أوفق وأحق ان يوجد محمودا والعود أحمد مثل أي الرجوع أحسن وقال المرقش

وأحسن فيما كان بيني وبينه * فان عاد بالاحسان فالعود أحمد

(وأنشد أبو العباس لعمارة)

بنى دارم ان يفن عمرى فقد مضى * حياتى لكم منى ثناء مخلد
بدأتم فأحسنتم وأثنيت جاهدا * وان عدتم أحسنت والعود أحمد

(قوله الفروقة) أى الفزاع الكثير الفرق وهو الخوف (يكمد) يحزن حزنا لا يستطيع امضاءه (تبين) علم (غرر) خطر (سفه) خفة والسفيه الخفيف العقل (اجترائها) جسارتها وجرأتها (ذلاذلها) أطراف ثوبها وذلاذل القميص ما يلى الارض من أسافله الواحد ذلذل مثل قمقم وقاقم (دونك) معناه قاربك ما تطلب فتناوله (اقتفى) اتبعى (سبله) طرقه (نقرت) أكلت ثمرتها بمنقارك وهو مثل ونقرت أيضا بحثت والتنقير البحث عن الشئ يقول متى ما أخذت من ثمر نخلة بنصيب ففارقها ولا ترجع اليها وفى حديث أبى سعيد قال النبى صلى الله عليه وسلم خلقت النخلة والرمانة والعنب من فضل طينة آدم عليه السلام و(البتة البتلة) التى لا رجعة فيها والبت القطع (سبلها) طرقها وأصله لابن السبيل (الناطور) حارس النخل خاصة بطاء غير معجمة وقيل هو حافظ الكرم والجمع النواطير (الابله) الكثير الغفلة (اللص) السارق و(عمله) سرقة وفعلة قبيحة (عنيت) تعبت (وليت) كلفت (رويدك) رفقك أى أولنا منك الرفق والمهل (لا تعقب) لا تتبع (الاذى) الضرر و(شمل) جمع (منصدع) متفرق (صوغ اللسان) كذبه وحيله وفى الحديث هذه كذبة صاغها الصواغ أى اختلقها الكذاب (مبتدع) أول فاعل (ساءتك) أحزنتك (شيخ الاشعريين) هو أبو موسى الاشعرى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه عبد الله بن قيس من ولد الاشعر بن أدد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن كهلان بن سبا قدم مكة وأسلم بها ثم هاجر الى أرض الحبشة ثم قدم مع جعفر بن أبى طالب الى المدينة والذى خدعه هو عمرو بن العاص فى قصة التحكيم بين على ومعاوية رضى الله عنهما وهى قصة مشهورة فى كتاب العقد وفى كتاب المسعودى وغيرهما من كتب الادب وفيها أشياء مناكير فى حق الصحابة رضى الله عنهم فلذلك أضربنا عن ذكرها (رائده) طالبه (أصحبه) جعله فى صحبته (بردين) ثوبين (صرة) خرقة تشد فيها الدراهم (العين) الذهب والفضة (سير من لا يرى الالتفات) أى سيرا سريعا لا يلتفت معه الى مهم (قوله بل أيديهما) يقال بللت به أبل اذا ظفرت به وبلك الله بابن أى رزقكه وفى الحديث بلوا أرحامكم ولو بالسلام أى صلوها وبللت رحمى أبلها بللا وبلالا اذا نديتها ووصلتها (الحباء) العطاء (جال) تصرف وقطع البلاد بالمشى

(شرح المقامة السادسة والاربعين وهى الحلبية)

(نزع بى) أى شوقنى وجاء بى و(حلب) مدينة عظيمة بالشام وقنسرين خمس من أخماس الشام ومدينته العظمى حلب وساحلها انطاكية وذكر شيخنا ابن جبير فقال حلب بلد قدرها خطير وذكرها فى كل زمان يطير خطابها من الملوك كثير كانت فى القديم ربوة فيما يقال كان يأوى اليها ابراهيم الخليل عليه السلام بغنمه فيحلبها هنالك ويتصدق بلبنها فسميت حلب وبها مشهد كريم منسوب اليه يتبرك الناس بالصلاة فيه ولها قلعة شهيرة الامتناع بائنة الارتفاع معدومة الشبه والنظير فى القلاع تنزهت حصانة أن ترام أو تستطاع قاعدة كبيرة ومائدة من الارض مستديرة منحوتة الارجاء موضوعة على نسبة اعتدال واستواء فسبحان من

والفروقة يكمد فلما تبين الشيخ سفه رأيها وغرر اجترائها أمسك ذلاذلها ثم أنشأ يقول لها

دونك نصحى فاقتفى سبله
واغنى عن التفصيل بالجمله
طيرى متى نقرت عن نخله
وطلقيها بتة بتله
وحاذرى العود اليها ولو
سبلها ناطورها الابله
فخير ما للص أن لا يرى
بقعة فيها له عمله

ثم قال لى لقد عنيت فيما وليت فارجع من حيث جئت وقل لمرسلك ان شئت

رويدك لا تعقب جميلك بالاذى * فتضحى وشمل المال والحمد منصدع
ولا تغضبن من تزيد سائل * فما هو فى صوغ اللسان بمبتدع
وان تك قد ساءتك منى خديعة * فقبلك شيخ الاشعريين قد خدع

فقال له القاضى قاتله الله فما أحسن شجونه وأملح فنونه ثم انه أصحب رائده بردين وصرة من العين وقال له سر سير من لا يرى الالتفات الى أن ترى الشيخ والفتاة فبل أيديهما بهذا الحباء وبين لهما انخداعى للادباء (قال الراوى) فلم أر فى الاغتراب كهذا العجاب ولا سمعت بمثله ممن جال وجاب

(المقامة السادسة والاربعون الحلبية) (روى الحرث بن همام) قال نزع بى الى حلب شوق غلب وطلب يا له من طلب

أحكم تدبيرها وتقديرها وأبدع كيف شاء تصويرها وتدويرها ومن كمال جمالها الزائد على المشترط لحصانة القلع أن الماء بها نابع وقد صنع عليها جفان والطعام يصبر فيها الدهر كله وليس من شروط الحصانة أهم من هاتين الخلتين ويطيف بجبلها سور ان حصينان يعترض دونهما خندق بالماء فلا يكاد البصر يبلغ مدى عمقه وسورها الاعلى مجلل كله ابراج منتظمة فيها القلالي المنيعة قد تفتحت كلها طبقات وكل برج منها مسكون والبلد ضخم جدا جميل الترتيب أسواقه متصلة الانتظام تخرج من سماط صنعة الى سماط أخرى وقيساريتها وجامعها ومدارسها ما سمع بمثل وصفها في بلد من بلاد الله تعالى كل سوق من أسواقها مسقف بالخشب يفيد البصر حسنا ويستوقف المستوفز تعجبا وقيساريتها حديقة بستان نظافة وجمالا مطيفة بجامعها وأكثر حوانيتها خزائن من الخشب البديع الصنعة قد اتصل السماط كله خزانة واحدة وتخللتها شرف حسنة بديعة النقش وتفتحت كلها حوانيت فجاءت في أجمل منظر وكل سماط منها يتصل بباب من أبواب الجامع ثم أخذ ابن جبير في وصف الجامع والمدارس والبيمارستان بأنواع من الاوصاف الحسان (قوله يا له) معناه التعجب كانه قال ما أعجبه من طالب (خفيف الحاذ) أي قليل العيال وتقدم الحاذ في السادسة (حثيث النفاذ) سريع المضي في أموره ورجل نافذ ونفوذ ونفاذ ماض في جميع أموره (أهبة) عدة (خفت) ارتحلت بسرعة (حلت ربوعها) نزلت في بيوتها (ارتبعت ربيعها) التمست خيرها (أفاني) أقاطع وفني الشيء ثم وانقطع و(الغرام) عذاب الحب و(الاوام) العطش و(اقصر) كف وأقصرت عن الشيء تركته وأنت عليه قادر (ولوعه) مصدر ولع به اذا أحبه ولزمه (استطار) بمعنى انتشر (وقوعه) نزوله وهم يتشاءمون بالغراب لانه يؤذن عندهم بالفراق وذلك أنهم لا يرون الغراب عند منازلهم الا اذا حطوا بيوتهم للرحيل ينزل يلتمس ما يتركون مما يلقط ولذلك سموه غراب البين واشتقوا من اسمه الغريب والغربة (أغراني) حرضني وسلطني (الخلو) الفارغ (المرح) النشاط وخفة النفس من الطرب (حمص) مدينة عظيمة بينها وبين دمشق مائة ميل وأرض حمص خمس من اخماس الشام وهي مدينة يقال ان لها سورا وفي وسطها حصنها ولا تدخلها حية ولا عقرب وأول من ابتدع الحساب أهلها لانهم كانوا تجارا وباشبيلية وأحوازها نزل أهل حمص عند افتتاح الاندلس فلذلك سميت حمص أخذت من قولهم حمص الجرح يحمص حموصا وانحمص ينحمص انحماصا اذا ذهب ورمه قال اليعقوبي مدينة حمص من أوسع مباني الشام ولها نهر عظيم منه يشرب أهلها افتتحها أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وفي حديث عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليبعثن الله تعالى من مدينة بالشام يقال لها حمص سبعين ألفا يوم القيامة لا حساب عليهم ودخلها شيخنا ابن جبير سنة ثمانين وخمسمائة وقال هي فسيحة الساحة مستطيلة المساحة نزهة لعين مبصرها من النظافة والملاحة موضوعة في بسيط من الارض عريض مداه لا يخترقه النسيم بمسراه ويكاد البصر يقف دون منتهاه وماؤها يجلب لها من نهرها العاصي وهو منها بنحو ميل ومنبعه في مغارة بسفح جبل بمرحلة منها بموضع يقابل بعلبك واهل حمص موصوفون بالنجدة لمجاورتهم العدو وأسوارها في غاية العتاقة والوثاقة مرصوص بناؤها بالحجارة السود واما داخلها فاشبث من بادية شعثاء خلقة

وكنت يومئذ خفيف الحاذ حثيث النفاذ فأخذت أهبة السير وخففت نحوها خفوف الطير ولم أزل مذ حللت ربوعها وارتبعت ربيعها أفاني الايام فيما يشفي الغرام ويروي الاوام الى أن أقصر القلب عن ولوعه واستطار غراب البين بعد وقوعه فأغراني البال الخلو والمرح الحلو بان أقصد حمص

الارجاء لا اشراق لا ٓفاقها ولا رونق لاسواقها وماظنك ببلد حصن الاكراد منه على اميال يسيرة وتجد فيها عند اطلاعك عليها بعض شبه من مدينة اشبيلية يقع للعين فى نفسك حبها ولذلك سميت باسمها فى القديم ولهذا نزل اشبيلية بعض اعراب حمص وقال الفنجديهى باهل حمص يضرب المثل فى الحماقة وكثرة الرقاعة وتنسب اليهم حكايات مضحكة حكى عن بعضهم انه قال دخلتها وفى فى درهم لاشترى به بعض ما اشتهيه فاذا برجل بباب الجامع جالس على كرسى وعلى راسه عمامة محنك بها على قلنسوة وقد لبس فروة مقلوبة بلا سراويل وقد تقلد بسيف وفى حجره مصحف يقرأ فيه وعنده كلب رابض يمسكه بعقوده فسلمت عليه فرد السلام وقلت له أترى القوم صلوا فقال لى أو أنت أعمى أماترانى قاعدا قلت من انت قال انا أبو خالد امام الجامع فقلت ماهذه الحلية قال وردرجل زنديق يقرأ السبع الطوال ويشتم أبا بكر الصناديقى وعمر القواريرى وعثمان بن أبى سفيان ومعاوية بن ابى غسان الذى هو من حملة العرش وزوجه النبى ابنته عائشة فى زمن الحجاج ابن يوسف فاستولدها الحسن والحسين فقلت ما أعرفك بالمقالة والانساب قال وماخفى عنك أكثر قلت أتحفظ القرآن قال نعم قلت فاقرأ شيأ منه فقال بسم الله الرحمن الرحيم واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين امهلهم رويدا فصفعته صفعة سقطت عمامته وبقى التحنك فى عنقه فصاح بالناس قلنسوتى وقال احملوه الى المحتسب فأوصلونى الى رجل حاسر حاف قد لبس دراعة بلا سراويل فقال ماصنع هذا قالوا صفع امام الجامع قال يامسكين اهلكت نفسك قلت هذا حكم الله فصبرا عليه قال أيما أحب اليك سمل عينيك أو قطع يديك أو تدفع نصف درهم قال فرفعت يدى وصفعت المحتسب صفعة ثم أخرجت الدرهم من فى وقلت ياسيدى خذ نصف درهم لك ونصف درهم لامامك وقال فيهم بعض الشعراء

لانهم أهل حمص لاعقول لهم * بهائم غير معدودين فى الناس

ونزلها فى القديم أهل اليمن ولم يكن فيها من مصر الا ثلاثة أبيات وكان لهم امام من مصر فغضبوا عليه وعزلوه فقال فيهم ديك الجن يهجوهم

سمعوا الصلاة على النبى تلاءلؤا * فتفرقوا شيعا وقالوا الالا
ثم استمر على الصلاة امامهم * فتحزبوا ورمى الرجال رجالا
ياأهل حمص توقعوا من عارها * خزيا يحل بكلكم ووبالا
شاهت وجوهكم وجوها طالما * رغمت معاطسها وساءت حالا

لاصطاف بيقعتها وأسبر رقاعة أهل رقعتها فأسرعت اليها اسراع النجم اذا انقض للرجم

(قوله أصطاف) أى أسكن فى الصيف (وأسبر) أختبر و (الرقاعة) تجاوز الحد فى الوقاحة وصلابة الوجه (والبقعة) القطعة من الارض وكذلك (الرقعة) و (انقض النجم) (للرجم) اذا استطار لرجم الشياطين وأراد انه أسرع اليها بسرعة الخيل كسرعة النجم المنقض قال خلف الاحمر

كالكوكب الدرى منسلا * سرا يفوت الطرف أسرعه
وكأنما جهدت أليته * أن لا تمس الارض أربعه

وقال ابن الرومى

خذها توعالمن أولى مسومة * كانها كوكب فى اثر عفريت

وما أحسن قول ابن المعتز في هذا المعنى

كأنما النجم والعفريت مسترقا * للسمع ينقض يلقي خلفه لهبه
كفارس حل من عجب عمامته * فردها كلها من خلفه عذبه

(قوله خمت) أى اقت وأصله ضربت خمة (رسومها) آثارها (روح نسيمها) لذة ريحها (لمح طرفي) أبصرت عيني (هريره) صياحه وقد هر الكلب هريرا اذا نبح وحمل على من أنكره و (غريره) شبابه والغرة صغر السن ومعناه أقبل شره وسوء خلقه وأدبر صباه وحسن خلقه ولما كانت خليقته في هذه المقامة منبسطة مع صبيانه صار هذا التفسير فيه بعد وقال بعضهم أقبل هريره أقبل هرمه ويبسه من هر الشوك اذا اشتد يبسه حتى صار كأنياب الهر وهذا يوافق الغرض فمعناه أقبل هرمه وكبره وأدبر صباه وصغره ومثله كالبت الابل شجر الشوك اذا رعته كأنها رعت فيه أنياب الكلاب لصعوبته والغرير أيضا الضامن ويكنى به هنا عن الشباب كأنه ضمن لصاحبه طول الحياة المفقود معناها في الهرم و (الصنو) الاخ الشقيق وأصل الصنو في النخل والشجر وهي التي تجتمع أصولها وتفترق أجسادها (الحرص) الرغبة والطمع (أخبر) أجرب (بش) استبشر والبشاشة اظهار السرور وبسط الوجه (وافيته) أتيته (جنى نطقه) ما يجنى من كلامه ويحصل منه (أكتنه) أتعرف وأتحقق (كنه) قدر وحقيقة * ابن الانباري الحق عند العرب الجرثم أخذ منه الاحمق وهو المتغير العقل * فمما يحكى من حماقتهم كان حمزة المعلم متقلنسا فأنشد فيه أبو جعفر الحاكم

أرى على حمزة المقرى قلنسوة * عساكر القمل تجري في حواشيها
ان المعلم لا تخفى حماقته * ولو تقلنس بالدنيا وما فيها *

تقلنس لبس القلنسوة * الجاحظ عقل مائة معلم عقل امرأة وعقل مائة امرأة عقل حائك وعقل مائة حائك عقل خصي وعقل مائة خصي عقل صبي قال الشاعر

معلم صبيان وصاحب درة * وليس له عقل بمقدار ذرة

الفخديهي قال أبو طاهر عقل امرأتين كاملتين عقل رجل وعقل أربعة خصيان عقل امرأة وعقل أربعين حائكا عقل خصي وعقل أربعين معلما عقل حائك * الزبير بن عبد الملك الهاشمي قال مررت ببعض المعلمين ويعرف بكسرى فرأيته يصلي بالصبيان صلاة العصر فلم أزل واقفا أفكر فيه فلما أن ركع أدخل رأسه بين رجليه لينظر ما يصنع الصبيان خلفه فرأى صبيا يلعب فقال له وهو راكع يا ابن البقال هوذا أدري ما تصنع * الجاحظ مررت بمعلم وقد كتب على لوح صبي واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا فقلت ويحك أتدخل سورة في سورة فقال نعم عافاك الله ان أبا العاص بن أمه يدخل أجرة شهر في شهر وأنا أيضا أدخل آية في آية فلا أنا آخذ شيأ ولا الصبي يتعلم شيأ * أبو بكر القبطي عبرت على معلم وهو يملي على غلام بين يديه فريق في الجنة وفريق في السعير فقلت يا هذا ما قال الله من هذا شيأ انما هو في السعير فقال أنت تقرأ على حرف أبي عاصم بن العلاء الكسائي وأنا أقرأ على حرف أبي حمزة بن عاصم المدني فقلت معرفتك بالقراء أعجب الي وانصرفت * وروى بعض الفضلاء قال مررت في بعض قرى السواد واذا معلم صبيان

فحين خمت برسومها
ووجدت روح نسيمها لمح
طرفي شيخا قد أقبل هريره
وأدبر غريره وعنده عشرة
صبيان صنوان وغير
صنوان فطاوعت في قصده
الحرص لاخبره أدباء حص
فبش بي حين وافيته وحيا
بأحسن مما حييته فجلست
اليه لابلو جنى نطقه
وأكتنه كنه حقه

(ذكر المعلمين)

يقول ويحكم يا صبيان تفسون فصاح به واحد منهم وقال انما فسا أخي فقال المعلم انى لأعلم فسوته الخبيثة ولكن أعلل نفسي بالاباطيل ثم قال انى لأعرف فساءكم كما أعرف أصواتكم وحلف على ذلك ثم أنشد

معلم صبيان يروح ويغتدى * على أنفه ألوان ريح فسائهم
وقد أفسدوا منه الدماغ بفسوهم * ورفعهم أصواتهم فى سحائهم

* الجاحظ كان فى المدينة رجل معلم صبيان يفرط فى ضربهم فلاموه على ذلك فساءنى حاله معهم فاستفتح صبى وقال يا معلم وان عليك اللعنة الى يوم الدين ما بعده فقال المعلم بل عليك وعلى والديك لعائن الله تترا وجاء آخر فقال يا معلم اخرج منها فانك رجيم ما بعده قال ذاك أبوك الكشخان وجاء آخر فقال يا معلم ما لنا فى بناتك من حق ما بعده فقال لا ولا رأيتهن فقال على هذا أضربهم

(ذكر التأديب)

أتعذرونى قلت نعم * العتبى كان ببغداد معلم يشتم الصبيان فأخذت بيد المشايخ فدخلنا عليه فقلنا يا شيخ ما يحل لك أن تشتم هؤلاء الصبيان فقال أنا مبتلى بهم ما أشتم الا من يستحق الشتم فاحضروا حتى تسمعوا بعض ما أنا فيه فحضرنا معه فقرأ عليه صبى عليها ملائكة غلاظ شداد يعصون الله ما أمرهم ولا يفعلون ما يؤمرون فقال يا ماص بظر أمه فليس هؤلاء ملائكة ولا اعراب ولا اكراد شهرزور قال فضحكنا والله حتى بال أحدنا فى سراويله فقرأ عليه آخر لا تنفقوا الا من عند رسول الله وتردد فقال من عند أبيك القرنان أولى فانه أكثر مالا يا ابن الفاعلة أتلزم النبى صلى الله عليه وسلم نفقة لا تجب عليه أأعجبك كثرة ماله فقال فكنت بعد ذلك اترك اشغالى واجلس عنده اتعجب * الجاحظ سرق صبى عثمانى مصحفا فقال له المعلم ماذا لقيت المصاحف منكم يا آل عثمان أبوك احرقها وانت تسرقها * قال أفلح التركى خرجنا مرة الى حرب لنا ومعنا معلم كان يقول أنا اتمنى أن ارى الحرب كيف هى فأخرجناه معنا فأول سهم جاء وقع فى رأسه فلما انصرفنا دعونا له معالجا فنظر اليه وقال ان خرج الزج وفيه شئ من دماغه مات وان لم يخرج عليه شئ من دماغه لم يكن عليه بأس فسبق اليه المعلم فقبل رأسه وقال بشرك الله بخير انزعه فما فى رأسى دماغ فقال الطبيب وكيف ذلك قال لانى معلم كتاب الله تعالى وما فى رؤس المعلمين ذرة من دماغ ولو كان فيه ذرة من دماغ ما كنت ههنا وقال موسى بن حسان الكاتب رأيت بالبصرة معلما قد اجلس اولاد الاغنياء للظل وأولاد المساكين للشمس وهو يقول لأولاد الاغنياء يا اهل الجنة ابزقوا على اهل النار يعنى أولاد المساكين فقلت يا هذا ما بال هؤلاء يبخسون فقال هؤلاء يبخسون الأخطار * احمد بن دليل مررت بمعلم يضرب صبيا ويقول والله لاضربنك حتى تقول لى من حفر البحر فقلت أعزك الله والله لا أدرى أنا من حفر البحر فقل لى حتى أتعلم أنا فقال حفر البحر كردم أبو آدم عليه السلام * أبو العنبس كان فى دربنا معلم طويل اللحية فكنت أجلس اليه كثيرا وأتلهى به فجئته يوما وبين يديه صبى يقول له ويلك الدجلة من حفرها قال عيسى بن مريم قال فالجبل من خلقه قال موسى بن عمران قال فالبعر من دوره فى است الجمل قال شيطان يقال له الجنى قال احسنت فآدم من ابوه قال نوح قال بخ بخ نجوت والله فقلت يا سبحان الله اليس آدم ابا البشر قال نعم قلت فكيف يكون نوح اباه قال ويلك اتعرفنى بآدم وانا ابو عبد الله المعلم يا صبيان كرفسوه فكرفسونى حتى صيرونى مقيدا فحلفت ان لا اقف على معلم ابدا *

*الجاحظ اتت امرأة الى معلم بابن لها وكان المعلم طويل اللحية فقالت ان هذا الصبى عاق لايطيعنى فاحب ان تفزعه فأخذ المعلم لحيته والقاها فى فمه وحرك راسه وصاح صيحة فضرطت المراة من الفزع وقالت انما قلت لك فزع الصبى ليس اياى فقال لها امرى يا حمقاء ان العذاب اذا نزل هلك الصالح والطالح * الاصمعى مررت بمعلم بالبصرة يضرب صبيا ثم اقام الصبيان صفا وجعل يدور عليهم و يقول اقرؤا فلما بلغ الصبى المضروب قال لآخر الى جنبه قل له يقرأ فانى لا اكلمه *(ونذكر)* هنا فى التأديب والادباء مايكون من شكل هذا الموضع ثم نتبع عند ذكر الغلمان الحسان من الاشعار مايجرى كالبسان والتفسير لاحوالهم بعون الله تعالى * قالت الحكماء من أدب ولده صغيرا سرّبه كبيرا ومن أدب ولده أرغم حاسده *وقال ابن عباس من لم يجلس فى الصغر حيث يكره لم يجلس فى الكبر حيث يحب *وقالوا أطبع الطين ما كان رطبا وأغرز العود مادام لدنا *وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذى يتعلم فى صغره كالنقش على الصخر والذى يتعلم فى كبره كالذى يكتب على الماء *وسمع الاحنف التعلم فى الصغر كالنقش على الحجر فقال الكبير اكبر عقلا ولكنه اشغل قلبا * وقال على رضى الله تعالى عنه قلب الحدث كالارض الخالية اذا ألقى فيها شئ قبلته *وقالوا انشاط الالباب فى عصر الشباب والسودد مع السواد وشواظ النار قبل الرماد وقال الشاعر

ان الغصون اذا قومتها اعتدلت * ولن تلين اذا قومتها الخشب

(وقال آخر)

ان الكبير اذا تناهى سنه * اعيت رياضته على الرواض

فاذا دفعت الى الصغير فانما * تكفيك منه اشارة الاعاض

وقال آخر *ومن العناء رياضة الهرم *وأنشدوا * أبعد شيبك هذا تبتغى الادبا * وقال الشاعر فى تدريج الصبى برفق

سددمرامى الطفل فى شانه * بلفظة تشددبها أزره

واغتنم اللمحة من فهمه * ان المبادى أبدا نزره

كما ترى النار من شعلة * والدوحة الغناء من بذره

وهذا ضد ما قال المعرى

لايستوى ابنالك فى خلق ولاخلق * ان الحديدة ام السيف والجلم

فاضرب وليدك وادلله على رشد * ولاتقل هو طفل غير محتلم

فرب شق برأس جرّ منفعة * وقس على نفع شق الراس بالقلم

اشار الى قوله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة وقال صالح بن عبد القدوس

وان من ادبته فى الصبا * كالعود يسقى الماء من غرسه

حتى تراه مورقا ناضرا * بعد الذى ابصرت من يبسه

والشيخ لايترك اخلاقه * حتى يوارى فى ثرى رمسه

اذا ارعوى عاوده جهله * كذى الضنى عاد الى نكسه

مايبلغ الاعداء من جاهل * مايبلغ الجاهل من نفسه

وقال عتبة بن أبي سفيان لمعلم ولده ليكن أول اصلاحك لولدي اصلاحك لنفسك فان عيونهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما صنعت والقبيح عندهم ما تركت علمهم كتاب الله ولا تملهم فيه فيتركوه ولا تتركهم فيه فيهجروه وروّهم من الحديث أشرفه ومن الشعر أعفه ولا تنقلهم من علم الى آخر حتى يحكموه فان ازدحام الكلام في السمع مشغلة في الفهم وعلمهم سير الحكماء وأخلاق الادباء وهددهم في أدبهم دوني وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء وجنبهم محادثة النساء واستزدني بزيادتك اياهم أزدك في بري واياك أن تتكل على عذر مني فقد اتكلت على كفاية منك لي * وأوصى الرشيد مؤدب ولده الامين فقال ان أمير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه وثمرة قلبه فصير يدك عليه مبسوطة وطاعتك عليه واجبة فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين أقرئه القرآن وعرفه الاخبار وروه الاشعار وعلمه السنن وبصره مواقع الكلام وامنعه الضحك الا في أوقاته ولا تمر بك ساعة الا وأنت مغتنم فيها فائدة تفيدها اياه من غير أن تخرق به فتميت ذهنه ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة فان أباهما فعليك بالشدة والغلظة وبالله توفيقكما وقال للاصمعي ياعبد الملك أنت أعلم منا ونحن أعقل منك لا تعلمنا في ملا ولا تسرع بتذكيرنا في خلا واتركنا حتى نبتدئك بالسؤال فاذا بلغت الجواب حسب الاستحقاق فلا تزد الا أن نستدعي ذلك منك * الماوردي اذا كان لبعض الملوك رغبة في العلم فلا تجعل ذلك ذريعة للانبساط عليه والادلال

(ذكر المتهمين من المعلمين)

وكتب شريح الى معلم ولده

ترك الصلاة لاكلب يسعى بها * يبغي الهراش مع الغواة الرجس
فاذا هممت بضربه فبدرة * واذا بلغت به ثلاثا فاحبس
واذا أتاك فعضه بملامة * وعظنه موعظة الاديب الاكيس
واعلم بأنك ما أتيت فنفسه * مع ما يجترعني أعز الانفس

(فمن آخر هزلي في المتهمين من المعلمين) اتصل حماد عجرد بالربيع يعلم ولده فكتب اليه بشار

ياأبا الفضل لاتنم * وقع الذئب في الغنم
ان حماد عجرد * ان رأى غفلة هجم
بين فخذيه حربة * في غلاف من الادم
ان خلا البيت ساعة * تجمع الميم بالقلم

فطرده الربيع * واتخذ المهدي قطربا بالتأديب بعض ولده وكان حماد يطمع في ذلك فلم يتم له لتهتكه وشهرته في الناس بما قال بشار فلما تمكن قطرب من موضعه صار حماد كالملقي فجعل يقوم ويقعد قلقا ثم دس الى المهدي رقعة فيها

قل للامام جزاك الله صالحة * لا يجمع الدهر بين السخل والذيب
السخل غر وهم الذئب فرصته * والذئب يعلم ما في السخل من طيب

فقال المهدي انظروا لا يكون هذا المؤدب لوطيا ثم أخرجوه من الدار فبعث الخبر حمادا حيث حرمه بشار هذه المراتب الى أن قال فيه

لقد صار بشار بصيرا بدبره * وناظره بين الانام ضرير

له مقلة عمياء وآست بصيرة * الى الاير من تحت الثياب تشير
على ودّه ان الحمير تنيكه * وان جميع العالمين حمير

وقال فيه
ألا من مبلغ عنى الـ * ـذى والده برد
اذا ماذكر الناس * فلا قبل ولا بعد
وأعمى يشبه القرد * اذا ماعمى القرد

وقال فيه
دعيت الى برد وأنت لغيره * وهبك ابن برد نكت أمك من برد

وكان عبد الصمد بن عبد الاعلى مؤدّب الوليد لوطيا زنديقا وكان سعيد بن عبد الرحمن بن حسان ابن ثابت جميل الوجه شاعرا فدخل على عبد الصمد فراوده فى نفسه فسبه وخرج مغضبا فدخل على هشام بن عبد الملك وهو يقول

انه والله لولا أنت لم * ينج منى سالما عبد الصمد
(فقال هشام ولم قال)
انه قد رام منى خطة * لم يرمها قبله منى أحد
(قال وماهى قال)
رام جهلا بى وجهلا بأبى * يدخل الافعى الى غيل الاسد

فضحك هشام وقال لو فعلت به شيأ لم أنكر عليك وكان سعيد يومئذ صغيرا فى المكتب ومؤدبه عبد الصمد هذا فلما راوده عن نفسه شكاه الى هشام وأبدع فى الكناية ورقق هذا المنكر الاكبر بلفظ يقابل به خليفة وغاية ذوى الحنكة من الخطباء محاكاة براعته واستعارته وليس ببدع فهو من بيت ثلاثة شعراء فى نسق وكان هذا الشعر سبب ابعاد عبد الصمد من تأديب أولاد الخلفاء (قوله مالبث) أى ما أقام ولا تأخر (كبر أصيبيته) أى أكبرهم وكبر ولد الرجل أكبرهم من الذكور وكبر قومه أقعدهم فى النسب أى أقربهم الى الجدّ الاكبر ومنه قيل الولاء للكبر أصيبيته تصغير أصبية قال الجوهرى الصبى الغلام وجمعه صبية وصبيان وهو من الواو ولم يقولوا أصبية ولا أغلمة استغنوا عنهما بصبية وغلمة وجاء فى الشعر أصيبية وقال سيبويه تصغير صبية أصيبية وتصغير أصبية صبية وكلاهما على غير قياس * ابن سيده عندى أن صبية تصغير صبية وأصيبية تصغير أصبية ليكون كل شئ منهما على بناء مكبره (العواطل) التى لانقط فيها (تماطل) تؤخر انشادها (جثا) برك (ليث) أسد (ريث) بطء وتأخير (أورد الآمل) أى أعط الراجى (ورد السماح) ماء الكرم (صارم) قاطع (المها) جمع مهاة وهى البقرة الوحشية وأراد النساء (الكوم) جمع كوماء وهى الناقة العظيمة السنام (اسع) اجر مسرعا (محل سما) منزل ارتفع (والعماد) قائمة الخباء واذا علت علا البيت (ادّراع) لبس الدروع و(المراح) الطرب والنشاط كأنه يقول لاتشتغل باللهو واشتغل بكسب الشرف (حسو الطلا) شرب الخمر (السودد) الفعل الذى يرجع به فاعله سيدا (مراد) بفتح الميم مذهب وطريق وأصله موضع اختلاف الابل مقبلة ومدبرة وهو المرعى (رود) جارية ناعمة شابة و(الرداح) العظيمة العجز وهو كما قال أبو نواس

لئن خلق الانام لحب كأس * ومزمار وطنبور وعود
فلم يخلق بنو حمدان الا * لباس أو لمجد أو لجود

فما لبث ان أشار بعصيته الى كبر أصيبيته وقال له انشد الابيات العواطل واحذر أن تماطل فجثا جثوة ليث وأنشد من غير ريث

أعدد لحسادك حدّ السلاح
وأورد الآمل ورد السماح
وصارم اللهو ووصل المها
وأعمل الكوم وسمر الرماح
واسع لادراك محل سما
عماده لا لادّراع المراح
والله ما السودد حسو الطلا
ولا مراد الحمد رود رداح

(واها) عجبا (ما) بمعنى الذى (سطاح) هالك بالعطاء (صراح) ظاهر (راحا) كفا (راح) الثانى خمر (سوّده) شرّفه وجعله سيدا (سره) باطنه (ردعه) كفه (أهواءه) شهواته (والطماح) ارتفاع النظر (العوز) جمع عوراء وهى الفاقدة احدى عينيها (مهور) جمع مهر وهو الصداق وأعمل علمه فيما بعده من الكلام وضرب العور والصحاح مثلا للافعال الجميلة والذميمة فأراد أن تمييزه بين الاشياء المتضادة وعلمه ان مهر القبيحة العوراء لا يبلغ مهر المليحة الحسناء جعله ممدوحا سيدا ومثل هذا الشعر الذى لم ينقط ما أنشد أبو القاسم الزجاجى لاحمد بن الورد

علم العدوّ وملامة اللوّام * ودوام صدّك وهو صدّ حمام

لولاك ماحدر السهاد دموعه * ولما أطار كراه حرّ أوام

هل ما أسرّ وما أؤمل رادع * هول الهموم وروعة الاحلام

ردّ السلام وما أراك مسلما * ورآك أهل هواك سر كلام

كم حاسدلك أو مسر وداده * ومعلل أهواه طول ملامى

وهى قصيدة نحو الثمانين بيتا وما زال المحدثون يظهرون اقتدارهم فى هذا الفن الا أنه قلما يقع فى ذلك بيت مستحسن فلذلك تركنا أن نمشى مع أشعارهم هذه المقامة فيما يماثلها وقد أكثر الناس القول فى ذلك وفائدته أن يقال قدر على لزوم ما لا يلزم لا أن يقال قد أحسن فيما قال وقد أنشد أبو القاسم أيضا أبياتا لا تنطبق عليها الشفاه منها

أتيناك يا جزل العطية اننا * رأيناك أهلا للعطايا الجزائل

عقيل الندى يا جار عدنا عقيلة * نعدك انجاعا للحسان العقائل

(قوله أحسنت يا بدير) تصغير بدر صغره لصغر سنه على أنه قد زعم أنه كبير صبيانه وفى مثل هذا البدر الذى قد نثر هذه الدرر قال الشاعر

دران من فمه شفاه محدّثه * للنثر والنظم مسموع وملتثم

قد قلت لو قبل الوعظ المبين له * خف المهيمن فينا أنت انسم

فقال من ضرّجت خدّى نظرته * فان سيف جفونى منه ينتقم

(يا رأس الدير) يا عظيم القوم والدير موضع القسيسين أراد به حلقة أصحابه (تلوه) التابع له أو الجالس الى جانبه (صنوه) أخوه الذى على قدر سنه (ادن) أقرب (نويرة) تصغير نار شبهه فى حدته وذكائه بها أو فى حسنه وبهائه و(الدويرة) تصغير دارة وهى حلقتهم التى اجتمعوا فيها فكأنه قال يا قمر أصحابه * ومما قيل فى غلام كاتب سأل الثعالبى أبا الفضل الدارمى أن يصف له غلاما كاتبا حسن الخطين خطى اليد والوجه فقال

وكاتب أهديت نفسى له * فهى من السوء فدى نفسه

سلط خدّيه على مهجتى * فاستأصلاها وهى من غرسه

فلست أدرى بعد ما حل بى * بمسكه أتلف أم نقسه

وقال فى ذلك

وشادن أسرف فى صدّه * وزاد فى التيه على عبده

الحسن قد بث على خدّه * بنفسجا يربو على ورده

رأيته يكتب فى طرسه * خطا يبارى الدرّ فى عقده

واها لحرّ واسع صدره
وهمه ما سرّ أهل الصلاح
مورده حلو لسؤاله
وماله ما سألوه مطاح
ما أسمع الآمل ردّا ولا
ماطله والمطل لؤم صراح
ولا أطاع اللهو لما دعا
ولا كسا راحا له كاس راح
سوّده اصلاح سره
وردعه أهواءه والطماح
وحصل المدح له علمه
ما مهر العور مهور الصحاح
فقال له أحسنت يا بدير
يا رأس الدير ثم قال لتالوه *
المشتبه بصنوه ادن يا نويرة
يا قمر الدويرة فدنا

(ماقيل فى الغلمان الكتاب)

ولم يتباطا حتى حل منه مقعد المعاطى فقال له اجل الابيات العرائس وان لم يكن نفائس فبرى القلم

نخات ماقد خطه كفه * للحسن قد خط على خده

ولابن رشيق كتبت ولو أنى أستطيع * لاجلال قدرك دون البشر
قددت اليراعة من أنملى * وكان المداد سواد البصر

وله أيضا عزيز يبارى الصبح اشراق خده * وفى مفرق الظلماء منه نسيب
يزف اليه ضاحكا أقحوانه * ويهتز فى برديه منه قضيب

(ولابن المعتز فى العذار المشبه بالحروف)

بليت بشادن كالبدر حسنا * يعذبنى بأنواع الدلال
غلالة خده ورد جنى * ونون الصدغ معجمة بخال

وله أيضا كأن خط عذار فوق وجنته * ميدان آس على ورد ونسرين
وخط فوق حباب الدر شاربه * بنصف صاد ودار الصدغ بالنون

وله أيضا له من عيون الوحش عين مريضة * ومن خضرة البستان خضرة شارب
كأن غلاما حاذقا خط له * فجاء كنصف الصاد من خط كاتب

وقال آخر تعلم العطف من صدغيه فانعطفا * وكان عادته أن لا ينى فوفى
دب العذار على ميدان صفحته * حتى اذا هم أن يسعى به وقفا
كأنه كاتب عز المداد به * أراد يكتب لاما فابتدى ألفا

(وقال أبو القاسم بن المغربى)

ولما احتوى بدر الدجى صحن خده * تحير حتى ما درى أين يذهب
كأن انعطاف الصدغ لام أمالها * أديب يجيد الخط ابان يكتب

فهذه الاشعار المستعذبة التى بها تعلق بالغلمان الذين يذكر أنهم كتاب من جهة حسنهم واعتدال قدودهم وتوريد خدودهم وتطريزها بالعذار أحسن من ذكر شعر لزومى ليس فيه شئ من الانس للنفس (قوله تباطا) أى تأخر وأصله الهمز (المعاطى) الذى تعطيه كأس الخمر ويعطيها لك وقد عاطيته وعاطانى وقد تعاطى فلان كذا أى تناوله وأخذه من قولهم عطوت اعطو عطوا أى تناولت (العرائس) جمع عروس وسماها عرائس لما فيها من التزيين بالنقط وكانت زينة العروس عند العرب ان تنقط فى خديها نقط صغار بالزعفران فلذلك سمى هذه عرائس لنقطها وسمى التى قبلها عواطل لعدم نقطها (نفائس) جمع نفيس وهو الرفيع القدر يريد أنه لما لزمها ما لم يلزم ضعفت وقد ذكرنا أن الغرض بمثل هذه الاشعار اظهار الاقتدار وعلى ماذكر أنها غير نفائس فهى أحسن مما عمل فى بابها وما أحسن ما قال ديك الجن فى جاريته

انظر الى شمس القصور وبدرها * والى خزاماها ونفحة زهرها
لم تبك عينك أبيضا فى أسود * جمع الجمال كوجهها فى شعرها
وردية الوجنات يختبر اسمها * من نعتها من لا يحيط بخبرها
وتمايلت فضحكت من أردافها * عجبا ولكنى بكيت لخصرها
تسقيك كأس مدامة من خدها * وردية ومدامة من ثغرها

(ولابن الرقاق)

تضوّعن اشراقاوأشرقن أوجها * فهن منيرات الصباح بواسم
لئن كنّ زهـرا فالجوانح أبرج * وان كن زهرا فالقلوب كمائم

(قوله قط) قطع وقيل القط القطع عرضا والقد القطع طولا (احتجر) جعله في حجره (خط) كتب (فتنتني) أي عذبت قلبي (جننتني) أي صيرتني مجنونا (تجني) اسم امرأة والتجني الدلال والتيه وللبحتري اذا خطرت تأرج جانباها * كما خطرت على الأرض القبول
ويحسن دلها والموت فيه * وقد يستحسن السيف الصقيل

(شغفتني) بلغ حبها شغاف قلبي والشغاف حجاب القلب (ظبي) غزال (غضيض) منكسر الطرف فاتر العينين و (الغنج) تكسير الكلام وتخنيثه وهو المجانة (يقتضي) يتضمن (تفيض جفني) سيلان عيني ومما قيل في مرض العينين وحسن فيه التشبيه قول البحتري
غداة تثنت للوداع وسـلمت * بعينين موصول بجفنيهما السحر
توهمتها ألوى بأجفانها الكرى * كرى النوم أومالت باعطافها الخمر
(وقال ذو الرمة)
لها بشر مثل الحرير ومنطق * رخيم الحواشي لاهراء ولا نزر
وعينان قال الله كونا فكانتا * فعولان بالألباب ماتفعل الخمر

وقد تقدم جملة من هذا (غشيتني) أتتني على غفلة (شفتني) أنحلت جسمي و (الزي) الهيئة الحسنة من اللباس (يشف) يفضل (تثن) اهتزاز وانعطاف (تظنيت) حسبت (تجتبيني) تختارني (بنفث) بلفظ وكلام و (الجيب) القلب (يبغي) يطلب (تشفي ضغني) ازالة عداوتي (نزت) وثبت (تجني) بعدي (ثنتني) ردتني (نشيج) صوت البكاء (يشجي) يحزن (بفن ففن) بنوع فنوع (حبره) زينه (زبره) كتبه (طلا) غزال (لاولا) يعني الزيتون ومن كلام العامة بورك فيك كما بورك في الزيت وأراد بلا ولا قوله تعالى توقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية فأخذ من الآية لاولا واكتفى بهما* الفنجديهي يحكي ان بعض الناس ظهرت به علة مزمنة شديدة أعيا الاطباء علاجها فلما أيس رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فشكا اليه علته المزمنة فقال له عليك بلا ولا فقص رؤياه على ابن سيرين فقال له ان صدقت رؤياك فانه صلى الله عليه وسلم أمرك بتناول الزيتون فتناولها الرجل فبرئ من علته فقال لابن سيرين من أين قلتها قال من قوله تعالى زيتونة لاشرقية ولاغربية المعنى من زيت شجرة مباركة زيتونة لاشرقية اي ليست تطلع عليها الشمس في أول النهار فقط ولا غربية أي عند الغروب فقط أي لايسترها من الشمس في وقت من النهار شئ فهو أنضر لها وأجود لزيتها وقال صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادّهنوا به فانه يخرج من شجرة مباركة (قوله هتف) صاح (قطرب) خفيف النوم والقطرب دويبة تمشي بالليل وجنية تبرك على الانسان فيجد لها ثقلا والعامة تبدل طاءها تاء والعرب تسميها النئدلان والكابوس والجاثوم وتسميها أهل بغداد الجث (دجية) ظلمة (دمية) صورة رخام وجمعهما دجى ودمى وكان صورة هذا الغلام الذي ذكر الشاعر
بدا فبدا من وجهه البدر طالعا * لدى الروض يستعلي قضيبا منعما
وقد أرسلت أيدي العذارى بخده * عذارا من الكافور والمسك أسحما

وقط ثم احتجر اللوح وخط
فتنتني فجننتني تجني
بتجن يفتن غب تجني
شغفتني بجفن ظبي غضيض
غنج يقتضي تفيض جفني
غشيتني بزي تثن فشفتني
بزي يشف بين تثني
فتظنيت تجتبيني فتجزي
في بنفث يشفي نخيب ظني
ثم تمت في غش جيب بتزيين
ن خبيث يبغي تشفي ضغني
فنزت في تجني فثنتني
بنشيج يشجي بفن ففن
فلما نظر الشيخ الى ماحبره
وتصفح مازبره قال له بورك
فيك من طلا كما بورك في لا
ولا ثم هتف اقرب ياقطرب
فاقترب منه فتى يحكي نجم
دجية أو تمثال دمية فقال
له ارقم الابيات

وأحسب هاروتا أطاف بطرفه * يعلمه من سحره فتعلما
ألم بنا فى دامس الليل فانجلى * فلما انثنى عنا وودع أظلما

والابيات للامير أبى الحسن أحمد بن عضد الدولة وقال أبو اسحق الحصرى مؤلف كتاب الزهر

عليل طرف سقيت خمرا * من مقلتيه فت سكرا
ترقرقت وجنتاه ماء * مازج فيه العتيق درا
يحرك الدل منه غصنا * ويطلع الحسن منه بدرا
قد نم مسك بعارضيه * خلف للعاشقين عذرا

(قوله الاخياف) أى المختلفة وقوله (فأخذ القلم ورقم) كان أبا اسحق الحصرى اياه عنى بهذه الابيات

اذا بدا القلم الاعلى براحته * مطرزا لرداء الفجر بالظلم
رأيت أسود فى الابصار أبيض فى * بصائر لحظها للفهم غير عمى
كروضة خطرت فى وشى زهرتها * وافتر نوارها عن ثغر مبتسم

وكان الحسن استعار منه الدواة والقلم حيث قال

يا ريم هات الدواة والقلما * أكتب شوقى الى الذى ظلما
غضبان قد غرنى رضاه ولو * يسأل فيما غضبت ما علما
لو نظرت عينه الى حجر * ولد فيه فتورها سقما
فليس ينفك فيه عاشقه * فى جمع عذر لغير ما اجترما
علقت من لو أوى الى أنفس الـ * ـماضين والغابرين ما ندما

(قوله اسمح) جد (بث) نشر (آملا) راجيا (تضيف) طلب منك أن تضيفه (فنن) أتى بفنون من السؤال (ضنين) بخيل (تقشف) ترك النظافة (يغضى) يتغافل (نفنف) واسع والنفنف متسع الارض (ثبت) صادق الود ويروى نث أى نشر (تبغ) تطلب (تزيف) تنقص وصار زائفا وهو الدرهم الردىء (قوله كلت) أى حفيت (مدالك) سكاكينك جمع مدية (الغشمشم) الذى لا يرده شىء عن مراده (عطر منشم) قيل كانت منشم جارية عطرت رجالها حين خرجوا للقتال فقتلوا عن آخرهم فضرب بها المثل فى الشؤم وقيل بل الاشارة الى عطارة أغار عليها قوم فأخذوا عطرها فتطيبوا به فاستغاثت بقومها فخرجوا فى طلبهم فمن شموا عليه رائحة الطيب قتلوه ومن أوله على هذا قال عطر من شم فجعلوه من كلمتين وقيل الكناية عن قرون السنبل الذى يقال انه سم ساعة وذكر ابن الكلبى انها امرأة من خزاعة كانت تبيع العطر فتطيب بعطرها قوم وتحالفوا على الموت فماتوا وقال غيره بل هى صاحبة يسار الكواعب وكان عبدا أسود مشوه الخلقة راعى ابل فتى رأته النساء ضحكن منه فتوهم أنهن يضحكن من اعجابهن بحسنه فقال يوما لرفيق له انا يسار الكواعب ما رأتنى جارية كاعب الا وعشقتنى فقال له رفيقه يا يسار اشرب لبن العشار وكل لحم الحوار واياك وبنات الاحرار فأبى وراود مولاته عن نفسها فقالت له مكانك حتى آتيك بطيب أشمك اياه فأتته بموسى فلما أدنى أنفه ليشم الطيب جدعته ويقال انه لما راودها قالت له أهكذا تأتينى بذفرك ويحك ادن حتى اعطرك فأدخلت يدها تحته وفيها موسى لطيفة قد أعدتها له فقبضت على ذكره وخصييه فاقطعت الجميع فخرج فمن رآه على تلك الحالة قال له ما هذا فيقول

الاخياف وتجنب الخلاف
فأخذ القلم ورقم
اسمح فبث السماح زين
ولا تخب آملا تضيف
ولا تجز رد ذى سؤال
فنن أم فى السؤال خفف
ولا تظن الدهور تبقى
مال ضنين ولو تقشف
واحلم فخفن الكرام يغضى
وصدرهم فى العطاء نفنف
ولا تخن عهد ذى وداد
ثبت ولا تبغ ما تزيف
فقال له لا شلت يداك ولا
كلت مداك ثم نادى
يا غشمشم يا عطر منشم

عطر من شم وقيل كانت تبيع الحنوط وهو عطر الموتى وقيل المنشم الشر نفسه وقيل المنشم ثمرة سوداء منتنة وقيل فيها غير ماذكر وذكر الحريرى فى الدرة أكثر هذه الوجوه وذكر أن كسر شين منشم أكثر وأشهر ويروى بفتحها (قوله المتائيم) جمع متئم وهى التى من عادتها أن تلد توأمين ولما كانت أبياته لا يوجد فيها الا الالفاظ المزدوجة سميت متائيم وقيل المتائيم جمع توأم على غير قياس (المشائيم) جمع مشآم وهو الكثير الشؤم وشبه بدرة غواص فى بياضه ورقة ديباجه و(جوذر قناص) هو الظبى الفاتر العينين والقناص الصياد فكأنه يصطاد بعينيه من نظر وان أضفت جوذر الى القناص فعناه مستقيم فيصفه بالخوف وكثرة التلفت خشية ان يصاد وما أحسن ما قال صاحبنا الوزير الحسيب أبو المطرف الزهرى فى هذا المعنى وكان جالسا فى باب داره مع زائر له فخرجت عليهما من زقاق جارية سافرة الوجه كالشمس الطالعة فحين نظرتهما على غفلة نفرت بخجلة فزعة فرأى الزائر ما بهته فكلفه وصفها فقال مرتجلا

يا ظبية نفرت والقلب مسكنها * خوفا لختلى أو عمدا لتعذيبى
لتأمنى فابن عبد الحى ألحقنا * عدلا يؤلف بين الظبى والذيب

وكان ابن رشيق وصف هذا الغلام الكاتب حيث قال

وفاتر الاجفان ذى وجنة * كأنها فى الحسن ورد الرياض
قلت له يا ظبى خذ مهجتى * داوى بها تلك الجفون المراض
فجاوبت من خده خجلة * كيف ترى الحمرة فوق البياض

وقال أيضا

بين اجفانك سحر * ولاغصانك بدر
جردت عيناك سيفين لذا أمرك امر
فعلى خديك من ذا * فدما العشاق أثر
ومن الكثبان شطر * للذ والاغصان شطر
وسواء قلت در * ما أرى أو قلت ثغر
وبماذا أصف الخصر وما ان لك خصر
بك شغلى واشتغالى * ومضى زيد وعمرو

(وقال خالد الكاتب)

قد قلت لما أن بدا متبخترا * والردف يجذب خصره من خلفه
يا من يسلم خصره من ردفه * سلم فؤاد محبه من طرفه

(وله مما يتعلق بالكتابة)

كتبت اليك بماء الجفون * وقلبى بماء الهوى مشرب
فكيف تخط وقلبى يمل * وعينى تمحو الذى أكتب
فليس يتم كتابى اليك * بشوقى فمن ههنا أعجب

(قوله زينت زينب بقد يقد) انما أراد بقد يقد أى ينقطع لرقة خصره فعوض منه يقد لقرب ما بين اللفظين ولضرورة الازدواج وقال البحترى فى القدود

من السمر اللدان اذا اسبكرت * وصرف الموت فى السمر اللدان

فلما غلام كدرة غواص
أو جوذر قناص فقال له
اكتب الابيات المتائيم ولا
تكن من المشائيم فتناول
القلم المثقف وكتب ولم
يتوقف زينت زينب بقد يقد

شبيهات الرماح ثنى جفون * وكلم فى القلوب بلا سنان
فهل من ضربة أو من سنان * كعين أو كثغر أو بنان

وقال السرى
قامت وخوط البانة الـ * ـمياس فى أثوابها
تسقى بصهباءين من * ألحاظها وشرابها
ويهزها سكران سكـ * ـر شرابها وشبابها
وكأن كأس مدامها * لما ارتدت بحبابها
توريد وجنتها اذا * مالاح تحت نقابها

وقال القاضى أبو حفص بن عمر
هذا فؤادى أقصدته الأسهم * من ذا يرى تلك الجفون و يسلم
ياغرة حكم الجمال لها على * شمس الضحى وأصاب فيما يحكم
يحكى الجآذر جيدها ولحاظها * هيهات دون العالم المتغلم
وكان قامتها ونغمة لفظها * غصن عليه بلبل يترنم
يضحى الخلى اذا رآها عاشقا * والعقل توقظه اللحاظ النوم

وتلاه ويلاه نهد يهد

وما أحسن ما قال أبو الحسن بن القبطرية
ذكرت سليمى وحر الوغى * كقلبى ساعة ودعتها
وأبصرت بين القنا قدها * وقد ملن نحوى فعانقتها

(قوله تلاه) أى تبعه (ويلاه) دعا لنفسه بالويل والخسران حين رأى نهدا لا يصبر عنه * ومما جاء من التشبيهات الحسان فى أوصاف النهود قول عمرو بن كلثوم
وثديا مثل حق العاج رخصا * مصانا من أكف اللامسينا

بشار
والنهد تحسبه وسنان أو كسلا * وقد تمايل ميلا غير منكسر

ابن الرومى
صدور فوقهن حقاق عاج * ودر زانه حسن اتساق
يقول القائلون اذا رأوه * أهذا الدر من هذى الحقاق

(وأخذه من قول عبد الله بن السبط)
كأن الثدى اذا ما بدت * وزان العقود بهن النحورا
حقاق من العاج مكنونة * يسعن من الدر شيئا يسيرا

(ولادريس اليمانى)
أيا ربة النهد الذى بسنانه * يحط فتى الهيجاء عن فرس نهد
أحقان من عاج بصدرك أم هما * رقيبان قد قاما على جنة الخلد

(ومن البدائع الروائع قول الآخر)
وذات دلال سبت مهجتى * بمستشرفين على مئزر
كأنهما خرط كافورة * بأعلاهما نقطتا عنبر

(وللقاضى عبد الوهاب ويروى لغيره)
ياصاحبى قبالتى خمصانة * مالت فمال الدعص من أعطافها

في الصدر منها للطعان أسنة * ما أشرعت الا لجنى قطافها
ان تنكرا قتلي بها فتبينا * تجدا دمي قد جف في أطرافها

علي بن الجهم

كنت مشتاقا وما يحجزني * عنك الا مانع يمنعني
شاخص في الصدر غضبان على * قتب البطن وطي العكن
يملأ الكف ولا يفضلها * فاذا ثنيته لا ينثني

(قوله جيدها) أي عنقها كان حبيبا وصف هذه الجارية وجيدها بقوله

كالخوط في القد والغزالة في البهجة وابن الغزال في غيده
وما حكاه ولا نعيم له * في حسنه بل حكاه في جيده

وان كان هذا الجيد عاطلا حليناه بقول ابن العباس الاعمى

ونبئت ذاك الجيد أصبح عاطلا * خذي أدمعي ان كنت غضبى على الدر
خذي فانظميها أو كليني لنظمها * حليا على تلك الترائب والنحر
خذي اللؤلؤ الرطب الذي لهجوابه * محاربه جفني ولجته صدري
ولا تخبري حور الجنان فربما * غصبنكه بين الخديعة والمكر

(طرف) عين (ظرف) حلاوة ورشاقة وجعل الطرف والعنق جندا لها لانها لما حسنت معنى هذه الصفات انقاد لها عشاقها اذلاء فكأنها أغارت على قلوبهم فاستلبتها وقد قال فيما تقدم *وأحوى حوى رق برقة لفظه* فجعله قد ملكه بحلاوته وقال حبيب

وحشية ترمي القلوب اذا اغتدت * وسنى فما تصطاد غير الصيد

فجعلها تصطاد السادات بفتور عينيها وهذا المعنى لا يحصى كثرة * وأراد بالناعس الفاتر النظر * وينعش من كان له منه نصيب وتمكن (يحد) يمنع من رآه من التسلي والتصبر (زها) تكبر (والتيه) ضرب من الزهو وهو الكبر (باهت) فاخرت وعظمت (واعتدت) ظلمت (يجد) يقطع أي ان خدها يقطع في القلوب لاسيما ان كان كما قال من أحسن

وبيضاء تحسبها درة * تضيء الدجى ان بدت أو تكاد
تنمم بالمسك كافورتي * محيا حوى الحسن طرا وزاد
فقلت أوصلك هذا البياض * وبعض صدودك هذا السواد
فقالت أبي كاتب للملوك * دنوت اليه بحسن الوداد
فخاف اطلاعي على سره * فلم يعد أن رشني بالمداد

فوصفها بان في خدها خيلانا (قوله أرقني) أي منعني النوم (شطت) بعدت (سطت) بطشت (نم) أفشى السر أي أفشى ما بي من الحب (وجد) حزن من الحب وهم (جد) اجتهاد (فدنت) قربت (حنت) أشفقت (مغضيا) متغافلا عما ينال منه (يود) يتمنى (يود) يحب يقول لما لها وجدي بما أجنه من حبها وأبصرت ما فعل هجرها بي دنت عند ذلك مني شفقة وحنت بسلامها وأنا في حال غضبان لما حل بي من الهجر متمنيا أن تحييني فلما سلمت علي أزالت غضبي وأغضيت عما سلف من الفعل القبيح ونذكر ههنا من الاشعار الحسان مما يوافق وصف هذه الجارية جملة مستظرفة قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

جندها جيدها وطرف
وطرف ناعس ناعش يحد يحد
قدرها قد زها وتاه وباهت
واعتدت واعتدت يجد يجد
فارقني فارقني وشطت
وسطت ثم نم وجد وجد
فدنت فدنت وحنت وحنت
مغضيا مغضيا يود يود

(ما قيل في وصف الجيد)

يزيدنى البعد شوقا اليك * وطول صدودك حرصا عليك
ولو كنت أملك ماتملكين * من الصبر ماطال شوقى اليك

وقال آخر
وما أنسى لا أنسى ذاك الخضوع * وفيض الدموع وغمز اليد
وخدى مضاف الى خدها * قياما الى الصبح لم نرقد

(وقال أبو مطرف الزهرى)

مرت بنا وبدت كالبدر وانفلتت * كالغصن والتفتت كالشادن الخرق
تسربلت ببرود الحسن والتحفت * بالغنج واشتملت من طامن الغسق

وقال السرى
لبست مصندلة الثياب فمن رأى * صنما تسربل قبلها أثوابا
وحكت من الظبى الغرير ثلاثة * جيدا وطرفا فاترا واهابا

وله أيضا
مذهبة الخدود بجلنار * مفضضة الثغور بأقحوان
سقانا الله من ريّاك ريا * وحيانا بأوجهك الحسان

(وللقاضى أبى حفص)

هم نظروا لواحظها فهاموا * وتشرب عقل شاربها المدام
سماطرفى اليها وهو باك * وتحت الشمس ينسكب الغمام
يخاف الناس مقلتها سواها * أيذعر قلب حامله الحسام
وأذكر قدها فانوح شوقا * على الاغصان تنتدب الحمام
وأعقب همها فى الصدر غما * اذا غربت ذكاء أتى الظلام

وله أيضا
أعندك يا سليمى من سليم * قتلت فتاهم وهو الكريم
فمالك طالب بترات نفسى * اذا قتل الغرام فلا غريم
فؤادى سار نحوك عن ضلوع * بها يا ريم حبك لا يريم
ودادك صح فى قلب سليم * كطرفك صح ناظره السقيم
اذا أعرضت تسودّ الامانى * وان أقبلت تبيض الهموم

فطفق الشيخ يتامل ماسطره ويقلب فيه نظره فلما استحسن خطه واستصح ضبطه قال له لاشل عشرك ولا استخبث نشرك ثم أهاب بفتى فتان يسفر عن أزهار بستان فقال له

(قوله طفق) أى أخذ (يتامل) ينظر (سطره) كتبه (استصح) وجده صحيحا (والضبط) الشكل والنقط (لاشل عشرك) دعاء أى لايبست أصابعك ويروى لاثل عرشك أى لاهدم عزك والرواية الاولى هى الصحيحة (استخبث) فسد وصار خبيثا (نشرك) رائحتك العطرة (أهاب) دعا وصاح (يسفر) يكشف عن وجهه لثامه (عن أزهار بستان) عن بياض الوجه وحمرة الخدين والشفتين وسواد العينين والاشفار وخضرة الشارب والعذار ومحاسن لاتفى بها ناضرات الانوار وقد يكون يسفر بمعنى يتبسم عن بياض شقيق والقحوان واحمرار عقيق ومرجان وكان هذا الغلام هو الذى ذكر أبو الرقعمق بقوله

اذا جرت يده فى الطرس كاتبة * تبلج الطرس عن درّ ومرجان
وان تكلم حاته براعته * بكل ماشاء من فهم وتبيان

(وقال بعضهم يصف غلاما كاتبا)

انظر الى أثر المداد بطرسه * كبنفسج الروض المشوب بورده

ما أخطأت نوناته من صدغه * شيئا ولا ألفاته من قده
وكأنما ألفاته من شعره * وكأنما قرطاسه من خده

(ولعمر بن فتح)

فنوناته من حاجبيه استعارها * ولاماته من صدغه المتعاطف
ومن صده المؤذى اسوداد مداده * ومن وصله المحيى ابيضاض الصحائف

(ولابى اسحق الحصرى فى وصف هذا الغلام)

أيا من تمسك الاوصاف عنه * أعنة وصفنا نظما ونثرا
ومن يدعو القلوب الى مناها * بعينيه فلا تأتيه قسرا
ومن يجرى اللآلئ فى أقاح * يمازج ظلمه بردا وخمرا
ويعرض فى رياض الدل غصنا * ويطلع فى سماء الحسن بدرا
كأن بخده ذهبا صقيلا * اذاب عليه ياقوتا ودرا

(ومنها فى وصف الكتاب)

قرأت كتابك الاعلى محلا * لدى وموقعا شرفا وقدرا
فأحيانى وقد غودرت ميتا * وأنشرنى وقد ضمنت قبرا
نقشت بحالك الانقاش نورا * جلا لعيوننا نورا وزهرا
فدبج من بسيط الفكر روضا * أنيقا مشرق الجنبات نضرا
لو استسقى الغليل به لاروى * أو استشفى العليل به لابرى
هفا عطر الجنوب له نسيم * أقول اذا أناسم منه نشرا
نثرت لنا على الكافور مسكا * ولم تنثر على القرطاس حبرا

(وله فى العذار)

سلبت محاسنه سواد عيوننا * وقلوبنا وكست أديم عذاره
فبدا طرازا فى أسيل مشرق * ماء الحياة يجول فى أسراره
علم الذى استلبت له يد حسنه * منا فأزعج أمنه بحذاره
فله توقف مستريب تائب * ولنا تلهب عاجز عن ثاره

(وقال أبو الفضل الدارمى)

ظبى اذا حرك أصداغه * لم يلتفت خلق الى العطر
غنى بشعرى منشدا ليتنى اللفظ الذى ضمنته شعرى
فكلما كرر انشاده * قبلته فيه ولا يدرى
مشتبه أعرفه وانما * مغالطا قلت لصحبى دار من

ولمهيار
وحاملى على السرور حامل * فى كفه وطرفه سيف الفتن
قد كتب الحسن على عارضه * ما أقبح الهجران بالوجه الحسن

(ولابى اسحق الطليطلى)

ومعتذر رقت له خمر الصبا * حيث العذار حبابها المترقق

ديباج حسن تاه عقلا ناقصا * فأتمها علم الشباب المونق
وشكا الجمال مقيله في ورده * فاظله آس العذار المشفق
عامت بماء الصقل شامة خده * وجا العذار زوير قالا يغرق
ان كان يمحو نقشه من خده * فطلا الغزال بمسكها يتفتق

(قوله المطرفين) أي الغريبين وقد أطرفته جئته بطرفة أي بشيء معجب (نافث) متكلم (يعززا) يقويا ويشددا واذا صلب الشيء قيل تعزز وأصله من العزاز وهي الارض الصلبة وقال في الدرة ويقولون شفعت الرسولين بثالث فيهمون فيه والعرب تقول شفعت الرسول بآخر أي جعلتهما اثنين ليطابق معنى الشفع في كلامهم وهو اثنان فأما اذا بلغت ثلاثا فوجهه أن يقال عززت بثالث قال تعالى اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث والمعنى في عززته قويته وأعززته جعلته عزيزا فان واترت الرسل فالاحسن أن تقول قفيت بالرسل قال تعالى ثم قفينا على آثارهم برسلنا وما أحسن ما قال ابن شرف في العذار وذكر التعزيز بثالث

قد كنت في وعد العذار فانجزا * وقضى لحسنك بالكمال فأوجزا
وافى لنصر الحسن الا أنه * ولى الى فئة الهوى متحيزا
عطف تعلم منه قلبي عطفه * وجد الفؤاد به السبيل الى العزا
لم يكف وجهك حسنه وبهاؤه * حتى اكتسى ثوب الجمال مطرزا
سبحان من أعطاك حسنا ثانيا * وبثالث من حسن فعلك عززا

(الوقر) الثقل في الاذن (تلبث) طول اقامة (تريث) اذا احتبس ومكث ويقال تريث بنقطتين وتربث تربثا بواحدة والمعنى فيهما واحد (سم) علم (سمة) علامة (سمسمة) حبة جلجلان (المكر) الخداع (تقتني) تكتسب (السودد) الشرف (والمكرمة) الكرامة * وممن اشترط أن بيتيه لا يعززان بثالث قبل الحريري أبودلف حين قال *

أنا أبودلف المهدي بقافية * جوابها يهلك الزاهي من الغيظ
من زاد فيها له رحلي وراحلتي * وخاتمي والمدى فيها الى القيظ

وذكر الحصري الاعمى المكرمة في تجنيس قوافيه فسمع قوما يقدحون فيه وفي أبي خلصة فقصده وقال

ياأديبا ملكتني * في يديه المكرمات
ليت قوما دأبهم في * وفيك المكرمات

وله
رب ظبي هويته * ينتمي للهوازنه
قلت ما أثقل الهوى * قال ما للهوازنه

وله أيضا
ان كتمت الهوى فقد * صار سري علانيه
بسقام اذابني * وشحوب علانيه

(أجدت) اتيت بجيد (الزغلول) الخفيف وزغلول الرجل ولده و(الغلول) الخيانة في المغنم وأصله الستر والتغطية تقول غل الشيء غلا وغلولا اذا ستره فجعله لحسنه الذي قدم وصفه كأنه يغل العقول أي يمسكها ويخون أصحابها فيها وقالت علية * ياغل ألباب الرجال (أوضح) بين

أنشد البيتين المطرفين
المشتبهي الطرفين اللذين
أسكتا كل نافث وأمنا أن
يعززا بثالث فقال له اسمع
لاوقر سمعك ولا هزم جمعك
وأنشد من غير تلبث ولا
تريث
سم سمة تحسن آثارها
واشكر لمن أعطى ولو سمسمه
والمكر مهما اسطعت لاتأته
لتقتني السودد والمكرمه
فقال له أجدت يازغلول
ياأبا الغلول ثم نادى أوضح
ياياسين مايشكل من ذوات
السين فنهض

ولم يتأن وأنشد بصوت أغنّ نقس الدواة ورسغ الكف مثبتة * سيناهما ان هما خطا وان درسا
وهكذا السين فى قسب وباسقة
والسفح والبخس واقسر
واقبس قبسا
وفى تقسست بالليل الكلام
وفى
مسيطر وشموس واتخذ جرسا
وفى قريس وبرد فارس فخذ الصـ
ـواب منى وكن للعلم
مقتبسا
فقال له أحسنت يا نغيش
يا صناجة الجيش ثم قال ثب
يا عنبسه وبين الصادات
الملتبسه فوثب وثبة شبل
مثار وأنشد من غير عثار
بالصاد يكتب قد قبصت
دراهما
بأناملى وأصخ لتستمع الخبر
وبصقت أبصق والصماخ
وصخة
والقص وهو الصدر واقتص
الاثر
وبخصت مقلته وهذى
فرصة
قد أرعدت منه الفريصة
للخور.
وقصرت هندا أى حبست
وقد دنا
فصح النصارى وهو عيد
منتظر
وقرصته والخمر قارصة اذا
حذت اللسان وكل هذا
مستطر
فقال له رعاك الله يا بنى فلقد
أقررت عينى ثم استنهض
ذا جثة كالبيذق ونغشة
كالشوذق وأمره بأن يقف
بالمرصاد ويسرد ما يجرى على السين والصاد فنهض يسحب برديه ثم أنشد مشيرا بيديه

(يتأنى) يتباطأ أو يفتر والتأنى التثبت وفى الحديث انه نظر صلى الله عليه وسلم الى رجل يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة فقال آنيت وآذيت أى أخرت المجىء ويكون يتأنى من قولهم فلان ذو أناة من ونى يَنى وتكون الهمزة بدلة عن واو وهو الاظهر (أغنّ) فيه غنة وهو البحح الخفيف والاغن الذى يتكلم من قبل خياشيمه (نقس) مداد (رسغ الكف) موصلها من الذراع (والقسب) نوى التمر (باسقة) نخلة طويلة (السفح) أسفل الجبل (البخس) النقص (اقسر) اقهر واغلب (اقبس قبسا) اطلب شعلة من نار (وتقسست) تتبعت و (الشموس) الدابة التى تمنع ان تسرج وان تركب (جرسا) الذى يضرب به فيصوت (قريس) حوت (فارس) شديد (مقتبسا) طالبا حريصا على كسبه (قوله نغيش) أى كثير الحركة وقيل نغيش تصغير النغاش من الرجال الحقير الخلقة الغاية فى القصر فصفة هذا الغلام أنه حقير الخلقة كثير الحركة وقلما تكون تلك الخلقة الا ومعها الحركة والحدة ورواه الفنجديهى نفيش بالفاء أى قصير * ثعلب النغاشون هم القصار الضعاف الحركة ومنه الخبر انه رأى نغاشا فسجد شكرا قال والنغش تحرك الشىء فى مكانه يقال دار تتنغش صبيانا والتنغش دخول الشىء بعضه فى بعض و (صناجة الجيش) التى يضرب بها المثل فى الحروب وقيل الصناجة الضرابة بالدفوف والطنابير وعود الغناء ونحوه من آلات اللهو قال الهذلى وهو ساعدة بن جؤية

فعاودنى دينى فبت كأنما * خلال ضلوع الصدر شرع ممدد
بأوب يدى صناجة عند مدمن * غوىّ اذا ما ينتشى يتغرد

يصف ما فى صدره من الحرق ودينه حالته التى تعتاده من الهم والشرع الوتر يقول كأنما فى صدرى عود لا وتارة رنة مما أحدث به نفسى من الهموم وأوب يديها رجعهما بضرب الصنج أى بتحريك يديها حين تمر أوتارها وينتشى يسكر ويتغرد يتغنى وفلان صناجة قومه أى المقدم عليهم فى الفضل وقيل صناجة الجيش هو البطل المعروف ويقال ليلة قراء صناجة وصباحة إذا كانت مضيئة وصنج فلان بفلان اذا اصرعه وكان أعشى قيس يدعى صناجة العرب لفصاحته وقيل لرقة شعره وقيل الصناجة الغناء ويريد بالجيش الصبية الذين جيشوا حوله فنغيش صناجتهم أى أنبلهم وأحذقهم أو كالصنجة فى خلقته وقصره (ثب) اقفز (عنبسة) اسم أسد و (الشبل) ولده (مثار) مفزع وقد أثير استخرج من مكانه بالبحث عليه (قبصت) أخذت بأطراف أصابعى والقبصة اقل من القبضة (أصخ) استمع (الصماخ) ثقب الاذن (صخة) هى التى يوزن بها (والمقلة) شحمة العين و (بخصتها) فقأتها واسلتها (فرصة) نهزة وغنيمة و (الفريصة) بضعة عند الكتف ترعد عند الفزع (الخور) الضعف (قرصته) عضضته بظفرى (حذت) اللسان قرصته بحدتها (مستطر) مكتوب (رعيا) حفظا أى رعاك الله رعيا (استنهض) أمره بالنهوض (جثة) جسد و (بيذق الشطرنج) معروف يشبه به الخفيف الروح الحاذق (نغشة) حركة و (الشوذق) هو الشوذانق من الطير التى يصطاد بها (بالمرصاد) أى قريب منه حيث ينظره (يسرد) يقرؤها بسرعة (يسحب برديه) يجر ثوبيه وقال الحسن يصف مثل هذا الغلام

يا أيها المبطلون معذرتى * أراكم الله وجه تحقيق
ثم بما كنت لا أبوح به * على لسان بالدمع منطيق

ان شئت بالسين فاكتب
ما أبينه
وان تشا فهو بالصادات
يكتتب
مغس وفقس ومسطار
وملس
وسالغ وسراط الحق
والسقب
والسامغان وسقر والسويق
ومسلاق
وعن كل هذا تفصح الكتب
فقال له أحسنت يا حبقة
يا عين بقة ثم نادى يا دغفل
يا أبا زنفل فلباه فتى أحسن
من بيضة فى روضة فقال له
ما عقد هجاء الافعال التى
آخرها حرف اعتلال فقال
له اسمع لا صم صداك ولا
سمعت عداك ثم أنشد
وما استرشد
اذا الفعل يوما غم عنك
هجاؤه
فالحق به تاء الخطاب ولا تقف
فان تر قبل التاء ياء فكتبه
بياء والا فهو يكتب بالالف
ولا تحسب الفعل الثلاثى
والذى
تعداه والمهموز فى ذلك
يختلف
فطرب الشيخ لما أداه ثم
عوذه وفداه ثم قال هلم
يا قعقاع يا باقعة البقاع
فأقبل فتى أحسن من نار
القرى فى عين ابن السرى

شوقا الى حسن صورة ظفرت * من سلسبيل الجنان بالريق
وصيف كأس محدث ملكا * تيه مغن وظرف زنديق
يشوب عزا بذله فله * ذل محب وزهو معشوق
أمشى الى جنبه أزاحمه * عمدا وما بالطريق من ضيق

ومن مدحها

وان عباسا مثل والده * ليس الى غاية بمسبوق
تأنق الحسن حين زانكما * ففقتما الناس أى تأنيق
فصور الفضل من محاوندى * وأنت من حكمة وتوفيق

وله أيضا

ترى للحسن والحركات فيه * سواما لاتذاد عن القلوب
فيا من صيغ من حسن وطيب * وجل عن المشاكل والضريب
أصبنى منك يا أملى بذنب * تتيه على الذنوب به ذنوبى

(قوله سراط) أى طريق و (السقر) من الجوارح التى يصطادبها (السويق) الشعير اذا قلى وطحن (حبقة) ضرطة (عين بقة) يقال ذلك للصغير (دغفل) اسم رجل كان نسابة والدغفل ولد الفيل والدغفل الزمن الخصيب فسمى الصبى بأحدها (والزنفل) من أسماء الداهية (والبيضة) بيضة النعام وجعلها (فى روضة) يريد انها مضونة منعمة وتشبيههم للنساء بهذه البيضة مشهور فى شعر امرئ القيس وغيره وقيل للاوسية وهى امرأة حكيمة من العرب بحضرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه أى منظر أحسن فقالت قصور بيض فى حدائق خضر فأنشد رضى الله تعالى عنه لعدى بن زيد

كدمى العاج فى المحارب أو كالـ * ـبيض فى الروض زهره مستنير

(قوله لا صم صداك) أى لا هلكت فلا يكون لك صوت وقال امرؤ القيس فى الدار الخالية

صم صداها وعفا رسمها * واستعجمت عن منطق السائل

والصدى الصوت الذى يجيبك من الجبل أو من الموضع الخالى والصدا طائر يخرج من رأس المقتول فلا يزال يصيح اسقونى اسقونى حتى يقتل قاتله على زعمهم ولا صم صداك دعاء بطول العمر لان الصدى تابع للصوت فاذا مات الانسان انقطع صوته فلا يسمع له صدى فكأن صداه بعد موته أصم لا يسمع ولا يجيب (ما استرشد) أى ما طلب من يرشده ويدله (أداه) أبلغه تقول اديت الامانة اذا بلغتها صاحبها (عوذه) قرأ عليه المعوذتين وفداه قال نفسى فداؤك (قعقاع) شديد الصوت والقعقعة صوت متتابع و (الباقعة) الداهية و (البقاع) جمع بقعة قطعة من الارض (القرى) طعام الضيف (ابن السرى) هو الطارق بالليل وقد تقدم ذكر هذه النار عند قوله فلم أزل أنص عنسى وأقول طوبى لك ولنفسى وهم يضربون المثل بها وحدها فى الحسن فيقولون هو أحسن من النار فكيف اذا كان انسان مع ظلام الليل فى ريح وبرد وجوع لا يدرى أين يتوجه فرأى نارا قد أوقدت لقرى الاضياف فلا يقدر قدر حسنها الا من جربها وقالت اعرابية كنت فى شبيبتى أحسن من النار وأنشد التوزى ملغزا فى النار

وشعثاء غبراء الفروع كأنما * بها توصف الحسناء بل هى أجمل
دعوت بها صحبى بليل كأنهم * وقد أبصروها يعطشون فأنهلوا

فهذا

فهذا مثل الذى ذكر الحريرى وقال الآخر يصف نارا

ومشبوبة لايقبس الجار ريها * ولا طارق الظلماء منها يؤنس
متى مايزرها زائر يلف دونها * عقيلة دارىّ من المسك تغرس

(وأنشد أبو زيد فيها ملغزا)

وزهراء ان كفنتها فهو عيشها * وان لم تكفنها فموت معجل

وكان الحسن بن وهب أشدّ الناس عشقا لنبات جارية محمد بن حماد وكانت تغنى فى مجلسه وبين يديها كانون فحم فتأذت بالنار وأمرت بابعادها فقال الحسن مرتجلا

بأبى كرهت النار لما أوقدت * فعرفت مامعناك فى ابعادها
هى ضرة لك بالتماع ضيائها * وبحسن صورتها الذى ايقادها
وأرى صنيعك فى القلوب صنيعها * بارا كها وسيالها وقتادها
شركتك فى تلك الجهات بحسنها * وضيائها وصلاحها وفسادها

وكان مع أصحابه يوما فقال لو ساعدنا الزمان لجاءتنا نبات فما تكلموا بشئ حتى دخلت فقال انى واياك لكما قال على بن أمية

وفاجأتنى والقلب نحوك شاخص * وذكراك مابين اللسان الى القلب
فيافرحة جاءت على اثر ترحة * وياغفلتى عنها وقد نزلت قربى

ودخلت عليه يوما وهو محموم فسلمت وقبلت يده فأراد تقبيل يدها فأرعش وقال

أقول وقد حاولت تقبيل كفها * ولى رعدة أهتز منها وأسكن
فديتك انى أشجع الناس كلهم * لدى الحرب الا اننى عنك أجبن

(قوله اصدع) أى بين وأظهر (تصدع) تشق (الاضداد) الاعداء (أجش) أبح (تضله) تضيعه وتتلفه (استيقاظ) انتباه (ظمياء) عطشى * الازهرى شفة ظمياء ليست بوارمة كثيرة الدم ويحمد ظموؤها ولثة ظمياء ورجل أظمى وامرأة ظمياء وقيل شفة ظمياء اذا كانت فيها سمرة وساق ظمياء قليلة اللحم و(الظلم) بالفتح ماء الاسنان وقيل بريقها وصفاؤها والجمع ظلوم و(اللحاظ) طرف العين الذى يلى الصدغ (العظاء) جمع عظاية وهى دويبة حمراء الى الغبرة ذات قوائم أربع (الظليم) ذكر النعام (الشيظم) الطويل (اللظى) النار (والشواظ) لهبها بغير دخان (التظنى) مصدر تظنيت أى حسبت والاصل تظننت بالنون فابدلت ياء (والتقريظ) مدح الرجل حيا و(القيظ) فصل الحر و(الظمأ) العطش و(اللماظ) الشئ اليسير من الطعام وقد تلمظت اذا تتبعت بلسانك بقية الطعام بعد الاكل واسم تلك البقية اللماظة وقيل التلمظ هو لعق الشفتين باللسان من عطش أو غيظ (الحظا) انتفاخ اللحم (النظير) المثل (الظئر) المرضع بالاجرة (الجاحظ) الذى برزت عيناه (الايقاظ) ضدّ النيام الواحد يقظ بضم القاف وكسرها (قوله التشظى) أن تصير العود فلقا والشظية الفلقة منه (والشظى) عظم لاصق بالركبة وقيل هو تشقق عصب الذراع و(الظلف) للغنم والبقر بمنزلة الحافر للدواب وكل حافر مشقوق ظلف (الظنبوب) مقدم عظم الساق (والشظاظ) عود الشداد الذى يشد به المتاع وقيل هو عود يدخل فى عرا الغرارتين فيحملان به على ظهر البعير (المظفر) المؤيد (المحظور) الممنوع

فقال له اصدع بتمييز الظاء من الضاد لتصدع بها أكباد الاضداد فاهتز لقوله واهتش ثم أنشد بصوت أجش

أيها السائلى عن الضاد والظاء لكى لاتضله الالفاظ
ان حفظ الظاآت يغنيك فاسمعها * استماع امرئ له استيقاظ
هى ظمياء والمظالم والاظلام والظلم والظبا واللحاظ
والعظا والظليم والظبى والشيظم والظل واللظى والشواظ
والتظنى واللفظ والنظم والتقريظ والقيظ والظما واللماظ
والحظا والنظير والظئر والجاحظ والناظرون والايقاظ
والتشظى والظلف والعظم والظنبوب والظهر والشظى والشظاظ
والاظافير والمظفر والمحظور والحافظون والاحفاظ

والخظيرات والمظنة والظنـ
ـة والكاظمون والمغتاظ
والوظيفات والمواظب والكـ
ـظة والانتظار والالظاظ
و وظيف وظالع وعظيم
وظهير والفظ والاغلاظ
ونظيف والظرف والظلف
الظا
هر ثم الفظيع والوعاظ
وعكاظ والظعن والمظ والحنـ
ـظل والقارظان والاوشاظ
وظراب الظران والشظف
البا
هظ والجعظرى والجواظ
والظرابين والحناظب والعنـ
ـظب ثم الظيان والارعاظ
والشناظى والدلظ والظأب
والظبـ
ظاب والعنظوان والجنعاظ
والشناظير والتعاظل والعظـ
ـلم والبظر بعد والانعاظ
هى هذى سوى النوادر فاحفظـ
ـها لتقفو آثارك الحفاظ
واقض فيما صرفت منها كما تقـ
ـضيه فى أصله كقيظ وقاظوا
فقال له الشيخ أحسنت لافض فوك ولابر من يجفوك فوالله انك مع الصبا الغض لاحفظ من الارض وأجمع من يوم العرض ولقد أوردتك ورفقتك

(الاحفاظ) الاغضاب (الحظيرات) جمع حظيرة وهى الزرب يعمل منه شبه الدار تسكنها الغنم والابل وقد يكون من حائط وأصل الحظر المنع وكل مانع بين شيئين حظير (والمظنة) الموضع ترمى فيه بظنك وفلان مظنة خير أى يظن فيه الخير (والظنة) التهمة (الكاظمون) المتجرعون غيظهم وقد كظم غيظه تجرعه و رده (الوظيفات) جمع وظيفة وهى ما يلزمك من المغرم (المواظب) الملازم وقد واظبت على الشئ داومت عليه (الكظة) الامتلاء من الطعام (والالظاظ) اللزوم (الوظيف) لكل ذى أربع ما فوق الرسغ الى الساق (والظالع) الاعرج (والظهير) القوى الظهر وهو أيضا المعين (والفظ) الغليظ والفظاظة الجفاء والغلظة (والاغلاظ) الجفاء والنظيف النقى الحسن (والظلف) المنع والرد وقد ظلفت اثرى ظلفا اذا مشيت فى حزونة الارض وصلابتها فمنعت اثرك أن يؤثر فيها او (الفظيع) الكريه المطعم وقد فظع الشئ اشتدت كراهيته ومرارته (عكاظ) موسم للعرب (الظعن) السفر (الحنظل) شجر مر و (الباهظ) الغالب (والبظر) زيادة فى فرج المرأة ورجل أبظر فى شفته العليا نتوء وامرأة بظراء والاول راجع الى هذا المعنى (الانعاظ) قيام الذكر (النوادر) الغرائب والشواذ (تقفو) تتبع (قيظ) شدة الحر و (قاظوا) دخلوا فى زمن القيظ (فض) كسر (يجفوك) يغلظ لك فى الكلام (الغض) الطرى (يوم العرض) يوم القيامة ولما أشار من أول على أكبرهم انحط فى اسنانهم الى أصغرهم نختم به كما بدأ بأكبرهم فلذلك قال مع الصبا الغض ومما قيل فى الصغار من الشعر المستحسن قال أبو الفضل الدارمى وقد سأله الثعالبى أن يصف له غلاما صغيرا بديع الحسن ليثبت ذلك فى كتابه المترجم بالف غلام فأنشد

انى عشقت صغيرا * قد دب فيه الجمال
وكاد يفشى حديث الـ * فضول فيه الدلال
لو مر فى طرق الوصـ * ـل ما اعتراه الضلال
يريك بدرا منيرا * فى الحسن وهو هلال

وقال الحسن

حين أوفى على ثلاث وعشر * لم يطل عهده اذنه بالشنوف
غنة فيه للصبا تعتليه * بحة الاحتلام للتشريف
حين رام النساء منه بعين * وطوى اختها على التخويف

وقال آخر

لئن يزيد على عشر بواحدة * و زاد أخرى وشاب الحب بالجزع
وجاوب اللحظ منه لحظ عاشقه * وجوز الوعد بين اليأس والطمع
قد كان غرا بقتلى ليس يحسنه * فاليوم يبدع فى قتلى على البدع

وقال آخر

قالوا أتبكى على صغير * خصصته بالوداد طفلا
فقلت ان البنان خمس * أصغرها بينها يحلى

(ولابن ادريس اليمانى)

عشقته شادنا صغيرا * وكنت لا أعشق الصغارا
أعارنى سقم ناظريه * فاستشرفت نفسه حذارا
يسفر عن وجه مستنير * يرد جنح الدجى نهارا

قوله والبظر زيادة ترك قبله ألفاظا من المتن لم يفسرها على ما فى النسخ التى بأيدينا اهـ مصححه

لم

لم أر من قبل ذاك نورا * أضرم فيه الحياء نارا

ولابن شهيد راقني من شمه برق بدا * أم سنا المحبوب أورى زندا
هب من نعسته منكسرا * مسبل الكمين مرخ للردا
يمسح النعسة من عيني رشا * صائد في كل يوم أسدا
قلت هب لي يا حبيبي قبلة * تشف من حبك تبريح الصدا
فانثنى يهتز من منكبه * قائلا لا ثم أعطاني السدا
قال لي يلعب صدلى طائرا * فترانى الدهر أجرى بالكدا
واذا استنجزت يوما وعده * قال لي بطل ذكرني غدا
شربت اعطافه خمر الصبا * وسقاه الحسن حتى عربدا

ورأى الحسن غلاما في المكتب فأشار الى تقبيل يده فقبلها فقال

ظفرت بقبلة منه * على عيني معلمه
أشرت بها الى يده * فأوصلها الى فمه

وقال الحلواني تعرضت من شفني هجره * ببدء سلام عليه شفاها
وقلت عساه يرد السلام * فتبلغ نفسي منه مناها
فجاد على بتقبيله * وقد كان أعرض عني وتاها
وكنت كموسى أتى للضياء * لقبس نار فناجى الها

وكتب الحسن لغلام كاتب يستعطفه فوقع الغلام في كتابه تزاد هجرا الى يوم الحساب فقال

الحسن كتبت الى الحبيب ببيت شعر * اعاتبه فاغضبه كتابي
أجبني يا ملول على كتابي * فان النفس تسكن بالجواب
فوقع في الكتاب يزاد هجرا * وابعادا الى يوم الحساب

(وقال ابن رشيق في محبوبه الصائغ)

وظبي من بني الكتاب يسبي * قلوب العاشقين بمقلتيه
رفعت اليه استقصي رضاه * وأسأله خلاصا من يديه
فوقع قد رددت فؤادهذا * مسامحة فلا يعدى عليه

(وناوله يوما تفاحة فقال)

وتفاحة من كف ظبي أخذتها * جناها من الغصن الذي مثل قده
لها لمس ردفه وطيب نسيمه * وطعم ثناياه وحمرة خده

ولابن فرج ومن ينظر الى خديك يحكم * على ورد الحدائق للخدود
وما اهتزت غصون الروض الا * تمنت حسن قدك في القدود

(وقال مسلم بن الوليد)

تفاحة شامية * من كف ظبي غزل
ما خلقت مذ خلقت * تلك لغير القبل
كأنما حمرتها * حمرة خد خجل

زلالی وثقفتكم تثقيف العوالی (قال الحرث بن همام) فعجبت لما أبدى من براعة مجونة برقاعة وأظهر من حذاقة ممزوجة بحماقة ولم يزل بصرى يصعد فيه ويصوّب وينقر عنه وينقب وكنت كمن ينظر فى ظلماء أو يسرى فى بهماء فلما استراث تنبهى واستبان تدلهى حملق الى وتبسم وقال لم يبق من يتوسم فبهت لفحوى كلامه ووجدته أبازيد عند ابتسامه فأخذت ألومه على تدير بقعة النوكى وتخير حرفة الحمقى فكأنّ وجهه أسف رمادا أو أشرب سوادا الا أنه أنشد وما تمادى

تخيرت حمص وهذى الصناعه لارزق حظوة أهل الرقاعه
فما يصطفى الدهر غير الرقيع ولا يوطن المال الا بقاعه
ولا لأخى اللب من دهره سوى ما العير ربيط بقاعه

ثم قال أما ان التعليم أشرف صناعة وأربح بضاعة وأنجح شفاعة وأفضل براعة وربه ذو امرة مطاعة وهيبة مشاعة ورعية مطواعة يتسيطر تسيطر أمير ويرتب ترتيب وزير ويتحكم تحكم قدير ويتشبه بذى ملك كبير الا أنه يخرف فى أمد يسير ويتسم بحمق شهير ويتقلب بعقل صغير ولا ينبئك مثل خبير فقلت له تالله انك

(وقال آخر فى ضد ما تقدم)

فديتك لا تحتفى سلوا * اذا ما غير الشعر الصغارا
أدين بدين خل كان خمرا * واهوى لحية كانت عذارا

(وقال ابن المعتز فى مثله)

من معينى على السهر * وعلى الحب والفكر
ويل مالى من شادن * كبر الحب اذ كبر

(قوله زلالی) أى خالص على والزلال الماء العذب الصافى (ثقفتكم) قومتكم (العوالى) صدور الرماح (براعة) فصاحة (الحذاقة) المهارة فى كل عمل وهى الحذق وأصله القطع كان الحاذق يقطع الامور المشكلة بعقله وحذق الصبى القرآن قطعه حفظا (الرقاعة) الحماقة رقع رقاعة فهو رقيع (يصعد) يرفع نظره (يصوب) ينظر فى اعتدال واستواء (ينقر وينقب) يفتش (بهماء) أرض مجهولة (استراث) استبطأ (تدلهى) تحيرى ودلهه الحب حيره وأدهشه (حملق) نظر بحملاقه وهو باطن جفنه وهو نظر المغضب (يتوسم) يحسن النظر والميز (بهت) فطنت وفى الحديث رب ذى طمرين لا يؤبه له أى لا يفطن له لذلته وتأبه فلان تكبر وانه لذو أبهة أى ذو كبر ونحوه الفنجديهى رأيت بخط الحريرى يقال أبهت له وأبهت وبهت له بمعنى قال يعقوب تقول ما بهت له وما بهت به وما وبهت له وما أوبهت له وما بهأت له ما فطنت له (فحوى) معنى (عند ابتسامه) قد تقدم وصفه بالقلح يريد لما ابتسم ورأى قلحه عرفه (تدير بقعة النوكى) أى اتخاذه حمص دارا وجعلهم نوكى لرقاعتهم والنوك الحمق (حرفة) صنعة (أسف رمادا) أى تغير فكانه ذر عليه الرماد وأسف الجرح الدواء أى حشاه به (ما تمادى) أى ما دام ولا بقى على غضبه وتمادى فى الشئ لج فيه (حظوة) أى منزلة (يصطفى) يختار (يوطن) يسكن (بقاعه) منازله وهى جمع بقعة (أخى اللب) صاحب العقل (عير) حمار (قاعة) انخفاض أى ليس للانسان من دهره الا ما أكله (قوله انجح) أى أنفع وأسرع لقضاء الحاجة (امرة مطاعة) العرب تقول لك على أمرة مطاعة بفتح الالف أى أمرة أطيعك فيها وحكى الفراء كسرها على ضعف والفتح أفصح والامرة بالفتح المرة الواحدة من الامر وبالكسر الامارة والولاية (مشاعة) فاشية (يتسيطر) يتسلط (يخرف) يهرم (يتسم) يجعل لنفسه سمة أى علامة الحمق * ومما قيل فى المعلم وتفضيله على الوالد أنشد الماوردى

يا فاخرا للسفاه بالسلف * وتاركا للعلاء والشرف
آباء أجسادنا هم سبب * لان جعلنا عوارض التلف
من علم الناس كان خير أب * ذاك أبو الروح لا أبو النطف

أخذه من قول الاسكندر وقيل له ما بال تعظيمك لمعلمك أشد من تعظيمك لوالدك فقال ان أبى سبب حياتى الفانية ومعلمى سبب حياتى الباقية ولبعضهم

ان المعلم والطبيب كلاهما * لا ينصحان اذا هما لم يكرما
فاصبر لدائك ان جفوت طبيبه * واصبر لجهلك ان جفوت معلما

جاء فى الحديث يجاء بالمعلم يوم القيامة ووجهه عظم لا لحم عليه قال عطاء هم الذين يأخذون على

القران أجرا (ابن الايام) الخبير بها والبصير بحوادثها (علم الاعلام) أشهر المشاهير (الافهام) جمع فهم أراد اللاعب بالاذهان والعقول (سبل) طرق (معتكفا بناديه) ملازما لمجلسه (مغترفا من سيل واديه) آخذا من بحر علمه (الغر) البيض الحسان (نابت الاحداث الغبر) رجعت النوازل الشداد التى تغبر الارض من شدة قحطها (لعينى العبر) أى سخنة الدمع لحزنه واستعبر بكى والله تعالى أعلم

(شرح المقامة السابعة والاربعين وهى الحجرية)

(قوله احتجت للحجامة وانا بحجر اليمامة) * أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال خير ما تداويتم به الحجامة والشونيز والقسط. * القسط عود يجاء به من الهند يجعل فى الدواء والبخور وروى ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال خير يوم يحتجم فيه سبعة عشر وتسعة عشر وأحد وعشرون وما مررت بملا من الملائكة ليلة أسرى بى الا قالوا عليك بالحجامة يا محمد وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لقد تبيغ بى الدم يا نافع ادع لى حجاما ولا تجعله شيخا كبيرا ولا صبيا ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحجامة على الريق أمثل فيها شفاء وبركة تزيد فى العقل والحفظ وتزيد الحافظ حفظا فمن احتجم فيوم الخميس والاحد والاثنين والثلاثاء فانه يوم رفع الله فيه البلاء عن أيوب عليه السلام وأصابه يوم الاربعاء ولا يبدأ بأحد داء من جذام أو برص الا فى يوم الاربعاء أو ليلته (حجر) قصبة (اليمامة) يأتى ذكرها فى الخمسين ان شاء الله تعالى وهى بلدة كبيرة كثيرة النخل وسكنتها حنيفة وهى بلدة مسيلمة الكذاب الحنفى وبها تنبأ وآمن به أهلها وهى فعالة من اليم وهو طائر أو من يممت الشئ تعمدته تقول تيممته اذا تعمدته من الامام بمعنى قدام وأبدلت الهمزة ياء لما دخلتها الهاء وأقرب المدن منها البصرة (يسفر) يكشف (نظافة) صقالة وحسن (أرصدت) أعددت (أبق) هرب (طبقا عن طبق) حالا عن حال وأمرا عن أمر (المخفق) الخائب (مسعاه) سعيه (الكل على مولاه) الذى لا ينفعه بشئ ولا يكفيه أمر نفسه والكل الثقيل الروح (قوله صلود زند) هو أن لا يسمح الزند بالنار (حنين) موضع وقعة مشهورة كانت بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين هوازن هزمت فيها هوازن وسبيت أموالهم وعيالهم وقتل فيها دريد بن الصمة كافرا (عنت) كرهت (الاقدام) الجرأة والترامى و (الاحجام) الرجوع الى خلف أراد أنه ردد رأيه هل يأتيه أم لا و (التعنيف) العتب و (الكنيف) المرحاض *ونذكر هنا حكاية ظريفة تجمع أسماءه رحل رجل من الكوفة الى ابن عم له من بنى هاشم بالمدينة فأقام حولا عنده لا يدخل مستراحا فلما أراد الرجوع الى الكوفة قال ابن عمه لقينتين له أمارأيتما ظرف ابن عمى أقام حولا عندنا لم يدخل الخلاء قالتا فعلينا أن نصنع له شيأ لا يجد معه بدا من الخلاء قال شأنكما فعمدتا الى خشب العشر وطرحتاه فى شرابه وهو مسهل فلما حضر وقت شرابهما قربتاه له وسقتا مولاهما من غيره فلما أخذ الشراب منهما تناوم مولاهما ومغص الفتى من بعده فقال لاحداهما يا سيدتى أين الخلاء فقالت لها صاحبتها ما يقول لك قالت يسألك ان تغنيه

عفا من آل فاطمة الجواء * فنزل أهلها منها خلاء

لابن الايام وعلم الاعلام والساحر اللاعب بالافهام المذلل له سبل الكلام ثم لم أزل معتكفا بناديه ومغترفا من سيل واديه الى أن غابت الايام الغر ونابت الاحداث الغبر ففارقته ولعينى العبر

(المقامة السابعة والاربعون الحجرية)

(حكى الحرث بن همام) قال احتجت الى الحجامة وأنا بحجر اليمامة فأرشدت الى شيخ يحجم بلطافة ويسفر عن نظافة فبعثت غلامى لاحضاره وأرصدت نفسى لانتظاره فأبطأ بعد ما انطلق حتى خلته قد أبق أو ركب طبقا عن طبق ثم عاد عود المخفق مسعاه الكل على مولاه فقلت له ويلك أبطء فند وصلود زند فزعم أن الشيخ أشغل من ذات النحيين وفى حرب كحرب حنين فعفت المشى الى حجام وحرت بين اقدام واحجام ثم رأيت أن لا تعنيف على من يأتى الكنيف فلما شهد

(ذكر حكاية ظريفة جامعة لاسماء المرحاض)

فغنته فقال أظنهما كوفيتين فقال للاخرى ياسيدتى أين الحش فقالت لها صاحبتها ما يقول لك قالت يسألك أن تغنيه * لقد أوحش الريان فالديرمنهما * فغنته فقال الفتى أظنهما عراقيتين ومافهمتا عنى فقال للاخرى ياسيدتى أين المتوضأ فقالت لها صاحبتها ما يقول لك قالت يسأل أن تغنيه

توضأ للصلاة وصل خمسا * وأذن بالصلاة على النبى

فقال أظنهما حجازيتين ومافهمتا عنى فقال لاحداهما ياسيدتى أين الكنيف فقالت لها صاحبتها ما يقول لك قالت انه يسألك أن تغنيه

تكنفنى الواشون من كل جانب * ولو كان واش واحد لكفانى

فغنته فقال أظنهما تهاميتين فقال للاخرى ياسيدتى أين المستراح فقالت لصاحبتها ما يقول لك قالت يسألك أن تغنيه

ترك الفكاهة والمزاحا * وقلا الصبابة فاستراحا

فغنته والولى يسمع فلما كربه الامر انشأ يقول

تكنفنى الملاح وأضجرونى * على مابى بتكرير الاغانى

فلما ضاق عن ذاك اصطبارى * ذرقت به على وجه الزوانى

ثم حل سراويله وسلح عليهما فتركهما آية للناظرين وانتبه مولاهما فلما رأى ما نزل بهما قال له ياأخى ما حملك على هذا قال له يا ابن الزانية لك جوار يرين المخرج صراطا مستقيما فلا يدلننى عليه فلم يكن لهن جزاء عندى غير هذا ثم رحل عنه فيقول أبو محمد لا بأس للانسان ان يأتى المواضع الخسيسة عند الضرورة وأصل الكنيف الساتر (موسمه) مجتمعه وسوقه (ميسمه) علامته (النظارة) الناس الناظرون (أطواق) أى حلقة خلف حلقة قد استدار واحوله و (الطباق) الذى طوبق فجعل بعضه على بعض شبه به ركوب بعض الناس بعضا و (الصمصامة) سيف عمرو بن معديكرب وكانت تقطع الحديد كما يقطع الحديد الخشب وبعث ملك الهند الى الرشيد بسيوف قلعية وكلاب سورية وثياب هندية فأمر الاتراك فصفوا بين يديه صفين قد لبسوا الحديد ودخل الرشيد فقال لهم ماجئتم به قالوا هذه أشرف كسوة بلادنا فأمر فقطعت جلالا وبراقع لخيله فكبوا على وجوههم وتذمموا ثم قال ما عندكم قالوا هذه سيوف قلعية لا نظير لها فدعا بالصمصامة فقطعت بها السيوف سيفا سيفا كما يقطع الفجل من غير أن تنثنى لها شفرة ثم عرض عليهم حد السيف فاذا هو لا فل فيه ثم قال ما عندكم قالوا كلاب سورية لا يبقى لها كلب ولا سبع الا عقرته فامر بالاسد فأخرج اليهم فلما نظروا اليه هالهم وقالوا ليس عندنا مثل سبعكم ثم أرسلوا عليه الاكلب وكانت ثلاثة فمزقته فقال تمنوا فى هذه الاكلب ماشئتم قالوا السيف الذى قطع سيوفنا قال لا يجوز فى ديننا أن نهاديكم بالسلاح فانقلبوا خائبين وكانت الصمصامة عند الهادى فدعا بها وبمكتل مملوء دنانير وأمر الشعراء أن يقولوا فيه فبدأهم ابن ابياس فقال

حاز صمصامة الزبيدى عمرو * من جميع الانام موسى الامين

سيف عمرو وكان فيما سمعنا * خير ما أغمدت عليه الجفون

قوله فقال أظنهما تهاميتين الخ هكذا فى نسخ الشرح التى بايدينا والذى فى هامش المقامات المطبوعة قبل هذا فقال أظنهما مكيتين فقال ياسيدتى أين المرحاض فقالت لها صاحبتها ما يقول لك فقالت يسألك ان تغنيه
من مجرى من العيون المراض * فهى أنكى للصب من مرحاض
فغنته فقال اظنهما تهاميتين الخ فلعله سقط من قلم الناسخ اه مصححه

موسمه وشاهدت ميسمه
رأيت شيخا هيئته نظيفة
وحركته خفيفة وعليه من
النظارة أطواق ومن الزحام
طباق وبين يديه فتى
كالصمصامة

مستهدف للحجامة والشيخ يقول له أراك قد أبرزت راسك قبل ان تبرز قرطاسك (٣٦٩) وليتني قد ذاك ولم تقل لي ذالك ولست ممن

يبيع نقدا بدين ولا يطلب أثرا بعد عين فان أنت رضخت بالعين جمعت في الاخدعين وان كنت ترى الشح أولى وخزن الفلس في النفس أحلى فاقرأ عبس وتولى واغرب عني والا فقال الفتى والذى حرم صوغ المين كما حرم صيد الحرمين انى لا افلس من ابن يومين فثق بسيل تلعتى وأنظرني الى سعتى فقال له الشيخ ويحك ان مثل الوعود كغرس العود هو بين أن يدركه العطب أو يدرك منه الرطب فما يدريني أيحصل من عودك جنى أم أحصل منه على ضنى ثم ما الثقة بأنك حين تبتعد ستفي بما تعد وقد صار الغدر كالتحجيل في حلية هذا الجيل فأرحني بالله من التعذيب وارحل الى حيث يعوى الذيب فاستوى الغلام اليه وقد استولى الخجل عليه وقال والله ما يخيس بالعهد غير الخسيس الوغد ولا يرد غدير الغدر الا الوضيع القدر ولو عرفت من أنا لما أسمعتني الخنا لكنك جهلت فقلت وحيث وجب أن تسجدلت وما أقبح الغربة والاقلال وأحسن قول من قال

أوقدت فوقه الصواعق نارا * ثم شابت به الزعاف القيون
واذا ما شهرته بهر الليث ضياء فلم تكد تستبين
يستطير الابصار كالقبس المشتعل ما تستقر فيه العيون
وكأن الفرند والجوهر الجا ري صفحتيه ماء معين
ما يبالى اذا الضريبة حانت أشمال سطت به أم يمين
وكان المنون نيطت اليه فهو من كل جانبيه منون

فقال له لك السيف والمكتل ففرق المكتل على الشعراء وقال حرمتهم بسببي وأخذ من المهدى في السيف خمسين ألف دينار وممن أفرط في وصف قطع السيف النمر بن تولب حين قال

أبقى الحوادث والايام من نمر * أسباد سيف كريم اثره بادى
تظل تحفر عنه الارض مندفنا * بعد الذراعين والساقين والهادى

و يروى * تظل تحفر عنه ان ضربت به * والاسباد البقايا واحدها سبد وقال أبو الهول

حسام غداة الروع ماض كأنه * من الله في قبض النفوس دليل
كان جنود الذر كسرن فوقه * قرون جراد بينهن دخول
كأن على افرنده موج لجة * تقاصر في ضحضاحه وتطول

(وقال ابن الرومى)

يقول القائلون اذا رأوه * لامر ما تغولت الدروع

والشعر في وصف السيف كثير مشهور فلذلك اقتصرنا على هذه النبذة (قوله مستهدف) أى منتصف والهدف الغرض وأراد (بالقرطاس) قطعة من كاغد توضع فيها الدراهم الفحيحهى القرطاس درهم من نحاس وفيه شئ من الفضة يتعاملون به في الشأم (قذالك) مؤخر عنقك وهو ما بين نقرة القفا الى الاذن وجمعه قذل (ذا) اشارة الى الدرهم (نقدا) حاضرا (أثرا بعد عين) قد تقدم والعين نفس الشئ وقيل العين المعاينة فمعناه لا أترك شيأ أنا أعاينه وأطلب أثره اذا غاب وقال الفحيحهى سمعت بعض الفضلاء بفحيحهة يقول حكى أن رجلا سرق منه شئ فخرج يطلب السارق فلما ظفر به أخذ يضربه و يشد وثاقه فقال له أحد أهل البلدة خل سبيله حتى يخرج فان هنا أثر قدميه فضحك الرجل منه وقال لا أطلب أثرا بعد عين فصار مثلا لمن ترك شيأ حاصلا ثم تبع أثره بعد فوت عينه (رضخت) أعطيت و(العين) الدراهم والدنانير (الاخدعان) عرقان يقع عليهما المحجمتان وقيل هما في صفحتي العنق قد خفيا و بطنا فلخفائهما يخدعان الحاجم (خزن) امساك وحبس (اغرب) غب (والا) معناه والا صفعت عنقك (المين) الكذب (الحرمين) مكة والمدينة حرم الله تعالى بمكة وحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة (التلعة) مجرى الماء من أعلى الوادى (أنظرني) أخرني (سعتى) غناى (جنى) ما يجنى منه (ضنى) مرض (التحجيل) بياض في قوائم الفرس (حلية) صفة و زينة (الجيل) أهل العصر (استوى) اعتدل قائما (استولى) غلب عليه الخجل (يخيس) يغدر وخاس الشئ تغير (الوغد) الرذل الساقط الخسيس الدنئ (الخنا) الفحش (الطويل الذيل) الكثير المال (تشين) تعيب (أصلى) ادخل النار (الياقوت) حجارة يتزين بها والنار لا تغيره ومما جاء في معنى هذا الشعر

(٤٧) - نى شريشى ان الغريب الطويل الذيل ممتهن * فكيف حال غريب ماله قوت لكنه ما تشين الحر موجعة *
فالمسك يسحق والكافور مفتوت وطالما أصلى الياقوت جمر غضى * ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت

ان الغريب ذليل حيثما سلكا * لو أنه ملك كل الورى ملكا
اذا تغنى حمام الايك فى غصن * حن الغريب الى أوطانه فبكى

آخر

واذا حللت بدار قوم دارهم * فلهم عليك تعزز الاوطان
فالشمس تشرق فى محلة كبشها * وتكون منحطا مع الميزان

وقال الفقيه الحافظ أبو محمد بن حزم

لا يشمتن حاسد ان نكبة عرضت * فالدهر ليس على حال بمترك
فالحر كالتبر يلقى تحت منقعة * طورا وطورا يرى تاجا على ملك

وقال البحترى فى سعيد وقد حبس

وما هذه الايام الا مراحل * فمن منزل رحب ومن منزل ضنك
وقد هذبتك النائبات وانما * صفا الذهب الابريز قبلك بالسبك

(وقال أبو بكر بن دريد)

لا تحقرن عالما وان خلقت * أثوابه فى عيون رامقه
وانظر اليه بعين ذى خطر * مهذب الرأى فى طرائقه
فالمسك اذ ماتراه ممتهنا * بفهر عطاره وساحقه
سوف تراه بعارضى ملك * وموضع التاج من مفارقه

(وقال ابن شماخ)

نوائب غالتنى فأبدت فضائلى * فكانت وكنت النار والعنبر الوردا

وعلى لسان عود الطيب

ان مست النار جسمى * أبديت طيب نسيمى
كالدهر ان عض يوما * أبان فضل كريم

* وسخط المتوكل على على بن الجهم فنفاه الى خراسان وكتب أن يصلب اذا وردها يوما الى الليل فلما وصل الى الشاذياخ حبسه طاهر بن عبد الله ثم أخرجه فصلبه الى الليل مجردا فقال

لم يصلبوا بالشاذياخ عشية الاثنين مسبوقا ولا مجهولا
نصبوا بحمد الله ملء عيونهم * شرفا وملء صدورهم تبجيلا
ما ازداد الا رفعة وسعادة * وازدادت الاعداء عنه نكولا
هل كان الا الليث فارق غيله * فرأيته فى محمل محمولا
ما عابه أن بزعنه لباسه * كالسيف أفضل ما يرى مسلولا

وقال فى الحبس

قالت حبست فقلت ليس بضائر * حبسى وأى مهند لا يغمد
أوما رأيت الليث يألف غيله * كبرا وأوباش السباع تصيد
فالشمس لولا أنها محجوبة * عن ناظريك لما أضاء الفرقد
والنار فى احجارها مخبوأة * لا تصطلى ان لم تثرها الازند
والحبس ان لم تغشه لدنية * شنعاء نعم المنزل المتورد

بيت يجدّد للكريم كرامة * و يزار فيه ولا يزور فيجهد

لولم يكن فى الحبس الا أنه * لا تستذلك بالحجاب الاعبد

أخذ الاحوص أحد الامراء بأمر الوليد بن عبد الملك لانه كان يراود غلمانه فضربه مائة سوط وصب عليه الزيت وأوقفه فى الشمس وهو مع ذلك يقول

ماتعتريني من خطوب ملمة * الا تشرّف فى وترفع شانى

انى على ماقد علمت محسد * أنمى على البغضاء والشنآن

فاذا تزول تزول عن متخمط * تخشى بوادره على الاقران

انى اذا خفى اللئيم وجدتنى * كالشمس لاتخفى بكل مكان

فقال له الشيخ ياويله آبيك وعوله أهليك أأنت فى موقف فخر يظهر وحسب يشهر أم موقف جلد يكشط وقفا يشرط وهب أن لك البيت كما ادعيت أيحصل بذلك جم قذالك لاوالله ولو أن أباك أناف على عبد مناف أو خالك دان عبد المدان

(قوله ياويله آبيك) الويلة الفضيحة والويل الحزن و(العولة) البكاء الشديد وأعول يعول اعوالا اذا رفع صوته وصاح (أهليك) جمع أهل (يكشط) يحلق شعره (هب) أى احسب وذكر فى الدرة أن خواص العراق يقولون هب أنى فعلت وهبه فعل كقول أبى ذهل

هبونى امرأ منكم أضل بعيره * له ذمة ان الذمام كبير

قال وهبنى أى عدنى واحسبنى فكان فيه معنى الامر من وهب انتهى ما قاله فى الدرة وقال هنا وهب أن لك البيت *و بيت القبيلة أشرف فخذ فيها (أناف) أشرف (عبد مناف) بن قصى هو بيت قريش وشريفها وهو جد رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه المغيرة وكان يقال لعبد مناف القمر لجماله وبهائه ورفعة منزلته وسمى عبد مناف لانه شرف وعلا وأناف على أشراف العرب وكانت الركاب تضرب اليه من أطراف الارض يتحفونه تحف الملوك فيكرمهم وكان عنده لواء نزار وقوس اسمعيل وسقاية الحاج والمفاتيح ولما قسم والده المجدين أولاده جعل السقاية والرياسة لعبد مناف والدار لعبد الدار والرفادة لعبد العزى وجانبى الوادى لعبد بن قصى قال الشاعر

كانت قريش بيضة فتفلقت * فالمح خالصه لعبد مناف

ولما مات قصى رأس ابنه عبد مناف وجل قدره فأتته خزاعة وبنو الحرث بن كنانة يسألونه الحلف ليعزوا به فعقد معهم وأما شرف عقبه فلان منه بنى هاشم الذين فيهم النبوة والخلافة ومنه بنو أمية القادة فى الجاهلية وأهل الخلافة فى صدر الاسلام وقد قدمنا فى أخبار الشافعى أن فى عبد مناف يجتمع بنو هاشم و بنو أمية فلهؤلاء انتهى شرف مضر وأما بنو (عبد المدان) فاشراف اليمن وبهم يضرب المثل فى الشرف والعزة وهو عبد المدان بن الديان بن قطن بن زياد بن الحرث ابن مالك بن ربيعة بن مالك بن كعب بن الحرث بن كعب بن خالد بن بجيلة بن مذحج وقال لقيط ابن زرارة

(ذكر بنى عبد المدان)

شربت الخمر حتى خلت انى * أبو قابوس أو عبد المدان

أمشى فى بنى عدس بن زيد * رخىّ البال منطلق اللسان

وقال حسان رضى الله عنه

وقد كنا نقول اذا رأينا * لذى جسم يعد وذى بيان

كأنك أيها المعطى بيانا * وجسما من بنى عبد المدان

وقالوا لحسان كنا أبا الوليد ونحن نطول بأجسامنا على العرب نرى لانفسنا بذلك فضلا حتى قلت

دعوا التخاجؤ وامشوا مشية سجحا * ان الرجال أولوقدّ وتذكير

لا باس بالقوم من طول ومن عظم * جسم البغال واحلام العصافير

فتركتنا لا نرى لاجسامنا فضلا * وحكى الاصمعى أنه اجتمع يزيد بن عبد المدان وعامر بن الطفيل بسوق عكاظ وقدم أمية بن الاسكر الكنانى ومعه ابنة له من أجمل أهل زمانها فخطبها يزيد وعامر فقالت أم كلاب امرأة أمية من هذان الرجلان فعرّفها أمية فقالت أعرف بنى الديان ولا أعرف عامرا قال هل سمعت بملاعب الاسنة قالت نعم فقال هذا ابن أخته فقال يزيد يا أمية أنا ابن الديان صاحب الكثيب و رئيس مذحج ومكلم العقاب ومن كان يصوب أصابعه فتنطف دما ويراحته فتخرج ذهبا فقال أمية بخ بخ فقال عامر جدى الاجذم وعمى الاصم وخالى ملاعب الاسنة وأبى فارس قرزل فقال أمية بخ بخ مرعى ولا كالسعدان فارسلها مثلا فقال يزيد يا عامر هل تعلم شاعرا من قومى رحل بمدحة الى رجل من قومك قال لا قال فهل تعلم أن شعراء قومك يرحلون بمدائحهم الى قومى قال اللهم نعم فنهض يزيد وهو يقول

أمىّ يا ابن الاسكر بن مدلج * لا تجعلن هوازنا كمذحج

لا النبع فى مغرسه كالعوسج * ولا الصريح المحض كالممزج

(قوله لا تضرب فى حديد بارد) هو مثل لمن يحاول الانتفاع بمن ليس عنده نفع وقال أبو الشمقمق يهجو سعيد بن مسلم

هيهات تضرب فى حديد بارد * ان كنت تطمع فى نوال سعيد

تالله لو ملك البحار باسرها * وأتاه مسلم فى زمان مدود

يبغيه منها شربة لطهوره * لابى وقال تيمما بصعيد

وكذب عليه كان سعيد بن مسلم من أجود الناس (قوله باه) أى فاخر (موجودك ومحصولك) ما تجده من المال ويحصل لك (رفاتك) عظام أجدادك البالية (الاعلاق) جمع علق وهو النفيس الرفيع من الذخائر (اعراقك) أصولك (قوله ولا تطع الطمع فيذلك) ومن دعاء النبى صلى الله عليه وسلم اللهم انى أعوذ بك من طمع حيث لا طمع وأعوذ بك من طمع يهدى الى الطبع وقال النبى صلى الله عليه وسلم خيار المؤمنين القانع وشرارهم الطامع وقال الحسن البصرى لبعض ولد على رضى الله عنهما ما ملاك الدين قال الورع قال ما آفته قال الطمع (قوله ولا تتبع الهوى فيضلك) * ابن عباس رضى الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وعجب كل ذى رأى برأيه وقال صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف على أمتى الهوى وطول الامل أما الهوى فيصدّ عن الحق وأما طول الامل فينسى الآخرة وقال بعضهم أفضل الناس من عصى هواه وأفضل منه من رفض دنياه (تنمى) تزيد (التوى) اعوج (التوى) الهلاك (القويم) المعتدل (التهبت) اشتعلت (الطوى) الجوع (طوى) أي طوى عليه ضلوعه وستره وقال أبو فراس

لا أرتضى ودّا اذا هو لم يدم * عند الجفاء وقلة الانصاف

تعس الحريص وقلما يأتى به * عوضا من الالحاح والالحاف

قوله اولوقدّ الخ كذا بالاصل والذى فى الصحاح ذوو عضب الخ فلعلها رواية اه

فلا تضرب فى حديد بارد ولا تطلب ما لست له بواجد وباه اذا باهيت بموجودك لا بجدودك وبمحصولك لا باصولك وبصفاتك لا برفاتك وبأعلاقك لا بأعراقك ولا تطع الطمع فيذلك ولا تتبع الهوى فيضلك ولله القائل لابنه

بنى استقم فالعود تنمى عروقه قويما ويغشاه اذا ما التوى التوى

ولا تطع الحرص المذل وكن فتى اذا التهبت أحشاؤه بالطوى طوى

ان الغـني هو الغـني بنفســه * ولو أنه عاري المناكب حافي
ما كل ما فوق البسـيطة كافيا * فاذا قنعت فكل شئ كافي
وتعاف لي طمع الحريص فتوّتي * ومروأتي وقناعـتي وعفافي
شـيم عرفت بهـن مذ أنا يافع * ولقـد عرفت بمثلها اسلافي

(قوله المردي) أي المهلك (المحلق) الطائر يستدير في طيرانه (هوى) سقط (اسعف) اقض حوائجهم (اللباب) الخالص (انضوى) انقطع الى جودك وتعلق به (نبا) ارتفع ولم يوافق (يرعى) يحفظ (النوى) البعد (نوى) أراده وقصده وقد قالوا اخير الاخوان من أقبل عليك اذا أدبر الزمان (الشوى) القوائم ويقال لجلدة الرأس شوى وقوله (شوى) أي صنع شواء وأولاها النار يقول من اعتذر اليك من الاخوان فاعذره ولا تكن ممن اذا وقع على ذنب لصاحبه أخذه به ونزع جلدة رأسه فشواها وقال صلى الله عليه وسلم من لم يقبل من متنصل عذرا صادقا كان أو كاذبا لم يرد علي الحوض وقالوا المعترف بالذنب كمن لا ذنب له واعتذر رجل الى ابراهيم بن المهدي فقال قد أغناك الله بالعـذر عن الاعتـذار وأغنانا بحسـن النية عن سوء الظن وقال الحسن بن وهب

ما أحسن العفو من القادر * لا سيما عن غير ذي ناصر
ان كان لي ذنب ولا ذنب لي * فما له غـيرك من غافـر
أعـوذ بالودّ الذي بيننا * أن تفسد الاوّل بالآخر

وقالوا ليس من العدل سرعة العذل وقال آخر

اقبل معاذير من وافاك معتذرا * أبر فيما أتى من ذاك أو فجـرا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره * وقد أجلك من يعصيك مستترا

آخر

وهبني مسيأ كالذي قلت ظالما * فعفوا جميلا كي يكون لك الفضل
فان لم أكن للعفو عندك للذي * أتيت به أهـلا فأنت له أهـل

*الاحنف رب ملوم لا ذنب له آخر * لعل له عذرا وانت تلوم * آخر

اذا اعتذر الجاني محا العذر ذنبه * وكل امرئ لا يقبل العذر مذنب

وقال محمد بن سليم لابن السماك بلغني عنك شئ كرهته فقال اذا لا أبالي قال لم قال لانه ان كان حقا غفرته وان كان باطلا لم تقبله وقالوا في ترك الاعتذار

اذا كان وجه العذر ليس ببين * فان اطراح العذر خير من العذر

(قوله الشكوى) أي المشتكي الى الناس بالضر (نهى) عقل (ارعوى) رجع وارعوى عن القبيح كف عنه وحسن رجوعه ونزوعه عنه من الرعوى وهي حسـن المراجعة والنزوع عن الجهل *الفراء وابن سيده عوى الفصيل والكلب اذا صاح فمدّ صوته قال الشاعر

بها الذئب محزونا كان عواءه * عواء فصيل آخر الليل محثل

المحثل السيئ الغذاء واذا دعا الرجل النـاس الى الفتنة فقد عوى واستعوى وسمعت عوة القوم أي أصواتهـم وجلبتهم قاله الاصمعي وأبو زيد يقول بل أخو الجهـل الذي عوى بالشكاية وقت ارعوائه أي رجوعه عنك والمعنى كلما غاب عنك تشكى وما مع الفعل مصـدرية وظرف الزمان

(ما جاء في قبول الاعذار)

وعاص الهوى المردي فكم من محلق
الى النجم لما ان أطاع الهوى هوى
وأسعف ذوي القربى فيقبح ان يرى
على من الى الحر اللباب انضوى ضوى
وحافظ على من لا يخون اذا نبا
زمان ومن يرعى اذا ما النوى نوى
وان تقتدر فاصفح فلا خير في امرئ
اذا اعتلقت اظفاره بالشوى شوى
واياك والشكوى فلم تر ذا نهى
شكا بل أخو الجهل الذي ما ارعوى عوى
فقال الغلام للنظارة يا للعجيبة

والطرفة الغريبة أنف فى السماء ٣٧٤ واست فى الماء ولفظ كالصهباء وفعل كالحصباء ثم أقبل على الشيخ بلسان

سليط وغيظ مستشيط
وقال أف لك من صوّاغ
باللسان روّاغ عن الاحسان
تأمر بالبر وتعق عقوق الهر
فان يكن سبب تعنتك
نفاق صنعتك فرماها الله
بالكساد وافساد الحساد
حتى ترى أفرغ من حجام
ساباط وأضيق رزقا من سم
الخياط فقال له الشيخ بل
سلط الله عليك بثر الفم
وتبيغ الدم حتى تلجأ الى
حجام عظيم الاشتطاط ثقيل
الاشتراط كليل المشراط
كثير المخاط والضراط قال
فلما تبين الفتى أنه يشكو
الى غير مصمت ويراود
استفتاح باب مصمت
أضرب عن رجع الكلام
واحتفز للقيام وعلم الشيخ
أنه قد ألام بما أسمع الغلام
فجنح الى سلمه وبذل ان
يذعن لحكمه ولا يبغى أجرا
على حجمه وأبى الغلام الا
المشى بدائه والهرب من
لقائه وما زالا فى حجاج
وسباب ولزاز وجذاب الى
ان ضج الفتى من الشقاق
وتلاردنه سورة الانشقاق
فاعول حينئذ لوفارة خسره
وانعطاط عرضه وطمره
وأخذ الشيخ يعتذر من
فرطاته ويغيض من عبراته
وهو لا يصغى الى اعتذاره
ولا يقصر عن استعباره الى
ان قال له فداك عمك وعداك ما يغمك أما تسأم الاعوال أما تعرف الاحتمال أما سمعت عن أقال وأخذ بقول من قال فالماء
أخمد بحلمك ما يذكيه ذو سفه * من نار غيظك واصفح ان جنى جانى فالحلم أفضل ما ازدان اللبيب به * والاخذ بالعفو أحلى ما جنى جانى

محذوف أى وقت ارعوائه كقوله تعالى مادامت السموات والارض أى مدة دوامهما يريد أن العاقل يحتمل ضر الزمان ولا يشتكى والجاهل الذى متى رجع عن التشكى لم يرجع رجوعا حسنا بل يعوى بالتشكى عواء الذئب (قوله الطرفة الغريبة) أى التى لم ير مثلها (الصهباء) الخمر (الحصباء) الحجارة * (سليط) أى متسلط (مستشيط) منتشر فى الشر ملتهب فى الغضب (صوّاغ) كذاب وصاغ الكذب صنعه * راغ مال اليه من حيث لا يعلم وراغ الى أهله رجع فى اخفاء (روّاغ) ميال وفرار فى خفية (تعق) تقطع و (عقوق الهرة) أنها تأكل أولادها * وحكى الاصمعى فى كتاب أفعل من كذا يقال أعق من ضب قال أراد واضبة فكثر الكلام بها فقالوا اضب وعقوقها انها تأكل أولادها وذلك أن الضبة اذا باضت حرست بيضها من كل ما قدرت عليه من ورل وحية وغير ذلك فاذا خرجت أولادها من بيضها ظنتها شيأ يريد بيضها فوثبت عليه تقتله فلا ينجو منها الا الشديد قال وهذا موضوع قد وضعته العرب فى موضعه وأتت بعلته ثم جاءت الى ما هو فى العقوق مثل الضبة فضربت به المثل على الضد فقالوا أبر من هرة وهى أيضا تأكل أولادها فحين سئلوا عن الفرق وجهوا أكل الهرة أولادها الى شدة الحب فلم يأتوا بحجة مقنعة وقال الشاعر

أما ترى الدهر وهذا الورى * كهرة تأكل أولادها

واختصم الى شريح فى ولد هرة فقال شريح ألقه مع هذه فان هى قرت ودرت واسبطرت فهو لها وان هى هرت وفرت واقشعرت فليس لها اسبطرت اضطجعت وهرت كهرت من هرير الكلب واقشعر الجلد قامت شعوره (قوله تعنتك) طلب مشقتك والتعنت طلب الزلة وتعنته أدخل عليه الاذى اذا سأله عن شئ أراد به اللبس والمشقة عليه (سم الخياط) ثقب الابرة (بثر) خراج صغار ويقال بثر الجرح اذا خرجت به أورام صغار فيريد به سيلان الدم عن الاكل وغيره (تبيغ) هيجان وتبيغ دمه هاج عليه (تلجأ) تحوج (الاشتطاط) مجاوزة القدر (كليل) حاف (يراود) يعالج (مصمت) مغلق (احتفز) تهيأ وتشمر (ألام) أتى بما يلام عليه قال الشاعر
* ومن يخذل أخاه فقد ألاما * (جنح) مال (سلمه) صلحه (بذل أن يذعن) أى أعطى الانقياد من نفسه (يبغى أجرا) يطلب أجرة (فى حجاج وسباب) أى فى لحة وشتم (لزاز) ملازمة للخصومة وخصم لزاز ملز أى لا يفارق الخصومة (جذاب) مضاربة وجذب كل واحد منهما بثوب صاحبه (ضج) صاح و (تلاردنه) أى قرأ كمه وجعل صوت التخريق كأنه قراءة (أعول) بكى (وفارة خسره) أى كمال خسرانه (انعطاط عرضه وطمره) أى تمزيق عرضه بالشتم وثوبه بالتخريق والطمر الثوب الخلق (فرطاته) بوادره وما سبق من اذايته (يغيض) يذهب وينقص (عبراته) دموعه (يصغى) يستمع (يقصر) يكف (استعباره) بكائه (عداك) تجاوزك (يغمك) يغطى قلبك بالهم (تسأم) تمل (الاعوال) البكاء (الاحتمال) التسامح والصبر على الاذية (أقال) غفر الذنب (أخمد) أطفئ وسكن (يذكيه) يوقده (سفه) جهل (اصفح) أظهر كرمك (جنى) أوقع بك جناية و (الجانى) فاعلها (الحلم) العقل والصبر على المضرات (ازدان) افتعل من الزين أى تزين به (اللبيب) العاقل (العفو) غفر الذنب (جنى) قطف الثمر وهذان البيتان من بدائع مزدوجاته التى نبهنا على أنها من فائق شعره وسبقه سابق البربرى الى معناهما بقوله

لا تظهرن لذى جهل معاتبة * فرب ما هيجت بالشئ أشياء

فالماء يخمد حرّ النار يطفئها * وليس للجهل غير الحلم اطفاء
ترى السفيه له عن كل محلمة * زيغ وفيه الى التسفه اصغاء

وقال ابن فراس

ما كنت مذ كنت الاطوع اخوانى * ليست مؤاخذة الاخوان من شانى
يجنى الصديق فاستحلى جنايته * حتى أدل على عفوى واحسانى
ويتبع الذنب ذنبا حين يعرفنى * عمدا فأتبع غفرانا بغفران
يجنى علىّ فاعفو صافحا أبدا * لاشئ أحسن من حان على جانى

وذكر الحريرى هذين البيتين والمقطوعة قبلهما وجنس فيهما بين لفظ القافية واللفظ قبله ومما جاء من ذلك وهو أضبط مما ذكر قول الشاعر

قدم لنفسك زادا * وأنت مالك مالك
من قبل أن تتفانى * ولون حالك حالك
ولست تعلم يوما * أىّ المسالك سالك
اما الجنة عدن * أو فى المهالك هالك

وقال آخر

مالك من مالك الا الذى * قدمت فابذل طائعا مالكا
تقول أعمالى ولو فتشوا * وجدت أعمالك أعمى لكا

(وقالت للمعتمد جارية له لقد هنا هنا فقال)

قالت لقد هنا هنا * مولاى أين جاهنا
قلت لها الى هنا * صيرنا الهنا

(قوله المنكدر) أى المتغير والكدرة ضد الصفاء (المنهمر) السائل (أقلع) ارتفع وزال (فاء) رجع (الارعواء) الاستحياء والرجوع الحسن (أوهيت) أفسدت (شم) انظر (يستقرى) يتتبع (يستجدى) يطلب الجدا وهو العطية (فى ضمن) فى اثناء وفى خلال (تهوى) تسرع المشى وتتساقط اليه (الزمر) الجماعات (المحرمة) الداخلة فى الحرم (تسمو) ترتفع (المجد) الشرف (السمة) العلامة (غلظة) جفاء (شاكته) ضربته (حمة) شوكة العقرب التى تلسع بها والحمة السم فسمى ما يخرج عنه السم باسمه (صروف) نوائب (غادرنى) تركنى (خابط) ماش على جهالة (اضطرنى) ألجانى (خوض اللظى) دخول النار (المضرمة) الموقدة (رقة) شفقة (تعطفه) تلينه (مرحمة) رحمة (أوى) أشفق (نفحته) رميته ونبذته (ذامين) صاحب كذب (ابتهج) فرح (باكورة) أول ما يطيب من الشجر فجعل الدرهمين باكورة لانهما أول ما أخذ (تفاءل) جعلهما فألا أى لما كان أول ما حصل بايديهما درهمين استكثرهما فرجا أن تمشى عطايا الحاضرين على هذا المثال وقد كررت ذكر الفأل ونذكر هنا منه فصلا على ما أجرينا العادة فى غيره كان صلى الله عليه وسلم يكره الطيرة ويعجبه الفأل الحسن ولما قدم المدينة نزل على رجل من الانصار فصاح الرجل بغلمانه يا سالم يا يسار فقال صلى الله عليه وسلم سلمت لنا الدار فى يسر وقيل لرجل من العرب مالكم تسمون أبناءكم بأسماء السباع والكلاب وتسمون مواليكم بأسماء حسان مثل عطاء ونجاح فقال لانا أعددنا أبناءنا لاعدائنا وموالينا لانفسنا وسأل عمر رضى الله عنه رجلا عن

فقال له الغلام أما انك لو
ظهرت على عيشى المنكدر
لعذرت فى دمعى المنهمر
ولكن هان على الاملس
ما لاقى الدبر ثم كأنه نزع
الى الاستحياء فأقلع عن
البكاء وفاء الى الارعواء
وقال للشيخ قد صرت الى
ما اشتهيت فارقع ما أوهيت
فقال هيهات شغلت شعابى
جدواى فشم بارق سواى
ثم انه نهض يستقرى الصفوف
ويستجدى الوقوف وينشد
فى ضمن ما هو يطوف

أقسم بالبيت الحرام الذى
تهوى اليه الزمر المحرمه
لو أن عندى قوت يوم لما
مست يدى المشراط والمحجمه
ولا ارتضت نفسى التى لم تزل
تسمو الى المجد بهذى السمه
ولا اشتكى هذا الفتى غلظة
منى ولا شاكته منى حمه
لكن صروف الدهر غادرنى
كخابط فى الليلة المظلمه
واضطرنى الفقر الى موقف
من دونه خوض اللظى المضرمه
فهل فتى تدركه رقة
علىّ أو تعطفه مرحمه

(قال الحرث بن همام) فكنت أول من أوى لبلواه ورق لشكواه فنفحته بدرهمين وقلت لا كانا ولو كان ذا مين فابتهج بباكورة جناه وتفاءل بهما للغناه

(ذكر ما قيل فى الفأل)

ولم تزل الدراهم تنهال عليه وتنثال لديه حتى آل ذا عيشة خضراء وحقيبة بجراء فازدهاه الفرح عند ذلك وهنأ نفسه بما هنالك وقال للغلام هذا ربيع أنت بذره وحلب لك شطره فهلم لنقتسم ولا نحتشم فتقاسماه بينهما شق الابلمة ونهضا متفقي الكلمه ولما انتظم بينهما عقد الاصطلاح وهمّ الشيخ بالرواح قلت له قد تسوّغ دمي ونقلت اليك قدمي فهل لك أن تجمعني وتكفكف ما دهمني فصوّب طرفه فيّ وصعد ثم ازدلف اليّ وأنشد

كيف رأيت خدعتي وختلي
وما جرى بيني وبين سخلي
حتى انثنيت فائزا بالخصل
أرعى رياض الخصب بعد المحل
بالله يا مهجة قلبي قل لي
هل أبصرت عيناك قط مثلي
يفتح بالرقية كل قفل
ويستبي بالسحر كل عقل
ويمجن الجد بماء الهزل
ان يكن الاسكندري قبلي
فالطل قد يبدو أمام الوبل
والفضل للوابل لا للطل

قال فنبهتني أرجوزته عليه وأرتني أنه شيخنا المشار اليه فقرعته على الابتذال والالتحاق بالارذال

اسمه واسم أبيه فقال ظالم بن سراق قال تظلم أنت ويسرق أبوك وجاءه رجل فقال له ما اسمك قال جمرة قال ابن من قال ابن شهاب قال ممن قال من الحرقة قال وأي تسكن قال بحرة النار قال بأيها قال بذات لظى قال أدرك أهلك فقد احترقوا فرجع فوجدهم قد احترقوا فكان كما قال * الفخذيهي بسنده حدثني أحمد بن علي حدثني أبو مسعود قال قال لي أبو داود السنجي ما اسمك قلت سعد قال ابن من قلت ابن مسعدة قال أبو من قلت أبو مسعود قال لي مسئلتك مثل اعرابي لقي آخر فقال ما اسمك قال فيض فقال ابن من قال ابن الفرات قال أبو من قال أبو بحر قال ليس لنا أن نكلمك الا في زورق وقال علي بن الجهم دخلت يوما على المتوكل وهو جالس في صحن داره وبيده غصن آس وهو يتمثل بهذا الشعر

بالشط لي سكن أفديه من سكن * أهدى من الآس لي غصنين في غصن
فقلت اذ نظما الفين واتسقا * سقيا ورعيا الفال منك ما حسن
فالآس لاشك آس من تشوّقنا * شاف وآس تبقي لي على الزمن
بشرتماني باسباب ستجمعنا * ان شاء ربي ومهما يقضه يكن

ثم قال لي وكدت أنشق حسدا لمن هذا الشعر يا علي فقلت للحسين بن الضحاك يا سيدي فقال هو والله عندي أشعرهم وأحسنهم مذهبا وأظرفهم نمطا فقلت وقد زاد غيظي في هذا النمط يا سيدي قال وفي غيره وان رغم أنفك ومت حسدا وأردت انشاده قصيدة فقلت اني لا أنتفع بها مع ما جرى فأخرتها الى وقت آخر (قوله تنهال) أي تنصب متفرقة (آل) رجع (خضراء) ناعمة لكثرة الرزق (حقيبة بجراء) أي وعاء ممتلئ والابجر الذي خرجت سرته (ازدهاه) هزه وأعجبه (الربيع) الزيادة والفضل (والبذر) ما يزرع من الحبوب (حلب) لبن (شطره) نصفه (نحتشم) نستحي أو نغضب (الابلمة) الدومة تشق ورقتها فتخرج أبدا معتدلة (تكفكف) تدفع وتكف (دهمني) اصابني (ازدلف) قرب (ختلي) مكري (سخلي) ولدي (الخصل) الغلب في القمار وفي مسابقة الخيل وفي مراماة السهام (يستبي) يأخذ ويسبي وقد تقدم في شرح الصدر التنبيه على هذا الموضع (الطل) اضعف المطر و(الوبل) أشده (قرعته) أقلقته بكثرة اللوم وبأخذي له بلساني (الابتذال) امتهان نفسه في الصنعة الهجينة (الارذال) الادنياء فأراد عنفته ولمته أشد اللوم على حرفة الحجامة فانها صنعة أرذال الناس وسفلتهم * ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العرب بعضها لبعض أكفاء قبيلة لقبيلة وحي لحي ورجل لرجل والموالي أكفاء الا حائكا أو حجاما وقال علي بن الحسين أربعة أعمال كانت في سفل بني اسرائيل وصارت في سفل العبيد وستكون في سفل الاحرار الحياكة والحجامة والدباغة والكناسة * رفاعة بن موسى سمعت الصادق يقول ست لا ينجبون الملاح والمكاري والحمامي والحجام والبيطار والحائك وممن شهر من الادباء بصنعة هجينة نصر بن محمد الخبز رزي كانت صنعته خبز خبز الارز في دكانه بمربد البصرة فكان ينشد أشعاره على الغزل والناس يزدحمون عليه واحداث البصرة يتنافسون في ميله اليهم وكان ابن لنكك على ارتفاع قدره ينتاب دكانه فحضره يوما وعليه ثياب بيض فاخرة فتأذى بالدكان من الدخان وسوء أثره على ثيابه فانصرف وكتب اليه

لنصر في فؤادي فرط حب * ينيف به على كل الصحاب

* أتيناه فبخرنا بخورا * من السعف المدخن بالتراب
فقمت مبادرا وحسبت نصرا * يريد بذاك طردي أو ذهابي
وقال متى أراك أبا حسين * فقلت له اذا اتسخت ثيابي
فلما قرئت عليه أملى على من قرأها وكتب على ظاهرها
منحت أبا الحسين صميم ودي * فخاطبني بألفاظ عذاب
أتى وثيابه كبياض شيب * فعدن له كغربان الشباب
وبغضي للمشيب أعد عندي * سوادا لونه لون الخضاب
فان يكن المعطر فيه فخرا * فلم يكن الوصي أبا تراب
ومن شعره
خليلي هل أبصرتما أو سمعتما * باحسن من مولى تمشى الى العبد
أتى زائرا من غير وعد وقال لى * أصونك عن تعذيب قلبك بالوعد
فما زال نجم الكاس بيني وبينه * يدور بأفلاك السعادة والسعد
وله
ورد الخدود ورمان النهود وأغصان القدود تصد السادة الصيدا
من لى اذا ما رأيت الخصر مختصرا * والردف مرتدفا والقد مقدودا
وكان يحيى السرقسطى أديبا فرجع الى الجزارين فامر الحاجب بن هود أبا الفضل بن حميد أن يوبخه على ذلك فكتب اليه
تركت الشعر من عدم الاصابه * وملت الى الجزارة والقصابه
فاجابه يحيى
تعيب على مألوف القصابه * ومن لم يدر قدر الشئ عابه
ولو أحكمت منها بعض فن * لما استبدلت عنها بالحجابه
* وانك لو طلعت على يوما * وحولى من بنى كلب عصابه
لهالك ما رأيت وقلت هذا * هزبر صير الاوضام غابه
فتكنا فى بنى العنزى فتكا * أقر الذعر فيهم والمهابه
ولم نقلع عن الثورى حتى * مزجنا بالدم القانى لعابه
ومن يعتز منهم بامتناع * فان الى صوارمنا ايابه
ويبرز واحد منا لألف * فيغلبهم وتلك من الغرابه
وحقك ما تركت الشعر حتى * رأيت البخل قد أمضى شهابه
وحتى زرت مشتاقا حميمى * فأبدى لى التجهم والكآبه
وظن زيارتى لطلاب شئ * فاقصانى وأغلظ لى حجابه
(قوله ولم يبل) أصله يبالى حذفت ياؤه للجزم فصار يبال فلما كثر استعماله صار بمنزلة مالم يحذف منه شئ فقدروا تكرير الجازم عليه مرة أخرى فحذفت حركة اللام للجزم فسكنت اللام وقبلها ألف ساكنة فحذفت الالف لالتقاء الساكنين ولابى على فى هذه المسئلة عبارة استوحش منها أكثر العلماء فمن مخطئ ومن مصوب وتحقيقها غائب الا عن أهل التحقيق وقد اوضحناها فى

فاعرض عما سمع ولم يبل بما قرع وقال
كل الحذاء يحتذى الحافى الوقع

ثم قاصاني مقاصاة المهان وانطلق هو وابنه كفرسى رهان (قال الشيخ) الامام الرئيس أبو محمد القاسم بن علي رضي الله عنه قد أودعت هذه المقامة بضعة عشر مثلا من أمثال العرب وها أنا أفسر منها ما اخاله يلتبس على من يقتبس (أما قوله بطء فند) فهو مولى عائشة بنت سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه وكانت بعثته بالمدينة ليقتبس لها نارا فقصد من فوره مصر وأقام بها سنة ثم جاءها بعد السنة وهو يشتد ومعه جمر فتبدد منه فقال تعست العجلة (وأماذات النحيين) فهي امرأة من تيم الله بن ثعلبة حضرت سوق عكاظ ومعها نحيا سمن فاستخلى بها خوات بن جبير الانصارى ليبتاعهما منها ففتح أحدهما وذاقه ودفعه اليها فأخذته باحدى يديها ثم فتح الآخر وذاقه ودفعه اليها فأمسكته بيدها الاخرى ثم غشيها وهي لا تقدر على الدفع عن نفسها لحفظها فم النحيين وشحها على السمن فلما قام عنها قالت له لاهنأك فضرب بها المثل فيمن شغل وهي في هذا المثل مفعولة لانها شغلت وأكثر الافعال التي على افعل تأتى من فعل الفاعل

شرحنا لكتاب الايضاح والاكثار من مسائل الاعراب في كتب الآداب مما يستبرد ويعاب (اعرض) أي نح وجهه لجهة (قاصاني) فارقني وقال الفراء كل شيء ابنته من شيء فقد قصيته منه وتقصى الرجل من الرجل بان عنه وكل رجل باين شيأ فقد تقصى عنه* الليث رحمه الله كل شيء لازم خلصته فقد تقصى وتقصيت من الديون خرجت منها (فرسى رهان) هما اللذان يجريان ويجعل معهما جعل فمن سبق أخذه وممااستحسن من أبيات اللغز في هذا الباب قولهم في المشارط

وخضراء الا من بنات الهذيل* يلفف بالسير منقارها
كان مشق عيون القطا * اذا هن هودن آثارها

آخر وكان جدى هراش في كتابته * من أكتب الناس ياهرون بالالف

يعنى آثار التشريط تبقى كصور الالفات وقال آخر

يا ابن من يكتب في الار * قاب من غير دواة
لم يكن يكتب فيها * غير خط الالفات

(وقال ابن كناسة يخاطب ابراهيم بن سيابة)

يا ابن الذى عاش غير مضطهد* يرحمه الله أيما رجل
له رقاب الملوك خاضعة * من بين حاف منهم ومنتعل
أبوك أوهى النجاد كاهله * كم من كمى أدمى ومن بطل
يأخذ من ماله ومن دمه * لم يمس من ثاره على وجل
في كفه صارم يقلبه * يقد أعناق سادة نبل

وأخذ صاحب الشرطة رجلا في ريبة فقال أصلحك الله احفظ في الابوة وقال

أنا ابن الذى لا تنزل الدهر قدره * وان نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس أفواجا الى ضوء ناره * فمنهم قيام حولها وقعود

فأمر بتركه ثم أخبر أن أباه باقلانى فقال لولم نتركه الا لادبه وحسن تخلصه من الكذب لكان فعلنا سدادا وكان بالمدينة فتى أبوه مغن وأمه نائحة فاغضبه انسان فقال أتغضبنى وأنا ابن الطرب والحرب* وقال ابن عباس المصرى يذكر غلاما جميلا والحجام يأخذ من شعره في الحمام

مزين انسرى لظبى * كأنه البدر في سجوفه
كان موساه وهولما * نضى بها الشعر في وقوفه
كيوان في كفه حسام * يخلص البدر من كسوفه

ولبعضهم يمدح حجاما

ان المزين انسان صناعته * تعلو الصنائع اذ ما مثلها صنعت
ألا ترى انه لا يستراب به * وآلة الموت في صندوقه جمعت
يخلو مع الملك المرهوب جانبه * فيما اليه ضرورات الامور دعت
تعلو أنامله في حين خلوته * مواضعا لو علتها غيرها قطعت

وقال السرى في مزين محسن

هل الحذق الا لعبد الكريم * حوى فضله جادثا عن قديم
اذا لمع البرق فى كفه * أفاض على الرأس ماء النعيم
جهول الحسام ولكنه * يروح ويغدو بكفى عليم
له راحة سيرها راحة * تمر على الرأس مر النسيم
نعمنا بخدمته مدنشا * فنحن به فى نعيم مقيم *

وله فى طبيب

أوضح نهج الطب فى معشر * مازال فيهم دارس الرسم
كأنه من لطف افكاره * يجول بين الدم واللحم
ان غضبت روح على جسمها * ألف بين الروح والجسم

وفى ضده لابى نصر كشاجم

عيسى الطبيب ترفق * فأنت طوفان نوح
يأبى علاجك الا * فراق جسمى وروحى
شتان ما بين عيسى * وبين عيسى المسيح
فذاك محيى ممات * وذا مميت الصحيح

وللخوارزمى

أبو سعيد راحل للكرام * ومنسف ينسف عمر الانام
لم أره الاخشيت الردى * وقلت يا روحى عليك السلام
يبقى ويفنى الناس من شؤمه * قوموا انظروا كيف نجاة اللئام
ثم تراه آمنا سالما * يا ملك الموت الى كم تنام *

وللسرى

هل للعليل سوى ابن قرة شاف * بعد الاله وهل له من كاف
فكأنه عيسى بن مريم ناطقا * يهب الحياة بأيسر الاوصاف
مثلت له قارورتى فرأى بها * ما اكتن بين جوانحى وشغافى
يبدو له الداء الخفى كما بدا * للعين رضراض الغدير الصاف

وكثرة الكلام وقف على أهل الحجامة ولذلك صرف الحريرى بين الشيخ وابنه ما تقدم فى هذه المقامة وكان الفقيه الاعمش أكثر الناس تبرما ان أعاد أحد عليه سؤالا انتهره وأخطأ يوما على قوم فقالت لهم امرأته من وراء الستر احلموا عنه فوالله ما يمنعه من الحج منذ ثلاثين سنة الا مخافة أن يظلم كريه أو يشتم رفيقه وكثر عليه الشعر فقال له تلامذته لو أخذت من شعرك فقال لا نجد حجاما يسكت قالوا له نأتيك به ونأخذ عليه أن يسكت حتى يفرغ قال افعلوا فأتى بحجام ووصى أن لا يكلمه فبدأ بحلقه فلما أمعن سأله فى مسئلة فنفض ثيابه وقام بنصف رأسه محلوقا حتى دخل بيته فأخرج الحجام وأتى بغيره فقال والله لا أخرج اليه حتى توصوه وتحلفوه فحلف أن لا يسأله فى شىء وحينئذ خرج اليه ومقامة الحجام فى البديعية منها قال عيسى بن هشام فطلبت حجاما فجاءنى برجل نظيف ظريف لطيف فارتحت اليه وسلمت عليه فقال لى السلام عليك من أى بلد أنت فقلت من مصر فقال لى حياك الله من أرض النعمة والرفاهة

(وأما قوله أنف فى السماء واست فى الماء) فضرب هذا المثل لمن يكبر مقالا ويصغر فعالا (وأما قوله أفرغ من حجام ساباط) فذكر انه كان حجاما ملازما ساباط المدائن يحجم الجندى بدانق نسيئة وربما مرت عليه برهة لا يقربه فيها أحد فكان يبرز أمه عند تمادى عطلته فيحجمها لكى لا يقرع بالبطالة فما زال يحجمها حتى نزف دمها وماتت (وأما قوله يشكو الى غير مصمت) فهو مثل يضرب لمن لا يكترث بشأن صاحبه ولا يعبأ باستمرار شكايته لانه لو أشكاه لصمت وأمسك عن الكلام ومنه قول الراجز يخاطب جمله انك لا تشكو الى مصمت فاصبر على الحمل الثقيل أو مت ونحو هذا المثل (هان على الاملس ما لاقى الدبر) وأما قوله (شغلت شعابى جدواى) فالمراد به انه ليس يفضل عنى ما أصرفه الى غيرى والشعاب هى النواحى وأحدها شعب وقوله (كل الحذاء يحتذى الحافى الوقع) معناه ان المجهود يقنع بما يجد والوقع ان تصيب الحجارة القدم فتوهنها فاما البعير الموقع فهو الذى يكثر آثار الدبر بظهره

و بلد السنة والجماعة ولقد حضرت في رمضان جامعها وقد اشتعلت المصابيح وأقيمت التراويح فما شعرنا الا بعدا النيل قد أتى على تلك القناديل لكن صنع الله لي بخف كنت لبسته رطبا فلم يحصل طرازه على كمه وعاد الصبي الى أمه بعد ان صليت العتمة واعتدل الظل ولكن كيف كان جمل قضيت مناسكه كما وجب وصاح الصبيان العجب العجب فنظرت الى المنارة وما أهون الحرب عند النظارة ووجدت الهريسة على حالها فعلمت أن الامر بقضاء الله وفدوا الى مني اليوم وغدا السبت والاحد ولم أكثروأطيل وما أكثر القال والقيل وان أردت أن تعلم المبرد حديد الموسى في النحو فلا تشتغل بقول العامة فلو كانت الاستطاعة قبل الفعل لحلقت رأسك فهل ترى ياسيدي أن ابتدي قال عيسى فبقيت والله متعجبا من هذيانه وسألت عنه فاذا هو أبو الفتح قد غلب السواد عليه فتركته وانصرفت فهذه غرارة حجام على الحقيقة

(المقامة الثامنة) (والاربعون الحرامية)

*(روى الحرث بن همام) قال عن أبي زيد السروجي قال مازلت مذ رحلت عنسي وارتحلت عن عرسي وغرسي أحن الى عيان البصرة حنين المظلوم الى النصرة لما اجمع عليه ارباب الدراية وأصحاب الرواية من خصائص معالمها وعلمائها ومآثر مشاهدها وشهدائها وأسأل الله ان يوطئني ثراها لأفوز بمرآها وان يطيني قراها لأقترى قراها فلما أحلنيها الحظ وسرح لي فيها اللحظ رأيت بها ما يملأ العين قرة ويسلي عن الاوطان كل غريب فغلست في بعض الايام حين نصل خضاب الظلام وهتف ابو المنذر بالنوام

(شرح المقامة الثامنة والاربعين وتعرف بالحرامية)

(رحلت) أي شددت عليها الرحل والرحل سرج الناقة و(العنس) الناقة القوية شبهت بالعنس وهي الصخرة لصلابتها قال الليث اذا تم سن الناقة واشتدت قوتها وصلبت عظامها وأعضاؤها فهي عنس (عرسي) زوجتي (غرسي) أولادي (أحن) اشتاق (عيان) معاينة ومشاهدة (خصائص) ما يختص به من الفضائل (معالمها) مواضعها المشهورة و(المآثر) الفضائل والمكارم والمأثرة الفضيلة يختص بها (مشاهدها) مواضع اجتماع أهلها (يوطئني ثراها) يجعلني أطؤها وأمشي عليها وأوطأه الشيء أمكنه من أن يطأه (الثرى) التراب الندي و(مرآها) منظرها (يمطيني قراها) يركبني ظهرها (اقترى) اتتبع (أحلنيها) أنزلنيها (الحظ) السعد (اللحظ) العين (قرة) سرور (يسلي) يشغل (غلست) خرجت في الغلس وهي ظلمة آخر الليل (نصل) زال (هتف) صاح (أبو المنذر) كنية الديك ويكنى أبا سليمان *أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الديك فانه يوقظ للصلاة أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم الديكة تصيح فانها رأت ملكا فاسألوا الله من فضله واذا سمعتم نهيق الحمير فانها رأت شيطانا فاستعيذوا بالله من الشيطان الرجيم وقال صلى الله عليه وسلم الديك الابيض صديقي وانه يحرس دار صاحبه وسبع دور وكان مستعه في البيت وقال ابن المعتز يصف ديكا

(ذكر ما قيل في الديك)

بشر بالصبح طائر هتفا * هاج من الليل بعدما انتصفا
مذكر بالصباح صاح بنا * كخاطب فوق منبر وقفا
صفق اما ارتياحه لسنا الفجر واما على الدجا أسفا

وله

وصاح فوق الجدار مشترفا * كمثل طرف علاه أسوار
ثم غدا يسأل الفرات عن الارزاق منه ثغر ومنقار
رافع رأس طورا وخافضه * كانما العرف منه منشار

(وقال الاسعد بن بليط)

وقام بها ينعى الدجى ذو شقيقة * يدير الناب بين اجفانه سقطا
اذا صاح اصغى سمعه لأذانه * وبادر ضربا من قوادمه الابطا
ومهما اطمأنت نفسه قام صارخا * على خيزران نيط من صفره خرطا

كان

لاخطو فى خططها وأقضى الوطر من توسطها فأدّانى الاختراق فى مسالكها والانصلات فى سككها الى محـلة موسومة بالاحترام منسوبة الى بنى حرام ذات مساجـد مشهودة وحياض موردة ومبان وثيقـة ومغان أنيقـه وخصائص أثيرة ومزايا كثيرة بها ماشئت من دين ودنيا

وجيران تنافوا فى المعانى
فمشغوف بآيات المثانى
ومفتون برنات المثانى
ومضطلع بتلخيص المعانى
ومطلع الى تخليص عانى
وكم من قارئ فيها وقار
أضرابالجفون وبالجفان
وكم من معلم للعـلم فيها
وناد للندى حلو المجانى
ومغنى لاتزال تغن فيه
أغاريد الغوانى والاغانى
فصل ان شئت فيها من يصلى
واماشئت فادن من الدنان
ودونك صحبة الاكياس فيها
أو الكاسات منطلق العنان

(قال) فبينما أنا أنفض طرقها وأستشـف رونقها اذ لمحت عنـد دلوك براح واظلال الرواح مسجدا مشتهرا بطرائفه مزدهرا بطوائفه وقد أجرى أهله ذكر حروف البدل وجروا فى حلبة الجدل فعجت نحوهم لا ستمطر نوأهم لا لاقتبس نحوهم فلم يك الا كقبسة العجـلان حتى ارتفعت الاصوات بالأذان ثم ردف التأذين بروز الامام فأغمدت ظبى الكلام وحلت الحبا للقيام وشغلنا بالقنوت عن

كان انوشروان اعـلاه تاجـه ＊ وناطت عليه كف مارية القرطا
سبى خلد الطاوس حسن لباسه ＊ ولم يكفه حتى سبى مشية البطا

(قوله أخطو) أى أمشى (خططها) طرقها (الوطر) الحاجة (توسطها) المشى فى وسطها (أدّانى) أوصلنى (الاختـراق) المشى واخترقت البلدة اذا قطعت ارضها بالمشى والاخـتراق المرور والسلوك و(المسالك) الطرق والانصلات الخروج بسرعة من زقاق الى آخر وانصلت السيف خرج بسرعة (سككها) أزقتها الواحدة سكة وسميت سكة لاصطفاف الدور فيها ويقال للطريق المستـوية المصطفة من النخل سكة (محـلة) منزلة (موسومة) معلمـة (الاحتـرام) الامتناع (حياض) جمع حوض (موروده) مقصودة للشرب (مغان) منازل (أنيقـة) معجبة حسـنة (أثيرة) منتشرة لكثرتها (مزايا) جمع مزية وهى الفضيلة يختص بها الشئ (تنافوا) تباعـدوا (مشغوف) مولع شـديد الحب (المثانى) ام القرآن وقيل السبع الطوال من اول القرآن و(رنات) اصوات (المثانى) اوتار عود الغناء (مضطلع) قوى (التلخيـص) تهـذيب الشئ وتخليـص فوائده وكانه مقلوب التخليص و(تخليص عان) افتكاك اسير (قارئ) عابد مكثر لقراءة القرآن (قار) مطعم للضـيف (الجفون) العيون (الجفان) صحاف الطعام يريد أن هـذا اضر بجفونه بكثرة النظر فى الورق قارئا مافيها وهـذا بجفانه لاطعام مافيها (مغنى) منزل (تغن) تصوت (اغاريد) اصوات (الغوانى) جمع غانية وهى المرأة الجميـلة (الاغانى) جمع اغنيـة وهى مايتغنى به (الدنان) خوابى الخمر (دونك) اى الزم (الاكياس) اهل الفطنة والتدبير (منطلق العنان) مسيب مسرح (انفض طرقها) اى أمشى بها وحدى يقال جاء فلان ينفض الطريق اذا جاء وحده وقالت الجهنية

يرد المياه حضيرة ونفيضة ＊ ورد القطاة اذا اسمأل التبع

الحضيرة الذى يحضر معه غيره وجمعه الحضائر والتبع الظل واسمأل نقص ويقال ايضا نفض المكان واستنفضه اذا نظر جميع مافيه حتى يعرفه (استشف) استقصى النظر (رونقها) حسنها (لمحت) نظرت (دلوك براح) زوال الشمس وبراح من اسمائها مبنى على الكسر ＊ عبدالله بن مسعود دلوكها غروبها ابوعبيدة دلوك الشمس زوالها وميلها وهو قول ابن عباس الازهرى هذا القول اصح عندى وقيل دلوكها من زوالها الى غروبها ويدلك هذا الوصف على ان البصرة من نهاية العظم والكبر على جانب عظـيم لانه زعم انه خرج فى الغلس وبقى يمشى فى ازقتها الى الظهر ويقال انها فى آخر الدولة الاموية كسرت فوجـد فى طولها فرسخان وفى عرضها فرسخ وخمسة اسداس فرسخ (قوله اظلال) أى دنو وقرب (طرائفه) عجائبه وغرائبه (مزدهرا) مضيأ بحلق الفضلاء والعلماء (طوائفه) جماعاته و(حروف الابدال) يجمعها طال يوم أنجدته و(الحلبة) جماعة الخيل فى الطلق تجرى ليختبر عتيقها من هجينها (الجدل) الخصام (عجت) ملت (أستمطر نوأهم) أطلب معروفهم والنوء طلوع نجم من المنازل وسقوط آخر يقابله (اقتبس) آخذ و(قبسة العجلان) أخذه القبس وهو شعلة من نار يقتبسها من معظم النار (ردف) تبع وجاء بعـده قال تعالى ردف لكم أى جاء بعـدكم وأردفت الرجل جئت بعـده ابن الاعرابى ردفت الرجل وأردفته ولحقته وألحقته بمعنى واحد (القنوت) الطاعة وهو أيضا طول القيام فى الصـلاة

*ابن الانبارى القنوت أربعة أقسام الصلاة وطول القيام واقامة الطاعة والسكوت (استمداد) طلب أن يمدوه بالقوت وهو الاستنزال (ينفض) يتفرق (انبرى) ظهر وقام بسرعة (كهل) تام الخلق (السمت) الوقار (ذلاقة) حدة (اللسن) حدة اللسان وتقدم الحسن فى الاربعين (اصطفيتهم) اخترتهم (أغصان شجرتى) بنى عمى وقرابتى وأولادى (خطتهم) بلدتهم والمهاجر عند العرب المستقبل من البادية الى الحاضرة و(دار هجرتى) موضع سكناى الذى هاجرت اليه (كرشى) أهلى (عيبتى) خاصتى الذين أنفرد بهم وعيبة الرجل موضع سره وكرشه عياله والعيبة وعاء يجعل فيه المتاع والكرش مثلها والكرش الجماعة من الناس والكرش أيضا لكل مجتر من البهائم بمنزلة المعدة من الانسان فساق الكرش والعيبة على جهة المثل وانهم موضع سره وقال صلى الله عليه وسلم الانصار كرشى وعيبتى قيل موضع سرى وقيل مدادى لان ذات الكرش تستمد من كرشها (الفضوح) والفضيحة الشهرة (المحاض) اخلاص (الارشاد) الهداية (عنوان العقيدة) دليل البواطن والمعتقدات و(المستشار) الذى تستشيره فى رأيك (مؤتمن) قد أمن على الاسرار والنفوس لا يخون فيها وقال صلى الله عليه وسلم ما ندم من استشار ولا شقى من استخار وقال بشار

اذا بلغ الرأى المشورة فاستعن * برأى نصيح أو مشورة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة * فان الخوافى رافدات القوادم
وما خير كف أمسك الغل أختها * وما خير سيف لم يؤيد بقائم
وخل الهوينى للضعيف ولا تكن * نؤما فان الدهر ليس بنائم
وحارب اذا لم تعط الا ظلامة * شبا الحرب خير من قبول المظالم

وهى قصيدة طويلة قالها فى ابراهيم بن عبد الله فلما قتل صرفها الى المنصور فى أبى مسلم وكان بشار يقول المشاور على احدى الحسنيين صواب يفوز بثمرته وخطا يشارك فى مكروهه وقال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم وشاورهم فى الامر لما فى ذلك من الائتلاف وهو أغنى الناس عن المشورة وقال ابن المعتز

تجاوز عن اساءة كل دهر * وصاحب يوم حادثة بصبر
وان نابتك نائبة فشاور * فكم حمد المشاور رغب أمر
وقسم هم نفسك فى نفوس * ولا تتفرد بطول فكر
اذا كظ الفرات بمائه مد * أغص به حلاقم كل نهر

قال عيسى بن على ما زال المنصور يشاور فى أمره حتى قال فيه ابن هرمة

اذا ما أراد الامر ناجى ضميره * فناجى ضميرا غير مختلف العقل
ولم يترك الادنين فى كل أمره * اذا اختلفت بالاضعفين قوى الحبل

(وأنشد الجاحظ)

ليت هندا أنجزتنا ما تعد * وشفت أنفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة * انما العاجز من لا يستبد

ثم قال ولا أعلم الموصوف بالاستبداد الا مجهلا مذموما والمثل السائر على الافواه

استمداد القوت وبالسجود عن استنزال الجود ولما قضى الفرض وكاد الجمع ينفض انبرى من الجماعة كهل حلو البراعة له مع السمت الحسن ذلاقة اللسن وفصاحة الحسن وقال يا جيرتى الذين اصطفيتهم على أغصان شجرتى وجعلت خطتهم دار هجرتى واتخذتهم كرشى وعيبتى وأعددتهم لحضرى وغيبتى أما تعلمون ان لبوس الصدق أبهى الملابس الفاخرة وان فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة وان الدين امحاض النصيحة والارشاد عنوان العقيدة وان المستشار مؤتمن

وما العجز الا أن تشاور عاجزا * وما العزم الا أن تهمّ وتفعلا

(وقال سعد بن ناشب)

اذا همّ ألقى بين عينيه عزمه * ونكب عن ذكر العواقب جانبا

ولم يستشر فى رأيه غير نفسه * ولم يرض الا قائم السيف صاحبا

وقال ابن رشيق فى أدب قوله تعالى وشاورهم فى الامر

أشاور أقواما لآخذ رأيهم * فيلوون عنى أعينا وخدودا

وليس برأيى حاجة غير أننى * أؤنسه كى لا يكون وحيدا

ولا أنا ممن يبعث السهم راميا * الى غرض حتى يكون سديدا

فلا يتهم عقلى الرجال فاننى * أعرفهم انى خلقت ودودا

وأنشد الحريرى بيتى بشار فى درّة الغواص على ان قول الخواص مشورة بوزن مفعلة خطا وانما هى مشورة بوزن معونة ومثوبة مثل مكرمة من الصحيح فنقلت حركة الواو الى ما قبلها فسكنت واختلف فى اشتقاقها فقيل هو من شرت العسل أشوره اذا جنيته فكأن المستشير يجنى الرأى من المشير وقيل من شرت الدابة اذا أجريتها مقبلة ومدبرة لتختبرها والاشتقاقان متقاربان (المسترشد) السائل أن يرشد (قن) حقيق (عذلك) لامك (صدقك) قال الصدق كأنه أراد أن الصديق انما سمى صديقا الصدقه لصاحبه يريد أن أخاك هو الذى يلومك ويقبح لك سوء فعلك ومن حسن وعذرك فى ذلك فليس بصديق ولا أخ مثل ما حكى الاصمعى قال سمعت أعرابيا يقول لأخ له اعلم ان الناصح لك المشفق عليك من طالع لك ما وراء العواقب برويته ونظره ومثل لك الاحوال المخوفة وخلط لك الوعر بالسهل من كلامه ومشورته ليكون خوفك كفء رجائك وشكرك ازاء النعمة عليك وأن الغاش لهواك والحاطب عليك من مدّ لك فى الاغترار ووطأ لك مهاد الظلم تابعا لمرضاتك منقادا لهواك وقال الشاعر فيمن لا يقبل النصح

اذا ما هديت امرأ مخطئا * أضل السبيل الى قصده

فلم تلفه سامعا قابلا * فحسن له المشى فى ضده

(الخل) الخليل (الودود) الصاحب الكثير الودّ (الخدن المودود) الصديق المحبوب (الملغز) المبهم الخفى (الموجز) المختصر (تبغيه) تطلبه (لينجز) ليفعل فى الحين (حبانا) اختصنا (صفوة) خيار (نألوك نصحا) نقصر فى نصيحتك (ندخر) نرفع ونخبأ (نضحا) عطية ندفعها لك مأخوذ من النضح وهو الشرب القليل دون الرى والنضح أيضا الرش بالماء (وقيتم ضيرا) كفيتم الضر (يصدر) يرجع (تلبيس) التباس وتخليط (لا يخيب فيهم مظنون) اى ما ظن فيهم من النصح والمعاونة موجودة فيهم غير مفقودة (مكنون) مستور (يطوى) يحجب ويستتر (ابثكم) أنشر لكم وأظهر (حاك فى صدرى) أثر فيه واحتك به (عيل) غلب وعالنى الشئ عولا غلبنى وثقل علىّ (قوله صلود الزند) هو أن لا يسمح بالنار (صدود الجدّ) اعراض السعد يريد الايام التى كنت فيها فقيرا (العقد) كانت العرب اذا عاهد الرجل صاحبه عقد أصابعه ثم صارت المعاهدة باللسان تسمى عقدا وكان أحدهم يربط رسن بعيره بخباء من يستجير به أو يرسل حبله فى البئر مع حبله فيشبكه به وكان هذا كله عندهم عقدا لا يسلم المستجار به المستجير

والمسترشد بالنصح قمن وان أخاك هو الذى عذلك لا الذى عذرك وصديقك من صدقك لا من صدقك فقال له الحاضرون أيها الخل الودود والخدن المودود ما سرّ كلامك الملغز وما شرح خطابك الموجز وما الذى تبغيه منا لينجز فوالذى حبانا بمحبتك وجعلنا من صفوة أحبتك ما نألوك نصحا ولا نذخر عنك نضحا فقال جزيتم خيرا ووقيتم ضيرا فانكم ممن لا يشقى بهم جليس ولا يصدر عنهم تلبيس ولا يخيب فيهم مظنون ولا يطوى دونهم مكنون وسأبثكم ما حاك فى صدرى وأستفتيكم فيما عيل فيه صبرى اعلموا انى كنت عند صلود الزند وصدود الجدّ أخلصت مع الله نية العقد وأعطيته

الا لما يسلم ولده وقال حبيب

بلى لقد سلفت فى جاهليتهم * للحق ليس كحق حرمة عجب
أن يعلق الدلو بالدلو الغريبة أو * يلامس الطنب المستحصد الطنب

(الصفقة) ضربة يد المشترى على يد البائع (أسبا) اشترى (مداما) خمرا (اكتسى نشوة) أظهر سكرة (سوّلت) زينت وحسنت (المضلة) المحيرة (الابطال) فرسان الخلاعة للسن (الارطال) وهى أربعة وقال فى ذلك

سألت أخى أبا عيسى * وجبريل له فضل
فقلت الخمر تعجبنى * فقال كثيرها قتل
فقلت له فقدر لى * فقال وقوله فصل
وجدت طبائع الانسا * ن أربعة هى الاصل
فأربعة لاربعة * لكل طبيعة رطل

يذكر هذا الرجل انه تاب من شرب المسكر وعاهد الله أن لا يشرب خمرا ثم ارتد ورجع لخلاعته ومثل حالته هذه حالة أبى محمد البصرى كان تاب وحج فلما قفل راجعا بداله فى شرب الخمر فقال

ألا يا هند قد قضيت حجى * فهات شرابك العطر العجيبا
فقد ذهبت ذنوبى بالليالى * فقومى الآن نقترف الذنوبا
خلطنا ماء زمزم فى حشانا * بماء المزن فامتزجا قريبا

وكان أبو القاسم المغربى قد نسك زمانا ولبس الصوف وترهب وحج فعشق غلاما تركيا وهام به وتقلد الوزارة ببغداد وغيرها وانتهى فى الجاه الى الغاية وتملك الاحرار واشترى الغلام التركى وقال

تبدل من مرقعة ونسك * بأنواع المسك والشفوف
وعن له غلام ليس يحوى * هواه ولا رضاه بلبس صوف
فعاد أشد ما كان انتهاكا * كذاك الدهر مختلف الصروف

وقال أيضا

يا أهل مصر قد عاد ناسككم * بالكرخ بعد التقى الى الفتك
خمش قلبى مقرطق غنج * قد بدّ قلبى به من النسك
رمى فؤادى بسهم مقلته * وكيف يخطى مولد الترك

(وقال كشاجم)

يقولون تب والكأس فى كف شادن * وصوت المثانى والمثالث عالى
فقلت لهم لو كنت أزمعت توبة * وأبصرت هذا كله لبدالى

(وقال الحسن)

كيف النزوع عن الصبا والكاس * قس ذا الثنايا صاحبى بقياس
قالوا كبرت فقلت ما كبرت يدى * عن أن تسير الى فمى بالكاس
والراح طيبة وليس تمامها * الا بطيب خلائق الجلاس
وكأن شاربها لفرط شعاعها * بالليل يكرع فى سنى مقباس

صفقة العهد على ان لا أسبا مداما ولا أعاقر ندامى ولا أحتسى قهوة ولا اكتسى نشوة فسوّلت لى النفس المضله والشهوة المذلة المزله ان نادمت الابطال وعاطيت الارطال

وإذا نزعت عن الغواية فليكن * لله ذاك النزع لا للناس

(قوله أضعت الوقار) يريد أنه ضيع وقاره في مجلس اللهو وقد تقدم قوله

وأصفى السرور إذا ما الوقور * أماط ستور الحيا واطرح

(العقار) الخمر لأنها عاقرت الدن أي لازمته أو لأنها تعقر شاربها بثقل السكر (امتطيت) ركبت (مطا الكميت) ظهر الخمر وورى بفرس أراد أنه اعتكف على شربها وسميت كميتا لأنها حمراء الى الكمتة و(أبو مرة) كنية ابليس وقد تقدم وقال الحسن

نمت وابليس الى الصبح في * كل الذي يؤثمني خصم

رأيته في الجو مستعليا * ثم هوى يتبعه نجم

فقال لي لما هوى مرحبا * بتائب يتبعه وهم

هل لك في غيداء ممكورة(٢) * يرتج منها كفل ضخم

فقلت لا قال ففي أغيد * ذي غنة يجرحه اللثم

لست أبا مرة ان لم تعد * فان ذا من فعلك الغشم

وقال فيه وذكر أنه قاد له غلاما

دب له ابليس فاقتاده * والشيخ نفاع على لعنته

عجبت من ابليس في كبره * وخبث ما أضمر من نيته

تاه على آدم في سجدة * وصار قوادا لذريته

وقال سليمان بن الاعمى في الوليد أخو صريع الغواني

يأبى السجود له من فرط نخوته * وقد تحول في مسلاخ قواد

(وقال ابن رشيق يشكر ابليس)

رأيت ابليس من مروأته * لكل ما لا يطاق محتملا

اذا هويت امرأ وأعجزني * جاء به في الظلام معتقلا

تبذلا منه في حوائجنا * ولا يزال الكريم مبتذلا

*(وقال ايضا يلعنه)

أرى الشيخ ابليس ذا علة * فلا برئ الشيخ من علته

يقود على الحب مستيقظا * ويأتيك في الليل في صورته

فيؤتيك ما شاء من نفسه * ويبلغ ما شاء من لذته

ومن كان ذا حيلة هكذا * تمثل للمرء في يقظته

فلا تدخروا دونه لعنة * لأن رضا الله في لعنته

(قوله عكفت) أي أقمت ولازمت (الخندريس) الخمر القديمة وانما ذكر (يوم الخميس) لأنه يوم تعرض فيه الاعمال على الله تعالى واقدام العبد على الذنوب وقت العرض على الله تعالى أكبر خطرا (الصهباء) التي عصرت من عنب أبيض * الاصمعي هي التي تضرب الى البياض من أبيض عصرت أو من غيره (صريعها) الذي صرعته بالسكر يريد أنه بات سكران مطروحا وقال أبو العلاء بن زهر في سكارى

(٢) قوله ممكورة هي المطوية الخلق من النساء والمستديرة الساقين كما في القاموس اهـ

وأضعت الوقار وارتضعت العقار وامتطيت مطا الكميت وتناسيت التوبة تناسي الميت ثم لم أقنع بما تيكم المرة في طاعة أبي مرة حتى عكفت على الخندريس في يوم الخميس وبت صريع الصهباء

ومـوسدين على الاكف خدودهم * قدغالهم شرب الصبوح وغالنى
مازلت أسقيهم وأشرب فضلهم * حتى سكرت ونالهم ما نالنى
والخمر تعرف كيف تأخذ ثارها * انى أملت اناءها فأمالنى

(الغرّاء) ليلة الجمعة (رفض الانابة) طرح التوبة والرجوع (نامى الندامة) كثير الندم (بادى الكآبة) ظاهر الانكسار والحزن وسوء الحال * المدام (والمدامة) الخمر سميت بذلك لانها أديمت فى ظرفها (الاشفاق) الخوف (نقض الميثاق) حل العهد (الاسراف) الاكثار (عب) حسو والعب أن يتابع الرجل الجرعة بعد الجرعة بغير تنفس (السلاف) الخمر العتيقة والسلاف والسلافة ماسال منها من غير ان تعصر وهى أفضل الخمر قال الاعشى

(ذكر مقاطيع خمريات)

ببابل لم تعصر فجاءت سلافة * تخالط قنديدا ومسكا مختما

القنديد الخمر تطبخ ويجعل فيها أفاويه طيب * ونذكر هنا جملة من المقاطيع الخمريات لجعلها خاتمة ماقيل فى الخمر عزم الواثق على الصبوح فقال للحسين بن الضحاك اكتب الى الفتح بن خاقان تدعوه الى الصبوح وكان قد برئ من مرض فكتب اليه

فى الليلة الغراء وهأنا بادى الكآبه لرفض الانابه نامى الندامه لوصل المدامة شديد الاشفاق من نقض الميثاق معترف بالاسراف فى عب السلاف

لما اصطبحت وعين اللهو ترمقنى * قد لاح لى باكر فى ثوب لذته
ناديت فتحا وبشرت المدام به * لما تخلص من مكروه علته
ذب الفتى عن حريم الراح مكرمة * اذا رآها امرؤ ضد الخلقته
فاعجل الينا وعجل بالسرور لنا * وخالس الدهر فى أوقات غفلته

فسار وأصطبح معه وقال الحسين بن الضحاك دخلت على الحسن بن سهل فى فصل الخريف وقد جاء الوسمى من المطر برش حسن واليوم فى أحسن منظر وأطيبه وهو جالس على سرير أبنوس وعليه قبة فوقها طارفة ديباج أصفر تشرف على بستان وعلى رأسه غلام كالدينار فسلمت عليه فرد على السلام ونظر الى كالمستنطق فقلت

ألست ترى ديمة تهطل * وهذا صباحك مستقبل
وهذا المدام وقد درا عنا * بطلعته الشادن الاكحل
فعادينا وبه سكرة * تهون مكروه ما تسأل
فانى رأيت له طرة * تخبرنى انه يفعل
وقد أشكل العيش فى يومنا * فياحبذا عيشنا المشكل

فقال العيش مشكل فما ترى قلت مبادرة القصف وتقريب الالف قال على شرط أن تبيت قلت لك الوفاء على أن يكون هذا الواقف على رأسك يسقينى فضحك وقال ذلك لك على مافيه ثم دعا بالطعام والشراب ففقدت الغلام ساعة ثم جاء من الحمام فقلت

جرّده الحمام عن درّة * تلوح فيها عكن بضه
كأنما الرشح على خدّه * طل على تفاحة غضه
ياليته زوّدنى قبلة * أولا فمن جنته عضه

فقال الحسن قد عمل فيك النبيذ فقلت

سقيانى وصرفا * بنت حولين قرقفا

واسقيا الاهيف الغريـ * ـرسقى الله أهيفا
بأبى ماجـن السريـ * ـرة يبدى تعطفا
فاذا رمت ذاك منـ * ـه تأبى وعنفا
فاذا هـ ـب للمنا * م فقوموا وخففا

فتغاضب الغلام فذهب ثم عاد وقال أقبل على شرابك ثم ناولنى قدحا والحسن قد خرج فشربت وأعطانى نقلا فقلت اجعل بدله قبلة فأبى فقال له فرج غلام الحسن بحياتى يا بنى اسعفه بما طلب فضحك ثم دنا منى كأنه يعطينى نقلا وتغافل فاختلست منه قبلة فقال هى حرام فقلت

هوّن الامر عليه لى فرج * بتأبيه فسقيا لفرج
وبنفسى نفس من قال وقد * كان ما كان حرام وحرج

ثم اشتهر الصبح فخرجت ثم عدت للحسن من غد فقال كيف كان مبيتك يا حسين فقلت

تألفنى طيف ظبى الحرم * فواصلنى بعد ما قد صرم
فغض الجفون على غفلة * وأعرض اعراضة المحتشم
فما زلت أبسطه مازحا * وأفرط فى اللهو حتى ابتسم
وحكمنى الريم فى نفسه * بشئ ولكنه مكتتم

فقال يا فاسق أظن ما ادّعيته فى النوم كان فى اليقظة وأصلح الاشياء بنا أن نرحض العار عن أنفسنا بهبته لك خذه لا بارك الله لك فيه فأخذته وانصرفت وقد تقدم فى هذا الكتاب من كلام الحسين ما يفوق به كل شاعر وهو القائل

أجرنى فانى قد ظمئت الى الوعد * متى ينجز الوعد المؤكد بالعهد
أعيذك من خلف الملوك وقد ترى * تقطع أنفاسى عليك من الوجد
أيبخل فرد الحسن عنى بنائل * قليل وقد أفردته بهوى فرد

وهذا منتهى ما أوردته للحسين من العجائب *دخل علىّ بن الجهم على عبد الله بن طاهر فى غدوة الربيع وفى السماء غيم رقيق والمطر يجئ قليلا ويسكن قليلا فغاضبته جارية له فانتقض عزمه فخبر ابن الجهم بذلك فأراد تنشيطه فدخل عليه فانشده

أما ترى اليوم ما أحلى شمائله * صحو وغيم وابراق وارعاد
كأنه أنت يا من لا شبيه له * وصل وهجر وتغريب وابعاد
فباكر الراح واشرب بها معتقة * لم يدّخر مثلها كسرى ولا عاد
واشرب على الروض اذ لاحت زخارفه * زهر ونور وأوراق وأوراد
كأنما يومنا فعل الحبيب بنا * بذل وبخل وابعاد وميعاد
وليس يذهب عنى كل فعلكم * غى ورشد واصلاح وافساد

فاستحسنها وأمر له بثلثمائة دينار وحمله وخلع عليه وقال علىّ أيضا

الورد يضحك والاوتار تصطخب * والناى يندب أحيانا وينتحب
والراح تعرض فى يوم الربيع كما * تجلى العروس عليها الدر والذهب
وكلما انسكبت فى الكاس آونة * حسبت ان شعاع الشمس ينسكب

وقد مر من كلام ابن الجهم كل بديع في نظمه رفيع وآخر شعر قاله وهو أحسن ماقيل في معناه

يا رحمة للغريب في البلد النـــازح ماذا بنفسه صنعا
فارق أحبابه فما انتفعوا * بالعيش من بعده ولا انتفعا
يقول في نأيه وغربته * عدل من الله كل ماصنعا

وكان هجاء لعلي بن أبي طالب وسمعه يوما أبو العيناء يطعن على علي فقال له أنا أدري لم تطعن على علي أمير المؤمنين قال أتعني قصة بيعة أهلي قال لا أنت أوضع من ذلك ولكن لانه قتل الفاعل قوم لوط وأنت أسفلهما وقال البحتري فيه

اذا ماحصلت عليا قريش * فلا في العير أنت ولا النفير
ولو أعطاك ربك ماتمنى * لزاد الخلق في عظم الايور
علام هجوت مجتهدا عليا * بما لفقت من كذب وزور
أما لك في استك الوجعاء شغل * يكف أذاك عن أهل القبور

وقال ابن القناص كاتب سيف الدولة

قم فاسقني بين خفق الناي والعود * ولا تبع طيب موجود بمفقود
كأسا اذا أبصرت في القوم محتشما * قال السرور له قم غير مطرود
نحن الشهود وخفق الناي خاطبنا * نزوج ابن سحاب بنت عنقود

(وقال المصحفي)

صفراء تطرق في الزجاج فان سرت * في الجسم دبت مثل صل اللادغ
خفيت على شرابها فكأنهم * يجدون ريا في اناء فارغ

(ادريس بن اليماني)

ثقلت زجاجات أتتنا فرغا * حتى اذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت ان تطير بما حوت * ان الجسوم تخف بالارواح

(ابن المعتز)

وندمان سقيت الراح صرفا * وأفق الليل مرتفع السجوف
صفت وصفت زجاجتها افاضحت * كمعنى دق في ذهن لطيف

وله وهو مما يتصل بأبيات الديك المتقدمة

فاشرب عقارا كأنها قبس * قد سبك الدهر تبرها فصفا
ترى الندامى الابريق من دمها * كأنه راعف ومارعفا

ولبعضهم مازال يشربها وتشرب عقله * خبلا وتؤذن روحه برواح
حتى انثنى متوسدا بيمينه * سكرا وأسلم روحه للراح

وقال النظام مازلت آخذ روح الزق في لطف * وأستبيح دما من غير مجروح
حتى انثنيت ولي روحان في جسدي * والزق مطرح جسم بلا روح

أخذه أحسن أخذ من بشار حيث قال

شربنا من فؤاد الزق حتى * تركنا الزق ليس له فؤاد

(وقال ديك الجن)

وقم أنت فاحثث كأس سنا غير صاغر * ولا تسق مطبوخا وأسق عقارها

فقام تكاد الكاس تخضب كفه * وتحسبه من وجنتيه استعارها

مورّدة من كف ظبي كأنما * تناولها من خده فأدارها

فظلنا بأيدينا نتعتع روحها * فتأخذ من أقدامنا الراح ثارها

وقال حبيب وكاس كمعسول اللماء شربتها * ولكنها أجلت وقد شربت عقلي

اذا عوتبت بالماء كان اعتذارها * لهيبا كوقع النار بالحطب الجزل

اذا اليد نالتها بوتر توقدت * على ظعنها ثم استقادت من الرجل

وقال الحسن وصفراء قبل المزج بيضاء بعده * كان شعاع الشمس يلقاك دونها

ترى العين تستعفيك من لمعانها * وتحمر حتى ما تقل جفونها

كان يواقيتا رواكد حولها * وزرق سنا نير تدير عيونها

وللخوارزمي وصفراء كالدينار بنت ثلاثة * شمال وانهار ودهر محرم

مسرة محزون ورعد معربد * وكنز مجوسي وفتنة مسلم

يطوف بها ظبي يريد عيوننا * على عينه من شرط يحيى بن أكثم

(وقال مسلم بن الوليد)

ابريقنا سلب الغزالة جيدها * وحكى المدير بمقلتيه غزالا

يسقيك من عينيه كأس صبابة * ويعيدها من كفه جريالا

وقال أبو دلامة سقاني أبو بشر من الراح شربة * لها لذة ماذقتها بشراب

وما طبخوها غير أن غلامهم * مشى في نواحي كرمها بشهاب

ولما أنشدها علي بن الخليل صاح أحرقها العبد أحرقه الله * كان ابن لنكك أسرع الناس سكرا فقال في ذلك

فديتك لو علمت ببعض مابي * لما جرّعتني الاسفنط

فحسبك ان كرمافي جواري * أمر ببابه فأكاد أسقط

(قوله فياقوم هل كفارة تعرفونها) انما غيز بيت أعرابي أنشد أبو العباس أبياته وهي

فياقوم هل كفارة تعرفونها * تباعد من ذنبي وتدني الى ربي

شكوت فقالت كل هذا تبرما * بحبي أراح الله قلبك من حبي

فلما كتمت الحب قالت لشدّما * صبرت وما هذا بفعل شجي القلب

وأدنو فتقصيني وأبعد طالبا * رضاها فتعتدّ التباعد من ذنبي

فشكواي يؤذيها وصبري يسوءها * وتجزع من بعدي وتنفر من قربي

فياقوم هل من حيلة تعرفونها * أشيروا بها واستوجبوا الشكر من ربي

(وقال أبو العبر الهاشمي المتحامق)

أبكي اذا غضبت حتى اذا رضيت * بكيت عند الرضا خوفا من الغضب

فياقوم هل كفارة تعرفونها
تباعد من ذنبي وتدني الى ربي

قال أبو زيد فلما حل أنشوطة نفثه وقضى الوطر من اشتكاء بثه ناجتني نفسي يا أبا زيد هذه نهزة صيد فشمر عن يد وأيد فانتهضت من مجثمي انتهاض الشهم وانخرطت من الصف انخراط السهم وقلت أيها الاروع الذي * فاق مجدا وسوددا

والذي يبتغي الرشا
د لينحو به غدا
ان عندي علاج ما
بت منه مسهدا
فاستمعها عجيبة
غادرتني ملددا
أنا من ساكني سرو
ج ذوي الدين والهدى
كنت ذا ثروة بها
ومطاعا مسودا
مربعي مألف الضيو
ف ومالي لهم سدى
أشتري الحمد باللهى
وأقي العرض بالجدا
لا أبالي بمنفس
طاح في البذل والندى
أوقد النار باليفا
ع اذا النكس أخمدا
ويراني المؤملو
ن ملاذا ومقصدا
لم يشم بارقي صد
فانثنى يشتكي الصدى
لا ولا رام قابس
قدح زندي فاصلدا
طالما ساعد الزما
ن فاصبحت مسعدا
فقضى الله أن يغيـ
ـر ما كان عودا
بوأ الروم أرضنا
بعد ضغن تولدا
فاستباحوا حريم من
صادفوه موحدا
وحووا كل ما استسر بها لي وما بدا
فتطوحت في البلا * د طريدا مشردا
أجتدي الناس بعدما * كنت من قبل مجتدي

فالموت ان غضبت والموت ان رضيت * ان لم يرحني سلو عشت في تعب

وأبو العبر على تحامقه جيد الشعر ومن ذلك قوله

وفي ساعدي ممن تعلقت عضة * تذكرني ذاك الشنيب المفلجا
وآثار خدش في يدي مليحة * أقام عليها القلب مني وعرجا
أما والذي أمسيت أرجو ثوابه * لقد حل ما أخشاه وانقطع الرجا

(وله)

داء دفين وهوى بادي * اظلم مجازيك بمرصاد
يا واحد الامة في حسنه * أشمت في صدك حسادي
عبدك تحيي موته قبلة * يجعلها خاتمة الزاد

(ولاعرابي في نحو ما أنشده أبو العباس)

سكت فقالت لم سكت عن الحق * وفهت فقالت ما دعاك الى النطق
فأومأت هل من حالة بين ذا وذا * فقالت وذا الايماء أيضا من الحمق
فلم أرلي اذ حلت الغرب مخلصا * من الشر الا في المسير الى الشرق
فلما أتيت الشرق ألفيت بابه * وقد قعدت لي منه في أضيق الطرق

وعلى ما تقدم في وصف الخمر من النظم المستحسن المرغب في شربها فانه جاء من التحذير فيها ما يوجب تركها على أهل التخصيص والفضل من حديث أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان عاد الثانية لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان عاد الثالثة لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان عاد الرابعة كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال *ابن الاعرابي طينة الخبال عصارة أهل النار في النار وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مدمن الخمر كعابد وثن (قوله أنشوطة) عقدة سهلة تسميها العامة اللبج (نفثه) لفظه (الوطر) الحاجة (بثه) حزنه (ناجتني) حدثتني (النهزة) الفرصة وما أخذ بلا تعب (أيد) قوة (انتهضت) تقدمت (مجثمي) موضع قعودي (الشهم) الشديد النفس (انخرطت) اندفعت بسرعة والانخراط التصميم وركوب الرأس (الاروع) السيد (فاق) زاد على غيره في الفضل (علاج) معاناة وطب (مسهدا) ممتنع النوم (ملددا) ملتفتا يمينا وشمالا من شدة الخوف (ثروة) غنى (مسودا) مقدما للسيادة (مربعي) منزلي (مألف) موضع الاجتماع (سدى) مهمل (اللهى) العطايا (اليفاع) ما ارتفع من الارض (النكس) الدنيء (أخمد) أطفأ (المأملون) الراجون (ملاذ) ملجأ (المقصد) الموضع تقصده (يشم بارقي) ينظر برقي (صد) عطش (انثنى) رجع (رام) طلب (قابس) طالب النار (قدح زندي) استخراج ناره (أصلد) وجده صلدا أي شحيحا (ساعد) وافق (بوأ) أي أنزل (ضغن) حقد وعداوة (استباحوا) صيروه مباحا (حريم) عيال (موحد) مسلم (حووا) ضموا (استسر) خفي (بدا) ظهر (تطوحت) ترامت على جهالة وألقيت بنفسي للهلاك (طريدا) منفيا (مشردا) مفزعا عند الهرب فارا (اجتدي) أسأل

(خصاصة)

وترى بي خصاصة * أتمنى لها الردى والبلاء الذي به * شمل أنسي تبددا

. استباء ابنتي التي * أسروها التفتدى فاستبن محنتي ومد * دا الى نصرتي يدا

وأجرني من الزما
ن فقد جاروا اعتدى
وأعني على فكا
ك ابنتي من يد العدى
فبذا تنمحي المآ
ثم عمن تمردا
وبه تقبل الانا
بة ممن تزهدا
وهو كفارة لمن
زاغ من بعد ما اهتدى
. ولئن قت منشدا
فلقد فهت مرشدا
فاقبل النصح والهدا
ية واشكر لمن هدى
واسمع الآن بالذي
يتسني لتحمدا
(قال أبو زيد) فلما أتممت
هذرمتي وأوهم المسؤل
صدق كلمتي أغراه القرم الى
الكرم بمواساتي ورغبه
الكاف بحمل الكلف في
مقاساتي فرضخ لي على الحافرة
ونضخ لي بالعدة الوافرة
فانقلبت الى وكري فرحا بنجح
مكري وقد حصلت من صوغ
المكيدة على سوغ الثريدة
ووصلت من حولك القصدة
الى لوك العصيدة (قال الحرث
ابن همام) فقلت له سبحان
من أبدعك فما أعظم
خدعك واخبث بدعك
فاستغرب في الضحك ثم أنشد

غير مرتبك عش بالخداع فانت في * دهر بنوه كأسد بيشه وأدر قناة المكر حتى * تستدير رحى المعيشه
وصد النسور فان تعذ * ر صيدها فاقنع بريشه واجن الثمار فان تفتـ * ـك فرض نفسك بالحشيشة وأرح فؤادك ان نبا
دهر من الفكر المطيشه فتغاير الاحداث يو * ذن باستحالة كل عيشه *(المقامة التاسعة والاربعون الساسانية)*
(حكى الحرث بن همام) قال بلغني أن أبا زيد حين ناهز القبضة

(خصاصة) فقر (الردى) الهلاك (شمل) مجتمع (تبدد) تفرق (استباء ابنتي) أخذها أسيرة (استبن) تحقق وتبين (محنتي) بليتي (جاروا اعتدى) مال وظلم * وفك الرقبة وفكاكها تخليصها من أسر الرق وكذلك الرهن وفي الحديث اعتق النسمة وفك الرقبة قيل أوليسا واحدا قال لا عتق النسمة أن تنفرد في عتقها وفك الرقبة أن تعين في عتقها * ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم من فدى أسيرا من أيدي العدو فانا ذلك الاسير (تنمحي) أي تذهب (تمرد) أكثر الفساد (الانابة) الرجوع الى الله تعالى (تزهد) ترك الرغبة في الدنيا (زاغ) مال (فهت) نطقت (مرشدا) دالا على الخير (اسمح) جد (يتسني) يتيسر الفنجديهي كان ابن قطري قاضي ناحية المزار بلد عند البصرة قد تاب من الشرب ثم نقض التوبة وعاد يشرب ثم بعد المعاودة حضر مسجد بني حرام يوما بالبصرة وتاب ورجع الى الله تعالى بصدق النية وسأل عن كفارة ذنبه وكان في المسجد رجل يزعم أنه من أهل سروج وله بنت مأسورة في أيدي الكفار فقال لابن قطري كفارة ذنبك ان تتصدق علي بشيء أفكها به فأعطاه عشرة دنانير فلما أخذها منه دخل الحانة فلم يزل يشرب بها الخمر حتى فنيت وبلغ ذلك الخبر ابن قطري فندم على ما أعطاه وساءه وأحزنه ثم ان الحريري أنشأ هذه المقامة الحرامية في ذلك فقيل له هي أحسن من مقامات البديع فانشأ أربعين مقامة ثم استزادوه فكملها خمسين (قوله هذرمتي) أي كثرة كلامي (أوهم) أي خيل له (كلمتي) أي قصيدتي (أغراه) أي حرضه (القرم) الشهوة (مواساتي) اعطائي (الكلف) الحب و(الكلاف) جمع كلفة وهي ما يتكلف من العمل (رضخ) أعطى (على الحافرة) أي عندما أكملت كلامي والحافرة أول الامر وقيل ان أصلها في بيع الفرس ولرفعة الخيل عندهم كان لا يفارق البائع حافر فرسه حتى يأخذ ثمنه (نضخ) رفع ونضخ الماء فوران من منبعه (الوافرة) الكثيرة (وكرى) بيتي وأصله للطائر (صوغ المكيدة) صنعة الكيد (سوغ) بلع بسهولة (لوك) مضغ (أبدعك) أي أوجدك وخلقك (استغرب) أكثر الضحك (مرتبك) مختلط في كلامه (بيشة) موضع كثير الاسد (المكر) الخديعة (نبا) ارتفع (المطيشة) المدهشة للعقل (تغاير) اختلاف (الاحداث) النوازل (يوذن) يعلم (استحالة) تغير

(شرح المقامة التاسعة والاربعين وهي الساسانية)

(ناهز) قارب (القبضة) أراد بها ثلاثا وتسعين سنة لانك اذا قيل لك اعقد في يديك ثلاثا وتسعين قبضت اصابعك كلها وشددت عليها الابهام والمعنى أنه قارب المائة التي ليس في العيش بعدها منفعة والشعراء يضمنونها أشعارهم اذا وصفوا البخيل بقبض الكف قال الخليل بن أحمد

وكف عن الخير مقبوضة * كما قبضت مائة سبعه

وقال اخر

فما تسعون تحفرها ثلاث * يضم حسابها رجل شديد
بأنكد من عطائك يا يزيد * بكف خرقة جمعت لوجء

(وابتزه) سلبه (الهرم) كبر السن (النهضة) القيام الى ما يريد * ودخل هشام بن عبد مناف وقد أسن على فتية من قومه فقاموا اليه اجلالا وأجلسوه فى أرفع موضع فقال بارك الله فيكم ان بنى مرة كانوا اذا شاخ عندهم الرجل قيدوه وقالوا له ثب فان وثب أحبوه وقالوا فيك بقية وان لم يثب قالوا ليس فى هذا منفعة فقتلوه وقال ابن الرومى

لو أن عمرى مائة هدنى * تذكرى أنى تنصفتها

لهفى على خمسين عاما مضت * كانت أمامى ثم خلفتها

(استجاش) استجمع وحشد (الفناء) ما حول الدار و(الفناء) بالفتح الموت (الكتيبة) الجيش (وكبشها) رئيسها وحاميها والذى كانت العصا تقرع له عامر بن الظرب العدوانى حكم العرب فى الجاهلية ولما أسن كان يزل فى حكمه وكانت له بنت حكيمة فأمرها أن تقعد وراء ستر لتنظر حكمه فاذا أنكرت منه شيأ قرعت له العصا فتى سمع صوت قرعها علم أنه زل فرجع وقيل قرعت لأكثم بن صيفى وقيل لسعد بن مالك الكنانى وقيل لعمرو بن حممة الدوسى * وخطب صعصعة ابن معاوية الى عامر بن الظرب بنته عمرة وهى أم عامر بن صعصعة فقال يا صعصعة انك تشترى منى كبدى فارحم ولدى قبلتك أو رددتك والحسيب الرجل الصالح أبا بعد أب وقد أنكحتك خشية أن لا أجد مثلك أفر من السر الى العلانية يا معشر عدوان أخرجت من بين أظهركم كريمتكم من غير رهبة أقسم لولا قسمة الحظوظ على الجدود ما ترك الأول للآخر ما يعيش به وفيه يقول المتلمس

لذى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا * وما علم الانسان الا ليعلما

وهو أول من جلس على المنبر وتكلم وفيه يقول الاسود بن يعفر

ولقد علمت لو أن علمى نافع * ان السبيل سبيل ذى الاعواد

قال الاصمعى نزلت عدوان ماء فاحصى عليه سبعون ألف غلام أغرل سوى من كان مختونا لكثرتهم ثم وقع بأسهم بينهم فتفانوا فقال ذو الاصبع العدوانى

عذير الحى من عدوا * ن كانوا حية الارض

بغى بعض على بعض * فلم يبقوا على البعض

ومنهم من يجيز النا * س بالسنة والفرض

ومنهم حكم يقضى * ولا ينكر ما يقضى

الحكم عامر بن الظرب والذى كان يجيز الناس فى الحج منهم رجل كان يسمى أبا سيارة أجاز الناس على حمار له أسود من المزدلفة الى منى أربعين عاما فقيل فى المثل أصح من عير أبى سيارة وكانت اجازته أن يقول اللهم حبب بين نسائنا وبغض بين رعائنا واجعل المال فى سمحائنا أوفوا بعهدكم وأكرموا جاركم واقروا ضيفكم ثم يدفع فيقول

خلوا الطريق عن أبى سياره * وعن مواليه بنى فزاره * حتى يجيز سالما حماره

ثم يقف فيقول أشرق ثبير كيما نغير وكانت الاجازة قبلهم فى خزاعة فغلبتهم عليها عدوان ولا تقرع له العصا مثل يضرب لمن وافق صاحبه وساواه * ولما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها قال عمها مثل محمد لا تقرع له العصا وأصل ذلك أن الناقة الكريمة اذا

وابتزه قيد الهرم النهضة أحضر ابنه بعد ما استجاش ذهنه وقال له يا بنى انه قد دنا ارتحالى من الفناء وأنت والحمد لله ولى عهدى وكبش الكتيبة الساسانية من بعدى ومثلك لا تقرع له العصا

أتاها فحل غير كريم منعوه عنها وقرعوه بالعصا على أنفه وفى المثل ان العصا قرعت لذى الحلم
(قوله ولا ينبه بطرق الحصا) كانت العرب اذا أرادت اختبار الرجل هل يصلح للسفر والغارة ترك
الرجل صاحبه حتى ينام فيأخذ حصاة فيرمى بها الى جانبه فان انتبه توثق به * وخرج أبو كبير
الهذلى ومعه تأبط شرا للغارة فلما جن الليل أووا الى موضع لينامو افيه فتركه أبو كبير حتى نام
فرمى الى جانبه بحصاة فساعة مست الارض وثب ثم عاد الى نومه ففعلها ثلاثا فكان ينتبه
لوقوعها ويثب ويجول يطلب لها راميا فلا يجد الا أبا كبير نائما فقال له عند الثالثة والله لئن
عدت لاقتلنك فانه ليس هنا من يفعل هذا غيرك فضحك أبو كبير وقال أردت اختبارك ثم ذكر
القصة فى قصيدته التى يقول فيها

واذا رميت له الحصاة رأيته * ينزو لوقعتها طمور الاخيل

يريد أنه كان فوق هذا فى ذكاء القلب فهو كأنه منتبه أبدا وطرق الحصا أيضا من فعل الكهان
يأخذ الكاهن حصيات فيضرب بها الارض وينظر فيها فيخبر بالمغيبات (قوله ندب) أى دعى
وحرض (الاذكار) التذكير بما يفعل (الافكار) الاذهان (شيث) هو ولد آدم عليه السلام
وكان أجل بنيه وأحبهم اليه وهو وصى أبيه واليه ترجع الانساب وقال صلى الله عليه وسلم
أربعة من الانبياء سريانيون آدم وشيث وادريس وهو اخنوخ ونوح وأنزل الله تعالى على شيث
خمسين صحيفة وقال بقية بن ارطاة بلغنى ان حواء حملت بشيث الرضا حتى نبتت أسنانه وكانت
تنظر الى وجهه من صفائه فى بطنها وهو الثالث من ولد آدم وانه لما حضرها الطلق أخذها عليه
شدة فانتبذت به فلما وضعته أخذته الملائكة فمكث معهم أربعين يوما فعلموه المهن ثم ردوه اليها
معلما والمهن جمع مهنة وهى الخدمة (الانباط) قيل سموا انباطا لاستنباطهم البناء واستخراجهم
المياه والنسابون يزعمون أنهم ولد يافث بن نوح ولا يصح على هذا أن يوصيهم شيث لان بين زمن
شيث وزمن يافث آلافا من السنين الجوهرى النبيط والنبط قوم كانوا ينزلون بين البصرة والكوفة
والجمع انباط والرجل نبطى * ابن دريد النبط جيل من الناس معروف وهم النبط والانباط
و(الاسباط) بنو يعقوب عليه السلام ومنهم تشعبت قبائل بنى اسرائيل والاسباط فى ولد يعقوب
كالقبائل فى ولد اسمعيل (احذ مثالى) أى امش على طريقى وافعل بفعلى (استرشدت) استدللت
(استصبحت) استضأت (أمرع) أخصب (الخان) الفندق وهذا مثل لرفاهة العيش (نبذت)
طرحت (الاثافى) أحجار القدر (زهد) لم يرغب (بلوت) اختبرت (نشبه) ماله (الفحص) البحث
والاربع التى ذكر نسبها الثعالبى للمأمون قال قال لى المأمون الناس أربع طبقات بين امارة
وتجارة وزراعة وصناعة فمن لم يكن منهم كان كلا علينا (مارست) خالطت (أحمدت) صادفتها
محمودة (استرغدت) استكثرت (فرص) نهز والنهزة والفرصة ما يحضرك من الفوائد من غير أن
تتعنى فى طلبها فان فوتها ولم تغتنم أخذها فاتتك فربما تتعنى غاية التعنى فى طلبها فلا تظفر بها
الجوهرى الفرصة النوبة والشرب يقال وجد فلان فرصة أى نهزة وجاءت فرصتك من الشئ أى
نوبتك (خلس) جمع خلسة وهى كالخطف وشبهه يريد أن الامير كأنه اختلس ايامه أى اختطفها
لقصر مدتها ويقال الخلسة فرصة و(اضغاث الاحلام) أباطيلها التى لا يصح تأويلها لاختلاطها
والضغث كل ما كان مختلطا لا حقيقة له والحلم الرؤيا والجمع احلام * ويقال هذا رجل ناهيك

ولا ينبه بطرق الحصا ولكن
قد ندب الى الاذكار وجعل
صيقلا للافكار وانى
أوصيك بما لم يوص به شيث
الانباط ولا يعقوب الاسباط
فاحفظ وصيتى وجانب
معصيتى واحذ مثالى واقفه
أمثالى فانك ان استرشدت
بنصحى واستصبحت بصبحى
أمرع خانك وارتفع دخانك
وان تناسيت سورتى ونبذت
مشورتى قل رماد أثافيك
وزهد أهلك ورهطك فيك
يا بنى انى جربت حقائق
الامور وبلوت تصاريف
الدهور فرأيت المرء بنشبه
لا بنسبه والفحص عن
مكسبه لا عن حسبه وكنت
سمعت أن المعايش امارة
وتجارة وزراعة وصناعة
فمارست هذه الاربع لانظر
أيها أوفق وانفع فما احمدت
منها معيشة ولا استرغدت
فيها عيشة اما فرص الولايات
وخلس الامارات فكاضغاث
الاحلام والفيء المنتسخ
بالظلام وناهيك

من رجل ونهيك من رجل أى انه نجدة وعناية ينهاك عن تطلب غيره فناهيك كافيك (الغصة) ما يختنق به (الفطام) قطع الرضاعة عن الصبى وفى الكلام معنى التعجب كانه قال ما أنكد غصة العزل على أهل الولايات والعزل للولاة كالحيض للنساء و(البضائع) الاموال يتجر فيها (عرضة للمخاطرات) أى معرضة للضرر والسلب وفلان عرضة لكذا أى نصب وهو له عرضة أى يتعرض له دونه وهذا عرضة لك أى عدة وقال النقاش فى قوله تعالى عرضة لايمانكم أى علة الها وسببا ومتخذا لذلك وأصل العرضة الدابة تتخذ للسفر لقوتها ثم جعل كل ما صلح لشئ عرضة له حتى قيل المرأة عرضة للزوج * والطعمة المأكلة وهذه الضيعة طعمة لفلان والطعمة أيضا وجه المكتسب فـ(طعمة للغارات) يريد أن قطاع الطرق يسلبون أموال التجار أبدا فأرزاقهم معرضة للتلف (التصدى) التعرض (منهكة) مذلة وسبب نهك وهو الجهد والضعف ونهكته الحمى وانهكته اذا جهدته وأضنته ونقصت لحمه ونهكه السلطان عقوبة بالغ فى عقوبته (روح بال) راحة قلب (عائقة) حابسة (الارتكاض) الجرى والتصرف وهذه مشاهدة من أحوال أهل الحرث وقال صلى الله عليه وسلم حين رأى السكة ما دخلت قط دار قوم الا ذلوا وقال صلى الله عليه وسلم فى الامارة ستحرصون على الامارة ثم تكون حسرة وندامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة و(الحرفة) الصنعة (فاضلة) زائدة (معصوب) مربوط والعصب الفتل الشديد يريد أن الصنعة ينتفع بها ما دام صاحبها شابا قويا فاذا شاخ لم يقدر على الانتفاع بها (قوله بارد المغنم) أى السهل منه وهو الذى يؤخذ بغير قتال (ساسان) شيخ المكدين والغرباء وهم بنو غبراء و(الغبراء) الارض وسموا بنى غبراء لقطعهم جهات الارض وجولانهم فى البلدان فكأنهم ليس لهم أصل ينسبون اليه الا الارض وقيل سموا بذلك للزومهم لغبراء الارض وهو وجهها وترابها والرقاد فيها فيغبرون بذلك ويتغيرون * وكان الاحنف العكبرى وهو أبو الحسن عقيل بن العكبرى فصيحا شاعرا وذكر الصاحب فيه فصلا وهو ولو أنشدتك ما أنشدنيه الاحنف العكبرى وهو فرد بنى ساسان اليوم فى مدينة السلام فى الفصاحة وحسن الطريقة فى الشعر لامتلأت تعجبا من ظرفه واعجابا بنظمه ومن افتخاره قوله

على انى بحمد الله فى بيت من المجد
واخوانى بنو ساسا * ن أهل الجد والجد
لهم أرض خراسان * فقسيان مع الـ... الـد
اذا ما أعوز الطوف * على الطراق والجند
حذارا من أعاديهم * من الاعراب والكرد
قطعنا ذلك النهج * بلا سيف ولا غمد
ومن خاف أعاديه * بنافى الروع يستعدى

ففى هذا البيت معنى بديع يريد ان ذوى الثروة وأهل الفضل اذا وقع أحدهم فى أيدى العداة وأراد التخلص قال أنا مكدفينى الحريرى هذا الموضع من مقامته على شعر الاحنف وأكثر هذه المقامة ماخوذ من ملحه ومن هذا الشعر

وقالوا قد سلا عنك * وقد حال عن العهد

غصة عرارة الفطام وأما بضائع التجارات فعرضة للمخاطرات وطعمة للغارات وما أشبهها بالطيور الطيارات وأما اتخاذ الضياع والتصدى للازدراع فمنهكة للاعراض وقيود عائقة عن الارتكاض وقلما خلا ربها عن اذلال أو رزق روح بال وأما حرف أولى الصناعات فغير فاضلة عن الاقوات ولا نافقة فى جميع الاوقات ومعظمها معصوب بشبيبة الحياة ولم أر ما هو بارد المغنم لذيذ المطعم وافى المكسب صافى المشرب الا الحرفة التى وضع ساسان أساسها ونوع اجناسها.

ولا والله ماحلت * ولكن قلّ ماعندي

ومن شعره

عشت فى ذلة وقلة مال * واغتراب فى معشر أنذال
بالامانى أقول لا بالمعانى * فغذائى حلاوة الآمال
لى رزق يقول بالوقف فى الحا * ل ورجل تقول بالاعتزال

(وله)

العنكبوت بنت بيتا على وهن * تأوى اليه ومالى مثله وهن
والخنفساء لها من جنسها سكن * وليس لى مثلها الف ولا سكن

(وله)

نرى العقبان كالذهب المصفى * يركب فوق أثغار الدواب
وكيسى منه خلو مثل كفى * أما هذا من العجب العجاب

(وله)

رأيت فى نومى الدنيا مزخرفة * مثل العروس تراءت فى المقاصير
فقلت جودى فقالت لى على عجل * اذا تخلصت من أيدى الخنازير

(قوله أضرم) أى أوقد (الخافقين) المشرق والمغرب (أوضح) بين (منارها) سراجها (معلما) مشهورا (سيماها) علامتها يريد أنه اختار علامتهم لنفسه (يبور) يكسد ويهلك أهله (المنهل) موضع الماء (يغور) يغوص فى الارض (يعشو) ينظر (الجهور) معظم الشئ (العور) جمع أعور (الجيل) أهل العصر (يرهقهم) يدركهم ويغشاهم (حيف) جور وظلم (حمة) سم (لاسع) ضارب واللسع الضرب بمؤخره مثل العقرب واللدغ لما كان بالفم ولسعه بلسانه عابه وآذاه ورجل لسعة ولساعة ولساع أى عياب مؤذ (يدينون) يطيعون (دان وشاسع) قريب وبعيد (يرهبون) يخافون (برق ورعد) هدد وخوف (يحفلون) يبالون (من قام وقعد) من غيظه وشره (انخرطوا) ركبوا رؤسهم واندفعوا بشدة وخرطت الغصن اذا وضعت يدك عليه ثم تجرها عليك فيسقط مافيه من ورق وثمر (أنديتهم) مجالسهم (مرفهة) الرفاهية العيش اللين (غر) بيض (محجلة) مشهورة (سقطوا) وقعوا (لقطوا) جمعوا الرزق وأصله للطير (يمتازون) يفترقون (خماصا) جياعا (بطانا) شباعا وهى للطير وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا (قوله رتقت) أى لحمت وسديت وهو ضد فتقت تقول رتقت الشئ اذا ضممت بعضه الى بعض وفتقته نقضته (اقتطف) أجنى الثمر وهذا مثل قوله (من أين تؤكل الكتف) قالوا تؤكل من أسفلها لان المرقة تدخل بين عظامها ولحمها فمن أكلها من أعلاها جرت المرقة عليه ولفظ المثل على ماذكره أبو عبيد فلان أعلم من حيث تؤكل الكتف يضرب مثلا لمن جرب الامور ودرى تصرفها قال البكرى ان لحم الكتف اذا أكل من أعلاه تناثر واذا أكل من قبل الغضروف لم يتأت لآكله والغضروف اللحم الرخص المتصل بأسفل الكتف المتسع وقيل أكل الكتف اذا أمسك فيها بطرف الغضروف ربما سقطت فتربت واذا أمسكها بالطرف الآخر أمن من ذلك * المفجع هى لحم الكتف اذا جذب من الجانب الاسفل انقطع بكليته واذا جذب من الجانب الاعلى تقطع اللحم ولم ينقطع ولان المرقة تجرى بين لحم الكتف والعظم فاذا أخذته من أعلاه تصببت المرقة عليك بسرعة واذا أخذت اللحم من أسفله تقشر من عظمها فلم تنصب المرقة بالسرعة وهو مثل يضرب للبصير بالامور وقال أوس بن حجر

وأضرم فى الخافقين نارها وأوضح لبنى غبراء منارها فشهدت وقائعها معلما واخترت سيماها ميسما اذ كانت المتجر الذى لا يبور والمنهل الذى لا يغور والمصباح الذى يعشو اليه الجهور ويستصبح به العمى والعور وكان أهلها أعز قبيل وأسعد جيل لا يرهقهم مس حيف ولا يقلقهم سل سيف ولا يخشون حمة لاسع ولا يدينون لدان ولا شاسع ولا يرهبون من برق ورعد ولا يحفلون بمن قام وقعد أنديتهم منزهة وقلوبهم مرفهة وطعمهم معجلة وأوقاتهم غر محجلة أينما سقطوا لقطوا وحيثما انخرطوا خرطوا لا يتخذون أوطانا ولا يتقون سلطانا ولا يمتازون عما تغدو خماصا وتروح بطانا فقال له ابنه يا أبت لقد صدقت فيما نطقت ولكنك رتقت وما فتقت فبين لى كيف أقتطف ومن أين تؤكل الكتف فقال يا بنى ان الارتكاض بابها والنشاط جلبابها والفطنة مصباحها والقحة سلاحها

فكن أجول من قطرب وأسرى من جندب وانشط من ظبي مقمر وأسلط من ذئب متمر واقدح زند جدك بجدك واقرع باب رعيك بسعيك وجب كل فج ولج كل لج وانتجع كل روض وألق دلوك الى كل حوض ولا تسأم الطلب ولا تمل الدأب فقد كان مكتوبا على عصا شيخنا ساسان من طلب جلب ومن جال نال واياك والكسل فانه عنوان النحوس ولبوس ذوى البوس ومفتاح المتربة ولقاح المتعبة وشيمة العجزة الجهلة وشنشنة الوكلة التكلة وما اشتار العسل من اختار الكسل ولا ملأ الراحة من استوطأ الراحة وعليك بالاقدام ولو على الضرغام فان جراءة الجنان تنطق اللسان وتطلق العنان وبها تدرك الحظوة وتملك الثروة كما أن الخور صنو الكسل وسبب الفشل ومبطأة للعمل ومخيبة للامل ولهذا قيل فى المثل من جسر أيسر ومن هاب خاب ثم ابرزيابنى فى بكور أبى زاجر وجراءة

أم دلكم بعض من يرتاد مشتمى * بأى أكلة لحم تؤكل الكتف

يقول أنا أعلم كيف أنالكم وقال آخر

انى على ماترون من كبرى * اعلم من أين تؤكل الكتف

(قطرب) دويبة تجول الليل كله ولا تنام ويقال فيه أيضا أسهر من قطرب وهذا قول أبى عمرو وغيره يرويه أسعى من قطرب لا أسهر ويقول هو دويبة لا تستقر بالنهار ويحتج بقول ابن مسعود لاأعرفن أحدكم جيفة ليل قطرب نهار وقطرب اسم رجل مشهور وهو ابن المستنير صاحب المثلث وكان من أهل العربية فجلس لسيبويه يناظره فلما رآه سيبويه قد احتد بالسؤال قال انك لقطرب ليل فسمى بذلك والقطرب أيضا ذكر الغيلان ابن ظفر ذكر من يعول عليه أنه حيوان يكون بالصعيد من أرض مصر يظهر للمنفرد من الناس فربما صده عن نفسه اذا كان شجاعا والا لم ينته حتى ينكحه فاذا نكحه تدود دبره وهلك قال وهم اذا رأوا من ظهر له القطرب قالوا أمنكوح أم مروع فان قال منكوح يئسوا منه وان قال مروع سكنوه وعالجوه قال فقد رأيت أهل مصر وما بين يديها وما خلفها وتحققت أهل صعيدها والعربان وهم مستوون فى الجهل بهذا الحيوان ومختلفون الاختلاف الشديد فى فعله وصورته الا أن أهل مصر أكثر لهجا به والقطارب أيضا صغار الكلاب (قوله أسرى) أى أمشى بالليل (الجندب) ذكر الجراد وقيل هى دويبة تشبه الجراد ذات جناحين فلا تزال ترمح ولفظ المثل أسرى من جراد (مقمر) لاعب فى القمر (وأنشط) أخف والظبى يأخذه النشاط فى الليلة المقمرة فيلعب (متمر) متشبه بالنمر وهو سبع مؤذ (جدك) حظك (اقرع) اضرب (رعيك) أكلك وأراد بباب رعيك الذى يجيئك منه الرزق (ألق دلوك الى كل حوض) لفظ المثل ألق دلوك فى الدلاء يضرب فى بذل الجهد فى اكتساب المال والحث عليه وهو كما قال الشاعر

وليس الرزق عن طلب حثيث * ولكن ألق دلوك فى الدلاء

تجئك بملئها طورا وطورا * تجئك بحمأة وقليل ماء

(قوله فقد كان مكتوبا على عصا شيخنا ساسان) الفنجديهى قرأت فى بعض الفوائد انه كان مكتوبا على عصا ساسان المكدى الكسل شؤم والتمييز مذموم والحركة بركة والتوانى هلكة وكاب طائف خير من أسد رابض ومن لم يغترف ثم يعتلف (جال) تصرف ومشى فى البلاد (نال) أدرك حاجته (عنوان) دليل (النحوس) جمع نحس وهو ضد السعد (ذوى البوس) أهل الفقر (لقاح المتعبة) أى أصلها وسببها (شيمة) طبيعة وكذلك (الشنشنة * الوكلة التكلة) هو العاجز الذى يكل أمره لغيره ويتكل عليه فيه (اشتار) جرك واستخرج (الراحة) الاولى الكف والثانية ضد التعب (الاقدام) الجراءة (الضرغام) الاسد (والجراءة) الشجاعة و(الجنان) القلب و(الحظوة) المنزلة الرفيعة و(الثروة) الغنى (صنو) أخ (الفشل) الضعف والحيرة يريد أن فزع النفس وضعفها يخيب الامل والرجاء وقال معاوية الهيبة مقرون بها الخيبة (أبو زاجر) هو الغراب سمى بذلك لان العرب تزجر به وتتشاءم وتقدم ذلك * ومن وصيته لولده على ألسنتهم قالوا قال الغراب لابنه يا بنى اذا رميت فتلوص أى تلو قال يا أبت انا أتلوص قبل ان أرمى وقال لابنه وقد رأى رجلا فوق سهما يا بنى اتئد حتى تعلم ما يريد الرجل فقال يا ابت الحذر قبل ارسال

السهم (وأبو الحرث) الاسد كنى بذلك لاحترائه أى لاكتسابه بقوته (وأبو قرة) الحرباء كنى بذلك لان البرد لا يفارقه فالحرباء تدور لذلك مع الشمس حيثما دارت وتقدم حزامتها وهى أنها لا تفارق ساق الشجرة حتى تمسك ساق الاخرى (وأبو جعدة) كنية الذئب وهى كنية بالضد لان جعدة عندهم الشاة ولما كان الذئب يقتلها حيث وجدها جعلوه أباها بضد ما يفعل الاب الذى لا يقال له أب الا لوجود الرحمة عنده على بنيه ونحوها قولهم للاسود أبو البيضاء (والختل) المكر (وأبو عقبة الخنزير) ومن حرصه أنه يمشى بالليل وبالاسحار لطلب ما يأكل ويستتر بالنهار حرصا على السلامة (وأبو وثاب) الظبى وكنى بذلك لسرعة وثبه (وأبو الحصين) الثعلب وهو أكثر الحيوان دكرا ومن بعض دكره انه اذا رأى الغلبة تماوت فلا تشك فى انه ميت فاذا وقع له غير عارف تركه فما يمر يسيرا حتى يقوم فارا او تحصينه بصل العنصل من الذئب لان الذئب لا يطؤه فى زعم قوم وقالوا ان الضبع صادت ثعلبا فقالت أخيرك يا ثعلب بين خصلتين فقال ماهما فقالت اما أن آكلك وأما أن أكلك فقال لها الثعلب أما تذكرين يوم نكحتك فقالت متى فانفتح فوها وانفلت الثعلب فذكروا ذلك مثلا وقالوا ضرب عليه خصلتى الثعلب وقالوا ان الثعلب اطلع فى بئر وهو عاطش وعليها رشاء فى طرفيه دلوان فقعد فى الدلو العليا فانحدرت فشرب فجاء الضبع فاطلعت فى البئر فأبصرت القمر فى الماء منتصفا والثعلب قاعد فى قعر البئر فقالت له ما تصنع هنا فقال لها انى أكلت نصف هذه الجبنة وبقى نصفها لك فانزلى فكليها فقالت وكيف أنزل قال تقعدين فى الدلو فقعدت فيها فانحدرت وارتفع الثعلب فى الدلو الاخرى فلما التقيا فى وسط البئر قالت له ما هذا قال كذا التجار تختلف فضربت بهما العرب المثل فى المختلفين وأوصاف مكره كثيرة و (أبو أيوب) الجمل سمى بذلك لانه أصبر الدواب على العطش والجوع وقطع الاشهر بالسير المتصل ونقل الاوقار ومهما كان به شئ من قوة تجلد فاذا وقف علم انه ليس فيه بقية ينتفع بها و (أبو غزوان) الهر لغزوه الفئران وخشاش الارض وتلطفه يظهر فى محاولاته لتصيد الفار فاذا قدمت المائدة قرب منها وأخذ يتلطف فى صياحه ويتضرع ويحتك بالمائدة او بالآكل حتى يعطى و (أبو براقش) طائر أغبر أوسطه أحمر واذا انتفض تلون ألوانا * أخذ الحريرى هذا الفصل من كلام العلماء قالوا ابن آدم هو العالم الكبير الذى جمع الله تعالى العالم كله فيه فكان فيه بسالة الاسد وصبر الجمل وحرص الخنزير وحذر الغراب وروغان الثعلب وضرع السنور وحكاية القرد وجبن الصقر قيل لرجل من كبار العلماء وكان بليدا سريع النسيان فى ابتداء تعلمه بم أدركت العلم مع بلادتك وكلال خاطرك قال بكور كبكور الغراب وصبر كصبر الجمل وحرص كحرص الخنزير (قوله اخلب بصوغ اللسان) أى بعذوبة الكلام قال ابن كناسة الشاعر كنت أتكلم بكلام فلولم يجد سامعه الا القطن الذى فى وجه أذنه فى القبر لتغلغل اليه حتى يخرجه ويهديه الى وأنا اليوم أتحدث بذلك الحديث بعينه فما أفرغ منه حتى أهيئ له اعتذارى (وارتد) أى اطلب و (الجلب) ما يجلب الى السوق للبيع (امتر) امسح ويفعل ذلك بالضرع لانه يدر لبنه (المنتجع) موضع العشب أراد به موضع طلب الرزق (دمث) لين (اشحذ) اجل واصقل وقال فى الدرة ويقولون شحات بالتاء وصوابه بالذال لان اشتقاقه من شحذت السيف اذا بالغت فى احداده فكان الشحاذ هو الملح فى المسئلة المبالغ فى طلب الصدقة (بصيرتك) ذهنك (العيافة)

أبى الحرث وحزامة أبى قرة وختل أبى جعدة وحرص أبى عقبة ونشاط أبى وثاب ومكر أبى الحصين وصبر أبى أيوب وتلطف أبى غزوان وتلون أبى براقش وحيلة قصير ودهاء عمرو ولطف الشعبى واحتمال الاحنف وفطنة اياس ومجانة أبى نواس وطمع أشعب وعارضة أبى العيناء واخلب بصوغ اللسان واخدع بسحر البيان وارتد السوق قبل الجلب وامتر الضرع قبل الحلب وسائل الركبان قبل المنتجع ودمث لجنبك قبل المضطجع واشحذ بصيرتك للعيافة

وأنعم نظرك للقيافة فان من صدق توسمه ٣٩٨ طال تبسمه ومن أخطات فراسته أبطات فريسته وكن يا بنى خفيف الكل

قليل الدل راغبا عن العل فانها من الوبل بالطل وعظم وقع الحقير واشكر على النقير ولا تقنط عند الرد ولا تستبعد رشح الصلد ولا تيأس من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون واذا خيرت بين ذرة منقودة ودرة موعودة فل الى النقد وفضل اليوم على الغد فان للتأخير آفات وللعزائم بدوات وللعدات معقبات وبينها وبين انجاز عقبات وأى عقبات وعليك بصبر أولى العزم ورفق ذوى الحزم وجانب خرق المشتط وتخلق بالخلق السبط وقيد الدرهم بالربط وشب البذل بالضبط ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ومتى نبابك بلد أو نابك فيه كمد فبت منه أملك واسرح عنه جملك فخير البلاد ما حملك ولا تستثقلن الرحلة ولا تكرهن النقلة فان أعلام شريعتنا واشياخ عشيرتنا أجمعوا على ان الحركة بركة والطراوة سفتجة وزروا على من زعم أن الغربة كربة والنقلة مثلة وقالوا هى تعلة من اقتنع بالرذيلة ورضى بالحشف وسوء الكيلة واذا أزمعت على الاغتراب وأعددت له العصا والجراب فتخير الرفيق المسعد من قبل أن تصعد

زجر الطير (أنعم) بالغ (القيافة) الاستدلال على الولد وذلك أن ينظر خلقته وصفته فيشبهه بأبيه (توسمه) نظره (الفراسة) الحكم بحالات الشئ على ما يكون منه فى المستقبل (الكل) الثقيل (والدل) والدلال بمعنى واحد (العل) الشرب بعد الشرب و (راغبا عنه) تاركا له (النقير) حفرة فى ظهر نوى التمر ومنها تنبت النخلة (تقنط) تيأس (روح الله) رزقه ولبعضهم فى هذا المعنى

سيفتح باب اذا سد باب * نعم وتلين الامور الصعاب
وتتسع الحال من بعدما * تضيق المذاهب فيه الرحاب
مع العسر يسران هون عليك * فلا العسر دام ولا الاكتئاب
اذا احتجب الناس من سائل * فما دون سائل ربى حجاب

(آخر)

عسى فرج يأتى به الله انه * له كل يوم فى خليقته أمر
اذا اشتد عسر فارج يسرا فانه * قضى الله أن العسر يتبعه يسر

(آخر)

فلا تجزع اذا أعسرت يوما * فقد أيسرت فى الزمن الطويل
ولا تيأس فان اليأس كفر * لعل الله يغنى عن قليل
وان العسر يتبعه يسار * وقول الله أصدق كل قيل
ولا تظنن بربك ظن سوء * فان الله أولى بالجميل

(قوله ذرة) كناية عن الشئ القليل (درة) جوهرة (آفات) جوائح (وللعزائم بدوات) يريد أن الانسان يعزم على فعل الشئ فى وقت ثم يبدو له أن لا يفعله (انجاز) تعجيل قضاء الحاجة وقد قدم مثل هذا المعنى عند قوله * وبع آجلا منك بالعاجل (المشتط) المتجاوز القدر فى محاولته و (الخرق) ضد الرفق (السبط) السهل (شب) أخلط (البذل) العطاء و (الضبط) الحبس قال أبو حاتم الدارى دخلت مع أبى مدينة السلام فرأيت رجلا واقفا على الطريق يلعب بحية ويقول من يهب لى درهما حتى أبتلع هذه الحية فالتفت الى أبى وقال يا بنى احفظ دراهمك فمن أجلها تبلع الحيات (مغلولة) محبوسة أى لا تكن شحيحا ممسكا ولا كريما متلفا (نابك) نزل بك (كمد) حزن (بت) اقطع (أملك) أى رجاءك (أسرح عنه) أى أزله وسرحه بالمشى الى غيره (الرحلة) الارتحال (النقلة) الانتقال (أعلام شريعتنا) مشايخ طريقتنا (الطراوة) أن يطرأ على بلد لم يره (السفتجة) ما أتاك بغير تكلف ولا مشقة وهى عند أهل المشرق أن يأخذ الرجل الدراهم والدنانير فيعطيها صاحبه ويقول احملها الى معك لا من طريقك أو لمنعتك الى بلد كذا فادفعها الى ثم فان طريق غير آمن من اللصوص قال مالك رضى الله تعالى عنه ان قصد بها المنفعة لم يجز لانه سلف جر منفعة فيقول الطراوة على الناس كالسفتجة ترغب للك فى أخذ الدراهم وقد يكون منك تمنع عن أخذها (زروا) عابوا (كربة) هم وقال من ذم السفر الغربة كربة والنقلة مثلة والغريب كالغرس الذى زايل أصله وفقد شربه فهو ذاو ولا يثمر وذابل لا ينضر اذا كنت فى غير بلدك فلا تنس نصيبك من الذل (تعلة) عذر (الرذيلة) الدون من كل شئ (الحشف) الردئ من التمر (الكيلة) الهيئة ومعناه أنه اجتمع عليه عيبان تمر فاسد وكيل ناقص (أزمعت) عزمت (الاغتراب) الجولان والغربة (الجراب) الوعاء للزاد (المسعد) الموافق القليل الخلاف (تصعد)

ترتفع

فان الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق خذها اليك وصية * لم يوصها قبلي أحد غراء حاوية خلا * صات المعاني والزبد
نقحتها تنقيح من * محض النصيحة واجتهد فاعمل بما مثلته * عمل اللبيب أخي الرشد حتى يقول الناس هـ * ذا
الشبل من ذاك الاسد ثم قال يا بني قد أوصيت واستقصيت فان اقتديت فواهاً لك ٣٩٩ وان اعتديت فآهاً منك والله
خليفتي عليك وأرجو ان لا تخلف ظني فيك فقال له ابنه يا أبت لا وضع عرشك ولا رفع نعشك فلقد قلت سددا وعلمت رشدا ونحلت مالم ينحل والد ولدا ولئن أمهلت بعدك لا ذقت فقدك فلا تأدبن بآدابك الصالحة ولاقتدين بآثارك الواضحة حتى يقال ما أشبه الليلة بالبارحة والغادية بالرائحة فاهتز أبو زيد لجوابه وابتسم وقال من أشبه اباه فما ظلم (قال الحرث بن همام) فأخبرت ان بني ساسان حين سمعوا هذي الوصايا الحسان فضلوها على وصايا لقمان وحفظوها كما تحفظ أم القرآن حتى انهم ليرونها الى الآن أولى ما لقنوه الصبيان وأنفع لهم من نحلة العقيان

(المقامة الخمسون البصرية

(حكى الحرث بن همام) قال اشعرت في بعض الايام هما برح بي استعاره ولاح علي شعاره وكنت سمعت أن غشيان مجالس الذكر يسرو غواشي الفكر فلم أر لاطفاء ما بي من الجمرة الاقصد الجامع بالبصرة وكان اذ ذاك مأهول المساند مشفوه الموارد يجتنى من رياضه أزاهير الكلام ويسمع في ارجائه صرير الاقلام فانطلقت اليه غير وان ولا لاو على شان فلما وطئت حصاه واستشرفت أقصاه تراءى لي ذو أطمار بالية فوق صخرة عالية وقد عصبت به عصب لا يحصى عديدهم ولا ينادى وليدهم

ترتفع وتخرج (الجار قبل الدار) يقول لا تشتر دارا حتى تعلم من جيرانك وكفى الجار أن قال صلى الله عليه وسلم في حقه مازال جبريل يوصيني بالجار حتى خفت ان يورثه وقال الزاهد بن عمران

لتعن بالجار قبل الدار تسكنها * لا خير في الدار ما لم يحمد الجار
الجار ان غبت عن أهل وعن وطن * نعم الخليفة هم أهل وانصار

والجار المساعد أحسن من القرابة ويروى أن رجلا كان جار الابي دلف ببغداد فادركته حاجة وركبه دين فادح حتى احتاج الى بيع داره فساوموه فيها فسمى لهم ألف دينار فقالوا له ان دارك تساوي خمسمائة دينار فقال أبيع داري بخمسمائة وجوار أبي دلف بخمسمائة فبلغ أبا دلف الخبر فامر بقضاء دينه ووصله وقال لا تنتقل من جوارنا فانظر كيف صار الجواد يباع كما يباع العقار وقال الشاعر

يلومونني أن بعت بالرخص منزلي * ولم يعلموا جارا هناك ينغص
فقلت لهم كفوا الملام فانما * بجيرانها تغلوا الديار وترخص

(غراء) ظاهرة حسنة (حاوية) جامعة (خلاصات) جمع خلاصة وهو الذي يتخلص من الشيء ويصفونه و(الزبد) جمع زبدة اللبن (نقحتها) هذبتها (محض) أخلص (اللبيب) العاقل (أخي الرشد) صاحب الرشد (الشبل) ولد الاسد (اقتديت) اتبعت وصيتي (واها) عجبا (اعتديت) ظلمت (آها) كلمة معناها التوجع (عرشك) سريرك والمعنى أنه يدعو له بالبقاء (سددا) صوابا (نحلت) أعطيت (الواضحة) البينة (الغادية) السحابة تأتي بالغدو و(الرائحة) بالعشي قال الفراء النحوي (من أشبه أباه فما ظلم) مثل أخذه الناس من قول كعب بن زهير

أنا ابن الذي لم يخزني في حياته * قديما ومن يشبه أباه فما ظلم

(لقنوه) علموه (أولى) أحق (نحلة) عطية (العقيان) الذهب

(شرح المقامة الخمسين وهي البصرية)

(أشعرت) ألبست (برح) شق واشتد (استعاره) توقده في القلب (لاح) ظهر يريد أنه لبس الهم كالشعار و(الشعار) ثوب يلي الجسد والشعار علامة القوم في الحرب فمعناه عبس وجهه من شدة الهم (يسرو) يزيل (غواشي الفكر) ما يغشاه ويدخل عليه من الهم (ماهول) كثير الاهل (المساند) جمع مسند وهو ما يستند اليه ظهره أراد مواضع العلماء المتصدرين للاقراء و(الموارد) مواضع المياه (مشفوه) كثيرة الشفاه عليه للشرب وأراد ازدحام الطلبة على الاشياخ لاخذ العلم (أزاهير) أنوار (ارجائه) نواحيه (صرير) أصوات (وان) مقصر (لاو على شان) معرج على أمر (استشرفت أقصاه) اطلعت بنظري عليه كله (تراءى) ظهر (اطمار) ثياب خلقة (عصبت) أحدقت وحلقت (عصب) جماعات (لا ينادى وليدهم) هذا مثل يستعمل في الامر المعجب المبالغ في وصفه المعجب منه وقد يؤول على تأويلات وهو يستعمل في الخير والشر

للاكز والواكز الى أن جلست
تجاهه بحيث أمنت اشتباهه
فاذا هو شيخنا السروجي
لاريب فيه ولا لبس يخفيه
فانسرى بمرآه همي وارفضت
كتيبة غمي وحين رآني
وبصر بمكاني قال ياأهل
البصرة رعاكم الله ووقاكم
وقوى تقاكم فما أضوع
رياكم وأفضل مزاياكم
بلدكم أوفى البلاد طهرة
وأزكاها فطرة وأفسحها
رقعة وأمرعها نجعة
وأقومها قبلة وأوسعها
دجلة وأكثرها نهرا ونخلة
وأحسنها تفصيلا وجملة
دهليز البلد الحرام وقبالة
الباب والمقام وأحد جناحي
الدنيا والمصر المؤسس على
التقوى لم يتدنس ببيوت
النيران ولا طيف فيه
بالاوثان ولا سجد على أديمه
لغير الرحمن ذو المشاهد
المشهودة والمساجد
المقصودة والمعالم المشهورة
والمقابر المزورة والآثار
المحمودة والخطط المحدودة
به تلتقي الفلك والركاب
والحيتان والضباب
والحادي والملاح والقانص
والفلاح والناشب والرامح
والسارح والسابح وله
آية المد الفائض والجزر
الغائض وأما أنتم فمن
لايختلف في خصائصهم اثنان ولا ينكرها

والرخاوة والشدة (ابتدرت قصده) اى عجلت المشي الى جهته (توردت ورده) اى طلبت منفعته و(المراكز) مواضع الجلوس ومركز الرجل موضعه وركزت الشيء غرسته (أغضي) أغمض على المكروه (اللاكز) الضارب في الصدر (الواكز) الضارب في ناحية الفم والوكز واللكز بجمع اليد (تجاهه) قبالة وجهه (اشتباهه) التباسه بغيره (يخفيه) يستره (انسرى) زال وانكشف (ارفضت) تفرقت (كتيبة غمي) أي عسكره (وقوله وحين رآني) يريد أن السروجي علم أن ابن همام يعرف مكره بالناس في كل بلد فخشي أن لا يسمح له بخداع أهل بلده فأخذ يمدح البصرة وأهلها ليرضيه بذلك (رعاكم الله) حفظكم (وقاكم) كفاكم ما يحذر (تقاكم) خوفكم لله (أضوع رياكم) أفوح رائحتكم (مزاياكم) فضائلكم التي خصصتم بها (أوفى) أكمل (أفسحها) أوسعها (الرقعة) القطعة من الارض (أمرعها) أخصبها (النجعة) موضع العشب ينتجعه الناس (دجلة) نهر البصرة (تفصيلا وجملة) يقول ان جزئت مواضعها وتناظر كل جزء منها مع كل جزء من غيرها كان لها الفضل فان قيل أي البلاد أحسن على الجملة قيل البصرة (الدهليز) اسطوان الدار ومدخلها و(المقام) موضع قيام ابراهيم عليه السلام عند الكعبة للدعاء (أحد جناحي الدنيا) من قول أبي هريرة الدنيا على مثال الطائر فالبصرة ومصر الجناحان فاذا خربا وقع الامر (المؤسس على التقوى) الذي بني أساسه في الاسلام (يتدنس) يتوسخ (الاوثان) الاصنام (أديمه) جلده أراد به أرضه (الخطط) الدور والأزقة (المختطة) الموسومة لبني فيها (الفلك) السفن (الركاب) الابل يريد أنها بحرية برية (الضباب) جمع ضب (الحادي) سائق الابل فاذا كان الحادي حسن الصوت بلغت الابل جهدها في المشي (الملاح) خادم السفينة (القانص) صائد الحوت (الفلاح) الحراث (الناشب) الرامي بالنشاب (الرامح) الطاعن بالرمح أراد الاعزاز لانهم رماة والعرب لانهم أصحاب رماح و(السارح) راعي الابل و(السابح) العائم في الماء (آية) علامة (المد والجزر) اى زيادة البحر ونقصانه وهما الملء والحسر ونهر البصرة يركض فيه البحر (خصائصهم) ما يختصون به من الفضائل أراد أن البصرة اجتمعت فيها الاشياء المتنافرة والمتضادة التي لا تجتمع ببلد فهي أجمع بلاد الله فائدة قال ابن أبي عيينة في نحوه

زر وادي القصر نعم القصر والوادي * لابد من زورة من غير ميعاد
زره فليس له شيء يقاربه * من منزل حاضر ان شئت أو بادي
ترى قراقير والعيس واقفة * والضب والنون والملاح والحادي

والبصرة اختطها عتبة بن غزوان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعتبة بدري مهاجري بناها سنة أربع عشرة من الهجرة فنزل بموضع منها فوجد الكذان وهي الحجارة الرخوة فقال هذه البصرة انزلوها بسم الله فسميت لذلك البصرة واختطت الكوفة سنة سبع عشرة من الهجرة في المحرم وكسرت البصرة في أيام خالد القسري فوجد طولها فرسخين في مثلهما والكوفة ثلثاها وأما في أيام المنصور فقسم على من يستوجب العطاء من أهل البصرة ألف ألف درهم فأصاب كل رأس درهمين ولاهل البصرة ثلاثة أشياء ليس لاحد من أهل البلدان أن يدعيها عليهم النخل والشاء والحمام أما النخل فهم أعلم خلق الله به وأحذقهم باصلاحه وفيها من أصناف النخل ما ليس في بلد من البلدان وأما الشاء المعبدية فوفد على رسول

الله صلى الله عليه وسلم رجل من عبد القيس فقال يارسول الله انى رجل أحب الشاء فدفع له فحلا من المعز فقبض بيده على أصل أذنه حتى استدارت أصابعه فصار فى أذنه كالسمة فسار الى بلده فأطرقه شاءه فحملت الى البحرين فتناسلت هنالك فليس فى البحرين شاة كريمة الاوفى أذنها سمة كالحلقة فيغالى بها التلك العلامة حتى تبلغ الشاة منها خمسين دينارا وتعقد بالبصرة عقودها وفيها شاة لبنى فلان أمّها فلانة وأبوها تيس بنى فلان مقدار حلبها بالغداة والعشى كذا وحمامهم بلغت فى الهداية أن جاءت من أقاصى بلاد الروم ومن مصر الى البصرة وينتهى ثمن الطائر منها الى تسعمائة دينار ويباع بيضها بعشرين دينارا وكل ماوصف فى المقامة موجود فى البصرة ولما صعد على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه منبرها خطب وقال فى آخر خطبته يا أهل البصرة يابقايا ثمود يا جند المرأة ويا أتباع البهيمة دعا فاتبعتم وعقر فانهزمتم أما انى أقول لارغبة فيكم ولارهبة منكم غير أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أرض يقال لها البصرة أقوم الارضين قبلة قارئها أقرأ الناس وعابدها أعبد الناس ومتصدقها أكثر الناس صدقة وتاجرها أعظم الناس تجارة منها الى قرية يقال لها الأبلة أربع فراسخ يستشهد عند مسجدها سبعون ألفا الشهيد منهم كالشهيد فى يوم بدر فبنى الحريرى فى مدح البصرة على هذا الحديث وانما ختم كتابه بذكر البصرة وأهلها التقوى مفاخرهم ومفاخر بلدهم فى البلدان فيلهجون بالمقامات ويقدّمونها على غيرها (قوله شنآن) اى عداوة (دهماؤكم) جماعاتكم والدهماء معظم الناس وأكثرهم والدهم العدد الكثير (عابدكم) زاهدكم كالحسن البصرى ومحمد بن سيرين وغيرهما (الخليقة) اى أخوف الناس من الله تعالى (علامة) كثير العلم * ومستنبط علم النحو هو أبو الاسود الدؤلى واسمه ظالم بن عمرو بن جندل بن سفيان أحد بنى الديل من كنانة وهو يعدّ فى التابعين والمحدثين والشعراء والبخلاء والنحويين ويعد فى العرج والمفاليج والبخر شهد مع على رضى الله عنه صفين وولى البصرة لابن عباس رضى الله عنهما وكان من شيعة على وكانت امرأته عثمانية وكان اصهاره لايزالون يردّون عليه قوله فى على فقال فيهم

يقول الارذلون بنو قشير * طوال الدهر لاتنسى عليا
فقلت لهم وكيف يكون تركى * من الاعمال مايعصى عليا
أحب محمدا حبا شديدا * وعباسا وحمزة والوصيا
بنو عمّ النبى وأقربوه * أحب الناس كلهم اليا
فان يك حبهم رشدا أصبه * ولست بمخطئ ان كان غيا

ولم يشك أبو الاسود أنه رشد وعلى هذا تأويل قوله تعالى وانا أواياكم لعلى هدى أوفى ضلال مبين ومن بخله أنه كان يقول لاتجاودوا الله فان الله أجود وأمجد ولوشاء الله أن يوسع على خلقه حتى لايكون فيهم محتاج لفعل وكان يقول لولده اذا بسط الله لك فى الرزق فابسط وان قبضه فانقبض ومر برجل وهو يقول من يعشى هذا الجائع فأدخله وعشاه حتى شبع ثم ذهب السائل ليخرج فقال له أين تذهب فقال لاهلى فقال لا أدعك تؤذى المسلمين بسؤالك اطرحوه فى الادهم فبات عنده مكبولا حتى أصبح وكتب الى رجل يستسلفه فكتب اليه الرجل المؤنة كثيرة والفائدة قليلة والمال مكذوب فراجعه أبو الاسود ان كنت كاذبا فجعلك الله صادقا وان كنت صادقا فجعلك

ذو شنآن دهماؤكم أطوع رعية لسلطان وأشكرهم لاحسان وزاهدكم اورع الخليقة وأحسنهم طريقة على الحقيقة وعالمكم علامة كل زمان والحجة البالغة فى كل أوان ومنكم من استنبط علم النحو ووضعه والذى ابتدع ميزان الشعر

الله كاذبا وقال الخليل كان أبو الاسود ضنينا بما أخذه من على رضى الله عنه وذلك انه سمع لحنا فقال لابى الاسود اجعل للناس حروفا فأشار الى الرفع والنصب والخفض وقال له زياد قد فسدت ألسنة الناس لانه سمع رجلا يقول سقطت عصاتى فدافعه أبو الاسود وسمع رجلا يقرأ ان الله برىء من المشركين ورسوله بخفض فقال مابعد هذا شىء فقال ابغنى كاتبا يفهم فجىء برجل من عبد القيس فلم يرضه فهمه فأتى بآخر من قريش فقال له اذا رأيتنى قد فتحت فى بالحرف فانقط نقطة على أعلاه واذا ضممت فى فانقط نقطة بين يديه واذا كسرت فى فاجعل النقطة تحت الحرف فاذا أشربت ذلك غنة فاجعل النقطة نقطتين فهذا نقط أبى الاسود واختلف الناس اليه يتعلمون العربية وفرع لهم ماأصله فأخذه جماعة كان أبرعهم عنبسة بن معدان المهرى يقال له الفيل فأقبل الناس عليه بعد موت أبى الاسود فبرع من أصحابه ميمون الاقرن فرأس فى الناس وزاد فى الشرح فبرع من أصحابه عبد الله بن أبى اسحق الحضرمى فبرع فى النحو وتكلم فى الهمز وأملى فيه كتابا وأخذ أبو عمرو بن العلاء عمن أخذ عنه ثم نجم من أصحاب أبى عمرو عيسى بن عمرو يونس بن حبيب وأبو الخطاب الاخفش فألف عيسى كتابين سمى أحدهما الكامل والآخر الجامع قال المبرد فأخذ الخليل عن عيسى فلم يكن قبله ولا بعده مثله وهو القائل يمدح كتابى عيسى

بطل النحو الذى جمعتم * غير ماأحدث عيسى بن عمر
ذاك اكمال وهذا جامع * وهما للناس شمس وقمر

قال ابو العباس وقد قرأت أوراقا من أحدهما فكان كالاشارة الى الاصول ثم أخذ عن الخليل جماعة لم يكن فيهم مثل عمرو بن قنبر سيبويه ويكنى أبا بشر وأبا الحسن وهو من موالى بنى الحرث ابن كعب فألف كتابه الذى سماه قرآن النحو وعقد أبوابه بلفظه ولفظ الخليل وأبو الاسود من سكان البصرة * ومستنبط مستخرج والذى استنبط العروض هو الخليل وذكره بعض العروضيين فقال للخليل فى العروض حكمة مخترعة وسابقة مبتدعة تبين بذلك فضله وظهر تقدمه لانه لم يتبع فيما وضعه أثرا موجودا ولا اقتفى فيه رسما مرسوما واهتدى الى مالم يهتد اليه المتقدمون ولا أوجد مزيدا عليه المتأخرون ولولا الخليل لم يعلم صحيح الشعر من كسيره ولا سقيمه من عليله وفى حصره لجميع أوزان العرب فى خمس دوائر أعظم العجب لمن تدبر ماصنع وفهم وكان الخليل يحب أن يرى عبد الله بن المقفع وكان ابن المقفع يحب ذلك فجمعهما عباد المهلبى فتحادثا ثلاثة أيام ولياليهن ثم افترقا فقيل للخليل كيف رأيت عبد الله فقال مارأيت مثله قط وعلمه أكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف رأيت الخليل فقال مارأيت مثله قط وعقله أكثر من علمه وصدقا فى ذلك أدى عقل الخليل الى أن مات وهو أزهد الناس وجهل ابن المقفع أرداه فكتب كتابا لعبد الله بن على الى المنصور فقال فيه ماكان مستغنيا أن يقوله ولا يحتمل الامراء دون الخلفاء مثله فقال فيه ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله بن على فنساؤه طوالق ودوابه حوابس وعبيده أحرار والمسلمون فى حل من بيعته فاشتد ذلك على المنصور وكتب الى أمير البصرة أن اقتل عبد الله بن المقفع فقتله وقال ابن المقفع ان أكرمك الناس لمال أو لسلطان فلا يعجبنك ذلك فان زوال الكرامة بزوالهما ولكن ليعجبك ان أكرموك لأدب اودين واتخذ

واخترعه ومامن فخرالاولكم فيه اليد الطولى والقدح المعلى ولاصيت الاوأنتم أحق به وأولى ثم انكما كثراهل مصر مؤذنين وأحسنهم فى النسك قوانين وبكم اقتدى فى التعريف وعرف التسحير فى الشهر الشريف ولكم اذاقرت المضاجع وهجع الهاجع تذكار يوقظ النائم ويؤنس القائم ومابتسم ثغر فجر ولابزغ نوره فى بردولاحر الاولتأذينكم بالاسحار دوى كدوى الريح فى البحار وبهذا صدع عنكم النقل وأخبر النبى عليه السلام من قبل وبين أن دويكم بالاسحار كدوى النحل فى القفار فخسر فالكم ببشارة المصطفى ووا‌ها المصر كم وان كان قدعفا ولم يبق منه الاشفا ثم انه خزن لسانه وخطم بيانه حتى حدج بالابصار وقرف بالاقصار ووسم بالاستقصار فتنفس تنفس من قيد للقود أو ضبثت به براثن اسد ثم قال له أماانتم يااهل البصرة فما منكم الاالعلم المعروف ومن له المعرفة والمعروف واماأنا فمن عرفنى فأناذاك وشر المعارف من آذاك ومن لم يثبت عرفتى فسأصدقه صفتى أناالذى أنجدوأتهم وأيمن وأشأم وأصحر وأبحر وأدلج وأسحر نشأت بسروج وربيت على السروج ثم ولجت المضايق وفتحت المغالق وشهدت المعارك وألنت العرائك واقتدت الشوامس وأرغمت المعاطس وأذبت الجوامد وأمعت الجلامد سلواعنى المشارق والمغارب والمناسم والغوارب والمحافل والجحافل والقبائل والقنابل واستوضحونى من نقلة الاخبار ورواة الاسمار وحداة الركبان وحذاق الكهان لتعلموا كم فج سلكت وحجاب هتكت ومهلكة اقتحمت وملحمة ألحمت وكم ألباب خدعت وبدع ابتدعت وفرص اختلست وأسدافترست وكم محلق غادرته لقى وكامن استخرجته بالرقى وحجر شحذته حتى انصدع واستنبطت زلاله بالخدع

عباد المهلبى أرضافأرادغرسهافلامه أصحابه وقالواهى سبخة فأشارعليه الخليل بغرسهافغرسها فجاءت بكل شئ حسن فحمل اليها الخليل فاستحسنهاوقال

ترفعت عن ندى الاعماق وانخفضت * عن المعاطش واستغنت بسقياها
فمال بالخوخ والرمان أسفلها * واعتم بالنخل والزيتون اعلاها
وصار يغبطه من كان يعذله * ولائم لامه فيها تمناها
أبامعاوية اشكر فضل واهبها * وكلما جئتها فاعمر مصلاها

(وله)

عش مابدالك قصرك الموت * لامهرب منه ولافوت
بينا غنى بيت وبهجته * زال الغنى وتقوض البيت

وتوفى الخليل سنة سبعين ومائة وهو ابن خمس وسبعين سنة وتقدمت أخباره فى الاربعين فلتنظر هنالك (قوله اخترعه) اى أوجده قبل ان يكون (مصر) اى بلدو (قوانين) طرق مستقيمة (التعريف) حلق الرأس بعد يوم عرفة (قرت المضاجع) نام الناس فيها (هجع) نام (ثغر) سن وأراد به بياض الصبح (بزغ) صدع وظهر (النقل) الحديث المنقول عن النبى صلى الله عليه وسلم (واها) عجبا (عفا) درس (شفا) طرف وشئ قليل وشفا كل شئ حده وطرفه (خزن) حبس (خطم) زم والخطام حبل يشد على أنف البعير (حدج) نظر اليه بحدة (قرف) اتهم وقرفته بشر رميته به (الاقصار) العجز (قود) قتل نفس بنفس (ضبثت) علقت (براثن) أظافير (العلم) المشهور بالفضائل و (المعروف) الثانى العطاء (أنجد وأتهم) أتى نجدا وتهامة (أيمن وأشأم) أتى اليمن والشأم (أصحر وأبحر) مشى فى الصحراء والبحر (أدلج وأسحر) مشى بالليل والسحر (نشأت) كبرت (ولجت) دخلت (المعارك) مواضع القتال (العرائك) الطبائع الصعبة (الشوامس) الشوارد التى تأبى الانقياد (أرغمت المعاطس) أذللت الانوف (أمعت الجلامد) أسلت المياه من الجنادل الصم (المناسم) اخفاف الابل (الغوارب) مقادم ظهورها (المحافل) الجموع (الجحافل) الجيوش (القنابل) جماعة الخيل واحدها قنبلة (استوضحونى) اطلبوا بيان أمرى (الاسمار) الاحاديث بالليل يسمر عليها (الحداة) خدام الابل (فج) طريق فى الجبل (سلكت) دخلت (هتكت) خرقت (مهلكة) موضع خوف يهلك فيه الناس (اقتحمته) ترامت فيه (ملحمة) مواضع الحرب الشديدة يلتحم فيها أهل العسكرين ويلتصق بعضهم ببعض (ألحمت) اى أوقدت النار بينهم حتى التصقوا وصاروا لحمة واحدة وذلك أشد مايكون الحرب (ألباب) عقول (بدع) جمع بدعة وهو الشئ المبدع (اختلستها) أخذتها بسرعة واختطفتها (محلق) طائر فى الهواء (لقى) مطروحا على الارض و (كامن) مستور (شحذته) صقلته (انصدع) انشق * وأراد بالحجر بخيلا لايرشح بشئ كالحجر فتحيل عليه حتى أخذ ماله (استنبطت) استخرجت (زلاله) ماءه

العذب الصافي أراد أخذت ماله (فرط مافرط) اي سبق ماسبق (رطيب) ناعم وغصنه قامته و (الفود) ناحية الرأس (غربيب) أسود (برد) ثوب (قشيب) جديد (استشن الاديم) يبس الجلد والشن القربة البالية اليابسة (تأود القويم) اعوج المعتدل (استنار) أضاء وشاب (الليل البهيم) الشعر الاسود وقال الشاعر في معنى استشن الاديم

يامن لشيخ قد تخدد لحمه * أفنى ثلاث عمائم ألوانا
سوداء حالكة وسحق مفوّف * وأجدلونا بعد ذاك هجانا
قصر الليالي خطوه فتدانى * وحنون قائم صلبه فتحانى
والموت يأتي بعد هذا كله * وكأنما يعنى بذاك سوانا

وقال ابن الرومي في استنارة الليل

لجار على ليل الشباب فضامه * نهار مشيب سرمد ليس ينفد
وعزاك عن ليل الشباب معاشر * وقالوا نهار الشيب أهدى وأرشد
وكان نهار المرء أهدى لرشده * ولكن ظل الليل أندى وأبرد

وأنشد الزاهد بن عمران قول الشاعر

لم أقل للشباب في كنف الله ولا حفظه غداة استقلا

فزاد بعد استقلا

لا ولا للمشيب لما بدا لي * مرحبا بالمشيب أهلا وسهلا
مؤذن بالحمام هذا وذاكم * سوّد الصحف بالذنوب وولى

وأحسن ماقيل في ذم خضابه قول ابن الرومي

رأيت خضاب المرء بعد مشيبه * حدادا على فقد الشبيبة يلبس
والا فاي غرى الفتى بخضابه * أيطمع ان يخفى شباب مدلس
وكيف بان يخفى المشيب لناظر * وكل ثلاث صبحه يتنفس
وهبه يوارى شيبه أين ماؤه * وأين أديم للشبيبة أملس

وقال محمود الوراق

ياخاضب الشيبة خ فقدها * فانما تدرجها في كفن
أما تراها منذ عاينتها * تزيد في الرأس بنقص البدن

(قوله ليس الا الندم) ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذنب ذنبا أو أخطأ خطيئة فندم كان كفارة لما صنع وقال صلى الله عليه وسلم الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والارض وان لكم من الله نظرة * كتب عبد الملك الى الحجاج يتوعد علي بن الحسين ويكتب اليه بما يقول ففعل فقال ان لله لوحا محفوظا يلحظه في كل يوم مائة لحظة ليس منها لحظة الا يحيي فيها ويميت و يعز و يذل و يفعل مايشاء واني لارجو أن يكفينك الله منها بلحظة واحدة فكتب بها الحجاج الى عبد الملك وكتب ملك الروم الى عبد الملك أكلت الجمل الذي ركب عليه أبوك من المدينة لاغزينك جنودا مائة ألف ومائة ألف فكتب اليه عبد الملك بكلام علي فقال ملك الروم ماخرج هذا الامن كلام النبوة (أنضى الرواحل) أهزل الابل (أطوى

ولكن فرط مافرط والغصن رطيب والفود غربيب وبرد الشباب قشيب فأما الآن وقد استشن الاديم وتأود القويم واستنار الليل البهيم فليس الا الندم ان نفع وترقيع الخرق الذي قد اتسع وكنت رويت من الاخبار المسنده والآثار المعتمده ان لكم من الله تعالى في كل يوم نظرة وان سلاح الناس كلهم الحديد وسلاحكم الادعية والتوحيد فقصدتكم أنضى الرواحل وأطوى

المراحل حتى قت هذا المقام لديكم ولا منّ لى عليكم ادماسعيت الافى حاجتى ولا تعبت الالراحتى ولست أبغى
أعطيتكم بل استدعى
أدعيتكم ولا أسألكم
أموالكم بل استنزل
سؤالكم فادعوا الله تعالى
بتوفيقى للمتاب والاعداد
للمآب فانه رفيع الدرجات
مجيب الدعوات وهو الذى
يقبل التوبة عن عباده
ويعفو عن السيآت ثم
أنشد

أستغفر الله من ذنوب
أفرطت فيهنّ واعتديت
كم خضت بحر الضلال جهلا
ورحت فى الغىّ واغتديت
وكم أطعت الهوى اغترارا
واختلت واغتلت وافتريت
وكم خلعت العذار ركضا
الى المعاصى وماونيت
وكم تناهيت فى التخطى
الى الخطايا وما انتهيت
فليتنى كنت قبل هذا
نسيا ولم أجن ماجنيت
فالموت للمجرمين خير
من المساعى التى سعيت
يارب عفوا فأنت أهل
للعفو عنى وان عصيت

(قال الراوى) فطفقت
الجماعة تمدّه بالدعاء وهو
يقلب وجهه فى السماء الى
أن دمعت أجفانه وبدا
رجفانه فصاح الله أكبر
بانت أمارة الاستجابه
وانجابت غشاوة الاسترابه
فجزيتم يا أهل البصيرة جزاء من هدى من الحيرة فلم يبق من القوم الا من سرّ لسروره ورضخ له بميسوره فقبل عفو برهم
وأقبل يهرف فى شكرهم ثم انحدر من الصخره يؤم شاطئ البصره واعتقبته الى حيث تخالينا وأمنا التجسس والتحسس علينا

المراحل) أقطع الارض مجتهدا وأردّ المرحلتين والثلاث مرحلة واحدة (منّ) احسان (أبغى) أطلب (الاعطية والادعية) اسم لما يعطى ولما يدعى (استنزل) أطلب بتلطف (سؤالكم) طلبكم التوبة لى من الله تعالى (والمآب) الرجوع (يعفو) يمحو وعفا الله عنك درس ذنوبك ومحاها من عفا المنزل درس وانمحت آثاره وقال ابن المعتز

كنت فى سفرة البطالة والغى زمانا فحان منى قدوم
تبت عن كل مأثم فعسى يمـ * ـحى بهذا الحديث ذاك القديم

وله

الله يعلم ما اثم هممت به * الا ونغصه خوفى من النار
وان نفسى ماهمت بمعصية * الا وقلبى عليها عائب زارى

آخر

تطالبنى نفسى بما فيه صونها * فأعصى ويسطو توقها فأطيعها
ووالله ما يخفى على ضلالها * ولكنها تأبى فلا أستطيعها

(قوله أفرطت) أى ضيعت (اعتديت) ظلمت نفسى قال داود الطائى ما أخرج الله عبدا من ذل المعصية الى عز الطاعة الا وأغناه بغير مال وآنسه بغير أهل وأعزه بلا عشيرة (خضت) جزت (الغى) الضلال (اغترار) انخداع (اختلت) تكبرت ومشيت تخيلا و (اغتلت) أهلكت والغيلة القتل بالخداع وغالهم قتلهم غيلة (افتريت) كذبت (خلعت العذار) أزلت لجام الدين الذى يمسكنى وتسببت فى المعاصى (ركضا) جريا ووثبا (ونيت) فترت وقصرت فى الجرى اليها (تناهيت) أى بلغت النهاية وهى آخر الشئ (التخطى) الجواز والقطع وتخطيت الشئ جزته والخطايا الذنوب وهى من الخطا لان فاعلها مخطئ بفعلها و (النسى) الشئ المنسى لحقارته لا يخطر بالك فتنساه (أجن) اكتسب (المساعى) جمع مسعاة وهى السعى والمشى الكديد والمساعى أيضا المواضع التى يسعى فيها أى يمشى بكد وقال حبيب

أخاف الهى ثم أرجو نواله * ولكن خوفى غالب لرجائيا
ولولا رجائى واتكالى على الذى * تكفل لى بالصنع كهلا وناشيا
لما ساغ لى عذب من الماء بارد * ولا لذلى نوم ولا زلت باكيا
على انه قد كان منى جهالة * ليالى فيها كنت لله عاصيا

أخذه من قول الحسن البصرى ينبغى أن يكون الخوف أغلب من الرجاء فان الرجاء اذا غلب الخوف فسد القلب (قوله فطفقت) أى أخذت وجعلت (تمدّه بالدعاء) أى تصل دعاءها بدعائه وتقول امددته بالمال اذا قويته به ومددته بالجيش (رجفانه) اهتزازه ورجف الشئ تحرك والرجفة اهتزاز الارض (بانت) ظهرت (انجابت) انكشفت وزالت (غشاوة الاسترابة) غطاء الشك (رضخ) أعطى (بميسوره) ما تيسر له و (عفو برهم) فضل احسانهم (يهرف) يكثر الكلام ويطنب فى الشكر (انحدر) انصب (يؤم) يقصد (شاطئ) ساحل (اعتقبته) تبعته (تخالينا) صرنا فى خلوة من الناس (التجسس) طلب الشئ باليد وقيل التجسس طلب الشئ بالكلام و (التحسس) طلبه باليد ثم قد يقع كل واحد منهما موقع صاحبه * ابن الانبارى تجسس الرجل وتحسس بمعنى واحد هذا اجماع أهل اللغة وفرق بينهما يحيى بن أبى كثير فقال التحسس

البحث عن عورات الناس والتجسس الاستماع لحديث القوم * ابن الانبارى الجاسوس الباحث على أمور الناس (النوبة) الدولة (ايضاحا) بيانا (المريب) صاحب الريبة (المنيب) الراجع الى الله بتوبته (الخاشع) هو الخاضع (صغت) مالت (أعانى) أقاسى (أتشوف) أتطلع (خبرة) اختبار (استنشيت) استطلعت وأصل معناه شممت (جوّابة) قطاعة وجوالة أى الذين عادتهم الجولان فى البلاد (حاور) كلم (عجماء) بهيمة والمحاورة المراجعة فى الكلام (تراخى) طول المدة (الكمد) مصاحبة الهم والحزن (ركبا) أصحاب الابل (قافلين) راجعين من سفر (مغربة) أى هل عندكم من حديث غريب و (العنقاء) قال ابن عباس رضى الله عنه هو طائر فضل به بنو اسرائيل فانتقل بعد يوشع الى بلاد قيس عيلان بنجد والحجاز فآذى الولدان فشكوا ذلك الى خالد بن سنان وكان نبيا بين عيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام فدعا الله أن يقطع نسلها فبقيت صورتها تصور فى البسط وكان أجمل طائر وأعظمه ووجهه على هيئة وجوه الناس وقال أهل الرواية عنقاء مغرب انما هو الامر العجيب والعنق السرعة وذكرت عجائب البلدان بمجلس الراضى فقال قائل أعجب ما فى الدنيا طائر بأرض طبرستان على شاطئ الانهار شبيه بالباشق يسمى الكلم وهو يصيح فى فصل الربيع فتجتمع اليه العصافير وصغار الطير فترزقه فاذا كان آخر النهار أخذ واحدا مما قرب من الطير فيأكله فذلك فعله الى أن ينقضى فصل الربيع فتجتمع اليه العصافير وصغار الطير فتطرده وتضربه فيفر منها فلا يسمع له صوت الى الفصل الربيعى وهو طائر حسن موشى العينين وذكر الجاحظ أنه من عجائب الدنيا وذلك أنه لا يطأ الارض بقدميه بل باحداهما خوفا على الارض أن تخسف من تحته والثانى دودة تضىء بالليل كالشمع وتصير بالنهار لها أجنحة خضر وبالليل لا جناحين لها غذاؤها التراب لم تشبع قط منه خوفا أن يفنى التراب فتموت جوعا والثالث أعجب من الطائر والدودة من يكرى نفسه للقتال يعنى المسترزقة من الجند فاستحسن الخبر من حضر فقال الراضى معارضا لما ذكر الجاحظ ان أعجب ما فى الدنيا ثلاث البوم لا تظهر بالنهار خوفا أن تصيبها العين لحسنها وجمالها فتظهر بالليل الثانى الكركى لا يطأ الارض بقدميه معا بل باحداهما فاذا وطئها لم يعتمد عليها اعتمادا قويا خوفا من أن تخسف الارض بثقله الثالث الطائر الذى يقعد فى مشارق الماء من الانهار الذى يعرف بمالك الحزين يشبه الكركى لا يشبع من الماء خشية أن يفنى فيموت عطشا فافترق أهل المجلس والكل متعجبون من الراضى كيف تأتى منه مثل هذه المذاكرة مع من حضره من أهل السن والمعرفة مع صغر سنه والحكاية بكمالها فى كتاب المسعودى * وأما الزرقاء فكانت تبصر على مسيرة ثلاث ليال وكانت من جديس بن عامر بن ارم بن سام بن نوح وكان مع جديس طسم بن لاوذ بن ارم وكانت مملكتهم فى طسم وكانوا يسكنون اليمامة وهما من العرب العاربة فاقاموا برهة وبلادهم أفضل البلاد حدائق ملتفة وقصور مصطفة فكفروا بأنعم الله فأهلكهم وذلك لانهم ملكهم عملوق بن طسم وكان غشوما لا يملك نفسه فى هواه فاختصمت اليه امرأة من جديس اسمها هزيلة مع زوجها فى ابن لها فأمر بالولد فجعل فى غلمانه وأمر بالزوج أن يباع وتعطى المرأة عشر ثمنه وبالمرأة أن تباع ويعطى الزوج خمس ثمنها فقالت هزيلة

أتينا أخا طسم ليحكم بيننا * فأبدع حكما فى هزيلة ظالما

فقلت له لقد أغربت فى هذه النوبة فما رأيك فى التوبة فقال أقسم بعلام الخفيات وغفار الخطيات ان شانى لعجاب وان دعاء قومك لجاب فقلت زدنى ايضاحا زادك الله صلاحا فقال وأبيك لقد دقت فيهم مقام المريب الخادع ثم انقلبت منهم بقلب المنيب الخاشع فطوبى لمن صغت قلوبهم اليه وويل لمن باتوا يدعون عليه ثم ودعنى وانطلق وأودعنى القلق فلم أزل أعانى لاجله الفكر وأتشوف الى خبرة ما ذكر وكلما استنشيت خبره من الركبان وجوّابة البلدان كنت كمن حاور عجماء أو نادى صخرة صماء الى ان لقيت بعد تراخى الامد وتراقى الكمد ركبا قافلين من سفر فقلت هل من مغربة خبر فقالوا ان عندنا لخبرا أغرب من العنقاء وأعجب من نظر الزرقاء فسألتهم ايضاح ما قالوا وأن

(الزرقاء)

وهى أبيات فبلغه قولها فامر أن لا تتزوج امرأة من جديس حتى تحمل اليه قبل زوجها فيعتذرها فلقوا منه ذلا طويلا الى ان تزوجت الشموس بنت غفار أخت الاسود بن غفار وكان سيد جديس فلما كانت ليلة اهدائها حملت اليه والقيان معها يقلن

ابدأ بعملوق اليه فاركب * وبادر الصبح بأمر معجب

* فالبكر بعد كم من مذهب *

فلما افتضها خرجت على قومها فى دمائها شاقة جيبها من دبر ومن قبل وهى تقول

أيصلح ما يؤتى على فتياتكم * وأنتم رجال فيكمو عدد الرمل

فان أنتم لم تغضبوا بعد هذه * فكونوا نساء لا تفر من الفحل

فلو أننا كنا رجالا وكنتمو * نساء لكنا لا نقيم على الذل

فأنفت جديس عند ذلك واجتمعت الى أخيها الاسود وأجمعوا على أن يصنعوا لها طعاما فيدعو عملوقا مع قومه فاذا جاؤا فى الخيل والبغال عموهم بالقتل فقالت الشموس لاخيها الغدر عار وعاقبته بوار صبحوا القوم فى ديارهم تظفروا أو تموتوا كراما فقالوا لها المكر أمكن من نواصيهم ثم صنع لهم الطعام ودفنوا اسيوفهم فى الرمل فلما استكملوا فى المدعاة أتوا عليهم أجمعين وهرب من طسم رياح بن مرة فأتى حسان بن تبع ليستنصره فاستبعدوا أرضهم وكان قد تبع لرياح كلبة فضربها فى رجلها حتى عرجت فقال أبعيدة أرض قطعتها كلبة عرجاء فتجهز معه بجيش فلما صار وامن جديس على ثلاثة أيام صعدت الزرقاء على منار كان لها التنظر الجيش وكان رياح قد قال لهم ان الزرقاء تبصر على ثلاث ليال ولكن ليقطع كل رجل منكم غصنا من شجر فيحمله لنشبه عليها فلما رأتهم قالت يا قوم أتتكم الشجر أو أتتكم حمير فلم يصدقوها فقالت

اقسم بالله لقد دب الشجر * أو حمير قد أقبلت شيأ تجر

فكذبوها وقالوا كل بصرك وضعف فقالت أقسم بالله لقد أرى رجلا ينهش كتفا أو يخصف نعلا فتهاونوا بحديثها حتى صبحهم حسان فاجتاحهم فاخذت الزرقاء فشق عيناها فاذا فيها عروق سود من الاثمد وكانت أول من اكتحل به وهرب الاسود فنزل بطيء فنسله فيهم وتسمى زرقاء اليمامة واسم البلد جو فلما صلبت على بابها سميت اليمامة وقيل اليمامة اسم البلد واسم الزرقاء عنز وقيل ان حسانا لم يصلبها ولكن حملها فى السبى وقالت عندما قرب لها البعير لتركبه ولم تكن اعتادت ركوبه

شر يوميها وأغواه لها * ركبت عنز بحدج جملا

وقيل ان عنزا هى أخت الزرقاء وقال الشاعر

ما نظرت ذات أجفان كنظرتها * حقا كما صدع الدين الذى صدعا

قالت أرى رجلا فى كفه كتف * أو يخصف النعل لهفى أية صنعا

فكذبوها فوافتها على عجل * اقيال حمير تزجى الموت والشرعا

فاستنزلوا أهل جو من معاقلهم * وهدموا اشامخ البنيان فاتضعا

(قوله يكيلوا الى ما كالوا) أى يعطونى ما أعطوا من العلم (ألموا) نزلوا (العلوج) الروم (أم) صار اماما (حفزنى) عجلنى (النزاع) الشوق (فرصة) غنيمة (المعد) الكامل العدة فى السفر (قرارة)

يكيلوا الى ما كالوا فحكوا أنهم ألموا بسروج بعد ان فارقها العلوج فرأوا أبا زيدها المعروف قد لبس الصوف وأم الصفوف وصار بها الزاهد الموصوف فقلت أتعنون ذا المقامات فقالوا انه الآن ذو الكرامات فحفزنى اليه النزاع ورأيتها فرصة لا تضاع فارتحلت رحلة المعد وسرت نحوه سير المجد حتى حللت بمسجده وقرارة

متعبده فاذاهو قد نبذ صحبة اصحابه وانتصب فى محرابه وهو ذو عباءة مخلولة وشملة موصولة فهبته مهابة من ولج على الاسد وألفيته ممن سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ولما فرغ من سبحته حيانى بمسبحته من غير أن نبم بحديث ولا استخبر عن قديم ولا حديث ثم أقبل على اوراده وتركنى اعجب من اجتهاده وأغبط من يهدى الله من عباده ولم يزل فى قنوت وخشوع وسجود وركوع واخبات وخضوع الى ان اكمل اقامة الخمس وصار اليوم امس فحينئذ انكفا الى بيته وأسهمنى فى قرصه وزيته ثم نهض الى مصلاه وتخلى بمناجاة مولاه حتى اذا التمع الفجر وحق للمتهجد الأجر عقب تهجده بالتسبيح ثم اضطجع ضجعة المستريح وجعل يرجع بصوت فصيح

خل ادّكار الاربع
والمعهد المرتبع
والظاعن المودّع
وعدّ عنه ودع
واندب زمانا سلفا
سوّدت فيه الصحفا
ولم تزل معتكفا
على القبيح الشنع
كم ليلة اودعتها
مآثما ابدعتها
لشهوة اطعتها
فى مرقد ومضجع
وكم خطا حثثتها
فى خزية احدثتها
وتوبة نكثتها
لملعب ومرتع
وكم تجرأت على
رب السموات العلا
ولم تراقبه ولا
صدقت فيما تدعى
وكم غمصت برّه
وكم أمنت مكره
وكم نبذت امره نبذ الحذا المرقع
وكم ركضت فى اللعب
وفهت عمدا بالكذب
ولم تراع ما يجب
من عهده المتبع
فالبس شعار الندم
واسكب شآبيب الدم
قبل زوال القدم
وقبل سوء المصرع
واخضع خضوع المعترف
ولذ ملاذ المقترف
واعص هواك وانحرف
عنه انحراف المقلع * الام تسهو وتنى
ومعظم العمر فنى
فيما يضر المقتنى
ولست بالمرتدع * اما ترى الشيب وخط
وخط فى الراس خطط
ومن يلح وخط الشمط
بفوده فقد نعى

الموضع الذى يقرفيه (متعبده) موضع عبادته (نبذ) ترك (انتصب) قام ووقف (المحراب) عند العرب سيد المجالس ومقدمها واشرفها وقيل للقبلة محراب لانه أشرف موضع فى المسجد وقيل للقصر محراب لانه سيد المنازل الاصمعى المحراب عندهم الغرفة أحمد بن عبيد المحراب مجلس الملك سمى بذلك لانفراد الملك به لا يقرب به أحد وسمى محراب المسجد لانفراد الامام به ويقال فلان حرب لفلان اذا كان بينهما مباعدة (عباءة) كساء (مخلولة) بالية مشدودة بالخلال و (الشملة) الكساء يشتمل به (موصولة) يريد أنها خلقة قد تقطعت فوصلت (ولج) دخل (ألفيته) وجدته (سيماهم) علامتهم (حيانى بمسبحته) أى بسبابته وقد تقدم ذكرها (نغم) تكلم بكلام خفى و (الاوراد) جمع ورد وهو النصيب من القرآن يقوم به الانسان كل ليلة (أغبط) أحسد وأتمنى أن أكون مثله (وسجود وركوع) سجد الرجل اذا انحنى ومال الى الارض من قول العرب سجدت الدابة وأسجدت اذا خفضت رأسها للتركب ويقال قنت الرجل اذا أخذ فى التعظيم والدعاء لله تعالى والقنوت على أربعة اقسام الطاعة كقوله تعالى كل له قانتون والصلاة كقوله تعالى اقنتى لربك واسجدى وطول القيام كقوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل أى الصلاة أفضل فقال طول القنوت والسكوت كقول زيد بن ارقم كنا نتكلم فى الصلاة يكلم احدنا الذى يليه حتى نزل وقوموا لله قانتين فامسكنا عن الكلام قال ابو عبيدة نرى ان القنوت فى الصبح سمى قنوتا لان الانسان قائم فى الدعاء من غير أن يقرأ القرآن فكانه فى سكوت (اخبات) أى تذلل (انكفأ) انقلب (أسهمنى) أى أعطانى سهما اى نصيبا (تهجده) قيامه للصلاة (ادّكار) تذكر (الاربع) المنازل (عدّ) كف (دع) اترك (اندب) ابك (سلف) ذهب وتقدم (الصحف) الكتب (المعتكف) المقيم (الشنع) الذى يتحدث بقبحه (اودعتها) اى ضمنتها وجعلتها فيه (المآثم) الذنوب (ابدعتها) اخترعتها (خطا) جمع خطوة وهى الباع (حثثتها) عجلتها (خزى) هوان و (نكثتها) نقضتها (مرتع) اكل رغد (تجرأت) تشجعت واقدمت (تراقبه) تحارسه وتخشى منه (غمصت) نقصت (بره) احسانه (نبذت) تركت (الحذاء) النعل (ركضت) جريت (فهت) نطقت (تراع) تحفظ و (العهد) الميثاق (شعار) ثوب يلصق بالجسد (اسكب) صب (شآبيب) دفع المطر واحدها شؤبوب فاستعارها للدم كما استعار الدم للدمع (المصرع) موضع السقطة وصرعت اسقطت (لذ) الجأ (ملاذ) ملجأ (المقترف) المذنب (انحرف) مل (المقلع) الذى يقلع عن المعاصى ويفارقها (تسهو) تخطئ (تنى) تفتر (فنى) ثم سكن الياء ضرورة (المقتنى) المكتسب (المرتدع) المنتهى الكاف عن شهواته (وخط) فشا وانتشر والوخط مخالطة بياض شيب الراس بسواده والوخط فى غير هذا الطعن غير النافذ (خط) كتب (خطط) طرائق و (الشمط) اختلاط بياض الشيب بسواد الشعر (بفوده) بجانب راسه (نعى) تحدث بموته وقال الالبيرى

الشيب نبه ذا النهى فتنبها * ونهى الجهول فما استفاق ولا انتهى
بل زاد غيا نفسه فتهافتت * تبغي اللها وكأنها بين اللها
فالى متى ألهو وأفرح بالمنى * والشيخ أقبح ما يكون اذا لها
ماحسنه الا التقى لاأن يرى * صبا بألحاظ الجاآذر والمها
أنى يقاتل وهو مفلول الظبا * كابى الجرى اذا استقل تأوها
محق الزمان هلاله فكأنما * أبقى له منه على قدر السها
فغدا حسيرا يشتهى أن يشتهى * ولكم جرى طلق الجموح كما اشتهى
ان أن أوّاه وأجهش بالبكا * لذنوبه ضحك العدو وقهقها
ليست تنهنهه العظات ومثله * فى سنه قد آن أن يتنهنها
فقد اللدات وزاد غيا بعدهم * هلا تيقظ بعدهم وتنبها
ياويحه ما باله لا ينتهى * عن غيه والعمر منه قد انتهى

(قوله ارتياد) أى طلب (المخلص) المنجا (عى) احفظى وهو أمر للمؤنث من وعى يعى (اتعظى) اعتبرى (القرون) الامم السابقة (انقضى) فرغ وتم (والقضاء) هنا الموت (ومفاجأته) اتيانه على غفلة (حاذرى) خافى (انهجى) اسلكى وامشى فى نهج وهو الطريق البين (سبل الهدى) طرق الرشاد (اذكرى) تذكرى (وشك الردى) سرعة الموت (مثواك) موضع اقامتك لان المثوى والثواء الاقامة والمثوى الموضع الذى تقيم فيه (لحد) شق فى جانب القبر (بلقع) خال (آها) كلمة توجع (مورد) موضع الماء (السفر) المسافرون (الالى) الاولون المتقدمون والالى مقلوب الاول تقول أولى وأول ككبرى وكبر وأخرى وأخر ثم قلبوا الاول فقالوا الالى وتأتى الالى فى كلامهم بمعنى الذين موصولة وهى كثيرة يريد ان القبر مورد للاولين والآخرين وسماهم سفرا لان الانسان فى الدنيا مسافر لا يقيم انما يقطع أيامه وقال التهامى

العيش نوم والمنية يقظة * والمرء بينهما خيال سارى
فاقضوا مآربكم عجالى انما * أعماركم سفر من الاسفار

(قيد) قدر فان قيل كيف جعل القبر ثلاثة أذرع والذراع شبران والقبر قدره ما بين تسعة أشبار الى ثمانية فأخبرنى الحاج ابن السقاط ان عندهم بالمشرق ذراعا يسمونه المالكى يذرعون به ثيابهم وغيرها فيه من ذراع اليد ذراع ونصف وقال أبو القاسم الزجاجى الذراع الهاشمى ذراع وثلث ففى ثلاثة أذرع بالهاشمى ثمانية أشبار وبالمالكى تسعة أشبار فاحدى الذارعين أراد وانما نقل لفظ ثلاثة أذرع من قول عطاء بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كيف بك اذا أنت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة أذرع فى ذراع وشبر ثم رجعوا اليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم حملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك فاذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف يجران أشعارهما ويحثيان التراب بأنيابهما فتلتلاك وترتراك كيف بك عند ذلك يا عمر قال عمر ويكون معى مثل عقلى هذا قال نعم قال فاذا أكفيكهما (داهية) مجرب للامور حاذق بها (ابله) عى كثير الغفلة (معسر) فقير (تبع) أراد

ويحك يا نفس احرصى
على ارتياد المخلص
وطاوعى وأخلصى
واستمعى النصح وعى
واتعظى بمن مضى
من القرون وانقضى
واخشى مفاجاة القضا
وحاذرى أن تخدعى
وانتهجى سبل الهدى
واذكرى وشك الردى
وأن مثواك غدا
فى قعر لحد بلقع
آها له بيت البلى
والمنزل القفر الخلا
ومورد السفر الالى
واللاحق المتبع
بيت يرى من أودعه
قد ضمه واستودعه
بعد الفضاء والسعه
قيد ثلاث أذرع
لا فرق أن يحله
داهية أو أبله
أو معسر أو من له
ملك كملك تبع

وبعده العرض الذى
يحوى الحيى والبذى
والمبتدى والمحتذى
ومن رعى ومن رعى
فيامفاز المتقى
وربح عبد قدوقى
سوء الحساب الموبق
وهول يوم الفزع
وياخسار من بغى
ومن تعدى وطغى
وشب نيران الوغى
لمطعم أومطمع
يامن عليه المتكل
قدزادمابى من وجل
لما اجترحت من زلل
فى عمرى المضيع
فاغفر لعبد مجترم
وارحم بكاه المنسجم
فأنت أولى من رحم
وخير مدعو دعى

(قال الحرث بن همام) فلم يزل يرددها بصوت رقيق ويصلها بزفير وشهيق حتى بكيت لبكاء عينيه كما كنت من قبل أبكى عليه ثم برز الى مسجده بوضوء تهجده فانطلقت ردفه وصليت مع من صلى خلفه ولما انفض من حضر وتفرقوا شغر بغر أخذ يهينم بدرسه ويسبك يومه فى قالب أمسه وفى ضمن ذلك يرن ارنان الرقوب ويبكى ولا بكاء يعقوب حتى استبنت انه التحق بالافراد وأشرب قلبه هوى الانفراد فاخطرت بقلبى عزمة الارتحال وتخليته والتخلى بتلك الحال فكأنه

به تبعا الأكبر وهو الذى ذكر الله فى كتابه قال صاحب التيجان اسمه شمورغش بن ناشر النعم وسمى أبوه ناشر النعم لانه أحيا ملك حمير بعد أربعين عاما وهى أيام ملك سليمان وسمى شمورغش تبعا الاكبر وان كانت العرب لم تسم قبله تبعا الان العرب لم يقم لها أحفظ منه وكان يتجاوز عن مسيئهم ويحسن الى محسنهم وكان جميع أهل الارض شاكرين لايامه وكان أعقل من رأوا من الملوك وأعلاهم همة وأبعدهم غورا وأشدهم مكرا لمن حارب وغزا جميع ملوك الآفاق وقطع بجيوشه الارض كلها شرقا وغربا ثم رجع الى قصر غمدأن يدبر ملك الارض وذلت له ملوكها وعمر زمانا طويلا وهو أول من أمر بصنعة الدروع السوابغ جعل على أهل فارس ألف درع وعلى الروم ألف درع وعلى اليمن كذلك وعلى ممالكه كلها مثل ذلك فكانوا يغدون عليه كل سنة بذلك العدد ولذلك قال أبو ذؤيب

وعليهما مسرودتان قضاهما * داود أوصنع السوابغ تبع

وقال ابن الكلبى لم يملك الارض كلها الاثلاثة أبرار وهم سليمان عليه الصلاة والسلام وذو القرنين وتبع وهو أسعد أبو كرب وثلاثة كفار وهم النمروذ وبختنصر والضحاك * وأبو كرب الذى ذكر هو تبع وكان ملكا عظيما فتح البلاد وملك العباد وأقبل من اليمن يريد العراق فنزل الحيرة وحفر لهم نهرا وهو نهر الحيرة الى سوقها وبعث اليه حسان فى جنده ليطوف الارض فمضى به حسان فى عسكر عظيم جرار لايمر بمدينة الافتحها ولا ملك الاقهره وقيل فى تسمية ملوك اليمن تبابعة انه لكثرة مايتبع الملك منهم من الجنود وقيل سمى تبعا لانه تبع من قبله ولابن سكرة فى معنى بيت المقامة

الجوع يطرد بالرغيف اليابس * فعلام تكثر حسرتى ووساوسى
والموت أنصف حين عدل قسمة * بين الخليفة والفقير البائس

(قوله وبعده العرض) يريد عرض الناس للحساب (يحوى) يضم (الحيى) المستحى (البذى) المتكلم بالفواحش (المحتذى) المتبع الحاذى حذوه (رعى) ملك يريد أن العرض يعم الناس فيحتوى على العفيف والبذى وعلى الاغنياء والفقراء والملوك ورعيتهم ولا يتميز فيه أحد ولا يشرف الابعمل صالح (قوله فيامفاز المتقى) المفاز الخلاص (وقى) كفى (الموبق) المهلك (هول) خوف (بغى) ظلم و(تعدى) جاوز الحد فى جوره (طغى) جاوز الحد فى تكبره (شب) أوقد (الوغى) الحرب (وجل) خوف (اجترحت) اكتسبت (زلل) خطأ (زفير) نفخ (والشهيق) رد النفس مع البكاء بصوت (ردفه) خلفه (انفض) تفرق (شغر بغر) أى فى كل طريق وعلى كل جهة (يهينم) يرد كلامه خفيا لايفهم (يسبك يومه فى قالب أمسه) استعارة أى يفعل فى اليوم مافعل فى الامس (وفى ضمن ذلك) أى فى أثنائه (يرن) يصوت (الرقوب) المرأة التى لايعيش لها ولد (ولا بكاء يعقوب) يجوز رفع بكاء ونصبه والرفع أكثر * وبكى يعقوب على يوسف عليهما السلام حتى عمى وهو قوله تعالى وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم (استبنت) تحققت (الافراد) العباد يقال فلان فرد فى فضله أى ليس له نظير والافراد سبعة من العباد لاتخلو الدنيا منهم حتى اذا مات واحد خلف الله تعالى فى موضعه آخر (أشرب) خولط وغلب عليه (هوى الانفراد) حب الوحدة وقال ابن الرومى

الى الزهاد فى الدنيا * جنان الخلد تشتاق
عبيد من خطاياهم * الى الرحمن اباق
حدتهم نحوه الرغبه * مع الرهبات فاستاقوا
عليهم حين تلقاهم * سكينات واطراق
* يضجون الى الله * ودمع العين مهراق
مليك الملك هل مما * تطوقناه اطلاق
ففى أعناقنا طرا * من الآثام أطواق

(وللفقيه أبى العباس بن خليل)

فهموا اشارات الحبيب فهاموا * وأقام أمرهم الرشاد فقاموا
وتوسلوا بمدامع منهلة * تحت الدياجى والانام نيام
وتلوا من الذكر الحكيم جواهرا * جمعت لها الالباب والافهام
ياصاح لوأبصرت ليلهم وقد * صفت القلوب وصفت الاقدام
لرأيت نورهداية قدحفهم * فسرى السرور وأشرق الاظلام
فهم العبيد الخادمون مليكهم * نعم العبيد وأفلح الخدام
سلموا من الآفات لما استسلموا * فعليهم حتى الممات سلام

وقالوا فى هوى الانفراد الوحدة خير من القرين السوء وأنشدوا

أنست بالوحدة علما بها * فانها خير من الجمع *
ألا ترى الواحد اصلا لما * يحسب من أصل ومن فرع
أترك من لا أرتجى نفعه * رجاء رب الضر والنفع

آخر

أنست بوحدتى حتى لو أنى * أتانى الانس لاستوحشت منه
ولم تدع التجارب لى صديقا * أميل اليه الاملت عنه

(وقال آخر)

اهرب بنفسك تستأنس بوحدتها * تلق الرشاد اذا ما كنت منفردا
ان السباع لتهدا فى مرابضها * والناس ليس بهاد شرهم أبدا

(قوله تفرس) أى علم بفراسته وجودة نظره (نويت) أضمرت فى نيتى (كوشف) أطلع عليه (زفر) نفخ (الاواه) الحزين الذى يصيح آه آه (أسجلت) صدقت (المحدثين) الذين حدثوه بتوبة السروجى (محدثين) هم المكاشفون من الزهاد الذين يحدثون بالغيوب كأن المكاشف قد حدث بما يقول وقيل المحدثون الصادقون ظنا وفراسة وقال صلى الله عليه وسلم قد كان فيمن قبلكم محدثون فان يكن من أمتى هذه فهو عمر بن الخطاب وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ألمعيا وهو الصادق الظن ودليل ما ذكره صلى الله عليه وسلم فى عمر حديث سارية بن زنيم وكان عمر رضى الله تعالى عنه قد أرسله فى جيش للمسلمين فألقى الله فى روع عمر رضى الله تعالى عنه وهو يخطب الناس بالمدينة ان العدو قد نهز المسلمين واشتد الخطب عليهم وكانوا بحضرة جبل فقطع عمر الخطبة وقال ياسارية الجبل فأسمع الله تعالى سارية من مسافة شهر نداء عمر فانحاز بالمسلمين

تفرس ما نويت أو كوشف
بما أخفيت فزفر زفير الاواه
ثم قرأ فاذا عزمت فتوكل
على الله فأسجلت عند ذلك
بصدق المحدثين وأيقنت
أن فى الامة محدثين ثم دنوت

الى الجبل فتخاصوا (قوله المصافح) أى المعانق عند الوداع (نصب عينك) أى غرضها وقدامها وأول من قال اجعل الموت نصب عينك أمية بن أبى الصلت فى قوله

كل عيش وان تطاول يوما * صائر أمره الى أن يزولا
ليتنى كنت قبل ماقد بدالى * فى رؤس الجبال أرعى الوعولا
فاجعل الموت نصب عينك واحذر * غولة الموت ان للموت غولا

(عبراتى) دموعى (يتصعدن) يترفعن (التراقى) العظمان المعوجان أعلى الصدر (خاتمة التلاقى) آخر لقائه * ونذكر هنا جملة من الشعر فى ذكر الوداع الذى كان بينهما ونجعلها كالتوديع لما سلف لهما فى هذا الكتاب من رياض الآداب فانها كانت أنس الوحيد ومسلاة الطريد فمن ذلك قول بعضهم

وداعك مثل وداع الربيع * وفقدك مثل افتقاد الديم
عليك سلام فكم من ندى * فقدناه منك وكم من كرم

(وقال آخر)

أقول له يوم ودعته * وكل بعبرته مبلس
لئن رجعت عنك اجسامنا * لقد سافرت معك الانفس

وقال أبو سعيد الهمذانى أنشدنى هلال بن العلاء حين ودعنى

لأودعنك ثم تدمع مقلتى * ان الدموع هى الوداع الثانى
وأصوم بعدك عن سوالك فاغتدى * متقلدا صومين فى رمضان
فى فرقة الاحباب شغل شاغل * والموت صدقا فرقة الاخوان

(وأنشدنى أبو محمد بن حزم)

لئن أصبحت مرتحلا بشخصى * فقلبى عندكم أبدا مقيم
ولكن للعيان لطيف معنى * له سأل المعاينة الكليم

(وكرر هذا المعنى فقال)

يقول أخى شجاك رحيل جسم * وروحك مالها عنه رحيل
فقلت له المعاين مطمئن * لذا طلب المعاينة الخليل

(وقال آخر)

بانوا فاضحى الجسم من بعدهم * ماتبصر العين له فيا
وأسفى منه ومن قولهم * ماضرك الفقد لنا شيا
بأى وجه أتلقاهم * ان وجدونى بعدهم حيا

(وقال آخر)

لا كان يوم الفراق يوما * لم يبق للمقلتين نوما
شتت منى ومنك شملا * فسر قوما وساء قوما
ياقوم من لى بنقد خل * يسومنى فى العذاب سوما
مالامنى الناس فيه الا * بكيت كيما أزاد لوما

الیه كما يدنو المصافح وقلت أوصنى أيها العبد الناصح فقال اجعل الموت نصب عينك وهذا فراق بينى وبينك فودعته وعبراتى يتحدرن من المآقى وزفراتى يتصعدن من التراقى وكانت هذه خاتمة التلاقى (قال الشيخ) الرئيس أبو محمد القاسم بن على برد الله مضجعه هذا آخر المقامات التى

(ذكر الوداع)

*(وقال

أنشأتها بالاغترار وأمليتها
بلسان الاضطرار وقد ألجئت
الى أن أرصدتها للاستعراض
وناديت عليها فى سوق
الاعتراض هذا مع
معرفتى بانها من سقط المتاع
ومما يستوجب أن يباع
ولا يبتاع ولو غشينى نور
التوفيق ونظرت لنفسى
نظر الشفيق لسترت عوارى
الذى لم يزل مستورا ولكن
كان ذلك فى الكتاب مسطورا
وأنا أستغفر الله تعالى مما
أودعتها من أباطيل اللغو
وأضاليل اللهو وأسترشده
الى ما يعصم من السهو
ويحظى بالعفو انه هو أهل
التقوى وأهل المغفرة وولى
الخيرات فى الدنيا والآخرة

(ذكر العفو عن المذنبين)

(وقال صاعد اللغوى)

قلت له والرقيب يعجله * مستعجلا للفراق أين أنا
فمد كفا الى ترائبه * وقال سرا آمنا فأنت هنا

(قوله أنشأتها) أى صنعتها (الاغترار) الجهل والانخداع (أمليتها) ألقيتها لمن يكتبها * واضطر اضطرارا اذا لم يجد بدا من فعله (أرصدتها) أعددتها (الاستعراض) أن تعرض على الناس حتى يروها (سقط المتاع) هجينه (يبتاع) يشترى (غشينى) غطانى (أودعتها) ضمنتها (اللغو) سقط الكلام (الاضاليل) جمع أضاولة وهى ما يضل به من ركبه (أسترشده) أستهديه (يعصم) يمنع (السهو) الخطا (يحظى) يسعد (العفو) المغفرة (قوله هو أهل التقوى) عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول ربكم عز وجل أنا أهل التقوى فلا يشرك بى غيرى وأنا أهل لمن اتقى أن يشرك بى أن أغفر له * انتهى الشرح بحمد الله وتوفيقه وحسن عونه وكان من توفيق الله تعالى أن أول حرف شرحت من اللغة فى هذا الكتاب حمد الله وآخر حرف ختمت به عفو الله وما وقع بين حمد الله سبحانه وتعالى والثناء عليه وبين عفوه عن عبيده مرجو من جميل صنعه الامتنان بالصفح عن جميع هذره وملتمس من جلاله تعالى وكرمه جزيل الاجر على ما ضمنته من حكم الآداب وغيره * وأذكر فصلا أدبيا فى العفو عن المذنبين أختم به الديوان فمن وقف عليه ووجد فى نفسه لذته واستشعر الرجاء وطمع فى العفو فرغبتنا اليه أن يسأل لنا العفو مع نفسه * فمن ذلك انه كان للمأمون خادم لوضوئه فبيناهو يصب الماء على يديه اذ سقط الاناء فغضب المأمون فقال له الخادم يا أمير المؤمنين ان الله تعالى يقول والكاظمين الغيظ قال كظمت غيظى قال والعافين عن الناس قال عفوت عنك قال والله يحب المحسنين قال اذهب فأنت حر * وأمر عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه بعقوبة رجل فقال له رجاء بن حيوة ان الله تعالى قد فعل ما تحب من الظفر فافعل ما يحب من العفو فعفا عنه العتبى وقعت دماء بين حيين من قريش فأقبل أبو سفيان فما بقى أحد واضع رأسه الا رفعه فقال يا معشر قريش هل لكم فى الحق أو فيما هو أفضل من الحق قالوا وهل شئ أفضل من الحق قال نعم العفو فتبادر القوم فاصطلحوا قال المبارك بن فضالة كنت جالسا فى السماط عند أبى جعفر اذ أمر برجل أن يقتل فقلت يا أمير المؤمنين قال صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة ينادى مناد بين يدى الله عز وجل من كانت له يد عند الله فليقم فليتقدم فلا يتقدم الا من عفا عن مذنب فامر باطلاقه * وكان رجل شريب جمع قوما من ندمائه ودفع الى غلام له أربعة دراهم أن يشترى بها من الفواكه للمجلس فمر الغلام بباب مجلس منصور بن عمار وهو يسأل لفقير شيأ ويقول من دفع له أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات فدفع له الغلام الدراهم فقال له منصور ما الذى تريد أن أدعو لك قال ان يعتقنى الله من رق العبودية فدعا منصور وأمن الناس قال والثانية قال أن يخلف الله على الدراهم فدعا له وأمن الناس قال والثالثة يا غلام قال أن يتوب الله على مولاى فدعا له وأمن الناس قال والرابعة يا غلام قال أن يغفر الله لى ولمولاى ولك يا منصور وللحاضرين فدعا منصور وأمن الناس فرجع الغلام فقال له مولاه لم أبطأت فقص عليه القصة قال وبم دعا قال سألت لنفسى العتق قال اذهب فأنت حر قال والثانية قال ان يخلف الله على الدراهم

قال لك أربعة آلاف درهم قال والثالثة قال أن يتوب الله عليك قال تبت الى الله عزوجل قال والرابعة قال أن يغفر لى ولك وللواعظ وللحاضرين قال هذه الواحدة ليست الى فلما بات رأى فى المنام كأن قائلا يقول أنت فعلت ما كان اليك أترانى لا أفعل ما كان الى قد غفرت لك وللغلام وللمنصور وللحاضرين * قال يحيى بن معاذ يكاد رجائى لك مع الذنوب يغلب رجائى لك مع الاخلاص لانى أعتمد فى الاخلاص على الاعمال وفى الذنوب أعتمد على عفوك وقال السلامى

تبسطنا على الآمال انا * رأينا العفو من ثمر الذنوب

وقال بكر بن سليمان الصواف دخلنا على مالك بن أنس فى العشية التى قبض فيها فقلت يا أبا عبد الله كيف تجدك قال لا أدرى ما أقول لكم ستعاينون من عفو الله تعالى مالم يكن فى حسابكم ثم ما خرجنا حتى أغمضنا عينيه * وفى الحديث لو لم تذنبوا لجاء الله بامة يذنبون فيغفر لهم وقال أبو نواس

يا نواسى توقر * وتعزى وتصبر
ساءك الدهر بشئ * ولما سرك أكثر
يا كبير الذنب عفو الله من ذنبك أكبر
أكبر الاشياء فى أصـ * ـغر عفو الله أصغر
ليس للانسان الا * ما قضى الله وقدر
ليس للمخلوق تدبـ * ـير بل الخالق دبر

(وقال أبو العتاهية)

الهى لا تعذبنى فانى * مقر بالذى قد كان منى
فمالى حيلة الا رجائى * لعفوك ان عفوت وحسن ظنى
يظن الناس بى خيرا وانى * لشر الناس ان لم تعف عنى *
وكم من زلة لى فى الخطايا * وأنت على ذو فضل ومن
اذا فكرت فى ندمى عليها * عضضت أناملى وقرعت سنى

وهذا آخر شعر قاله أبو العتاهية وآخر شعر ختمت به هذا الشرح راجيا من ربى صفحه وعفوه والحمد لله أولا وآخرا كما يجب لجلاله غفرانك اللهم تباركت وتعاليت والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم ورضى الله تعالى عن أصحاب رسول الله أجمعين وعن التابعين وتابعيهم باحسان الى يوم الدين

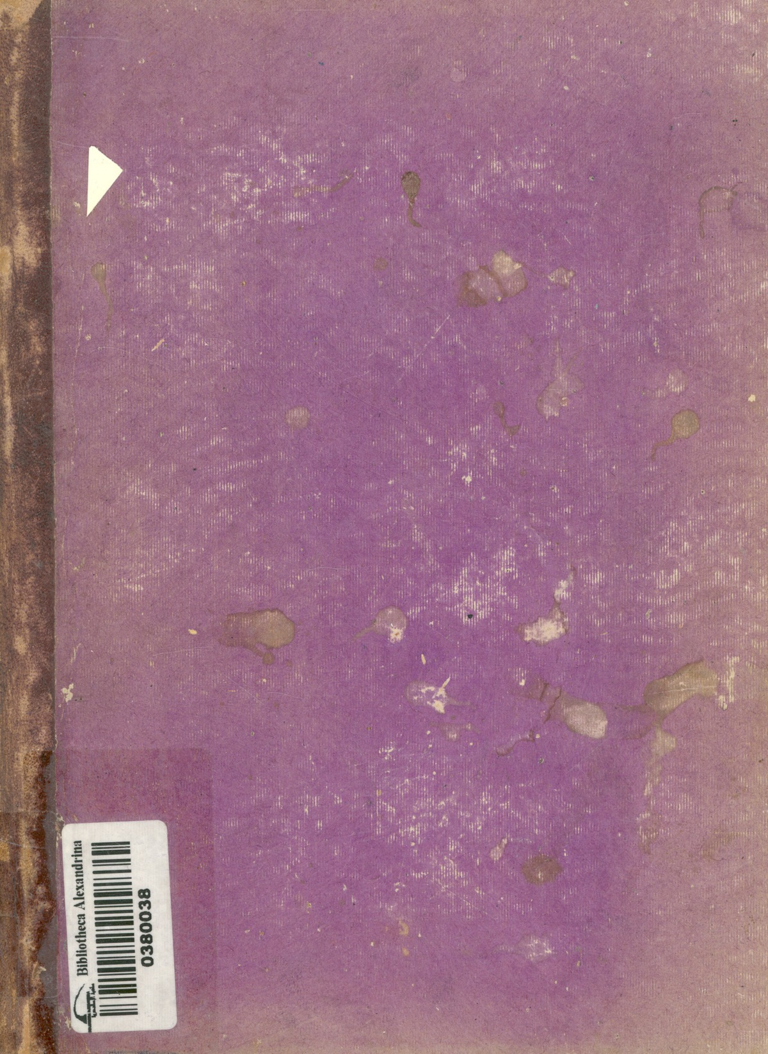
يقول حسيب الاعتاب الحسينية الفقير الى الله تعالى محمد الحسينى
خادم تصحيح الكتب بدار الطباعة الكبرى المصرية

يا من حرمت سحر بابل وأبحت سحر اللواحظ الفواتر الذوابل وأسل اللسان البواتر النوابل سبحانك علمت الانسان حسن التخلص واختلاس العقول بلطيف البيان وجعلت الادب حلية النفوس يتريض به جواد الطبع الشموس فصل وسلم وبارك على من اختصصته من بين بنى هذا النوع بسر هذه الخصيصة وأعلاها وحليته من حلى هذه المزية بابهجها

وارفعها

وارفعها وأغلاها سيدنا محمد الذى أعجز كل بليغ مقول معارض وأفحم كل مصقع منطيق مفاوض وعلى آله الذين دوّنوا أحكامك وبينوا لنا آدابك البديعة وأصحابه ذوى المقامات الرفيعة (أما بعد) فقد تم طبع هذا السفر الذى أسفرت بمطالعه بدور المقامات الحريرية وبرزت مخدراتها تتهادى فى حلل البهاء العبقرية الراوى لنا من ملح الادب ما تهتز له الالباب طربا وتقضى به عشاق الآداب عجبا للعلامة الاديب النابغة الاريب أوحد زمانه وتاج الفضلاء فى آنه الصنع الذى يأبى ان يشارك فى حسن صناعته والجهبذ الذى تعنو وجوه الفصحاء لبليغ عبارته مربى فحول العلماء مؤدب أرقاء الظرفاء ذى المقام الأنسى والقرب القدسى الامام أبى العباس أحمد بن عبد المؤمن الشريشى القيسى سقى الله ثراه صيب الرحمة ومتعه بلذيذ القرب فى دار الاحسان والنعمة على ذمة العصابة الالمعية والرفقة النبلاء الجهبذية حضرة علىّ الهمة ورفيع الجناب السيد عمر حسين الخشاب والهمام الفاضل الماجد الجناب الاكرم السيد الطوبى عبد الواحد وحضرة ذى العفة والامانة والهمة والفطانة سمىّ القدر والجناب الشيخ طلبه عبد الوهاب فى ظل الحضرة الفخيمة الخديوية والطلعة البهية الداورية من أحيا رفات المكارم وأمات بعدله رعاة المظالم ذو الصولة الكسروية والسيرة العمرية الذى عمّ رعيته بوافر برّه وصارت العتاة بحسن سياسته طوع نهيه وامره سلالة السادة الملوك الاماجد وخلاصة القادة الاكابر الصناديد مالك امرنا وولى نعمتنا على التحقيق أفندينا محمد باشا توفيق أدام الله دولته وخلد صولته وأيد سطوته قرير العين بانجاله مهنأ البال بأشباله لاسيما عباسه الليث الهمام السيف الصمصام وكان هذا الطبع الجليل والشكل الجميل فى المطبعة العامرة ببولاق مصر القاهرة مشمولا بنظر حضرة ناظرها ذى الهمة العليا والسعى المشكور والنظر الصائب والعزم المشهور من حسن مساعيه تشهد له بالفضل وعليه تثنى حضرة حسين بك حسنى ونظر حضرة وكيلها الجناب الافخم المجارى له فى حسن سعيه المتحلى بحلية مجده الاعظم الذى أجابته المعالى بلبيك حضرة محمد حسنى بيك وكان تمام بدره وانبلاج غرة قمره فى غرة رجب الاصم من عام ثلثمائة بعد الالف من هجرة من خلقه الله على أكمل وصف صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومحبيه واحزابه كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون

آمين


Bibliotheca Alexandrina
03800038